
تهذيب
حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء
للحافظ أبي نعيم الأصبهاني
٣٣٦ - ٤٣٠ هـ
هذبه
صالح أحمد الشامي
الجزء الأول

تهذيب
حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء

للحافظ أبي نعيم الأصبهاني

٣٣٦ ـ ٤٣٠ هـ

إعداد

صالح أحمد الشامي

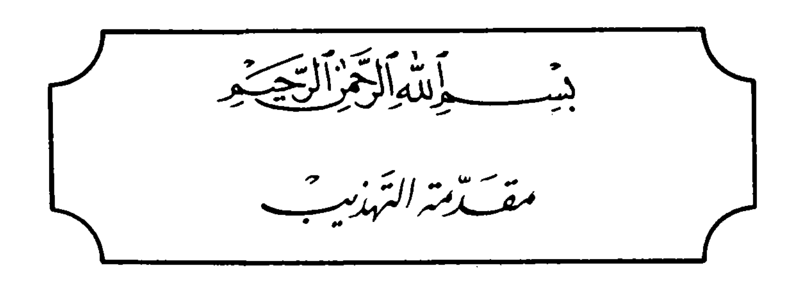
الجزء الأول

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما زال كتاب «حلية الأولياء» منذ وضعه مؤلفه وحتى وقتنا الحاضر، هو الإمام والمرجع في الموضوع الذي يعالجه، ولم يؤلف بعد مثله في موضوعه، ولهذا فهو يسد فراغاً في المكتبة الإسلامية، وربما انفرد حتى الآن بسد هذا الفراغ.

وهو من الكتب التي لاقت رواجاً واكتسبت شهرة واسعة، ولا أدل على ذلك من أنه إذا أريد التعريف بمؤلفه، قيل صاحب الحلية.

والكتاب يمثل روح العصر الذي كتب فيه، حيث الاهتمام بالأسانيد والحرص على معرفة الرجال، وطلب علو الإسناد، هو العلم، ومن لم يكن له حظ من ذلك، فليس من العلم في شيء.

ومؤلف الكتاب واحد من الحفاظ المشهود لهم، ولهذا جاء كتابه هذا ليشهد له بذلك.

وكتاب الحلية كتاب كبير، يقع في عشرة أجزاء، مما يتطلب وقتاً غير قصير لقراءته هذا الوقت الذي لم يعد موفراً للعلم كما كان الشأن في الماضي، لذا رأيت أن أقوم بتهذيب الكتاب بحذف ما لا يخل بمقصد المؤلف وبالغرض الذي وضع الكتاب من أجله، وفي

مقدمة ذلك تكرر الخبر الواحد أكثر من مرة بسبب اختلاف السند.
وغير ذلك مما سأبينه في هذه المقدمة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً له، إنه نعم المسؤول، وصلى الله على سيدنا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ

٢/١٠/١٩٩٧م

صالح أحمد الشامي



ترجمة الحافظ أبي نعيم

هو أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني.

ومهران هو أول من أسلم من أجداده، ومهران كان مولى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

فهو فارسي الأصل.

وكان مولده بأصبهان في شهر رجب من عام ٣٣٦هـ، وأصبهان يومئذ بلد العلم، فقد خرجت أجيالاً من العلماء على مدى العصور حتى قال فيها ياقوت: «وقد خرج من أصبهان العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن، وعلى الخصوص علو الإسناد، فإن أعمار أهلها تطول، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون».

وفي هذا الجو نشأ الحافظ الأصبهاني، بل إن أباه ـ وهو من العلماء المحدثين والرحالين ـ استجاز له طائفة من شيوخ العصر، حتى تفرد في آخر عمره في الدنيا بالرواية عنهم.

وقد رحل أبو نعيم في طلب العلم إلى بغداد ومكة والبصرة والكوفة ونيسابور، ولقي في كل بلد الأئمة الذين كانوا فيها وسمع منهم.

وقد أُتيح له في حياته شهرة نادرة ولعل أسبابها ترجع إلى:

طول عمره، وعلو أسانيده، وتفرده بالرواية عن أقوام متقدمين، وكثرة مؤلفاته، وجمعه لجوانب عديدة، فهو المحدث الكبير، والصوفي الشهير..

وقد أثنى عليه كثير من العلماء:

قال الذهبي فيه: الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم، الصوفي الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء وصاحب الحلية.

وقال السبكي: الإمام الجليل، الحافظ الصوفي، الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحفظ والضبط.. أحد الأعلام الذين جمع الله لهم بين العلو في الرواية، والنهاية في الدراية.

وقال ابن خلكان: الحافظ المشهور، صاحب كتاب «حلية الأولياء»، وكان من أعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات.

توفي في شهر محرم من سنة ٤٣٠هـ عن أربع وتسعين عاماً.

وقد ترك مؤلفات كثيرة، منها تاريخ أصبهان، ودلائل النبوة..[(١)].



(١) مرجع هذه الترجمة، كتاب «سير أعلام النبلاء» ١٧/٤٥٣ وكتاب «أبو نعيم حياته وكتابه الحلية» للدكتور محمد لطفي الصباغ، نشر دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

كتاب "حلية الأولياء"

جمع كتاب الحلية كثيراً من أخبار الزهد والورع والتقوى والصلاح، بل لنقل كما قال في مقدمته: من أخبار المتصوفة. فقد جاء فيها:

«أما بعد: أحسن الله توفيقك، فقد استعنت بالله عز وجل، وأجبتك إلى ما ابتغيت، من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة، وبعض أحاديثهم وكلامهم، من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك..».

والكتاب بهذا المعنى لا يعد من كتب التراجم التي تعنى عادة بالمولد والمنشأ وتاريخ الولادة وتاريخ الوفاة والرحلات.. فهو لا يهتم بشيء من ذلك ولا يعول عليه، وهذا ما يفسر لنا وجود كثير من التراجم التي ليس فيها إلا اسم المترجم له وحديثاً واحداً مما رواه.

وهو يحرص في مقدمة كتابه على التفريق بين فريقين ممن أطلق عليهم اسم التصوف، بين من تحقق التصوف وبين من ادعاه، وبين من قام به وبين من لبس لباسه وتظاهر به.

والغرض من الكتاب أيضاً الدفاع عن المتحققين من المتصوفة، وفي هذا يقول:

«ونبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمتثبطين، المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال».

«وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل القطر والأمصار، في المتنسبين إليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار، بقادحٍ في منقبة البررة الأخيار، وواضعٍ من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكّير على الخونة الباطلين، نزاهة للصادقين ورفعة للمتحققين».

«ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة، للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة..»[1].

ويذهب المصنف إلى أبعد من ذلك، إذ يفرق في فئة المتحققين من المتصوفة بين جماعة يمكن الاقتداء بهم لالتزامهم بالكتاب والسنة وبين فريق آخر أوغلوا في العبادة وأتعبوا أنفسهم فخالفوا بذلك منهج القصد، فالمؤلف لا يراهم أهلاً للاقتداء بهم. فيقول:

«قد ذكرنا طرفاً من أحوال من أخفاهم الحق عن الخلق، وخصهم بالأنس به، ولم ينصبهم أعلاماً يقتدى بهم» ثم يقول: «ونعود إلى ذكر بعض من نصبهم الحق للقدوة والتعليم والدعوة والتفهيم، وجعلهم خلفاء الأنبياء»[2].

وبهذا التفريق يضع المصنف النقاط على الحروف، فيعطي دراسة وافية للفئات التي تنضوي تحت لافتة التصوف.

- فهناك فئة منحرفة مارقة.
- وهناك الفئة المستقيمة مع الكتاب والسنة، وهي التي تصلح أن يقتدى بها.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٤.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩.

- وهناك الفئة المستقيمة التي ألزمت نفسها ما لا يلزم وجانبت طريق القصد وهذه لا تصلح لأن يقتدى بها.

وقد أفاض المصنف في ذكر أدلة مسلك المتصوفة في مقدمته، كما تحدث عن اشتقاق كلمة «التصوف» وبين الاحتمالات المتعددة لها.

* * *

ويحدثنا الدكتور محمد لطفي الصباغ عن **محاسن هذا الكتاب** معدداً إياها فيقول:

١ - في هذا الكتاب يرى الإنسان مثلاً عليا فاضلة، يعزّ وجودها في دنيا الواقع.

وهذه الخاصية من أهم خصائص هذا الكتاب، ذلك لأن الإنسان عموماً، والخيِّر المتدين بخاصة، يحب أن يعيش - ولو لمدة يسيرة - في مستوى رفيع سام، مع الذرا والقمم، وإن لم يتيسر له ذلك، فهو حريص على أن يقرأ أخبارهم ويصغي إلى كلماتهم.

إنه يريد أن يحيا في فكره، وبينه وبين نفسه مع أخبار هؤلاء الناس الأفاضل، الذين يحيون الحياة المستقيمة النظيفة، ما دام لا يستطيع أن يراهم في عالم الواقع، وكلما فسد الزمان وقلّ الصالحون، ازداد تعلق الطيبين بأخبار هؤلاء وتتبع أحوالهم.

ومن هنا كان هذا الكتاب محل إعجاب كثير من الناس، حتى أضحى كثير مما فيه غذاء للأرواح نافعاً.

٢ - لعل هذا الكتاب أوسع كتاب ذكر فيه أسماء النساك والعباد في المكتبة العربية، وقد ذكر المؤلف أكبر عدد منهم من عصر الصحابة حتى عصر تأليفه.

٣ ـ وهو من أغنى الكتب بالحكم المختارة النافعة، والكلمات المؤثرة الرائعة، وأقوال العلماء والوعاظ، وأرباب القلوب.

٤ ـ فيه مجموعة كبيرة من الشعر الإلهي..

٥ ـ وتطالعنا فيه مجموعة قيمة من المناجيات الإلهية نثرت في هذا الكتاب، وطائفة من الأدعية الجميلة، التي صيغت بلغة راقية وأسلوب محكم.

٦ ـ فيه حكايات مشوقة تأخذ بالألباب، وقد تكون هذه الخصيصة من أهم العوامل التي أكسبت الكتاب شهرة فائقة وجعلت الناس يتعلقون به.

وليست هذه الحكايات كلها صحيحة النسبة ولا سليمة التأثير.. ولكنها جميعاً تتصف بصفة التشويق والإمتاع.

٧ ـ في هذا الكتاب أحاديث كثيرة تفرَّد بها المؤلف، وربما لا يجدها الباحث في غيره وهذه الأحاديث ليست في درجة واحدة.

٨ ـ في الكتاب تحقيقات حديثية جيدة.

٩ ـ بهذه الخصائص وغيرها كان الكتاب ذا أهمية، حتى قال الحافظ السلفي فيه: لم يصنف مثل كتابه «حلية الأولياء»[1].

أقول: ولعل ما أشار إليه الدكتور الصباغ في ثالثة هذه المحاسن يعد من أهم ما يميز هذا الكتاب، إذ كان حرص السلف كبيراً على سماع الكلمة الطيبة وحفظها.

فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله؛ لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في

---

(١) كتاب «أبو نعيم» للدكتور محمد لطفي الصباغ ص٦٢ ـ ٦٣.

مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عز وجل»[1].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا؛ لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار، يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة..»[2].

وهذه الكلمات تبين مكانة الكلمة الطيبة في نفوس السلف وحرصهم عليها.

❀ ❀ ❀

وعلى الرغم من كل هذه المحاسن، فإن الكتاب لم ينج من المآخذ والنقد، ويعد الإمام ابن الجوزي من أبرز الذين تصدوا لنقد هذا الكتاب، وقد أورد ذلك في مقدمة كتابه «صفة الصفوة» الذي قلد فيه كتاب الحلية وترسم فيه خطاه.

ويمكن **إجمال هذا النقد** بالنقاط التالية:

١ ـ ذكر أسماء جماعة لم يترجم لهم بشيء ولم يذكر عنهم سوى بعض الأحاديث التي يروونها.

٢ ـ أنه لم ينظر فيما يترجم به، هل هو مناسب للكتاب أم لا، فقد ملأ ترجمة مجاهد بقطعة من تفسيره، وترجمة عكرمة بقطعة من تفسيره.

٣ ـ إعادة أخبار كثيرة، مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري من كلامه، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يروون كلامه.

---

(١) حلية الأولياء ١/٥١.

(٢) حلية الأولياء ١/٢١٢.

٤ ـ أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها عن الشخص الواحد.

٥ ـ أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرة باطلة وموضوعة.

٦ ـ السجع البارد في التراجم، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح.

٧ ـ إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر وعمر.. وليس عند هؤلاء من التصوف خبراً.

٨ ـ ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها كتخريق الثياب.

وأضاف الدكتور الصباغ إلى هذا النقد أمراً آخر، وهو تكرار بعض التراجم.

وهذا النقد، نقد دقيق جيد ليس فيه شيء من التحامل، وإنما هو البيان لواقع الأمر.



عملي في الكتاب

إن الغاية من تهذيب هذا الكتاب، هي الإبقاء على محاسنه، التي هي موضوعه، وإبراز هذه المحاسن.

ولتحقيق هذه الغاية كان لا بد من نوعين من العمل: أحدهما في ميدان التهذيب والآخر في ميدان التجميل.

أولاً: أما عملي في ميدان التهذيب فإني أجمله بالأمور الآتية:

١ ـ حذف الإسناد الذي يأخذ مساحة لا بأس بها من كل خبر، بل ربما وفي كثير من الأحيان يكون أطول من الخبر نفسه، وحذف الإسناد في ميدان المواعظ والحكم ـ مما لا صلة له بالأحاديث الشريفة وأخبار الصحابة ـ قد فعله التابعون. فهذا الحسن البصري رحمه الله في مجلس من مجالس وعظه، يسأله أحد المستمعين عن خبر من الأخبار: عمن؟ فيقول الحسن: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته[1].

وقال ذو النون المصري: إسناد الحكمة وجودها[2].

وقد سلك هذا المسلك في حذف الإسناد الإمام ابن الجوزي في كتابه «صفة الصفوة».

٢ ـ وحذف الإسناد يؤدي بنا إلى حذف الروايات المتعددة

(١) عيون الأخبار ٢/١٣٧.

(٢) حلية الأولياء ٩/٣٧٨.

للخبر الواحد، والإبقاء على واحدة منها، فإن المصنف على طريقة المحدثين يأتي بالخبر الواحد من عدة طرق من باب التوثيق.

٣ ـ إن الخبر الواحد قد يتكرر عدة مرات، ففي كثير من الأحيان يأتي الخبر في ترجمة شيخ من الشيوخ، ثم يتكرر ذكر الخبر نفسه عند ذكر تراجم تلاميذه، فكثير من كلام الحسن البصري الذي ذكر في ترجمته، جاء ذكره مرة أخرى في تراجم تلاميذه، وكذلك إذا وصلنا إلى جعفر الضبعي لم نجد في ترجمته سوى ما ذكره عن شيوخه: مالك بن دينار، وثابت البناني، وأبي عمران الجوني، وقد كان سبق ذكر ذلك في تراجمهم(١).

فكان لا بد من حذف التكرار تخلصاً من الإطالة.

٤ ـ حذف الروايات المكررة بسبب إعادة الترجمة. فمما أخذ على المؤلف تكرار بعض التراجم، وبالتالي تكرار الأخبار المتعلقة بها، فكان لا بد من حذف المكرر.

٥ ـ حذف المنامات بشكل عام، إذ هي أمور تتعلق بمن رآها.

٦ ـ حذف الأحاديث الواردة في نهاية كل ترجمة، إذ طريقة المؤلف: أن يورد الترجمة، ثم يورد بعضاً من الأحاديث التي كانت من رواية صاحب الترجمة. وقد تكون هذه الأحاديث من حيث كثرتها أكثر من ضعفي الترجمة. وعلى سبيل المثال: فترجمة عبد الرحمن بن مهدي استغرقت إحدى عشرة صفحة واستغرقت الأحاديث التي من روايته سبعاً وأربعين صفحة.

وفي كثير من التراجم لا نجد إلا اسم صاحب الترجمة والأحاديث المروية عن طريقه، وفي مثل هذه الحالة فإني أحذف الأحاديث، وأبقي اسم صاحب الترجمة.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٨٧.

فهذه الأحاديث لا تفيدنا في الترجمة شيئاً، ومكانها كتب الحديث.

وحذف هذه الأحاديث قد يذهب بنصف الكتاب.

هذا مجمل ما كان في ميدان التهذيب، يضاف إليه حذف بعض الأخبار التي انحرفت عن مسار الكتاب والسنة نتيجة اجتهاد خاطئ أو فهم منحرف.

وبهذا يكون التهذيب قد صفى الكتاب من الأمور التي كانت سبباً في النقد الذي وُجِّه إليه.

ثانياً: وأما ما كان في ميدان التجميل فأجمله بما يلي:

١ ـ الإبقاء على ترتيب التراجم في الكتاب، فأرقام التراجم الموجودة في المهذب هي الأرقام نفسها الموجودة في الأصل، وذلك تسهيلاً للمراجعة لمن أراد ذلك، وهناك خطأ كثير في ترقيم الأصل جرى تصحيحه في «التهذيب»، وقد أشرت إلى التراجم المكررة.

٢ ـ الإبقاء على المقدمة التي وضعها المؤلف للكتاب، فلم أحذف منها شيئاً.

٣ ـ الإبقاء على المقدمة الواردة في أول كل ترجمة والتي بنيت على أسلوب السجع. وهي في كثير من الأحيان خالية من المعنى وليس فيها إلا الصناعة اللفظية، وكان بودي أن أحذفها، ولكنني وجدت في إبقائها إبقاء على معلم من معالم الكتاب.

٤ ـ الاستفادة من كتاب «صفة الصفوة» في مقارنة النصوص، وتصحيح بعض التصحيف والخطأ، وكذلك في ذكر تاريخ الميلاد والوفاة حيث وجد ذلك، وقد أوضحت ذلك في الحاشية.

٥ ـ وضع الآيات الكريمة ضمن قوسين مزخرفين ﴿ ﴾ ووضع

الأحاديث الشريفة ضمن هذين القوسين (   )، ووضع علامات الترقيم، وتقسيم النص إذا كان طويلاً إلى مقاطع، مما يساعد على سهولة القراءة، وسرعة الفهم.

٦ ـ وضعت فهرساً عاماً في آخر الكتاب رتبت فيه التراجم على الحروف الأمر الذي يساعد في سرعة الرجوع إلى الترجمة المطلوبة.

٧ ـ قسم المؤلف كتابه إلى عدة أقسام، تظهر لمن أمعن النظر في قراءة الكتاب، فلم تكن الفواصل بين الأقسام واضحة لأنه لم يعنونها بفصول أو أبواب، وإنما جاءت كتابة في سطرين أو أكثر، يوضح المؤلف من خلالهما انتهاء قسم وابتداء قسم آخر.

ولم تلق هذه الفواصل العناية من الذين أشرفوا على طبع الكتاب، فغابت ضمن تراجمه الأمر الذي يتعب القارئ في فهم أسلوب الكتاب من حيث تقسيمه.

وقد أضفت إلى هذه الفواصل عناوين من أبواب وفصول، لتكون واضحة جلية. فالأبواب والفصول ليست في الأصل ولكنها من عملي إيضاحاً لتقسيم المؤلف.

وقد جاء التقسيم في ثلاثة أبواب

الباب الأول: في ذكر أصحاب رسول الله ﷺ. وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ذكر بعض الصحابة وفي مقدمتهم العشرة المبشرون بالجنة.
- الفصل الثاني: في ذكر أصحاب الصفة.
- الفصل الثالث: في ذكر بعض الصحابيات.

الباب الثاني: في ذكر التابعين وفيه تسعة فصول:

- الفصل الأول: الزهاد الثمانية.
- الفصل الثاني: الفقهاء السبعة.
- الفصل الثالث: ذكر بعض التابعين من أهل البصرة.
- الفصل الرابع: ذكر طبقة من تابعي أهل المدينة.
- الفصل الخامس: ذكر طبقة من تابعي أهل مكة.
- الفصل السادس: ذكر طبقة من أهل اليمن.
- الفصل السابع: ذكر طبقة من أهل الجزيرة.
- الفصل الثامن: ذكر طبقة من أهل الكوفة وفيه:

ذكر أصحاب ابن مسعود.

ذكر تابعي التابعين.

- الفصل التاسع: ذكر طبقة من تابعي أهل الشام.

الباب الثالث: ذكر أقوام بغير ترتيب لأيامهم وبلداتهم وفيه ثمانية فصول:

- الفصل الأول: ذكر قوم من أهل البصرة.
- الفصل الثاني: ذكر أئمة البلدان وتابعيهم.
- الفصل الثالث: ذكر المشتهرين بالنسك وفيه:

ذكر بعض من ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي.

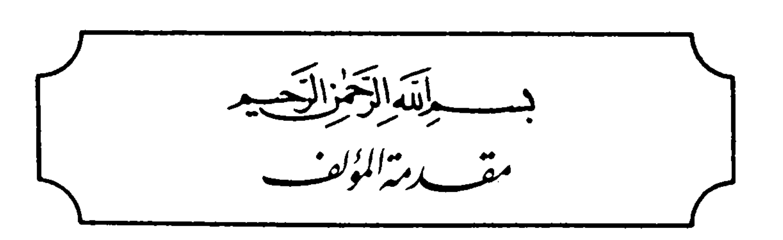
ذكر بعض من ذكرهم ابن الأعرابي.

- الفصل الرابع: ذكر جماعة ممن يقتدى بهم.
- الفصل الخامس: ذكر جماعة من العارفين العراقيين.
- الفصل السادس: ذكر جماعة من أعلام البغداديين.

- الفصل السابع: ذكر جماعة أدركهم المؤلف.
- الفصل الثامن: ذكر جماعة من أهل أصبهان.

هذا ما يسر الله عمله بشأن تهذيب هذا الكتاب القيّم. فأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه وأرجو الله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة له. والحمد لله رب العالمين.





قال الشيخ الإمام الحافظ أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني رحمه الله.

الحمد لله محدث الأكوان والأعيان، ومبدع الأركان والأزمان، ومنشئ الألباب والأبدان، ومنتخب الأحباب والخلان، منور أسرار الأبرار بما أودعها من البراهين والعرفان ومكدر جنان الأشرار بما حرمهم من البصيرة والإيقان، المعبر عن معرفته المنطق واللسان، والمترجم عن براهينه الأكف والبنان، بالموافق للتنزيل والفرقان، والمطابق للدليل والبيان. فألزم الحجة بالقادة من المرسلين، وأبهج المنهج بالسادة من المحققين؛ الذين جعلهم خلفاء الأنبياء، وعرفاء الأصفياء. المقربين إلى الرتب الرفيعة، والمنزهين عن النسب الوضيعة، والمؤيدين بالمعرفة والتحقيق، والمقومين بالمتابعة والتصديق، معرفة تعقب لمعرفتهم موافقة، وتوجب لحكم نفوسهم مفارقة، وتلزم لخدمة مشهودهم معانقة، وتحقق لشريعة رسولهم مرافقة والصلاة على من عنه بلغ وشرع، وبأمره قام وصدع، ولمتبعيه غرس وزرع، محمد المصطفى المصطنع. وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحابته المنتخبين وسلم.

أما بعد: أحسن الله توفيقك فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك إلى ما ابتغيت، من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم

وكلامهم؛ من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم؛ ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق، وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمتثبطين؛ المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال.

وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل القُطُر والأمصار، في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين، والنكير على الخونة الباطلين، نزاهة للصادقين ورفعة للمتحققين.

ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة، للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة، إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور فقد كان جدي محمد بن يوسف البنا رحمه الله أحد من نشر الله عز وجل به ذكر بعض المنقطعين إليه، وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه.

وكيف نستجيز نقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيهم مؤذن بمحاربة الله. وهو ما حدثنا إبراهيم بن محمد بن حمزة حدثنا أبو عبيدة محمد بن أحمد بن المؤمل. وحدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق السراج. قالا: حدثنا محمد بن إسحاق بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل قال: من آذى لي ولياً فقد آذنته

بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلئن سألني عبدي أعطيته، ولئن استعاذني لأعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأكره إساءته ـ أو مساءته ـ)[1].

حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن علي بن نصر قال: قرأ على أبي محمد بن المثنى. وحدثنا الحسن بن سلمة بن أبي كبشة أن أبا عامر العقدي حدثهما قال: حدثنا عبدالواحد عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ، ويروي عن ربه عز وجل: (قال من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي)[2].

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثني عياش بن عياش عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر. قال وجد عمر بن الخطاب معاذ بن جبل رضي الله عنه قاعداً عند قبر رسول الله ﷺ يبكي. فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة)[3].

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن لأولياء الله تعالى نعوتاً ظاهرة،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) قال في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢٥٠ رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره. وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩).

وأعلاماً شاهرة، ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون، ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيون.

وهو ما حدثنا محمد بن جعفر بن إبراهيم حدثنا جعفر بن محمد الصائغ حدثنا مالك بن إسماعيل وعاصم بن علي. قالا: حدثنا قيس بن الربيع حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله عز وجل). فقال رجل: من هم وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم. قال: (قوم يتحابون بروح الله عز وجل، من غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها بينهم، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)[1]. ثم قرأ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2].

ومن نعوتهم: أنهم المورثون جلاسهم كامل الذكر، والمفيدون خلانهم بشامل البر.

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا رشدين بن سعد عن عبد الله بن الوليد التجيبي عن أبي منصور مولى الأنصار أنه سمع عمرو بن الجموح يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (قال الله عز وجل: إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم)[3].

حدثنا أحمد بن يعقوب المعدل حدثنا الحسن بن علوية حدثنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧).
(٢) سورة يونس، الآية (٦٢).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) وهو الجزء الأخير من الحديث.

إسماعيل بن عيسى حدثنا الهياج بن بسطام، عن مسعر بن كدام عن بكير بن الأخنس، عن سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله؟ قال: (الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل).

حدثنا جعفر بن محمد بن عمر. وحدثنا أبو حصين القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا داود العطار عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قالت: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بخياركم) قالوا: بلى! قال: (الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل)[1].

ومنها: أنهم المسَلَّمون من الفتن الموقون من المحن، حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن القاسم بن الحجاج، حدثنا الحكم بن موسى حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني مسلم بن عبيد الله نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ. أنه قال: (إن لله عز وجل ضنائن[2] من عباده يغذيهم في رحمته، ويحييهم في عافيته إذا توفاهم إلى جنته، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية)[3].

ومنها: أنهم المضرورون في الأطعمة واللباس، المبرورة أقسامهم عند النازلة والبأس، حدثنا أبو إسحاق بن حمزة حدثنا أحمد بن شعيب بن يزيد. وحدثنا إسحاق بن أحمد حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة بن روح حدثنا عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: (كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٩).

(٢) أي من اختص به وأضن بمودته.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير».

مالك)[1]. ثم إن البراء لقي زحفا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين. فقالوا له: يا براء إن النبي ﷺ قال: لو أقسمت على ربك لأبرك، فأقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمنحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك عز وجل، قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً.

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن نصر الصائغ حدثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري، حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (رب أشعث ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله عز وجل لأبره)[2].

قال الشيخ رحمه الله تعالى ومنها: إن ليقينهم تنفلق الصخور، وبيمينهم تنفتق البحور.

حدثنا سهل بن عبد الله التستري حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى، فأفاق. فقال له رسول الله ﷺ: (ما قرأت في أذنه؟) قال: مبتلى، قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[3] حتى ختم السورة. فقال رسول الله ﷺ: (لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٢) بلفظ (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (١١٥).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير الآية عن ابن أبي حاتم، ولم يذكر درجته.

حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن يزيد الكوفي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الصلت بن مطر عن قدامة بن حماظة بن أخت سهم بن منجاب. قال: سمعت سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي، فسرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم. فقال: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً. فتقحم بنا البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء، فخرجنا إليهم.

حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الوليد بن شجاع قالا: حدثنا عبد الله بن بكر عن حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيت في العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالى عنه ثلاث خصال ما منهن خصلة إلا وهي أعجب من صاحبتها: انطلقنا نسير حتى قدمنا البحرين، وأقبلنا نسير حتى كنا على شط البحر. فقال العلاء: سيروا، فأتى البحر فضرب دابته، فسار وسرنا معه ما يجاوز ركب دوابنا، فلما رآنا ابن مكعبر، عامل كسرى، قال: لا والله لا نقابل هؤلاء، ثم قعد في سفينة فلحق بفارس.

قال الشيخ رحمه الله ومنها: أنهم سبّاق الأمم والقرون، وبإخلاصهم يمطرون وينصرون.

حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن عياض بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (لكل قرن من أمتي سابقون)[1].

---

(١) لم أجده في غير الحلية.

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن الخزر الطبراني حدثنا سعيد بن أبي زيد حدثنا عبد الله بن هارون الصوري حدثنا الأوزاعي، عن الزهري عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: (خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون. فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون؛ كلما مات رجل أبدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه، وأدخل من الأربعين مكانهم) قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم. قال: (يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل)[1].

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن السري القنطري حدثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الأرمني حدثنا عثمان بن عمارة حدثنا المعافى بن عمران، عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، ولله تعالى في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، ولله تعالى في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، ولله تعالى في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، ولله تعالى في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، ولله تعالى في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد أبدل الله عز وجل مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله تعالى مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله تعالى مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله تعالى مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات

(١) قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» ترتيب الشيخ زهير الشاويش: موضوع.

من الثلاثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة. فبهم يحيي ويميت، ويمطر وينبت ويدفع البلاء)[1] قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت! قال: لأنهم يسألون الله عز وجل إكثار الأمم فيكثرون، ويدعون على الجبابرة فيقصمون، ويستسقون فيسقون، ويسألون فتنبت لهم الأرض، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء.

حدثنا محمد أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك حدثنا ابن عباس، حدثنا صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان، عن حذيفة بن اليمان. قال: قال رسول الله ﷺ: (يا حذيفة. إن في كل طائفة من أمتي قوماً شعثاً غبراً، إياي يريدون، وإياي يتبعون، وكتابَ الله يقيمون، أولئك مني وأنا منهم، وإن لم يروني).

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عمرو بن هاشم، حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من سأل عني - أو سره أن ينظر إلي - فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار وغداً السباق، والغاية الجنة أو النار)[2].

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله ومنها: أنهم نظروا إلى باطن العاجلة فرفضوها، وإلى ظاهر بهجتها وزينتها فوضعوها. حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثني غوث بن جابر، قال: سمعت محمد بن داود يحدث عن أبيه عن وهب بن منبه. قال: قال الحواريون: يا عيسى مَنْ أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى عليه

---

(١) ذكره في الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ١٥٠.

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٨): رواه الطبراني في «الأوسط». وفيه سليمان بن أبي كريمة. وهو ضعيف.

السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نيلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، وخَلِقَت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بيوتهم فليسوا يعمرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات. وأحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة. يحبون الله عز وجل، ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره، ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه عملوا، وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار.

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني سفيان بن وكيع حدثنا إبراهيم بن عيينة عن ورقاء ـ قال الشيخ أبو نعيم والصواب وفاء بن إياس ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال: لا يغرنكما لباسه الذي ألبسته، فإن ناصيته بيدي فلا ينطق ولا يطرف إلا بإذني، ولا يغرنّكما ما متع به من زهرة الدنيا، وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما من

زينة الدنيا بشيء يعرف فرعون أن قدرته تعجز عن ذلك لفعلت، وليس ذلك لهوانكما علي، ولكني ألبستكما نصيبكما من الكرامة، على أن لا تنقصكما الدنيا شيئاً، وإني لأذود أوليائي عن الدنيا، كما يذود الراعي إبله عن مَبَارك العرة[1]، وإني لأجنبهم زهرتها كما يجنب الراعي إبله عن مراتع الهلكة، أريد أن أنور بذلك مراتبهم، وأطهر بذلك قلوبهم، في سيماهم الذي يعرفون به، وأمرهم الذي يفتخرون به. واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالعداوة، وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة.

حدثنا أحمد بن السري حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى حدثنا إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وحدثنا أبي حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن سهل بن عسكر حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما بعث الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون. قال: لا يعجبنَّكما زينته ولا ما متع به، ولا تمدا أعينكما إلى ذلك، فإنها زهرة الحياة الدنيا، وزينة المترفين، فإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً ما خرت لهم في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشتها، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة[2]. وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفوراً، لم تكلمه الدنيا ولم يطغه الهوى. واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها

---

(١) (٢) (العرة): الجرب، أو القروح في أعناق الإبل.

زينة المتقين، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك هم أوليائي حقاً حقاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذل لهم قلبك ولسانك. واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني، وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني؟ أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ فكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نصرتهم إلى غيري.

زاد إسماعيل بن عيسى في حديثه: فاعلم يا موسى أن أوليائي الذين أشعروا قلوبهم خوفي، فيظهر على أجسادهم في لباسهم وجهدهم الذي يفوزون به يوم القيامة، وأملهم الذي به يذكرون، وسيماهم الذي به يعرفون، فإذا لقيتهم فذلل لهم نفسك.

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم ثنا العباس بن يوسف الشكلي حدثني محمد بن عبد الملك قال: قال عبد الباري قلت لذي النون المصري رحمه الله: صف لي الأبدال.

فقال: إنك لتسألني عن دياجي الظلم، لأكشفنها لك عبدَ الباري: هم قوم ذكروا الله عز وجل بقلوبهم، تعظيماً لربهم عزوجل لمعرفتهم بجلاله. فهم حجج الله تعالى على خلقه، ألبسهم النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته. وطهر أبدانهم بمراقبته، وطيبهم بطيب أهل مجاملته، وكساهم حللاً من نسج مودته. ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة، وأعينهم إليه بالغيب ناظرة؛ قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته.

ثم قال: إن أتاكم عليل من فقري فداووه أو مريض من فراقي فعالجوه. أو خائف مني فآمنوه، أو آمن مني فحذروه، أو راغب في مواصلتي فهنوه، أو راحل نحوي فزودوه، أو جبان في متاجرتي فشجعوه، أو آيس من فضلي فعِدوه، أو راجٍ لإحساني فبشروه، أو حسن الظن بي فباسطوه، أو محب لي فواظبوه، أو معظم لقدري فعظموه، أو مستوصفكم نحوي فأرشدوه، أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه، ومن واصلكم فيَّ فواصلوه، ومن غاب عنكم فافتقدوه، ومن ألزمكم جناية فاحتملوه، ومن قصر في واجب حقي فاتركوه، ومن أخطأ خطيئة فناصحوه، ومن مرض من أوليائي فعودوه، ومن حزن فبشروه، وإن استجار بكم ملهوف فأجيروه.

يا أولياثي لكم عاتبت وفيَّ إياكم رغبت، ومنكم الوفاء طلبت، ولكم اصطفيت وانتخبت، ولكم استخدمت واختصصت، لأني لا أحب استخدام الجبارين، ولا مواصلة المتكبرين، ولا مصافاة المخلطين، ولا مجاوبة المخادعين، ولا قرب المعجبين، ولا مجالسة البطالين، ولا موالة الشرهين.

يا أوليائي جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أجزل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أكثر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة، أنا مجتني القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا مراقب الحركات، وأنا ملاحظ اللحظات، أنا المشرف على الخواطر، أنا العالم بمجال الفكر، فكونوا دعاة إليَّ، لا يفزعكم ذو سلطان سوائي، فمن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن آذاكم أهلكته، ومن أحسن إليكم جازيته، ومن هجركم قليته.

قال الشيخ رحمه الله: وهم الشَّغِفُون به وبوده، والكَلِفُون بخطابه وعهده.

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن منصور المدايني حدثنا

محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا عبد الله بن محمد بن الحسن بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ: (أن موسى عليه السلام قال: يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك. قال: الذي يسرع إلى هواي إسراع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس، والذي يغضب إذا انتهكت محارمي غضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لم يبال أقل الناس أم كثروا)[1].

حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن مصقلة حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان الحناط حدثنا أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري قال: إن لله عز وجل لَصَفوة من خلقه، وإن لله عز وجل لخيرة. فقيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟ قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة. ثم قال:

منع القران بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهِموا عن الملك الكريم كلامه ... فهماً تذل له الرقاب وتخضعا

وقال له بعض من كان في المجلس حاضراً: يا أبا الفيض من هؤلاء القوم يرحمك الله؟ فقال: ويحك، هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً، والتراب لجنوبهم مهاداً. هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم، فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدلاج، فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتصدعت هممهم به فكدحت، فجعلوه لظلمتهم سراجاً، ولنومهم مهاداً، ولسبيلهم منهاجاً، ولحجتهم إفلاجاً، يفرح الناس ويحزنون، وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون. فهم خائفون حذرون، وجلون مشفقون مشمرون، يبادرون من الفوت،

---

(١) قال في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه محمد بن عبد الله بن يحيى، متروك ٧/ ٢٦٨.

ويستعدون للموت. لم يتصغر جسيم ذلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب، وخطر ما يوعدون من الثواب، درجوا على شرائع القرآن، وتخلصوا بخالص القربان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآن موعوده، وأوفى لهم عهوده، وأحلهم سعوده، وأجارهم وعيده، فنالوا به الرغائب، وعانقوا به الكواعب، وأمنوا به العواطب، وحذروا به العواقب، لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية، واشتروا الباقية بالفانية، فنعم ما اتجروا، ربحوا الدارين، وجمعوا الخيرين، واستكملوا الفضلين، بلغوا أفضل المنازل، بصبر أيام قلائل، قطعوا الأيام باليسير، حذار يوم قمطرير، وسارعوا في المهلة، وبادروا خوف حوادث الساعات، ولم يركبوا أيامهم باللهو واللذات، بل خاضوا الغمرات للباقيات الصالحات، أوهن والله قوتهم التعب، وغير ألوانهم النصب، وذكروا ناراً ذات لهب، مسارعين إلى الخيرات، منقطعين عن اللهوات، بريئون من الريب والخنا، فهم خرس فصحاء، وعمي بصراء. فعنهم تقصر الصفات؛ وبهم تدفع النقمات، وعليهم تنزل البركات، فهم أحلى الناس منطقاً ومذاقاً، وأوفى الناس عهداً وميثاقاً، سراج العباد، ومنار البلاد، مصابيح الدجى، ومعادن الرحمة، ومنابع الحكمة، وقوام الأمة، تجافت جنوبهم عن المضاجع، فهم أقبل الناس للمعذرة، وأصفحهم للمغفرة، وأسمحهم بالعطية، فنظروا إلى ثواب الله عز وجل بأنفس تائقة، وعيون رامقة، وأعمال موافقة، فحلوا عن الدنيا مطي رحالهم، وقطعوا منها حبال آمالهم، لم يدع لهم خوف ربهم عز وجل من أموالهم تليداً ولا عتيداً، فتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها. ولا من الأوبار خزوزها، ولا من المطايا عزيزها، ولا من القصور مشيدها، بلى! ولكنهم نظروا بتوفيق الله تعالى لهم وإلهامه إياهم، فحركهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل، فضموا أبدانهم عن المحارم، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم، وهربوا بأنفسهم عن

المآثم، فسلكوا من السبيل رشاده، ومهدوا للرشاد مهاده، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم، عزوا عن الرزايا، وغصص المنايا، هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته، ومن القبر وضيقه، ومنكر ونكير، ومن ابتدارهما وانتهارهما وسؤالهما، ومن المقام بين يدي الله عز ذكره، وتقدست أسماؤه.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: وهم مصابيح الدجى، وينابيع الرشد والحجى، خصوا بخفي الاختصاص، ونقوا من التصنع بالإخلاص.

حدثنا عبد الله بن محمد وأبو أحمد محمد بن أحمد ـ في جماعة ـ قالوا: حدثنا الفضل بن الحباب حدثنا شاذ بن فياض حدثنا أبو قحذم عن أبي قلابة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: مر عمر بمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما وهو يبكي. فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أحب العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح العلم)[1].

حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي حدثنا أبو معاوية عمرو بن عبد الجبار السنجاري حدثنا عبيدة بن حسان عن عبد الحميد بن ثابت بن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: حدثني أبي عن جدي شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً فقال: (طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء)[2].

---

(١) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير».

(٢) قال في «الأحاديث الضعيفة»: موضوع.

قال الشيخ رحمه الله: وهم الواصلون بالحبل، والباذلون للفضل، والحاكمون بالعدل.

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: (أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل؟) قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: (الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم) رواه أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحاق مثله[1].

قال الشيخ رحمه الله: وهم المنبسطون جهراً، المنقبضون سراً، يبسطهم روح الارتياح والاشتياق، ويقلقهم خوف القطعية والفراق.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الوليد بن إسماعيل الحراني حدثنا شيبان بن مهران عن خالد بن المغيرة بن قيس عن مكحول عن عياض بن غنم: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن من خيار أمتي ـ فيما نبأني الملأ الأعلى، في الدرجات العلى ـ قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم، ويبكون سراً من خوف شدة عذاب ربهم عز وجل. يذكرون ربهم بالغداة والعشي، في بيوته الطيبة، ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويشتاقون إليه بقلوبهم عوداً وبدءاً، مؤنتهم على الناس خفيفة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا بذخ ولا مثلة، يمشون بالسكينة، ويتقربون بالوسيلة، يلبسون الخلقان، ويتبعون البرهان، ويتلون الفرقان، ويقربون القربان. عليهم من الله تعالى شهود حاضرة، وأعين حافظة ونعم ظاهرة، يتوسمون العباد،

---

(١) قال في «ضعيف الجامع الصغير»: ضعيف.

ويتفكرون في البلاد، أجسادهم في الأرض وأعينهم في السماء. أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء، وأنفسهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة، ليس لهم همّ إلا أمامهم، قبورهم في الدنيا ومقامهم عند ربهم عز وجل)[1] ثم تلى هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[2].

قال الشيخ رحمه الله: وهم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف والموفون الطاعات من غير تطفيف.

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن موسى الأيلي ثنا عمر بن يحيى الأيلي ثنا حكيم بن حزام عن أبي جناب الكلبي عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: (إن من موجبات الله ثلاثاً؛ إذا رأى حقاً من حقوق الله لم يؤخره إلى أيام لا يدركها، وأن يعمل العمل الصالح العلانية على قوام مِنْ عمله في السريرة وهو يجمع مع ما يعمل صلاح ما يأمل). قال رسول الله ﷺ: (فهكذا ولي الله وعدد بيده ثلاثاً)[3].

حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المحبر ثنا ميسرة بن عبد ربه عن حنظلة بن وداعة عن أبيه عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: (إن لله عز وجل خواص يسكنهم الرفيع من الجنان، كانوا أعقل الناس، قلنا: يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كانت همتهم المسابقة إلى ربهم عز وجل، والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا في فضول الدنيا ورياستها ونعيمها، وهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً)[4].

---

(١) قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه.

(٢) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

(٣) قال في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٢): أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم.

(٤) أخرجه في «المطالب العالية» لابن حجر برقم ٣٢٩٩.

قال الشيخ رحمه الله: قد روينا بعض مناقب الأولياء ومراتب الأصفياء فأما التصوف: فاشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات: من الصفاء والوفاء، واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة: فإنه تفعل من أحد أربعة أشياء: من الصوفانة، وهي بقلة وغباء قصيرة، أو من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة، أو من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في متأخره، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن.

وإن أُخِذَ التصوف من الصوفانة التي هي البقلة، فلاجتزاء القوم بما توحد الله عز وجل بصنعه ومنَّ به عليهم من غير تكلف بخلقه، فاكتفوا به عما فيه للآدميين صنع، كاكتفاء البررة الطاهرين، من جلة المهاجرين، في مبادئ إقبالهم وأول أحوالهم.

وهو ما حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي ثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد بن أبي، عن قيس بن أبي حازم قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله عز وجل، ولقد كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة، وهذا السمر، حتى قرحت أشداقنا، وحتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط[١].

وإن أُخِذَ من الصوفة التي هي القبيلة: فلأن المتصوف فيما كفي من حاله، ونعم من ماله، وأعطي من عقباه، وحفظ من حظ دنيا، أحد أعلام الهدى لعدولهم عن الموبقات، واجتهادهم في القربات. وتزودهم من الساعات وتحفظهم للأوقات. فسالك منهجهم ناج من الغمرات. وسالم من الهلكات.

---

(١) متفق عليه (خ٣٧٢٨، م٢٩٦٦).

حدثنا محمد بن الفتح ثنا الحسن بن أحمد بن صدقة ثنا محمد بن عبد النور الخزاز ثنا أحمد بن المفضل الكوفي ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال النبي ﷺ: (يا علي إذا تقرب الناس إلى خالقهم في أبواب البر، فتقرب إليه بأنواع العقل. تسبقهم بالدرجات، والزلفى عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة)[1].

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني ثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري، قال: جلست إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام فقال: (أمثال كلها، وكان فيها: وعلى العامل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربه تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشروب)[2].

وإن أُخِذَ من صوف القفا، فمعناه أن المتصوف معطوف به إلى الحق. مصروف به عن الخلق، لا يريد به بدلاً ولا يبغي عنه حولاً.

حدثنا القاضي عبد الله بن محمد بن عمر ثنا عبد الله بن العباس الطيالسي ثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: (أتي بإبراهيم عليه السلام يوم النار إلى النار فلما بصر بها قال: حسبنا الله ونعم الوكيل)[3].

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: ضعيف.

(٢) ذكره في «الدر المنثور» للسيوطي ٦/٣٤١، و«اتحاف السادة المتقين بشرح الإحياء» ٩/٣٩.

(٣) انظر في هذا وما بعده ما ورد في «تفسير ابن كثير» (٣/١٨٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن محمد بن سليمان ثنا سليمان بن توبة ثنا سلام بن سليمان الدمشقي ثنا إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: (لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل).

حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا محمد بن يزيد الرفاعي ثنا إسحاق بن سليمان ثنا أبو جعفر الرازي عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: (لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء، وأنا في الأرض واحد أعبدك).

حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا عبد الله بن عمر القواريري ثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن عامر الأحول عن عبد الملك بن عامر عن نوف البكالي. قال: قال إبراهيم عليه السلام: يا رب إنه ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، فأنزل الله ثلاثة آلاف ملك فأمهم ثلاثة أيام.

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا شيبان ثنا أبو هلال ثنا بكر بن عبد الله المزني، قال: لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار جأرت عامة الخليقة إلى ربها. فقالوا: يا رب خليلك يلقى في النار، فائذن لنا أن نطفئ عنه، قال: هو خليلي ليس لي في الأرض خليل غيره، وأنا ربه ليس له رب غيري، فإن استغاثكم فأغيثوه، وإلا فدعوه. قال: فجاء ملك القطر فقال: يا رب خليلك يلقى في النار فائذن لي أن أطفئ عنه بالقطر، قال: هو خليلي ليس لي في الأرض خليل غيره وأنا ربه ليس له رب غيري، فإن استغاثك فأغثه وإلا فدعه، فلما ألقي في النار دعا ربه فقال الله عز وجل: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. قال: فبردت يومئذ على أهل المشرق والمغرب فلم ينضج بها كراع.

حدثنا أحمد بن السندي ثنا الحسن بن علوية ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر. قال: قال مقاتل وسعيد: لما جيء بإبراهيم عليه السلام، فخلعوا ثيابه وشدوا قماطه، ووضع في المنجنيق بكت السموات، والأرض، والجبال، والشمس، والقمر، والعرش، والكرسي، والسحاب، والريح، والملائكة، كل يقولون: يا رب إبراهيم عبدك يحرق بالنار فائذن لنا في نصرته. فقالت النار وبكت: يا رب سخرتني لبني آدم وعبدك يحرق بي، فأوحى الله عز وجل إليهم إن عبدي إياي عَبَدَ وفي جنبي أوذي، إن دعاني أجبته وإن استنصركم فانصروه، فلما رمي استقبله جبريل عليه السلام بين المنجنيق والنار فقال: السلام عليك يا إبراهيم أنا جبريل ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا! حاجتي إلى الله ربي، فلما قذف في النار كان سبقه إسرافيل فسلط النار على قماطه، وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] فلو لم يخلطه بالسلام لكزَّ فيها برداً.

حدثنا الحسين بن محمد بن علي ثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم ثنا يوسف القطان ثنا مهران بن أبي عمر ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن المنهال بن عمرو قال: أخبرت أن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار كان فيها ـ ما أدري إما خمسين وإما أربعين يوماً ـ قال: ما كنت أياماً وليالي قط أطيب عيشاً مني إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها إذ كنت فيها.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وإن أُخِذَ من الصوف المعروف: فهو لاختيارهم لباس الصوف، إذ لا كلفة للآدميين في إنباته وإنشائه، وإن النفوس الشاردة تذلل بلباس الصوف، وتكسر نخوتها وتكبرها به، لتلتزم المذلة والمهانة وتعتاد البلغة والقناعة، وقد ذكرنا شواهده في كتاب لبس الصوف مجوداً.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٦٩).

وقد كثرت أجوبة أهل الإشارة في مائيته بأنواع من العبارة وجمعناها في غير هذا الكتاب.

وأقرب ما أذكره ما حدثت عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: «من عاش في ظاهر الرسول فهو سني، ومن عاش في باطن الرسول فهو صوفي». وأراد جعفر بباطن الرسول ﷺ أخلاقه الطاهرة واختياره للآخرة.

فمن تخلق بأخلاق الرسول ﷺ وتخير ما اختاره، ورغب فيما فيه رغب، وتنكب عما عنه نكب، وأخذ بما إليه ندب، فقد صفا من الكدر، ونحي من العكر، ونجي من الغير، ومن عدل عن سمته ونهجه، وعول على حكم نفسه وهرجه، وسعى لبطنه وفرجه، كان من التصوف خالياً، وفي التجاهل ساعياً، وعن خطير الأحوال ساهياً.

حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المحبر ثنا نصر بن طريف عن منصور بن المعتمر عن أبي وائل عن سويد بن غفلة. أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه خرج ذات يوم فاستقبله النبي ﷺ. فقال له: بم بعثت يا رسول الله؟ قال: (بالعقل) قال: فكيف لنا بالعقل؟ فقال النبي ﷺ: (إن العقل لا غاية له ولكن من أحل حلال الله، وحرم حرامه سمي عاقلاً، فإن اجتهد بعد ذلك سمي عابداً، فإن اجتهد بعد ذلك سمي جواداً، فمن اجتهد في العبادة وسمح في نوائب المعروف بلا حظ من عقل يدله على اتباع أمر الله عز وجل، واجتناب ما نهى الله عنه، فأولئك هم الأخسرون أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)[1].

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن عمران بن الجنيد ثنا محمد بن عبدك ثنا سليمان بن عيسى عن ابن جريج عن

---

(١) ذكره في «المطالب العالية» لابن حجر برقم ٢٧٧٠.

عطاء عن أبي سعيد الخدري. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قسم الله عز وجل العقل على ثلاثة أجزاء فمن كنّ فيه كمل عقله، ومن لم يكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله عز وجل، وحسن الطاعة لله عز وجل، وحسن الصبر على ما أمر الله عز وجل)(١).

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله: فكيف ينسب إلى التصوف من إذا عورض في حقيقة معرفة الله عز وجل كلَّ عنها وخلَّط فيها، وإذا طولب بموجب الطاعة فيها جهلها وتخبط فيها، وإذا امتحن بمحنة يجب الصبر عليها وعنها جزع وعجز.

وسادة علماء المتصوفة تكلمت في التصوف وأجابت عن حدوده ومعانيه وأقسامه ومبانيه.

فقد كتب لي جعفر بن محمد بن نصير الخواص قال، وحدثني عنه ازديار بن سليمان الفارسي قال: سمعت الجنيد بن محمد رحمة الله عليه يقول وسئل عن التصوف، فقال: اسم جامع لعشرة معاني؛ التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها، والثاني اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب، والثالث الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي، والرابع الصبر عن فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى، والخامس التمييز في الأخذ عند وجود الشيء، والسادس الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال، والسابع الذكر الخفي عن جميع الأذكار، والثامن تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة، والتاسع اليقين في دخول الشك، والعاشر السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة، فإذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٧٢.

حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب ثنا عبد الله بن محمد بن ميمون. قال سألت ذا النون رحمة الله عليه عن الصوفي. فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

حدثنا أبو محمد ازديار بن سليمان ثنا جعفر بن محمد. قال: قال أبو الحسن المزين: التصوف قميص قمصه الله أقواماً، فإن ألهموا عليه الشكر وإلا كان خصمهم في ذلك الله عز وجل.

وسئل الخواص عن التصوف. فقال: اسم يغطى به عن الناس إلا أهل الدراية وقليل ما هم.

سمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي يقول: سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف فقال: الخروج عن كل خلق دني، والدخول في كل خلق سني.

سمعت أبا الفضل الطوسي يقول: سمعت أبا الحسن الفرغاني يقول: سألت أبا بكر الشبلي ما علامة العارف؟ فقال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح. قلت: هذا علامة العارف فمن العارف؟ قال: العارف الذي عرف الله عز وجل وعرف مراد الله عز وجل، وعمل بما أمر الله، وأعرض عما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله عز وجل. فقلت: هذا العارف فمن الصوفي؟

فقال: من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى ﷺ، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا. قلت له: هذا الصوفي، ما التصوف؟ قال: التألف والتطرف، والإعراض عن التكلف. قلت له: أحسن من هذا ما التصوف؟ قال: تسليم تصفية القلوب، لعلام الغيوب، فقلت له: أحسن من هذا ما التصوف؟ فقال: تعظيم أمر الله، وشفقته على عباد الله. فقلت له: أحسن من هذا من الصوفي؟ قال: من صفا من الكدر، وخلص من العكر، وامتلأ من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر.

وسمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر يقول: سمعت عليّ بن محمد المصري يقول سئل السري السقطي عن التصوف. فقال: التصوف خلق كريم، يخرجه الكريم إلى قوم كرام.

سمعت أبا همام عبد الرحمن بن مجيب الصوفي - وسئل عن الصوفي - فقال: لنفسه ذابح، ولهواه فاضح، ولعدوه جارح، وللخلق ناصح. دائم الوجل، يحكم العمل، ويبعد الأمل، ويسد الخلل، ويغضي على الذلل. عذره بضاعة، وحزنه صناعة، وعيشه قناعة. بالحق عارف، وعلى الباب عاكف، وعن الكل عازف. تربية برِّه، وشجرة ودِّه، وراعي عهدِهِ.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: وذكرنا في غير هذا الكتاب كثيراً من أجوبة مشيختهم في التصوف، واختلاف عباراتهم، وكل قد أجاب عن حاله.

ويشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع؛ فأولها إشاراتهم إلى التوحيد، والثاني كلامهم في المراد ومراتبه، والثالث في المريد وأحواله. ثم لكل نوع من الثلاثة مسائل وفروع يكثر تعدادها، فأول أصولهم العرفان، ثم إحكام الخدمة والإدمان.

حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان ثنا الحسن بن أبي سفيان ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح بن القاسم عن إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله عز وجل قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم. فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله

عز وجل قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم)[1].

حدثنا عبد الرحمن بن العباس ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير بن معاوية ثنا خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور. أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم. قال: (ما فعلت في رأس العلم فتطلب الغرائب؟!) قال: وما رأس العلم؟ قال: (هل عرفت الرب؟) قال: نعم! قال: (فما صنعت في حقه؟) قال: ما شاء الله. قال: (عرفت الموت؟) قال: نعم! قال: (ما أعددت له؟) قال: ما شاء الله. قال: (انطلق فاحكم ها هنا ثم تعال أعلمك من غرائب العلم)[2].

قال الشيخ رحمه الله: فمباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة؛ معرفة الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله، ومعرفة الدنيا وغرورها وتفنينها وتلوينها، وكيف الاحتراز منها والتجافي عنها.

ثم ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية دوام المجاهدة، وشدة المكابدة وحفظ الأوقات، واغتنام الطاعات، ومفارقة الراحات، والتلذذ بما أيدوا به من المطالعات، وصيانة ما خصوا به من الكرامات، لا عن المعاملات انقطعوا ولا إلى التأويلات ركنوا، رغبوا عن العلائق، ورفضوا العوائق، وجعلوا الهموم هما واحداً، ومزايلة الأعراض طارفاً وتالداً. اقتدوا بالمهاجرين والأنصار، وفارقوا العروض والعقار، وآثروا البذل والإيثار، وهربوا بدينهم إلى الجبال والقفار، احترازاً من موامقة

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (خ١٤٥٨، م١٩).

(٢) أخرجه في «تنزيه الشريعة» ١/ ٢٧٧.

الأبصار، أن يومى إليها بالأصابع ويشار لما أنسوا به من التحف والأنوار، فهم الأتقياء الأخفياء والغرباء النجباء، صحت عقيدتهم فسلمت سريرتهم.

حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن عمر الواقدي ثنا بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص سمعه يخبر عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[1].

حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريح عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو. قال: قال رسول الله ﷺ: (أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء). قيل: ومن الغرباء؟ قال: (الفرارون بدينهم، يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى ابن مريم عليهما السلام)[2].

حدثنا أبو غانم سهل بن إسماعيل الفقيه الواسطي ثنا عبد الله بن الحسن ثنا إسحاق بن وهب ثنا عبد الملك بن يزيد ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود. قال: إذا أحب الله عبداً اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد. وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه، إلا رجل يفر بدينه من قرية إلى قرية، ومن شاهق إلى شاهق، ومن حجر إلى حجر)[3].

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عباس بن الفضل ثنا عبد الله بن محمد بن عائشة. قال: ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي عن ليث عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) ضعفه في «ضعيف الجامع الصغير».

(٣) في «الترغيب والترهيب» مثله عن أبي هريرة برقم (٤٠٤٤) وهو ضعيف. وقوله (من حجر إلى حجر) لعلها (من جحر إلى جحر).

عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: (إن من أغبط أوليائي عندي مؤمناً خفيف الحاذ، ذا حظ من صلاة وصيام، أحسنَ عبادة ربه، وأطاعه في سره، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكانت معيشته كفافاً وصبر على ذلك، فعجلت منيته، وقلت بواكيه، وقل تراثه)[1].

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: لهم الأحوال الشريفة، والأخلاق اللطيفة، مقامهم منيف. وسؤالهم ظريف.

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا إبراهيم بن أحمد بن برة الصنعاني ثنا هشام بن إبراهيم أبو الوليد المخزومي ثنا موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عبد القدوس بن حبيب عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: (يا غلام ألا أحبوك؟ ألا أنحلك؟ ألا أعطيك؟). قال: قلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فظننت أنه سيقطع لي قطعة مال. فقال: (أربع تصليهن في كل يوم وليلة فتقرأ أم القرآن وسورة. ثم تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها عشراً، ثم ترفع فتقولها عشراً ثم تفعل في صلاتك كلها مثل ذلك. فإذا فرغت قلت بعد التشهد وقبل التسليم: اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل اليقين، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وجد أهل الخشية، وطلبة أهل الرغبة، وتعبد أهل الورع، وعرفان أهل العلم، حتى أخافك. اللهم إني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك، وحتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به رضاك، وحتى أناصحك في التوبة خوفاً منك. وحتى أخلص لك النصيحة حباً

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧) وابن ماجه (٤١١٧) و[illegible].

لك، وحتى أتوكل عليك في الأمور حَسَنَ الظن بك، سبحان خالق النور. فإذا فعلت ذلك يا ابن عباس غفر الله لك ذنوبك صغيرها وكبيرها، قديمها وحديثها، سرها وعلانيتها، وعمدها وخطأها)[1].

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: هم السفراء إلى الخلق، والأسراء لدى الحق أزعجهم الفرق، وهيمهم القلق.

حدثنا العباس بن محمد الكناني ثنا أبو الحريش الكلابي ثنا علي بن يزيد بن بهرام ثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن أبي حاجب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: (يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير، يعلم أن عليه رقيباً، على سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه، حتى اللمحة ببصره وفتات الطين بأصبعه، وكحل عينيه وجميع سعيه، إن المؤمن لا يأمن قلبه ولا يسكن روعته، ولا يأمن اضطرابه، يتوقع الموت صباحاً ومساءً، فالتقوى رقيبه، والقرآن دليله، والخوف حجته، والشرف مطيته، والحذر قرينه، والوجل شعاره، والصلاة كهفه، والصيام جنته، والصدقة فكاكه، والصدق وزيره، والحياء أميره، وربه تعالى من وراء ذلك كله بالمرصاد، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من هوى نفسه وشهواته، وحال بينه وبين أن يهلك فيما يهوى بإذن الله. يا معاذ: إني أحب لك ما أحب لنفسي، وأنهيت إليك ما أنهى إلي جبريل عليه السلام فلا أعرفنك توافيني يوم القيامة وأحد أسعد بما أتاك الله عز وجل منك)[2].

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢٨٢: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه عبد القدوس بن مصعب، وهو متروك.

(٢) ذكره في «إتحاف السادة المتقين. شرح الإحياء» ١٠/ ٢٥.

حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسين بن سفيان ثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم ثنا الحسين بن محمد عن أبي عبد الله القشيري عن أبي حاجب عن عبد الرحمن عن معاذ. وعن غالب بن شهر عن معاذ وعن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بلغ به النبي ﷺ أنه قال: (يا معاذ) فذكر نحوه.

قال الشيخ رحمه الله: حبهم للحق، وفي الحق يحييهم ويفنيهم، وعمن سواه من الخلق يلهيهم ويسليهم.

حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا شعبة أخبرني قتادة قال: سمعت أنس بن مالك يحدث أن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ من يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يقذف الرجل في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وأن يحب الرجل العبد لا يحبه إلا لله ـ أو قال في الله ـ عز وجل)[1]، شك أبو داود.

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله تعالى ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله عز وجل منه كما يكره أن توقد له نار فيقذف فيها)[1].

قال الشيخ رحمه الله: فقد ثبت بما روينا من حديث معاذ بن

---

(١) الحديث متفق عليه (خ١٦، م٤٣) وأخرجه أيضاً الترمذي والنسائي وابن ماجه بألفاظ متقاربة.

جبل وغيره: أن التصوف أحوال قاهرة، وأخلاق طاهرة، تقهرهم الأحوال فتأسرهم، ويستعملون الأخلاق فتظهرهم، تحلوا بخالص الخدمة، فكفوا طوارق الحيرة، وعصموا من الانقطاع والفترة. ولا يأنسون إلا به، ولا يستريحون إلا إليه. فهم أرباب القلوب المتسورون بصائب فراستهم على الغيوب، المراقبون للمحبوب، التاركون للمسلوب، المحاربون للمحروب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين، ومن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، العالمين بالبقاء والفناء، والمميزين بين الإخلاص والرياء، والعارفين بالخطرة والهمة والعزيمة والنية، والمحاسبين للضمائر، والمحافظين للسرائر، المخالفين للنفوس، والمحاذرين من الخنوس[1] بدائم التفكر، وقائم التذكر، طلبا للتداني، وهربا من التواني، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق، ولا يدعي أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولا يحن إلى موالاتهم إلا تائق، فهم سرج الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي وإياهم نوالي إلى يوم التلاق.



(١) الخنوس: التأخر.




الباب الأوّل

أصحاب رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم




الفصل الأول
ذكر بعض الصحابة رضي الله عنهم

قال الشيخ رحمه الله: بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال، وحفظ عنه حميد الأفعال، وعصم من الفتور والإكسال، وفصل له العهود والحبال، ولم يقطعه سآمة ولا ملال، فمن المهاجرين أولهم.

١ - أبو بكر الصديق

[٥٠ق.هـ - ١٣هـ]

أبو بكر الصديق، السابق إلى التصديق، الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار، وعامة الأبرار، وبقي له شرفه على كرور الأعصار، ولم يسمُ إلى ذروته همم أولي الأيد والأبصار، حيث يقول عالم الأسرار: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات والآثار، ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار، التي غدت كالشمس في الانتشار، وفضل كل من فاضل، وفاق كل من جادل وناضل، ونزل فيه ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية (٤٠).

(٢) سورة الحديد، الآية (١٠).

توحد الصديق، في الأحوال بالتحقيق، واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق، فتجرد من الأموال، والأعراض، وانتصب في قيام التوحيد للتهدف والأغراض، صار للمحن هدفاً، وللبلاء غرضاً، وزهد فيما عزله جوهراً كان أو عرضاً، تفرد بالحق، عن الالتفات إلى الخلق.

عن ابن عباس: أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خرج حين توفي رسول الله ﷺ وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس، فقال: اجلس يا عمر، فتشهد فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ الآية[1]. قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله عز وجل أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما نسمع بشراً من الناس إلا يتلوها[2].

قال ابن شهاب: أخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات[3].

قال الشيخ رحمه الله: وكان رضي الله تعالى عنه يتوصل بعز الوفاء، إلى أسنى مواقف الصفا.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: لما أنفذت قريش جوار

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٤).

ابن الدغنة قالوا له: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره. وليصلِّ فيها ما شاء وليقرأ ما شاء. ولا يؤذينا ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره. قال: ففعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ثم بدا له فابتنى مسجداً بفناء داره. فكان يصلي فيه ويقرأ. فيتقصف[١] عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه رجلاً بكاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في عقد رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله، ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة[٢].

عن الأسود بن هلال. قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[٣] و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[٤]. قال: قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، فلم يدينوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بخطيئة. قال: لقد حملتموها على غير المحمل، ثم قال: قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك[٥].

قال الشيخ رحمه الله: وكان رضي الله عنه لا يفارق الجد، ولا يجاوز الحد.

---

(١) تقصف: أي ازدحموا عليه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).
(٣) سورة فصلت (٣٠) والأحقاف (١٣).
(٤) سورة الأنعام، الآية (٨٢).
(٥) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره عند الآية الأولى في سورة فصلت.

عن زيد بن أرقم. قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟! قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني قال: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له أن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به) فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.

قال الشيخ رحمه الله: وكان رضي الله عنه يقدم على المضار، لما يؤمل فيه من المسار.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما. قالت: أتى الصريخ آل أبي بكر. فقيل له أدرك صاحبك. فخرج من عندنا ـ وإن له غدائر ـ فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: كان رضي الله تعالى عنه يقدم الحقير، مفتاداً[1] للخطير.

عن زيد بن أرقم، عن أبيه. قال: سمعت عمر بن الخطاب

---

(١) مفتاداً: من الافتداء.

رضي الله تعالى عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مال عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك) قال: فقلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك) قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شي أبداً. ورواه عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر نحوه[1].

قال الشيخ رحمه الله تعالى: كان رضي الله تعالى عنه في المصافاة صافياً، وفي المؤاخاة وافياً.

عن أنس بن مالك. قال: لما كان ليلة الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك فإن كانت حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: ادخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى جحراً جاء بثوبه، فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ. قال: فلما أصبح قال له النبي ﷺ: (فأين ثوبك يا أبا بكر؟) فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال: (اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة) فأوحى الله تعالى إليه (إن الله قد استجاب لك).

عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: كانت يد النبي ﷺ في مال أبي بكر ويد أبي بكر واحدة حين حجا.

ومن مفاريد أقواله، لمراعاة أحواله.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه. أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر مه؟ غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) وغيرهما.

عن طارق بن شهاب. قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: طوبى لمن مات في النانات، قيل: وما النانات؟ قال جدة الإسلام.

عن عروة بن الزبير، عن أبيه. أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين استحيوا من الله عز وجل، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عز وجل.

عن أبي السفر. قال: مرض أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد.

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه. قال: دخلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية وستتخذون ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأزري كأنّ أحدكم على حسك السعدان، ووالله لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه - في غير حد - خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا.

عن يحيى بن أبي كثير. أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان يقول في خطبته: أين الوضآء، الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان، أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور، الوحا الوحا، النجاء النجاء.

عن عبد الله بن عكيم. قال: خطبنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى آل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1] ثم اعلموا عباد الله! إن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني، بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا، النجا النجا، إن وراءكم طالب حثيث، أمره سريع.

عن عمرو بن دينار. قال: خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً. فذكر نحو حديث عبد الله بن عكيم، وزاد: واعلموا أنكم ما أخلصتم لله عز وجل فربكم أطعتم، وحقَّكم حفظتم، فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم، تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم، ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس، وأين هم اليوم؟ أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نسوا ونسي ذكرهم، فهم اليوم كلا شيء ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾[2] وهم في ظلمات القبور ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾[3] وأين

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).
(٢) سورة النمل، الآية (٥٢).
(٣) سورة مريم، الآية (٩٨).

من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا، فحلوا الشقوة والسعادة، إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

عن ابن عبد الله بن سابط. قال: لما حضر أبا بكر الموت، دعا عمر رضي الله تعالى عنهما فقال له: اتق الله يا عمر، واعلم أن الله عز وجل عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه، يوم القيامة، باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته عز وجل، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت ـ وهو آتيك ـ وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ـ ولست بمعجزه ـ.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: لبست مرة درعاً لي جديداً، فجعلت أنظر إليه وأعجبت به. فقال أبو بكر: ما تنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك!! قلت: ومم ذاك؟ قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة؟ قالت: فنزعته فتصدقت به. فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفر عنك.

عن أبي ضمرة ـ يعني حبيب بن ضمرة ـ. قال: حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر الصديق، فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة، فلما توفي قالوا لأبي بكر: رأينا ابنك يلحظ إلى الوسادة، قال: فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير ـ أو ستة ـ فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يرجِّع يقول: إن لله وإنا إليه راجعون، ما أحسب جلدك يتسع لها.

عن أبي بكر بن محمد الأنصاري. أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قيل له: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا تستعمل أهل بدر؟ قال: إني أرى مكانهم، ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا.

عن قيس. قال: اشترى أبو بكر بلالا وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

٢ ـ عمر بن الخطاب

[٤٠ق. هـ ـ ٢٣هـ]

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وثاني القوم عمر الفاروق، ذو المقام الثابت المأنوق، أعلن الله تعالى به دعوة الصادق المصدوق، وفرق به بين الفصل والهزل، وأيد بما قواه به من لوامع الطَول، ومهد له من منائح الفضل شواهد التوحيد، وبدد به مواد التنديد فظهرت الدعوة، ورسخت الكلمة، فجمع الله تعالى بما منحه من الصولة، ما نشأت لهم من الدولة، فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد تخافت، وتثبتوا في أحوالهم بعد تهافت، غلب كيد المشركين بما ألزم قلبه من حق اليقين، لا يلتفت إلى كثرتهم وتواطيهم، ولا يكترث لممانعتهم وتعاطيهم، اتكالاً على من هو منشئهم وكافيهم، واستنصاراً بمن هو قاصمهم وشانيهم، محتملاً لما احتمل الرسول، ومصطبراً على المكاره

لما يؤمل من الوصول، ومفارقاً لمن اختار التنعم والترفيه، ومعانقاً لما كلف من التشمر والتوجيه، المخصوص من بين الصحابة بالمعارضة للمبطلين، والموافقة في الأحكام لرب العالمين، السكينة تنطق على لسانه، والحق يجري الحكمة عن بيانه، كان للحق مائلاً، وبالحق صائلاً، وللأثقال حاملاً، ولم يخفْ دون الله طائلاً.

عن البراء. قال: لما كان يوم أحد جاء أبو سفيان بن حرب فقال أفيكم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا تجيبوه)، ثم قال: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، ثم قال الثالثة: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، ثم قال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، قالها ثلاثاً. ثم قال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ قالها ثلاثاً فلم يجيبوه. فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، ها هو ذا رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وأنا أحياء ولك منا يوم سوء. فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. وقال: أعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: (أجيبوه)، قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: قولوا: (الله أعلا وأجل) قال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: (أجيبوه)، قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: قولوا: (الله مولانا ولا مولى لكم)[1].

قال الشيخ رحمه الله: أمره الرسول ﷺ بالمجاوبة من بين أصحابه، لما اختص به من الصولة والمهابة، وما عهد منه في ملازمته للتفريد، ومحاماته على معارضة التوحيد، وأنه لا ينهه عن مصاولتهم العدة والعديد.

قال الشيخ رحمه الله: كان رضي الله تعالى عنه للدين معلناً، ولأعمال البر مبطناً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

عن جابر. قال: قال عمر بن الخطاب: كان أول إسلامي أن ضرب أختي المخاض، فأخرجت من البيت فدخلت في أستار الكعبة في ليلة قارة، فجاء النبي ﷺ فدخل الحجر وعليه نعلاه، فصلى ما شاء الله ثم انصرف، قال: فسمعت شيئاً لم أسمع مثله. قال: فخرجت فاتبعته، فقال: من هذا؟ قلت: عمر، قال: (يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً؟) فخشيت أن يدعو علي فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. قال: فقال: (يا عمر استره). قال: فقلت: والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك.

عن ابن عباس. قال: سألت عمر رضي الله تعالى عنه لأي شيء سميت الفاروق. قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام، فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ، قلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بن الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة ما لكم؟ قالوا: عمر، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نثره نثرة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال: (ما أنت بمنته يا عمر؟) قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. قال: فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم) قال: فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق. وفرق الله به بين الحق والباطل.

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. قال: لقد رأيتني وما أسلم مع النبي ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلاً، وكنت رابع أربعين رجلاً، فأظهر الله دينه، ونصر نبيه، وأعز الإسلام.

عن أسلم. قال: قال لنا عمر رضي الله تعالى عنه: أتحبون أن أعلمكم أول إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس عداوة إلى رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ في دار عند الصفا فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي ثم قال: (أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده) قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. قال فكبر المسلمون تكبيرة سمعت في طرق مكة، قال: وقد كانوا مستخفين، وكان الرجل إذا أسلم تعلق الرجال به فيضربونه ويضربهم، فجئت إلى خالي فأعلمته، فدخل البيت وأجاف الباب، قال: وذهبت إلى رجل من كبار قريش فأعلمته، ودخل البيت، فقلت في نفسي: ما هذا بشيء، الناس يضربون وأنا لا يضربني أحد؟! فقال رجل: أتحب أن يعلم بإسلامك قلت: نعم، قال: إذا جلس الناس في الحجر فائت فلاناً وقل له صبوت فإنه قلَّ ما يكتم سراً، فجئته فقلت: تعلم أني قد صبوت، فنادى بأعلى صوته إن ابن الخطاب قد صبأ، فما زالوا يضربوني وأضربهم. فقال خالي: يا قوم إني قد أجرت ابن أختي فلا يمسه أحد، فانكشفوا عني، فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته، فقلت: الناس يضربون ولا أضرب فلما جلس الناس في الحجر أتيت خالي، قال: قلت: تسمع؟ قال: ما أسمع؟ قلت: جوارك رد عليك، قال: لا تفعل، قال: فأبيت، قال: فما شئت، قال: فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله تعالى الإسلام.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: كان رضي الله تعالى عنه مخصصاً

بالسكينة في الإنطاق، ومحرزاً من القطيعة والفراق، ومشهراً في الأحكام بالإصابة والوفاق.

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. قال: ما كنا ننكر ـ ونحن أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ـ أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله تعالى عنه.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: (إن الله تعالى عز وجل جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[١].

عن ابن عمر، عن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال: وافقت ربي عز وجل في ثلاث؛ في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر[٢].

عن ابن عباس. قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال: لما كان يوم بدر فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً رضوان الله عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما ترى يا ابن الخطاب؟) قال: فقلت: أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم، وأئمتهم وقادتهم، فلم يهو رسول الله ﷺ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. قال عمر: فلما كان من الغد، غدوت إلى النبي ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، قال

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر (٣٦٨٢) وأبو داود عن أبي ذر (٢٩٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٩٩).

النبي ﷺ: (الذي عرض علي أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة) لشجرة قريبة، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ - من الفداء - عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ثم أحل لهم الغنائم، فلما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ من النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ - بأخذكم الفداء - إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

عن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، دعي رسول الله ﷺ إلى الصلاة عليه، فلما قام يريد الصلاة عليه تحولتُ فقلت: يا رسول الله أتصلي على عدو الله ابن أبي بن سلول القائل يوم كذا وكذا؟! فجعلت أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسم حتى أكثرت، فقال: (أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت، قد قيل: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، فلو أعلم أني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت) ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه، حتى قام على قبره وفرغ من دفنه. فعجباً لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم[3]. فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ الآية[4]. فما صلى رسول الله ﷺ بعدها على منافق حتى قبضه الله عز وجل.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٦).

(٤) سورة التوبة، الآية (٨٤).

قال الشيخ رحمه الله: فأخلى همه في مفارقة الخلق، فأنزل الله تعالى الوحي في موافقته للحق، فمنع الرسول ﷺ من الصلاة عليهم وصفح عمن أخذ الفداء منهم، لسابق علمه منهم، وطوله عليهم.

عن ابن عمر. قال: دخلت على أبي فقلت: إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف وأنه لو كان لك راعي إبل ـ أو راعي غنم ـ ثم جاءك وتركها لرأيت أن قد ضيع، فرعاية الناس أشد، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه. فقال: إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني [لئن] لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف، فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف(١).

عن عبد الله بن عمر. قال: لبس عمر رضي الله تعالى عنه قميصاً جديداً، ثم دعاني بشفرة فقال: مد يا بنيّ كم قميصي، والزق يديك بأطراف أصابعي، ثم اقطع ما فضل عنها. فقطعت من الكمين من جانبيه جميعاً، فصار فم الكم بعضه فوق بعض. فقلت له: يا ابته لو سويته بالمقص؟! فقال: دعه يا بني هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل فما زال عليه حتى تقطع، وكان ربما رأيت الخيوط تساقط على قدمه.

عن ابن عمر. قال: قدم على عمر رضي الله تعالى عنه مال من العراق، فأقبل يقسمه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو إن حضر، أو نائبة إن نزلت؟ فقال عمر: مالك قاتلك الله نطق بها على لسانك شيطان، لقاني الله حجتها، والله لا أعصين الله اليوم لغد، لا ولكن أعد لهم ما أعد لهم رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه مسلم (١٨٢٣).

قال الشيخ رحمه الله: وكان رضي الله تعالى عنه بالحقائق لهجاً عروفاً، وعن الأباطيل منعرجاً عزوفاً.

عن الأسود بن سريع. قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: قد حمدت ربي بمحامد ومدح وإياك. فقال: (إن ربك عز وجل يحب الحمد) فجعلت أنشده، فاستأذن رجل طويل أصلع فقال لي رسول الله ﷺ: (أسكت) فدخل فتكلم ساعة ثم خرج فأنشدته ثم جاء، فسكتني النبي ﷺ فتكلم ثم خرج، ففعل ذلك مرتين ـ أو ثلاثاً ـ فقلت: يا رسول الله من هذا الذي أسكتني له؟ فقال: (هذا عمر رجل لا يحب الباطل)[1].

قال الشيخ رحمه الله تعالى: فالاستدعاء من النبي ﷺ منه رخصة وإباحة لاستماع المحامد والمدائح، فقد كان نشيده والثناء على ربه عز وجل، والمدح لنبيه ﷺ. وإخباره عليه الصلاة والسلام أن عمر رضي الله تعالى عنه لا يحب الباطل أي من اتخذ التمدح حرفة واكتساباً فيحمله الطمع في الممدوحين على أن يهيم في الأودية، ويشين بفريته المحافل والأندية، فيمدح من لا يستحقه، ويضع من شأن من لا يستوجبه إذا حرمه نائلة، فيكون رافعاً لمن وضعه الله عز وجل لطمعه، أو واضعاً لمن رفعه الله عز وجل لغضبه. فهذا الاكتساب والاحتراف باطل، فلهذا قال النبي ﷺ: (إنه لا يحب الباطل). فأما الشعر المحكم الموزون فهو من الحكم الحسن المخزون، يخص الله تعالى به البارع في العلم ذا الفنون، وقد كان أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم يشعرون.



قال الشيخ رحمه الله تعالى: فكذا سبيل الأبرياء من الشرك

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٣٥.

والعناد الأصفياء بالمعرفة والوداد، أن لا يلهيهم باطل من الفعال والمقال، وأن لا يثنيهم في توجههم إلى الحق حال من الأحوال، وأن يكونوا مع الحق على أكمل حال وأنعم بال. كان رضي الله تعالى عنه يلتمس بالذلة لمولاه القوة والتعزز، ويترك في إقامة طاعته الرفاهية والتقزز.

عن طارق بن شهاب. قال: لما قدم عمر رضي الله تعالى عنه الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فأمسكهما، وخاض الماء ومعه بعيره. فقال أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصك في صدره وقال: أوه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس فأعزكم الله برسوله، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله.

عن الأوزاعي. أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع!.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وكان رضي الله عنه عن فناء الملاذ منتهياً ولباقي المعاد مبتغياً، يلازم المشقات، ويفارق الشهوات.

عن أنس. قال: تقرقر بطن عمر رضي الله تعالى عنه وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرم على نفسه السمن. قال: فنقر بطنه بأصبعه وقال: تقرقر ما تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس.

عن سعد بن أبي وقاص. قال: قالت حفصة بنت عمر لعمر رضي الله تعالى عنه: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من

ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله عز وجل من الرزق، وأكثر من الخير؟! فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش، فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعت لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي.

عن حبيب بن أبي ثابت، عن بعض أصحابه عن عمر. قال: قدم عليه ناس من أهل العراق فيهم جابر بن عبد الله، قال: فأتاهم بجفنة قد صنعت بخبز وزيت، فقال لهم خذوا فأخذوا أخذاً ضعيفاً، فقال لهم عمر: قد أرى ما تقرمون، فأي شيء تريدون؟ حلواً وحامضاً، وحاراً وبارداً، ثم قذفا في البطون.

عن خلف بن حوشب. أن عمر رضي الله تعالى عنه، قال: نظرت في هذا الأمر فجعلت إذا أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإذا أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا فأضروا بالفانية.

عن سعيد بن أبي بردة. قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما: أما بعد؛ فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله عز وجل من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها والسلام عليك.

عن عامر الشعبي. قال: كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله تعالى عنهما: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله عز وجل، فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام.



ومن مفاريد أقواله، الدالة على حقائق أحواله:

عن مجاهد. قال: قال عمر: وجدنا خير عيشنا الصبر.

عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال عمر في خطبة: تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا يئس من شيء استغنى عنه.

عن عامر الشعبي. قال: قال عمر: والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر.

عن عون بن عبد الله بن عتبة. قال: قال عمر بن الخطاب: جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة.

عن أبي خالد. قال: قال عمر: كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم.

عن إبراهيم. قال: سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً يقول: اللهم إني استنفق مالي ونفسي في سبيلك، فقال عمر: أو لا يسكت أحدكم إذاً، فإن ابتلي صبر، وإن عوفي شكر.

عن يحيى بن جعدة. قال: قال عمر: لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عز وجل.

عن أبي عثمان النهدي. قال عمر بن الخطاب: الشتاء غنيمة العابدين.

عن عبد الله بن عيسى. قال: كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء.

عن هشام بن الحسن. قال: كان عمر يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً.

عن ابن عمر. قال: صليت خلف عمر فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف.

عن ثابت بن الحجاج. قال: قال عمر بن الخطاب: زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

عن الضحاك. قال: قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة، ولم أك بشراً.

عن ابن عمر. قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه. فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي.

عن المسور بن مخرمة. قال: لما طعن عمر قال: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه.

عن عبد الله بن عباس. قال: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت له: أبشر يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مصَّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق، وأفشى بك الرزق. قال: أفي الإمارة تثني علي يا ابن عباس؟

---

(١) سورة الحاقة، الآية (١٨).

فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر.

عن الحسن. قال: خطب عمر بن الخطاب وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتي عشر رقعة.

عن داود بن علي. قال: قال عمر بن الخطاب: لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة.

عن يحيى بن أبي كثير، عن عمر بن الخطاب. قال: لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو.

عن نافع. قال: كان البر لا يعرف في عمر ولا في ابنه حتى يقولا أو يعملا.

عن ابن عكيم. قال: قال عمر: قال لي رسول الله ﷺ: (قل اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي حسنة).

عن الأسود بن بلال المحاربي. قال: لما ولي عمر بن الخطاب قام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس ألا إني داع فهيمنوا، اللهم إني غليظ فليني، وشحيح فسخني، وضعيف فقوني.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه. أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: اللهم لا تجعل قتلي على يدي عبد قد سجد لك سجدة يحاجني بها يوم القيامة.

عن حفصة. قالت: سمعت عمر يقول: اللهم قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك.

قلت: وأنى يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء.

عن سعيد بن المسيب. أن عمر بن الخطاب كوم كومة من بطحاء، ثم ألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها فرفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

عن سليم بن حنظلة، عن عمر بن الخطاب. أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تأخذني على غرة، أو تذرني في غفلة، أو تجعلني من الغافلين.

عن عبد الله بن خراش يحدث عن عمه. قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول في خطبته: اللهم اعصمنا بحبلك. وثبتنا على أمرك.

عن عبد الله بن عمر. أنه قال: ما كان شيء أحب إلي أن أعلمه من أمر عمر، فرأيت في المنام قصراً فقلت لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل، فقلت: كيف صنعت؟ قال: خيراً كاد عرشي يهوي بي، لولا أني لقيت رباً غفوراً. فقال: منذ كم فارقتكم؟ فقلت: منذ اثنتي عشرة سنة. فقال: إنما انفلت الآن من الحساب.

عن العباس بن عبد المطلب. قال: كنت جاراً لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر؛ إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس. فلما توفي عمر سألت الله عز وجل أن يرنيه في النوم، فرأيته في النوم مقبلاً متشحاً من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علي ثم قلت: كيف أنت؟ قال: بخير، فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت رباً رحيماً.

عن محمد بن شهاب. قال: قال عمر بن الخطاب: لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن

الأمين من القوم لا يعادله شيء. ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله عز وجل.

عن ابن الزبير. قال: قال عمر بن الخطاب: إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره، ويحيون الحق بذكره، رُغِّبوا فرغِبوا، ورُهِّبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا، فخلطوه بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدين.

٣ ـ عثمان بن عفان

[ت ٣٥هـ]

وثالث القوم القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. كان من الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾[1] فكان ممن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. غالب أحواله الكرم والحياء، والحذر والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، ومنعم بالنجوى.

عن محمد بن حاطب. قالوا: ذكروا عثمان بن عفان فقال الحسن بن علي: الآن يجيء أمير المؤمنين، قال: فجاء علي، فقال علي: كان عثمان من الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية (٩٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٣).

عن ابن عمر ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[1] قال: هو عثمان بن عفان.

عن الحسن. قال ـ وذكر عثمان وشدة حيائه ـ فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

عن عبد الله بن عمر. قال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياء، إن حدوثك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك، أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح.

عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي. قال: قال أبي: لأغلبن الليلة على المقام، قال: فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه. قال: فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي، فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم القرآن، فركع وسجد، ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا.

عن الشعبي. قال: لقي مسروق الأشتر، فقال مسروق للأشتر: قتلتم عثمان؟ قال: نعم! قال: أما والله لقد قتلتموه صواماً قواماً.

عن عن أنس بن مالك. قال: قالت امرأة عثمان بن عفان حين قتلوه: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليلة بالقرآن في ركعة.

قال الشيخ رحمه الله: كان رضي الله تعالى عنه مبشراً بالمحن والبلوى، ومحفوظاً فيها من الجزع والشكوى، يتحرز من الجزع بالصبر، ويتبرر في المحن بالشكر.

عن أبي موسى الأشعري. قال: كنت مع رسول الله ﷺ في

---

(١) سورة الزمر، الآية (٩).

حائط من تلك الحوائط، إذ جاء رجل فاستفتح الباب. فقال: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فإذا هو عثمان، فأخبرته فقال: الله المستعان.

عن أبي سهلة أن عثمان. قال يوم الدار حين حصر: إن النبي ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم - يعني اليوم الذي قال: (وددت أن عندي بعض أصحابي) فقيل له: ألا ندعو لك أبا بكر؟ فقال: لا، قيل عمر؟ قال: لا، قيل فعلي؟ قال: لا، فدعي له عثمان فجعل يناجيه ويشكو إليه، ووجه عثمان يتلون.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: كان لعثمان شيئآن ليس لأبي بكر ولا عمر مثلهما صبره على نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف.

❁ ❁ ❁

وكان بالمال إلى رضاء الله متوصلاً، وببذله لعباد الله متنفلاً، ولحظ نفسه منه متقللاً، وفي لباسه وتطاعمه متعللاً.

عن أبي هريرة. قال: اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين بيع الخلق، حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة.

عن عبد الرحمن بن أبي حباب السلمي. قال: خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة فقال عثمان: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حث، فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها، قال: ثم حث، فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: (ما على عثمان ما عمل بعد هذا).

عن الحسن. قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين.

عن عبد الملك بن شداد بن الهاد. قال: رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم ـ أو خمسة دراهم ـ وريطة كوفية ممشقة.

عن يونس بن عبيد: أن الحسن سئل عن القائلين في المسجد. فقال: رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، قال: ويقوم وأثر الحصى بجنبه. قال: فيقال: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين.

عن شرحبيل بن مسلم: أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.

عن سليمان بن موسى: أن عثمان بن عفان دعي إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى أثراً قبيحاً، فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة.

عن ميمون بن مهران: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان وهو على بغلة، وخلفه عليها غلامه نائل، وهو خليفة.

عن عبد الله بن الرومي. قال: بلغني أن عثمان قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: أنهم كانوا مع عثمان رضي الله تعالى عنه في الدار. فقال: وأيم الله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام وما ازددت للإسلام إلا حياء.

عن هانئ مولى عثمان. قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته.

عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة. قال:

عدنا مع عثمان رضي الله تعالى عنه مريضاً فقال له عثمان: قل لا إله إلا الله، فقالها. فقال: والذي نفسي بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطماً. فقلت: أشيء تقول أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: بل سمعته من رسول الله ﷺ. فقلنا يا رسول الله: هذا هي للمريض فكيف هي للصحيح؟ فقال: هي للصحيح أحطم.

٤ ـ علي بن أبي طالب

[ت٤٠هـ]

وسيد القوم، محب المشهود، ومحبوب المعبود، باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات، ومستنبط الإشارات، راية المهتدين، ونور المطيعين، وولي المتقين، وإمام العادلين، أقدمهم إجابة وإيماناً، وأقومهم قضية وإيقاناً وأعظمهم حلماً، وأوفرهم علماً، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. قدوة المتقين، وزينة العارفين، المنبئ عن حقائق التوحيد، المشير إلى لوامع علم التفريد، صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، والأذن الواعي، والعهد الوافي، فقاء عيون الفتن، ووقيٌّ من فنون المحن، فدفع الناكثين، ووضع القاسطين، ودمغ المارقين، الأخيشن في دين الله، الممسوس في ذات الله.

عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال: (أين علي بن أبي طالب؟) فقالوا: يا رسول الله يشتكي عينه. قال: (فأرسلوا إليه) قال: فأتي به، قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، وأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال: (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من

حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[1].

عن علي. قال: أتاني رسول الله ﷺ وأنا نائم وفاطمة وذلك من السحر، حتى قام على باب البيت. فقال: ألا تصلون؟ فقلت مجيباً له: يا رسول الله إنما نفوسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فرجع رسول الله ﷺ ولم يرجع إليَّ الكلام. قال: فسمعته حين ولى يقول ـ وضرب بيده على فخذه ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[2].

وكان رضوان الله عليه وسلامه: على الأوراد مواظباً، وللأزواد مناحباً.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فقال علي لفاطمة: إئتي أباك فسليه خادماً تقي به العمل، فأتت أباها حين أمست فقال لها: ما لك يا بنية قالت: لا شيء جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأل شيئاً، فلما رجعت قال لها علي: ما فعلت؟ قالت: لم أسأله شيئاً، واستحييت منه، حتى إذا كانت الليلة القابلة قال لها: إئتي أباك فسليه خادماً تتقين به العمل، فأتت أباها فاستحيت أن تسأله شيئاً، حتى إذا كانت الليلة الثالثة مساء خرجنا جميعاً حتى أتينا رسول الله ﷺ. فقال: ما أتى بكما فقال علي: يا رسول الله شق علينا العمل، فأردنا أن تعطينا خادماً نتقي به العمل. فقال لهما رسول الله ﷺ: هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم. قال علي: يا رسول الله نعم! قال: تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدا أن تناما فتبيتا على ألف حسنة، ومثلها حين تصبحان فتقومان على ألف حسنة. فقال علي: فما فاتتني منذ سمعتها

---

(١) متفق عليه (خ٤٢١٠، م٢٤٠٦).

(٢) متفق عليه (خ١١٢٧، م٧٧٥) والآية من سورة الكهف برقم (٥٤).

من رسول الله ﷺ إلا ليلة صفين، فإني نسيتها حتى ذكرتها من آخر الليل فقلتها[1].

عن علي. قال: أتانا رسول الله ﷺ حتى وضع رجليه بيني وبين فاطمة، فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا: ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة. قال علي: فما تركتها بعد، فقال له رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[2].

وكان عليه السلام: إذا لزمه في العيش الضيق والجهد، أعرض عن الخلق فأقبل على الكسب والكد.

عن مجاهد. قال: خرج علينا علي بن أبي طالب يوماً متعجراً. فقال: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً تريد بله فأتيتها فقاطعتها: كلَّ ذنوب على تمرة فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت[3] يداي، ثم أتيت الماء فأصبت منه ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها ـ وبسط إسماعيل يديه وجمعهما ـ فعدت لي ستة عشر تمرة فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأكل معي منها.

* * *

قال أبو نعيم: ومما حفظ عنه من وثيق العبارات ودقيق الإشارات.

عن قيس بن أبي حازم. قال: قال علي عليه السلام: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقلَّ عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٨٨، ٢٩٨٩).

(٢) متفق عليه (خ٣١١٣، م٢٧٢٧).

(٣) مجلت يده: إذا ثخن جلدها، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل.

عن عبد خير عن علي. قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين؟ رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

عن أبي الزغل. قال: قال علي بن أبي طالب: احفظوا عني خمساً فلو ركبتم الإبل في طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن؛ لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

عن مهاجر بن عمير. قال: قال علي بن أبي طالب: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل. فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

عن أبي أراكة. قال: صلى علي الغداة، ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح، كأن عليه كآبة، ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

عن الحسن عن علي. قال: طوبى لكل عبد نؤمة[1]، عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرفه الله برضوان. أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البذر[2] ولا الجفاة المرائين.

عن عاصم بن ضمرة عن علي. قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه، الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

عن عمرو بن مرة عن علي. قال: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الليل، خلق الثياب، جدد القلوب، تعرفوا به في السماء، وتذكروا به في الأرض.

عن بكر بن خليفة. قال: قال علي بن أبي طالب: أيها الناس إنكم والله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم دعاء الحمام، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان، ثم خرجتم إلى الله من الأموال والأولاد، التماس القربة إليه، في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصاها كتبته، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من جزيل ثوابه، وأتخوف عليكم من أليم عقابه، فبالله بالله، لو سالت عيونكم رهبة منه، ورغبة إليه، ثم عمرتم في الدنيا ـ ما الدنيا باقية ـ ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم لأنعمه العظام عليكم، بهدايته إياكم للإسلام؛ ما كنتم تستحقون به ـ الدهر ما الدهر قائم بأعمالكم ـ جنته، ولكن برحمته ترحمون، وإلى جنته يصير منكم المقسطون، جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين.

---

(١) نؤمة: كثير النوم، وقد فسرتها الجملة بعدها.

(٢) البذر: الذي يفشي السر على وزن كتف.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده. أن علياً شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوا. فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة، ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحداً. ثم قام فقال:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلوا عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء. فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات.

فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها. غرور حائل، وشبح فائل، وسناد مائل يمضي مستطرفاً ويردي مستردفاً، بانعاب شهواتها، وختل تراضعها. اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ.

فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار. كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها. ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1] فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار، وارتجت الأفئدة.

---

(١) سورة الزمر، الآية (٦٩).

فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيخة، وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب، وقصيف رعد، وتغيظ ووعيد تأجج جحيمها، وغلا حميمها. وتوقد سمومها. فلا ينفس خالدها، ولا تنقطع حسراتها، ولا يقصم كبولها. معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم، وتصلية جحيم، عن الله محجوبون، ولأوليائه مفارقون، وإلى النار منطلقون.

عباد الله اتقوا الله تقية من كنع فخنع، ووجل فرحل، وحذر فابصر فازدجر. فاحتث طلباً، ونجا هرباً، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً وكفى بالنار وبالاً وعقاباً، وأستغفر الله لي ولكم.

عن نوف البكالي. قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً. قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام.

يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة.

يا نوف لا تكن شاعراً، ولا عريفاً، ولا شرطياً، ولا جابياً، ولا عشاراً. فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل. فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا أستجيب له فيها، إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب عرطبة ـ وهو الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهو الطبل.

عن كميل بن زياد. قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال:

يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة؛ فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة. ومحبة العالم دين يدان بها. العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله. مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر. أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

هاه؛ إن ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حملة، بلى أصبته لقناً غير مأمون عليه. يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده. أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك. أو منهوم باللذات، سلس القياد للشهوات. أو مغرى بجمع الأموال والادخار؛ وليسا من دعاة الدين. أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشبابهم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه. هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك. إذا شئت فقم.



قال الشيخ رحمه الله: ذكر بعض ما نقل عنه من التقلل والتزهد، واشتهر به من الترهب والتعبد.

عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب. قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر! فقام. متوكئاً على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين. فقال:

هـذا جـنـاي وخـيـاره فـيـه وكـل جـان يـده إلـى فـيـه

يا ابن النباج: علي بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري. ها، وها. حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين.

عن مجمع التيمي. قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه، يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

عن أبي عمرو بن العلاء، عن أبيه. أن علي بن أبي طالب خطب الناس فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من فيئكم إلا هذه. وأخرج قارورة من كم قميصه. فقال: أهداها إلي مولاي دهقان.

عن عبد الله بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب: أنه أتي بفالوذج فوضع قدامه بين يديه. فقال: إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده.

عن هارون بن عنترة، عن أبيه. قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق، وهو يرعد تحت سمل قطيفة. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع. فقال: والله ما أرزأكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي ـ أو قال من المدينة.

عن زيد بن وهب. قال: قدم على علي وفد من أهل البصرة، فيهم رجل من أهل الخوارج، يقال له الجعد بن نعجة فعاتب علياً في لبوسه. فقال علي: ما لك وللبوسي، إن لبوسي أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

عن عمرو بن قيس. قال: قيل لعلي يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب، ويقتدي به المؤمن.

عن أبي سعيد الأزدي ـ وكان إماماً من أئمة الأزد ـ. قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي. فجاء به فأعجبه قال: لعله خير من ذلك. قال: لا ذاك ثمنه. قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه؛ فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه.

عن علي بن الأرقم، عن أبيه. قال: رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

❊ ❊ ❊

عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية. فقال له: صف لي علياً. فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين، قال: لا أعفيك.

قال: أما إذ لا بد: فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه،

يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له؛ فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يميل في محرابة قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا: إليّ تغررت، إلي تشوفت، هيهات هيهات، غري غيري قد بتتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء. فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها؛ لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام، عن علي. قال: أشد الأعمال ثلاثة؛ إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال.

٥ - طلحة بن عبيد الله

[ت٣٦هـ]

ومن الأعلام الشاهرة، صاحب الأحوال الزاهرة، الجواد بنفسه، الفياض بماله، طلحة بن عبيد الله. قضى نحبه، وأقرض ربه، كان في الشدة والقلة لنفسه بذولاً، وفي الرخاء والسعة بماله وصولاً.

عن عائشة أم المؤمنين. قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد. قال: ذلك كله يوم طلحة، قال أبو بكر: كنت أول من فاء يوم أحد فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: (عليكما صاحبكما) يريد طلحة وقد نزف، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه.

عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عبيد الله. قال: لما رجع النبي ﷺ من أحد، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾[1] الآية. فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ فأقبلت وعلي ثوبان أخضران. فقال: (أيها السائل هذا منهم)[2].

عن طلحة بن يحيى بن طلحة حدثتني جدتي سعدى بنت عوف المرية وكانت محل إزار طلحة. قالت: دخل علي طلحة ذات يوم وهو خائر النفس. ـ وقال قتيبة: دخل علي طلحة ورأيته مغموماً ـ فقلت: ما لي أراك كالح الوجه. وقلت: ما شأنك أرابك مني شيء فأعينك؟ قال: لا، ولنعم خليلة المرء المسلم أنت، قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وأكربني. قلت: وما عليك، اقسمه، قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهم واحد.

قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف.

عن قبيصة بن جابر. قال: صحبت طلحة بن عبد الله، فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٠٣، ٣٧٤٢).

عن سعدى بنت عوف. قالت: كانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافياً، وكان يسمى طلحة الفياض.

عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله. قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه(١).

عن الحسن. قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف. فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة المال، حتى أصبح ففرقه.

٦ ـ الزبير بن العوام

[ت٣٦هـ]

قال أبو نعيم: وقرينه الزبير بن العوام، الثابت القوام، صاحب السيف الصارم، والرأي الحازم، كان لمولاه مستكيناً وبه مستعيناً، قاتل الأبطال، وباذل الأموال.

عن أبي الأسود. قال: أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثماني سنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر فيقول الزبير: لا أكفر أبداً.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: إن أول رجل سل سيفه الزبير بن العوام سمع نفحة نفحها الشيطان أخذ رسول الله ﷺ، فخرج الزبير يشق الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلى مكة فلقيه. فقال: ما لك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت قال: فصلى عليه ودعا له ولسيفه.

---

(١) أي كان ثوباً صغيراً ولم يكن له غيره.

عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير، عن جدتها أسماء ابنة أبي بكر. قالت: مر الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب النبي ﷺ، وحسان بن ثابت ينشدهم، فمدح حسان بن ثابت الزبير. فقال في مديحه للزبير:

فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء.

عن عبد الله بن الزبير. قال: لما كان يوم الجمل جعل الزبير يوصي بدينه. ويقول: يا بني إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت يا أبت من مولاك؟ قال: الله! قال: فوالله ما وقعتُ في كربة من دينه، إلا قلت يا مولى الزبير، اقض دينه فيقضيه، فقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منها بالغابة ودوراً، وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة، فحسبت ما عليه فوجدته ألفي ألف فقضيته. وكان ينادي عبد الله بن الزبير بالموسم، أربع سنين، من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فلما مضى أربع سنين، قسمت بين الورثة الباقي، وكان له أربع نسوة فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف[1].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن علي، فلقيه ابنه عبد الله. فقال: جبنا جبنا. قال: يا بني قد علم

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٩).

الناس أني لست بجبان، ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، فحلفت أن لا أقاتله. قال: فولى الزبير وهو يقول:

ترك الأمور التي أخشى عواقبها   في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

عن أبي سلمة. قال: لما نزلت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾[1]. قال الزبير: يا رسول الله أيردد علينا ما كان بيننا في الدنيا، مع خواص الذنوب. قال: (نعم) قال: والله إني لأرى الأمر شديداً[2].

٧ ـ سعد بن أبي وقاص

[ت٥٥هـ]

قال أبو نعيم رحمه الله: وأما سعد بن أبي وقاص فقديم السبق، بدء أمره مقاساة الشدة، واحتمال الضيقة. وهو مع الرسول ﷺ بمكة، هون عليه تحمل الأثقال، ومفارقة العشيرة والمال، لما باشر قلبه من حلاوة الإقبال، ونصر على الأعداء بالمقاتلة والنضال، وخصَّ بالإجابة في المسألة والابتهال، ثم ابتلي في حالة الإمارة والسياسة، وامتحن بالحجابة والحراسة، ففتح الله على يديه السواد والبلدان، ومنح عدة من الإناث والذكران، ثم رغب عن العمالة والولاية، وآثر العزلة والرعاية، وتلافى ما بقي من عمره بالعناية، فهو قدوة من ابتلي في حاله بالتلوين، وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من التفتين، إلى أن تتضح له الشبهة بالحجج والبراهين.

قال سعد: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام[3].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٣١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، كما ذكره ابن كثير في تفسيره.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٧) ونصه فيه (ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه).

عن قيس بن أبي حازم. قال: سمعت سعداً يقول: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة[1].

عن سعد. قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن فيه لاختصينا[2].

عن سعد. قال: قال لي النبي ﷺ: (اللهم سدد رميته، وأجب دعوته).

عن سعد. قال: كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، ومرنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي؛ فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم استففتها، وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً.

عن الحسن. قال: خطب عتبة بن غزوان ـ فكان أول أمير خطب على منبر البصرة ـ: ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، غير أني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، قال: فما بقي من الرهط السبعة إلا أمير على مصر من الأمصار[3].

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه. قال: جاءه النبي ﷺ يعوده وهو بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة واحدة. فقال: يا رسول الله أوصي

---

(١) متفق عليه (خ٣٧٢٨، م٢٩٦٦).
(٢) متفق عليه (خ٥٠٧٣، م١٤٠٢).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

بمالي كله؟ قال: (لا! الثلث والثلث كثير، ولعل الله أن يرفعك فينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون)[1].

عن عامر بن سعد، يخبر عن أبيه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل يحب العبد التقي الخفي الغني)[2].

عن ابن سيرين، قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد.

عن يحيى بن حصين. قال: سمعت طارقاً ـ يعني ابن شهاب ـ يقول: كان بين خالد وسعد كلام فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

٨ ـ سعيد بن زيد

[ت٥٠هـ]

وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. فكان بالحق قوالاً، ولماله بذالاً، ولهواه قامعاً وقتالاً، ولم يكن ممن يخاف في الله لومة لائم. وكان مجاب الدعوة، سبق الإسلام قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. شهد بدراً بسهمه وأجره. رغب عن الولاية، وتشمر في الرعاية، قمع نفسه، وأخفى عن المنافسة في الدنيا شخصه، اعتزل الفتنة والشرور، المؤدية إلى الضيعة والغرور، عازماً على السبقة والعبور، المفضي إلى الرفعة والحبور. كان للولايات قالياً، وفي مراتب الدنيا وانياً، وفي العبودية غانياً، وعن مساعدة نفسه فانياً.

---

(١) متفق عليه (خ١٢٩٥، ٢٧٤٢، م١٦٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

عن رباح بن الحارث: أن المغيرة كان في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد، فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب. فقال: من يسب هذا يا مغيرة؟ قال: سب علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال: يا مغيرة بن شعبة ثلاثاً، ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبّون عندك لا تنكر ولا تغير!! وأنا أشهد على رسول الله ﷺ ـ مما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته ـ أنه قال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وتاسع المؤمنين في الجنة) لو شئت أن أسميه لسميته. قال: فرج أهل المسجد يناشدونه يا صاحب رسول الله ﷺ من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله عظيم أنا تاسع المؤمنين، ورسول الله العاشر. ثم أتبع ذلك يميناً فقال: لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبر وجهه مع رسول الله ﷺ؛ أفضل من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح(١).

عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن أروى بنت أويس استعدت مروان على سعيد بن زيد وقالت: سرق من أرضي فأدخله في أرضه، فقال سعيد: ما كنت لأسرق منها بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: (من سرق شبراً من الأرض طوق إلى سبع أرضين).

فقال: لا أسألك بعد هذا. فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأذهب بصرها، واقتلها في أرضها، فذهب بصرها ووقعت في حفرة في أرضها فماتت.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٨، ٤٦٥٠).

٩ ـ عبد الرحمن بن عوف

[ت٣٢هـ]

وأما عبد الرحمن بن عوف. فكان حاله فيما بسط له حال الأمناء والخزان، يفرقه في سبيل المنعم المنان، يستخير بالله من التفتين فيه والطغيان، وتتصل منه المناحة والأحزان، خوف الانقطاع عن إخوته والأخدان. أدرك الودق، وسبق الرنق. كثير الأموال، متين الحال، تجود يده بالعطيات، وعينه وقلبه بالعبرات، وهو قدوة ذي الثروة والجِدات، في الإنفاق على المتقشفين من ذوي الفاقات.

عن المسور بن مخرمة. قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة، وفقراء المسلمين، وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لن يحنوا عليكم بعدي إلا الصالحون) سقا الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: (يا ابن عوف إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفاً، فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك). قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله؟ قال: (تتبرأ مما أمسيت فيه) قال: من كله أجمع يا رسول الله؟ قال: (نعم) فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك، فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف، وليطعم المسكين، وليعط السائل، فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه.

عن الزهري. قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في

سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة.

عن جعفر بن برقان. قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بنت.

عن نوفل بن إياس الهذلي. قال: كان عبد الرحمن لنا جليساً وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا وأُتينا بصفحة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف. فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ قال: هلك رسول الله ﷺ، ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لها، لما هو خير منها.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. قال: قال عبد الرحمن بن عوف: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر.

١٠ ـ أبو عبيدة بن الجراح

[٤٠ق هـ ـ ١٨هـ]

ومنهم الأمين الرشيد، والعامل الزهيد، أمين الأمة أبو عبيدة. كان للأجانب من المؤمنين وديداً، وعلى الأقارب من المشركين شديداً، فيه نزلت ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. صبر على الاقتصار على القليل، إلى أن حان منه النقلة والرحيل.

عن ابن عمر بن الخطاب. قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٦م).

عن ابن شوذب. قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لابنه أبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[1] الآية.

عن قتادة أن أبا عبيدة بن الجراح. قال: ما من الناس من أحمر ولا أسود، حر ولا عبد عجمي ولا فصيح، اعلم أنه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في مسلاخه.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح، فإذا هو مضطجع على طنفسة رحله، متوسداً الحقيبة. فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل.

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال أبو عبيدة. قالوا الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته؛ فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، ثم ذكر نحوه.

عن عمر بن الخطاب. أنه قال لأصحابه: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله وأتصدق. ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين. فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح.

---

(١) سورة المجادلة، الآية (٢٢) ذكره ابن كثير في تفسيرها.

عن أبي عبيدة بن الجراح، أنه كان يسير في العسكر فيقول: ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ادرؤا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن.

عن خالد بن معدان، عن أبي عبيدة بن الجراح. قال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة.

١١ ـ عثمان بن مظعون

[ت٣هـ]

ومنهم المتقشف المحزون، الممتحن في عينه المطعون، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون.

كان إلى الاستجابة لله سابقاً، وبمعالي الأحوال لاحقاً، وفي العبادة ناسكاً، وفي المحاربة فاتكاً، لم تنقصه الدنيا، ولم تحطه عن العليا، تعجل إلى المحبوب، فتسلى عن المكروب.

عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن من حدثه، عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك، قال: لمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية.

قال: فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري، قال لهم: قد صدق قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره.

ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي في المجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان. فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت، فقال:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت، نعيم أهل الجنة لا يزول.

قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث فيكم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى سرى - أي عظم - أمرهما. فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان. فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، فقد كنت في ذمة منيعة.

فقال عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال عثمان بن مظعون فيما أصيب من عينه:

فإن تك عيني في رضا الرب نالها ... يدا ملحد في الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ... ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

فإني وإن قلتم غويّ مضلل ... سفيه على دين الرسول محمد

أريد بذاك الله والحق ديننا ... على رغم من يبغي علينا ويعتدي

❁ ❁ ❁

عن أم العلاء. قالت: توفي عثمان بن مظعون في دارنا، فلما نمت رأيت عيناً تجري لعثمان بن مظعون، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: (ذاك عمله).

عن ابن عباس. قال: لما توفي عثمان بن مظعون، قالت امرأته: يا رسول الله فارسك وصاحبك، وكان يعد من خيارهم. فلما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: (الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون).

عن عائشة رضي الله عنها. قالت: رأيت رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت.

عن زيد بن أسلم. قال: هلك عثمان بن مظعون فأمر رسول الله ﷺ بجهازه، فلما وضع في قبره. قالت امرأته: هنيئاً لك أبا السائب الجنة. فقال رسول الله ﷺ (وما علمك بذلك؟) قالت: كان يا رسول الله يصوم النهار، ويصلي الليل. قال: (بحسبك، لو قلت كان يحب الله ورسوله).

عن أبي إسحاق السبيعي. قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ سيئة الهيئة في أخلاق لها، فقلن لها مالك؟ فقالت: أما الليل فقائم وأما النهار فصائم. فأخبر النبي ﷺ بقولها، فلقي عثمان بن مظعون فلامه. فقال: (أما لك بي أسوة) قال: بلى جعلني الله فداك، فجاءت بعد حسنة الهيئة طيبة الريح، وقالت حين قبض:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بات في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفتين

وأورث القلب حزناً لا انقطاع له ... حتى الممات فما ترقى له شوني

١٢ ـ مصعب بن عمير الداري

[ت٣هـ]

ومنهم مصعب بن عمير الداري، المحب القاري، المستشهد بأحد. كان أول الدعاة، وسيد التقاة، سبق الركب، وقضى النحب. ورغب عن التتريف والتسويف، وغلب عليه الحنين والتخويف.

عن عروة بن الزبير: أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله ﷺ قوله، وأيقنوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته فصدقوه وآمنوا به، كانوا من أسباب الخير، وواعدوه الموسم من العام المقبل، فرجعوا إلى قومهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك، فيدعو الناس إلى كتاب الله، فإنه أدنى أن يتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار، فنزل بني غنم، على أسعد بن زرارة، يحدثهم ويقص عليهم القرآن، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ، يدعو ويهدي الله على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يدعى المقرئ.

عن عبيد بن عمير. قال: لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد، مر على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه، فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] الآية.

عن عمر بن الخطاب. قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به. فقال النبي ﷺ: (انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

١٣ ـ عبد الله بن جحش

[ت٣هـ]

ومنهم المقسم على ربه، المشمر لحبه، أول من عقدت له الراية في الإسلام، عبد الله بن جحش. أمه عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، كان من مهاجرة الحبشة، وممن شهد بدراً، صاهر رسول الله ﷺ بأخته زينب بنت جحش.

عن الشعبي، قال: أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام مغنم عبد الله بن جحش.

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذ لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلتَ: يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط.

عن سعيد بن المسيب. قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي، أو أذني، أو جميعاً، ثم تسألني فيم ذلك؟ فأقول فيك. قال سعيد بن المسيب: فإني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله.

١٤ ـ عامر بن فهيرة

[ت٤هـ]

ومنهم المشروع رشده، المنزوع حسده، والمرفوع جسده، عامر بن فهيرة سبق إلى الدعوة، وخدم الرسول ﷺ وصحبه في الهجرة.

عن عائشة. قالت: لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر وعامر بن فهيرة، ورجل من بني الديل دليلهم.

عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه، فمكثاً في الغار ثلاث ليال، وكان يروح عليهما عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر يرعى غنماً لأبي بكر، ويدلج من عندهما فيصبح مع الرعاة في مراعيها، ويروح معهم ويتباطأ في المشي، حتى إذا أظلم انصرف بغنمه إليهما، فيظن الرعاة أنه معهم.

عن عائشة. قالت: خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، حتى قدموا المدينة. فقتل عامر يوم بئر معونة، وأسر عمرو بن أمية، فقال له عامر بن الطفيل: من هذا ـ وأشار إلى قتيل ـ فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة. فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض.

١٥ ـ عاصم بن ثابت

[ت٤هـ]

ومنهم الطاهر الزكي، العاهد الوفي، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري. وفى لله تعالى في حياته، فحماه الله تعالى من المشركين بعد وفاته.

عن عاصم بن عمرو بن قتادة. قال: بعث رسول الله ﷺ نفراً ستة من أصحابه، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد، فيهم عاصم بن ثابت، وخالد بن البكير. فلما كانوا بالرجيع استصرخ عليهم هذيل. فأما مرثد وعاصم فقالوا: والله لا نقبل لمشرك عهداً ولا عضداً أبداً، فقاتلوهم حتى قتلوهم. وكانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت نذرت حين

أصيب ابناها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم: أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، فمنعه الدبر. فلما حالوا بينهم وبينه، قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه، ثم نأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فانطلق به. وكان عاصم قد أعطى الله عهداً لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، تنجساً منهم. فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعه: حفظ الله العبد المؤمن.

كان عاصم قد وفى لله في حياته، فمنعه الله منهم بعد وفاته، كما امتنع منهم في حياته.

١٦ ـ خبيب بن عدي

[ت٤هـ]

قال أبو نعيم: ومنهم خبيب بن عدي المصلوب، الثابت الصابر في ذات الله المحبوب.

عن أبي هريرة. قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عيناً وأمر عليهم عاصماً بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب. فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة، بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه. قالوا: نوى يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم، وقالوا لهم: انزلوا واعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت أمير القوم: أما أنا والله لا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى،

فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيباً، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها، فأعارته إياها، فدرج بني لها حتى أتاه قالت: وأنا غافلة فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده. قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين، فتركوه ثم قال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت. اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم قال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب أول من سنَّ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة.

قال ابن إسحاق: قال خبيب حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه:

لقد جمَّع الأحزاب حولي وألّبو ... قبائلهم واستجمعوا كلَّ مجمع
وقد جمَّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جزع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي ... وما جمَّع الأحزاب لي حول مصرعي
فذا العرش صَبِّرني على ما يراد بي ... فقد بضَّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني ميت ... ولكن حذاري جحم نار ملفع

وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يـشـا يبـارك عـلـى أوصـال شـلـو مـمـزع
فـلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

١٧ ـ جعفر بن أبي طالب

[ت٨هـ]

قال أبو نعيم: ومنهم الخطيب المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين، البطل الشجاع الجواد الشعشاع، جعفر بن أبي طالب عليه السلام. فارق الخلق، ورامق الحق.

عن بردة، عن أبيه. قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد. فجمعوا للنجاشي هدية، فقدمنا وقدما على النجاشي، فأتياه بالهدية فقبلها، وسجدا له. ثم قال له عمرو بن العاص: إن أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا، وهم في أرضك. قال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا: نعم! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم.

فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلس، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين. وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان اسجدوا للملك.

فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عزّ وجلّ. قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى بعث فينا رسولاً وهو الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام، قال: من بعدي اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم. فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال يقول فيه قول الله عزّ وجلّ: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، ولم يفترضها ولد. فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه. فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده. وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك، لأتيته حتى أقبل نعله. امكثوا في أرضي ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة. وقال: ردوا على هذين هديتهما.

❀ ❀ ❀

عن أم سلمة. قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، آمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه.

فلما بعثت قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهداياهم إلى النجاشي وإلى بطارقته، أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم.

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله. [ثم] سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قال: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل

جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. وكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال: ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله عزّ وجلّ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومناً، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزّ وجلّ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم!

فقال له: اقرأ علي، فقرأ عليه صدراً من كهيعص، فبكى النجاشي والله حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلي عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا هو والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما ولا أكاد، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم الآمنون ـ من مسكم غرم من مسكم غرم، من مسكم غرم، ما أحب أن لي دبر ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ـ

والدبر بلسان الحبشة الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به. وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

❁ ❁ ❁

عن أبي هريرة. قال: كنت لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، وألصق بطني من الجوع، واستقري الرجل الآية من كتاب الله هي معي كي ينقلب بي فيطعمني. وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، إن كان ليخرج إلينا العكة فنشقها فنلعق ما فيها.

عن ابن عمر. قال: فقدنا جعفر يوم مؤتة فطلبناه في القتلى، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعاً وتسعين، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

عن عباد حدثني أبي ـ الذي أرضعني ـ وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر، حين أقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل. وقال: قال فأنشأ جعفر يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... عليَّ إن لاقيتها ضرابها

١٨ ـ عبد الله بن رواحة الأنصاري

[ت٨هـ]

ومنهم المتفكر عند نزول الآيات، والمتصبر عند تناول الرايات، عبد الله بن رواحة الأنصاري. استشهد بالبلقاء، زاهداً في البقاء، راغباً في اللقاء.

عن عروة بن الزبير. قال: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام، أتاه المسلمون يودعونه فبكى. فقالوا له: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة لكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[1] فقد علمت أني وارد النار، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود.

عن عروة بن الزبير. قال: لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم. قال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

قال ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلي، في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم. وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا. قال: فشجع عبد الله بن رواحة الناس. ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس.

عن زيد بن أرقم. قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج في سفرته تلك مردفي على حقيبة راحلته، فوالله إنا لنسير ليلة إذ سمعته يتمثل بأبياته هذه:

---

(١) سورة مريم، الآية (٧١).

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مشتهي الثواء
وردك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمن منقطعَ الإخاء
هنالك لا أبا لي طَلْعَ بعل ... ولا نخلٍ أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيت. قال: فخفقني بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني ابن عباد بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان في تلك الغزاة ـ. قال: لما قتل زيد وجعفر، أخذ ابن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه، ويردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلنه أو لتكرهنه
إذ جلب الناس وشدوا الرنه ... مالي أراك تكرهين الجنه
لطالما قد كنت مطمئنه ... هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال عبد الله بن رواحة أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

ـ يعني صاحبيه زيداً وجعفراً ـ ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عمي بعظم من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت. فأخذه من يده! ثم انتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس. فقال: وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه.

قال: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ: فيما بلغني (أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل

شهيداً) ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بعض ما يكرهون. ثم قال: (ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً). ثم قال: (لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله ازوراراً عن سرير صاحبيه فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد).

١٩ ـ أنس بن النضر

[ت٣هـ]

ومنهم أنس بن النضر، المؤيد بالثبات والنصر، المستشهد بأحد بعد تغيبه عن بدر، تنسم بالروائح، فجاد بالجوارح، وفاز بالمنائح.

عن أنس بن مالك. قال: غاب أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ عن قتال بدر، فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله عزّ وجلّ قتالاً ليرين الله ما أصنع.

فلما كان يوم أحد انكشف الناس. قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ. فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، واهاً لريح الجنة.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، قد مثلوا به. قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه.

قال أنس: فكنا نقول لما أنزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[1] إنها فيه وفي أصحابه.

٢٠ ـ عبد الله ذو البجادين

[ت٩هـ]

ومنهم الأواه التالي، المتجرد من العروض الخالي، عبد الله ذو البجادين المواخي للعمرين، وضعه رسول الله ﷺ في حفرته، وسفح عليه من عبرته.

عن عبد الله بن مسعود. قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، فإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يدليانه، وهو يقول: (أدليا لي أخاكما)، فدلوه إليه فلما هيأه لشقه. قال: (اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه).

قال يقول عبد الله بن مسعود: ليتني كنت صاحب الحفرة.

٢١ ـ عبد الله بن مسعود[2]

[ت٣٢هـ]

ومن طبقة السابقين المهاجرين، المعروفين بالنسك من المعمرين، القارئ الملقن، والغلام المعلم، والفقيه المفهم، صاحب السواد والسرار، والسباق والبدار، أقربهم وسيلة، وأرجحهم فضيلة،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

(٢) ولي عبد الله قضاء الكوفة، وبيت المال. لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع، وهو ابن بضع وستين (الصفوة).

كان من الرفقاء والنجباء والوزراء والرقباء. عبد الله بن مسعود، الكلف بالمعبود، والشاهد للمشهود، والحافظ للعهود، والسائل الذي ليس بمردود.

عن علقمة. قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني جئتك من عند رجل يملّ المصحف عن ظهر قلب، ففزع عمر وغضب. وقال: ويحك انظر ما تقول؟ قال: ما جئتك إلا بالحق. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود قال: ما أعلم أحداً أحق بذلك منه. وسأحدثك عن عبد الله: إنا سمرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ، ثم خرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه. فقلت: يا رسول الله اعتمت، فغمزني بيده اسكت، قال: فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر، فقال النبي ﷺ: (سل تعطه) ثم قال: (من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد)، فعلمت أنا وصاحبي أنه عبد الله، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره، فقال: سبقك بها أبو بكر، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه.

عن عبد الله بن مسعود. قال: أخذت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان، وأنا أدع ما أخذت من في رسول الله ﷺ؟

عن عبد الله. قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة، فأتى علي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: يا غلام عندك لبن تسقينا، فقلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما. فقال: هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟ فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع، فدعا فحفل الضرع فحلب وشرب هو وأبو بكر، ثم قال للضرع: أقلص! فقلص فأتيت رسول الله ﷺ. فقلت:

علمني من هذا القول الطيب. فقال رسول الله ﷺ: (إنك غلام معلم) فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد.

عن عبد الرحمن بن يزيد: أن عبد الله بن مسعود حدثهم: أن النبي ﷺ قال له: (آذنك علي أن ترفع الحجاب وأن تسمع سراري، حتى أنهاك)[1].

عن عبد الله بن شداد بن الهاد: أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك والنعلين.

عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه، قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة، ما على ظهر الأرض من مسلم غيرنا.

عن حذيفة، قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ، أن ابن أم عبد أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

عن ذر، عن عبد الله. قال: كنت أجتني لرسول الله ﷺ سواكاً من الأراك، فكانت الريح تكفوه وكان في ساقه دقة، فضحك القوم فقال النبي ﷺ: (ما يضحككم)؟ قالوا: من دقة ساقيه، قال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد).

عن عون بن عبد الله بن عتبة. قال: بينما عبد الله يدعو بدعاء، إذ مر به رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، فلما جاز به رسول الله سمع دعاءه ورسول الله لا يعرفه. فقال: (من هذا؟ سل تعطه) فرجع أبو بكر إلى عبد الله. فقال: الدعاء الذي كنت تدعو به آنفاً أعده عليّ. فقال: حمدت الله ومجدته ثم قلت: لا إله إلا أنت وعدك حق، ولقاؤك حق، الجنة حق، والنار حق، ورسلك حق، وكتابك حق، والنبيون حق، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم حق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٩) بلفظ (إذنك علي أن يرفع الحجاب، وأن تستمع سوادي، حتى أنهاك).

عن ابن مسعود. قال: قال رسول الله ﷺ: (تمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود)[1].

عن أبي إسحاق. قال: سمعت أبا الأحوص قال: شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذاك. إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا.

عن زيد بن وهب. قال: أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس. فقال: كنيف ملئ فقهاً.

عن عامر. قال: قال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم - يعني ابن مسعود -.

عن أبي البختري. قال: سئل علي بن أبي طالب عن ابن مسعود فقال: قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به.

❁ ❁ ❁

ومن أقواله الدالة على أحواله، تحفظُه من الآفات، وتزوده من الساعات.

عن عبد الله بن مسعود. قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً عليماً سكيتاً. وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخاباً ولا صياحاً، ولا حديداً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٥).

عن يحيى بن وثاب. قال: قال ابن مسعود: إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة.

عن خيثمة. قال: قال عبد الله: لا ألفين أحدكم جيفة ليل، قطرب نهار[1].

عن مرة عن عبد الله. قال: ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له.

عن معن. قال: قال عبد الله بن مسعود: إن استطعت أن تكون أنت المحدِّث، وإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فارعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه.

عن أبي الأحوص، قال: قال ابن مسعود: إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة.

عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه. قال: قال عبد الله: إنما هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره.

عن عون بن عبد الله. قال: قال لي عبد الله: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

عن علقمة. قال: قال عبد الله: تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا.

عن عدي بن عدي. قال: قال ابن مسعود: ويل لمن لا يعلم، ولو شاء الله لعلَّمه، وويل لمن يعلم، ثم لا يعمل سبع مرات.

---

(١) قال ابن عيينة: القطرب: الذي يجلس هاهنا ساعة، وهاهنا ساعة.

عن عبد الله بن عكيم. قال: سمعت ابن مسعود ـ في هذا المسجد ـ يبدأ باليمين قبل الكلام. فقال: ما منكم من أحد إلا أن ربه تعالى سيخلو به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول يا ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟.

عن القاسم. قال: قال ابن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه، للخطيئة يعملها.

عن أبي جحيفة. قال: قال عبد الله: ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم.

عن قيس بن حبتر، عن عبد الله. قال: ألا حبذا المكروهان، الموت، والفقر، وأيم الله، إن هو إلا الغنى أو الفقر! وما أبالي بأيهما ابتليت. إن كان الغنى إن فيه للعطب، وإن كان الفقر إن فيه للصبر.

عن عون بن عبد الله. قال: قال عبد الله: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء.

قال: ففسرها أصحاب عبد الله قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال، أحب إليه من الغنى في الحرام. والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله. وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء.

عن مغيرة بن سعد بن الأخرم، عن أبيه. قال: قال عبد الله: والله الذي لا إله غيره، ما يضر عبداً يصبح على الإسلام، ويمسي عليه، ما أصابه في الدنيا.

عن الحارث بن سويد. قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره،

ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله به خيراً، أو يدفع عنهم به سوءاً، إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئاً.

عن عامر بن مسروق. قال: قال رجل عند عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلي. قال: فقال عبد الله: لكن هناك رجل ودَّ لو أنه إذا مات لم يبعث ـ يعني نفسه ـ.

عن الحسن. قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي: إختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك؟ أو تكون رماداً، لأحببت أن أكون رماداً.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن مسعود؛ أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة. فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيراً فالله تعالى أعطاه، ومن وقي شراً فالله تعالى وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.

عن الضحاك بن مزاحم. قال: قال عبد الله: ما منكم إلا ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه. قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: أعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل، فاردد عليه وإن كان حبيباً قريباً.

عن عيسى بن عقبة. قال: قال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو! ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

عن معن. قال: قال عبد الله بن مسعود: إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها.

عن منذر. قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، قال: فقال عبد الله: إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً؛ وأمرضهم قلباً، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً؛ وأمرضهم جسماً، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان.

عن أبي عبيدة. قال: قال عبد الله: من استطاع منكم أن يجعل كنزه حيث لا يأكله السوس، ولا تناله السرَّاق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه.

عن طارق بن شهاب. قال: جاء عتريس بن عرقوب الشيباني إلى عبد الله فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، قال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر.

عن أبي الأسود. عن عبد الله. قال: يذهب الصالحون أسلافاً، ويبقى أهل الريب، من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

عن القاسم. قال: قال رجل لعبد الله: أوصني يا أبا عبد الرحمن! قال: ليسعك بيتك، واكفف لسانك، وابكِ على ذكر خطيئتك.

عن أبي وائل. قال: سمع عبد الله رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال عبد الله: أولئك أصحاب الجابية،

اشترط خمسمائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يقتلوا، فحلقوا رؤسهم ولقوا العدو، فقتلوا إلا مخبر عنهم.

عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله. قال: أنتم أكثر صياماً، وأكثر صلاة، وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هم كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة.

عن إبراهيم. قال: قال ابن مسعود: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، فمن كانت راحته في لقاء الله فكأن قد.

عن علقمة، عن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا التبستكم فتنة، فتتخذ سنة يربوا منها الصغير ويهرم فيها الكبير وإذا ترك منها شيء قيل تركت سنة) قالوا: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: (إذا كثر قراؤكم، وقلت علماؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الله) قال عبد الله: فأصبحتم فيها. كذا رواه محمد بن نبهان مرفوعاً والمشهور من قول عبد الله موقوف.

عن مسروق، عن عبد الله. قال: إذا أصبح أحدكم صائماً ـ أو قال إذا كان أحدكم صائماً ـ فليترحل، وإذا تصدق بصدقة بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى صلاة أو صلى تطوعاً فليصلها في داخله.

عن أبي الأحوص، عن عبد الله. قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر؛ فإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة.

عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: قال عبد الله: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمعة، يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: أنا مع

الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت. ألا ليوطننَّ أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر.

عن أبي وائل، عن عبد الله. قال: ما أحد من الناس يوم القيامة، إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً، وما يضر أحدكم على ما أصبح وأمسى من الدنيا إلا أن تكون في النفس حزازة؛ ولأن يعض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله ليت هذا لم يكن.

عن هذيل بن شرحبيل. قال: قال عبد الله: من أراد الدنيا أضر بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.

عن إياس البجلي. قال: سمعت ابن مسعود يقول: من راءى في الدنيا راءى الله به يوم القيامة، ومن يسمع في الدنيا يسمع الله به يوم القيامة، ومن يتطاول تعظماً يضعه الله، ومن يتواضع تخشعاً يرفعه الله.

عن عبد الرحمن بن عباس. قال: قال عبد الله بن مسعود: إن أصدق الحديث كتاب الله عزّ وجلّ، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من أمارة لا تحصيها، وشر العذيلة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع كل إثم، والنساء حبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ولا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب

المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله. وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه. وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع، والأمر إلى آخرة. وملاك العمل خواتمه. وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكر، ومن يستكبر يضعه، ومن يتولى الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه.

٣٢ ـ عمار بن ياسر

[ت٣٧هـ]

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان، الممتلئ من الإيمان، والمطمئن بالإيقان والمتثبت حين المحنة والافتتان، والصابر على المذلة والهوان، من السابقين الأولين. سبق إلى قتال الطغاة زمن النبي ﷺ، وبقي إلى طعان البغاة مع الوصي. كان له من النبي ﷺ إذا استأذن البشاشة والترحيب، والبشارة بالتطييب. كان لزينة الدنيا واضعاً، ولنخوة النفس قامعاً ولأنصار الدين رافعاً، ولإمام الهدى تابعاً. كان من أهل بدر وبعثه عمر على الكوفة أميراً، وكتب إليهم: إنه من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، كان أحد الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة، لم يزل يدأب لها ويحن إليها إلى أن لقي الأحبة، محمداً وصحبه.

عن هانئ بن هانئ. قال: كنا عند علي، فدخل عليه عمار، فقال: مرحباً بالطيب المطيب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه)[1].

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٧). والمشاش: رؤوس العظام.

عن عثمان بن عفان. قال: لقيت رسول الله ﷺ بالبطحاء فأخذ بيدي فانطلقت معه، فمر بعمار وأم عمار وهم يعذبون، فقال: (صبراً آل ياسر فإن مصيركم إلى الجنة).

عن مجاهد. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وسمية أم عمار. فأما رسول الله ﷺ فمنعه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، من حر الحديد والشمس، فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل ـ لعنه الله ـ ومعه حربة فجعل يشتمهم ويوبخهم.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار. قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسول الله ﷺ، قال: (ما وراءك؟) قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. فقال رسول الله ﷺ: (فكيف تجد قلبك؟) قال أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: (فإن عادوا فعد).

عن أبي أمامة، عن عمار بن ياسر. قال: ثلاث خلال من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان. فقال له بعض أصحابه يا أبا اليقظان، وما هذه الخلال التي زعمت أن رسول الله ﷺ قال: (من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان؟) فقال عمار عند ذلك سمعته يقول: (الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم).

عن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ. قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله، واليوم ألقى الأحبة، محمداً وصحبه إن رسول الله ﷺ قال: (إن آخر شيء تزوده من الدنيا ضيحة لبن) ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أنا على حق وهم على باطل.

عن ابن عمر. قال: ما أعرف أحداً خرج يبتغي وجه الله والدار الآخرة إلا عماراً.

عن أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الجنة تشتاق إلى أربعة، إلى عمار، وعلي، وسلمان، والمقداد)[1].

عن خالد بن نمير. قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه عائذاً بالله من فتنته.

٢٣ ـ خباب بن الأرت

[ت٣٧هـ]

ومنهم السابق المفتتن، المعذب الممتحن، خباب بن الأرت، أبو عبد الله مولى بني زهرة. أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وثبت في إسلامه شاكراً، كان من النواحين البكائين، وكانت نياحته على اكتوائه لما ابتلى في جسمه، وبكاؤه لافتتانه لما اجتمع له من سهمه، كان من فقراء المهاجرين والسابقين، وكان أحد الجلاس للنبي ﷺ والأناس. فيه وفي أصحابه نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[2] كان بذكر الله مستأنساً، وللنبي ﷺ ملازماً ومجالساً.

عن كردوس الغطفاني؛ أنه قال: إن خباب بن الأرت أسلم سادس ستة. له سدس الإسلام.

عن معدي كرب. قال: أتينا عبد الله بن مسعود نسأله عن طسم الشعراء، قال: ليست معي، ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ، عليكم بأبي عبد الله خباب بن الأرت.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧) وضعفه الألباني.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٥٢).

عن طارق بن شهاب. قال: كان خباب بن الأرت من المهاجرين الأولين، وكان ممن يعذب في الله تعالى.

عن الشعبي. قال: سأل عمر بلالاً عما لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري. فقال عمر: ما رأيت كاليوم. قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودك ظهري.

عن قيس عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مضطجع في بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر الله لنا، فجلس محمراً وجهه. ثم قال: (والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل، فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء، أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم، ما يصرفه عن دينه شيء، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تعجلون).

عن حارثة بن مضرب. قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى. فقال: ما أعلم أحداً لقي من البلاء ما لقيت، لقد مكثت على عهد رسول الله ﷺ ما أجد درهماً وإن في ناحية بيتي هذا أربعين ألفاً - يعني دراهم - لولا أن رسول الله ﷺ نهانا - أو نهى - أن يتمنى أحد الموت لتمنيته.

عن أبي وائل شقيق بن سلمة. قال: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه. فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شددت لها من خيط، ولا منعتها من سائل. ثم بكى، فقلنا ما يبكيك؟ قال أبكي أن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئاً، وأنا بقينا بعدهم، حتى لم نجد لها موضعاً إلا التراب.

عن طارق بن شهاب. قال: عاد خباباً نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غداً. قال

فبكى وقال: أما إنه ليس بي جزع، ولكنكم ذكرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

عن قيس. قال: عدنا خباباً؛ وقد اكتوى في بطنه سبعاً، وقال لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم قال: إنه قد مضى قبلنا أقوام لم ينالوا من الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم، حتى نلنا من الدنيا ما لا يدري أحدنا في أي شيء يضعه إلا في التراب، وأن المسلم يؤجر في كل شيء أنفقه، إلا فيما أنفق في التراب.

عن أبي الكنود، عن خباب بن الأرت. قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع عمار وصهيب وبلال وخباب بن الأرت في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، فخلوا به فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الأعبد، فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم! قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، فدعى بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ـ ونحن قعود في ناحية ـ إذ نزل جبريل فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[1] الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة، ودعانا فأتيناه وهو يقول: (سلام عليكم) فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته. فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم

(١) سورة الأنعام، الآيات (٥٢ ـ ٥٤).

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾(١) قال: فكنا بعد ذلك نقعد مع النبي، فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه، وإلا صبر أبداً حتى نقوم.

٢٤ ـ بلال بن رباح

[ت٢٠هـ]

ومنهم السيد المتعبد المتجرد، بلال بن رباح، عتيق الصديق ذي الفضل والسماح، علم الممتحنين في الدين والمعذبين، خازن الرسول الأمين، محمد سيد المرسلين، السابق الوامق، والمتوكل الواثق.

عن جابر. قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا ـ يعني بلالاً رضي الله عنه ـ.

عن زيد بن أرقم. قال: قال رسول الله ﷺ: (نعم المرء بلال، وهو سيد المؤذنين).

عن هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه. قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد، أحد، الله يا بلال. ثم يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول: أحلف بالله عزّ وجلّ لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً، حتى مرَّ به أبو بكر الصديق يوماً، وهم يصنعون ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى؟ قال: أنت أفسدته، فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك أعطيكه به. قال: قد قبلت، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالاً فأعتقه. ثم أعتق معه على الإسلام ـ قبل أن يهاجر من مكة ـ ست رقاب؛ بلال سابعهم.

---

(١) سورة الكهف، الآية (٢٨).

قال محمد بن إسحاق: وكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح، مولداً من مولديهم. وهو بلال بن رباح، كان اسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب. فكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول ـ وهو في ذلك البلاء ـ أحد أحد.

عن عبد الله. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة؛ رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سميّة، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد.

عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: (بلال سابق الحبشة).

عن زيد بن أسلم؛ أنه سمع أبا سلام: يقول حدثني عبد الله الهوزني. قال: لقيت بلالاً فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي له ذاك منذ بعثه الله عزّ وجلّ حتى توفي، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عارياً يأمرني به فأنطلق فأستقرض واشتري البردة فأكسوه وأطعمه.

عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد أخفت في الله تعالى وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من يوم وليلة، مالي ولا لبلال طعام يأكله أحد، إلا شيء يواريه إبط بلال)[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢) وابن ماجه (١٥١).

عن جابر. قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيتني دخلت الجنة وسمعت خشفاً أمامي، فقلت من هذا يا جبريل؟ فقال هذا بلال).

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ، قال: (سمعت في الجنة خشخشة أمامي، فقلت: من هذا قالوا: بلال. فأخبره) وقال: (بم سبقتني إلى الجنة؟) قال: يا رسول الله ما أحدثت إلا توضأت، ولا توضأت إلا رأيت أن لله تعالى علي ركعتين فأصليهما.

عن سعيد بن المسيب. قال: لما كانت خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، تجهز بلال ليخرج إلى الشام. فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا، قال: إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى فدعني أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك. فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها.

٢٥ ـ صهيب بن سنان بن مالك

[ت٣٨هـ]

ومنهم السابق المهاجر، المطعم المتاجر، لماله بذول، ولنفسه قتول، ولدينه عقول، وبربه تعالى يجول ويصول، صهيب بن سنان بن مالك. أسرع الإجابة لله تعالى وللرسول.

عن صهيب. قال: لم يشهد رسول الله مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولا ما وراءهم، إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط، حتى توفي رسول الله ﷺ.

عن سعيد بن المسيب. قال: لما أقبل صهيب مهاجراً نحو

النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم! فلما قدم على رسول الله ﷺ المدينة. قال: (ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى) قال ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1] الآية.

عن سعيد بن المسيب، عن صهيب. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت بالخروج معه وصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد. وقالوا: قد شغله الله عزّ وجلّ عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً، فقاموا فخرجت، فلحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدون ردي، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وحلتين لي بمكة وتخلون سبيلي وتوثقون لي؟ ففعلوا. فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب، فإن تحتها الأواقي، واذهبوا إلى فلانة بآية كذا وكذا فخذوا الحلتين، فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: (يا أبا يحيى ربح البيع) ثلاثاً، فقلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام.

عن حمزة بن صهيب، عن أبيه؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال له: يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب، وأنت رجل من الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين أما قولك اكتنيت وليس لك ولد فإن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى، وأما

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٧).

قولك انتميت إلى العرب وأنت رجل من الروم، فإني رجل من النمر بن قاسط، سبيت من الموصل بعد أن كنت غلاماً، قد عرفت أهلي ونسبي.

٢٦ ـ أبو ذر الغفاري

[ت٣٢هـ]

ومنهم العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام، ورافض الأزلام، قبل نزول الشرع والأحكام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأول من حيا الرسول بتحية الإسلام، لم يكن تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام. أول من تكلم في علم البقاء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حل بساحة المنايا. أبو ذر الغفاري رضي الله عنه. خدم الرسول، وتعلم الأصول، ونبذ الفضول.

عن عبد الله بن الصامت. قال: قال لي أبو ذر رضي الله تعالى عنه: يا ابن أخي صليت قبل الإسلام بأربع سنين، قال له: من كنت تعبد؟ قال إله السماء، قلت فأين كانت قبلتك؟ قال حيث وجهني الله عزّ وجلّ.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: كنت رابع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة، وأنا الرابع.

عن أبي ذر. قال: إن أول ما دعاني إلى الإسلام، أنا أصابتنا السنة، فحملت أمي أخي أنيساً إلى أصهار لنا بأعلا نجد، فلما حللنا بهم أكرمونا، فمشى رجل من الحي إلى خالي فقال: إن أنيساً يخالفك إلى أهلك فحز في قلبه، فانصرفت من رعية إبلي فوجدته كئيباً يبكي، فقلت ما بكاؤك يا خال؟ فأعلمني الخبر، فقلت حجز الله من ذلك،

إنا نعاف الفاحشة، وإن كان الزمان قد أخل بنا. فاحتملت بأخي وأمي حتى نزلنا بحضرة مكة، فأتيت مكة وقد بلغني أن بها صابئاً - أو مجنوناً أو ساحراً - فقلت أين هذا الذي تزعمونه؟ قالوا: ها هو ذاك حيث ترى، فانقلبت إليه فوالله ما جزت عنهم قيد حجر، حتى أكبوا على بكل عظم وحجر ومدر فضرجوني بدمي فأتيت البيت فدخلت بين الستور والبناء وصومت فيه ثلاثين يوماً لا آكل ولا أشرب إلا من ماء زمزم، قال: فلما أتيت رسول الله ﷺ، أخذ بيدي أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا ذر! فقلت: لبيك يا أبا بكر، فقال: هل كنت تأله في جاهليتك؟ قال: قلت: نعم! لقد رأيتني أقوم عند الشمس فلا أزال مصلياً حتى يؤذيني حرها، فأخر كأني خفاء فقال لي: فأين كنت توجه؟ فقلت: لا أدري إلا حيث يوجهني الله عزّ وجلّ، حتى أدخل الله على الإسلام.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة، فعلمني الإسلام وقرأت من القرآن شيئاً، فقلت يا رسول الله إني أريد أن أظهر ديني، فقال رسول الله ﷺ: (إني أخاف عليك أن تقتل) قلت: لا بد منه وإن قتلت، قال فسكت عني، فجئت وقريش حلقاً يتحدثون في المسجد، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فانتقضت الحلق فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نصب أحمر، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ، فرأى ما بي من الحال فقال لي: (ألم أنهك؟) فقلت: يا رسول الله كانت حاجة في نفسي فقضيتها، فأقمت مع رسول الله ﷺ فقال: (إلحق بقومك، فإذا بلغك ظهوري فائتني).

عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: انتهيت إلى النبي ﷺ حين قضى صلاته، فقلت: السلام عليك،

فقال: (وعليك السلام) فكنت أول من حياه بتحية الإسلام.

عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: أوصاني خليلي ﷺ بست: حب المساكين، وأن أنظر إلى من هو تحتي ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحق وإن كان مراً، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم.

عن أبي ذر؛ أن رجلاً أتاه فقال: إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا، أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟ فقال لا، قف مالك، وقل ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلاً فذروه فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة؛ وعلى رأسه فتى من قريش. فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال: أرقيب أنت علي؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوا لأنفذتها.

عن عبد الله بن الصامت ابن أخي أبي ذر. قال: دخلت مع عمي على عثمان، فقال لعثمان: إئذن لي في الربذة؟ فقال: نعم! ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح، قال: لا حاجة لي في ذلك، تكفي أبا ذر صرمته. ثم قام فقال: اعزموا دنياكم ودعونا وربنا وديننا.

عن عبد الله بن خراش. قال: رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة في ظلة له سوداء، وتحته امرأة له سحماء، وهو جالس على قطعة جوالق فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد. فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء. قالوا: يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه! قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إلى من امرأة ترفعني. فقالوا له: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؟ قال اللهم غفراً، خذ مما خولت ما بدا لك.

عن أبي أسماء الرحبي؛ أنه دخل على أبي ذر رضي الله تعالى

عنه، وهو بالربذة، وعنده امرأة له سوداء شعثة، ليس عليها أثر المجاسد والخلوق، قال فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم، وإن خليلي عهد إلي أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة، وأنا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار؛ أحرى أن ننجوا من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

عن أبي بكر بن المنكدر. قال: بعث حبيب بن مسلمة ـ وهو أمير الشام ـ إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار وقال: استعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أما وجد أحداً أغر بالله منا، مالنا إلا ظل نتوارى به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوف الفضل.

عن محمد بن سيرين. قال: بلغ الحارث رجلاً ـ كان بالشام ـ من قريش أن أبا ذر به عوز، فبعث إليه بثلاثمائة دينار. فقال: ما وجد عبداً لله تعالى هو أهون عليه مني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سأل وله أربعون فقد ألحف) ولآل أبي ذر أربعون درهماً، وأربعون شاة، وماهنان.

عن عراك بن مالك. قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها) وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري.

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً، وإنما يكفيني كل يوم شربة ماء ـ أو لبن ـ وفي الجمعة قفيز من قمح.

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر. قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عزّ وجلّ.

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ. فقال لي: (يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي) قلت: في الله؟ قال: (في الله) قلت: مرحباً بأمر الله.

عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه. قال: إن خليلي ﷺ عهد إلي: أنه أيما ذهب أو فضة أوكئ عليه، فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه في سبيل الله عزّ وجلّ.

عن ثابت؛ أن أبا ذر مر بأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما وهو يبني بيتاً له، فقال: لقد حملت الصخر على عواتق الرجال؟ فقال: إنما هو بيت أبنيه، فقال له أبو ذر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك، فقال: يا أخي لعلك وجدت علي في نفسك من ذلك. قال: لو مررت بك وأنت في عذرة أهلك كان أحب إلي مما رأيتك فيه.

عن عبيد الله بن زجر؛ أن أبا ذر رضي الله تعالى عنه. قال: يولدون للموت، ويعمرون للخراب ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر.

عن رجل من بني سليم ـ يقال له عبد الله بن سيدان ـ، عن أبي ذر أنه قال: في المال ثلاثة شركاء: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها، وأنت ذميم. فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] ألا وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي، فأحببت أن أقدمه لنفسي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٢).

عن أبي شعبة. قال: جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه. فعرض عليه نفقة. فقال أبو ذر: عندنا أعنز نحلبها، وحمر تنقل، ومحررة تخدمنا، وفضل عباءة من كسوتنا، إني أخاف أن أحاسب على الفضل.

عن ابن الأبرق الغفاري، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: ليأتين عليكم زمان يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ، كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة.

عن أبي السليل. قال: جاءت ابنة أبي ذر وعليها مجنبتاً صوف سفعاء الخدين، ومعها قفة لها. فمثلت بين يديه وعنده أصحابه فقالت: يا أبتاه زعم الحراثون والزراعون أن أفلسك هذه بهرجة. فقال: يا بنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله ما يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه.

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عزّ وجلّ خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويوكل ثمرها.

عن بكر بن عبد الله، عن أبي ذر رضي الله عنه. قال: يكفي من الدعاء مع البر، ما يكفي الملح من الطعام.

عن عون بن عبد الله. قال: قال أبو ذر: هل ترى الناس ما أكثرهم ما فيهم خير إلا تقي أو تائب.

عن محمد بن واسع؛ أن رجلاً من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة أبي ذر يسألها عن عبادة أبي ذر، فأتاها فقال: جئتك لتخبريني

عن عبادة أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قالت: كان النهار أجمع خالياً يتفكر.

عن عثمان. قال: بلغنا أن رجلاً رأى أبا ذر رضي الله تعالى عنه وهو يتبوء مكاناً. فقال له: ما تريد يا أبا ذر؟ فقال: أطلب موضعاً أنام فيه، نفسي هذه مطيتي إن لم أرفق بها لم تبلغني.

❁ ❁ ❁

عن سفيان الثوري. قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس. فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى! قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظام الأمور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين، مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده. اجعل المال درهمين، درهماً تنفقه على عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده. ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً.

عن أبي السليل، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾)[1] فما زال يقولها ويعيدها علي.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان (٢ ـ ٣).

عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رضي الله عنه. قال: دخلت المسجد وإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه. فقال: (أبا ذر إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما). قال: فقمت فركعتهما، ثم عدت فجلست إليه.

فقلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: (خير موضوع استكثر أو استقل).

قلت: يا رسول الله فأي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله عزّ وجلّ، وجهاد في سبيله).

قال: قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: (أحسنهم خلقاً).

قال: قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم؟ قال: (من سلم الناس من لسانه ويده).

قال: قلت يا رسول الله فأي الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر السيئات).

قال: قلت يا رسول الله فأي الصلاة أفضل؟ قال: (طول القنوت).

قال: قلت يا رسول الله فما الصيام؟ قال: (فرض مجزي، وعند الله أضعاف كثيرة).

قال: قلت يا رسول الله فأي الجهاد أفضل؟ قال: (من عقر جواده وأهريق دمه).

قال: قلت يا رسول الله فأي الرقاب أفضل؟ قال: (أغلاها ثمناً وأنفسها عند ربها).

قال: قلت يا رسول الله فأي الصدقة أفضل؟ قال: (جهد من مقل يسر إلى فقير).

قلت: يا رسول الله فأي آية مما أنزل الله عزّ وجلّ عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي).

ثم قال: (يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة).

قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً).

قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: (ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً).

قلت: كثير طيب. قلت يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: (آدم).

قلت: يا رسول الله أنبي مرسل؟ قال: (نعم! خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلًا) وقال أحمد بن أنس ثم كلمه قبلًا. ثم قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون؛ آدم، وشيث، وخنوخ ـ وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم ـ ونوح، وأربعة من العرب؛ هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر).

قال: قلت يا رسول الله كم كتاب أنزله الله تعالى؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على خنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان).

قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: (كانت أمثالاً كلها؛ أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، فإني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها، ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات؛ ساعة يناجي فيها ربه عزّ وجلّ،

وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله عزّ وجلّ، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث؛ تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه).

قلت: يا رسول الله فما كان صحف موسى عليه السلام؟ قال: (كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار وهو يضحك، عجبت لمن أيقن للقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا، وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً، ثم لا يعمل).

قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: (أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله).

قلت: يا رسول الله زدني. قال: (عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذكر لك في السماء).

قلت: يا رسول الله زدني. قال: (إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه).

قلت: يا رسول الله زدني. قال: «عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك).

قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي).

قلت: يا رسول الله زدني. قال: (حُبَّ المساكين وجالسهم).

قلت: يا رسول الله زدني، قال: (انظر إلى من تحتك، ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك).

قلت: زدني يا رسول الله. قال: (صل قرابتك وإن قطعوك).

قلت: يا رسول الله زدني قال: (لا تخف في الله تعالى لومة لائم).

قلت: يا رسول الله زدني قال: (قل الحق وإن كان مراً).

قلت: يا رسول الله زدني. قال: (يردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى به عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تأتي).

ثم ضرب بيده على صدري فقال: (يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق) السياق للحسن بن سفيان[1].

عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس، فاغتنمت خلوته. ثم ذكر مثله وزاد قلت: يا رسول الله هل في الدنيا شيء مما أنزل الله عليك مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: (يا أبا ذر اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[2] إلى آخر السورة).

* * *

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وكان أبو ذر رضي الله تعالى عنه للرسول ﷺ ملازماً وجليساً، وعلى مسائلته والاقتباس منه حريصاً، وللقيام على ما استفاد منه أنيساً. سأله عن الأصول والفروع، وسأله عن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية ربه تعالى، وسأله عن أحب الكلام إلى الله تعالى، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء أم تبقى، وسأله عن كل شيء حتى عن مس الحصا في الصلاة.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم.

(٢) سورة الأعلى، الآية (١٤).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي ذر. قال: سألت رسول الله ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن مس الحصا. فقال: (مسه مرة أو دع).

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: تخلى من الدنيا، وتشمر للعقبى، وعانق البلوى، إلى أن لحق بالمولى.

عن القرظي، قال: خرج أبو ذر إلى الربذة فأصابه قدره، فأوصاهم أن اغسلوني وكفنوني ثم ضعوني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على غسله ودفنه. فأقبل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ركب من أهل العراق.

عن الأشتر، عن أم ذر. قالت: لما حضرت أبا ذر رضي الله عنه الوفاة بكيت. فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي أنه لا يد لي بتكفينك، وليس لي ثوب من ثيابي يسعك كفناً، وليس لك ثوب يسعك كفناً. قال: فلا تبكي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: (ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض فتشهده عصابة من المؤمنين) وليس من أولئك النفر رجل إلا وقد مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق. فقالت: أنى وقد انقطع الحاج. فكانت تشتد إلى كثيب تقوم عليه تنظر، ثم ترجع إليه فتمرضه ثم ترجع إلى الكثيب فبينما هي كذلك إذا بنفر تخب بهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم، فألاحت بثوبها فأقبلوا حتى وقفوا عليها. قالوا: مالك؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونه يموت؟ قالوا: من هو؟ قالت: أبو ذر، ففدوه، وأسرعوا بإبلهم ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه حتى جاؤوه، وقال: ابشروا. فحدثهم وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: (ليموتن منكم رجل بفلاة

من الأرض فتشهده عصابة من المؤمنين) وليس منهم أحد إلا وقد هلك في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بالفلاة، أنتم تسمعون! إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي، لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها أنتم تسمعون! إني أنشدكم الله والإسلام أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو نقيباً أو بريداً، فليس أحد من القوم إلا قارف بعض ما قال إلا فتى من الأنصار. قال: يا عم أنا أكفنك لم أصب مما ذكرت شيئاً، أكفنك في ردائي هذا الذي عليّ، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي. قال: أنت فكفني، فكفنه الأنصاري في النفر الذي شهدوه منهم حجر بن الأدبر ومالك بن الأشتر، في نفر كلهم يمان.

٢٧ ـ عتبة بن غزوان

[ت١٧هـ]

ومنهم الزاهد في الإمرة والسلطان، والتارك لولاية المدن والبلدان، سابع الإسلام والإيمان، أبو عبد الله عتبة بن غزوان. استعفى عن إمرة البصرة بعد أن بنى مسجدها، ونصب منبرها. توفي بالربذة، له الخطبة المشهورة في تولي الدنيا وتصرمها، وفي تغير الأيام وتلونها.

قال خالد بن عمير: خطبنا عتبة بن غزوان قال: أيها الناس إن الدنيا قد آذنت بصرم[١]، وولت حذاء[٢]، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، ألا وإنكم في دار أنتم متحولون منها، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً.

وإنكم والله لتبلون الأمراء من بعدي، وإنه والله ما كانت نبوة

---

(١) (بصرم) الصرم: الانقطاع والذهاب.
(٢) (حذاء) مسرعة.

قط إلا تناسخت حتى تكون ملكاً وجبرية، وإني رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ومالنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فوجدت بردة فشققتها بنصفين فأعطيت نصفها سعد بن مالك ولبست نصفها فليس من أولئك السبعة اليوم رجل حي إلا وهو أمير مصر من الأمصار[1].

فيا للعجب للحجر يلقى من رأس جهنم فيهوي سبعين خريفاً حتى يتقرر في أسفلها، والذي نفسي بيده لتملأن جهنم. أفعجبتم وإن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وما فيها باب إلا وهو كظيظ.

عن قيس بن أبي حازم عن عتبة بن غزوان، قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق الحبلة، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما يخالطه شيء.

٢٨ ـ المقداد بن الأسود

[ت٣٣هـ]

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة. مولى الأسود بن عبد يغوث السابق إلى الإسلام، والفارس يوم الحرب والإقدام، ظهرت له الدلائل والأعلام، حين عزم على إسقاء الرسول عليه السلام والإطعام. أعرض عن العمالات، وآثر الجهاد والعبادات معتصماً بالله تعالى من الفتن والبليات.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. قال: أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية،

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس.

عن عبد الله بن مسعود. قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما في الأرض من شيء، وكان رجلاً فارساً، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال فقال: ابشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1] ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله عزّ وجلّ لك.

عن محمد بن إسحاق. قال: لما خرج النبي ﷺ إلى بدر استشار الناس، فقام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك، والله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله الذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، حدثني المقداد بن الأسود. قال: جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رحله ـ ولآل محمد ثلاث أعنز يحتلبونها ـ فكان النبي ﷺ يوزع اللبن بيننا وكنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه، فيجيء فيسلم تسليماً يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، فقال لي

(١) سورة المائدة، الآية (٢٤).

الشيطان: لو شربت هذه الجرعة فإن النبي ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال بي حتى شربتها، فلما شربتها ندمني وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلك، وأما صاحباي فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذني النوم، وعلي شملة لي إذا وضعتها على رأسي بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدمي بدا رأسي. وجاء النبي ﷺ كما كان يجيء، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً، فرفع يده فقلت: تدعو علي الآن فأهلك، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني). فأخذت الشفرة وأخذت الشملة وانطلقت إلى الأعنز أجسهن أيتهن أسمن كي أذبحه لرسول الله ﷺ، فإذا حفل كلهن، فأخذت إناء لآل محمد ﷺ، كانوا يطمعون أن يحلبوا فيه فحلبته حتى علته الرغوة، ثم أتيت رسول الله ﷺ فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ناولته فشرب، ثم ناولني فشربت. ثم ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، فقال لي: (إحدى سوآتك يا مقداد) فأنشأت أحدثه بما صنعت، فقال رسول الله ﷺ: (ما كانت إلا رحمة من الله عزّ وجلّ لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها) قلت والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها أنت وأصبت فضلتك من أخطأت من الناس[1].

عن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه. قال: استعملني رسول الله ﷺ على عمل فلما رجعت قال: (كيف وجدت الإمارة؟) قلت: يا رسول الله ما ظننت إلا أن الناس كلهم خول لي، والله لا ألي على عمل ما دمت حياً.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. قال: بعث النبي ﷺ المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه. على سرية فلما قدم قال له:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

(أبا معبد كيف وجدت الإمارة) قال: كنت أحمل وأوضع حتى رأيت بأن لي على القوم فضلاً. قال: (هو ذاك فخذ أو دع) قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً.

عن جبير بن نفير؛ أن المقداد بن الأسود جاءنا لحاجة لنا، فقلنا: اجلس عافاك الله حتى نطلب حاجتك، فجلس فقال: العجب من قوم مررت بهم آنفاً يتمنون الفتنة، يزعمون ليبتلينهم الله فيها بما ابتلى به رسول الله ﷺ وأصحابه، وأيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن السعيد لمن جنب الفتن) يرددها ثلاثاً (وإن ابتلي فصبر) وأيم الله لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لقلب ابن آدم أسرع انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياً).

عن عبد الرحمن بن نفير، عن أبيه. قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً فمر به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت فاستغضب، فاستمعت فجعلت أعجب ما قال إلا خيراً، ثم أقبل عليه فقال: ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضراً غيبه الله عزّ وجلّ عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام، كبهم الله عزّ وجلّ على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلا ربكم، مصدقين بما جاء به نبيكم عليه السلام، وقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء، في فترة وجاهلية، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً، وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقر عينه، وهو

يعلم أن حميمه في النار. وإنها للتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[1].

عن الحارث بن سويد. قال: كان المقداد بن الأسود في سرية فحصرهم العدو، فعزم الأمير أن لا يجشر أحد دابته، فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قط، فمر المقداد فقال ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلد السيف وانطلق معه حتى انتهى إلى الأمير، فقال: أقده من نفسك فأقاده، فعفا الرجل فرجع المقداد وهو يقول: لأموتن والإسلام عزيز.

عن أبي راشد الحبراني. قال: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من تابوت الصيارفة بحمص، قد أفضل عنها من عظمه يريد الغزو. فقلت له: لقد أعذر الله إليك. فقال: أتت علينا سورة البعوث ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

٢٩ ـ سالم مولى أبي حذيفة

ومنهم الحافظ القاري، والإمام الجاري، سالم مولى أبي حذيفة. كان صباً وامقاً، وبمودع الكتاب ناطقاً، وفي العبادة مخلصاً واثقاً.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (استقرئوا القرآن من أربعة؛ فذكر ابن مسعود، وسالماً مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل) رضي الله تعالى عنهم.

عن ابن عمر. قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة[2] قبل

---

(١) أخرجه في المسند، انظر الفتح الرباني ١/١٠٦.

(٢) العصبة: موضع بالمدينة عند قباء.

مقدم النبي ﷺ، كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة، كان أكثرهم قرآنا فيهم أبو بكر وعمر.

عن عبد الرحمن بن غنم. قال: سمعت عبد الله بن الأرقم يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ ـ وذكر سالماً مولى أبي حذيفة ـ. فقال: (إن سالماً شديد الحب لله عزّ وجلّ).

عن شهر بن حوشب. قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لو استخلفت سالماً مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربي ما حملك على ذلك، لقلت: رب سمعت نبيك ﷺ وهو يقول: (إنه يحب الله تعالى حقاً من قلبه).

٣٠ ـ عامر بن ربيعة

[ت٣٥هـ]

ومنهم أبو عبد الله عامر بن ربيعة، الزاهد في العطايا والقطيعة. شهد بدراً والمشاهد، وعمر بالذكر البقاع والمساجد. تحرز بما أيد به من الفطنة، عن الوقوع فيما امتحن به غيره من الفتنة. عاش كريماً، ومضى سليماً.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة. قال: لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله تعالى عنه، قام أبي يصلي من الليل وقال: اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، قال: فما خرج إلا جنازة.

عن عامر بن ربيعة؛ أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه؛ وكلم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ وادياً ما في العرب وإذا أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، قال عامر: لا حاجة

لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[1].

قال الشيخ رحمه الله: والذي حداه على الزهد والفقر، ودعاه إلى إدمان الذكر، ما أخبره به النبي ﷺ، وما كان يعانيه في بدنه من الشدة في البعوث والسريا.

٣١ ـ ثوبان مولى رسول الله ﷺ

[ت٥٤هـ]

ومنهم القنع العفيف، الوفي الظريف، أبو عبد الله ثوبان، مولى رسول الرحمن، المضمون له بالكفالة والضمان، حلول ساحة الجنان، إذ ترك السؤال وإتيان السلطان.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، عن ثوبان عن النبي ﷺ. قال: (من تقبل لي واحدة تقبلت له بالجنة؟) قال ثوبان: أنا يا رسول الله. قال: (لا تسأل أحداً شيئاً). قال فلربما سقط السوط لثوبان وهو على بعير، فلا يسأل أحداً أن يناوله، حتى ينزل إليه فيأخذه.

٣٢ ـ رافع مولى النبي ﷺ

ومنهم الشانيء للزائل الدني، والمحب للباقي السني، رافع أبو البهي، مولى النبي، المنتخب الصفي، ﷺ.

عن محمد بن عمرو بن سعيد؛ أن عبداً كان بين بني سعيد ـ يعني ابن العاص ـ فأعتقوه إلا وحداً منهم، فأتى النبي ﷺ يستشفع به على الرجل وكلمه فيه فوهب الرجل نصيبه للنبي ﷺ، فأعتقه النبي ﷺ، فكان يقول: أنا مولى النبي ﷺ وكان اسمه رافعاً أبا البهي.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١).

٣٣ ـ أسلم أبو رافع

ومنهم أسلم أبو رافع، مولى رسول الله ﷺ، أسلم قبل بدر، وكان يكتم إسلامه مع العباس، ثم قدم بكتاب قريش إلى المدينة على رسول الله ﷺ، وأظهر إسلامه ليقيم بها، فرده رسول الله ﷺ. وقال: (إنا لا نحبس البرد، ولا نخيس العهد) كان ممن أخبره النبي ﷺ أنه يصيبه بعده فقر، ونهاه أن يكنز فضول المال، وأعلمه عقوبة من يحوز المال ويكنزه.

٣٤ ـ سلمان الفارسي

[ت٣٢هـ]

ومنهم سابق الفرس، ورائق العرس، الكادح الذي لا يبرح، والزاخر الذي لا ينزح، الحكيم، والعابد العليم؛ أبو عبد الله سلمان ابن الإسلام، رافع الألوية والأعلام، أحد الرفقاء والنجباء، ومن إليه تشتاق الجنة من الغرباء، ثبت على القلة والشدائد، لما نال من الصلة والزوائد.

عن أنس رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (السباق أربع: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة).

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن سلمان؛ أنه تزوج امرأة من كندة فبنى بها في بيتها، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته، فلما بلغ البيت قال: ارجعوا آجركم الله، ولم يدخلهم عليها كما فعل السفهاء. فلما نظر إلى البيت والبيت منجد قال: أمحموم بيتكم، أم تحولت الكعبة في كندة؟ قالوا: ما بيتنا بمحموم، ولا تحولت الكعبة في كندة. فلم يدخل البيت حتى نزع كل ستر في البيت غير ستر الباب. فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال:

لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك. قال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب ورأى خدماً فقال: لمن هذا الخدم؟ فقالوا: خدمك وخدم امرأتك. فقال: ما بهذا أوصاني خليلي، أوصاني خليلي ﷺ أن لا أمسك إلا ما أنكح، أو أنكح، فإن فعلت، فبغَيْنَ كان علي مثل أوزارهن، من غير أن ينتقص من أوزارهن شيء. ثم قال للنسوة التي عند امرأته: هل أنتن مخرجات عني؟ مخليات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم! فخرجن فذهب إلى الباب حتى أجافه، وأرخى الستر. ثم جاء حتى جلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يطاع. قال: فإن خليلي ﷺ أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله عزّ وجلّ، فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما، ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته، فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم. ثم قال: إنما جعل الله تعالى الستور والخدور والأبواب لتواري ما فيها، حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق).

عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه. قال: جاء سلمان يزور أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال ما شأنك؟ قالت: إن أخاك ليست له حاجة في شيء من الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار، فلما جاء أبو الدرداء رحب به سلمان فقرب إليه طعام، فقال له سلمان: اطعم قال: إني صائم، فقال سلمان: أقسمت عليك إلا طعمت، ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل معه وبات عنده، فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان. ثم قال: يا أبا الدرداء إن لربك عزّ وجلّ عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً! أعط

كل ذي حق حقه، صم، وأفطر، وقم، ونم، وائت أهلك، فلما كان عند وجه الصبح قال: قم الآن، فقاما وتوضيا وصليا، ثم خرجا إلى الصلاة، فلما صلى النبي ﷺ قام إليه أبو الدرداء، فأخبره بما قال سلمان، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقاً) مثل ما قال سلمان.

عن أبي البختري. قال: صحب سلمان رضي الله تعالى عنه رجل من بني عبس، قال فشرب من دجلة شربة، فقال له سلمان: عد فاشرب قال: قد رويت، قال: أترى شربتك هذه نقصت منها؟ قال: وما ينقص منها شربة شربتها! قال: كذلك العلم لا ينقص فخذ من العلم ما ينفعك.

عن حفص بن عمر السعدي، عن عمه. قال: قال سلمان لحذيفة: يا أخا بني عبس إن العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تعانه.

عن أبي البختري؛ أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي، فحاصروا قصراً من قصور فارس، فقالوا يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم؟ فقال: دعوني أدعوهم، كما سمعت رسول الله ﷺ يدعوهم. فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي، أترون العرب تطيعني؟ فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا، وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه، وأعطيتمونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ـ قال ورطن إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين ـ وإن أبيتم نابذناكم على سواء. فقالوا: ما نحن بالذي نؤمن، وما نحن بالذي نعطي الجزية، ولكنا نقاتلكم. قالوا يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم؟ قال: لا، فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا، ثم قال: انهدوا إليهم فنهدوا إليهم، قال: ففتحوا ذلك الحصن.

عن طارق بن شهاب؛ أنه بات عند سلمان لينظر ما اجتهاده،

قال فقام يصلي من آخر الليل فكأنه لم ير الذي كان يظن، فذكر ذلك له، فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة ـ يعني الكبائر ـ فإذا صلى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل. منهم من عليه ولا له، ومنهم له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له، ومنهم من اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه. إياك والحقحقة، وعليك بالقصد والدوام.

❀ ❀ ❀

عن أبي الطفيل البكري؛ أن سلمان الخير حدثه. قال: كنت رجلاً من أهل جي ـ مدينة أصبهان ـ فبينا أنا إذ ألقى الله تعالى في قلبي من خلق السموات والأرض؟ فانطلقت إلى رجل لم يكن يكلم الناس يتحرج، فسألته أي الدين أفضل؟ فقال: مالك ولهذا الحديث، أتريد ديناً غير دين أبيك؟ قلت لا! ولكن أحب أن أعلم من رب السموات والأرض، وأي دين أفضل؟ قال: ما أعلم أحداً على هذا غير راهب بالموصل.

قال: فذهبت إليه فكنت عنده، فإذا هو قد أقتر عليه في الدنيا، فكان يصوم النهار ويقوم الليل، فكنت أعبد كعبادته، فلبثت عنده ثلاث سنين ثم توفي. فقلت: إلى من توصى بي؟ فقال: ما أعلم أحداً من أهل المشرق على ما أنا عليه، فعليك براهب وراء الجزيرة فاقرأه مني السلام.

قال: فجئته فأقرأته منه السلام، وأخبرته أنه قد توفي، فمكثت أيضاً عنده ثلاث سنين ثم توفي. فقلت: إلى من تأمرني أن أذهب؟

قال: ما أعلم أحداً من أهل الأرض على ما أنا عليه غير راهب بعمورية شيخ كبير، وما أرى تلحقه أم لا.

فذهبت إليه فكنت عنده فإذا رجل موسع عليه، فلما حضرته الوفاة قلت له: أين تأمرني أذهب؟ قال: ما أعلم أحداً من أهل الأرض على ما أنا عليه، ولكن إن أدركت زماناً تسمع برجل يخرج من بيت إبراهيم عليه السلام ـ وما أراك تدركه ـ وقد كنت أرجو أن أدركه، فإن استطعت أن تكون معه فأفعل فإنه الدين، وأمارة ذلك: أن قومه يقولون ساحر مجنون كاهن، وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وأن عند غضروف كتفه خاتم النبوة.

قال: فبينا أنا كذلك حتى أتت عير من نحو المدينة. فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن من أهل المدينة، ونحن قوم تجار، نعيش بتجارتنا، ولكنه قد خرج رجل من أهل بيت إبراهيم، فقدم علينا وقومه يقاتلونه، وقد خشينا أن يحول بيننا وبين تجارتنا، ولكنه قد ملك المدينة. قال: فقلت: ما يقولون فيه؟ قال: يقولون ساحر مجنون كاهن، فقلت: هذه الأمارة دلوني على صاحبكم.

فجئته فقلت: تحملني إلى المدينة، فقال: ما تعطيني؟ قلت: ما أجد شيئاً أعطيك غير أني لك عبد، فحملني فلما قدمت جعلني في نخله فكنت أسقي كما يسقي البعير، حتى دبر ظهري وصدري من ذلك، ولا أجد أحداً يفقه كلامي، حتى جاءت عجوز فارسية تسقي، فكلمتها ففهمت كلامي فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمر عليك بكرة إذا صلى الصبح من أول النهار، فخرجت فجمعت تمراً فلما أصبحت جئت ثم قربت إليه التمر. فقال: (ما هذا أصدقة أم هدية؟) فأشرت أنه صدقة. فقال: (انطلق إلى هؤلاء) وأصحابه عنده فأكلوا ولم يأكل، فقلت: هذه الأمارة، فلما كان من الغد جئت بتمر فقال: (ما هذا؟) فقلت: هذه هدية، فأكل

ودعا أصحابه فأكلوا، ثم رآني أتعرض لأنظر إلى الخاتم، فعرف فألقى رداءه، فأخذت أقبله والتزمه. فقال: (ما شأنك؟) فسألني فأخبرته خبري. فقال: (اشترطت لهم أنك عبد فاشتر نفسك منهم) فاشتراه النبي ﷺ على أن يحيي له ثلثمائة نخلة، وأربعين أوقية ذهباً ثم هو حر. قال النبي ﷺ: (أغرس) فغرس: (ثم انطلق فألق الدلو على البئر ثم ترفعه حين يرتفع، فإنه إذا امتلأ ارتفع، ثم رش في أصولها) ففعل فنبت النخل أسرع النبات. فقالوا: سبحان الله! ما رأينا مثل هذا العبد! إن لهذا العبد لشأناً. فاجتمع عليه الناس فأعطاه النبي ﷺ تبراً، فإذا فيه أربعون أوقية.

عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي. أنه قال: قد تداولني بضعة عشر من رب إلى رب.

عن جابر. قال: دخل سعد على سلمان رضي الله عنهم يعوده. فقال: أبشر أبا عبد الله توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض. قال: كيف يا سعد؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب).

عن علي بن بذيمة. قال: بيع متاع سلمان رضي الله تعالى عنه فبلغ أربعة عشر درهماً.

عن الحسن. قال: كان عطاء سلمان رضي الله تعالى عنه خمسة آلاف درهم، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف[١] يده.

عن الحارث بن عميرة. قال: انطلقت حتى أتيت المدائن، فإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان، ومعه أديم أحمر يعركه، فالتفت فنظر إلي

---

(١) سفيف: أي ما ينسج من الخوص.

فأومى بيده: مكانك يا عبد الله! فقمت وقلت: لمن كان عندي: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا سلمان. فدخل بيته فلبس ثياب بياض، ثم أقبل وأخذ بيدي أو صافحني وسألني، فقلت: يا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك، ولا عرفتني ولا عرفتك؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده، لقد عرفت روحي روحك حين رأيتك، ألست الحارث بن عميرة؟ فقلت: بلى! قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف، وما تناكر منها في الله اختلف).

عن عمرو بن مرة. قال: سمعت أبا البختري يحدث عن رجل من بني عبس. قال: صحبت سلمان رضي الله تعالى عنه، فذكر ما فتح الله تعالى على المسلمين من كنوز كسرى. فقال: إن الذي أعطاكموه، وفتحه لكم وخولكم لممسك خزائنه ومحمد ﷺ حي؟ ولقد كانوا يصبحون وما عندهم دينار ولا درهم، ولا مد من طعام ثم ذاك يا أخا بني عبس، ثم مررنا ببيادر تذرى. فقال: إن الذي أعطاكموه وخولكم وفتحه لكم لممسك خزائنه ومحمد ﷺ حي؟ لقد كانوا يصبحون وما عندهم دينار ولا درهم ولا مد من طعام، ثم ذاك يا أخا بني عبس.

عن ميمون بن مهران، عن رجل من بني عبد القيس. قال: رأيت سلمان في سرية هو أميرها، على حمار وعليه سراويل وخدمتاه تذبذبان، والجند يقولون قد جاء الأمير. فقال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم.

عن أبي البختري؛ أن سلمان رضي الله تعالى عنه. دعا رجلاً إلى طعامه، فجاء مسكين فأخذ الرجل كسرة فناوله، فقال سلمان: ضعها من حيث أخذتها، فإنما دعوناك لتأكل، فما رغبتك أن يكون الأجر لغيرك، والوزر عليك.

عن عبد الله بن بريدة: أن سلمان كان يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً ـ أو سمكاً ـ ثم يدعو المجذمين فيأكلون معه.

عن أبي عثمان النهدي؛ أن سلمان الفارسي. قال: إني لأحب أن آكل من كدّ يدي.

عن سلمان رضي الله تعالى عنه. قال: لو يعلم الناس عون الله للضعيف ما غالوا بالظهر.

عن ثابت البناني: أن أبا الدرداء ذهب مع سلمان رضي الله عنهما يخطب عليه امرأة من بني ليث، فدخل فذكر فضل سلمان وسابقته وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة. فقالوا: أما سلمان فلا نزوجه، ولكنا نزوجك فتزوجها ثم خرج. فقال: إنه قد كان شيء، وإني أستحي أن أذكره لك، قال: وما ذاك؟ فأخبره أبو الدرداء بالخبر. فقال سلمان: أنا أحق أن أستحي منك أن أخطبها وكان الله تعالى قد قضاها لك.

عن أبي قلابة؛ أن رجلًا دخل على سلمان وهو يعجن، فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل ـ أو قال في صنعة ـ فكرهنا أن نجمع عليه عملين ـ أو قال صنعتين ـ ثم قال: فلان يقرئك السلام، قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا. قال فقال: أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها.

عن أبي البختري. قال: جاء الأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، إلى سلمان رضي الله عنهم، فدخلا عليه في خص في ناحية المدائن، فأتياه فسلما عليه وحيياه ثم قالا: أنت سلمان الفارسي؟ قال نعم! قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري. فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد. فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، وقد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنة فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخ لك بالشام،

قال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا بهدية؛ قال: اتقيا الله وأديا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهدية. قالا: لا ترفع علينا هذا إن لنا أموالاً فاحتكم فيها. فقال: ما أريد أموالكما، ولكن أريد الهدية التي بعث بها معكما. قالا: لا والله ما بعث معنا بشيء! إلا أنه قال: إن فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبغ أحداً غيره، فإذا أتيتماه فاقرئاه مني السلام. قال: فأي هدية كنت أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل من السلام تحية من عند الله مباركة طيبة؟.

عن عبد الله بن حنظلة. قال: كنا مع سلمان في جيش فقرأ رجل سورة مريم، قال: فسبها رجل وابنها، قال: فضربناه حتى أدميناه. قال: فأتى سلمان فاشتكى، وقبل ذلك ما كان قد اشتكى إليه. قال: وكان الإنسان إذا ظلم اشتكى إلى سلمان، قال: فأتانا فقال: لم ضربتم هذا الرجل؟ قال: قلنا: قرأنا سورة مريم فسب مريم وابنها، قال: ولم تسمعونهم ذاك؟ ألم تسمعوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] ثم قال: يا معشر العرب ألم تكونوا شر الناس ديناً، وشر الناس داراً، وشر الناس عيشاً، فأعزكم الله وأعطاكم، أتريدون أن تأخذوا الناس بعزة الله، والله لتنتهن أو ليأخذن الله عزّ وجلّ ما في أيديكم فليعطينه غيركم، ثم أخذ يعلمنا، فقال: صلوا ما بين صلاتي العشاء، فإن أحدكم يخفف عنه من حزبه، ويذهب عنه ملغاة أول الليل، فإن ملغاة أول الليل مهدمة لآخره.

عن جرير. قال: قال سلمان: يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله تعالى في الدنيا رفعه يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري، قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا، قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أن أراه بين أصبعيه. قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده، قال: قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر.

عن شمر بن عطية؛ أن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه. قال: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله عزّ وجلّ.

عن عبيد بن أبي الجعد، عن رجل من أشجع. قال: سمع الناس بالمدائن أن سلمان في المسجد، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه، حتى اجتمع إليه نحو من ألف. قال فقام فجعل يقول: اجلسوا اجلسوا، فلما جلسوا فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة. فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم؟ ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم!

عن أبي البختري. قال: جاء رجل إلى سلمان رضي الله تعالى عنه فقال: ما أحسن صنيع الناس اليوم، إني سافرت فوالله ما أنزل بأحد منهم إلا كما أنزل على ابن أبي، قال: ثم قال من حسن صنيعهم ولطفهم. قال: يا ابن أخي ذاك طرفة الإيمان ألم تر الدابة إذا حمل عليها حملها انطلقت به مسرعة، وإذا تطاول بها السير تتلكأ.

عن أبي البختري، عن سلمان. قال: لكل امرئ جواني وبراني فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه، ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه.

عن طارق بن شهاب، عن سلمان رضي الله تعالى عنه. قال: دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل آخر النار في ذباب. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: مر رجلان ممن كان قبلكم على ناس معهم صنم، لا يمر بهم أحد إلا قرب لصنمهم، فقالوا لأحدهم: قرب شيئاً قال: ما معي شيء قالوا: قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً ومضى فدخل النار، وقالوا

للآخر: قرب شيئاً قال: ما كنت لأقرب لأحد دون الله فقتلوه فدخل الجنة.

عن زاذان عن سلمان رضي الله تعالى عنه. قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً، أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا كان مقيتاً ممقتاً نزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان كذلك نزعت ربقة الإسلام من عنقه فكان لعيناً ملعناً.

عن سلم بن عطية الأسدي. قال: دخل سلمان رضي الله تعالى عنه. على رجل يعوده وهو في النزع، فقال: أيها الملك ارفق به، قال يقول الرجل: إنه يقول إني بكل مؤمن رفيق.

عن أبي عثمان، عن سلمان رضي الله تعالى عنه. قال: ما من مسلم يكون بقي[1] من الأرض فيتوضأ، أو يتيمم ثم يؤذن ويقيم، إلا أم جنوداً من الملائكة لا يرى طرفهم - أو قال: لا يرى طرفاهم -.

عن يحيى بن سعيد؛ أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما: أن هلم إلى الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرئ فنعما لك، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار. فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله، ارجعا إلي أعيدا قصتكما.

عن أبي البختري، عن سلمان رضي الله تعالى عنه. قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد قال: المقعد إني أرى ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه.

---

(١) البقيّ: الأرض القفر الخالية.

عن المغيرة بن عبد الرحمن. قال: لقي سلمان الفارسي عبد الله بن سلام، قال: إن مت قبلي فاخبرني ما تلقى، وإن مت قبلك أخبرك قال: فمات سلمان فرآه عبد الله بن سلام فقال: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير قال: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: وجدت التوكل شيئاً عجيباً.

عن ميمون بن مهران. قال: نزل حذيفة وسلمان رضي الله تعالى عنهما على نبطية. فقالا لها: هل ههنا مكان طاهر نصلي فيه؟ فقالت النبطية: طهر قلبك، فقال أحدهما للآخر: خذها حكمة من قلب كافر.

عن سعيد بن وهب. قال: دخلت مع سلمان رضي الله تعالى عنه على صديق له من كندة يعوده، فقال له سلمان: إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى، فيستعتب فيما بقي، وإن الله عزّ اسمه يبتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه، فلا يدري فيم عقلوه، حين عقلوه، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه.

عن أبي سعيد الوهبي، عن سلمان الخير رضي الله تعالى عنه. قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا، كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه. وقال: لا تقربه فإنك إن أصبته أهلكك، ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة، مما فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله إياه ويحجزه عنه، حتى يتوفاه فيدخله الجنة.

عن جعفر بن برقان. قال: بلغنا أن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه كان يقول: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث، ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه. وأبكاني ثلاث، فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب

العالمين، حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة.

عن سالم مولى زيد بن صوحان. قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق، فمر علينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، وقد اشترى وسقا من طعام. فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس.

عن سعيد بن سوقة. قال: دخلنا على سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه نعوده وهو مبطون، فأطلنا الجلوس عنده، فشق عليه فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ فقالت: هو ذا. قال: ألقيه في الماء، ثم اضربي بعضه ببعض ثم انضحي حول فراشي، فإنه الآن يأتينا قوم ليسوا بإنس ولا جن ففعلت وخرجنا عنه، ثم أتيناه فوجدناه قد قبض رضي الله تعالى عنه.

عن امرأة سلمان بقيرة. قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علية لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له ثم قال: أذيفيه في تور[1] ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي، فسوف تطلعين فترينني على فراشي. فاطلعت فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه ـ أو نحواً من هذا ـ.

٣٥ ـ أبو الدرداء

[ت٣٢هـ]

ومنهم العارف المتفكر، العالم المتذكر، عرف المنعم والنعماء،

---

(١) أذيفيه في تور: التور: إناء صغير، والذفاف: الماء القليل. أي طلب منها أن تذيبه في شيء من الماء.

وتفكر في صنائعه السراء والضراء. وامق العبادة، وفارق التجارة. داوم على العمل استباقاً، وأحب اللقاء اشتياقاً، تفرغ من الهموم، ففتح له الفهوم؛ أبو الدرداء صاحب الحكم والعلوم.

عن عون بن عبد الله بن عتبة. قال: سألت أم الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار.

عن معدان، عن أبي الدرداء. أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

عن حبيب بن عبد الله؛ أن رجلاً أتى أبا الدرداء ـ وهو يريد الغزو ـ. فقال: يا أبا الدرداء أوصني. فقال: اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء، وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير.

عن عمرو بن مرة، قال: قال أبو الدرداء: بعث النبي ﷺ وأنا تاجر، فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة، فلم يجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة. والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما أحب أن لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً، وأتصدق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب.

عن أبي عبد رب. قال: قال أبو الدرداء: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد، فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار، أشهد الصلاة كلها في المسجد، ما أقول إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

عن الحسن. قال: قال أبو الدرداء: من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله، وحضر عذابه. ومن لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له.

عن الحسن، عن أبي الدرداء. قال: كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن.

عن حسان بن عطية؛ أن أبا الدرداء كان يقول: لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه، فإن عارف الحق كعامله.

عن مسعر. قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم.

عن ميمون بن مهران. قال: قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه، وويل لمن يعلم ولا يعمل - سبع مرات.

عن أبي قلابة. قال: قال أبو الدرداء: إنك لا تفقه كل الفقه، حتى ترى للقرآن وجوها، وإنك لا تفقه كل الفقه، حتى تمقت الناس في جنب الله، ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس.

عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء. قال: من فقه الرجل رفقه في معيشته.

عن شريك بن نهيك، عن أبي الدرداء. قال: من فقه الرجل ممشاه، ومدخله، ومخرجه، ومجلسه، مع أهل العلم.

عن أبي سعيد الكندي، عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم؟ ومثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين.

عن أبي الهيثم. قال: قال أبو الدرداء: لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم، ابن آدم عليك نفسك. فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه.

عن عبد الله بن مرة. قال: قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى.

عن معاوية بن قرة. قال: قال أبو الدرداء، رضي الله تعالى عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك، وأن تباري الناس في عبادة الله عز وجل، فإن أحسنت حمدت الله تعالى، وإن أسأت استغفرت الله عز وجل.

عن عباس بن جليد الحجري، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. أنه قال: لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا. فقلت: وما هن؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي، في اختلاف الليل والنهار، يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة، وتمام التقوى أن يتقي الله عز وجل العبد، حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حاجزاً بينه وبين الحرام. إن الله تعالى قد بين لعباده الذي هو يصيِّرهم إليه، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[1] فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه، ولا شيئاً من الخير أن تفعله.

عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. قال: مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ فإن معلم الخير والمتعلم من الأجر سواء، ولا خير في سائر الناس بعدهما.

عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. أنه قال: الناس ثلاثة؛ عالم، ومتعلم، والثالث همج لا خير فيه.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان (٧ ـ ٨).

عن الضحاك. قال: قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء ما يمنعكم من مودتي؟ وإنما مؤنتي على غيركم، مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به، وتركتم ما أمرتم به؟ ألا إن قوماً بنوا شديداً. وجمعوا كثيراً، وأملوا بعيداً، فأصبح بنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً، وجمعهم بوراً. ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما.

عن معاوية بن قرة، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: تعلموا قبل أن يرفع العلم، إن رفع العلم ذهاب العلماء، إن العالم والمتعلم في الأجر سواء، وإنما الناس رجلان، عالم ومتعلم، ولا خير فيما بين ذلك.

عن أبي وائل، عن أبي الدرداء. قال: إني لآمركم بالأمر، وما أفعله، ولكني أرجو أن أوجر عليه.

عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. أنه قال: لا يكون تقياً حتى يكون عالما، ولن يكون بالعلم جميلاً حتى يكون به عاملاً.

عن حميد بن هلال. قال: كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت. فما عملت فيما علمت؟

عن علي بن حوشب، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت علمت لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع.

عن محمد بن واسع؛ أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان رضي الله تعالى عنهما: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده، واغتنم دعوة المبتلى، ويا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن المساجد بيت كل تقي) وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة، والجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز وجل، ويا أخي ارحم اليتيم وأدنه منك، وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: - وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه - فقال له رسول الله ﷺ: (أتحب أن يلين قلبك؟) فقال: نعم! قال: (أدن اليتيم منك وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك) ويا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يجاء بصاحب الدنيا - يوم القيامة - الذي أطاع الله تعالى فيها وهو بين يدي ماله وماله خلفه، كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: امض فقد أديت الحق الذي عليك، قال ويجاء بالذي لم يطع الله فيه، وماله بين كتفيه فيعثره ماله، ويقول له: ويلك، هلا عملت بطاعة الله عز وجل في؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل) ويا أخي إني حدثت أنك اشتريت خادماً، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم، فإذا خدم وجب عليه الحساب) وإنّ أم الدرداء سألتني خادما - وأنا يومئذ موسر - فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب، ويا أخي من لي ولك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حساباً، ويا أخي لا تغترنَّ بصحابة رسول الله ﷺ، فإنا قد عشنا بعده دهراً طويلاً، والله أعلم بالذي أصبنا بعده.

عن ثابت البناني. قال: خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنته الدرداء، فرده. فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله، تأذن لي أن أتزوجها؟ قال: أغرب ويلك؟ قال: فائذن لي أصلحك الله،

قال: نعم! قال فخطبها، فأنكحها أبو الدرداء الرجل، قال فسار ذلك في الناس: أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه. قال فقال أبو الدرداء: إني نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان؟ ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها، أين دينها منها يومئذ؟

عن داود بن مهران. قال: وقفت على فضيل بن عياض - وأنا غلام فسلمت عليه - وعيناه مفتوحتان وأنا أظن أنه ينظر إلي - فمكث طويلاً ثم أطرق فقال: منذ كم أنت ههنا يا بني؟ قلت منذ طويل، قال: أنت في شيء ونحن في شيء. ثم قال: حدثنا سليمان بن مهران - وكان لا يقول ٱلأعمش - عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: حذر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عز وجل، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: معاتبة الأخ خير لك من فقده، ومن لك بأخيك كله، أعط أخاك وَلِنْ له، ولا تطع فيه حاسداً فتكون مثله، غداً يأتيك الموت فيكفيك فقده، وكيف تبكيه بعد الموت وفي حياته ما قد كنت تركت وصله؟

عن حزام بن حكيم. قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعدات، تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

عن أبي عثمان، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه؛ أنه كان يقول: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر، والإخلاص في التوكل، والاستسلام للرب عز وجل.

عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي. قال: بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخ له؛ أما بعد: فلست في شيء من أمر الدنيا، إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك، فآثرها على المصلح من ولدك، فإنك تقدم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمدك. وإنما تجمع لواحد من اثنين، إما عامل فيه بطاعة الله فيسعد بما شقيت به، وإما عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له، وليس والله واحد منهما بأهل أن تبرد له على ظهرك(١)، ولا تؤثره على نفسك. ارج لمن مضى منهم رحمة الله، وثق لمن بقي منهم رزق الله، والسلام.

عن جبير بن نفير. قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي. فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

عن أم الدرداء؛ أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢).

عن فرات بن سليمان؛ أن أبا الدرداء كان يقول: ويل لكل جماع، فاغرِ فاه، كأنه مجنون، يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده، ولو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

---

(١) تبرد له على ظهرك: أي تحمل له البريد، فتكون مجرد وسيلة.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٠).

عن شرحبيل؛ أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة. قال: اغدوا فإنا رائحون، أو روحوا فإنا غادون موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حلم له.

عن معاوية بن قرة. قال: قال أبو الدرداء: ثلاث أحبهن ويكرههن الناس؛ الفقر، والمرض، والموت.

عن عمرو بن مرة عن شيخ عن أبي الدرداء. قال: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

عن سعيد بن أبي هلال؛ أن أبا الدرداء كان يقول: يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون. قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون. فأصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وبيوتهم قبوراً. هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين؟

عن صفوان بن عمرو؛ أن أبا الدرداء كان يقول: يا معشر أهل الأموال، بردوا على جلودكم من أموالكم، قبل أن نكون وإياكم فيها سواء، ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم.

وقال أبو الدرداء: وإني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهية، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم.

وقال أبو الدرداء: إن خيركم الذي يقول لصاحبه: إذهب بنا نصوم قبل أن نموت، وإن شراركم الذي يقول لصاحبه: إذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت.

ومر أبو الدرداء على قوم وهم يبنون فقال أبو الدرداء: تجددون الدنيا والله يريد خرابها، والله غالب على ما أراد.

عن مكحول. قال: كان أبو الدرداء يتتبع الخرب. ويقول: ياخرب الخربين أين أهلك الأولون؟

عن معاوية بن قرة؛ أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي يا أبا الدرداء؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني.

عن عون بن عبد الله، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: من يتفقد يفقد، ومن لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز. إن قارضت الناس قارضوك، وإن تركتهم لم يتركوك، قال: فما تأمرني؟ قال: اقرض من عرضك ليوم فقرك.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قيل لأبي الدرداء: ادع الله لنا. قال: لا أحسن السباحة وأخاف الغرق.

عن الحسن. قال: كان أبو الدرداء يقول: إن مما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق، وعلى القرآن منار كمنار الطريق. ومن لم يكن غنياً من الدنيا فلا دنيا له.

عن بلال بن سعد. قال: كان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل واد مال.

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

عن سالم بن أبي الجعد. قال: قيل لأبي الدرداء: إن أبا سعد بن منبه أعتق مائة محرر، فقال: إن مائة محرر من مال رجل لكثير، وإن شئت أنبأتك بما هو أفضل من ذلك؟ إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل.

عن عمران القصير. قال: سمعت أبا رجاء يقول: قال أبو

الدرداء: لأن أكبِّر الله مائة مرة أحب إلى من أن أتصدق بمائة دينار.

عن كثير بن مرة الحضرمي. قال: سمعت أبا الدرداء يقول: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأحبها إلى مليككم، وأنماها في درجاتكم، خير من أن تغزوا عدوكم فيضربوا رقابكم، وتضربوا رقابهم، خير من إعطاء الدراهم والدنانير؟ قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، وذكر الله أكبر.

عن أسيد بن وداعة، عن أبي الدرداء. قال: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله الجنة. وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله النار.

عن عبد الملك بن عمير. قال: قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده.

عن إسماعيل بن عبيد الله؛ أن أبا الدرداء كان يقول: اللهم توفني مع الأبرار، ولا تبقني مع الأشرار.

عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه؛ أنه كان يقول: اللهم لا تبتليني بعمل سوء، فأدعى به رجل سوء.

عن أبي بكر بن محمد؛ أن أبا عون أخبره أن أبا الدرداء كان يقول: ما بت ليلة فأصبحت لم يرمني الناس فيها بداهية إلا رأيت أن علي من الله تعالى فيه نعمة.

عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: ما لي أراكم تحرصون على ما تكفل لكم به، وتضيعون ما وكلتم به، لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالخيل هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبراً، ولا يسمعون القرآن إلا هجراً، ولا يعتق محرروهم.

عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: إياكم ودعوة المظلوم ودعوة اليتيم، فإنهما تسريان بالليل والناس نيام.

عن أبي وائل. قال: قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: إن أبغض الناس إلي أن أظلمه من لا يستعين علي إلا بالله عز وجل.

عن ابن جابر. أن أبا الدرداء كان إذا سمع المتهجدين بالقرآن يقول: بأبي النواحون على أنفسهم قبل يوم القيامة، وتندى قلوبهم بذكر الله ـ أو لذكر الله عز وجل.

عن زيد بن أسلم. قال: قال أبو الدرداء: التمسوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم.

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير. أن رجلاً قال: لأبي الدرداء: علمني كلمة ينفعني الله عز وجل بها. قال: وثنتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً، من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلا؛ قال: لا تأكل إلا طيباً، ولا تكسب إلا طيباً، ولا تدخل بيتك إلا طيباً، وسل الله عز وجل يرزقك يوماً بيوم، وإذا أصبحت فاعدد نفسك من الأموات فكأنك قد لحقت بهم، وهب عرضك لله عز وجل، فمن سبك أو شتمك أو قاتلك فدعه لله عز وجل، وإذا أسأت فاستغفر الله عز وجل.

عن خلف بن حوشب. قال: قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.

عن خالد بن حدير الأسلمي؛ أنه دخل على أبي الدرداء ـ وتحته فراش من جلد أو صوف، وعليه كساء صوف، وسبتية صوف، وهو وجع، وقد عرق ـ فقال: لو شئت كسيت فراشك بورق وكساء مرعزي مما يبعث به أمير المؤمنين؟ قال: إن لنا داراً، وإنا لنظعن إليها ولها نعمل.

عن حسان بن عطية؛ أن أصحاباً لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه تضيفوه فضيفهم، فمنهم من بات على لبدة، ومنهم من بات على ثيابه كما هو. فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع، وإليها نرجع.

عن حسان. قال: قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه لأهل دمشق: أرضيتم بأن شبعتم من خبز البر عاماً فعاماً، لا يذكر الله تعالى في ناديكم؟ ما بال علمائكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون. لو شاء علماؤكم لازدادوا، ولو التمسه جهالكم لوجدوه. خذوا الذي لكم بالذي عليكم، فوالذي نفسي بيده ما هلكت أمة إلا باتباعها هواها، وتزكيتها أنفسها.

عن حسان بن عطية. قال: أبصر أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه رجلاً قد زوق ابنه. فقال: زوقوهم بما شئتم، فذاك أغوى لهم.

عن حسان بن عطية. أن أبا الدرداء كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تلعنني قلوب العلماء. قيل: وكيف تلعنك قلوبهم؟ قال: تكرهني.

عن أبي كبشة السلولي. قال: سمعت أبا الدرداء يقول: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالماً لا ينتفع بعلمه.

عن عمير بن هانئ؛ أن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه كان يقول: ويل لمن كذّب وعقّ، ونقض العهد الموثق، فما برّ ولا صدق.

عن أبي عبد الله، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قال: لا تزال نفس أحدكم شابة من حب الشيء، ولو التقت ترقوتاه من الكبر، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، وقليل ما هم.

عن بيان، عن قيس. قال: كان أبو الدرداء إذا كتب إلى سلمان - أو سلمان كتب إلى أبي الدرداء - كتب إليه يذكره بآية الصحفة.

قال: وكنا نتحدث أنه بينما هما يأكلان من الصحفة، فسبحت الصحفة وما فيها.

عن أبي البختري. قال: بينا أبو الدرداء يوقد تحت قدر له، وسلمان رضي الله تعالى عنهما عنده، إذ سمع أبو الدرداء في القدر صوتا، ثم ارتفع الصوت بتسبيح كهيئة صوت الصبي. قال: ثم ندرت فانكفأت، ثم رجعت إلى مكانها لم ينصب منها شيء، فجعل أبو الدرداء ينادي يا سلمان انظر إلى العجب! أنظر إلى ما لم تنظر إلى مثله أنت ولا أبوك! فقال سلمان: أما إنك لو سكت لسمعت من آيات الله الكبرى.

عن عبد الله بن يزيد بن ربيعة الدمشقي. قال: قال أبو الدرداء: أدلجت ذات ليلة إلى المسجد، فلما دخلت مررت على رجل ساجد. وهو يقول: اللهم أني خائف مستجير، فأجرني من عذابك، وسائل فقير فارزقني من فضلك، لا مذنب فاعتذر ولا ذو قوة فانتصر، ولكن مذنب مستغفر. قال فأصبح أبو الدرداء يعلمهنّ أصحابه إعجاباً بهن.

عن أم الدرداء؛ أنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك وأسألك أن تزوجنيه في الجنة. فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك فكنت أنا الأول فلا تتزوجي بعدي. قال: فمات أبو الدرداء ـ وكان لها جمال وحسن ـ فخطبها معاوية. فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله في الجنة.

عن أبي قلابة؛ أن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً، فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: نعم، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: ادع الله تعالى في يوم سرّائك، لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك.

قال الشيخ رحمه الله: وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه حكيماً لبيباً، ونحريراً طبيباً. كلامه يكثر، ومواعظه تغزر. حكمه وعلومه لذوي الأدواء شفاء، وللمتجردين والمتحبرين دفاء، كان إذا نظر سبر، وإذا ذكر جبر. لمفاخر الدنيا دافع، ولمراتب العقبى جامع.

عن ابن أبي مليكة. قال: سمعت يزيد بن معاوية يقول: كان والله أبو الدرداء من العلماء الحكماء، والذين يشفون من الداء.

عن محمد بن يزيد الرحبي. قال: قيل لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: مالك لا تشعر. فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار، إلا وقد قال شعراً؟ قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. قالت: قلت له: مالك لا تطلب لأضيافك كما يطلب غيرك لأضيافهم؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون) فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة.

٣٦ ـ معاذ بن جبل

[١٥ ق هـ ـ ١٨هـ]

ومنهم أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل، المحكم للعمل، التارك للجدل. مقدام العلماء، وإمام الحكماء. ومطعام الكرماء. القارئ القانت، المحب الثابت، السهل السري، السمح السخي، المولى المأمون، والوفي المصون. مؤتمن على العباد والأموال، ومصون من الموانع والأحوال.

عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل)[1].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه).

عن شهر بن حوشب. قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لو استخلفت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فسألني عنه ربي عز وجل ما حملك على ذلك لقلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول: (إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان معاذ بين أيديهم رتوة بحجر)[2].

عن محمد بن كعب. قال: قال رسول الله ﷺ: (معاذ بن جبل أمام العلماء برتوة).

عن عبد الله بن عمرو. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خذوا القرآن من أربعة؛ من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة)[3] رضي الله تعالى عنهم.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. قال: جَمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار؛ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي[4].

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. قال: إن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان أمة قانتاً لله حنيفا. فقيل: إن إبراهيم كان أمة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠،٣٧٩١).

(٢) رتوة حجر: أي رمية حجر.

(٣) متفق عليه (خ٣٧٥٨، م٢٤٦٤).

(٤) متفق عليه (خ٣٨١٠، م٢٤٦٥).

قانتاً لله حنيفاً. فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت: الله أعلم. فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله وللرسول، وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعاً لله ولرسوله.

عن أبي مسلم الخولاني. قال: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا، لا يتكلم ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه. فقلت لجليس لي: من هذا؟ فقال: معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى تفرقوا.

عن شهر بن حوشب. قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدثوا، وفيهم معاذ بن جبل، نظروا إليه هيبة له.

عن ابن كعب بن مالك. قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً، من خير شباب قومه، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى أدان ديناً أغلق ماله. فكلم رسول الله ﷺ أن يكلم غرماءه، ففعل فلم يضعوا له شيئاً، فلو ترك لأحد لكلام أحد، لترك لمعاذ لكلام رسول الله ﷺ، فدعاه النبي ﷺ، فلا يبرح حتى باع ماله وقسمه بين غرمائه، فقام معاذ لا مال له، فلما حج بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ليجبره، قال: وكان أول من حجز عليه في هذا المال معاذ، فقدم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه من اليمن، وقد توفي رسول الله ﷺ.

قال الشيخ رحمه الله: وغرماء معاذ كانوا يهوداً، فلهذا لم يضعوا عنه شيئاً.

عن أبي وائل. قال: لما قبض النبي ﷺ، واستخلفوا أبا بكر - وكان رسول الله ﷺ قد بعث معاذاً إلى اليمن - فاستعمل أبو بكر عمر على الموسم، فلقي معاذاً بمكة ومعه رقيق، فقال: هؤلاء أهدوا لي وهؤلاء لأبي بكر. فقال عمر: إني أرى لك أن تأتي أبا بكر، قال: فلقيه من الغد. فقال: يا ابن الخطاب لقد رأيتني البارحة وأنا أنزوا

إلى النار وأنت آخذ بحجزتي، وما أراني إلا مطيعك قال: فأتى بهم أبا بكر فقال: هؤلاء أهدوا لي وهؤلاء لك، قال: فإنا قد سلمنا لك هديتك. فخرج معاذ إلى الصلاة فإذا هم يصلون خلفه. فقال: لمن تصلون هذه الصلاة؟ قالوا: لله عز وجل. قال: فأنتم لله، فأعتقهم.

عن الزهري أن أبا إدريس الخولاني حدثه: أن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه، قال: إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتتح القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود. فيوشك قائل يقول: ما لي أقرأ على الناس القرآن، فلا يتبعوني عليه؟ فما أظنهم يتبعوني عليه حتى ابتدع لهم غيره. إياكم إياكم ما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان يقول في الحكيم كلمة الضلالة، وقد يقول المنافق كلمة الحق. فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً، فقالوا: وما يدرينا رحمك الله، أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ قال: هي كلمة تنكرونها منه، وتقولون ما هذه فلا يثنيكم فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، من ابتغاهما وجدهما.

عن ابن شهاب؛ أن أبا يزيد الخولاني أخبره يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ قال: وكان لا يجلس مجلساً للذكر إلا قال حين يجلس: الله حكم قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون.

عن عبد الله بن سلمة. قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني، قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص، قال: صم وافطر، وصل ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

عن ثور بن يزيد. قال: كان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي

قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف؛ اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

عن معاوية بن قرة. قال: قال معاذ بن جبل لابنه: يا بني إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً. واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدمها، وحسنة أخرها.

عن محمد بن سيرين. قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه، فقال: إني موصيك بأمرين، إن حفظتهما حُفِظت؛ أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر. فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، حتى تنتظمه لك انتظاماً، فتزول به معك أينما زلت.

عن عبد الله بن سلمة. قال: جاء رجل إلى معاذ رضي الله تعالى عنه فجعل يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لقرابة بيني وبينك، ولا لدنيا كنت أصيبها منك، ولكن كنت أصيب منك علماً، فأخاف أن يكون قد انقطع. قال: فلا تبك فإنه من يرد العلم والإيمان يؤته الله تعالى كما آتى إبراهيم عليه السلام، ولم يكن يومئذ علم ولا إيمان.

عن يحيى بن سعيد؛ أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر.

عن سعيد بن المسيب، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. قال: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل، أحب إلي من أن أحمل على جياد الخيل، في سبيل الله من بكرة حتى الليل.

عن أبي بحرية. قال: دخلت مسجد حمص فسمعت معاذ بن

جبل يقول: من سره أن يأتي الله عز وجل وهو آمن، فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، ومما سنه لكم نبيكم ﷺ، ولا يقل إن لي مصلى في بيتي فأصلي فيه، فإنكم إن فعلتم ذلك تركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم.

عن الأسود بن هلال. قال: كنا نمشي مع معاذ فقال لنا: اجلسوا بنا نؤمن ساعة.

عن يزيد بن أبي مريم. قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: قال معاذ رضي الله تعالى عنه: إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عز وجل عند ذلك رغبات، قال الوليد: فذكر لعبد الرحمن بن يزيد بن جابر فقال: نعم! حدثني أبو طلحة حكيم بن دينار: أنهم كانوا يقولون: آية الدعاء المستجاب، إذا رأيت الناس غفلوا، فارغب إلى ربك تعالى عند ذلك رغبات.

عن طاوس. قال: قدم معاذ بن جبل أرضنا، فقال له أشياخ لنا: لو أمرت ننقل لك من هذه الحجارة والخشب فنبني لك مسجداً، فقال: إني أخاف أن أكلف حمله يوم القيامة على ظهري.

عن عمرو بن ميمون الأودي. قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود إني رسولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، تعلمنَّ أن المعاد إلى الله تعالى، ثم إلى الجنة أو إلى النار، إقامة لا ظعن، وخلود في أجساد لا تموت.

عن يزيد بن يزيد بن جابر. قال: قال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يؤجركم الله بعلم حتى تعملوا.

عن أشعث بن سليم. قال: سمعت رجاء بن حيوة، يحدث عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. قال: ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم،

وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب والفضة، ولبسن رياط الشام[1]، وعصب اليمن، فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد.

عن محمد بن النصر الحارثي رفعه إلى معاذ بن جبل. قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت؛ الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

عن مالك الداراني. أنّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث ساعة في البيت، حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل. فقال: اذهب بها إلى معاذ، وتَلَهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا - ولم يبق في الخرقة إلا ديناران - فدحا بهما إليها ورجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن سوقة. قال: أتيت نعيم بن أبي هند فأخرج إلي

---

(١) الرياط: الثياب الرقاق اللينة.

صحيفة، فإذا فيها: من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليك. أما بعد فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم. فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر! فإنا نحذرك يوماً، تعنى فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته، فالخلق داخرون له، يرجون رحمته ويخافون عقابه. وأنا كنا نحدث: أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنما كتبنا به نصيحة لك والسلام عليك.

فكتب إليهما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: من عمر بن الخطاب! إلى أبي عبيدة ومعاذ، سلام عليكما. أما بعد: أتاني كتابكما تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يدي الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل. كتبتما فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر! وأنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل، وكتبتما تحذراني ما حذرت منه الأمم قبلنا، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار، كتبتما تحذراني أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا: إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم. كتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، وأنكما كتبتما به نصيحة لي، وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إلي فإنه لا غنى بي عنكما والسلام عليكما.

❁ ❁ ❁

عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. قال: تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة. لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقواما، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم. ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى الحيتان في البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه. لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة. والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام. به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال، والعمل تابعه. يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء.

عن عمرو بن قيس، عمن حدثه عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه؛ أنه لما حضره الموت، قال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل: لم تصبح، فقال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل له: لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مرحباً بالموت مرحباً، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة. اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

عن طارق بن عبد الرحمن. قال: وقع الطاعون بالشام فاستعر فيها، فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء. فبلغ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقام خطيبا فقال: إنه قد بلغني ما

تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم عز وجل، ودعوة نبيكم ﷺ، وكفت[1] الصالحين قبلكم. ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك، أن يغدوا الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أم منافق، وخافوا إمارة الصبيان.

عن عبد الرحمن بن غنم من حديث الحارث بن عميرة. قال: طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: إنه رحمة ربكم عز وجل ودعوة نبيكم ﷺ، وقبض الصالحين قبلكم. اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن، بِكْرُه الذي كان يكنى به، وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروبا. فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فاستجاب له فقال: يا أبت ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[2]: فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين، فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد، فطعن معاذ فقال حين اشتد به النزع ـ نزع الموت ـ فنزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقتك؛ فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (يا معاذ انطلق فأرحل راحلتك ثم ائتني أبعثك إلى اليمن) فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد، حتى أذن لي رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال: (يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في

---

(١) الكفت: الجمع والضم.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٧).

القرآن. وحب الآخرة والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل. وأنهاك أن تشتم مسلماً، أو تكذب صادقاً، أو تصدق كاذباً، أو تعصي إماما عادلاً، يا معاذ؛ اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدث مع كل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية).

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. قال: أخذ رسول الله ﷺ يوماً بيدي ثم قال: (يا معاذ والله إني لأحبك) فقال له معاذ: بأبي وأمي يا رسول الله، وأنا والله أحبك. فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

٣٧ ـ سعيد بن عامر

[ت٢٠هـ]

ومنهم سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي. زهد في الدنيا الفتانة السحارة، ونظر إلى طلابها بعين الحقارة، وسلك منهج السابقين بالحث والنذارة، ورغب عن الدنيا مع تقلد الولايات، وقيامه فيها برعايته العهود، والأمانات.

عن حسان بن عطية. قال: لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه معاوية عن الشام، بعث سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي[١] قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار. قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين. فقالت: لو أنك اشتريت لنا أدماً وطعاماً وادخرت سائرها. فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك، نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه. قالت: فنعم! إذاً.

(١) جاءت هنا بالجيم (جذيم) وفي الإصابة بالخاء (خذيم).

فاشترى أدماً وطعاماً واشترى بعيرين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهم، وفرقها في المساكين وأهل الحاجة. قال: فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته: إنه نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه، قال: فسكت عنها قال: ثم عاودته قال: فسكت عنها حتى آذته ـ ولم يكن يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل ـ قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله. فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيتيه، وإنه قد تصدق بذلك المال، قال: فبكت أسفاً على ذلك المال، ثم إنه دخل عليها يوماً فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف[1] تكسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أن أدعهن لك، قال: فسمحت ورضيت.

عن خالد بن معدان. قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي، فلما قدم عمر بن الخطاب حمص. قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال ـ قالوا: نشكوا أربعاً؛ لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال وعظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ يعني تأخذه موتة.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه. وقال: اللهم لا تفيّل[2] رأيي فيه

---

(١) النصيف: الخمار.

(٢) يقال: فال رأيه: أخطأ.

اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار،

قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل،

قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

قال: وما تشكون؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة. فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ شيك بشوكة. ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً، قال: فتصيبني تلك الغنظة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيِّل فراستي، فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم! فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان.

فبقيت منها ذهيبة. فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله. فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال. قال: سيأتيك أحوج ما تكونين.

عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي. قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن جذيم، فقال: إني مستعملك على أرض كذا وكذا، فقال: لا تفتني يا أمير المؤمنين. قال: والله لا أدعك. قلدتموها في عنقي وتتركوني! فقال عمر: ألا نفرض لك رزقاً؟ قال: قد جعل الله في عطائي ما يكفيني دونه، أو فضلاً على ما أريد. قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم. وتصدق ببقيته، فتقول له امرأته: أين فضل عطائك؟ فيقول: قد أقرضته. فأتاه ناس فقالوا: إن لأهلك عليك حقاً، وإن لأصهارك عليك حقاً. فقال: ما أنا بمستأثر عليهم، ولا بملتمس رضى أحد من الناس لطلب الحور العين، لو اطلعت خيرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس. وما أنا بالمتخلف عن العنق الأول، بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يجمع الله عز وجل الناس للحساب. فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كما تزف الحمام، فيقال لهم: قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب، ولا آتيتمونا شيئاً، فيقول ربهم: صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً).

٣٨ ـ عمير بن سعد

ومنهم عمير بن سعد[١]، الحافظ للعهد، الوافي بالوعد، اللقن الحفيظ، الخشن الغليظ، جمال الولاة، وحجة الله على الرعاة. يقال له: نسيج وحده.

---

(١) قتل سعد بالقادسية شهيداً. وهو أبو زيد الأنصاري أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ. (الصفوة).

عن عبد الملك بن هارون بن عنترة، حدثني أبي، عن جدي، عن عمير بن سعد الأنصاري. قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص، فمكث حولا لا يأتيه خبره، فقال عمر لكاتبه: أكتب إلى عمير ـ فوالله ما أراه إلا قد خاننا ـ: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا.

فأخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته، وعلق أداوته، وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه، واغبر وجهه، وطالت شعرته. فدخل على عمر وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال عمر ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرنها، قال: وما معك؟ ـ فظن عمر رضي الله عنه أنه قد جاء بمال ـ فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض. فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي.

قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم! قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك.

فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم، فقال له عمير: اتق الله يا عمر، قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة، قال عمر: فأين بعثتك؟ وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: سبحان الله، فقال عمير: أما لولا أني أخشى أن أغمك ما أخبرتك، بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به، قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا.

قال: جددوا لعمير عهداً، قال: إن ذلك لشيء، لاعملت لك

ولا لأحد بعدك! والله: ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني أي أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك يا عمر، فاستأذنه فاذن له فرجع إلى منزله.

قال: وبينه وبين المدينة أميال، فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا، فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار، فقال له: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة الدينار.

فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جانب الحائط، فسلم عليه الرجل فقال له عمير: انزل رحمك الله، فنزل ثم سأله فقال: من أين جئت؟ قال من المدينة. قال: فكيف تركت أمير المؤمنين، قال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود قال: بلى! ضرب ابناً له أتى فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير: اللهم أعن عمر، فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك، قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون، حتى أتاهم الجهد، فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل.

قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح، وقال: لا حاجة لي فيها ردها. فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها. فقال عمير: والله مالي شيء أجعلها فيه. فشقت امرأته أسفل درعها فاعطته خرقة فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً. فقال له عمير: اقرأ مني أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديداً، قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري.

قال: فكتب إليه عمر إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل. فأقبل إلى عمر رضي الله تعالى عنه فدخل عليه؛ فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها. قال: أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها، قال: قدمتها لنفسي، قال: رحمك الله، فأمر له بوسق من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك، قد جاء الله تعالى بالرزق، ولم يأخذ الطعام، وأما الثوبان فقال: إن أم فلان عارية فأخذهما ورجع إلى منزله.

فلم يلبث أن هلك رحمه الله. فبلغ عمر ذلك فشق عليه وترحم عليه. فخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد، فقال: لأصحابه ليتمن كل رجل منكم أمنية فقال رجل: وددت يا أمير المؤمنين أن عندي مالاً فأعتق لوجه الله عز وجل كذا وكذا، وقال آخر: وددت يا أمير المؤمنين أن عندي مالاً فأنفق في سبيل الله، وقال آخر: وددت لو أن لي قوة فامتح بدلو زمزم لحجاج بيت الله، فقل عمر: وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين.

٣٩ ـ أبي بن كعب

ومنهم المنبئ إذا سئل عن الغامض الصعب، والمذري إذا سما من الشوق والكرب، سيد المسلمين أبي بن كعب.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (أبا المنذر أي آية من كتاب الله عز وجل معك أعظم؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (أبا المنذر أي آية من كتاب الله معك أعظم) قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ فضرب صدري وقال: (ليهنك العلم أبا المنذر)[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: لأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: (إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك) قال: الله سماني لك؟ قال: (نعم! الله سماك لي) قال: فجعل أبي يبكي[١].

عن قيس بن عباد. قال: بينما أنا أصلي في مسجد المدينة في الصف المقدم، إذ جاء رجل من خلفي، فجذبني جذبة فنحاني وقام مقامي، فلما سلم التفت إلي فإذا هو أبي بن كعب. فقال: يا فتى لا يسؤك الله. إن هذا عهد من النبي ﷺ إلينا. ثم استقبل القبلة فقال: هلك أهل العقدة[٢] ورب الكعبة، لا آسى عليهم ـ ثلاث مرار ـ أما والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على من أضلوا.

عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه. قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الرحمن عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل، فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله عز وجل، إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينا هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتت عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها. وإن اقتصاداً في سبيلٍ وسنةٍ، خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنته.. فانظروا أعمالكم فإن كانت اجتهاداً أو اقصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم.

عن أبي العالية. قال: قال رجل لأبي بن كعب أوصني: قال: اتخذ كتاب الله إماماً، وارضَ به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم. فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم.

---

(١) متفق عليه (خ٣٨٠٩، م٧٩٩).

(٢) أهل العقدة: يريد البيعة المعقودة للولاة.

عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه. في قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[1] الآية. قال: هن أربع؛ وكلهن عذاب وكلهن واقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً، وذاق بعضهم بأس بعض، وبقي ثنتان واقعتان لا محالة، الخسف، والرجم.

عن عبيد بن عمير، عن أبي بن كعب. قال: ما من عبد ترك شيئا لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه، من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد، فأخذه من حيث لا يصلح، إلا أتاه الله ما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب.

عن عتي بن ضمرة، عن أبي بن كعب. قال: كنا مع رسول الله ﷺ ووجوهنا واحدة، حتى فارقنا، فاختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً.

٤٠ ـ أبو موسى الأشعري

[ت٥٢هـ]

ومنهم العامل المعلم صاحب القراءة والمزمار، الرايض نفسه بالسياحة في المضمار، الأشعري أبو موسى عبد الله بن قيس بن حضار، كان بالأحكام والأقضية عالماً، وفي أودية المحبة والمشاهدة هائماً، وبقراءة القرآن في الحنادس مترنماً وقائماً، وفي طول الأيام والحرور طاوياً وصائماً.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى رضي الله تعالى عنهما إلى اليمن، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٦٥).

عن أبي رجاء العطاردي. قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة يقعد حلقاً، فكأني أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن، ومنه أخذت هذه السورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ قال أبو رجاء: فكانت أول سورة أنزلت على محمد رسول الله ﷺ.

عن الحسن، عن أبي موسى. قال: إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل. وسنة نبيكم ﷺ، وأنظف لكم طرقكم.

عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، عن أبيه. قال: جمع أبو موسى القراء، فقال: لا تدخلوا علي إلا من جمع القرآن، قال: فدخلنا عليه زهاء ثلثمائة فوعظنا، وقال: أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الأمد، فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب. ثم قال: لقد أنزلت سورة كنا نشبهها ببراءة طولاً وتشديداً، حفظت منها آية: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لالتمس إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وأنزلت سورة كنا نشبهها بالمسبحات، أولها سبح لله، حفظت آية كانت فيها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم ثم تسألون عنها يوم القيامة.

عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ مر عليه ذات ليلة وأبو موسى يقرأ في بيته ومع النبي ﷺ عائشة رضي الله تعالى عنها، فقاما فاستمعا لقراءته، ثم أنهما مضيا، فلما أصبح لقي أبو موسى النبي ﷺ، فقال له: (يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعي عائشة وأنت تقرأ في بيتك فقمنا فاستمعنا لقراءتك) فقال أبو موسى: يا نبي الله أما إني لو علمت بمكانك لحبرت لك القرآن تحبيرا.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود).

عن أبي سلمة. قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا عز وجل فيقرأ.

عن أبي عثمان النهدي. قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه صلاة الصبح، فما سمعت صوت صنج ولا بربط كان أحسن صوتاً منه.

عن مسروق. قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في سفر فآوانا الليل إلى بستان حرث فنزلنا فيه، فقام أبو موسى من الليل يصلي، فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته. قال: وجعل لا يمر بشيء إلا قاله ثم قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام. وأنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت الصادق تحب الصادق.

عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه. قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر نعتقب، قال: ونقبت أقدامنا، ونقبت قدماي وتساقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق. فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا الخرق، قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم ذكر ذلك فقال: ما كنت أصنع أن أذكر هذا الحديث، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه. وقال: الله يجزي به.

عن أبي مجلز. قال: قال أبو موسى: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

عن قسامة بن زهير. قال: خطبنا أبو موسى رضي الله تعالى عنه بالبصرة فقال: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء، حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

عن أبي ظبيان، عن أبي موسى، قال: إن الشمس فوق الناس يوم القيامة، وأعمالهم تظلهم وتضحيهم.

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب. قال: دعا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله؛ إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعن علي قبري حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعا، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة ثم لأكونن أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث. ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليضيقن علي قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

عن أبي بردة. قال: لما حضر أبا موسى الوفاة. قال: يا بني اذكروا صاحب الرغيف، قال: كان رجل يتعبد في صومعة أراه قال: سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد، قال: فشبه أوشب الشيطان في عينه امرأة فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال. قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فآواه الليل إلى دكان كان عليه اثنا عشر مسكينا فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثم راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفاً فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفاً، ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفاً. فقال المتروك لصاحب الرغيف: مالك لم تعطني رغيفي ما كان بك عنه غنى؟ فقال: أتراني أمسكته عنك. سل هل أعطيت أحداً منكم رغيفين. قالوا: لا! قال: تراني أمسكته عنك، والله لا أعطيك الليلة

شيئاً، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك، فأصبح التائب ميتاً قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت السبع الليالي، ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف فرجح الرغيف. فقال أبو موسى: يا بني اذكروا صاحب الرغيف.

عن أبي كبشة، عن أبي موسى. قال: إنما سمي القلب من تقلبه، ألا وإن القلب مثل ريشة معلقة بشجرة في فضاء من الأرض، تفيؤها الريح ظهراً لبطن.

عن أزهر بن عبد الله. قال: صلى أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه في كنيسة يوحنا بحمص، ثم خرج فحمد الله تعالى وأثنى عليه. ثم قال: يا أيها الناس إنكم اليوم في زمان للعامل فيه لله تعالى أجر، وسيكون بعدكم زمان يكون للعامل لله تعالى فيه أجران.

٤١ ـ شداد بن أوس

[ت٥٨هـ]

ومنهم ذو اللسان المزموم، والبيان المفهوم، صاحب الحذر والورع، والبكاء والضرع، أبو يعلى شداد بن أوس الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

عن أسد بن وداعة، عن شداد بن أوس الأنصاري رضي الله تعالى عنه؛ أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح.

عن زياد بن ماهك. قال: كان شداد بن أوس يقول: إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه، ولم تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر كله بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها

ملك قاهر، ولكل بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، قال أبو الدرداء: وإن من الناس من يؤتى علماً ولا يؤتى حلماً وإن أبا يعلى قد أوتي علماً وحلماً.

عن أبي شجرة كثير بن مرة، عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، يحق فيها الحق ويبطل الباطل. أيها الناس كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها).

عن أبي يزيد الغوثي، عمن حدثه عن أبي الدرداء؛ أنه كان يقول: إن لكل أمة فقيها، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس.

عن سليمان بن موسى؛ أن شداد بن أوس قال يوماً: هاتوا السفرة نعبث بها قال: فأخذوها عليه، قال: انظروا إلى أبي يعلى ما جاء منه، فقال: أي بني أخي إني ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطومة قبل هذه، فتعالوا حتى أحدثكم ودعوا هذه، وخذوا خيراً منها: اللهم إنا نسألك التثبت في الأمر، ونسألك عزيمة الرشد، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلباً سليما، ولساناً صادقاً، ونسألك خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم، فخذوا هذه، ودعوا هذه.

عن حسان بن عطية. قال: نزل شداد بن أوس منزلاً، فقال: ائتونا بالسفرة نعبث بها، قيل: يا أبا يعلى! ما هذه؟ فأنكرت عليه، قال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه، فلا تحفظوها علي واحفظوا عني ما أقول لكم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد).

٤٢ ـ حذيفة بن اليمان

[ت٣٦هـ]

ومنهم العارف بالمحن، وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقاه، وتحرى الخير فاقتناه، سكن عند الفاقة والعدم، وركن إلى الإنابة والندم، وسبق رتق الأيام والأزمان، أبو عبد الله حذيفة بن اليمان.

عن ربعي بن خراش، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه. أنه قدم من عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال: لما جلسنا إليه، سأل أصحاب محمد ﷺ: أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟ فأسكت القوم وظننت أنه إياي يريد قال: فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك؟ قلت: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى تصير القلوب على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربداً كالكوز مجخياً ـ وأمال كفه. وأن أبا يزيد قال: هكذا وأمال كفه ـ لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وحدثته: أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر كسراً: فقال عمر: كسراً لا أبالك! قلت: نعم! قال: فلو أنه فتح لكان لعله أن يعاد فيغلق، فقلت: بل كسراً. قال: وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط[1].

عن زيد بن وهب. قال: قال حذيفة رضي الله تعالى عنه. حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، فعلموا من القرآن

---

(١) متفق عليه (خ٥٢٥، م١٤٤) والمجخي: المائل عن الاستقامة.

وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفعها فقال: ينام الرجل فيكم فينكت في قلبه نقطة سوداء، فيظل أثرها كالمجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً[1] ليس فيه شيء فيصبح الناس ليس فيهم أمين، وليأتين على الناس زمان يقال للرجل ما أظرفه وما أعقله وما في قلبه من الإيمان مثقال شعيرة[2].

عن أبي إدريس الخولاني. قال: سمعت حذيفة رضي الله تعالى عنه يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر، قال: (نعم)! فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ فقال: (نعم! وفيه دخن) فقلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر) فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم! دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)؛ قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (اعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على جذل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[3].

عن عمارة بن عبد الله، عن حذيفة. قال: إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة، حتى يقول الجاهل: هذه تشبه، وتبين مدبرة. فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم.

---

(١) المنتبر: المرتفع.
(٢) متفق عليه (خ٦٤٩٧، م١٤٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٤٤ ـ ٤٢٤٧) وابن ماجه (٣٩٨١).

عن أبي الطفيل؛ أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيي بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه، والحقَّ استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده، وشعبة من الحق ترك. ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه فذلك ميت الأحياء.

عن أبي البختري، عن حذيفة. قال: القلوب أربعة؛ قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر، فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيهما ما غلب عليه غلب.

عن أمية بن قسيم، عن حذيفة. قال: أقرّ ما أكون عيناً، حين يشكو إلي أهلي الحاجة، وإن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا، كما يحمي أهل المريض مريضهم الطعام.

عن عمارة بن عبد عن حذيفة. قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

عن الضحاك، عن حذيفة. قال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون، وأن يضلوا وهم لا يشعرون.

عن الأعمش. قال: بلغني أن حذيفة رضي الله عنه كان يقول:

ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآ للدنيا ولكن الذين يتناولون من كل.

عن طارق بن شهاب، عن حذيفة. قال: قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.

عن أبي الرقاد. قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام، فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتحضنَّ على الخير، أو ليسحتكم الله جميعاً بعذاب، أو ليأمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم.

عن أبي وائل. قال: قال حذيفة: المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ، كانوا يومئذ يكتمونه. وهم اليوم يظهرونه.

عن إبراهيم بن همام. قال: قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: يا معشر القراء أسلكوا الطريق فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً. ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً.

عن أبي سلامة عن حذيفة رضي الله تعالى عنه. قال: ليكونن عليكم أمراء ـ أو أمير ـ لا يزن أحدهم عند الله يوم القيامة قشرة شعيرة.

عن مالك الأحمري، عن حذيفة. قال: إن بائع الخمر كشاربها، ألا إن مقْتني الخنازير كآكلها، تعاهدوا أرقاءكم فانظروا من أين يجيئون بضرائبهم؟ فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت.

عن أبي يحيى. قال: قيل لحذيفة: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به.

عن زياد مولى ابن عباس. قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. ثم مات رضي الله عنه.

عن الحسن. قال: لما حضر حذيفة الموت قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، أحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

عن صلة، عن حذيفة. قال: تعودوا الصبر فأوشك أن ينزل بكم البلاء أما أنه لا يصيبنكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ.

عن ابن خراش، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه. قال: إن في القبر حساباً، ويوم القيامة حساباً، فمن حوسب يوم القيامة عذب.

٤٣ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص

[ت٦٥هـ]

ومنهم القوي الخاشع، القارئ المتواضع، صاحب الصيام والقيام. عبد الله بن عمرو بن العاص كان بالحقائق قائلًا، وعن الأباطيل مائلًا. يعانق العمل، ويفارق الجدل، يطعم الطعام، ويفشي السلام، ويطيب الكلام.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقال لي: (أنت الذي تقول لأصومن النهار، ولأقومن الليل، ما عشت)؟. فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي. قال: (فإنك لا تستطيع ذلك).

عن أبي سلمة. قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص، حدثني مدخل رسول الله ﷺ عليك، وما قال لك. قال: دخل علي

فقال: (يا عبد الله بن عمرو ألم أخبر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار)؟ قال: قلت: إني أفعل ذلك يا رسول الله، قال: (إن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام؛ فإذا أنت صمت الدهر كله) فغلظت فغلظ علي، فقلت: إني أجدني أقوى من ذلك يا رسول الله، فقال: (إن أعدل الصيام عند الله عز وجل صيام داود عليه السلام). قال: فأدركني الكبر والضعف حتى وددت أني غرمت مالي وأهلي وأني قبلت رخصة رسول الله ﷺ من كل شهر ثلاثة أيام.

عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو. قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليّ جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال - أو كخير البعولة - من رجل لم يفتش لنا كنفاً، ولم يقرب لنا فراشاً، فأقبل عليّ فَعَذَمَني وعضني بلسانه. فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني: فأرسل إليَّ النبي ﷺ، فأتيته فقال لي: (أتصوم النهار؟) قلت: نعم! قال: (أفتقوم الليل؟) قلت: نعم! قال: (لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) ثم قال: (اقرأ القرآن في كل شهر). قلت: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: (فاقرأه في كل عشرة أيام) قلت: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: (فاقرأه في كل ثلاث) ثم قال: (صم في كل شهر ثلاثة أيام) قلت: إني أقوى من ذلك. فلم يزل يرفعني حتى قال: (صم يوماً وافطر يوماً فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود عليه السلام).

عن عبد الله بريدة؛ أن سليمان بن ربيعة حدثه: أنه حج في إمرة معاوية ومعه المنتصر بن الحارث الضبي، في عصابة من قراء أهل البصرة، فقالوا: والله لا نرجع حتى نلقى رجلاً من أصحاب

محمد ﷺ مرضياً، يحدثنا بحديث فلم نزل نسأل حتى حدثنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه نازل في أسفل مكة، فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم، يرتحلون ثلثمائة راحلة منها مائة راحلة ومائتا زاملة. قلنا: لمن هذا الثقل؟ فقالوا: لعبد الله بن عمرو. فقلنا: أكل هذا له؟ وكنا نحدث أنه من أشد الناس تواضعاً. فقالوا: أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار له ولأضيافه. فعجبنا من ذلك عجباً شديداً. فقالوا: لا تعجبوا من هذا، فإن عبد الله بن عمرو رجل غني، وإنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس، فقلنا: دلونا عليه. فقالوا: إنه في المسجد الحرام. فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالساً؛ رجل قصير أرمص، بين بردين وعمامة، وليس عليه قميص قد علق نعليه في شماله.

٤٤ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب[1]

[ت٧٤هـ]

ومنهم الزاهد في الإمرة والمراتب، الراغب في القربة والمناقب، المتعبد المتهجد، المتتبع للأثر المتشدد، نزيل الحصباء والمساجد، طويل الرغباء في المشاهد، يعد نفسه في الدنيا غريباً، ويرى كل ما هو آت قريباً. المستغفر التواب، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

عن نافع. قال: دخل ابن عمر رضي الله تعالى عنه الكعبة

---

(١) يكنى أبا عبد الرحمن، أمه زينب بنت مظعون، أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغاً حينئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فرده، ويوم أحد فرده لصغر سنه، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

مات بمكة سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن أربع وثمانين سنة، رضي الله عنه. (الصفوة).

فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه؛ أنه أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أنت ابن عمر، وصاحب رسول الله ﷺ - فذكر مناقبه - فما يمنعك من هذا الأمر؟ قال: يمنعني أن الله تعالى حرَّم علي دم المسلم، قال: فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[1] قال: قد فعلنا وقد قاتلناهم حتى كان الدين لله، فأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى يكون الدين لغير الله.

عن المطعم بن المقدام الصنعاني. قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور. فكتب إليه ابن عمر؛ أما ما ذكرت من الخلافة أني طلبتها، فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة فإن من جمع كتاب الله فليس بعيي، ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل، وأما ما ذكرت من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري.

عن نافع. قال: لما قدم أبو موسى وعمرو بن العاص أيام حكِّما قال أبو موسى: لا أرى لهذا الأمر غير عبد الله بن عمر. فقال عمرو لابن عمر: إنا نريد أن نبايعك فهل لك أن تعطى مالاً عظيماً على أن تدع هذا الأمر، لمن هو أحرص عليه منك؟ فغضب ابن عمر فقام، فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال: يا أبا عبد الرحمن إنما قال: تعطي مالاً على أن أبايعك. فقال ابن عمر: ويحك يا عمرو. قال عمرو: إنما قلت: أجربك. قال: فقال ابن عمر: لا والله لا أعطى عليها شيئاً، ولا أعطي، ولا أقبلها إلا عن رضى من المسلمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٣).

عن جابر رضي الله تعالى عنه. قال: ما رأيت ـ أو ما أدركت ـ أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها، إلا عبد الله بن عمر.

❁ ❁ ❁

عن نافع. قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل.

قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله تعالى عنه على تلك الحالة الحسنة أعتقه. فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله عز وجل تخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه بمال عظيم. فلما أعجبه سيره، أناخه مكانه ثم نزل عنه. فقال: يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجللوه واشعروه، وادخلوه في البدن.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن أبي عثمان. قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها رميثة وقال: إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١) وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله عز وجل.

عن نافع. قال: إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم.

عن ميمون بن مهران. قال: أتت ابن عمر رضي الله تعالى عنه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرقها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٢).

عن نافع. قال: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان ـ أو زاد ـ.

عن عاصم ـ يعني ابن محمد ـ عن أبيه. قال: أعطي ابن عمر بنافع عشرة آلاف ـ أو ألف دينار ـ فقلت: يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع؟ قال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ هو حر لوجه الله تعالى.

❁ ❁ ❁

عن أيوب بن وائل الراسبي. قال: قدمت المدينة فأخبرني رجل ـ جار لابن عمر ـ أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة، فجاء إلى السوق يريد علفاً لراحلته بدرهم نسيئة. فقد عرفت الذي جاءه. فأتيت سريته فقلت: إني أريد أن أسألك عن شيء، وأحب أن تصدقيني؟ قلت: أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة، قالت: بلى، قلت: فإني رأيته يطلب علفاً بدرهم نسيئة، قالت: ما بات حتى فرقها، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها ثم جاء. فقلت: يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم وضح، فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة.

عن نافع؛ أن ابن عمر رضي الله تعالى عنه اشتكى، فاشتري له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين فقال: أعطوه إياه. فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه فجاءه المسكين فسأل فقال: أعطوه إياه. فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه فجاءه المسكين يسأل فقال: أعطوه إياه ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم فأراد أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه.

عن سعيد بن أبي هلال؛ أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه نزل الجحفة ـ وهو شاك ـ فقال: إني لأشتهي حيتاناً، فالتمسوا له فلم يجدوا له إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته ثم قربته إليه، فأتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذه، فقال أهله: سبحان الله، قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه. فقال: إن عبد الله يحبه.

عن ميمون بن مهران؛ أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها: أما تلطفين بهذا الشيخ؟ فقالت: فماأصنع به، لا نصنع له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم، وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقه. ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان. وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام، وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه. فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنه: أردتم أن لا أتعشى الليلة فلم يتعش تلك الليلة.

عن حمزة بن عبد الله بن عمر. قال: لو أن طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر، ما شبع منه بعد أن يجد له آكلاً. فدخل عليه ابن مطيع يعوده، فرآه قد نحل جسمه، فقال لصفية: ألا تلطفيه لعله أن يرتد إليه جسمه، فتصنعي له طعاماً قالت: إنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع أحداً من أهله ولا من يحضره إلا دعاه عليه؛ فكلمه أنت في ذلك، فقال ابن مطيع: يا أبا عبد الرحمن لو اتخذت طعاماً فرجع إليك جسمك. فقال: إنه ليأتي علي ثماني سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة، أو قال: لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة، فالآن تريد أن أشبع، حين لم يبق من عمري إلا ظمء حمار[1].

عن أبي بكر بن حفص؛ أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم.

---

(١) ظمء حمار: كناية عن الشيء اليسير لأن الحمار أقل الدواب صبراً على الماء.

عن عبيد الله بن عدي ـ وكان مولى لعبد الله بن عمر قدم من العراق فجاءه يسلم عليه ـ. فقال: أهديت إليك هدية، قال: وما هي؟ قال: جوارش، قال: وما جوارش؟ قال: تهضم الطعام، فقال: فما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة، فما أصنع به.

عن ابن سيرين؛ أن رجلاً قال لابن عمر: أجعل لك جوارش؟ قال: وأي شيء الجوارش قال: شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهل عليك، قال: فقال ابن عمر: ما شبعت من الطعام منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجداً، ولكني عهدت قوماً يشبعون مرة ويجوعون مرة.

عن ميمون بن مهران. قال: مر أصحاب نجدة الحروري على إبل لعبد الله بن عمر فاستاقوها، فجاء راعيها، فقال: يا أبا عبد الرحمن احتسب الإبل، قال: ومالها؟ قال: مر بها أصحاب نجدة فذهبوا بها، قال: كيف ذهبوا بالإبل وتركوك؟ قال: قد كانوا ذهبوا بي معها ولكني انفلت منهم، قال: ما حملك على أن تركتهم وجئتني؟ قال: أنت أحب إليَّ منهم، قال: آلله الذي لا إله إلا هو لأنا أحب إليك منهم؟ قال: فحلف له، قال: فإني أحتسبك معها، فأعتقه، فمكث ما مكث ثم أتاه آت فقال: هل لك في ناقتك الفلانية ـ سماها باسمها ـ ها هو ذا تباع في السوق. قال: أرني ردائي، فلما وضعه على منكبيه وقام، جلس فوضع رداءه ثم قال: لقد كنت احتسبتها، فلم أطلبها؟

عن ميمون بن مهران؛ أن ابن عمر رضي الله تعالى عنه كاتب غلاماً له، ونجمها عليه نجوماً، فلما حل أول النجم أتاه المكاتب به، فسأله من أين أصبت هذا؟ قال: كنت أعمل وأسأل. قال ابن عمر: أفجئتني بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيها؟ أنت حر لوجه الله ولك ما جئت به.

عن ميمون؛ أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه استكساه إزاراً، وقال: قد تخرق إزاري، فقال له: أقطع إزارك ثم اكتسه، فكره الفتى ذلك. فقال له عبد الله بن عمر، ويحك اتق الله لا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم.

عن ميمون بن مهران. قال: دخلت منزل ابن عمر؛ فما كان فيه ما يسوي طيلساني هذا.

عن عائشة. قالت: ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب النبي ﷺ الذين دفنوا في النمار[١]، من عبد الله بن عمر.

عن قرعة. قال: رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة أو خشبة. فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة أو خشبة[٢]. فقال: أرنيه حتى أنظر إليه. قال: فلمسه بيده وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا! إنه من قطن قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور.

عن وقدان. قال: سمعت ابن عمر ـ وسأله رجل ما ألبس من الثياب ـ قال: مالا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعتب به الحلماء. قال: ما هو؟ قال: ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً.

عن عبد الله بن حبيش. قال: رأيت على ابن عمر ثوبين[٣] معافرين[٤] وكان ثوبه إلى نصف الساق.

---

(١) النمار: كل شملة مخططة من مآزر العرب، .ولعلها ـ رضي الله عنها ـ تشير إلى الذين ماتوا في حياته ﷺ وقت الضيق والشدة، فلم يكن يوجد ما يكفنوا به.

(٢) التشبيه بالخشبة: بسبب صلابتها.

(٣) وفي نسخة: ولا يعيبك به الحلماء.

(٤) الثياب المعافرية: برود منسوبة إلى معافر، قبيلة باليمن.

عن عمرو - يعني ابن دينار -، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: ما وضعت لبنة على لبنة، ولا غرست نخلة منذ قبض النبي ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: كنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، وكان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى الرؤيا قصها عليه. قال: فتمنيت أن أرى رؤيا، أقصها على رسول الله ﷺ. قال: فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا للنار شيء كقرن البئر - يعني قرنين كقرن البئر - وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن ترع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ. فقال: (نعم الرجل عبد الله! لو كان يصلي من الليل) قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[1].

عن نافع؛ أن ابن عمر رضي الله تعالى عنه: كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة، أحيى بقية ليلته.

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه؛ أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا! فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا فيقول: نعم! فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

عن أبي غالب مولى خالد بن عبد الله. قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة. فكان يتهجد من الليل، فقال لي: ذات ليلة قبيل الصبح: ياأبا غالب ألا تقوم فتصلي ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن. فقال: إن سورة الإخلاص - قل هو الله أحد - تعدل ثلث القرآن.

---

(١) متفق عليه (خ١١٢١، ١١٢٢، م٢٤٧٩).

عن سعيد بن المسيب. قال: مات ابن عمر رضي الله تعالى عنه يوم مات، وما في الأرض أحد أحب إلى أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منه.

عن يوسف بن ماهك. قال: رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عند عبيد بن عمير، وهو يقص، وعيناه تهرقان دموعاً.

عن نافع. قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] بكى حتى يغلبه البكاء.

عن الحسن، عن عبد الله بن عمر. قال: من كان مستنّاً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه. فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة. يا ابن آدم صاحب الدنيا ببدنك، وفارقها بقلبك وهمك، فإنك موقوف على عملك، فخذ مما في يديك لما بين يدك عند الموت؛ يأتيك الخير.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً.

عن عمرو بن ميمون، عن أبيه. قال: قيل لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه: توفي زيد بن حارثة الأنصاري. قال: رحمه الله، قيل له: يا أبا عبد الرحمن ترك مائة ألف! قال: لكن هي لم تتركه.

عن عاصم الأحول، عمن حدثه، عن ابن عمر رضي الله تعالى

(١) سورة الحديد، الآية (١٦).

عنه؛ أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر. فقال: عن هؤلاء تسأل؟

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: أحق ما طهر العبد، لسانه.

عن نافع وغيره. أن رجلاً قال لابن عمر: يا خير الناس - أو يا ابن خير الناس - فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله أرجو الله تعالى وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

عن أبي الأسود. قال: سمعت عروة بن الزبير يقول: خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته، ونحن في الطواف، فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبداً، فقدر له أن صدر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول ﷺ، فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله، فأتيته ورحب بي وقال: متى قدمت؟ فقلت: هذا حين قدومي. فقال: أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله، ونحن في الطواف، نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنت قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن؟ فقلت: كان أمراً قدر. قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط. فدعا ابنيه سالماً وعبد الله فزوجني.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه. قال: اجتمع في الحجر مصعب، وعروة، وعبد الله، بنو الزبير، وعبد الله بن عمر. فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة، قال: فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له.

عن نافع. قال: قيل لابن عمر رضي الله تعالى عنه زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية: أتصلي مع هؤلاء، ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً؟ قال: من قال: حي على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا!.

عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك، إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى جلى الله ذلك عنا، فأبصرنا طريقنا الأول، فعرفناه وأخذنا فيه، وإنما هؤلاء فتيان قريش، يقتتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن يكون لي ما يقتل(١) بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين.

عن نافع. قال: لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله تعالى عنه، إذا اتبع أثر النبي ﷺ، لقلت: هذا مجنون.

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه؛ أنه كان في طريق مكة، يأخذ برأس راحلته يثنيها ويقول: لعل خفا يقع على خف - يعني خف راحلة النبي ﷺ -.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه. قال: ما ناقة أضلت فصيلها في فلاة من الأرض، بأطلب لأثره من ابن عمر لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة؛ أن الطفيل بن أبي كعب أخبره: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال:

---

(١) أي مايقتل بعضهم بعضاً عليه.

فإذا غدونا إلى السوق لم يمرر عبد الله بن عمر على سقاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا وسلم عليه. فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟ قال: وأقول اجلس بنا ها هنا نتحدث، فقال لي عبد الله: يا أبا بطن ـ وكان الطفيل ذا بطن ـ إنما نغدو من أجل السلام، فسلم على من لقيت.

عن قتادة. قال: سئل ابن عمر: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال.

عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه؛ أن ابن عمر رضي الله تعالى عنه مر بقاص ـ وقد رفعوا أيديهم ـ فقال: قطع الله هذه الأيدي. ويلكم، إن الله تعالى أقرب مما ترفعون، هو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد.

عن نافع. قال: شهدت مع ابن عمر جنازة، فلما فرغ من دفنها، قال قائل: ارفعوا على اسم الله. فقال ابن عمر: إن اسم الله علا كل شيء، ولكن ارفعوا باسم الله.

عن مجاهد. قال: كنت أمشي مع ابن عمر، فمر على خربة. فقال: قل يا خربة ما فعل أهلك؟ فقلت: يا خربة ما فعل أهلك؟ فقال ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالهم.

عن أبي حازم. قال: مر ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق، فقال: ما شأنه؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى الله وما نسقط.

عن مجاهد، عن ابن عمر. قال: قال لي النبي ﷺ: (أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته

وصيامه حتى يكون كذلك). وصارت موالاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزي عن أهله شيئاً.

قال: وقال لي: (يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك. فإنك يا عبد الله بن عمر لا تدري ما اسمك غداً).

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي. فقال: (كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور)[1].

٤٥ ـ عبد الله بن العباس[2]

[٣ق.هـ ـ ٦٨هـ]

ومنهم اللقن المعلم، والفطن المفهم، فخر الفخار، وبدر الأحبار، وقطب الأفلاك، وعنصر الأملاك. البحر الزخار، والعين الخزار، مفسر التنزيل، ومبين التأويل. المتفرس الحساس، والوضيء اللباس، مكرم الجلاس، ومطعم الأناس، عبد الله بن عباس، رضي الله تعالى عنه.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال له: (يا غلام ألا أعلمك كلمات، ينفعك الله بهن؟! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو

(١) قال في الصفوة: أخرجه الطبراني. والقسم الأخير منه عند البخاري (٦٤١٦).

(٢) يكنى أبا العباس، ولد في الشعب، وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

توفي بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة. (الصفوة).

كائن. ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عز وجل لك، لم يقدروا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عز وجل لك، لم يقدروا عليه، فاعمل لله تعالى بالرضى في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)[1].

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قال: ضمني رسول الله ﷺ ثم قال: (اللهم علمه الحكمة)[2].

عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه. قال: دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن العباس فقال: (اللهم بارك فيه وانشر منه)[3].

عن مجاهد. قال: كان ابن عباس رضي الله تعالى عنه يسمى البحر، من كثرة علمه.

عن ميمون بن مهران، عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه؛ أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأس عبد الله فقال: (اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل)[4].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).
(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٣٢٣.
(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٦) بلفظ (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب).

نحمد الله تعالى ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري؟ ولم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ـ فتح مكة ـ فذاك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[1].

عن أبي بكر الهذلي. قال: دخلت على الحسن فقال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل، كان عمر يقول: ذاكم فتى الكهول؛ إن له لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً. كان يقوم على منبرنا هذا ـ أحسبه قال عشية عرفة ـ فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران ثم يفسرهما آية آية.

عن عامر الشعبي، عن ابن عباس. قال: قال لي أبي: أي بني إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ. فاحفظ عني ثلاث خصال؛ اتق الله لا يجربن عليك كذبة، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً. قال عامر: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، قال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

❁ ❁ ❁

عن أبي زميل الحنفي، عن عبد الله بن عباس. قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أتخوفهم عليك، قال: قلت: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن إبل، ووجوهم مقلبة من آثار السجود.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

قال: فدخلت. فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم: على أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله.

فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثاً.

قلت: وما هن؟

قالوا: أولاهن أنه حكم الرجال في دين الله وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]. قال: قلت: وماذ؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفار لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم!

قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله، فإنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3]. أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٧).
(٢) سورة المائدة، الآية (٩٥).
(٣) سورة النساء، الآية (٣٥).

وأنفسهم، وصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم!

قال: وأما قولكم إنه قاتل، ولم يسب ولم يغنم؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم. وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[1] فأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم!

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فقال: (اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي محمد بن عبد الله) فرسول الله كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم!

فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي أربعة آلاف فقتلوا.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر؛ أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾[2] قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني ما قال، فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٠).

لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال: إن ابن عباس قد أوتي علماً، صدق هكذا كانتا. ثم قال ابن عمر: قد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علماً.

عن أبي صالح. قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً، لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا، حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثره. ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر. ثم قال: إخوانكم فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل. فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله. ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل. قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً. فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

عن ابن بريدة. قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال؛ إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه، فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة.

عن مجاهد. قال: قال ابن عباس: لو أن جبلاً بغى على جبل لدُك الباغي.

عن الحسن بن مسلم، عن ابن عباس. قال: ما ظهر البغي في قوم قط إلا ظهر فيهم الموتان[1].

عن الضحاك، عن ابن عباس. قال: من قال: بسم الله فقد ذكر الله، ومن قال: الحمد لله فقد شكر الله، ومن قال: الله أكبر فقد عظم الله، ومن قال: لا إله إلا الله، فقد وحد الله، ومن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقد أسلم واستسلم، وكان له بها كنز في الجنة.

عن شقيق. قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

---

(١) الموتان ـ بضم الميم وإسكان الواو ـ: الموت: الكثير الوقوع.

عن الضحاك، عن ابن عباس؛ أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، فإن قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال، وأنت على الذنب، أعظم من الذنب الذي عملته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك، أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به، أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك، وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك، أعظم من الذنب إذا عملته، ويحك هل تدري ما كان ذنب أيوب عليه السلام، فابتلاه الله تعالى بالبلاء في جسده، وذهاب ماله؟ إنما كان ذنب أيوب عليه السلام أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه عنه فلم يعنه، ولم يأمر بمعروف، وينه الظالم عن ظلم هذا المسكين فابتلاه الله عز وجل.

عن وهب بن منبه. قال: أخبر ابن عباس رضي الله تعالى عنه؛ أن قوماً عند باب بني سهم يختصمون ـ أظنه قال: في القدَر ـ فنهض إليهم وأعطى محجنه عكرمة، ووضع إحدى يديه عليه والأخرى على طاوس، فلما انتهى إليهم، أوسعوا له ورحبوا به فلم يجلس. قال أبو شهاب في حديثه فقال لهم: انتسبوا لي أعرفكم، فانتسبوا له ـ أو من انتسب منهم ـ فقال: أو ما علمتم أن لله تعالى عباداً أصمتتهم خشيته من غير بكم ولا عي، وإنهم لهم العلماء والفصحاء، والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله عز وجل، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عز وجل طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية ـ وزاد عبد الرحمن بن مهدي في حديثه، يعدون أنفسهم مع المفرطين ـ وإنهم لأكياس أقوياء، ومع الظالمين والخطائين، وإنهم لأبرار برءاء، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلّون عليه بالأعمال. هم حيثما لقيتم مهتمون

ومشفقون، وجلون خائفون. قال: وانصرف عنهم فرجع إلى مجلسه.

عن أبي غالب الخلجي. قال: سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنه يقول: عليك بالفرائض، وما وظف الله تعالى عليك من حقه فأده، واستعن الله على ذلك، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية، وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه، إلا أخره عما يكره، وهو الملك يصنع ما يشاء.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قال: ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال، فإن صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى، وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال.

عن عبد الله بن أبي مليكة. قال: صحبت ابن عباس رضي الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل. قال: فسأله أيوب كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾[1] فجعل يرتل ويكثر في ذاكم النشيج.

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إليّ من حجة بعد حجة. ولطبق بدانق أهديه إلى أخ لي في الله عز وجل؛ أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل.

عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أطغي، وبك أكفِّر، وبك أدخل النار. رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك.

---

(١) سورة ق، الآية (١٩).

عن ابن أبي مليكة. قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ذهب الناس وبقي النسناس، قيل: وما النسناس؟ قال الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس.

عن مجاهد، عن عبد الله رضي الله تعالى عنه. قال: يأتي على الناس زمان يعرج فيه بعقول الناس، حتى لا تجد فيه أحداً ذا عقل.

عن أيوب السختياني. قال: نبئت أن طاوساً كان يقول: ما رأيت أحداً كان أشد تعظيماً لحرمات الله من ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والله لو أشاء إذا ذكرته أن أبكي لبكيت.

٤٦ ـ عبد الله بن الزبير(١)

[١ ـ ٧٣هـ]

ومنهم الصائل بالحق، القائل بالصدق، المحنك بريق النبوة، المبجل لشرف الأمومة والأبوة، المشاهد في القيام، والمواصل للصيام، ذو السيف الصارم والرأي الحازم، مبارز الشجعان، وحافظ القرآن، التزق بالنبي لزوقاً، والتصق بالصديق لصوقاً، سبط عمة النبي صفيه، وابن أخت زوجته الصِّديقة الوفية، عبد الله بن الزبير، منابذ الغوير، ومحارب الشقير.

عن ابن شهاب. قال: أخبرني القاسم بن محمد بن أبي بكر، أن معاوية أخبر أن عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير خرجوا من المدينة عائذين بالكعبة من بيعة يزيد بن

---

(١) يكنى أبا بكر، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وأذن أبو بكر الصديق في أذنه، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة.

قتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. (الصفوة).

معاوية، قال: فلما قدم معاوية مكة، تلقاه عبد الله بن الزبير بالتنعيم، فضاحكه معاوية وسأله عن الأموال ولم يعرض بشيء من الأمر الذي بلغه، ثم لقي عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فتفاوضا معه في أمر يزيد، ثم دعا معاوية ابن الزبير فقال له: هذا صنيعك أنت استزللت هذين الرجلين وسننت هذا الأمر، وإنما أنت ثعلب رواغ لا تخرج من جحر إلا دخلت في آخر. فقال ابن الزبير: ليس بي شقاق ولكن أكره أن أبايع رجلين، أيكما أطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق؟ فإن كنت مللت الإمارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك. فقام معاوية حين أبوا عليه فقال: ألا إن حديث الناس ذات غور، وقد كان بلغني عن هؤلاء الرهط أحاديث وجدتها كذباً، وقد سمعوا وأطاعوا ودخلوا في صلح ما دخلت فيه الأمة.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: لما مات معاوية تثاقل عبد الله بن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية وأظهر شتمه، فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً، وإلا أرسل إليه. فقيل لابن الزبير ألا نصنع لك غلا من فضة تلبس عليه الثوب وتبر قسمه فالصلح أجمل بك؟ قال: لا أبر والله قسمه، ثم قال:

ولا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال: والله لضربة بسيف في عز، أحب إلي من ضربة بسوط في ذل. ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية.

فبعث إليه يزيد حصين بن نمير الكندي وقال له: يا ابن برذعة الحمار احذر خدائع قريش ولا تعاملهم إلا بالثقاف ثم القطاف، فورد حصين مكة فقاتل بها ابن الزبير وأحرق الكعبة، ثم بلغه موت يزيد فهرب.

فلما مات يزيد دعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم مات مروان فدعا عبد الملك إلى نفسه، فعقد للحجاج في جيش إلى مكة فورد

مكة وظهر على أبي قبيس ونصب عليه المنجنيق، يرمي به ابن الزبير، ومن معه في المسجد، فلما كان الغداة التي قتل فيها ابن الزبير، دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر، وهي يومئذ ابنة مائة سنة، لم يسقط لها سن، ولم يفسد لها بصر، فقالت: يا عبد الله ما فعلت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا وضحك، وقال: إن في الموت لراحة. فقالت أسماء: يا بني لعلك تتمناه لي، ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك؛ إما أن تملك فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك، ثم ودعها فقالت: يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل.

وخرج عنها فدخل المسجد فقيل له: ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: أو حين صلح! هذا والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم، ثم أنشأ يقول:

ولست بمبتاع الحياة بذلة ولا مرتق من خشية الموت سلماً

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول: ليكن أحدكم سيفه كما يكن وجهه، ولا ينكسر سيفه فيدفع عن نفسه بيده كأنه امرأة، والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، وما ألمت جرحاً قط إلا أن يكون ألم الدواء، ثم حمل عليهم ومعه سفيان، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله، فقال الأسود: أخ يا ابن الزانية. فقال له ابن الزبير: أخس يا ابن حام، أسماء زانية! ثم أخرجهم من المسجد فما زال يحمل عليهم ويخرجهم من المسجد ويقول: لو كان قرني واحداً كفيته.

قال: وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوه بالآجر، فأصابته آجرة في مفرقه حتى فلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

قال: ثم وقع فأكب عليه موليان وهما يقولان: العبد يحمي ربه ويحتمي، قال: ثم سير إليه فجز رأسه.

عن أبي إسحاق. قال: أنا حاضر قتل الزبير يوم قتل في المسجد الحرام، جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد، فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهم، فبينا هو على تلك الحالة إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد. فوقعت على رأسه فصرعته، وهو يتمثل بهذه الأبيات يقول:

أسماء إن قتلت لا تبكيني لم يبق إلا حسبي وديني

وصارم لانت به يميني

عن هشام بن عروة وفاطمة بنت المنذر. قالا: خرجت أسماء بنت أبي بكر مهاجرة إلى النبي ﷺ وهي حبلى بعبد الله بن الزبير، فوضعته فلم ترضعه حتى أتت به النبي ﷺ، فأخذه فوضعه في حجره، فطلبوا تمرة يحنكه بها حتى وجدوا، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ، وسماه عبد الله.

عن يعلى التيمي. قال: دخلت مكة بعد ما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام ـ وهو حينئذ مصلوب ـ قال: فجاءت أمه عجوز طويلة مكفوفة البصر، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، فقال الحجاج: المنافق؟ فقالت: والله ما كان منافقاً، إن كان لصواماً قواماً براً. قال: انصرفي يا عجوز فإنك قد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج من ثقيف كذاب ومبير) فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت.

عن مجاهد. قال: كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير رضي الله عنهما، فوقف عليه فقال: رحمك الله فإنك ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم، وإني لأرجو أن لا يعذبك الله عز وجل.

عن عمر بن قيس. قال: كان لابن الزبير مائة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى. فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، فكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

عن ابن أبي مليكة. قال: ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال: كان عفيفاً في الإسلام، قارئاً للقرآن، أبوه الزبير، وأمه أسماء، وجده أبو بكر، وعمته خديجة، وجدته صفية، وخالته عائشة، والله لأحاسبن له نفسي محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر.

عن عمرو بن دينار. قال: ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة، من عبد الله بن الزبير.

عن هشام بن عروة. قال: قال لي ابن المنكدر: لو رأيت ابن الزبير وهو يصلي لقلت: غصن شجرة يصفقها الريح، إن المنجنيق ليقع ها هنا وها هنا ما يبالي.

عن محمد بن عبد الله الثقفي. قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم، فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عز وجل، فحق على الله أن يكرم وفده. فمن كان جاء يطلب ما عند الله، فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل، والنية النية، القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه، فإنها أيام تغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال، ولا دنيا، ترجون ماهنا. ثم لبى ولبى الناس، فما رأيت يوماً قط كان أكثر باكياً من يومئذ.

عن وهب بن كيسان. قال: كتب إليّ عبد الله بن الزبير

بموعظة؛

أما بعد: فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم؛ من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعماء، وذل لحكم القرآن. وإنما الإمام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها، إن نفق الحق عنده حمل إليه، وجاءه أهل الحق، وإن نفق الباطل عنده جاءه أهل الباطل ونفق عنده.

عن وهب بن كيسان. قال: ما رأيت عبد الله بن الزبير يعطي سلمه رجلاً قط لرغبة ولا لرهبة سلطاناً ولا غيره.

عن وهب بن كيسان. قال: كان أهل الشام يعيرون ابن الزبير يقولون له: يا ابن ذات النطاقين، قالت له أسماء: يا بني إنهم ليعيرونك بالنطاقين، وإنما كان نطاق شققته بنصفين، فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما، وأوكيت قربته بالآخر. قال: فكانوا بعد إذا عيروه بالنطاقين يقول: إنها ورب الكعبة.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها



الفصل الثاني
ذكر أهل الصفة

قال الشيخ: قد ذكرنا بعض أحوال فريق من نساك الصحابة وعبادهم، وأقوال جماعة من أئمة الصحابة وأعلامهم، من المشتهرين بالمعبود وذكره، المشغوفين بالفرد ووده. الذين جُعلوا للعارفين والعاملين قدوة، وعلى المفتونين بالدنيا والمقبلين عليها حجة.

ونذكر الآن مستعينين بالله شأن أهل الصفة[1] وأخلاقهم وأحوالهم وتسمية من سمي لنا اسمه بالأسانيد المشهورة، والشواهد المذكورة.

وهم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض. وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء، لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولا يفرحوا إلا بما أيدوا به من العقبى، كانت أفراحهم بمعبودهم ومليكهم وأحزانهم على فوت الاغتنام من أوقاتهم وأورادهم، هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم يأسوا على ما فاتهم، ولم يفرحوا بما آتاهم، حماهم مليكهم عن التمتع بالدنيا والتبسط فيها، لكيلا يبغوا ولا

(١) انظر ـ إن شئت ـ في بيان شأن أهل الصفة تفصيلاً كتاب «أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال» لمهذب الكتاب. نشرته دار القلم بدمشق.

يطغوا، رفضوا الحزن على ما فات، من ذهاب وشتات، والفرح بصاحب نسب إلى بلى ورفات.

قال الشيخ: زوى الله عز وجل عنهم الدنيا، وقبضها إبقاء عليهم وصوناً لهم، لئلا يطغوا. فصاروا في حماه محفوظين من الأثقال، ومحروسين من الأشغال، لا تذهلهم الأموال، ولا تتغير عليهم الأحوال.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر؛ أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن رسول الله ﷺ قال: (من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس) أو كما قال: وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي الله ﷺ بعشرة، هذا حديث صحيح متفق عليه[1].

عن أبي هريرة. قال: مر بي رسول الله ﷺ فقال: (أبا هر؟) فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: (الحق أهل الصفة فادعهم) قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. صحيح متفق عليه[2].

عن طلحة بن عمرو. قال: كان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ وكان له بالمدينة عريف نزل عليه، وإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة. قال: وكنت فيمن نزل الصفة، فوافقت رجلاً وكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مداً من تمر بين رجلين[3].

عن أبي رافع. قال: لما ولدت فاطمة حسينا قالت: يا

---

(١) متفق عليه (خ٦٠٢، م٢٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٨٧، وانظر فتح الباري ١١/ ٢٨٦.

رسول الله ألا أعق عن ابني؟ قال: (لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره ورقا - أو فضة - على الأوفاض والمساكين)[1] يعني بالأوفاض - أهل الصفة.

عن فضالة بن عبيد. قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس، يخر رجال من قامتهم في صلاتهم لما بهم من الخصاصة - وهم أصحاب الصفة - حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين[2].

عن أبي هريرة. قال: كان من أهل الصفة سبعون رجلاً ليس لواحد منهم رداء[3].

عن أبي هريرة. قال: كنت في الصفة، فبعث إلينا النبي ﷺ عجوة، فكنا نقرن الثنتين من الجوع؛ ويقول لأصحابه: إني قد قرنت فاقرنوا.

عن الحسن. قال: بنيت صفة لضعفاء المسلمين، فجعل المسلمون يوغلون إليها ما استطاعوا من خير، فكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول: (السلام عليكم يا أهل الصفة) فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله، فيقول: (كيف أصبحتم؟) فيقولون: بخير يا رسول الله، فيقول: (أنتم اليوم خير من يوم يغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويغدو في حلة ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة) فقالوا: نحن يومئذ خير يعطينا الله تعالى فنشكر. فقال رسول الله ﷺ: (بل أنتم اليوم خير).

قال الشيخ رحمه الله: وكان عدد قاطني الصفة يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال، فربما تفرق عنها، وانتقص طارقوها

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) المسند ٦/ ١٨، وأخرجه الترمذي في الزهد باب (٣٩) الحديث (٢٤٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢).

من الغرباء والقادمين، فيقل عددهم وربما يجتمع فيها واردوها من الوراد والوفود، فينضم إليهم فيكثرون، غير أن الظاهر من أحوالهم، والمشهور من أخبارهم؛ غلبة الفقر عليهم، وإيثارهم القلة واختيارهم لها. فلم يجتمع لهم ثوبان، ولا حضرهم من الأطعمة لونان.

عن أبي هريرة. قال: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته[1].

عن واثلة بن الأسقع. قال: كنت من أصحاب الصفة، وما منا أحد عليه ثوب تام. قد اتخذ العرق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار.

عن محمد بن سيرين. قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قسم ناساً من أهل الصفة بين ناس من أصحابه، فكان الرجل يذهب بالرجل، والرجل يذهب بالرجلين، والرجل يذهب بالثلاثة حتى ذكر عشرة، فكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين منهم يعشيهم.

عن عقبة بن عامر. قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ، ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحاء والعقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين، في غير إثم ولا قطيعة رحم؟) فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: (أو لا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين، وثلاث، وأربع. خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل؟)[2].

قال الشيخ رحمه الله: فحديث عقبة يصرح بأن النبي ﷺ كان

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٣).

يردهم عند العوارض الداعية إلى تمني الدنيا والإقبال عليها، إلى ما هو أليق بحالهم، وأصلح لبالهم، من الاشتغال بالأذكار، وما يعود عليهم من منافع البيان والأنوار، ويعصمون به من المهالك والأخطار، ويستروحون إليه مما يرد من الأماني على الأسرار.

قال الشيخ رحمه الله: وأهل الصفة هم أخيار القبائل والأقطار، ألبسوا الأنوار، فاستطابوا الأذكار، واستراحت لهم الأعضاء والأطوار، واستنارت منهم البواطن والأسرار، بما قدح فيها المعبود من الرضا والأخبار، فأعرضوا عن المشغوفين بما غرهم، ولهوا عن الجامعين لما ضرهم من الحطام الزائل البائد، ومسالمة العدو الحاسد، معتصمين بما حماهم به الواقي الذائد. فاجتزوا من الدنيا بالفلق، ومن ملبوسها بالخرق، لم يعدلوا إلى أحد سواه، ولم يعولوا إلا على محبته ورضاه. رغبت الملائكة في زيارتهم وخلتهم وأُمِر الرسول ﷺ بالصبر على محادثتهم ومجالستهم.

قال الشيخ رحمه الله: فأما أسامي أهل الصفة، فقد رأيت لبعض المتأخرين تتبعاً على ذكرهم وجمعهم على حروف المعجم، وضم إلى ذكرهم فقراء المهاجرين الذين قدمنا ذكرهم. وسألني بعض أصحابنا الاحتذاء على كتابه وفي كتابه أسامي جماعة موهوم فيها، لأن جماعة عرفوا من أهل القبة نسبوا إلى أهل الصفة وهو تصحيف من بعض النقلة، وسنبين ذلك إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى. فممن بدأنا بذكره:

٤٧ ـ أوس بن أوس الثقفي

وقيل: أوس بن حذيفة. ونسبه إلى أهل الصفة وهو وهم، فإنه قدم وافداً مع وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في آخر عهده، وهو من المالكيين مع الأحلاف، الذين أنزلهم النبي ﷺ القبة لا الصفة.

٤٨ ـ أسماء بن حارثة

[ت٦٠هـ]

وذكر: أسماء بن الحارثة الأسلمي أخا هند، فكان أبو هريرة يقول: ما كنت أرى أسماء وهنداً إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول لزومهما بابه وخدمتهما له، قال بعض المتأخرين: هو من أهل الصفة.

عن عبد الله بن محمد البغوي قال: رأيت في كتاب محمد بن سعد الواقدي: أسماء بن حارثة، صحب النبي ﷺ فكان من أهل الصفة، توفي بالبصرة سنة ستين وهو يومئذ ابن ثمانين سنة.

٤٩ ـ الأغر المزني

وذكر: الأغر المزني، ونسب إلى موسى بن عقبة من غير إسناد أنه من أهل الصفة.

٥٠ ـ البراء بن مالك[(١)]

وذكر: البراء بن مالك الأنصاري أخا أنس بن مالك، وحكى محمد بن إسحاق أنه من أهل الصفة ولم يذكر إسناده، والبراء شهد أحداً فما دونه من المشاهد، استشهد يوم تستر وكان طيب القلب يميل إلى السماع ويستلذ الترنم، أحد الشجعان والفرسان.

عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: (رب أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك)[(٢)] فلما كان يوم تستر انكشف الناس، فقالوا: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك. قال: فاستشهد.

---

(١) هو أخو أنس بن مالك لأبيه وأمه، شهد أحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ وكان شجاعاً، قتل مائة مبارزة، استشهد يوم تُستر. (الصفوة).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤).

عن أنس بن مالك. قال: استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنم. فقال له أنس: أي أخي. فاستوى جالساً فقال: أتراني أموت على فراشي، وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت في قتله.

٥١ ـ ثابت بن الضحاك

وذكر: ثابت بن الضحاك الأنصاري، أبا زيد الأشهلي، ونسبه إلى أهل الصفة، وهو من أهل الشجرة أنصاري الدار، ليس من أهل الصفة بشيء.

٥٢ ـ ثابت بن وديعة

وذكر: ثابت بن وديعة الأنصاري، ونسبه إلى أهل الصفة، وإنما نزل الكوفة لا الصفة.

٥٣ ـ ثقيف بن عمرو

وذكر: ثقيف بن عمرو بن شميط الأسدي، من حلفاء بني أمية استشهد بخيبر، نسبه إلى أهل الصفة حكاه عن خليفة بن خياط.

٥٤ ـ جرهد بن خويلد

وذكر: جرهد بن خويلد وقيل ابن رزاح الأسلمي، سكن الصفة متطرقاً شهد الحديبية.

عن زرعة بن عبد الرحمن بن جرهد، عن أبيه. قال: كان جرهد من أصحاب الصفة، وأنه قال: جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي منكشفة. فقال: (أما علمت أن الفخذ عورة).

٥٥ ـ جعيل بن سراقة

وذكر: جعيل بن سراقة الضمري، وسكن الصفة.

عن محمد إبراهيم بن الحارث التيمي؛ أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: أعطيت يا رسول الله عيينة والأقرع مائة مائة، وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟ فقال رسول الله ﷺ: (أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتهما ليسلما، ووكلت جعيلاً إلى إسلامه)(١).

٥٦ ـ جارية بن جميل

وذكر: جارية بن جميل بن شبة بن قرط، من أهل الصفة، حكاه عن الدارقطني، وذكره عن ابن جرير أن له صحبة.

٥٧ ـ حذيفة بن أسيد

وذكر: حذيفة بن أسيد أبا سريحة الغفاري، من أهل الصفة شهد الشجرة.

٥٨ ـ حبيب بن زيد

وذكر: حبيب بن زيد بن عاصم الأنصاري الأزدي، من بني النجار، ونسبه إلى أهل الصفة، وصحب، وإنما هو من أهل العقبة.

أخذه مسيلمة الكذاب، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم! فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فقطعه مسيلمة وكانت أم حبيبة اسمها نسيبة، من أهل العقبة، فخرجت في خلافة أبي بكر مع المسلمين إلى مسيلمة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت إلى المدينة وبها عشر جراحات من طعنة وضربة.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤٩٦.

٥٩ ـ حارثة بن النعمان[١]

وذكر: حارثة بن النعمان الأنصاي النجاري في أهل الصفة[٢]، وحكاه عن أبي عبد الرحمن النسائي، وكان من أهل بدر، وأحد الثمانين الذين ثبتوا يوم حنين ولم يفروا، وأصيب ببصره في آخر عمره.

٦٠ ـ حازم بن حرملة

وذكر: حازم بن حرملة الأسلمي، ونسبه إلى الصفة، من قبل الحسن بن سفيان.

٦١ ـ حنظلة بن أبي عامر

وذكر: حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري[٣]، ونسبه إلى أهل الصفة من قبل أبي موسى محمد بن المثنى، وهو غسيل الملائكة.

٦٢ ـ حجاج بن عمرو

وذكر: حجاج بن عمرو الأسلمي، ونسبه إلى أهل الصفة، وأحال به على أبي عبد الله الحافظ وهو وهم. لأن حجاجاً الأسلمي هو حجاج بن مالك أبو حجاج بن حجاج، وحجاج بن عمرو هو المازني الأنصاري، ولا يعرف لواحد منهم ذكر في أهل الصفة.

---

(١) يكنى أبا عبد الله، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ توفي في خلافة معاوية.
قال ابن سعد: وقال الواقدي: كانت لحارثة منازل قرب منازل النبي ﷺ بالمدينة، فكان كلما أحدث النبي ﷺ أهلاً تحول له حارثة عن منزل بعد منزل (الصفوة).

(٢) من المعلوم أن الصفة لم ينزلها أنصاري.

(٣) من المعلوم أن الصفة لم ينزلها أنصاري.

٦٣ ـ الحكم بن عمير

وذكر: الحكم بن عمير الثمالي، ونسبه إلى أهل الصفة، سكن الشام.

٦٤ ـ حرملة بن أياس

وذكر: حرملة بن إياس في أهل الصفة، ونسبه إلى خليفة بن خياط. وقيل: هو حرملة بن عبد الله العنبري.

٦٥ ـ خنيس بن حذافة

وذكر: خنيس بن حذافة السهمي، في أهل الصفة؟ حكاه عن أبي طالب الحافظ ومحمد بن إسحاق بن يسار.

وخنيس من المهاجرين الأولين. زوجته حفصة بنت عمر من مهاجرة الحبشة. وشهد بدراً. توفي بالمدينة في أول الإسلام وتأيمت منه حفصة، وتزوجها رسول الله ﷺ.

٦٦ ـ خالد بن يزيد

(أبو أيوب الأنصاري)

وذكر: خالد بن يزيد أبا أيوب الأنصاري، في أهل الصفة، وقال: قاله محمد بن جرير. وأبو أيوب هو صاحب الدار المشهورة، التي نزل عليه العَلَم المنشور رسول الله ﷺ، حين قدم المدينة، إلى أن بنى المسجد والحجرة، وداره اليوم أيضاً بالمدينة مذكورة. استغنى عن الصفة ونزولها. شهد بدراً والعقبة، وهو من أهل العقبة لا من أهل الصفة. توفي بالقسطنطينية ودفن في أصل سورها.

٦٧ ـ خريم بن فاتك

وذكر: خريم بن فاتك الأسدي، من أهل الصفة، ونَسَبه إلى

أحمد بن سليمان المروزي. وخريم شهد بدراً، وهو الذي هتف به الهاتف حين جنه الليل بابرق العراق فقال:

ويحك عذ بالله ذي الجلال والمجد والبقاء والأفضال

واقرأ الآيات من الأنفال ووحد الله ولا تبالي

فعمد إلى المدينة فقدمها، فوافق النبي ﷺ على منبره قائماً يخطب، فأسلم وشهد معه بدراً.

٦٨ ـ خريم بن أوس

وذكر: خريم بن أوس الطائي، في أهل الصفة، ونسبه إلى أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني. وخريم من المهاجرين، وهو الذي ـ لما أن أخبر النبي أصحابه أن الحيرة رفعت له فرأى الشيماء بنت بقيلة معتجرة بخمار أسود على بغلة شهباء ـ قال: يا رسول الله إن نحن فتحناها فوجدناها على هذه الصفة هي لي؟ قال: (هي لك)! ثم سار مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فقتلوا مسيلمة، ثم سار معه نحو الطف حتى دخلوا الحيرة، فكان أول من لقيهم فيها بنت بقيلة على البغلة الشهباء كما نعتها رسول الله ﷺ، فتعلق بها خريم وادعاها، فشهد له محمد بن مسلمة. وعبد الله بن عمر، فسلمها إليه خالد بن الوليد. فنزل إليها أخوها عبد المسيح فقال له: بعنيها. فقال: لا أنقصها والله من عشر مائة، فدفع إليه ألفاً. وقال: لو قلت مائة ألف لدفعتها إليك. فقال: ما كنت أحسب أن مالاً أكثر من عشر مائة.

٦٩ ـ خبيب بن يساف

وذكر: خبيب بن يساف بن عتبة أبا عبد الرحمن، في أهل الصفة، حكاه عن أبي عبد الله الحافظ النيسابوري، وحكى عن أبي بكر بن أبي داود أنه من أهل بدر.

٧٠ ـ دكين بن سعيد

وذكر: دكين بن سعيد المزني، وقيل الخثعمي، من أهل الصفة، سكن الكوفة، قدم على النبي ﷺ في أربعمائة نفر يستطعمونه فأطعمهم وزودهم.

قال الشيخ رحمه الله: لا أعلم لاستيطانه الصفة ونزولها أثراً صحيحاً.

٧١ ـ رفاعة أبو لبابة

وذَكَر: رفاعةَ أبا لبابة الأنصاري، وقيل: اسمه بشير بن عبد المنذر، من بني عمرو بن عوف، في أهل الصفة، نسبه إلى عبد الله الحافظ النيسابوري. كان رفاعة بدرياً بسهمه.

٧٢ ـ أبو رزين

وذكر: أبا رزين في أهل الصفة، واستشهد بحديث رواه عمر بن بكر السكسكي، عن محمد بن يزيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن النبي ﷺ؛ أنه قال لرجل من أهل الصفة يكنى أبا رزين: (يا أبا رزين، إذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله، فإنك لا تزال في صلاة ما ذكرت ربك، إن كنت في علانية فصلاة العلانية، وإن كنت خالياً، فصلاة الخلوة؛ ياأبا رزين، إذا كابد الناس قيام الليل وصيام النهار. فكابد أنت النصيحة للمسلمين، يا أبا رزين، إذا أقبل الناس على الجهاد في سبيل الله، فأحببت أن يكون لك مثل أجورهم فالزم المسجد تؤذن فيه لا تأخذ على أذانك أجراً).

٧٣ ـ زيد بن الخطاب

وذكر: زيد بن الخطاب في أهل الصفة، من قول أبي عبد الله الحافظ. وزيد قتل شهيداً يوم مسيلمة، وشهد بدراً يكنى أبا عبد الرحمن.

عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال عمر لأخيه زيد يوم أحد: خذ درعي. قال: إني أريد من الشهادة مثل ما تريد، فتركاها جميعاً.

٧٤ ـ سفينة أبو عبد الرحمن

وذكر: سفينة أبا عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ، في أهل الصفة، حكاه عن يحيى بن سعيد القطان، أعتقته أم سلمة على أن يخدم رسول الله ﷺ ما عاش، فخدمه عشر سنين. وكان بهم خليطاً ولهم أليفاً.

عن سفينة. قال: اشترتني أم سلمة وأعتقتني واشترطت عليّ أن أخدم النبي ﷺ ما عشت. فقلت: أنا ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت.

عن سعيد بن جمهان. قال: سألت سفينة عن اسمه. فقال: إني مخبرك باسمي، سماني رسول الله ﷺ سفينة، قلت: لم سماك سفينة؟ قال: خرج ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم فقال: (ابسط كساءك) فبسطته فجعل فيه متاعهم، ثم حمله علي فقال: (احمل ما أنت إلا سفينة) قال: فلو حملت يومئذ وقر بعير، أو بعيرين أو خمسة، أو ستة، ما ثقل عليّ.

عن سفينة مولى رسول الله ﷺ: قال: ركبت سفينة في البحر فانكسرت، فركبت لوحاً منها فطرحني في أجمة فيها أسد. قال: فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ. قال: فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه ـ أو بكتفه ـ حتى وضعني على الطريق، فلما وضعني على الطريق همهم. فظننت أنه يودعني.

٧٥ ـ سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري)

وذكر: سعد بن مالك، أبا سعيد الخدري، في أهل الصفة.

وقال: قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، وحاله قريب من حال أهل الصفة، وإن كان أنصاري الدار لإيثاره التصبر، واختياره للفقر والتعفف.

٧٦ ـ سالم بن عبيد الأشجعي

وذكر: سالم بن عبيد الأشجعي سكن الصفة، ثم انتقل إلى الكوفة ونزلها.

٧٧ ـ سالم بن عمير

وذكر: سالم بن عمير في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله، شهد بدراً، من الأوس من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف، كان أحد التوابين، فيه وفي أصحابه نزلت: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[1].

٧٨ ـ السائب بن خلاد

وذكر: السائب بن خلاد في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ.

٧٩ ـ شقران مولى رسول الله ﷺ

وذكر: شقران مولى رسول الله ﷺ في أهل الصفة، وقال: قاله جعفر بن محمد الصادق.

٨٠ ـ شداد بن أسيد

وذكر: شداد بن أسيد في أهل الصفة، حكاه عمرو بن قيظي بن عامر بن شداد عن أبيه عن جده، أنه قدم على النبي ﷺ فأسكنه الصفة.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٩٢).

٨١ ـ صفوان بن بيضاء

وذكر: صفوان بن بيضاء في أهل الصفة، حكاه عن أبي عبد الله الحافظ. وهو أحد بني فهر شهد بدراً، بعثه النبي ﷺ في سرية عبد الله بن جحش.

٨٢ ـ طخفة بن قيس

وذكر: طخفة بن قيس الغفاري، في أهل الصفة، سكن المدينة ومات في الصفة.

٨٣ ـ طلحة بن عمرو

وذكر: طلحة بن عمرو البصري نزل الصفة، وسكن البصرة.

عن طلحة بن عمرو. قال: كان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ، إن كان له عريف بالمدينة نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة. قال: فكنت فيمن نزل الصفة. فرافقت رجلاً فكان يجرى علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مد من تمر بين رجلين، فسلم ذات يوم من الصلاة فناداه رجل منا فقال: يا رسول الله قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت عنا الخنف[1] ـ والخنف برود شبه اليمانية ـ قال: فمال النبي ﷺ إلى منبره فصعده، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر ما لقي من قومه. فقال: (لقد مكثت أنا وصاحبي بضعة عشر ليلة ما لنا طعام إلا البرير ـ والبرير ثمر الأراك ـ قال: فقدمنا على إخواننا من الأنصار وعظم طعامهم التمر، فواسانا فيه. فوالله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن لعلكم تدركون زماناً ـ أو من أدركه منكم ـ تلبسون فيه مثل أستار الكعبة ويغدى ويراح عليكم بالجفان) السياق لوهب بن بقية.

---

(١) الخنف: نوع رديء من الكتان.

٨٤ ـ الطفاوي الدوسي

وذكر: الطفاوي الدوسي في أهل الصفة، قال: وقاله أبو نضرة.

٨٥ ـ أبو هريرة

وذكر: عبد شمس، وقيل عبد الرحمن بن صخر، أبا هريرة الدوسي.

وهو أشهر من سكن الصفة، واستوطنها طول عمر النبي ﷺ، ولم ينتقل عنها، وكان عريف من سكن الصفة من القاطنين، ومن نزلها من الطارقين. كان النبي ﷺ إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لطعام حضره، تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم، ويجمعهم لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم، كان أحد أعلام الفقراء والمساكين، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد. أعرض عن غرس الأشجار، وجري الأنهار، وعن مخالطة الأغنياء والتجار. فارق المنقطع المحدود، منتظراً للمنتفع به من تحف المعبود. زهد في لبس اللين والحرير، فعوض من حكم الخبير.

عن مجاهد؛ أن أبا هريرة كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد على كبدي من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله تعالى، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ وتبسم، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله! قال: (الحقْ) ثم مضى واتبعته، فدخل واستأذنت وأذن لي، فدخلت فوجد لبناً في قدح فقال:(من أين هذا اللبن؟) فقالوا: أهداه لك فلان ـ أو فلانة ـ فقال: (يا أبا هر) فقلت:

لبيك يا رسول الله! قال: (الحق أهل الصفة فادعهم) قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلون على أحد ولا مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها[1].

عن أبي هريرة. قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ، وبين حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها، فيقول الناس: إنه مجنون وما بي جنون، ما بي إلا الجوع[2].

عن أبي هريرة. قال: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لابنة غزوان، بطعام بطني وعقبة رجلي، أحدو بهم إذا ركبوا، وأحتطب إذا نزلوا، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة أماماً[3].

عن سالم بن بشر بن جحل؛ أن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، وأني أصبحت في صعود، مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي.

٨٦ ـ عبد الله بن عبد الأسد المخزومي

[ت٣هـ]

وذكر: عبد الله بن عبد الأسد، أبا سلمة المخزومي، في أهل الصفة، وقال: قاله عبد الله بن المبارك. وهو ممن هاجر الهجرتين، توفي بعد منصرفه من أحد انتقض به جرح كان أصابه بأحد فقضى منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٤).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٥).

٨٧ ـ عبد الله بن حوالة الأزدي

وذكر: عبد الله بن حوالة الأزدي في أهل الصفة، وهو ممن سكن الشام حكاه عن أبي عيسى الترمذي.

٨٨ ـ عبد الله بن أم مكتوم

وذكر: عبد الله بن مكتوم، في أهل الصفة، وقال: قاله أبو رزين. قدم المدينة بعد بدر بيسير فنزل الصفة مع أهلها، فأنزله النبي ﷺ دار الغذاء، وهي دار مخرمة بن نوفل، وهو الذي نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾[1].

٨٩ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري

وذكر: عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، أبا جابر، في أهل الصفة، وقال: قاله أحمد بن هلال الشطوي. وهو المستشهد بأحد، الذي أحياه الله تعالى فكلمه كفاحاً. عقبي بدري من النقباء[2].

٩٠ ـ عبد الله بن أنيس

وذكر: عبد الله بن أنيس، في أهل الصفة، وقال: قاله أبو عبد الله الحافظ النيسابوري. وكان من جهينة، سكن البادية وكان ينزل في رمضان إلى المدينة ليلة، فيسكن المسجد والصفة ليلته، صاحب المخصرة، أعطاه النبي ﷺ مخصرته ليلقاه بها يوم القيامة.

عن عبد الله بن أنيس؛ أنه كان ينزل حول المدينة، فسأل النبي ﷺ، فقال: مرني بليلة من الشهر أحضر فيها المسجد، فأمره بليلة ثلاث وعشرين من رمضان، فكان إذا جاء تلك الليلة حشد أهل المدينة تلك الليلة[3].

---

(١) سورة عبس، الآيتان (١ ـ ٢).
(٢) سبق أنه لم ينزل الصفة أحد من الأنصار.
(٣) أخرجه أبو داود (١٣٨٠).

عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن أنيس الجهني؛ أن رسول الله ﷺ قال: (من لي بخالد بن نبيح) رجل من هذيل، وهو يومئذ قبل عرفة بعرنة، قال عبد الله بن أنيس: أنا يا رسول الله إنعته لي، قال: (إذا رأيته هبته) قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق، ما هبت شيئاً قط.

قال: فخرج عبد الله بن أنيس، حتى أتى جبال عرفة فلقيه قبل أن تغيب الشمس، قال عبد الله: فلقيت رجلاً فرعبت منه، حين رأيته، فعرفت حين قربت منه أنه ما قال رسول الله، فقال لي: من الرجل؟ فقلت: باغي حاجة هل من مبيت؟ قال: نعم فالحق، فرحت في أثره فصليت العصر ركعتين خفيفتين وأشفقت أن يراني، ثم لحقته فضربته بالسيف.

ثم خرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته،

فقال محمد بن كعب: فأعطاه رسول الله ﷺ مخصرة فقال: (تخصر بهذه حتى تلقاني بها يوم القيامة، وأقل الناس المتخصرون) قال محمد بن كعب: فلما توفي عبد الله بن أنيس، أمر بها فوضعت على بطنه وكفن ودفن ودفنت معه.

٩١ ـ عبد الله بن زيد الجهني

وذكر: عبد الله بن زيد الجهني، في أهل الصفة، من قبل الحافظ أبي عبد الله النيسابوري. وقال الواقدي: كان أحد الأربعة الذين كانوا يحملون ألوية جهينة يوم الفتح، توفي في زمن معاوية.

٩٢ ـ عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي

وذكر: عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، في أهل الصفة، انتقل إلى مصر، وقيل إنه ابن أخي محمية بن جزء الزبيدي، عمي في

آخر أيامه، وكان مكفوفاً اكتفى عن رؤية الأناس بالأنس بذكر الله وتقديسه.

٩٣ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب

وذكر: عبد الله بن عمر بن الخطاب، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله النيسابوري الحافظ، وذكرنا بعض كلامه وأحواله، وأنه كان من أحلاس المسجد يأوي إليه ويسكنه[١].

٩٤ ـ عبد الرحمن بن قرط

وذكر: عبد الرحمٰن بن قرط عنه.

٩٥ ـ عبد الرحمن بن جبر بن عمرو

وذكر: عبد الرحمن بن جبر بن عمرو، أبا عبيس الأنصاري الحارثي، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله النيسابوري الحافظ.

٩٦ ـ عقبة بن عامر الجهني

وذكر: عقبة بن عامر الجهني في أهل الصفة، وكان ممن خالطهم سكن مصر وتوفي بها.

٩٧ ـ عباد بن خالد الغفاري

وذكر: عباد بن خالد الغفاري، في أهل الصفة، حكاه عن الواقدي، وقال: هو الذي نزل بالسهم في البئر يوم الحديبية.

٩٨ ـ عمرو بن عوف المزني

وذكر: عمرو بن عوف المزني، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ.

---

(١) سبقت ترجمته برقم (٤٤).

٩٩ ـ عمرو بن تغلب

وذكر: عمرو بن تغلب نزل الصفة وسكن البصرة.

عن الحسن عن عمرو بن تغلب. قال: لقد قال رسول الله ﷺ كلمة، كانت أحب إلي من حمر النعم، خرج إلى أهل الصفة ذات يوم فقال: (إني معط أقواماً مخافة هلعهم وجزعهم وأمنع آخرين أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم، منهم عمرو بن تغلب)[١].

١٠٠ ـ عويم بن ساعدة الأنصاري

وذكر: عويم بن ساعدة الأنصاري، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله النيسابوري، وهو ممن شهد بدراً، من حلفاء بني عمرو بن عوف، وقيل من أنفسهم.

١٠١ ـ عبيد مولى رسول الله ﷺ

وذكر: عبيد مولى رسول الله ﷺ، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ. وقال عبيد: هو أبو عامر الأشعري وقتل يوم حنين، وأبو عامر ليس هو عبيد الذي هو مولى رسول الله ﷺ.

١٠٢ ـ عكاشة بن محصن الأسدي

وذكر: عكاشة بن محصن الأسدي، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ. وعكاشة قتل يوم بزاخة، قتله طليحة في أيام الردة.

١٠٣ ـ العرباض بن سارية

وذكر: العرباض بن سارية، في أهل الصفة، وكان من البكائين،

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٣) ولم يذكر أهل الصفة.

فيه وفي أصحابه نزلت: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله: وممن ذكرهم ابن الأعرابي في أهل الصفة في حرف العين ولم يذكرهم السلمى.

١٠٤ ـ عبد الله بن حبشي الخثعمي

عبد الله بن حُبشي الخثعمي، ذكره أبو سعيد بن الأعرابي.

١٠٥ ـ عتبة بن عبد السلمي

وعتبة بن عبد السلمي، ذكره أبو سعيد بن الأعرابي، في أهل الصفة.

عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد قال: استكسيت النبي ﷺ، فكساني خيشتين، رأيتني ألبسهما وأنا أكسى أصحابي.

١٠٦ ـ عتبة بن الندر السلمي

وعتبة بن الندر السلمي، ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في أهل الصفة.

١٠٧ ـ عمرو بن عبسة السلمي

وعمرو بن عبسة السلمي، ذكره أبو سعيد الأعرابي في أهل الصفة.

١٠٨ ـ عبادة بن قرص

وعبادة بن قرص وقيل قرط، ذكره ابن الأعرابي في أهل الصفة.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٩٢).

عن حميد بن هلال قال: قال عبادة بن قرص: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

١٠٩ ـ عياض بن حمار المجاشعي

وعياض بن حمار المجاشعي، ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في أهل الصفة.

١١٠ ـ فضالة بن عبيد الأنصاري

وفضالة بن عبيد الأنصاري، ذكره ابن الأعرابي في أهل الصفة.

عن فضالة بن عبيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس، يخر رجال من قامتهم في الصلاة، لما بهم من الخصاصة، وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب إن هؤلاء مجانين، فإذا قضى رسول الله ﷺ صلاته انصرف إليهم فيقول: (لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أنكم تزدادون حاجة وفاقة) وقال فضالة: فأنا مع رسول الله ﷺ يومئذ[١].

عن فضالة بن عبيد أنه كان يقول: لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

١١١ ـ فرات بن حيان العجلي

وفرات بن حيان العجلي، ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في أهل الصفة، ونسبه إلى سفيان الثوري.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٦٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٢٧).

١١٢ ـ أبو فراس الأسلمي

وذكر: أبا فراس الأسلمي في أهل الصفة، وقال: قاله محمد بن عمرو بن عطاء.

١١٣ ـ قرة بن إياس المزني

وقرة بن إياس المزني أبو معاوية، ذكره ابن الأعرابي في أهل الصفة.

١١٤ ـ كناز بن الحصين

وذكر: كناز بن الحصين، أبا مرثد الغنوي، في أهل الصفة، ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وقال: قاله الواقدي وأبو عبد الله الحافظ، شهد بدراً حليف حمزة بن عبد المطلب.

١١٥ ـ كعب بن عمرو

وذكر: كعب بن عمرو، أبا اليسر الأنصاري، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ. وهو ممن شهد بدراً.

١١٦ ـ أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ

وذكر: أبا كبشة مولى رسول الله ﷺ في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ.

١١٧ ـ مسطح بن أثاثة أبو عباد

وذكر: مسطح بن أثاثة، أبا عباد، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ. وله ذكر في حديث الإفك، وهو الذي كان الصديق ينفق عليه لفقره وقرابته، فلما خاض فيما خاض، آلى أن لا ينفق عليه، فلما نزلت ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]. عاد أبو بكر إلى الإنفاق وقال: بلى أنا أحب أن يغفر الله تعالى لي.

---

(١) سورة النور، الآية (٢٢).

١١٨ ـ مسعود بن الربيع القاري

وذكر: مسعود بن الربيع القاري، في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ.

١١٩ ـ معاذ أبو حليمة القارئ

وذكر: معاذ أبا حليمة القارئ في أهل الصفة، من قبل أبي عبد الله الحافظ.

١٢٠ ـ واثلة بن الأسقع(١)

وذكر: واثلة بن الأسقع في أهل الصفة، وكان من سكانها، قاله الواقدي ويحيى بن معين. وقال الواقدي: أسلم واثلة والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك.

عن واثلة بن الأسقع. قال: كنا أصحاب الصفة في مسجد رسول الله ﷺ، وما فينا رجل له ثوب، ولقد اتخذ العرق في جلودنا طوقاً من الغبار، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (ليبشر فقراء المهاجرين ثلاثاً).

عن واثلة بن الأسقع. قال: كنت مع أصحاب الصفة، فشكى أصحابي الجوع، فقالوا: يا واثلة اذهب إلى رسول الله ﷺ استطعم لنا رسول الله، فذهبت فقلت: يا رسول الله، إن أصحابي يشكون الجوع. فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة هل عندك من شيء؟) قالت: يا رسول الله، ما عندي إلا فتات خبز، قال: (هاتيه) فجاءت بجراب، فدعا رسول الله ﷺ بصحفة فأفرغ الخبز في الصحفة، ثم جعل يصلح الثريد بيده، وهو يربو حتى امتلأت الصحفة، فقال: (يا واثلة اذهب

---

(١) كان واثلة من أهل الصفة، فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام، فمات بها سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة. (الصفوة).

فجيء بعشرة من أصحابك وأنت عاشرهم) فذهبت فجئت بعشرة من أصحابي وأنا عاشرهم، فقال: (اجلسوا خذوا بسم الله، خذوا من حواليها ولا تأخذوا من أعلاها، فإن البركة تنحدر من أعلاها) فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا وفي الصحفة مثل ما كان فيها، ثم جعل يصلحها بيده وهي تربو حتى امتلأت الصحفة فقال: (يا واثلة اذهب فجيء بعشرة من أصحابك) فذهبت فجئت بعشرة فقال: (اجلسوا) فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا ثم قال: (اذهب فجيء بعشرة من أصحابك) فذهبت وجئت بعشرة، ففعلوا مثل ذلك فقال: (هل بقي أحد؟) قلت: نعم عشرة. قال: (اذهب فجيء بهم) فذهبت فجئت بهم، فقال: (اجلسوا) فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا وبقي في الصحفة مثل ما كان، ثم قال: (يا واثلة اذهب بها إلى عائشة).

عن واثلة. قال: كنت من فقراء المسلمين من أهل الصفة، فأتى رسول الله ﷺ ذات يوم، قال: (كيف أنتم بعدي إذا شبعتم من خبز البر والزيت، فأكلتم ألوان الطعام، ولبستم أنواع الثياب فأنتم اليوم خير أم ذاك؟) قال: قلنا ذاك، قال: (بل أنتم اليوم خير) قال واثلة: فما ذهبت بنا الأيام، حتى أكلنا ألوان الطعام ولبسنا أنواع الثياب وركبنا المراكب.

١٢١ ـ وابصة بن معبد الجهني

وذكر: وابصة بن معبد الجهني في أهل الصفة، قال أيوب بن مكرر: كان وابصة يجالس الفقراء، ويقول: هم إخواني على عهد رسول الله ﷺ، ونزل وابصة الرقة وعقبه بها.

١٢٢ ـ هلال مولى المغيرة بن شعبة

وذكر: هلالاً مولى المغيرة بن شعبة.

١٢٣ ـ يسار أبو فكيهة

وذكر: يساراً: أبا فكيهة، مولى صفوان بن أمية في أهل الصفة، وقد قاله محمد بن إسحاق.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمه الله: قد أتينا على من ذكرهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، ونسبهم إلى توطين الصفة ونزولها، وهو أحد من لقيناه، وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه، على ما بينه الأوائل من السلف، مقتد بسمتهم، ملازم لطريقتهم، متبع لآثارهم، مفارق لما يؤثر عن المتخرمين المتهوسين من جهال هذه الطائفة، منكر عليهم، إذ حقيقة هذا المذهب عنده: متابعة الرسول ﷺ فيما بلغ وشرع، وأشار إليه وصدع، ثم القدوة المتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار، وحكام الفقهاء.

ولذلك ضممت إليه ما ذكره: الأغر الأبلج، أبو سعيد بن الأعرابي، رحمه الله، وكان أحد أعلام رواة الحديث والمتصوفة، وله التصانيف المشهورة في سيرة القوم وأحوالهم والسياحة والرياضة واقتباس آثارهم.

وأقتفي في باقي الكتاب من ذكر التابعين حذوه، إذ هو شرع في تأليف طبقات النساك.

وأقتصر إن شاء الله تعالى على ذكر جماعة من كل طبقة وأذكر لهم حديثاً مسنداً إن وجد، وحكاية وحكايتين إلى الثلاث، إن شاء الله تعالى، مستعيناً به ومعتمداً على جميل كفايته إذ هو الولي والمعين.

(ذكر جماعة من سكان الصفة وقطان المسجد ترك ذكرهم السلمي وابن الأعرابي فمنهم).

١٢٤ ـ بشير بن الخصاصية

وهو بشير بن معبد بن شراحيل بن سبع بن ضبار ابن سدوس، كان اسمه في الجاهلية: نذيراً وقيل زحم، هاجر إلى النبي ﷺ فسماه بشيراً وأنزله الصفة.

عن الجهدمة امرأة بشير بن الخصاصية، قالت: حدثنا بشير قال: أتيت رسول الله ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، ثم قال لي: ما اسمك؟ قلت: نذير. قال: (بل أنت بشير) قال: فأنزلني الصفة، فكان إذا أتته الهدية أشركنا فيها، وإذا أتته صدقة صرفها إلينا.

١٢٥ ـ أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ

وأبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ، كان يبيت في المسجد ويخالط أهل الصفة.

١٢٦ ـ أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ

وأبو عسيب مولى رسول الله ﷺ، كان يبيت في المسجد ويخالط أهل الصفة.

١٢٧ ـ أبو ريحانة شمعون الأزدي

وأبو ريحانة شمعون الأزدي وقيل الأنصاري، كان من الذابين المجتهدين معدود في أهل الصفة.

١٢٨ ـ أبو ثعلبة الخشني

وأبو ثعلبة الخشني من عباد الصحابة، له في جملة أهل الصفة ذكر ومدخل.

١٢٩ ـ ربيعة بن كعب الأسلمي

وربيعة بن كعب الأسلمي، كان من أحلاس المسجد، الملازمين لخدمة رسول الله ﷺ، له بأهل الصفة اتصال.

١٣٠ ـ أبو برزة الأسلمي

وأبو برزة الأسلمي، نضلة بن عبيد، من المستهينين بالدينا المشتهرين بالذكر، دخل الصفة ولابس أهلها.

عن أبي المنهال. قال: لما كان زمن خرج ابن زياد، وثب مروان بالشام، وابن الزبير بمكة، ووثب الذين كانوا يدعون القراء بالبصرة، غمَّ أبي غما شديداً ـ وكان يثني على أبيه خيراً ـ قال: قال لي انطلق إلى هذا الرجل الذي من أصحاب رسول الله ﷺ، إلى أبي برزة الأسلمي فانطلقت معه، حتى دخلنا عليه في داره، وإذا هو في ظل علو له من قصب، في يوم شديد الحر، فجلست إليه. قال فانشأ أبي يستطعمه الحديث، وقال: يا أبا برزة ألا ترى؟ قال: فكان أول شيء تكلم به أن قال: إني أحتسب عند الله عز وجل أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، وأنكم معشر العرب، كنتم على الحال الذي قد علمتم من جهالتكم والقلة والذلة والضلالة، وأن الله عز وجل نعشكم بالإسلام، وبمحمد ﷺ خير الأنام، حتى بلغ بكم ما ترون، وأن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم، وإن ذاك الذي بالشام، والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن الذين حولكم الذين تدعونهم قراءكم، والله لن يقاتلوا إلا على الدينا، قال: فلما لم يدع أحداً، قال له أبي: بما تأمر إذاً؟ قال: لا أرى خير الناس اليوم إلا عصابة ملبدة؛ خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم.

١٣١ ـ معاوية بن الحكم السلمي

ومعاوية بن الحكم السلمي نزل الصفة.

عن معاوية بن الحكم. قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ في الصفة، فجعل يوجه الرجل من المهاجرين مع الرجل من الأنصار، والرجلين والثلاثة، حتى بقيت في أربعة ورسول الله ﷺ خامسنا، فقال

لهم رسول الله ﷺ: (انطلقوا بنا) فلما جئنا قال: (يا عائشة عشينا) فجاءت بجشيشة فأكلنا ثم قال: (يا عائشة أطعمينا) فجاءت بحيسة فأكلنا، ثم قال: (يا عائشة اسقينا) فجاءت بجريعة من لبن فشربنا، ثم قال: (يا عائشة اسقينا) فجاءت بعس من ماء فشربنا. ثم قال: (من شاء منكم أن ينطلق إلى المسجد فلينطلق، ومن شاء منكم بات ها هنا) قال: فقلنا بل ننطلق إلى المسجد. قال: فبينا أنا نائم على بطني إذا برجل يرفسني برجله في جوف الليل، فرفعت رأسي فإذا هو رسول الله ﷺ فقال: (قم فإن هذه ضجعة يبغضها الله عز وجل).

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله: وكان يزور أهل الصفة بعد النبي ﷺ الأكابر من الأقارب والأشراف، يتبركون بما خصوا به من الألطاف، وعصموا به من الإسراف والإتراف[1].

عن زيد بن أسلم، عن أبيه. قال: دعا عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب فسارَّه، ثم قام علي فجاء الصفة، فوجد العباس وعقيلا والحسين، فشاورهم في تزوج أم كلثوم عمر، ثم قال علي: أخبرني عمر: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي).

قال الشيخ رحمه الله: وكذلك كان أهل بيت النبي ﷺ وأولاده يوالون أهل الصفة والفقراء؛ يخالطونهم اقتداء بالنبي ﷺ واستنانا به، فممن كان يكثر مجالستهم ومخالطتهم، ومجالسة سائر الفقراء في كل وقت؛ الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر. يرون في محبتهم إكمال الدين. وفي مجالستهم إتمام الشرف. مع ما كانوا

---

(١) من المعلوم أن الصفة انتهى دورها في حياة النبي ﷺ، ولم يكن لها أهل بعد وفاته، وإنما ظلت التسمية تطلق على المكان.

يرجعون إليه من التشرف برسول الله ﷺ، والانتساب إليه اغتناماً لدعائهم، واقتباساً من أخلاقهم وآدابهم.

وكذلك عامة الصحابة، كانوا يغتنمون مخالطة الأخيار، وأدعية الأبرار. حتى أن بعضهم ليدعو بذلك لأخيه.



١٣٢ ـ الحسن بن علي[(١)]

فأما السيد المحبب، والحكيم المقرب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، فله في معاني المتصوفة الكلام المشرق المرتب، والمقام المؤنق المهذب.

عن أبي بكرة. قال: كان النبي ﷺ يصلي بنا، فيجيء الحسن وهو ساجد، صبي صغير، حتى يصير على ظهره ـ أو رقبته ـ فيرفعه رفعاً رفيقاً، فلما صلى صلاته قالوا: يا رسول الله إنك لتصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد، فقال: (إن هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).

عن عدي بن ثابت. قال: سمعت البراء يقول: رأيت النبي ﷺ واضعاً الحسن على عاتقه فقال: (من أحبني فليحبه)[(٢)].

عن نعيم. قال: قال لي أبو هريرة: ما رأيت الحسن قط، إلا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنه أتى يوماً يشتد حتى قعد في حجر

(١) يكنى أبا محمد، ولد في النصف من رمضان. سنة ثلاث من الهجرة، وأذن رسول الله ﷺ في أذنه، وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً وثمان بنات. توفي لخمس ليال خلون من ربيع الأول، سنة خمسين، ودفن بالبقيع رضي الله عنه. (الصفوة).

(٢) متفق عليه (خ ٣٧٤٩، م ٢٤٢٢) بلفظ (اللهم إني أحبه فأحبه).

رسول الله ﷺ، فجعل يقول بيديه هكذا في لحية رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول: (اللهم إني أحبه فأحبه) يقولها ثلاث مرات[1].

عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه. قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة؟ فقال: قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد ﷺ.

عن الشعبي. قال: شهدت الحسن بن علي حين صالحه معاوية بالنخيلة، فقال معاوية: قم فأخبر الناس أنك تركت هذا الأمر وسلمته إليّ، فقام الحسن، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية، إما أن يكون حق امرئ فهو أحق به مني، وإما أن يكون حقاً هو لي فقد تركته إرادة إصلاح الأمة، وحقن دمائها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

عن محمد بن علي. قال: قال الحسن رضي الله عنه: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه.

عن ابن عامر؛ أن الحسن بن علي، قاسم الله عز وجل ماله مرتين، حق تصدق بفرد نعله.

عن عمير بن إسحاق. قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده. فقال: يا فلان سلني. قال: لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك، قال ثم دخل ثم خرج إلينا فقال: سلني قبل أن لا تسألني، فقال: بل يعافيك الله ثم أسألك، قال: لقد ألقيت

---

(١) المرفوع متفق عليه (خ٥٨٨٤، م٢٤٢١).

طائفة من كبدي وأني سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذه المرة، ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه. وقال: يا أخي من تتهم؟ قال لم؟ لتقتله؟ قال نعم! قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضوان الله تعالى عليه.

عن رقبة بن مصقلة. قال: لما حُضر الحسن بن علي. قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السماء ـ يعني الآيات ـ فلما أخرج به. قال: اللهم إني احتسبت نفسي عندك فإنها أعز الأنفس عليّ، فكان مما صنع الله عز وجل له أنه احتسب نفسه.

❋ ❋ ❋

قال الشيخ رحمه الله: وقد كان من أهل البيت من ولاة الفقراء وأهل الصفة: الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يجالسانهم استئناساً في مجالستهم، ومحبتهم بالنبي ﷺ، إذ أمروا بالصبر على مجالستهم، وإلزام مواظبتهم ومخالطتهم، وكذلك من بعده من أصحابه أكثروا زيارتهم، واختاروا مودتهم ومجالستهم. حسبما انتشر عنهم واشتهر. وأنهم كانوا يرون العيش الهني معهم، والمقام السني في مخالطتهم، والحال الزري في مفارقتهم ومنابذتهم[1].

(١) سبق أن ذكرت، أن دور الصفة انتهى قبل وفاته ﷺ. وانظر تفصيل ذلك في كتاب «أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال».

الفصل الثالث
ذكر بعض الصحابيات رضي الله عنهن

١٣٣ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ

قال الشيخ رحمه الله: ومن ناسكات الأصفياء، وصفيات الاتقياء، فاطمة رضي الله تعالى عنها. السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول، ألوط أولاده بقلبه لصوقاً، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً، كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[١].

عن عائشة رضي الله عنها. قالت: كنا عند النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، ما تغادر منا واحدة، إذ جاءت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية النبي ﷺ شيئاً، فلما رآها قال: (مرحباً بابنتي) فاقعدها عن يمينه ـ أو عن يساره ـ ثم سارها بشيء فبكت فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله ﷺ من بيننا بالسرار وأنت تبكين، ثم سارها بشيء فضحكت. قالت: فقلت لها أقسمت عليك بحقي ـ أو بمالي عليك من الحق ـ لما أخبرتيني، قالت: ما كنت

---

(١) أمها خديجة بنت خويلد، ولدتها قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته ﷺ تزوجها علي في الثانية من الهجرة، ولدت له الحسن والحسين وزينب، وأم كلثوم.

توفيت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر في ليلة الثلاثاء، لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف (الصفوة).

لأفشي على رسول الله ﷺ سره، قالت: فلما توفي النبي ﷺ سألتها. فقالت: أما الآن فنعم! أما بكائي فإن رسول الله ﷺ قال لي: (إن جبريل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة فعرض العام مرتين، ولا أرى إلا أجلي قد اقترب) فبكيت. فقال لي: (اتق الله واصبري فإني أنا نعم السلف لك). ثم قال: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ـ أو نساء هذه الأمة ـ) فضحكت[١].

عن المسور بن مخرمة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إنما فاطمة ابنتي بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها)[٢].

عن ابن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله تعالى عنها: (أنت أول أهلي لحوقا بي)[٣].

عن عمرو بن دينار قال: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها. قال: وكان بينهما شيء، فقالت: يا رسول الله، سلها فإنها لا تكذب.

١٣٤ ـ عائشة زوج رسول الله ﷺ

ومنهم الصديقة بنت الصديق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب، لرؤيتها جبريل رسول علام الغيوب، عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

كانت للدنيا قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليفها باكية.

عن أنس. قال: أول حب كان في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها.

---

(١) متفق عليه (خ ٦٢٨٥، ٦٢٨٦، م ٢٤٥٠).

(٢) متفق عليه (خ ٥٢٣٠، م ٢٤٤٩).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة.

عن عريب بن حميد. قال: وقع رجل في عائشة فقال عمار: أسكت مقبوحاً منبوحاً، أتقع في حبيبة رسول الله ﷺ إنها لزوجته في الجنة[1].

عن ابن أبي مليكة. قال: استأذن ابن عباس على عائشة فقالت: لا حاجة لي بتزكيته، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بيتك جاء يعودك، قالت فائذن له فدخل عليها فقال: يا أمه أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن يفارق روحك جسدك، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبا، قالت: أيضاً؟ قال: هلكت قلادتك بالأبواء فأصبح رسول الله ﷺ يلتقطها فلم يجدوا ماء، فأنزل الله عز وجل ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فكان ذلك بسببك وبركتك، ما أنزل الله تعالى لهذه الأمة من الرخصة، وكان من أمر مسطح ما كان، فأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماواته، فليس مسجد يذكر الله فيه إلا وشأنك يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار، فقالت: يا ابن عباس دعني منك، ومن تزكيتك فوالله لوددت إني كنت نسياً منسياً[2].

عن أبي سلمة أن عائشة حدثته؛ أن النبي ﷺ قال لها: (إن جبريل يقرئك السلام) قالت: وعليه السلام ورحمة الله[3].

عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: ما شبعت بعد النبي ﷺ من طعام، إلا ولو شئت أن أبكي لبكيت، ما شبع آل محمد ﷺ حتى قبض[4].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أنها باعت مالها بمائة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٨٨).

(٢) أصله في البخاري عن القاسم بن محمد (٤٧٥٣).

(٣) متفق عليه (خ ٣٢١٧، م ٢٤٤٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٥٦).

ألف فقسمته، ثم أفطرت على خبز الشعير، فقالت لها مولاة لها: ألا كنت أبقيت لنا من ذا المال درهماً، نشتري به لحما، فتأكلين ونأكل معك؟ قالت: أفهلا ذكرتيني.

عن الزهري. أخبرني عوف بن الحارث بن الطفيل - وهو ابن أخي عائشة لأمها -: أن عائشة باعت رباعها، فقال ابن الزبير: لأحجرن عليها فقالت عائشة رضي الله عنها: لله عليّ أن لا أكلم ابن الزبير، حتى أفارق الدينا، فطالت هجرتها فاستشفع ابن الزبير بكل أحد، فأبت أن تكلمه، فقالت: والله لا آثم فيه أبداً، فلما طالت هجرتها، كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود، عائشة فدخلوا عليها معهم ابن الزبير، فاعتنقها ابن الزبير فبكى وبكت عائشة رضي الله تعالى عنها بكاء كثيراً، وناشدها ابن الزبير الله والرحم، فلما أكثروا عليها كلمته، ثم بعثت إلى اليمن فابتيع لها أربعين رقبة فأعتقتها، قال عوف: ثم سمعت بعد ذلك تذكر نذرها ذلك. فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب؛ من عائشة رضي الله تعالى عنها.

عن هشام بن عروة. قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمتاه لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر - وكان أعلم الناس - ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو، ومن أين هو، وما هو؟ قال: فضربت على منكبي ثم قالت: أي عرية، إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره، فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له، فكنت أعالجه، فمن ثم.

١٣٥ ـ حفصة بنت عمر[1]

ومنهن القوامة الصوامة، المزرية بنفسها اللوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب، وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب، رضي الله تعالى عنها.

عن قيس بن زيد؛ أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت فقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فتجلببت. فقال: (قال لي جبريل راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة).

عن خارجة بن يزيد بن ثابت، عن أبيه. قال: لما أمرني أبو بكر فجمعت القرآن، كتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب، فلما هلك أبو بكر رضي الله عنه، كان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده، فلما هلك عمر رضي الله تعالى عنه، كانت الصحيفة عند حفصة زوجة النبي ﷺ، ثم أرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها، فسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف ليردنها إليها فأعطته فعرض المصحف عليها فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس فكتبوا المصاحف، فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر بالصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها فغسلت غسلاً.

١٣٦ ـ زينب بنت جحش[2]

ومنهن الخاشعة الراضية، الأواهة الداعية، زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها.

---

(١) كانت عند خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة، مقدم النبي ﷺ من بدر، فخلف عليها رسول الله ﷺ. توفيت سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية، وهي ابنة ستين سنة. (الصفوة).

(٢) أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هشام، عمة رسول الله ﷺ، زوَّجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فلما طلقها زيد بن حارثة، تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وكانت من المهاجرات. (الصفوة). توفيت في سنة عشرين، وهي بنت ثلاث وخمسين سنة.

عن مذكور مولى زينب بنت جحش، عن زينب بنت جحش. قالت: خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله ﷺ أستشيره، فقال لها رسول الله ﷺ: (أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؟) قالت: ومن هو يا رسول الله؟ قال: (زيد بن حارثة) قالت: فغضبت حمنة غضباً شديداً، فقالت: يا رسول الله أتزوج ابنة عمتك مولاك؟ قالت: وجاءتني فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها، فقلت أشد من قولها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ الآية[1]. قالت: فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله، افعل يا رسول الله ما رأيت، فزوجني رسول الله ﷺ زيداً، فكنت أزأر عليه، فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فعاتبني رسول الله ﷺ، ثم عدت فأخذته بلساني، فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[2]. فقيل: أنا أطلقها قالت: فطلقني فلما انقضت عدتي، لم أعلم إلا ورسول الله ﷺ قد دخل عليّ بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أمر من السماء فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا إشهاد؟ فقال: (الله زوج وجبريل الشاهد).

عن عائشة. قالت: كانت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ تساويني من بين أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله عز وجلّ، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب إلى الله عز وجل، ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفيئة.

عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة عن أخته برة بنت رافع.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

قالت: لما خرج العطاء بعث عمر بن الخطاب إلى زينب بنت جحش بعطائها، فأتيت به ونحن عندها، قالت: ما هذا؟ قالت: أرسل به إليك عمر، قالت: غفر الله له، والله لغيري من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا مني، قالوا: إن هذا لك كله، قالت: سبحان الله، فجعلت تستر بينها وبينه بجلبابها ـ أو بثوبها ـ ضعوه اطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت: أقبض اذهب إلى فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب، قالت: فأخذنا ما تحت الثوب فوجدناه بضعة وثمانين درهماً، ثم رفعت يديها ثم قالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا أبداً، فكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: (أولكن تتبعني أطولكن يداً) فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ، نمد أيدينا في الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفت أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة، وكانت امرأة صناعاً، كانت تعمل بيديها وتتصدق به في سبيل الله عز وجل.

١٣٧ ـ صفية زوج النبي ﷺ[1]

ومنهن التقية الزاكية، ذات العين الباكية، صفية الصافية، زوجة النبي ﷺ.

عن أنس. قال: بلغ صفية أن حفصة قالت لها: إنك بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ، وهي تبكي، فقال: (ما شأنك؟) قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال لها

(١) من سبط هارون بن عمران، سباها النبي ﷺ يوم خيبر، فاصطفاها لنفسه. فأسلمت وأعتقها، وجعل عتقها صداقها.
توفيت سنة خمسين، ودفنت بالبقيع (الصفوة).

النبي ﷺ: (إنك لبنت نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي فبم تفخر عليك)؟ ثم قال: (اتق الله يا حفصة).

١٣٨ ـ أسماء بنت الصديق[1]

ومنهن الصادقة الذاكرة، الصابرة الشاكرة، أسماء بنت الصديق الشاقة نطاقها، لمعصم قربة النبي ﷺ وعلاقها.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: دخلت على أسماء وهي تصلي، فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[2] فاستعاذت فقمت وهي تستعيذ، فلما طال عليّ، أتيت السوق ثم رجعت، وهي في بكائها تستعيذ.

عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى المدينة، صنعت سفرته في بيت أبي بكر، فقال أبو بكر: ابغيني معلاقاً لسفرة رسول الله ﷺ، وعصاماً لقربته، فقلت ما أجد إلا نطاقي، قال: فهاتيه قالت: فقطعته باثنين، فجعل إحداهما للسفرة والأخرى للقربة، فلذلك سميت ذات النطاقين.

عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه ـ خمسة آلاف أو ستة آلاف ـ درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ. فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت كلا يا أبة، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يدك يا أبت على

---

(١) أسلمت بمكة قديماً، وبايعت، تزوجها الزبير. توفيت بعد قتل ابنها عبد الله رضي الله عنهما بليالٍ. (الصفوة).

(٢) سورة الطور، الآية (٢٧).

هذا المال، قال: فوضع يده فقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، ففي هذا لكم بلاغ، قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثت عن أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة خر منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا.

١٣٩ ـ الرميصاء أم سليم[١]

ومنهن: الرميصاء أم سليم، المستسلمة لحكم المحبوب، الطاعنة بالخناجر في الوقائع والحروب.

عن جابر. قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا برميصاء امرأة أبي طلحة)[٢].

عن أنس بن مالك. قال: مرض ابن لأبي طلحة من أم سليم، قال: فمات الصبي في المخدع فسجته، ثم قامت فهيأت لأبي طلحة إفطاره كما كانت تهيء له كل ليلة، فدخل أبو طلحة وقال لها: كيف الصبي؟ قالت: بأحسن حال، فحمد الله ثم قامت فقربت إلى أبي طلحة إفطاره، ثم قامت إلى ما تقوم إليه النساء فأصاب أبو طلحة من أهله، فلما كان السحر قالت: يا أبا طلحة ألم تر آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت منهم شق عليهم، قال: ما انصفوا. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عز وجل وإن الله تعالى قد قبضه،

---

(١) اختلفوا في اسمها، فقيل سهلة، وقيل رملة، تزوجها مالك بن النضر، فولدت له أنس بن مالك، ثم قتل، فخطبها أبو طلحة. (الصفوة).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٧) والبخاري (٣٦٧٩).

فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (يا أبا طلحة بارك الله لكما في ليلتكما) فحملت بعبد الله بن أبي طلحة[1].

عن أنس. قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة فتزوجها.

عن أنس؛ أن أم سليم كانت مع أبي طلحة يوم حنين، ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة ما هذا يا أم سليم؟ قالت: اتخذته إن دنا مني بعض المشركين بعجته به، فقال أبو طلحة: يا رسول الله أما تسمع ما تقول أم سليم، تقول كذا وكذا ـ قال: (يا أم سليم إن الله عز وجل قد كفى وأحسن).

عن أنس بن مالك. قال: لما كان يوم أحد، رأيت عائشة وأم سليم وإنهما مشمرتان، أرى خدم سوقهما، ينقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانها في أفواه القوم، وترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغان في أفواه القوم.

عن أنس؛ أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له. فقال: (إني أرحمها قتل أخوها معي)[2].

عن أنس. قال: أتانا النبي ﷺ فقال ـ أي نام القيلولة عندنا ـ فعرق وجاءت أم سليم بقارورة تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ. فقال: (يا أم سليم ما الذي تصنعين؟) قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو أطيب الطيب[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٤).
(٢) متفق عليه (خ ٢٨٤٤، م ٢٤٥٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣١، ٢٣٣٢).

١٤٠ ـ أم حرام بنت ملحان[1]

ومنهن حميدة البر، شهيدة البحر، التواقة إلى مشاهدة الجنان، أم حرام بنت ملحان.

عن أنس بن مالك. قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته، وجلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ يضحك، قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله عز وجل، يركبون ثبج هذا البحر، ملوك أو مثل الملوك على الأسرة) ـ شك إسحاق ـ قالت: فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك؟ فقلت: ما يضحك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله عز وجل) كما قال في الأولى، قالت: فقلت أدع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين، قال: فركبت البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت[2].

عن هشام بن الغاز. قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس، وهم يقولون هذا قبر المرأة الصالحة.

١٤١ ـ أم ورقة الأنصارية

ومنهن الشهيدة القارئة، أم ورقة الأنصارية، كانت تؤم المؤمنات المهاجرات، ويزورها النبي ﷺ في الأحايين والأوقات.

---

(١) هي أخت أم سليم.

(٢) متفق عليه (خ ٢٧٨٨، م ١٩١٢).

عن الوليد بن جميع. حدثتني جدتي عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري ـ وكان رسول الله ﷺ يزورها، يسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً. قالت له: أتأذن لي فأخرج معك وأداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم، لعل الله يهدي إليّ الشهادة. قال: (إن الله عز وجل مهد لك الشهادة) ـ وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى عدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبرتهما فقتلاها، في إمارة عمر رضي الله عنه. فقيل له إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: (انطلقوا فزوروا الشهيدة).

١٤٢ ـ أم سليط الأنصارية

ومنهن أم سليط الأنصارية، الكادحة الغازية. شهدت مع النبي ﷺ أحداً، وكدحت فلم تخف دون الله أحداً.

عن ابن شهاب. قال: قال ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قسم مروطاً بين نساء عن نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده، يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عنهما ـ فقال عمر: أم سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار، ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت ترفو لنا القرب يوم أحد.

١٤٣ ـ خولة بنت قيس

ومنهن المرأة الصالحة، خولة بنت قيس الناصحة.

عن عبيد سنوطا. قال: دخلنا على خولة بنت قيس، التي كانت عند حمزة، فقلنا يا أم محمد، حدثينا فقال زوجها: يا أم محمد

انظري ما تحدثين، فإن الحديث عن رسول الله ﷺ بغير ثبت شديد. قالت بئس! مالي أن أحدثكم عن رسول الله ﷺ بما ينفعكم فأكذب عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الدنيا حلوة خضرة من يأخذ مالاً بحله يبارك له فيه، ورب متخوض في مال الله عز وجل ومال رسوله فيما شاءت نفسه، له النار يوم القيامة).

١٤٤ ـ أم عمارة

ومنهن أم عمارة المبايعة بالعقبة، المحاربة عن الرجال والشيبة. كانت ذات جد واجتهاد، وصوم ونسك واعتماد.

عن محمد بن إسحاق. قال: وحضر البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا، إحداهما نسيبة بنت كعب بن عمرو وهي أم عمارة، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ، شهدت معه أحداً هي وزوجها زيد بن عاصم، وابناها حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب هو الذي أخذه مسيلمة الكذاب، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم! ثم يقول: أتشهد أني رسول الله، فيقول: لا أشهد فقطعه مسيلمة فخرجت نسيبة مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الردة، فباشرت الحرب بنفسها، حتى قتل الله تعالى مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات بين طعنة وضربة.

١٤٥ ـ الحولاء بنت تويت

ومنهن الحولاء بنت تويت القانتة، المهاجرة المتهجدة الثابتة.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها؛ أن الحولاء مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال: (لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا).

١٤٦ ـ أم شريك الأسدية[1]

ومنهن أم شريك الأسدية، ذات الأحوال المرضية، والآيات المكرمة السنية.

عن ابن عباس؛ أنه قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، وهي إحدى نساء قريش، ثم إحدى بني عامر بن لؤي، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي، فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقوني، قالت: فما أتت على ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه، قالت: فنزلوا منزلاً وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها، وحبسوا عني الطعام والشراب، فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا. قالت: فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، واستظلوا منها، إذا أنا بأبرد شيء على صدري، فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع فرفع، ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع، ثم عاد أيضاً فتناولته فشربت منه قليلاً ثم رفع، قالت: فصنع بي مراراً ثم تركت فشربت حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي. فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة، قالوا لي أتحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ما فعلت ولكنه

---

(١) واسمها غزيّة بنت جابر بن حكيم الدوسية. قال الأكثرون: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت (الصفوة).

أقول: وقد أورد ابن الجوزي الخبر المذكور هنا من قصتها، ولم يعلق على ما جاء فيه من قوله: «فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها» وهو مناقض لما ذكره في ترجمتها.

كان من الأمر كذا وكذا، قالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا. فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك، وأقبلت إلى النبي ﷺ، فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها.

١٤٧ - أم أيمن[١]

ومنهن أم أيمن المهاجرة الماشية، الصائمة الطاوية، الناحبة الباكية، سقيت من غير راوية، شربة سماوية كانت لها شافية كافية.

عن أنس. قال: ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن يزورها فقربت له طعاماً - أو شراباً، فأما إن كان صائماً وأما لم يرده، فجعلت تخاصمه أي كل، فلما توفي رسول الله ﷺ، قال أبو بكر لعمر: قم بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما رأتهما بكت فقالا لها ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه، ولكني أبكي لخبر السماء انقطع عنا. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها.

١٤٨ - يسيرة

ومنهن يسيرة المهاجرة، المسبحة المهللة الذاكرة.

عن يسيرة - وكانت إحدى المهاجرات -. قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: (يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس، واعقدن بالأنامل فإنهن مستنطقات ومسؤولات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة)[٢].

---

(١) واسمها بركة، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه فأعتقها حين تزوج خديجة، فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث، فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة رضي الله عنه (الصفوة).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠١) والترمذي (٣٥٨٣).

١٤٩ ـ زينب الثقفية

ومنهن المتصدقة المصلية، زينب الثقفية، المتخلية من حليها، المتقربة به إلى وليها.

عن عمرو بن الحارث، عن زينب الثقفية امرأة عبد الله[١]؛ أن رسول الله ﷺ قال للنساء: (تصدقن ولو بحليكن) فقالت زينب لعبد الله: أيجزئ عني أن أضع صدقتي فيك، وفي بني أخي وأختي أيتام؟ وكان عبد الله خفيف ذات اليد، فقال: سلي عن ذاك رسول الله ﷺ. قالت زينب فأتيت رسول الله ﷺ، فإذا امرأة من الأنصار يقال لها زينب، جاءت تسأل عما جئت أسأل عنه، فخرج إلينا بلال فقلنا سل رسول الله ﷺ ولا تخبره من نحن، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فذكر ذلك له فقال: (أخبرهما أن لهما أجرين، أجر القرابة وأجر الصدقة).

١٥٠ ـ مارية

ومنهن خادمة الرسول مارية، المجاهدة المطاطية.

عن أم سليمان، عن أمها عن مارية. قالت: تطأطأت لرسول الله ﷺ حين صعد حائطاً فرمى المشركين.

١٥١ ـ عميرة بنت مسعود وأخواتها

ومنهن عميرة بنت مسعود وأخواتها.

عن جعفر بن محمود؛ أن جدته عميرة بنت مسعود حدثته: أنها دخلت هي وأخواتها وهن خمس على رسول الله ﷺ فبايعنه، ووجدنه يأكل قديداً فمضغ لهن قديدة ثم ناولهن إياها فاقتسمنها، فمضغت كل

---

(١) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

واحدة منهن قطعة. قال: فلقين الله ما وجدن في أفواههن خلوفاً، ولا اشتكين من أفواههن شيئاً.

١٥٢ ـ السوداء

ومنهن السوداء مستوطنة المساجد، .مبرأة عن الظنون في الأندية والمشاهد.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: كانت أمة لحي من العرب فأعتقوها، فكانت معهم، فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته ـ أو قالت: فوقع منها ـ فمرت به حديا، وهو ملقى فحسبته لحماً فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشونني حتى فتشوا قبلها، قالت: فوالله إني لقائمة إذا مرت الحديا فألقته، قالت: فوقع بينهم، فقلت: هذا الذي اتهمتوني به، زعمتم أني أخذته وأنا منه برية، ها هو ذا. قالت: فجاءت النبي ﷺ فأسلمت.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فكان لها خباء في المسجد أو حفش، قالت: فكانت تأتيني وتتحدث عندي ولا تجلس عندي مجلساً إلا قالت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا   ألا إنه من بلدة الكفر نجاني

فقلت: ما شأنك لا تقعدين مقعداً إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتهن بهذا الحديث[1].

١٥٣ ـ الأنصارية[2]

ومنهن المستهينة بالمحن والمصائب، المتسلية عن النوازل والنوائب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٣٥).

(٢) في سيرة ابن هشام: أنها امرأة من بني دينار.

عن أنس بن مالك. قال: لما كان يوم أحد، حاص أهل المدينة حيصة، وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار، فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها لا أدري بأيهما استقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك، قالت: ما فعل النبي ﷺ؟ فيقولون: أمامك، حتى ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب.

١٥٤ ـ السوداء

ومنهن السوداء الممتحنة الصابرة بالبلوى مرتهنة.

عن عطاء بن أبي رباح. قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى! قال: هذه المرأة السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت أن يعافيك) قالت: أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها[١].

١٥٥ ـ أم بجيد الحبيبية

ومنهن أم بجيد الحبيبية، البذولة المنفقة.

عن عبد الرحمن بن بجيد، عن جدته أم بجيد. قالت: يا رسول الله إن المسكين ليقف على بابي حتى أستحي منه، فما أجد ما أدفع في يده؟ قال: (ادفعي في يده ولو ظلفاً محترقاً).

١٥٦ ـ أم فروة

ومنهن أم فروة المبايعة، المجتهدة المتابعة.

---

(١) متفق عليه (خ ٥٦٥٢، م ٢٥٧٦).

١٥٧ ـ أم إسحاق

ومنهن المهاجرة أم إسحاق، المثكلة بالوحدة والفراق.

عن بشار بن عبد الملك حدثتني جدتي أم حكيم. قالت: سمعت أم إسحاق تقول: هاجرت مع أخي إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما كنت في بعض الطريق، قال لي أخي: اقعدي يا أم إسحاق فإني نسيت نفقتي بمكة، فقالت: إني أخشى الفاسق ـ تعني زوجها ـ قال: كلا إن شاء الله، قالت: فلبثت أياماً فمر بي رجل قد عرفته ولا أسميه فقال: ما يقعدك ها هنا يا أم إسحاق؟ قلت: انتظر إسحاق ذهب يأخذ نفقته، قال: لا إسحاق لك، قد لحقه الفاسق زوجك فقتله. فقدمت فدخلت على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ. فقلت: يا رسول الله قد قتل إسحاق، وأنا أبكي وهو ينظر إليّ، فإذا نظرت إليه وقد نكس في الوضوء وأخذ كفا من ماء فنضحه في وجهي قال بشار قالت جدتي: فلقد كانت تصيبها المصيبة العظيمة فترى الدموع في عينيها ولا تسيل على خدها.

١٥٨ ـ أسماء بنت عميس[1]

ومنهن مهاجرة الهجرتين، ومصلية القبلتين، أسماء بنت عميس الخثعمية، المعروفة بالبحرية الحبشية، أليفة النجائب، وكريمة الحبائب. عقد عليها جعفر الطيار، وخلف عليها بعده الصديق سابق الأخيار، ومات عنها الوصي علي سيد الأبرار.

عن أبي موسى الأشعري. قال: قدمنا على رسول الله ﷺ، فوافقناه حين فتح خيبر، فأسهم لنا ـ أو قال فأعطانا منها ـ وما قسم

(١) أسلمت بمكة قديماً، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه، ثم تزوجها علي رضي الله عنه (الصفوة).

لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً، إلا لمن شهد معنا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لها معهم، فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني أهل السفينة - سبقناكم بالهجرة.

قال: ودخلت أسماء بنت عميس فقال لها عمر: هذه الحبشية البحرية، قالت أسماء نعم! فقال عمر سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله ﷺ، فغضبت وقالت كلمة: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو أرض - البعداء والبغضاء، في الحبشة، وذلك في الله ورسوله، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، فنحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، والله لا أكذب، ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال: كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: (فما قلت له؟) قالت: قلت كذا وكذا. قال: (ليس بأحق بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان) قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم أفرح به، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ. قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد مني هذا الحديث[1].

عن الشعبي. قال: تزوج علي رضي الله تعالى عنه أسماء بنت عميس بعد أبي بكر، فتفاخر ابناها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، فقال كل واحد منهما: أنا خير منك، وأبي خير من أبيك، فقال علي: لأسماء اقض بينهما، فقالت لابن جعفر: أما أنت يا بني فما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من أبيك، وأما أنت يا بني فما رأيت كهلاً من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٠).

العرب خير من أبيك، فقال لها علي: ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير هذا لمقتك، فقالت: والله إن ثلاثة أنت أخسهم لأخيار.

١٥٩ ـ أسماء بنت يزيد

ومنهن الأنصارية أسماء بنت يزيد بن السكن، النابذة لما يورث الغرور والفتن.

عن شهر بن حوشب أن أسماء ابنة يزيد كانت تخدم النبي ﷺ، قالت: فبينا أنا عنده إذ جاءته خالتي، قالت: فجعلت تسائله وعليها سواران من ذهب. فقال لها رسول الله ﷺ: (أيسرك أن عليك سوارين من نار؟) قالت: قلت: يا خالتاه إنما يعني سواريك هذين، قالت: فألقتهما وقالت: يا نبي الله إنهن إذا لم يتحلين صلفن[١] عند أزواجهن، فضحك رسول الله ﷺ وقال: (أما تستطيع أن تجعل خوقاً[٢] من فضة، وجمانة من فضة، ثم تخلقه بزعفران فيكون كأنه من ذهب، فإنه من تحلى وزن عين جرادة أو خربصيصة كوي بها يوم القيامة)[٣].

١٦٠ ـ أم هانئ الأنصارية

ومنهن الأنصارية أم هانئ، السائلة عن التزاور بعد التفاني.

عن أم هانئ الأنصارية؛ أنها سألت النبي ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال النبي ﷺ: (تكون النسم طيراً تعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت في جسدها).

١٦١ ـ سلمى بنت قيس

ومنهن المصلية للقبلتين، المحافظة على البيعتين، سلمى بنت قيس النجارية.

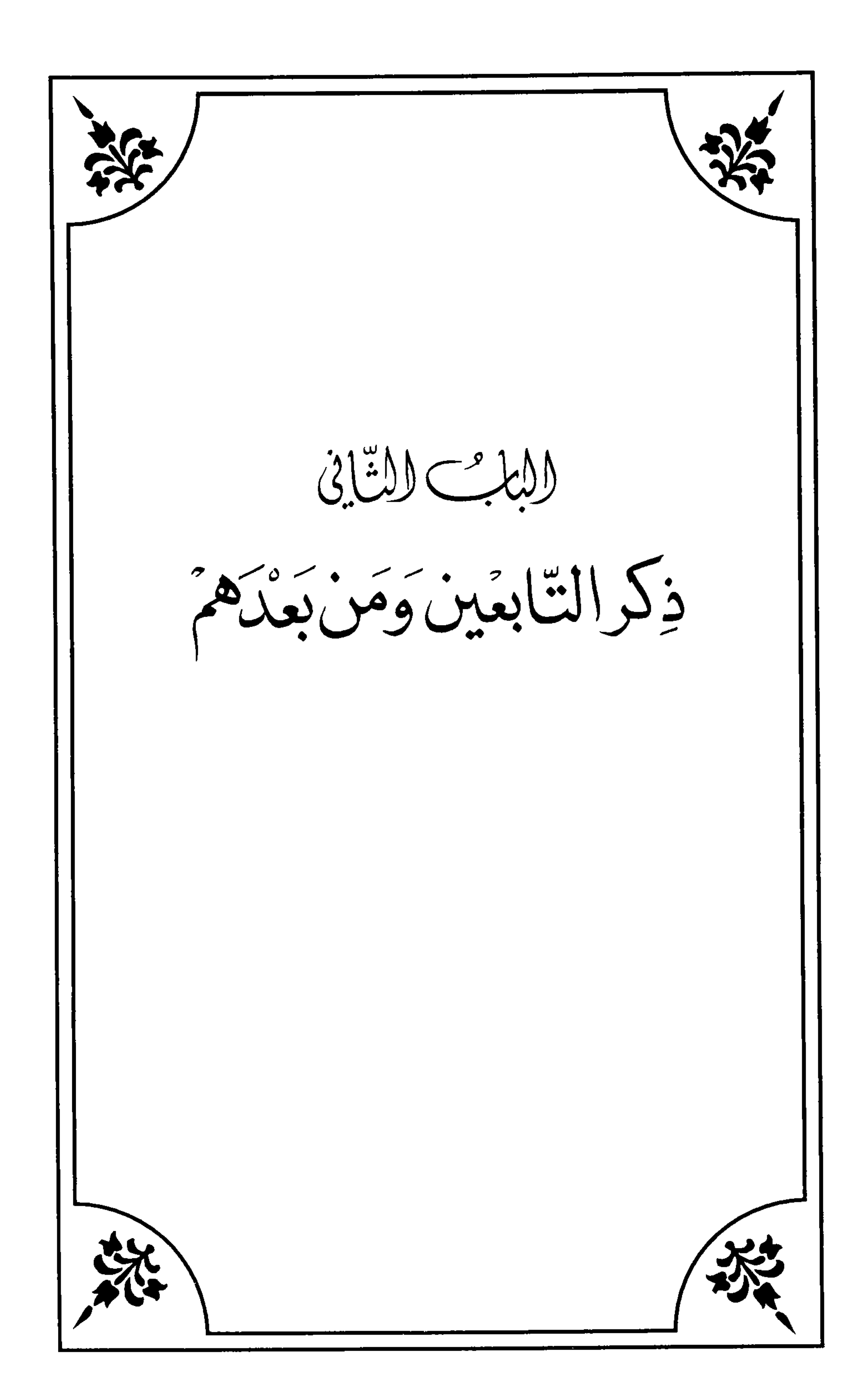
---

(١) صلفن: صلفت: أي ثقلت عليه، ولم تحفظ عنده.
(٢) خوقا: الخوق: الحلقة.
(٣) أخرجه الإمام أحمد، وبعضه عند النسائي برقم (٥١٥٧).

عن الحكم بن سليم، عن أمه سلمى بنت قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار ـ. قالت: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فشرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. قال: ولا تغششن أزواجكن، قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما حرم علينا من مال أزواجنا، فسألته فقال: (تأخذ ماله فتحابي به غيره).







الباب الثّاني

ذِكر التّابعِين وَمَن بَعْدَهم

قال الشيخ رحمه الله: ومن طبقة التابعين المذكورين بالنسك والتعبد والتقلل والتزهد، المعرضين عن الدنيا وغرورها، والمستروحين إلى العبادة وحبورها؛ جماعة كثيرة اقتصرنا على ذكر نفر من جماهيرهم ومشاهيرهم، بعد أن قدمنا في فضل خير القرون أخباراً وآثاراً.

[خير القرون]

عن عبد الله بن مسعود؛ أن النبي ﷺ قال: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1].

عن عمران بن حصين؛ أن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم)[2].

عن عائشة رضي الله عنها. قالت: سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: قال: (القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث)[3].



(١) متفق عليه (خ ٢٦٥٢، م ٢٥٣٣).
(٢) متفق عليه (خ ٢٦٥١، م ٢٥٣٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٣٦).

الفصل الأول
الزهاد الثمانية

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية:

- أويس القرني.
- وعامر بن عبد الله بن عبد قيس.
- وهرم بن حيان.
- والربيع بن خيثم.
- ومسروق بن الأجدع.
- والأسود بن يزيد.
- وأبو مسلم الخولاني.
- والحسن بن أبي الحسن البصري[1].

فمن الطبقة الأولى من التابعين

١٦٢ ـ أويس بن عامر القرني

سيد العباد، وعلم الأصفياء من الزهاد؛ أويس بن عامر القرني[2]. بشر النبي ﷺ به، وأوصى به أصحابه.

عن أسير بن جابر. قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا فإذا فرغ من

---

(١) وأضاف إليهم المصنف: علقمة بن قيس النخعي. وهذه المقدمة لم يذكرها المصنف.

(٢) قتل أويس يوم صفين في جند علي رضي الله عنه (الصفوة).

حديثه يقول: تفرقوا، ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم بكلامه، فأحببته ففقدته فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم: نعم أنا أعرفه، ذاك أويس القرني. قلت: أفتعرف منزله؟ قال: نعم! فانطلقت معه حتى جئت حجرته فخرج إليّ فقلت ياأخي ما حبسك عنا؟ قال: العري.

قال: وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه. قال: قلت خذ هذا البرد فالبسه. قال: لا تفعل فإنهم إذاً يؤذونني إذا رأوه. قال: فلم أزل به حتى لبسه فخرج عليهم، فقالوا من ترون خدع عن برده هذا!! فجاء فوضعه فقال: أترى.

قال: فأتيت المجلس فقلت: ما تريدون من هذا الرجل قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكتسى مرة، قال: فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً.

قال: فقضى أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر بن الخطاب، فوجد رجل ممن كان يسخر به. فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنيين؟ قال: فجاء ذاك الرجل فقال: أنا. قال: إن رسول الله ﷺ قد قال: (إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له. وقد كان به بياض، فدعا الله تعالى فأذهبه عنه إلا مثل موضع الدينار - أو الدرهم - فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم).

قال: فقدم علينا، قال: فقلت من أين؟ قال: من اليمن، قلت: ما اسمك؟ قال: أويس قال: فمن تركت باليمن؟ قال: أماً لي، قال: أكان بك بياض فدعوت الله فأذهب عنك؟ قال: نعم! قال: فاستغفر لي، قال: أويستغفر مثلي لمثلك يا أمير المؤمنين؟ قال: فاستغفر له. قال: قلت: أنت أخي لا تفارقني. قال: فانملس مني وأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة.

قال: فجعل ذلك الرجل الذي كان يسخر منه يحقره، قال: يقول ما هذا فينا ولا نعرفه.

قال عمر: بلى! إنه رجل كذا كأنه يضع شأنه قال فينا رجل: يا أمير المؤمنين يقال له أويس، قال: أدرك ولا أراك تدرك، فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي أهله، فقال له أويس: ما هذه بعادتك فما بدا لك؟ قال: سمعت عمر يقول كذا وكذا فاستغفر لي أويس، قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي فيما بعد، وأن لا تذكر الذي سمعته من عمر إلى أحد، فاستغفر له.

قال أسير: فما لبثنا أن فشا أمره بالكوفة. قال: فدخلت عليه فقلت: يا أخي ألا أراك العجب ونحن لا نشعر، فقال: ما كان في هذا ما أتبلغ به في الناس، وما يجزي كل عبد إلا بعمله، قال: ثم انملس منهم فذهب[1].

عن أبي هريرة؛ أن عمر وعلياً مكثا يطلبان أويساً عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر في ذلك العام، قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته، يا أهل الحجيج من أهل اليمن؛ أفيكم أويس من مراد؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية. فقال: إنا لا ندري ما أويس؟ ولكن ابن أخ لي يقال له أويس وهو أخمل ذكراً؛ وأقل مالاً، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا، فعمى عليه عمر كأنه لا يريده.

قال: أين ابن أخيك هذا أبحرمنا هو؟ قال: نعم! قال: وأين يصاب. قال: بأراك عرفات.

قال: فركب عمر وعلي سراعاً إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى؛ فشدا حماريهما، ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله؛ فخفف أويس الصلاة، ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته. قالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير

(١) أخرج مسلم معظمه (٢٥٤٢).

قوم. قالا: لسنا نسألك عن الرعاية ولا الإجارة؛ ما اسمك؟ قال: عبد الله. قالا: قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله، فما اسمك الذي سمتك أمك؟ قال: يا هذان ما تريدان إليّ. قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني فقد عرفنا الصهوبة والشهولة؛ وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا؛ فإن كان بك فأنت هو. فأوضح منكبه فإذا اللمعة فابتدراه يقبلانه. قالا: نشهد أنك أويس القرني؛ فاستغفر لنا يغفر الله لك. قال: ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم؛ ولكنه في البر والبحر؛ في المؤمنين والمؤمنات؛ والمسلمين والمسلمات؛ يا هذان قد أشهر الله لكما حالي وعرفكما أمري، فمن أنتما! قال علي رضي الله عنه: أما هذا فعمر أمير المؤمنين وأما أنا فعلي بن أبي طالب. فاستوى أويس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابن أبي طالب فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً. قالا: وأنت جزاك الله عن نفسك خيراً؛ فقال له عمر: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي هذا المكان ميعاد بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين، لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم تعرفني، ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى عليّ إزاراً من صوف، ورداء من صوف، متى تراني أخرقهما. أما ترى أن نعلي مخصوفتان متى تراني أبليهما؟ أما تراني إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول، فأخفَّ يرحمك الله.

فلما سمع عمر ذلك من كلامه ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت أن أم عمر لم تلده يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟

ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا،

فولى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم إبلهم وخلى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

عن الشعبي. قال: مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله، قال: كيف الزمان عليك؟ قال كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أن لا يمسي، وإن أمسى ظن أن لا يصبح، فمبشر بالجنة، أو مبشر بالنار. يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضة ولا ذهباً، وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقاً.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟ قال: قلنا نعم! وما تريده منه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أويس القرني خير التابعين بإحسان) وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي رضي الله تعالى عنهم.

عن أصبغ بن زيد. قال: إنما منع أويساً أن يقدم على رسول الله ﷺ بره بأمه.

عن أصبغ بن زيد. قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح. وكان يقول إذا أمسى هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح. وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

١٦٣ ـ عامر بن عبد قيس

ومنهم المضر بلذيذ العيش، عامر بن عبد الله بن عبد قيس. المراقب المستحي، السالم المستضيء.

عن علقمة بن مرثد. قال: انتهى الزهد إلى ثمانية؛ عامر بن عبد الله بن عبد قيس، وأويس القرني، وهرم بن حيان؛ والربيع بن

خيثم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو مسلم الخولاني، والحسن بن أبي الحسن.

فأما عامر بن عبد الله فكان يقول: في الدنيا الغموم والأحزان، وفي الآخرة النار والحساب، فأين الراحة والفرح، إلهي خلقتني ولم تؤامرني في خلقي، وأسكنتني بلايا الدنيا، ثم قلت لي استمسك، فكيف استمسك إن لم تمسكني، إلهي إنك لتعلم أن لو كانت لي الدنيا بحذافيرها، ثم سألتنيها لجعلتها لك فهب لي نفسي.

وكان يقول: لذات الدنيا أربعة؛ المال، والنساء، والنوم، والطعام. فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما، وأما النوم والطعام فلا بد لي منهما. فوالله لأضرن بهما جهدي.

ولقد كان يبيت قائماً، ويظل صائماً، ولقد كان إبليس يلتوي في موضع سجوده، فإذا ما وجد ريحه نحاه بيده ثم يقول: لولا نتنك لم أزل عليك ساجداً، وهو يتمثل كهيئة الحية.

ورأيته وهو يصلي فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من كمه وثيابه فلا يحيد. فقيل له: ألا تنحي الحية فيقول: والله إني لأستحي من الله تعالى أن أخاف شيئاً غيره، والله ماأعلم بهذا حين يدخل ولا حين يخرج.

وقيل له: إن الجنة تدرك بدون ما تصنع، وإن النار تتقى بدون ما تصنع. فيقول: لا حتى لا ألوم نفسي.

قال: ومرض فبكى، فقيل له: ما يبكيك وقد كنت وقد كنت؟ فيقول: ما لي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني، والله ما أبكي حرصاً على الدنيا، ولا جزعاً من الموت، ولكن لبعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود وهبوط، جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما أصير.

عن سهل أخي حزم. قال: بلغني عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: أحببت الله عز وجل حباً سهل عليَّ كل مصيبة، ورضاني في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه، ما أصبحت عليه.

عن ميمون بن مهران؛ أن عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوج النساء؟ قال: ما تركتهن وإني لدائب في الخطبة، قال: ومالك لا تأكل الجبن؟ قال أنا بأرض فيها مجوس، فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته، قال: وما يمنعك أن تأتي الأمراء؟ قال: إن لدى أبوابكم طلاب الحاجات، فادعوهم واقضوا حوائجهم، ودعوا من لا حاجة له إليكم.

عن صخر بن أبي صخر. قال: قال عامر بن عبد قيس: أأنا من أهل الجنة، أو أنا من أهل الجنة، أو مثلي يدخل الجنة؟.

عن عبد الله بن عياش مولى بني جشم، عن أبيه، عن شيخ قد سماه ـ وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن عبد الله ـ. قال: مر برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمياً، والذمي يستغيث به، قال: فأقبل على الذمي فقال: أديت جزيتك؟ قال: نعم! فأقبل عليه فقال: ما تريد منه؟ قال: أذهب به يكسح[1] دار الأمير، قال: فأقبل على الذمي فقال: تطيب نفسك له بهذا، قال: يشغلني عن ضيعتي، قال: دعه. قال: لا أدعه، قال: دعه قال: لا أدعه. قال: فوضع كساءه. ثم قال: لا تحقر ذمة محمد ﷺ وأنا حي، ثم خلصه منه قال: فتراقى[2] ذلك حتى كان سبب تسييره.

عن سعيد الجريري. قال: لما سير عامر بن عبد الله شيعه

---

(١) أي يكنس.

(٢) أي عظم.

إخوانه وكان بظهر المربد. فقال: إني داع فأمنوا، قالوا: هات فقد كنا نشتهي هذا منك، قال: اللهم من وشى بي وكذب عليّ وأخرجني من مصري، وفرق بيني وبين إخواني، اللهم أكثر ماله وولده، وأصح جسمه وأطل عمره.

عن الحسن. قال: بعث بعامر بن عبد قيس إلى الشام. فقال: الحمد لله الذي حشرني راكباً.

عن مالك بن دينار. قال: مر عامر بن عبد قيس، فإذا قافلة قد احتبست، فقال لهم: مالكم لا تمرون؟ فقالوا: الأسد حال بيننا وبين الطريق، قال: هذا كلب من الكلاب، فمر به حتى أصاب ثوبه فم الأسد.

عن الحسن. قال: سمعهم عامر بن عبد قيس وما يذكرونه من أمر الضيعة في الصلاة، قال: أتجدونه؟ قالوا: نعم! قال: والله لأن تختلف الأسنة في جوفي، أحب إليّ من أن يكون هذا مني في صلاتي.

عن أبي الغلاء. قال: قال رجل لعامر بن عبد الله: استغفر لي. فقال إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه، ولكن أطع الله ثم ادعه يستجب لك.

عن الحسن. قال: كان لعامر بن عبد الله بن عبد قيس مجلس في المسجد، فتركه حتى ظننا أنه قد ضارع أصحاب الأهواء، قال: فأتيناه فقلنا له: كان لك مجلس في المسجد فتركته؟ قال: أجل! إنه مجلس كثير اللغط والتخليط، قال: فأيقنا أنه قد ضارع أصحاب الأهواء، فقلنا ما تقول فيهم؟ قال: وما عسى أن أقول فيهم، رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ وصحبتهم فحدثونا أن أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أشدهم محاسبة لنفسه في الدنيا، وإن أشد الناس فرحاً في الدنيا أشدهم حزناً يوم القيامة، وإن أكثر الناس ضحكا في الدنيا

أكثرهم بكاء يوم القيامة، وحدثونا أن الله تعالى فرض فرائض، وسن سننا، وحد حدوداً، فمن عمل بفرائض الله وسننه، واجتنب حدوده، دخل الجنة بغير حساب، ومن عمل بفرائض الله وسننه، وركب حدوده، ثم تاب استقبل الشدائد والزلازل والأهوال ثم يدخل الجنة، ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده، ثم مات مصراً على ذلك، لقي الله مسلماً، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وبدأنا بذكر أويس إذ هو سيد نساك التابعين، وثنينا بعامر بن عبد قيس وهو من بني العنبر، وهو أول من عرف بالنسك، واشتهر من عباد التابعين بالبصرة فقدمناه على غيره من الكوفيين لتقدم البصرة على الكوفة، إذ البصرة بنيت قبل الكوفة بأربع سنين، وكذلك أهل البصرة بالنسك والعبادة أشهر وأقدم من الكوفيين. وكان عامر بن عبد قيس ممن تخرج على أبي موسى الأشعري في النسك والتعبد، ومنه تلقن القرآن وعنه أخذ الطريقة.

١٦٤ ـ مسروق[١]

[ت٦٣هـ]

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه، في العلم معروف. وبالضمان موثوق، ولعباد الله معشوق، أبو عائشة المسمى بمسروق. وهو مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي.

عن مسلم، عن مسروق. قال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

---

(١) سرق وهو صغير، ثم وجد، فسمي مسروقاً، وأسلم أبو الأجدع، ولقي عمر بن الخطاب مسروقاً، فقال له: ما اسمك؟ فقال: مسروق بن الأجدع، فقال: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن، فثبت على ذلك. وكان من أصحاب ابن مسعود، ومات بالكوفة سنة ثلاث وستين (الصفوة).

عن الشعبي. قال: خرج مسروق إلى البصرة، إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علما، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم علينا ها هنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها.

قال مسروق: من سره أن يعلم علم الأولين، وعلم الآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

عن أبي إسحاق. قال: حج مسروق، فما بات إلا ساجداً.

عن سعيد بن جبير. قال: لقيني مسروق فقال: يا سعيد ما بقي شيء يرغب فيه، إلا أن نعفر وجوهنا في التراب.

عن مسروق. قال: أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد.

عن أبي الضحى. قال: كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة.

عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر. قال: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم.

عن مسروق: أنه كان لا يأخذ على القضاء أجراً، ويتأول هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية[1].

عن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. قال: بلغني أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخ له، فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فانضوها، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١١).

١٦٤م ـ علقمة بن قيس النخعي

[ت٦١هـ]

ومنهم العالم الرباني، علقمة بن قيس النخعي أبو شبل الهمداني[1]. أوتي فقهاً وعبادة، وحسن تلاوة وزهادة.

عن أبي إسحاق. قال مرة الطيب: كان علقمة من الديانين الذين يقرؤون القرآن.

عن مرة. قال: كان علقمة بن قيس رباني هذه الأمة.

عن أبي معمر. قال: دخلنا على عمر بن شرحبيل فقال: انطلقوا بنا إلى أشبه الناس هدياً وسمتا بعبد الله بن مسعود، فدخلنا على علقمة.

عن قابوس بن أبي ظبيان. قال: قلت لأبي: لأي شيء كنت تأتي علقمة، وتدع أصحاب النبي ﷺ؟ قال: رأيت أصحاب النبي ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه.

عن إسحاق بن عبد الله، عن أصحاب عبد الله، عن عبد الله. قال: مر بحلقة فيها علقمة، والأسود، ومسروق، وأصحابهم، فوقف عليهم فقال: بأبي وأمي العلماء، بروح الله ائتلفتم، وكتاب الله تلوتم، ومسجد الله عمرتم، ورحمة الله انتظرتم، أحبكم الله وأحب من أحبكم.

عن علقمة بن قيس. قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان عبد الله بن مسعود يرسل إليّ، فاقرأ عليه القرآن، قال: فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا.

---

(١) أسند علقمة عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم. وتوفي بالكوفة سنة إحدى وستين، وقيل غير ذلك (الصفوة).

عن المسيب بن رافع. قال: كانوا يدخلون على علقمة، وهو يقرع غنمه ويحلب ويعلف.

عن المسيب بن رافع. قال: قيل لعلقمة: لو جلست فأقرأت القرآن وحدثتهم؟ قال: أكره أن يوطأ عقبي، وأن يقال هذا علقمة. وكان يكون في مبيته يعلف غنمه ويفت لهم. قال: فكان ومعه شيء يقرع بينهن إذا تناطحن.

عن إبراهيم. قال: جاء رجل إلى علقمة فشتمه فقال علقمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1] الآية. فقال الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو.

عن علقمة. قال: تذاكروا الحديث فإن حياته ذكره.

عن إبراهيم. قال: قلت لعلقمة علمني الفرائض، قال: أمت جيرانك[2].

عن علقمة. قال: لا تنعوني كنعي أهل الجاهلية، ولا تؤذنوا بي أحداً، وأغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة، ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله فافعلوا.

١٦٥ ـ الأسود بن يزيد النخعي

[ت٧٥هـ]

ومنهم القارئ القوام، الساري الصوام، الفقيه الأثير، الفقير

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٨).

(٢) أي تخيل موت جيرانك في تعلم الفرائض، وذلك بغية أخذ أمثلة من الواقع لحل مسائل الفرائض.

الأسير، الأسود بن النخعي[1].

عن إبراهيم. قال: كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال.

عن أبي إسحاق. قال: حج الأسود ثمانين ما بين حجة وعمرة.

عن الشعبي. قال ـ وسئل عن الأسود ـ فقال: كان صواماً قواماً حجاجاً.

عن علقمة بن مرثد. قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد.

كان مجتهداً في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد؟ قال: راحة هذا الجسد أريد. فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني، والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحياً منه.

ولقد حج الأسود ثمانين حجة.

عن عمارة. قال: ما كان الأسود إلا راهباً من الرهبان.

١٦٦ ـ أبو يزيد الربيع بن خيثم

ومنهم المخبت الورع، المتثبت القنع، الحافظ لسره، الضابط لجهره، المعترف بذنبه، المفتقر إلى ربه، أبو يزيد الربيع بن خيثم[2]، أحد الثمانية من الزهاد.

---

(١) يكنى أبا عمرو. وهو ابن أخي علقمة بن قيس، وهو أكبر من علقمة. أسند عن أبي بكر وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين (الصفوة).

(٢) أسند الربيع بن خُثَيم عن ابن مسعود وغيره، وتوفي بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد عليها. [كذا في «تهذيب التهذيب» ـ وفي «الحلية» و«الخلاصة» «خَيْثَم»].

عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود. قال: كان الربيع بن خيثم إذا دخل على عبد الله بن مسعود، لم يكن عليه إذن لأحد، حتى يفرغ كل واحد من صاحبه، قال: فقال عبد الله: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

عن ياسين الزيات. قال: جاء ابن الكواء إلى الربيع بن خيثم قال: دلني على من هو خير منك، قال: نعم! من كان منطقه ذكراً، وصمته تفكراً، ومسيره تدبراً، فهو خير مني.

عن علقمة بن مرثد. قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين.

فأما الربيع بن خيثم فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت، فقال: لقد علمت أن الدواء حق ولكن ذكرت عاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأوجاع، وكانت لهم الأطباء فلا المداوى بقي ولا المداوي. فقيل له: ألا تذكُر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله تعالى في ذنوب الناس، وأمنوا على ذنوبهم.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

وكان الربيع يقول: أما بعد فأعدَّ زادك، وخذ في جهادك، وكن وصي نفسك.

عن سفيان. قال: أخبرتني سرّية الربيع بن خيثم قالت: كان عمل الربيع كله سراً؛ إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه.

عن سفيان، عن رجل، عن الربيع بن خيثم، قال: كل ما لا يبتغى به وجه الله تعالى يضمحل.

عن منذر الثوري. قال: كان الربيع إذا أتاه الرجل يسأله قال:

اتق الله فيما علمت، وما استؤثر عليك فَكِلْه إلى عالمه، لأنَا عليكم في العمد أخوف مني عليكم في الخطأ، وما خيرتكم اليوم بخير، ولكنه خير من آخر شر منه، وما تتبعون الخير حق إتباعه، وما تفرون من الناس حق فراره، ولا كل ما أنزل على محمد ﷺ أدركتم، ولا كل ما تقرؤون تدرون ما هو؟ ثم يقول: السرائر السرائر اللاتي تخفين من الناس وهن لله تعالى بوَادٍ، التمسوا دواءهن. ثم يقول: وما دواؤهن إلا أن تتوب ثم لا تعود.

عن نسير بن ذعلوق. قال: كان الربيع بن خيثم يبكي حتى تبل لحيته دموعه.

عن فضيل بن عياض. قال: كان الربيع بن خيثم يقول في دعائه: أشكو إليك حاجة لا يحسن بثها إلا إليك، وأستغفر منها وأتوب إليك.

عن الربيع بن خيثم. قال: أقلوا الكلام إلا بتسع؛ تسبيح، وتكبير، وتهليل، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءة القرآن.

عن إبراهيم. قال: قال فلان: ما أرى ربيعاً تكلم بكلام منذ عشرين عاماً إلا بكلمة تصعد.

عن بكر بن ماعز. قال: قال الربيع بن خيثم: الناس رجلان مؤمن وجاهل، فأما المؤمن فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله.

عن أبي وائل. قال: أتينا الربيع بن خيثم فقال: ما جاء بكم؟ قلنا جئنا لتحمد الله ونحمده معك، وتذكر الله ونذكره معك، قال: الحمد الله إذا لم تأتوني تقولون جئنا تشرب فنشرب معك، وتزني فنزني معك.

عن العلاء بن المسيب. قال: سرق للربيع بن خيثم فرس، فقال

أهل مجلسه: ادع الله عليه، قال: بل أدع الله له؛ اللهم إن كان غنياً فأقبل بقلبه، وإن كان فقيراً فأغنه.

عن منذر الثوري، عن الربيع؛ أنه أوصى عند موته فقال: هذا ما أوصى به الربيع على نفسه وأشهد الله عليه وكفى به شهيداً، وجازياً لعباده الصالحين ومثيباً، إني رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، ورضيت لنفسي ومن أطاعني بأن أعبد الله في العابدين، وأحمده في الحامدين، وأنصح لجماعة المسلمين.

عن الربيع بن المنذر، عن أبيه. قال: قال الربيع: يا منذر قلت: لبيك، قال: لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك.

عن عبد الرحمن بن عجلان. قال: بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلي. فمر بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية[1]. فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

عن أبي حيان. قال: حدثني أبي قال: كان الربيع بعد ما سقط شقه[2] يهادى بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون: يا أبا يزيد لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي حي على الفلاح، فمن سمع منكم ينادى حي على الفلاح، فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً.

عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم. قال: ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت.

---

(١) سورة الجاثية، الآية (٢١).

(٢) أي أصابه الفالج، كما في الرواية الثانية للخبر.

عن منذر الثوري، عن الربيع بن خيثم. قال: حرف وأيما حرف! من يطع الرسول فقد أطاع الله.

عن حسن - يعني ابن صالح - قال: قيل للربيع بن خيثم لو جالستنا؟ فقال: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد عليّ.

عن منذر، عن الربيع بن خيثم: أنه كان يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تكفى هذا، قال: إني أحب أن آخذ بنصيبي من المهنة.

١٦٧ - هرم بن حيان

ومنهم الهائم الحيران، القائم العطشان، هرم بن حيان[1]، عاش في حبه ولهان حرقاً، وعاد قبره حين دفن ريان غدقاً.

عن الحسن، عن هرم بن حيان العبدي؛ أنه كان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها. قال: وكان يقول: أخرجوا من قلوبكم حب الدنيا، وادخلوا قلوبكم حب الآخرة.

عن الحسن. قال: خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر، يؤمان الحجاز؛ فجعل أعناق رواحلهما تخالجان الشجر، فقال هرم لابن عامر: أتحب أنك شجرة من هذه الشجر؟ فقال ابن عامر لا والله، إنا لنرجو من رحمة الله ما هو أوسع من ذلك. قال له هرم - وكان أفقه الرجلين وأعلمهما بالله -: لكني والله لوددت أني شجرة من هذا الشجر، قد أكلتني هذه الراحلة، ثم قذفتني بعراً ولم أكابد الحساب يوم القيامة، إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويحك يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى.

عن مالك بن دينار. قال: استعمل هرم بن حيان، فظن أن قومه

---

(١) كان عاملاً لعمر بن الخطاب.

سيأتونه، فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاءه قومه يسلمون عليه من بعيد، فقال: مرحباً بقومي أدنوا، قالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك لقد حالت النار بينا وبينك. قال: وأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها، في نار جهنم، قال: فرجعوا.

عن إسماعيل بن أبي خالد. قال: قال هرم بن حيان: اللهم إني أعوذ بك من شر زمان، تمرد فيه صغيرهم، وتآمر فيه كبيرهم، وتقرب فيه آجالهم.

عن أبي نضرة؛ أن عمر رضي الله تعالى عنه بعث هرم بن حيان على الخيل، فغضب على رجل فأمر به فوجئت عنقه ثم أقبل على أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيراً ما نصحتموني حين قلت، ولا كففتموني عن غضبي، والله لا ألي لكم عملاً. ثم كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرعية فابعث إلى عملك.

عن قتادة. قال: ذكر لنا أن هرم بن حيان لما حضره الموت قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي فاقضوا عني ديني، فإن لم يفِ فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم النحل ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[1].

عن ابن شوذب. قال: قال هرم بن حيان: لو قيل لي إني من أهل النار، لم أدع العمل، لئلا تلومني نفسي فتقول: ألا صنعت، ألا فعلت.

١٦٨ ـ أبو مسلم الخولاني[2]

ومنهم المتخلي عن الهموم والكرب، المتسلي بالأوراد والنوب،

---

(١) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٢) ذكره المصنف مرة أخرى باعتباره من تابعي أهل الشام برقم (٣٠١).

الخولاني أبو مسلم عبد الله بن ثوب[1]. حكيم الأمة وممثلها، ومديم الخدمة ومحررها.

عن علقمة بن مرثد. قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: منهم أبو مسلم الخولاني.

وكان لا يجالس أحداً قط، ولا يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه.

فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا، فرجا أن يكونوا على ذكر خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلامي فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كرجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وإنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير، فإذا أنتم أصحاب الدنيا.

وقال له قائل - حين كبر ورق - لو قصرت عن بعض ما تصنع؟ فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها، حتى إذا رأيتم الغاية فلا تَسْتَبقوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى! قال: فإني أبصرت الغاية وإن لكل ساع غاية، وغاية كل ساع الموت، فسابق ومسبوق.

عن صفوان بن مسلم. قال: قال أبو مسلم الخولاني: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فإنهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ساببتهم سابوك، وإن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك.

---

(١) أدرك أبو مسلم أبا بكر وعمر، وأسند عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية - كذا قال محمد بن سعد - وقال البخاري: توفي في خلافة معاوية. (الصفوة).

عن مالك بن دينار. قال: بلغنا أن كعباً رأى أبا مسلم الخولاني فقال: من هذا؟ قالوا: هذا أبو مسلم الخولاني، قال: هذا حكيم هذه الأمة.

عن يزيد ـ يعني ابن جابر ـ. قال: كان أبو مسلم الخولاني يكثر أن يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان، وكان يقول أذكروا الله حتى يرى الجاهل أنكم مجانين.

عن الحسن. قال: قال أبو مسلم الخولاني: أرأيتم نفساً إن أنا أكرمتها ونعمتها وودعتها ذمتني غداً عند الله، وإن أنا أسخطتها وأنصبتها وأعملتها ـ أو كما قال ـ رضيت عني غداً؟ قالوا من تيكم يا أبا مسلم؟ قال: تيكم والله نفسي.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قال أبو مسلم الخولاني: لو قيل لي إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي.

عن أبي عبد الله الحرسي ـ وكان من حرس عمر بن عبد العزيز ـ. قال: دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان، وقال: السلام عليك أيها الأجير، فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم، ثم قال: السلام عليك أيها الأجير، فقال الناس: الأمير، فقال معاوية: دعوا أبا مسلم هو أعلم بما يقول، قال أبو مسلم: إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيراً فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء أعطاه أجره وزاد من قبله زيادة، وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطه الأجر. فقال معاوية: ما شاء الله كان.

عن عبيد الله بن شميط، عن أبيه. قال: كان أبو مسلم الخولاني يطوف ينعي الإسلام، فأتي معاوية فقيل له، فأرسل إليه فدعاه فقال

له: ما اسمك؟ قال: معاوية، قال: بل أنت حدوثة قبر عن قليل: إن عملت خيراً أجزيت به، وإن عملت شراً أجزيت به، يا معاوية إن عدلت على أهل الأرض جميعاً ثم جرت على رجل واحد مال جورك بعدلك.

عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني؛ أنه كان إذا وقف على خربة، قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، وانقطعت الشهوات وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

عن يونس الهرم، عن أبي مسلم الخولاني؛ أنه نادى معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على منبر دمشق. فقال: يا معاوية إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجيء بشيء فلا شيء لك، يا معاوية لا تحسبن الخلافة جمع المال وتفرقه، ولكن الخلافة العمل بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله عز وجل، يا معاوية إنا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفت لنا رأس عيننا، وإنك رأس عيننا، يا معاوية إياك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب، فيذهب حيفك بعدلك، فلما قضى أبو مسلم مقالته أقبل عليه معاوية فقال: يرحمك الله.

عن أبي قلابة، عن أبي مسلم الخولاني. قال: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء، يجري منها إلى نهر عظيم، فيخوض الناس النهر فيكدرونه، ويعود عليهم صفو العين، فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر.

قال: ومثل الإمام ومثل الناس، كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود، لا يقوم العمود إلا بالأطناب ـ أو قال: بالأوتاد ـ فكلما نزع وتد زاد العمود وهنا؛ لا يصلح الناس إلا بالإمام، ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

عن عمر بن سيف الخولاني؛ أنه سمع أبا مسلم الخولاني يقول: لأن يولد لي مولود يحسن الله نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إليّ قبضه الله مني أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا وما فيها.

عن شرحبيل بن مسلم؛ أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله، فقال بعض أهله: هو في المسجد، فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظرا انصرافه وأحصيا ركوعه فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة، والآخر أربعمائة قبل أن ينصرف.

عن سليمان بن يزيد العدوي. قال: قال أبو مسلم: يا أم مسلم سوي رحلك، فإنه ليس على جهنم معبرة.

عن شرحبيل الخولاني. قال: بينا الأسود بن قيس العنسي باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم فقال له: أتشهد أن محمداً ﷺ رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: فأمر بنار عظيمة فأججت وطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلدك أفسدها عليك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، فعقل راحلته على باب المسجد وقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي إليها، فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فأتاه فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره، قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم! قال: فقبّل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر. وقال: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا، حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

عن بلال بن كعب العكي. قال: كان الظبي يمر بأبي مسلم

الخولاني فيقول له الصبيان أدع الله يحبسه علينا نأخذه بأيدينا، فكان يدعو الله عز وجل فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم.

عن أبي مسلم الخولاني، عن معاوية بن أبي سفيان؛ أنه خطب الناس، وقد حبس العطاء شهرين ـ أو [illegible] ـ فقال له أبو مسلم: يا معاوية إن هذا المال، ليس بمالك ولا مال أبيك ولا مال أمك، فأشار معاوية إلى الناس أن أمكثوا. ونزل فاغتسل ثم رجع فقال: أيها الناس، إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالي ولا بمال أبي ولا أمي، وصدق أبو مسلم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء يطفئ النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل) أغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل.

عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي مسلم الخولاني. قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، برّاق الثنايا لا يتكلم ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فوقع في نفسي حبه فمكثت معهم حتى تفرقوا، ثم هجرت إلى المسجد فإذا معاذ بن جبل قائم يصلي إلى سارية، فصليت ثم جلست، فاحتبيت بردائي وجلس فسكتُّ لا أكلمه وسكت لا يكلمني، ثم قلت: أني والله لأحبك، قال: فيم تحبني؟ قلت: في الله عز وجل. قال: فأخذ بحبوتي فجرني إليه هنيهة ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء). قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك ماحدثني به معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: وأنا أحدثك عن النبي ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل. قال: (حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ).

١٦٩ ـ الحسن البصري

[ت١١٠هـ]

ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن[١]. الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً.

عن الحسن. قال: ذهبت المعارف وبقيت المناكر، ومن بقي من المسلمين فهو مغموم.

عن عمران بن خالد. قال: قال الحسن: إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخافتين؛ بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك.

عن إبراهيم بن عيسى اليشكري. قال: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

عن الحسن. قال: يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده، أن يطول حزنه.

عن علقمة بن مرثد. قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين؛ فمنهم الحسن بن أبي الحسن، فما رأينا أحداً من الناس كان أطول

---

(١) يكنى أبا سعيد، وكان أبوه من أهل بيسان فسبي. فهو مولى الأنصار، ولد في خلافة عمر، وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ، فربما غابت، فتعطيه أم سلمة ثديها، تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك.

عاصر الحسن خلقاً كثيراً من الصحابة، وتوفي في سنة عشر ومائة. (الصفوة).

حزناً منه، ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف، ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه.

❁ ❁ ❁

عن أبي حميد الشامي. قال: كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز:

إعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيراً، يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية.

فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة، التي قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة. فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر عنها مدكر. فأبت القلوب لها إلا حباً، وأبت النفوس

بها إلا ضناً. وما هذا منًا لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يعقل غيره، ومات في طلبه أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها؛ فعاشق قد ظفر بها واغتر، وطغى ونسي بها المبدأ والمعاد. فشغل بها لبَّه، وذهل فيها عقله، حتى زلت عنها قدمه، وجاءته أسرَّ ما كانت له منيته، فعظمت ندامته، وكسرت حسرته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف ما نزل به، وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته، فذهب بكربه وغمه لم يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب. خرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد.

فاحذرها الحذر كله، فإنها مثل الحية، لين مسها وسمها يقتل، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عاينت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، وشدد ما اشتد منها لرخاء ما يصيبك، وكن أسرَّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر بشيء منها وثنى رجلاً عليه انقلبت به، فالسارُّ فيها غارٌ، والنافع فيها غدا ضار، وُصِلَ الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهن، فانظر إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر العاشق الوامق، واعلم أنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يدرى ما هو آت فيها فينتظر.

فاحذرها فإن أمانيها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر. إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية قاضية، فلقد كدَّت عليه المعيشة إن عقل، وهو من النعماء على خطر، ومن البلوى على حذر، ومن المنايا على يقين؛ فلو كان الخالق تعالى لم يخبر عنها بخبر، ولم

يضرب لها مثلاً، ولم يأمر فيها بزهد؛ لكانت الدار قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله عز وجل قدر، ولا لها عند الله تعالى وزن من الصغر، ولا تزن عند الله تعالى مقدار حصاة من الحصا، ولا مقدار ثراة في جميع الثرى، ولا خلق خلقاً ـ فيما بلغت ـ أبغض إليه من الدنيا، ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها.

ولقد عرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، ولم ينقصه ذلك عنده جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها، ولا ينقصه عند الله تعالى شيء، إلا أنه علم أن الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه، وصغر شيئاً فصغره، ووضع شيئاً فوضعه، ولو قبلها كان الدليل على حبه إياها قبولها، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ما وضع مليكه.

ولو لم يدلّه على صغر هذه الدار، إلا أن الله تعالى حقرها، أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها عذاباً للعاصين. فأخرج ثواب الطاعة منها، وأخرج عقوبة المعصية عنها. وقد يدلّك على شر هذه الدار أن الله تعالى زواها عن أنبيائه وأحبائه اختباراً، وبسطها لغيرهم اعتباراً واغتراراً؛ ويظن المغرور بها والمفتون عليها أنه إنما أكرمه بها، ونسي ما صنع بمحمد المصطفى ﷺ، وموسى المختار عليه السلام بالكلام له وبمناجاته.

فأما محمد ﷺ فشد الحجر على بطنه من الجوع، وأما موسى عليه السلام فرئي خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، ما سأل الله تعالى يوم أوى إلى الظل إلا طعاماً يأكله من جوعه. ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى إليه؛ أن يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى قد أقبل فقل: ذنب عجلت عقوبته.

وإن شئت ثلثته بصاحب الروح والكلمة[1] ففي أمره عجيبة. كان يقول: أَدَمِي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر، وصلايتي في الشتاء الشمس، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام. أبيتُ وليس لي شيء وليس أحد أغنى مني.

ولو شئت ربعت بسليمان بن داود عليهما السلام، فليس دونهم في العجب. يأكل خبز الشعير في خاصته، ويطعم أهله الخشكار[2]، والناس الدرمك، فإذا جنه الليل لبس المسوح وغل اليد إلى العنق وبات باكياً حتى يصبح، يأكل الخشن من الطعام ويلبس الشعر من الثياب.

كل هذا يبغضون ما أبغض الله عز وجل، ويصغرون ما صغر الله تعالى، ويزهدون فيما فيه زهد.

ثم اقتص الصالحون بعد منهاجهم، وأخذوا بآثارهم وألزموا الكد والعبر وألطفوا التفكر، وصبروا في مدة الأجل القصير، عن متاع الغرور الذي إلى الفناء يصير، ونظروا إلى آخر الدنيا، ولم ينظروا إلى أولها، ونظروا إلى عاقبة مرارتها، ولم ينظروا إلى عاجلة حلاوتها؛ ثم ألزموا أنفسهم الصبر، أنزلوها من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها، إلا في حال الضرورة إليها؛ فأكلوا منها بقدر ما يرد النفس، ويقي الروح، ويسكن القرم[3].

وجعلوها بمنزلة الجيفة، التي قد اشتد نتن ريحها، فكل من مر بها أمسك على أنفه منها، فهم يصيبون منها لحال الضر، ولا ينتهون

---

(١) الروح والكلمة: يريد عيسى عليه السلام.

(٢) الخشكار: رديء الدقيق، والدرمك: الدقيق الحواري.

(٣) القرم: شدة شهوة اللحم.

منها إلى الشبع من النتن، فغربت عنهم وكانت هذه منزلتها من أنفسهم، فهم يعجبون من الآكل منها شبعاً، والمتلذذ بها أشرا. ويقولون في أنفسهم أما ترى هؤلاء لا يخافون من الأكل، أما يجدون ريح النتن؟ وهي والله يا أخي في العاقبة والآجلة أنتن من الجيفة المرصوفة، غير أن أقواماً استعجلوا الصبر، فلا يجدون ريح النتن، والذي نشأ في ريح الإهاب النتن لا يجد نتنه، ولا يجد من ريحه ما يؤذي المارة والجالس عنده، وقد يكفي العاقل منها أنه من مات عنها، وترك مالاً كثيراً، سره أنه كان فيها فقيراً، أو شريفاً أنه كان فيها وضيعاً، أو كان فيها معافى، سره أنه كان فيها مبتلى، أو كان مسلطناً سره أنه كان فيها سوقة. وإن فارقتها سرك أنك كنت أوضع أهلها ضعة، وأشدهم فيها فاقة، أليس ذلك الدليل على خزيها لمن يعقل أمرها.

والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده إلى جنبه، من غير طلب ولا نصب، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه، وسأله عنه ووقفه على حسابه، لكان ينبغي للعاقل أن لا يأخذ منها إلا قدر قوته وما يكفي، حَذَرَ السؤال وكراهية لشدة الحساب.

وإنما الدنيا إذ فكرت فيها ثلاثة أيام؛ يوم مضى لا ترجوه، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا؟ ولا تدري لعلك تموت قبله.

فأما أمس فحكيم مؤدب، وأما اليوم فصديق مودع، غير أن أمس وإن كان قد فجعك بنفسه، فقد أبقى في يديك حكمته، وإن كنت قد أضعته، فقد جاءك خلف منه، وقد كان عنك طويل الغيبة، وهو الآن عنك سريع الرحلة، وغداً أيضاً في يديك منه أمله. فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل.

وإياك أن تدخل على اليوم همَّ غد أو همَّ ما بعده، زدت في

حزنك وتعبك، وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك، هيهات كثر الشغل، وزاد الحزن، وعظم التعب، وأضاع العبد العمل بالأمل. ولو أن الأمل في غدك خرج من قلبك، أحسنت اليوم في عملك، واقتصرت لهمِّ يومك، غير أن الأمل منك في الغد دعاك إلى التفريط، ودعاك إلى المزيد في الطلب.

ولئن شئت واقتصرت لأصفن لك الدنيا ساعة بين ساعتين: ساعة ماضية، وساعة آتية، وساعة أنت فيها، فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذة، ولا لبلائهما ألماً. وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فخدعتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك إلى النار.

وإنما اليوم إن عقلت ضيف، نزل بك وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت نزله وقراه، شهد لك وأثنى عليك بذلك، وصَدَق فيك، وإن أسأت ضيافته، ولم تحسن قراه جال في عينيك، وهما يومان بمنزلة الأخوين، نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تحسن قراه فيما بينك وبينه، فجاءك الآخر بعده فقال: إني قد جئتك بعد أخي، فإن إحسانك إليّ يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ما صنعت، فدونك إذ نزلت بك وجئتك بعد أخي المرتحل عنك، فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت، فدارك ما قد أضعت. وإن ألحقت الآخر بالأول، فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك.

إن الذي بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل، فلو جمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً بقي من عمر صاحبه، فلا تبع اليوم ولا تعدله من الدنيا بغير ثمنه، ولا يكونن المقبور أعظم تعظيماً لما في يديك منك وهو لك، فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له: هذه الدنيا أولها إلى آخرها تجعلها لولدك من بعدك، يتنعمون فيها من ورائك؛ فقد كنت وليس لك هم غيرهم، أحب إليك أم يوم تترك فيه تعمل لنفسك، لاختار ذلك، وما كان ليجمع مع اليوم شيئاً إلا اختار اليوم عليه،

رغبة فيه وتعظيماً له، بل لو اقتصر على ساعة خيرها، وما بين أضعاف ما وصفت لك وأضعافه يكون لسواه، إلا اختار الساعة لنفسه على أضعاف ذلك يكون لغيره، بل لو اقتصر على كلمة يقولها تكتب له، وبين ما وصفت لك وأضعافه لاختار الكلمة الواحدة عليه، فانتقد[1] اليوم لنفسك وأبصر الساعة، وأعظم الكلمة، وأحذر الحسرة عند نزول السكرة، ولا تأمن أن تكون لهذا الكلام حجة، نفعنا الله وإياك بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

❀ ❀ ❀

عن أبي عبيدة سعيد بن رزين. قال: سمعت الحسن يعظ أصحابه يقول: إن الدنيا دار عمل، من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها، سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها وأجحف بحظه من الله عز وجل، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه، ولا طاقة له به من عذاب الله، فأمرها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب، والله تعالى ولي ميراثها، وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الثواء منها يخرجون.

فاحذروا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك الموطن، وأكثروا ذكر ذلك المنقلب، واقطع يا ابن آدم من الدنيا أكثر همك، أو لتقطعن حبالها بك، فينقطع ذكر ما خلقت له من نفسك، ويزيغ عن الحق قلبك، وتميل إلى الدنيا فترديك، وتلك منازل سوء بيِّن ضرها، منقطع نفعها، مفضية والله بأهلها إلى ندامة طويلة، وعذاب شديد، فلا تكونن يا ابن آدم مغتراً، ولا تأمن ما لم يأتك الأمان منه، فإن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك، لم تخلص منها حتى الآن، ولا بد من ذلك

(١) انتقد: أي خذه نقداً حالاً، ولا تؤجله حتى يكون نسيئة مؤجلاً.

المسلك، وحضور تلك الأمور، إما يعافيك من شرها وينجيك من أهوالها، وإما الهلكة.

وهي منازل شديدة مخوفة، محذورة مفزعة للقلوب، فلذلك فاعدد، ومن شرها فاهرب، ولا يلهينك المتاع القليل الفاني، ولا تربص بنفسك فهي سريعة الانتقاص. من عمرك، فبادر أجلك، ولا تقل غداً غداً، فإنك لا تدري متى إلى الله تصير.

واعلموا أن الناس أصبحوا جادين في زينة الدنيا، يضربون في كل غمرة، وكل معجب بما هو فيه، راضٍ به، حريص على أن يزداد منه، فما لم يكن من ذلك لله عز وجل، وفي طاعة الله، فقد خسر أهله وضاع سعيه، وما كان من ذلك في الله، وفي طاعة الله، فقد أصاب أهله به وجه أمرهم، ووفقوا فيه بحظهم، عندهم كتاب الله وعهده، وذكر ما مضى، وذكر ما بقي، والخبر عمن وراءهم.

كذلك أمر الله اليوم، وقبل ذلك أمره فيمن مضى، لأن حجة الله بالغة، والعذر بارز، وكل مواف الله ولما عمل. ثم يكون القضاء من الله في عباده على أحد أمرين: فمقضي له رحمته وثوابه، فيا لها نعمة وكرامة، ومقضي له سخطه وعقوبته، فيا لها حسرة وندامة.

ولكن حق على من جاءه البيان من الله بأن هذا أمره، وهو واقع، أن يصغر في عينه ما هو عند الله صغير، وأن يعظم في نفسه ما هو عند الله عظيم، أو ليس ما ذكر الله من الكراهة لأهلها فيما بعد الموت، والهوان، ما يطيب نفس امرئ عن عيشة دنياه، فإنها قد أذنت بزوال، لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجائعها، يبلى جديدها، ويسقم صحيحها، ويفتقر غنيها. ميالة بأهلها، لعابة بهم على كل حال، ففيها عبرة لمن اعتبر، وبيان فعلى ما تنتظر.

يا ابن آدم أنت اليوم في دار هي لافظتك، وكأن قد بدا لك أمرها، فإلى الصرام ما يكون سريعاً، ثم يفضي بأهلها إلى أشد الأمور

وأعظمها خطراً، فاتق الله يا ابن آدم، وليكن سعيك في دنياك لآخرتك، فإنه ليس لك من دنياك شيء، إلا ما صدرت أمامك، فلا تدخرن عن نفسك مالك، ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفك، ولكن تزود لبعد الشقة. واعدد العدة أيام حياتك وطول مقامك، قبل أن ينزل بك من قضاء الله ما هو نازل، فيحول دون الذي تريد، فإذا أنت يا ابن آدم قد ندمت، حيث لا تغني الندامة عنك، ارفض الدنيا ولتسخ بها نفسك، ودع منها الفضل، فإنك إذا فعلت ذلك، أصبت أربح الأثمان من نعيم لا يزول، ونجوت من عذاب شديد، ليس لأهله راحة ولا فترة، فاكدح لما خلقت له، قبل أن تفرق بك الأمور، فيشق عليك اجتماعها.

صاحب الدنيا بجسدك، وفارقها بقلبك، ولينفعك ما قد رأيت مما قد سلف بين يديك من العمر، وحال بين أهل الدنيا وبين ما هم فيه، فإنه عن قليل فناؤه، ومخوف وباله، وليزدك إعجاب أهلها بها زهداً فيها، وحذراً منها، فإن الصالحين كذلك كانوا.

واعلم يا ابن آدم أنك تطلب أمراً عظيماً، لا يقصر فيه إلا المحروم الهالك، فلا تركب الغرور، وأنت ترى سبيله؛ ولا تدع حظك وقد عرض عليك، وأنت مسؤول ومقول لك، فأخلص عملك، وإذا أصبحت فانتظر الموت، وإذا أمسيت فكن على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن أنجى الناس من عمل بما أنزل الله في الرخاء والبلاء، وأمر العباد بطاعة الله وطاعة رسوله، فإنكم أصبحتم في دار مذمومة، خلقت فتنة وضرب لأهلها أجل، إذا انتهوا إليه يبيد، أخرج نباتها، وبث فيها من كل دابة، ثم أخبرهم بالذي هم إليه صائرون، وأمر عباده فيما أخرج لهم من ذلك بطاعته، وبين لهم سبيلها - يعني سبيل الطاعة - ووعدهم عليها الجنة.

وهم في قبضته ليس منهم بمعجز له، وليس شيء من أعمالهم يخفى عليه. سعيهم فيها شتى، بين عاص ومطيع له، ولكل جزاء من الله بما عمل، ونصيب غير منقوص.

ولم أسمع الله تعالى فيما عهد إلى عباده، وأنزل عليهم في كتابه، رغب في الدنيا أحداً من خلقه، ولا رضي له بالطمأنينة فيها، ولا الركون إليها، بل صرف الآيات وضرب الأمثال بالعيب لها، والنهي عنها، ورغب في غيرها، وقد بين لعباده أن الأمر الذي خلقت له الدنيا وأهلها عظيم الشأن، هائل المطلع، نقلهم عنه ـ أراه ـ إلى دار لا يشبه ثوابهم ثواباً، ولا عقابهم عقاباً، لكنها دار خلود، يدين الله تعالى فيها العباد بأعمالهم، ثم ينزلهم منازلهم، لا يتغير فيها بؤس عن أهلها ولا نعيم، فرحم الله عبداً طلب الحلال جهده، حتى إذا دار في يده، وجهه الذي هو وجهه.

ويحك يا بابن آدم، ما يضرك الذي أصابك من شدائد الدنيا، إذا خلص لك خير الآخرة؛ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؛ هذا فضح القوم. ألهاكم التكاثر عن الجنة، عند دعوة الله تعالى وكرامته، والله لقد صحبنا أقواماً كانوا يقولون ليس لنا في الدنيا حاجة، ليس لها خلقنا، فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم وسهرهم، نعم والله حتى أهرقوا فيها دماءهم، ورجوا فأفلحوا ونجوا. هنيئاً لهم لا يطوي أحدهم ثوباً، ولا يفترشه، ولا تلقاه، إلا صائماً ذليلاً متبائساً خائفاً، حتى إذا دخل إلى أهله إن قرب إليه شيء أكله، وإلا سكت. لا يسألهم عن شيء ما هذا وما هذا، ثم قال:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

❋ ❋ ❋

عن الحسن. قال: يا ابن آدم عملك عملك، فإنما هو لحمك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك، إن لأهل التقوى علامات

يعرفون بها، صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل.

يا ابن آدم، إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرن من الخير شيئاً وإن هو صغر، فإنك إذا رأيته سرك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئاً، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، فرحم الله رجلاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته، هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحالتي مآلها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم. وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون؟ المعاينة فكأن قد. إنه لا كتاب بعد كتابكم. ولا نبي بعد نبيكم.

يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

❃ ❃ ❃

عن حميد. قال: بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد وهو يمص ماء ويمجه، تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى ارتعدت منكباه.

ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً، لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة، ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه من عورة بادية، ولا عين باكية، من يوم القيامة.

عن ابن مغول. قال: قال الحسن: غدا كل امرئ فيما يهمه، ومن هم بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة.

عن إبراهيم بن عيسى اليشكري. قال: سمعت الحسن إذا ذكر

صاحب الدنيا يقول: والله ما بقيت له ولا بقي لها، ولا سلم من تبعتها ولا شرها ولا حسابها، ولقد أخرج منها في خرق.

عن هشام، عن الحسن في قوله عز وجل: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾[1] قال: إن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل.

عن أبي بكر الهذلي. قال: كنا نجلس عند الحسن، فأتاه آت فقال: يا أبا سعيد دخلنا آنفاً على عبد الله بن الأهتم فإذا هو يجود بنفسه، فقلنا يا أبا معمر كيف تجدك؟ قال: أجدني والله وجعاً، ولا أظنني إلا لما بي. ولكن ما تقولون في مائة ألف في هذا الصندوق لم تؤد منها زكاة، ولم يوصل منها رحم؟ فقلنا: يا أبا معمر فلم كنت تجمعها؟ قال: كنت والله أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة.

فقال الحسن: انظروا هذا البائس، أنى أتاه الشيطان؛ فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، عما استودعه الله إياه، وعمره فيه. خرج والله منه كئيباً حزيناً ذميماً مليماً، أيها الوارث لا تخدع كما خدع صويحبك أمامك، أتاك هذا المال حلالاً، فإياك وإياك أن يكون وبالاً عليك، أتاك والله ممن كان له جموعاً منوعاً، يدأب فيه الليل والنهار، يقطع فيه المفاوز والقفار، من باطل جمعه، ومن حق منعه، جمعه فأوعاه، وشده فأوكاه، لم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً. إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غداً أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أو تدرون كيف ذاكم؟ رجل آتاه الله مالاً، وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به، فورثه هذا الوارث، فهو يراه في ميزان غيره. فيا لها عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال.

---

(١) سورة الحاقة، الآية (٢٠).

عن أبي عبيدة. قال الحسن: رحم الله امرأً عرف ثم صبر، ثم أبصر فبصر؛ فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا. اتقوا هذه الأهواء المضلة، البعيدة من الله، التي جماعها الضلالة، وميعادها النار لهم محنة، من أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته. يا ابن آدم دينَك دينَك، فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله فإنها نار لا تطفى، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفد أبداً، ونفس لا تموت. يا ابن آدم إنك موقوف بين يدي ربك، ومرتهن بعملك، فخذ مما في يديك، لما بين يديك، عند الموت يأتيك الخبر، إنك مسئول ولاتجد جواباً، إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه.

عن هشام. قال: سمعت الحسن يقول: والله لقد أدركت أقواماً ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط، وإن كان أحدهم ليقول: لوددت أني أكلت أكلة في جوفي مثل الآجرة ـ قال: ويقول: بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلثمائة سنة ـ ولقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد، قال: فيقول لأخيه يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث، وهو حلال، ولكني أخاف أن يفسد عليّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه، قال: فلا يرزأ منه شيئاً أبداً وإنه مجهود شديد الجهد.

عن أبي عبيدة. قال: قال الحسن: يا ابن آدم سرطاً سرطاً[1]، جمعاً جمعاً في وعاء، وشداً شداً في وكاء، ركوب الذلول ولبوس اللين، ثم قيل مات فأفضى والله إلى الآخرة. إن المؤمن عمل لله

(١) السرط: البلع.

تعالى أياماً يسيرة، فوالله ما ندم أن يكون أصاب من نعيمها ورخائها، ولكن راقت الدنيا له، فاستهانها وهضمها لآخرته، وتزود منها فلم تكن الدنيا في نفسه بدار، ولم يرغب في نعيمها، ولم يفرح برخائها، ولم يتعاظم في نفسه شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله، ولم يحتسب نوال الدنيا حتى مضى راغباً راهباً فهنيئاً هنيئاً، فأمَّن الله بذلك روعته، وستر عورته ويسر حسابه، وكان الأكياس من المسلمين يقولون: إنما هو الغدو والرواح، وحظ من الدلجة والاستقامة، لا يلبثك يا ابن آدم أن على الخير، حتى أن العبد إذا رزقه الله تعالى الجنة فقد أفلح. وأن الله تعالى لا يخدع عن جنته، ولا يعطي بالأماني، وقد اشتد الشح وظهرت الأماني وتمنى المتمني في غروره.

عن عمران القصير. قال: سألت الحسن عن شيء فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا، فقال: وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه عز وجل.

عن أيوب. قال: لو رأيت الحسن لقلت إنك لم تجالس فقيهاً قط.

عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي. قال: كان الحسن ابناً لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاء شديداً فرقت عليه أم سلمة رضي الله تعالى عنها، فأخذته فوضعته في حجرها فالقمته ثديها فدرّ عليه فشرب منه، فكان يقال: إن المَبْلَغَ الذي بلغه الحسن من الحكمة، من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة، زوج النبي ﷺ.

عن الأعمش. قال: ما زال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

عن خالد بن صفوان. قال: لما لقيت مسلمة بن عبد الملك بالحيرة قال: يا خالد أخبرني عن حسن أهل البصرة، قلت: أصلح الله الأمير، أخبرك عنه بعلم: أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به، أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه. قال: حسبك يا خالد كيف يضل قوم هذا فيهم.

عن أبي عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن. قال: ما من رجل يرى نعمة الله عليه فيقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات؛ إلا أغناه الله تعالى وزاده.

عن صالح المري، عن الحسن. قال: ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

عن موهب بن عبد الله. قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، كتب إليه الحسن البصري كتاباً، بدأ فيه بنفسه أما بعد؛ فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء، خيفة طول البلاء والسلام.

عن هشام، عن الحسن قال: رحم الله رجلاً لبس خلقاً، وأكل كسرة، ولصق بالأرض، وبكى على الخطيئة، ودأب في العبادة.

❁ ❁ ❁

عن علقمة بن مرثد. قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي، فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهراً ـ أو

نحوه ـ ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصاً له فسلم، ثم جلس معظماً لهما، فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، ينفذ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله عز وجل، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟

فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة.

فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت، قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟.

فقال: أقول يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى، فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة، كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة، أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاماً خوفكه الله تعالى فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1]، يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله تعالى في طاعته، كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله، وكلك الله إليه.

قال: فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزها وكثر منه ما للحسن، وكان في جائزته للشعبي بعض

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

❁ ❁ ❁

قال: وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك، حتى يلحقك الخوف.

فقال له بعض القوم: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين. حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

❁ ❁ ❁

عن فضيل بن جعفر. قال: خرج الحسن من عند ابن هبيرة، فإذا هو بالقراء على الباب، فقال: ما يجلسكم ها هنا، تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد لقحتم نعالكم، وشمرتم

ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

عن عبد الحميد الزيادي ـ وهو عبد الحميد بن كرديد ـ عن الحسن البصري رحمه الله تعالى. قال: إن لله عز وجل عباداً، كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار مخلدين، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، حوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصاراً، تعقب راحة طويلة. أما الليل فمصافة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم ربنا ربنا، وأما النهار فحلماء علماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم.

عن حميد الطويل. قال: خطب رجل إلى الحسن، وكنت أنا السفير بينهما، قال: فكأن قد رضيه، فذهبت يوماً اثني عليه بين يديه فقلت: يا أبا سعيد، وأزيدك: أن له خمسين ألف درهم، قال: له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال، قلت: يا أبا سعيد إنه كما علمت ورع مسلم، قال: إن كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق. لا والله لا جرى بيننا وبينه صهر أبداً.

عن أبي سفيان طريف، عن الحسن؛ أنه كان يتمثل بهذين البيتين أحدهما في أول النهار، والآخر في آخر النهار:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله
وما الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا بباق

عن أبي موسى. قال: سمعت الحسن يقول: الإسلام وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يسلم قلبك لله، وأن يَسْلَمَ منك كل مسلم وكل ذي عهد.

عن الحسن. قال: المؤمن من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال، والمؤمن أحسن الناس عملاً، وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال، ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً يقول: لا أنجو، والمنافق يقول سواد الناس كثير، وسيغفر لي ولا بأس عليّ، فينسئ العمل ويتمنى على الله تعالى.

عن مسلمة بن جعفر. قال: سمعت الحسن يقول: لما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ، يعرفون وجهه ويعرفون نسبه، قال: هذا نبي هذا خياري خذوا من سنته وسبيله، أما والله ما كان يغدى عليه بالجفان ولا يراح، ولا يغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجبة، كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ ويركب الحمار، ويردف خلفه، وكان يلعق يده.

وكان الحسن يقول: ما أكثر الراغبين عن سنة نبي الله ﷺ، وما أكثر التاركين لها. ثم إن علوجاً فساقاً أكلة ربا وغلول، قد شغلهم ربي عز وجل ومقتهم. زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا، وستروا البيت وزخرفوها، ويقولون: من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، ويذهبون بها إلى غير ما ذهب الله بها إليه، إنما جعل الله ذلك لأولياء الشيطان. الزينة ما ركب ظهره، والطيبات ما جعل الله تعالى في بطونها، فيعمد أحدهم إلى نعمة الله عليه فيجعلها ملاعب لبطنه وفرجه وظهره، ولو شاء الله إذا أعطى العباد ما أعطاهم، أباح ذلك لهم، ولكن تعقبها بما يسمعون؛ فكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. فمن أخذ نعمة الله وطعمته، أكل بها هنيئاً مريئاً، ومن جعلها ملاعب لبطنه وفرجه وعلى ظهره، جعلها وبالاً يوم القيامة.

عن الحسن؛ أن شاباً مر به وعليه بردة له فدعاه فقال: إيه ابن آدم، معجب بشبابه، معجب بجماله، معجب بثيابه، كأن القبر قد

وارى بدنك. وكأنك قد لاقيت عملك، فداو قلبك فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

عن أبان بن محبر، عن الحسن، أنه لما حضره الموت، دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا سعيد زودنا منك كلمات تنفعنا بهن، قال: إني مزودكم ثلاث كلمات، ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له؛ ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون.

عن خالد بن شوذب الجشمي. قال: سمعت الحسن يقول: من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر له، النجا النجا ثم الوحا الوحا على ما تعرجون، وقد أسرع بخياركم، وذهب نبيكم ﷺ، وأنتم كل يوم ترذلون، العيان العيان.

عن صالح بن رستم. قال: سمعت الحسن يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك. ابن آدم وأنت المعني وإياك يراد.

عن أبي جميع سالم. قال: سمعت الحسن يقول: لقد أدركت أقواماً كانوا أأمر الناس بالمعروف وآخذهم به، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف، وأبعدهم منه، وأنهى الناس عن المنكر، وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء.

عن حزم بن أبي حزم. قال: سمعت الحسن يقول: بئس الرفيقان: الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك.

عن المبارك بن فضالة. قال: سمعت الحسن يقول: ابن آدم طأ

الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

عن أبي قيس عن الحسن. قال: لا تخالفوا الله عن أمره، فإن خلافاً عن أمره عمران دار قضى الله عليها الخراب.

عن أبي هلال صاحب البشرى. أن الحسن قال: وأيم الله ما من عبد قسم له رزق يوم بيوم، فلم يعلم أنه قد خير له، إلا عاجز أو غبي الرأي.

عن يحيى بن المختار، عن الحسن. قال: إن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة، على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة. إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا ما لي ولهذا، والله مالي عذر بها، ووالله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله.

عن أبي عبيدة الناجي، عن الحسن. قال: يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في هلكة، فذرهم وما اختاروا لأنفسهم، قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم، فذلوا وهلكوا وافتضحوا، يا ابن آدم إنما الحكم حكمان: فمن حكم بحكم الله فإمام عدل، ومن حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية، إنما الناس ثلاثة: مؤمن وكافر ومنافق؛ فأما المؤمن فعامل الله بطاعته، وأما الكافر فقد أذله الله كما قد رأيتم، وأما المنافق فههنا معنا في

الحجر والطرق والأسواق، نعوذ بالله والله ما عرفوا ربهم. اعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة. وإن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً، وإن كان محسناً، لا يصلحه إلا ذلك، ولا يمسي إلا خائفاً وإن كان محسناً، لأنه بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ماذا يصنع الله تعالى فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من الهلكات، إن المؤمنين شهود الله في الأرض، يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله، فمن وافق كتاب الله حمد الله عليه، وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب الله، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق.

عن أشعث. قال: كنا إذا دخلنا على الحسن خرجنا ولا نعد الدنيا شيئاً.

عن الحسن. قال: أرى رجالاً ولا أرى عقولاً، أسمع أصواتاً ولا أرى أنيساً، أخصب ألسنة وأجدب قلوباً.



الفصل الثاني
الفقهاء السبعة[1]

قال الشيخ رحمه الله: وتلي هذه الطبقة، طبقة أهل المدينة، غلب عليهم التفقه في الدين فعرفوا به، وصدر الناس عن فتاويهم فيما كانوا يمتحنون به، وكان لهم الحظ الوافر من التعبد والنسك، ولم يظهروه بل أخفوه وكتموه. منهم:

سعيد بن المسيب.

وعروة بن الزبير.

والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

وخارجة بن زيد بن ثابت.

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

وسليمان بن يسار.

هؤلاء هم الفقهاء السبعة كان نسكهم وتعبدهم فوق نسك كثير من المشتهرين بالتعبد، وذكرنا لكل واحد منهم اليسير من أقوالهم وأحوالهم مع حديث يسنده من جملة مسانيدهم ليقف المسترشد المتعرف لأحوالهم على طريقتهم في النسك والتعبد.

---

(١) ألحق بهم المصنف سالم بن عبد الله إذ ذكر بعده طبقة أهل البصرة.

١٧٠ ـ سعيد بن المسيب[1]

[ت٨٤هـ]

فأما أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي؛ كان من الممتحنين امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحبُ عبادة وجماعة وعفة وقناعة، وكان كاسمه بالطاعات سعيداً، ومن المعاصي والجهالات بعيداً.

عن بكر بن خنيس. قال: قلت لسعيد بن المسيب ـ وقد رأيت أقواماً يصلون ويتعبدون ـ: يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يا ابن أخي إنها ليست بعبادة، قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال: التفكر في أمر الله، والورع عن محارم الله، وأداء فرائض الله تعالى.

عن صالح بن محمد بن زائدة، أن فتية من بني ليث كانوا عباداً، وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد ولا يزالون يصلون حتى يصلى العصر. فقال صالح لسعيد: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان. فقال سعيد: ما هذه العبادة، ولكن العبادة التفقه في الدين، والتفكر في أمر الله تعالى.

عن سعيد بن المسيب. قال: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.

عن سعيد بن المسيب؛ أنه اشتكى عينيه فقيل له: يا أبا محمد لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة فوجدت ريح البرية لنفع ذلك بصرك. فقال سعيد: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح.

---

(١) يكنى أبا محمد، ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي الله عنه.
وأسند عن عمر وعثمان وعلي وغيرهم. ومات بالمدينة وهو ابن أربع وثمانين سنة ـ على خلاف في ذلك ـ رحمه الله. (الصفوة).

عن برد مولى ابن المسيب. قال: ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

عن ابن حرملة. قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: لقد حججت أربعين حجة.

عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي. قال: إن نفس سعيد بن المسيب، كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب.

عن مالك بن أنس. قال: كان سعيد بن المسيب يماري غلاماً له في ثلثي درهم، وأتاه ابن عمه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يأخذها.

عن عبيد الله بن عبد الرحمن؛ أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضعها رفعه الله، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم فإذا أراد الله فضيحة عبد، أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته.

عن ابن أبي وداعة. قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها؛ فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة، فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة. فقال: أنا، فقلت: أوتفعل قال: نعم! ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة.

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ، وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت، وكنت وحدي صائماً، فقدمت عشائي أفطر، كان خبزاً وزيتاً، فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن

المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليّ فآتيك. قال: لأنت أحق أن تؤتى. قال: قلت: فما تأمر، قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء.

فاستوثقت من الباب ثم قدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم! وها هي في الدار، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ولم يكلمني، حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري. قال: ما حال ذلك الإنسان، قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي فوجه إليّ بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة

صوف. قال عبد الله ـ وابن أبي وداعة هذا ـ هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

عن طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب. قال: دخل المطلب بن حنظب، على سعيد بن المسيب في مرضه وهو مضطجع فسأله عن حديث فقال: اقعدوني فأقعدوه. قال: إني أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

عن ميمون بن مهران؛ أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فاستيقظ من قائلته، فقال لحاجبه: أنظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي فلم ير فيه إلا سعيد بن المسيب، فأشار إليه بإصبعه فلم يتحرك سعيد، ثم أتاه الحاجب فقال: ألم تر أني أشير إليك، قال: وما حاجتك؟ فقال: استيقظ أمير المؤمنين، فقال: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي، فقال سعيد: لست من حداثه، فخرج الحاجب فقال: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، قلت له: إن أمير المؤمنين استيقظ وقال لي: انظر هل ترى أحداً من حداثي، قال: إني لست من حداث أمير المؤمنين. قال عبد الملك بن مروان: ذلك سعيد بن المسيب دعه.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال سعيد بن المسيب: إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها.

عن أبي عيسى الخراساني، عن سعيد بن المسيب. قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

عن عمران بن عبد الله. قال: دعي سعيد بن المسيب للبيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان، قال فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار. قال: فقيل أدخل من الباب وأخرج من الباب

الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس، قال: فجلده مائة وألبسه المسوح.

عن قتادة. قال: أتيت سعيد بن المسيب، وقد ألبس تبان شعر وأقيم في الشمس فقلت لقائدي: أدنني منه فأدناني منه فجعلت أسأله خوفاً من أن يفوتني، وهو يجيبني حسبة، والناس يتعجبون.

عن يحيى بن سعيد. قال: كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان: أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب، فكتب: أن أعرضه على السيف فإن مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة. فلما قدم الكتاب على الوالي، دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب، فقالوا: إنا قد جئناك في أمر، قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك. ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فأعطنا إحداهن فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم! قال: فيقول الناس بايعَ سعيد بن المسيب، ما أنا بفاعل قال: وكان إذا قال لا لم يطيقوا عليه أن يقول نعم، قال: مضت واحدة وبقيت اثنتان قالوا: فتجلس في بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً، فإنه يقبل منك إذا طلبت في مجلسك فلم يجدك، قال: وأنا أسمع الأذان فوق أذني حي على الصلاة حي على الفلاح؟ ما أنا بفاعل، قالوا: مضت اثنتان وبقيت واحدة، قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، قال: فرقاً لمخلوق ما أنا بمتقدم لذلك شبراً، ولا متأخراً شبراً.

فخرجوا وخرج إلى الصلاة صلاة الظهر، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه فأتي به، فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا: إن لم تبايع ضربنا عنقك، قال: نهى

رسول الله ﷺ عن بيعتين، فلما رآه لا يجيب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت عليه السيوف، فلما رآه قد مضى، أمر به فجرد، فإذا عليه تبان شعر. فقال: لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبان، فضربه خمسين سوطاً، ثم طاف به أسواق المدينة فلما رده والناس منصرفون من صلاة العصر قال: إن هذه لوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة.

عن عبد الله بن القاسم. قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فقال: إنه قد نهي عن مجالستي قال: قلت: إني رجل غريب قال: إنما أحببت أن أعلمك.

عن قتادة، عن سعيد بن المسيب؛ أنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال: إنهم قد جلدوني، ومنعوا الناس أن يجالسوني.

عن ابن حرملة. قال: قال سعيد بن المسيب: لا تقولوا مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.

عن عبد الرحمن بن حرملة. قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء، حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب. قال: لا خير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه.

عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب؛ أنه مات وترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار، وقال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني وحسبي.

١٧١ ـ عروة بن الزبير

[ت٩٤هـ]

ومنهم المعطى ما تمنى. حمل العلم عنه إذا فيه تعنى، مكن

من الطاعة فاكتسب، وامتحن بالمحنة فاحتسب، عروة بن الزبير بن العوام[1]، المجتهد المتعبد الصوام.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه. قال: اجتمع في الحجر مصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر. فقالوا: تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له.

عن الزهري، عن عروة؛ أنه كان يتألف الناس على حديثه، قال عمرو بن دينار: أتيناه فقال: ائتوني فتلقوا مني.

عن ابن أبي الزناد. قال: قال عروة بن الزبير: كنا نقول لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوت كتبي، فوالله لوددت أن كتبي عندي، إن كتاب الله قد استمرت مريرته.

عن هشام بن عروة. قال: قال عروة بن الزبير: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً.

عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإذا رأيته يعمل السيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها وإن السيئة تدل على أخواتها.

---

(١) أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما. أسند عروة عن علي والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت، وغيرهم، رضي الله عنهم. وتوفي سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع، ودفن هنالك رحمه الله. (الصفوة).

عن هشام بن عروة. قال: قال عروة لبنيه: يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحيي أن يهديه إلى كريمه، فإن الله عز وجل أكرم الكرماء، وأحق من اختير إليه.

وكان يقول: يا بني تعلموا فإنكم إلا تكونوا صغراء قوم، عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل.

وكان يقول: إذا رأيتم خلة شر رائعة من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات وإذا رأيتم خلة خير رائعة من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات.

وقال: الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.

عن هشام. قال: كان عروة يقول: إني لأعشق الشرف كما أعشق الجمال؛ فعل الله بفلانة ألفت بني فلان وهم بيض طوال فقلبتهم سوداً قصاراً.

عن مسلمة بن محارب. قال: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك، ومعه ابنه محمد بن عروة، فدخل محمد بن عروة دار الدواب فضربته دابة فخر فحمل ميتاً، ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يَدَعْ تلك الليلة ورده. فقال له الوليد: اقطعها قال: لا! فترقت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعت بالمنشار ـ وهو شيخ كبير ـ فلم يمسكه أحد. وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.

عن عبد الله بن محمد بن عبيد. قال: لم يترك عروة بن الزبير ورده إلا في الليلة التي قطعت فيها رجله، قال: وتمثل بأبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

عن ابن شوذب. قال: كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به ليله؛ قال: فما تركه إلا ليلة قطع رجله، قال: ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة.

قال: كان وقعت في رجله الأكلة قال: فنشرها.

عن هشام بن عروة. قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقع في رجله الأكلة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها، قال: فقطع وأنه لصائم فما تضور وجهه. قال: ودخل ابن له أكبر ولده اصطبل الدواب، فرفسته دابة فقتلته، فما سمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة. فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً، وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن أبليت طالما عافيت.

عن هشام بن عروة. قال: قال أبي: إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها، فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها قال: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[1] الآية.

عن هشام بن عروة. قال: لما اتخذ عروة قصره بالعقيق، قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله ﷺ. فقال: إني رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم غالية، والفاحشة في فجاجهم عالية فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية.

---

(١) سورة طه، الآية (١٣١).

عن ابن شوذب. قال: كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون. قال: وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1] حتى يخرج من الحائط.

قال الشيخ رحمه الله: روى عروة بن الزبير من المسانيد عن كبار الصحابة وجمهورهم رجالاً ونساءً ما لا يحصى.

١٧٢ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق

ومنهم الفقيه الورع الشفيق، الضرع نجل الصديق، ذو الحسب العتيق، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[2]، كان لغوامض الأحكام فائقاً، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً.

عن أفلح بن حميد؛ أن عبد الملك بن مروان لما توفي أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش، وقد كان ناعماً، فاستشعر المسح سبعين ليلة، فقال له القاسم بن محمد: أعلمت أن من مضى من سلفنا، كانوا يحبون استقبال المصائب بالتجمل ومواجهة النعم بالتذلل. فراح عمر من عشية يومه في مقطعات من حبرات أهل اليمن، شراؤها ثمانمائة دينار، وفارق ما كان يصنع.

عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه: أنه كان يقول: إن هذه الذنوب لاحقة بأهلها.

عن ابن أبي الزناد، عن أبيه. قال: ما رأيت فقيهاً أفضل من القاسم بن محمد.

---

(١) سورة الكهف، الآية (٣٩).

(٢) يكنى أبا محمد، وأمه أم ولد.

عن يحيى بن سعيد. قال: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم بن محمد.

عن أيوب. قال: سمعت القاسم يسأل بمنى فيقول: لا أدري، لا أعلم، فلما أكثروا عليه، قال: والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم.

قال: وسمعت يحيى بن سعيد يقول: سمعت القاسم يقول: ما نعلم كل ما نسأل عنه؛ ولئن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه. قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد، وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً فقال لابنه: سن علي التراب سناً وسوي علي قبري والحق بأهلك وإياك أن تقول: كان وكان.

عن محمد بن إسحاق. قال: جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد. فقال: أنت أعلم أو سالم؟ فقال: ذاك منزل سالم، فلم يزده عليها حتى قام الأعرابي.

قال محمد بن إسحاق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول أنا أعلم منه، فيزكي نفسه.

قال الشيخ رحمه الله: أسند الكثير وعامة مسانيده في المناسك والأحكام.

١٧٣ ـ أبو بكر بن عبد الرحمن

ومنهم الفقيه الوجيه، العابد النبيه، راهب قريش وعابدها أبو

بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[1] أكثر حديثه في الأقضية والأحكام.

عن الزبير بن بكار. قال: كان أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث يقال له راهب المدينة.

عن محمد بن إسحاق الثقفي. قال: رأيت في كتاب أبي حسان أنّ أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث كان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته.

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ أنه قال: إنما هذا العلم لواحد من ثلاثة؛ لذي نسب يزين به نسبه، أو لذي دين يزين به دينه، أو مختلط بسلطان ينتجعه به، ولا أعلم أحداً أجمع لهذه الخلال من عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز، كلاهما ذو دين وحسب ومن السلطان بمنزل.

١٧٤ ـ عبيد الله بن عتبة

[ت٩٨هـ]

ومنهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي[2]، أحد الأربعة من البحور، المواصل الرواح بالبكور، المنابذ للدنيا خيفة الغرة والعثور.

عن الزهري. قال: أدركت أربعت بحور من قريش، سعيد بن المسيب، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير.

---

(١) ليس له اسم، كنيته اسمه، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه (الصفوة).

(٢) أسند عبيد الله عن أبي طلحة وأبي سعيد، وأبي هريرة، وغيرهم، وذهب بصره، وتوفي بالمدينة، في سنة ثمان وتسعين، رحمه الله تعالى. (الصفوة).

عن المغيرة. قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أدركني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، إذ وقعت فيما وقعت فيه، لهان علي ما أنا فيه.

عن ابن أبي الزناد، عن أبيه. قال: ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في أمارته يأتي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فربما حجبه وربما أذن له.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه. قال: كتب عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز:

باسم الذي أنزلت من عنده السور ... والحمد لله أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يسر به ... إلا سيتبع يوماً صفوه كدر

أسند الكثير، فمن مسانيد حديثه ما أعلم به النبي ﷺ أصحابه من حقارة الدنيا والزهادة فيها.

١٧٥ ـ خارجة بن زيد

ومنهم الفقيه ابن الفقيه خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، كان من عباد المدينة ممن تفقه ثم انفرد وآثر العزلة، ولم ينشر عنه من كلامه كبير شيء، عامة حديثه في الأقضية والأحكام.

١٧٦ ـ سليمان بن يسار

[ت١٠٧هـ]

ومنهم العابد المجار، المعصوم حين الفتنة من الفجار، أبو أيوب سليمان بن يسار[١].

(١) مولى ميمونة بنت الحارث، زوج النبي ﷺ.
أسند سليمان عن أبي هريرة، وابن عمرو، وابن عباس، وغيرهم. توفي سنة سبع ومائة، وقيل غير ذلك (الصفوة).

عن مصعب بن عثمان. قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت له: ادن! فخرج هارباً من منزله وتركها فيه، قال سليمان بن يسار: فرأيت بعد ذلك فيما يرى النائم يوسف عليه السلام وكأني أقول له: أنت يوسف؟ قال: نعم! أنا يوسف الذي همت وأنت سليمان الذي لم تهم.

قال الشيخ رحمه الله أسند الكثير عن أبي هريرة. وابن عباس، وابن عمر، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم.

١٧٧ - سالم بن عبد الله

[ت١٠٦هـ]

ومنهم الفقيه المتخشع الرَّهاب، أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[١] كان لله خاشعاً، وفي نفسه خاضعاً، وبما يدفع به وقته قانعاً.

عن الزهري. قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: دخلت على الوليد بن عبد الملك فقال: ما أحسن جسمك فما طعامك؟ قلت: الكعك والزيت قال: وتشتهيه؟ قلت: ادعه حتى أشتهيه فإذا اشتهيته أكلته.

عن عبد الله بن إسحاق. قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: إياكم وإدامة اللحم؛ فإن له ضراوة كضراوة الشراب.

عن حنظلة. قال: رأيت سالم بن عبد الله يخرج إلى السوق فيشتري حوائج نفسه.

---

(١) أمه أم ولد، يكنى أبا عمر، وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه يحبه حباً شديداً، أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب، وأبي هريرة، وغيرهم، توفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائة رحمه الله تعالى (الصفوة).

عن حنظلة بن أبي سفيان. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله، أن اكتب إليّ بشيء من رسائل عمر بن الخطاب فكتب: أن يا عمر اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم، الذين كانت لا تنقضي لذتهم، وانفقأت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها، وصاروا جيفاً في الأرض وتحت أكنافها، إن لو كانت إلى جنب مسكين لتأذى بريحهم.

عن موسى بن عقبة؛ أنه رأى سالم بن عبد الله بن عمر لا يمر بقبر بليل ولا نهار إلا سلم عليه، يقول: السلام عليكم. فقلت له في ذلك، فأخبرني عن أبيه أنه كان يقول ذلك.

أسند سالم ما لا يعد كثرة عن أبيه وعن جلة الصحابة.



الفصل الثالث
ذكر التابعين من أهل البصرة

١٧٨ ـ مُطَرِّف بن عبد الله

ومنهم المتعبد الشكِّير، مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير(١). كان لنفسه مذلاً، ولذكر الله عز وجل مجلاً.

عن ثابت البناني. قال: قال مطرف بن عبد الله لابن أبي مسلم: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت عليَّ نفسي.

عن ثابت. قال: قال مطرف: إني لأستلقي من الليل على فراشي، فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾(٢) ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾(٣). ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾(٤)، فلا أراني فيهم. فأعرض نفسي على هذه الآية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾(٥) فأرى القوم مكذبين. وأمرُّ بهذه الآية

(١) يكنى مطرف أبا عبد الله، أسند عن علي وعثمان وأبي ذر وأبيه عبد الله بن الشخير وغيرهم. توفي في ولاية الحجاج على العراق بعد الطاعون الجارف، وكان الطاعون في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان مطرف أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة. (الصفوة).

(٢) سورة الذاريات، الآية (١٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٤).

(٤) سورة الزمر، الآية (٩).

(٥) سورة المدثر، الآية (٤٢).

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[1] فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.

عن غيلان بن جرير، عن مطرف. قال: لو سألنا الله أن يميتنا من خشيته كنا أحق بذلك، ولقد علمت أن ربي تعالى ليرضى منا بدون ذلك.

عن غيلان بن ميمون. قال: سمعت مطرفاً يقول: لو أتاني آت من ربي تعالى فخيرني أفي الجنة أو في النار أو أصير تراباً؟ اخترت أن أصير تراباً.

عن ثابت؛ أن مطرف بن عبد الله قال: لو كان لي نفسان، لقدمت أحدهما قبل الأخرى، فإن هجمت على خير، أتبعتها الأخرى وإلا أمسكتها. ولكن إنما لي نفس واحدة ما أدري على ما تهجم؟ خير أو شر.

عن غيلان بن جرير. قال: قال مطرف: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية.

عن زهير الباني. قال: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير، فخرج على الحي قد رَجَّل جمته، ولبس حلته، فقيل له: ما نرضى منك بهذا وقد مات ابنك. فقال: أتأمروني أن أستكين للمصيبة، فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي فأخذها الله مني، ووعدني عليها شربة ماء غداً؛ مارأيتها لتلك الشربة أهلاً فكيف بالصلوات والهدى والرحمة.

عن قتادة. قال: كان مطرف بن عبد الله يقول: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبارالشكور؛ الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر.

عن قتادة. قال: قال مطرف بن عبد الله: لأن أعافى فأشكر، أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر.

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٠٢).

عن مطرف. قال: لو حلفت لرجوت أن أبر، إنه ليس أحد من الناس إلا وهو مقصر فيما بينه وبين ربه عز وجل.

عن ثابت البناني. قال: قال مطرف: الإنسان بمنزلة الحجر إن جعل الله فيه خيراً كان فيه؛ وقرأ قول الله سبحانه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1].

وقال مطرف: إن ها هنا قوماً يزعمون أنهم إن شاؤا دخلوا الجنة، وإن شاؤا دخلوا النار، ثم حلف مطرف بالله ثلاثة، أيمان مجتهد، أن لا يدخل الجنة عبد أبداً إلا عبد شاء أن يدخله إياها عمداً.

عن حميد بن هلال. قال: قال مطرف بن عبد الله: إني وجدت العبد ملقى بين ربه سبحانه وبين الشيطان، فإن استشلاه[2] ربه أو استنقذه نجا، وإن تركه والشيطان ذهب به.

عن ثابت. قال: قال مطرف: لو أخرج قلبي فجعل في يدي هذه اليسار، وجيء بالخير فجعل في هذه اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئاً حتى يكون الله تعالى يضعه.

عن داود بن أبي هند، عن مطرف بن عبد الله؛ أنه قال: ليس لأحد أن يصعد فيلقي نفسه من فوق البئر ويقول: قدر لي. ولكن يحذر ويجتهد ويتقي، فإن أصابه شيء علم أنه لم يصبه إلا ما كتب الله له.

عن قتادة وبديل العقيلي، عن مطرف بن عبد الله. قال: إن الله عز وجل لم يكل الناس إلى القدر، وإليه يعودون ـ وقال بديل في حديثه ـ وإليه يصيرون.

---

(١) سورة النور، الآية (٤٠).

(٢) استشلاه: استنقذه من الهلكة.

عن المعلا بن زياد. قال: كان إخوان مطرف عنده فخاضوا في ذكر الجنة، فقال مطرف: لا أدري ما تقولون؟ حالَ ذكر النار بيني وبين الجنة.

عن غيلان بن جرير. قال: سمعت مطرفاً يقول: كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديث يعني به غيرنا.

عن ثابت؛ أن مطرفاً كان يقول: لو أن رجلاً رأى صيداً والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى! قال: فإن الشيطان هو يرانا، ونحن لا نراه فيصيب منا.

عن أبي العلاء عن مطرف؛ أنه قال: ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

عن غيلان بن جرير، عن مطرف. قال: عقول الناس على قدر زمانهم.

عن غيلان؛ أن مطرفاً كان يقول: هم الناس وهم النسناس وأرى ناساً غمسوا في ماء الناس.

عن غيلان، عن مطرف. قال: لا تقل: إن الله يقول. ولكن قل: قال الله.

وقال: إن الرجل يكذب مرتين، يقال له ما هذا؟ فيقول: لا شيء لا شيء، أليس بشيء؟

عن قتادة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[1]. قال: كان مطرف يقول: هذه آية القراء.

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٩).

عن قتادة عن مطرف. قال: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

عن قتادة، عن مطرف. قال: كنا نأتي زيد بن صوحان وكان يقول: يا عباد الله أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين: الخوف والطمع؛ فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً فنسقوا كلاماً من هذا النحو: إن الله ربنا ومحمد نبينا والقرآن إمامنا ومن كان معنا كنا وكنا له، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا، قال: فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً، فيقولون: أقررت يا فلان حتى انتهوا إليّ. فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا قال: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟ قال: قلت: إن الله قد أخذ علي عهداً في كتابه فلن أحدث عهداً سوى العهد الذي أخذه الله عز وجل عليّ؟ قال: فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر به أحد منهم.

قال: قلت لمطرف كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثين رجلاً.

قال قتادة: وكان مطرف إذا كانت الفتنة نهى عنها وهرب، وكان الحسن ينهى عنها ولا يبرح.

وقال مطرف: ما أشبه الحسن إلا برجل يحذر الناس السيل ويقوم لسببه.

وقال مطرف: إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمن عن دينه. ولأن يقول الله لم لا قتلت فلاناً؟ أحب إليّ من أن يقول: لم قتلت فلاناً.

عن يزيد بن عبد الله ابن الشخير، عن أخيه مطرف. قال: إن العبد إذا استوت سريرته وعلانيته. قال الله عز وجل: هذا عبدي حقاً.

عن حميد بن هلال. قال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه

شيء، فقال له مطرف: إن كنت كاذباً فأماتك الله ـ أو تعجل الله بك ـ قال: فخر ميتاً مكانه، قال: فاستعدى أهله زياداً وهو على البصرة فقال لهم زياد: هل ضربه، هل مسه؟ فقالوا: لا. فقال زياد: هي دعوة رجل صالح وافقت قدر الله.

عن غيلان بن جرير. قال: حبس الحجاج مورقاً العجلي في السجن، فقال لي مطرف بن عبد الله: تعال حتى ندعو، وأمنوا، فدعا مطرف وأمنا على دعائه، فلما كان العشاء خرج الحجاج ودخل الناس ودخل أبو مورق فيمن دخل فقال الحجاج لحرسي: اذهب إلى السجن فادفع ابن هذا الشيخ إليه قال خالد: من غير أن يكلمه فيه أحد من الناس.

عن أبي غيلان. قال: كان مطرف بن الشخير يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان ومن شر ما تجري به أقلامهم. وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على ضر نزل بي، وأعوذ بك من أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحداً أسعد بما علمته مني، اللهم لاتخزني فإنك بي عالم، اللهم لا تعذبني فإنك عليٍّ قادر.

عن ثابت. قال: قال مطرف: نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو من الله تعالى، قال: قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه فإذا ملاكه الدعاء.

عن سفيان. قال: قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه.

عن قتادة. قال: قال مطرف: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش العباد لعباد الله الشياطين.

عن سفيان. قال: قال مطرف: إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة.

عن ثابت. قال: قال مطرف: ليعظم جلال الله أن تذكروه عند الحمار والكلب، فيقول أحدكم لكلبه أو لشاته: أخزاك الله، وفعل الله بك.

عن مطرف بن عبد الله. قال: أتى على الناس زمان، فأفضلهم في أنفسهم المسارع؛ وأما اليوم فأفضلهم في أنفسهم المتأني.

عن الأعمش. قال: قال لي مطرف بن عبد الله: وجدت الغفلة التي ألقاها الله عز وجل في قلوب الصديقين من خلقه رحمة رحمهم بها؛ ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم ما هنأهم العيش.

١٧٨م ـ يزيد بن عبد الله

[ت١١١هـ]

ومنهم أبو العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير[(١)] أخو مطرف، له في العبادة ذكر مشهور، وكلامه إن قل مذكور.

فما حفظ عنه، قيل له: ألا نسقف مسجدنا؟ قال: اصلحوا قلوبكم يكفكم مسجدكم. وكان يقول: إن صاحب النار: الذي لا تمنعه مخافة الله من شيء خفي له.

عن بديل بن مسيرة. قال: كان مطرف يقول: لأن أعافى فأشكر، أحب إليّ من أن ابتلى فأصبر. وكان أخوه أبو العلاء يقول: اللهم أي ذلك كان خيراً فعجل لي.

---

(١) كان يزيد أكبر من الحسن البصري بعشر سنين، وكان مطرف أكبر من يزيد بعشر سنين، توفي يزيد بالبصرة سنة إحدى عشرة ومائة. (الصفوة).

عن عمرو بن السكن. قال: كنت عند سفيان بن عيينة. فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر. أهو أحب إليك؟ أم قول أخيه أبي العلاء: اللهم رضيت لنفسي ما رضيت لي.

قال: فسكت سكتة ثم قال: قول مطرف أحب إليّ، فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له.

قال سفيان إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا، كانت العافية مع الشكر أحب إليَّ من البلاء مع الصبر.

١٧٩ ـ صفوان بن محرز

ومنهم المتعبد البكّاء، المتوحد الدعّاء، صفوان بن محرز المازني[١].

عن غيلان بن جرير، عن صفوان. قال: كانوا يجتمعون هو وإخوانه فيتحدثون فلا يرون تلك الرقة. قال فيقولون: يا صفوان حدث أصحابك قال: فيقول: الحمد لله! قال: فيرق القوم وتسيل الدموع من أعينهم، وكأنها أفواه المزادة.

عن ثابت. قال: أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخي صفوان بن محرز المازني، فتحمل عليه بالناس، فلم يبق أحد إلا كلمه فيه فلم ير لحاجته انجاحاً، فبات ليلة في مصلاه وهو يصلي فرقد في مصلاه، فلما رقد أتاه آت في منامه فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من قبل وجهها قال: أفعل! فقام وتوضأ فصلى ودعا قال: فتنبه ابن زياد لحاجة صفوان في بعض الليل. فقال: علي بابن أخي صفوان، قال:

---

(١) من بني تميم، توفي بالبصرة في ولاية بشر بن مروان.

فجاء الحرس والشرط والنيران ففتحت أبواب السجن حتى استخرج ابن أخي صفوان، فجيء به إلى ابن زياد. فقال له: أنت ابن أخي صفوان؟ قال: نعم! قال: فأرسله فما شعر صفوان حتى ضرب عليه الباب. فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان تنبه الأمير في بعض الليل فجاء الحرس والشرط وجيء بالنيران وفتحت أبواب السجون فجيء بي فخلى عني بغير كفالة.

عن ثابت عن صفوان بن محرز. قال: كان لداود نبي الله عليه السلام يوم يتأوه فيه يقول: أوه من عذاب الله، أوه من عذاب الله، أوه من عذاب الله. قبل لا أوه. قال: فذكرها صفوان ذات يوم وهو في مجلسه فبكى حتى غلبه البكاء فقام.

عن محمد بن واسع. قال: رأيت صفوان بن محرز وأناساً في المسجد قريباً منه وأصحابه يتجادلون، فقام ونفض ثوبه وقال: إنما أنتم جرب.

وأسند صفوان عن عدة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وحكيم بن حزام رضي الله تعالى عنهم.

١٨٠ ـ أبو العالية

[ت٩٠هـ]

ومنهم ذو الأحوال السامية، والأعمال الخافية، رفيع أبو العالية[١]. كانت وصاياه في لزوم الاتباع، وعهود، في مجانبة الأحداث والابتداع.

---

(١) أبو العالية، اسمه: الرفيع، اعتقته امرأة من بني رياح أسند أبو العالية عن أبي بكر وعمر وعلي وغيرهم رضي الله عنهم توفي في شوال، سنة تسعين (الصفوة).

عن أبي العالية. قال: تعلمت الكتاب والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا روئي في ثوبي مداد قط.

عن أبي خلدة. قال: سمعت أبا العالية يقول: إن خير الصدقة أن تعطي بيمينك وتخفيها من شمالك.

قال: وسمعت أبا العالية يقول: زارني عبد الكريم أبو أمية وعليه ثياب صوف، فقلت: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا.

عن عاصم. قال: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.

عن أنس عن أبي العالية. قال: اعمل بالطاعة وأحبَّ عليها من عمل بها، واجتنب المعصية وعاد عليها من عمل بها، فإن شاء الله عذب أهل معصيته، وإن شاء غفر لهم.

عن عاصم، عن أبي العالية. قال: ما أدري أي النعمتين أفضل، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء؟

عن عاصم الأحول عن أبي العالية. قال: تعلموا الإسلام فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ وأصحابه، قبل أن يقتلوا صاحبهم[1] وقبل أن يفعلوا الذي فعلوه بخمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء المتفرقة فإنها تورث بينكم العداوة والبغضاء.

عن أبي العالية. قال: لما كان قتال علي ومعاوية كنت رجلاً

---

(١) صاحبهم، أي عثمان رضي الله عنه، كما في الرواية الثانية.

شاباً فتهيأت، ولبست سلاحي ثم أتيت القوم فإذا صفان لا يرى طرفاهما. قال: فتلوت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾(1) قال: فرجعت وتركتهم.

عن ثابت أن أبا العالية. قال: إني لأرجو أن لا يهلك عبد بين نعمتين، نعمة يحمد الله عليها، وذنب يستغفر الله منه.

عن عاصم، عن أبي العالية. قال: كنا نحدث منذ خمسين سنة، أن الرجل إذا مرض قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في صحته، حتى أقبضه أو أخلي سبيله، وكنا نحدث منذ خمسين سنة، أن الأعمال تعرض على الله، فما كان له قال: هذا لي وأنا أجزي به، وما كان لغيره قال: اطلبوا ثواب هذا ممن عملتموه له.

عن أبي خلدة. قال: سمعت أبا العالية يقول: تعلموا القرآن خمس آيات فإنه أحفظ لكم، فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به خمس آيات خمس آيات.

عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(2) قال: لا تأخذ على ما علمت أجراً، فإنما أجر العلماء والحكماء والحلماء على الله عز وجل؛ وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة: يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً.

عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. قال: أرحل إلى الرجل مسيرة أيام؛ فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت: هو لغير الصلاة أضيع.

---

(1) سورة النساء، الآية (٩٣).

(2) سورة البقرة، الآية (٤١).

عن جرير أخبرني من سمع أبا العالية يقول: لا يتعلم مستحى ولا متكبر.

عن أبي العالية. قال: قال لي أصحاب محمد ﷺ: لا تعمل لغير الله؛ فيكلك الله إلى من عملت له.

عن أبي خالد مولى ثقيف. كان أبو العالية جاري وكان يقول لي: سلني واكتب عني، قبل أن تلتمس العلم عند غيري فلا تجده.

عن أبي خلدة، عن أبي العالية. قال: قال موسى عليه السلام لقومه: قدسوا الله عز وجل بأصوات حسنة فإنه أسمع لها.

عن سيار أبي المنهال. قال: رأيت أبا العالية يتوضأ فقلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]. فقال: ليس المتطهرون من الماء ولكن المتطهرون من الذنوب.

روى أبو العالية عن أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وسهل بن حنظلة، وأبي بن كعب، وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

١٨١ ـ بكر بن عبد الله المزني

[ت١٠٨هـ]

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم الناصح الزكي، الواثق الغني، بكر بن عبد الله المزني[2].

عن معاوية بن عبد الكريم. قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول يوم الجمعة وأهل المسجد أحفل ما كانوا قط: لو قيل

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

(٢) توفي سنة ثمان ومائة.

لي: خذ بيد خير أهل المسجد لقلت: دلوني على أنصحهم لعامتهم؛ فإذا قيل: هذا أخذت بيده. ولو قيل لي: خذ بيد شرهم لقلت: دلوني على أغشهم لعامتهم؛ ولو أن منادياً ينادي من السماء أنه لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يلتمس أن يكون ذلك الواحد، ولو أن منادياً ينادي من السماء أنه لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يَفْرَق أن يكون هو ذلك الواحد.

عن أبي حرة. قال: دخلنا على بكر بن عبد الله المزني نعوده، في مرضه الذي مات فيه، فرفع رأسه فقال: رحم الله عبداً رزقه الله قوة فأعمل نفسه في طاعة الله عز وجل، أو قصر به ضعف فلم يعملها في معاصي الله.

عن كهمس. قال: سمعت بكر بن عبد الله يقول: يكفيك من دنياك ما قنعت به، ولو كفا من تمر وشربة من ماء وظل خباء، وكل ما يفتح عليك من الدنيا شيء ازدادت نفسك لها مقتاً.

عن سهل بن أسلم. قال: كان بكر بن عبد الله إذا رأى شيخاً قال: هذا خير مني عَبَدَ الله قبلي، وإذا رأى شاباً قال: هذا خير مني ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب. وكان يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم. قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم.

عن سهل. قال: قال بكر بن عبد الله المزني: إن عرض لك إبليس بأن لك فضلاً على أحد من أهل الإسلام فانظر! فإن كان أكبر منك فقل: قد سبقني هذا بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقت هذا بالمعاصي والذنوب واستوجبت العقوبة فهو خير مني، فإنك لا ترى أحداً من أهل الإسلام إلا أكبر

منك أو أصغر منك. قال: وإن رأيت إخوانك من المسلمين يكرمونك ويعظمونك ويصلونك. فقل أنت: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً فقل: هذا ذنب أحدثته.

عن بكر بن عبد الله المزني. قال: تذلل المرء لإخوانه، تعظيم له في أنفسهم.

عن بكر بن عبد الله المزني. قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظله غمامة، قال: فمر رجل قد أظلته غمامة على رجل، فاعظمه ذلك لما رأى مما آتاه الله عز وجل، قال: فاحتقره صاحب الغمامة ـ أو قال كلمة نحوها ـ قال: فأمرت أن تحول من رأسه إلى رأس الذي عظم أمر الله تعالى.

عن حميد. قال: كانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله أربعة آلاف وكان يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم، ويقول: إنه يعجبهم ذلك.

عن مبارك بن فضالة، عن بكر بن عبد الله. قال: أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء، قال: فمات وإن عليه لشيئاً من دين.

عن أبي هلال. قال: دخلنا على بكر بن عبد الله في مرضه نعوده وهو مريض، فجعلوا يدخلون ويخرجون، فجعل ذلك يعجبه. فقال: إن المريض يعاد ولا يزار. وقال عفان: إن المريض يعاد، والصحيح يزار.

عن بكر بن عبد الله المزني؛ أنه قال: من مثلك يا ابن آدم؟ خلي بينك وبين المحراب، تدخل منه إذا شئت على ربك، وليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان، وإنما طيب المؤمنين هذا الماء المالح[١].

عن بكر بن عبد الله المزني؛ أن قصاباً أولع بجارية لبعض

---

(١) قيل المراد به: الدموع.

جيرانه فأرسلها مولاها إلى حاجة لهم في قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها. فقالت: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك ولكني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه! فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: مالك؟ قال: العطش قال: تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية. قال: مالي من عمل فأدعو قال: فأنا أدعو وأمن أنت قال: فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه ومالت السحابة معه. فقال له: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوت، وأنت الذي أمنت، فأظلتنا سحابة ثم تبعتك. لتخبرني بأمرك فأخبره. فقال له الرسول: إن التائب من الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

عن يونس بن عبيد. قال: سمعت بكر عبد الله المزني يقول: أنتم تكثرون من الذنوب، فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد في صحيفته بين كل سطرين استغفاراً سره مكان ذلك.

سمع بكر بن عبد الله أنس بن مالك، وابن عمر، وجابراً، وعبد الله بن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنهم.

١٨٢ ـ خليد بن عبد الله العصري

ومنهم الذاكر الفكري، خليد بن عبد الله العصري[١]. كان لمحبوبه ذاكراً، وإلى مشاهدته ساهراً.

عن قتادة. قال: سمعت خليداً العصري في مسجد الجامع يقول: ألا إن كل حبيب يحب أن يلقى حبيبه، ألا فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً جميلاً.

---

(١) العصري: نسبة إلى عصر، وعصر: بطن من عبد قيس.

عن قتادة، عن خليد بن عبد الله العصري. قال: المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال؛ في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة من أمر دنيا لا بأس بها.

عن ثابت البناني، عن خليد العصري. أنه كان يأمر ببيته فيقم[1]، ثم يأمر بوسادتين ثم يغلق بابه، ثم يقعد على فراشه فيقول: مرحباً بملائكة ربي، أما والله لأشهدنكم اليوم خيراً، خذوا باسم الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، عامة يومه ولا يزال كذلك حتى تغلبه عينه أو يخرج إلى الصلاة.

عن محمد بن واسع. قال: كان خليد العصري يصوم الدهر.

عن قتادة. قال: وجدت خليد بن عبد الله العصري. قال: تلقى المؤمن عفيفاً سؤولاً، وتلقاه غنياً فقيراً.

قال: تلقاه عفيفاً عن الناس، سؤولاً لربه عز وجل ذليلاً لربه، عزيزاً في نفسه، غنياً عن الناس، فقيراً إلى ربه. قال قتادة. تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة وأيسر الناس مؤونة.

عن خليد العصري. قال: إن لكل شيء زينة، وإن زينة المساجد المتعاونون على ذكر الله.

١٨٣ ـ مورق العجلي

ومنهم المستسلم المتسلي، مورّق بن مشَمْرِخ العجلي[2]، كان بالحق عن الخلق سالياً، وبالشهود عن الصدود ساهياً.

عن قتادة. قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن في الدنيا مثلاً

---

(١) فيقم: أي ينظف وتخرج منه القمامة.

(٢) توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.

إلا مثل رجل على خشبة في البحر وهو يقول: يا رب يا رب لعل الله أن ينجيه.

عن مورق العجلي. قال: المتمسك بطاعة الله إذا جبن الناس عنها، كالكار بعد الفار.

قال مورق العجلي: إني لقليل الغضب؛ ولقلما غضبت فأقول في غضبي شيئاً ندمت عليه إذا رضيت، فقال رجل: إني أشكو إليك قسوة قلبي لا أستطيع الصوم ولا أصلي، فقال له مورق: إن ضعفت عن الخير، فاضعف عن الشر فإني أفرح بالنومة أنامها.

عن المعلى بن زياد. قال: قال مورق العجلي: تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئا قط إذا غضبت، أندم عليه إذا ذهب عني الغضب.

عن المعلى بن زياد. قال: قال مورق العجلي: لقد سألت الله حاجة كذا وكذا منذ عشرين سنة، فما أعطيتها ولا أيست منها. قال: فسأله بعض أهله ما هي؟ قال: أن لا أقول ما لا يعنيني.

عن أبي الأشهب قال: ذكروا عن مورق أنه قال: ما أدرك عندي مال زكاة قط.

عن جعفر قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان مورق يتجر فيصيب المال، فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة خمسمائة ثلاثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها ثم يلقاه بعد ذلك فيقول: شأنك بها. فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها. فيقول: إنا والله ما نحن بآخذيها أبداً فشأنك بها. وقال: كره أن يعطيهم على وجه الصدقة.

عن سعيد الجريري. قال: قال مورق العجلي: لو كان الناس يرون فينا ما يرى قومنا لما قعدوا إلينا.

عن عاصم. أن مورقاً العجلي: كان يجد نفقته تحت رأسه.

قال الشيخ رحمه الله: أرسل مورق العجلي غير حديث عن عدة من الصحابة؛ منهم أبو ذر، وسلمان رضي الله تعالى عنهما.

١٨٤ ـ صلة بن أشيم العدوي

ومنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي[1] المنتصح بكتاب الله، والمتحبب إلى عباد الله، كان عند النوازل محتسباً صابراً، وفي الحنادس منتصباً ذاكراً.

عن ثابت؛ أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه، فهمَّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً. فقال صلة: دعوني أكفكم أمره. فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع إزارك قال: نعم! ونعمى عين، فرفع إزاره. فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مما أردتم، لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم.

عن معاذة. قالت: كان أصحاب صلة إذا التقوا عانق بعضهم بعضاً.

عن ثابت البناني. قال: كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم. قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات.

---

(١) قتل شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق.

عن ثابت البناني. قال: جاء رجل إلى صلة بن أشيم وهو يأكل فقال: إن فلاناً قتل أو مات ـ يعني أخاه ـ فقال له: أدن فكل فقد نعي إليَّ أخي منذ حين، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

عن ثابت البناني. قال: إن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له. فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، [ثم تقدم فقتل][2] فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحباً؛ إن كنتن جئتن لتهنئني فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

عن حميد بن هلال، عن صلة بن أشيم العدوي. قال: خرجنا في بعض قرى نهر تيري أسير على دابتي في زمن فيوض الماء؛ فأنا أسير على مسناة، فسرت يوماً لا أجد شيئاً آكله، فاشتد جوعي فلقيني علج يحمل على عاتقه شيئاً. فقلت: ضعه فوضعه فإذا هو خبز فقلت أطعمني منه فقال: نعم! إن شئت ولكن فيه شحم خنزير، فلما قال ذلك تركته ومضيت، ثم لقيني آخر يحمل على عاتقه طعاماً فقلت له: اطعمني منه فقال: تزودت هذا لكذا وكذا من يوم، فإن أخذت منه شيئاً أضررت بي وأجعتني فتركته، ثم مضيت فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة كوجبة الطير ـ يعني صوت طيرانه ـ فالتفت فإذا بشيء ملفوف في سب أبيض ـ أي خمار ـ فنزلت إليه فإذا هو دوخلة[3] من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة فأكلت منه؛ ولم آكل قط رطباً أطيب منه، وشربت من الماء ثم لففت ما بقي منه وركبت الفرس وحملت معي نواهن.

---

(١) سورة الزمر، الآية (٣٠).

(٢) هذه الجملة وردت في الخبر نفسه في «صفة الصفوة».

(٣) الدوخلة: سفيفة من خوص، كالزنبيل.

قال جرير بن حازم: فحدثني أوفى بن دلهم قال: رأيت ذلك السب مع امرأته ملفوفاً فيه مصحف، ثم فقد بعد ذلك. قال: فلا يدرون أسرق أم ذهب أم ما صنع به؟

عن جعفر بن زيد. قال: خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى - أراه العتمة - ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت هدأت العيون، وثب فدخل غيضه قريباً منا، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، قال: وجاء أسد حتى دنا منه قال: فصعدت إلى شجرة قال: أفتراه التفت إليه أو عذبه[1] حتى سجد؟ فقلت: الآن يفترسه فلا شيء فجلس ثم سلم. فقال: أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيراً أقول تصدعت منه الجبال، فما زال كذلك يصلي، حتى لما كان عند الصبح جلس، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أومثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وقد أصبحت وبي من الفترة شيء الله تعالى به عليم.

عن ثابت؛ أن صلة بن أشيم كان يقول: ما أدري بأي يومي أنا أشد فرحاً؛ يوماً باكرت فيه ذكر الله عز وجل، أو يوماً غدوت فيه لبعض حاجتي، فيعرض لي ذكر الله تعالى.

عن الحسن. قال: قال أبو الصهباء: طلبت المال من وجهه فأعياني إلا رزق يوم بيوم، فعرفت أنه قد خير لي.

قال الحسن: وأيم الله ما رزق رجل يوماً بيوم فلم يعلم أنه خير له إلا غبي الرأي أو عاجز.

---

(١) عذبه: منعه وطرده.

عن الحسن. قال: مات أخ لنا فصلينا عليه فلما وضع في قبره ومد عليه الثوب، جاء صلة بن أشيم وأخذ بناحية الثوب ثم نادى يا فلان بن فلان!

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً

قال: فبكى وأبكى الناس.

عن ابن عون. قال: قال رجل لصلة بن أشيم: ادع الله لي. فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا يسكن إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

قال الشيخ رحمه الله: لقي صلة عدة من الصحابة، وتعلم منهم واقتبس، وأسند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

١٨٥ ـ العلاء بن زياد

ومنهم المبشر المحزون، المستتر المخزون، تجرد من التلاد، وتشمر للمهاد وقدم العتاد للمعاد، واعتزل عن العباد، العلاء بن زياد[١].

عن حميد بن هلال. قال: دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد العدوي، وقد سلَّه الحزن، وكانت له أخت تندف عليه القطن غدوة وعشية، فقال له الحسن: كيف أنت يا علاء؟ فقال: واحزناه على الحزن.

قال الحسن: قوموا فإلى هذا والله انتهى استقلال الحزن.

عن أوفى بن دلهم. قال: كان للعلاء بن زياد مال ورقيق، فأعتق بعضهم، ووصل بعضهم، وباع بعضهم، وأمسك غلاماً أو اثنين

(١) توفي في ولاية الحجاج على العراق.

يأكل غلتهما، فتعبد فكان يأكل كل يوم رغيفين، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً، يصلي في الجماعة ثم يرجع إلى أهله، ويجمع ثم يرجع إلى أهله، ويشيع الجنازة ثم يرجع إلى أهله، ويعود المريض ثم يرجع إلى أهله، فضعف. فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس. وقالوا: رحمك الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا، فكلموه وهو ساكت حتى إذا فرغوا من كلامهم، قال: إنما أتذلل لله تعالى لعله يرحمني.

عن هشام بن حسان؛ أن العلاء بن زياد. كان قوّت نفسه رغيفاً كل يوم، وكان يصوم حتى يخضر، ويصلي حتى يسقط. فدخل عليه أنس بن مالك والحسن. فقال: إن الله تعالى لم يأمرك بهذا كله، فقال: إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئته به.

عن حميد بن هلال، عن العلاء بن زياد. قال: رأيت الناس في النوم يتبعون شيئاً فتبعته فإذا عجوز كبيرة هتماء عوراء، عليها من كل حلية وزينة. فقلت: ما أنت؟ قالت: أنا الدنيا، قلت: أسأل الله تعالى أن يبغضك إليّ، قالت: نعم! إن أبغضت الدراهم.

عن إسحاق بن سويد. قال: قال العلاء بن زياد: لا تتبع بصرك رداء المرأة، فإن النظر يجعل في القلب شهوة.

عن قتادة. قال: كان العلاء بن زياد العدوي يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه تعالى نفسه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

عن هشام بن حسان. قال: كنت أمشي خلف العلاء بن زياد العدوي، فكنت أتوقى الطين، قال: فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: رأيت يا هشام؟ قلت نعم! قال: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها.

عن مخلد بن الحسين: ذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيت كأنك في الجنة، فقال له: ويحك أما وجد الشيطان أحداً يسخر به غيري وغيرك.

عن قتادة، عن العلاء بن زياد؛ أنه قال: إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار؛ إن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا.

عن جرير بن عبيد العدوي، عن أبيه. قال: قلت للعلاء بن زياد: إذا صليت وحدي لم أعقل صلاتي، قال: ابشر فإن هذا علم الخير. أما رأيت اللصوص إذا مروا بالبيت الخرب لم يلووا عليه، وإذا مروا بالبيت الذي رأوا فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منه شيئاً.

عن العلاء بن زياد. قال: إنكم في زمان أقلكم الذي ذهب عشر دينه، وسيأتي عليكم زمان أقلكم الذي يبقى عليه عشر دينه.

عن قتادة، عن العلاء بن زياد. قال: مايضرك شهدت على مسلم بكفر أو قتلته.

قال الشيخ رحمه الله: أسند العلاء بن زياد عن جماعة من الصحابة، عن عمران بن حصين، وأبي هريرة، وأرسل عن معاذ بن جبل، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنهم.

١٨٦ ـ أبو السوار العدوي

ومنهم أبو السوار العدوي، بالقلب زوار، وفي الوجه خوار، وبالوصل فخار، وبالنفس ضرار.

عن أبي التياح. قال: سمعت أبا السوار العدوي يقول: وقرأ هذه الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[١]. قال: هما نشرتان وطية، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة فأمل فيها ما

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٣).

شئت، فإذا مت طويت، ثم إذا بعثت نشرت ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[1].

عن مخلد بن الحسين. قال: إن أبا السوار العدوي أقبل عليه رجل بالأذى، فسكت حتى إذا بلغ منزله ـ أو دخل ـ قال: حسبك إن شئت.

عن عوف. قال: قيل لأبي السوار العدوي: أكل حالك صالح؟ قال: ليت عشره يصلح.

عن أبي خلدة. قال: سمعت أبا السوار العدوي يقول لمعاذة العدوية في مسجد بني عدي: تجيء إحداكن المسجد فتضع رأسها وترفع أستها، فقالت: ولم تنظر؟ اجعل في عينيك تراباً ولا تنظر. قال: إني والله ما أستطيع إلا أن أنظر، ثم اعتذرت. فقالت يا أبا السوار: إذا كنت في البيت شغلني الصبيان، وإذا كنت في المسجد كان أنشط لي. قال: النشاط أخاف عليك.

قال الشيخ رحمه الله: أسند أبا السوار غير حديث عن عمران بن حصين وغيره من الصحابة.

١٨٧ ـ حميد بن هلال العدوي

ومنهم: حميد بن هلال العدوي، تفقه واعتزل، وعلم واشتغل، له في العلم الحظ الجزيل، وفي التحقيق السمت الجميل.

عن قتادة. قال: كان حميد بن هلال من العلماء الفقهاء، لم يكن يذاكر ولا يسأل إنما كان يعتزل في مكان.

عن قتادة. قال: ما كان بالمصرين أعلم من حميد، ما أستثنى الحسن ولا محمداً[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٤).

(٢) هو ابن سيرين والحسن هو البصري، وأراد بالمصرين: البصرة والكوفة.

عن خالد بن أيوب، عن حميد بن هلال. قال: مثل ذاكر الله في السوق كمثل شجرة خضراء وسط شجر ميت.

أسند حميد عن عدة من الصحابة؛ منهم عبد الله بن مغفل، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، وأبو رفاعة العدوي رضي الله تعالى عنهم.

١٨٨ ـ الأسود بن كلثوم

ومنهم المستشهد الملثوم، الأسود بن كلثوم. خلت دعوته، فعجلت كرامته.

عن حميد بن هلال. قال: كان منا رجل يقال له: الأسود بن كلثوم، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه، فكان يمر بالنسوة وفي الجدر يومئذ قصر. ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها فإذا رأينه راعهن ثم يقلن: كلا! إنه الأسود بن كلثوم، فلما قدم غازياً. قال: اللهم إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت، فاطعم لحمي سباعاً وطيراً. فانطلق في خيل فدخلوا حائطاً فنذر بهم العدو فجاؤا فأخذوا بثلمة في الحائط فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى غارت، فخرج فأتى الماء فتوضأ ثم صلى. قال: يقول العجم هكذا: استسلام العرب إذا استسلموا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. قال: فمر عظم الجيش بعد ذلك بذلك الحائط. فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه. قال: لا! دعا أخي بدعوات فاستجيبت له فلست أعرض في شيء من ذلك.

١٨٩ ـ شويس بن حيان

ومن مشيخة بني عدي: شويس بن حيان أبو الرقاد ولد عام الهجرة فأدرك عهد النبي ﷺ، وأخذ العطاء من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

عن أبي خلدة. قال: قال لي أبو العالية: من بقي من شيوخ بني عدي؟ قلت: أبو السوار. قال: ذاك من الفتيان، قلت: إنه أبيض الرأس واللحية، قال: فذاك من الفتيان إنما سألتك عن الشيوخ. قال: قلت: شويس العدوي. قال: نعم! هو ممن أخذ الدرهمين على عهد عمر رضي الله تعالى عنه.

عن أبي مسعود الجريري، عن شويس العدوي ـ وكان من أصحاب الدرهمين ـ. قال: إن صاحب اليمين أمين ـ أو قال أمير ـ على صاحب الشمال، فإذا عمل ابن آدم سيئة وأراد صاحب الشمال أن يكتبها. قال له صاحب اليمين: لا تعجل لعله يعمل حسنة، فإن عمل حسنة ألقى واحدة بواحدة، وكتب له: تسع حسنات. فيقول الشيطان: يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم.

١٩٠ ـ عبد الله بن غالب

ومنهم العابد الرائب، المتشمر الناحب، المتشوق الطالب، أبو فراس عبد الله بن غالب.

عن مالك بن دينار. قال: كان لعبد الله بن غالب بيتان، بيت يتعبد فيه، وبيت لعياله، وكان له وردان ورد بالنهار وورد بالليل.

عن عون بن أبي شداد؛ أن عبد الله بن غالب كان يصلي الضحى مائة ركعة، ويقول: لهذا خلقنا، وبهذا أمرنا، ويوشك أولياء الله أن يكفوا ويحمدوا.

عن قتادة؛ أن عبد الله بن غالب كان يقص في المسجد الجامع، فمر عليه الحسن فقال: يا عبد الله لقد شققت على أصحابك. فقال: ما أرى عيونهم انفقأت، ولا أرى ظهورهم اندقت، والله يأمرنا يا حسن أن نذكره كثيراً، وأنت تأمرنا أن نذكر قليلاً؛ كلا لا تطعه واسجد واقترب. ثم سجد. قال الحسن: والله ما رأيت كاليوم ما أدري أسجد أم لا؟

عن جعفر. قال: سمعت عبد الله بن غالب يقول في دعائه: اللهم إنا نشكو إليك سفه أحلامنا، ونقص عملنا، واقتراب آجالنا، وذهاب الصالحين منا.

عن نصر بن علي. قال: كان عبد الله بن غالب إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة خيراً؛ قرأت كذا، وصليت كذا، وذكرت كذا، وفعلت كذا. فيقال له: يا أبا فراس: إن مثلك لا يقول مثل هذا! فيقول إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[1] وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة ربك.

عن سعيد بن يزيد. قال: سجد عبد الله بن غالب ومضى رجل إلى الجسر يشتري علفا، فاشترى حاجته من الجسر ورجع وهو ساجد.

عن مالك بن دينار. قال: لما كان يوم الزاوية قال عبد الله بن غالب: إني لأرى أمراً ما لي عليه صبر، روحوا بنا إلى الجنة، قال: فكسر جفن سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل قال: فكان يوجد من قبره ريح المسك.

أسند عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

١٩١ ـ زرارة بن أوفى

ومنهم الخائف المخفي، زرارة بن أوفى[2]، رق فأوحى، ورد إلى الملأ الأعلى.

عن بهز بن حكيم. قال: صلى بنا زرارة بن أوفى في مسجد

---

(١) سورة الضحى، الآية (١١).

(٢) زرارة من بني الحريش بن كعب، توفي فجأة سنة ثلاث وتسعين.

بني قشير فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[1]، فخر ميتاً فحمل إلى داره.

قال: وكان يقص في داره وقدم الحجاج البصرة وهو يقص في داره.

أسند زرارة بن أوفى عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

١٩٢ ـ عقبة بن عبد الغافر

ومنهم الداعي الشاكر، عقبة بن عبد الغافر، كان في الضراء ذاكراً، وفي السراء شاكراً.

عن ثابت بن عقبة بن عبد الغافر. قال: دعوة في السر أفضل من سبعين في العلانية، وإذا عمل العبد في العلانية عملاً حسناً وعمل في السر مثله قال الله لملائكته: هذا عبد حقاً.

عن وائل بن داود. قال: سمعت عقبة بن عبد الغافر قال: ما طلعت الشمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين، يقولان: أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. ولا غربت إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين، اللهم أعقب منفقاً خلفاً واعقب ممسكاً تلفاً.

أسند عقبة عن أبي سعيد الخدري وسمع منه.

١٩٣ ـ ابن سيرين

[ت١١٠هـ]

ومنهم ذو العقل الرصين، والورع المتين، المطعم للإخوان

---

(١) سورة المدثر، الآية (٨).

والزائرين، ومعظم الرجاء للمذنبين والموحدين، أبو بكر محمد بن سيرين[1]. كان ذا ورع وأمانة وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاء نائحاً، وبالنهار بساماً سائحاً، يصوم يوماً ويفطر يوماً.

عن ابن عون. قال: قيل لمحمد بن سيرين: يا أبا بكر إن رجلاً قد اغتابك فتحله. قال: ما كنت لأحل شيئاً حرمه الله.

عن عبيد الله بن محمد. قال: سمعت شيخاً يذكر عن محمد. قال: وسئل مرة عن فتيا فأحسن الإجابة فيها. فقال له رجل: والله يا أبا بكر لأحسنت الفتيا فيها ـ أو القول فيها. قال: وعرض كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا، فقال محمد: لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا.

عن محمد بن سيرين. قال: كان مما يقول للرجل إذا أراد أن يسافر في التجارة، اتق الله تعالى واطلب ما قدر لك في الحلال فإنك إن تطلبه من غير ذلك لم تصب أكثر ما قدر لك.

عن ابن عون. قال: سمعت محمداً يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك: ليس به بأس، وإنما قلت لك: لا أعلم به بأساً.

عن يحيى بن عتيق. قال: قلت لمحمد بن سيرين: الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من أهلها، له في ذلك أجر؟ قال: أجر واحد! بل له أجران أجر لصلاته على أخيه، وأجر لصلته الحي.

عن حبيب، عن ابن سيرين. قال: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه.

عن الأشعث. قال: كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من

---

(١) ابن سيرين يكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك، توفي سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة. (الصفوة).

الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل، حتى كأنه ليس بالذي كان.

عن أيوب. قال: كان محمد بن سيرين يقول: لا تكرم أخاك بما يشق عليك.

عن ابن عون. قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين فقدم عليه، فقال: كيف تركت أهل مصرك؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاش.

قال ابن عون: كان يرى إنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها.

عن ابن عون. قال: كلمت محمد بن سيرين في رجل وقلت: يا أبا بكر إنه من أهل العلم، ثم رجعت إليه من الغد فقلت: يا أبا بكر كيف رأيت صاحبنا؟ قال: بعيد مما قلت، يرى أنه يعلم العلم، ولا يقول لما لم يسمعه لم أسمعه.

عن عمران بن عبد العزيز. قال: سمعت محمد بن سيرين وسئل عمن يسمع القرآن فيصعق. قال: ميعاد ما بينا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون.

عن محمد بن سلام. قال: كان سلم بن قتيبة يأتي محمد بن سيرين على برذون ثم أتاه راجلاً، قال: ما فعل برذونك؟ قال: بعته. قال: ولم؟ قال: لمؤونته. قال: أتراه خلف رزقه عندك.

عن قرة بن خالد عن ابن سيرين أنه كان يقول:

إنك إن كلفتني ما لم أطق   ساءك ما سرك مني من خلق

عن بكر بن عبد الله المزني. قال: من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه، فلينظر إلى محمد ين سيرين. فوالله ما أدركنا من هو أورع منه.

عن هشام، عن ابن سيرين؛ أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على

ثمانين ألفاً فعرض في قلبه منه شيء فتركه. قال هشام: ما هو بربا.

عن السري بن يحيى. قال: لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً في شيء دخله.

قال السري: فسمعت سلمان التيمي يقول: لقد تركه في شيء ما يختلف فيه أحد من العلماء.

عن هشام بن حسان. قال: كان ابن سيرين إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول: اسقوني شربة سويق، فيقال له: يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو إلى العرس تشرب سويقاً؟ قال: إني أكره أن أحمل حر جوعي على طعام الناس.

عن هشام. قال: أوصى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن يغسله محمد بن سيرين، فقيل له في ذلك وكان محبوساً فقال: أنا محبوس قالوا: قد استأذنا الأمير فأذن لك، قال: إن الأمير لم يحبسني إنما حبسني الذي له الحق، فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله.

عن هشام. قال: سمعت ابن سيرين يقول: المسلم المسلم عند الدرهم والدينار.

عن أيوب. قال: ذكر محمد بن سيرين عند أبي قلابة فقال: وأينا يطيق محمد بن سيرين، محمد يركب مثل حد السنان.

عن عاصم. قال: لم يكن ابن سيرين يترك أحداً يمشي معه.

عن عاصم الأحول. قال: كنت عند ابن سيرين، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا بكر ما تقول في كذا؟ قال: ما أحفظ فيها شيئاً. فقلنا له: فقل فيها برأيك قال: أقول فيها برأيي ثم أرجع عن ذلك الرأي لا والله!.

عن جعفر بن مرزوق. قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي. قال: فدخلوا عليه. فقال لابن سيرين: يا أبا بكر

ماذا رأيت منذ قربت من بابنا، قال: رأيت ظلماً فاشياً قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين. فقال: إنك لست تسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين؛ فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

عن ابن عون. قال: كان لابن سيرين منازل، لا يكريها إلا من أهل الذمة، فقيل له في ذلك؟ قال: إذا جاء رأس الشهر رعته وأكره أن أروع مسلماً.

عن قرة بن خالد. قال: أكلت في بيت محمد بن سيرين طعاماً، فلما شبعت أخذت المنديل ورفعت يدي، فقال لي محمد: إن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: الطعام أهون من أن يقسم عليه.

عن أبي خلدة. قال: دخلنا على محمد بن سيرين فقال: ما أدري ما أتحفكم به كلكم في بيته خبز ولحم؟ يا جارية هات تلك الشهدة، فجاءت بها فجعل يقطع ويأكل ويطعمنا.

عن ابن عون، عن محمد بن سيرين؛ أنه حين ركبه الدين خفف مطعمه، حتى كنت آوى له، وكان أكثر ما يأتدم به السمك الصغار.

عن سهيل أخي حزم القطعي. قال: سمع ابن سيرين رجلاً يسب الحجاج فأقبل عليه، فقال: مه أيها الرجل! فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله تعالى حكم عدل إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه، فسوف يأخذ للحجاج ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسب أحد.

عن عبد الله بن السري. قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل علي به الدين ما هو؟ قلت لرجل من أربعين سنة يا مفلس فحدث به أبا سليمان الداراني. فقال: قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نؤتى؟.

عن ثابت. قال: قال لي محمد بن سيرين: يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى أقمت على المصطبة، فقيل هذا محمد بن سيرين أكل أموال الناس، وكان عليه دين كثير.

عن أنس بن سيرين. قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار.

عن أم عباد امرأة هشام بن حسان. قالت: كنا نزولاً مع محمد بن سيرين في داره، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار.

عن أبي عوانة. قال: رأيت محمد بن سيرين في السوق فما رآه أحد إلا ذكر الله تعالى.

عن زهير الأقطع. قال: كان محمد بن سيرين إذا ذكر الوت مات كل عضو منه على حدته.

عن مهدي بن ميمون. قال: كان محمد بن سيرين يتمثل الشعر، ويذكر الشيء ويضحك، حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض.

عن ابن شوذب. قال: كان ابن سيرين يمازح أصحابه، ويقول مرحباً بالمدرفشين ـ يعني أنكم تشهدون الجنائز، وتحملون الموتى.

عن سعيد بن أبي عروبة، عن محمد بن سيرين؛ أنه قال: الرمان بين الفاكهة، كجبريل بين الملائكة.

عن قرة بن خالد. قال: قلت لمحمد بن سيرين: هل كانوا يتمازحون! فقال: ما كانوا إلا كالناس، كان ابن عمر يمزح وينشد الشعر ويقول:

يحب الخمر من كيس الندامى ... ويكره أن تفارقه الفلوس

عن مغيرة. قال: قال رأى ابن سيرين: كأن الجوزاء تقدمت الثريا فأخذ في وصيته، قال: يموت الحسن وأموت بعده هو أشرف مني.

عن ابن عون، عن محمد بن سيرين. قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه.

عن عاصم الأحول، عن محمد بن سيرين. قال: كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فننظر إلى أهل السنة فنأخذ حديثهم، وإلى أهل البدعة فلا نأخذ حديثهم.

أسند محمد بن سيرين، عن عدة من الصحابة؛ منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعمران بن حصين وأبو بكرة، وأنس بن مالك، وجماعة.

١٩٢م ـ عبد الله بن زيد الجرمي (أبو قلابة)

ومنهم اللبيب الناصح، والخطيب الفاصح، كثر إشفاقه، فكثر إنفاقه، أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي.

عن صالح بن رستم. قال: قال أبو قلابة: يا أيوب إذا أحدث الله تعالى لك علماً فأحدث له عبادة، ولا يكن همك ما تحدث به الناس.

عن أيوب، عن أبي قلابة. قال: قيل للقمان أي الناس أعلم، قال: الذي يزداد من علم الناس إلى علمه.

عن أيوب، عن أبي قلابة. قال: ما من أحد يريد خيراً أو شراً إلا وجد في قلبه آمراً وزاجراً، آمراً يأمر بالخير وزاجراً ينهى عن الشر.

عن أبي قلابة. قال: العلماء ثلاثة: فعالم عاش بعلمه وعاش الناس بعلمه، وعالم عاش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه، وعالم لم يعش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه.

عن كيسان، عن أبي قلابة. قال: مثل الناس والإمام كمثل الفسطاط، لا يقوم الفسطاط إلا بعمود ولا يقوم العمود إلا بالأوتاد، وكلما نزع وتد ازداد العمود وهنا.

عن أيوب، عن أبي قلابة. قال: أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عياله صغاراً، فيعفهم وينفعهم الله تعالى ويغنيهم به.

عن أيوب، عن أبي قلابة. قال: إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم الدين، فقال: وعزتك لا أخرج من جوف ـ أو من قلب ـ ابن آدم ما دام فيه الروح. قال: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح.

عن رجاء مولى أبي قلابة، عن أبي قلابة. قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فذكروا القسامة فحدثته عن أنس بقصة العرنيين فقال عمر: لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا ـ أو مثل هذا.

عن عاصم الأحول، عن أبي قلابة. قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس، فذاك قمن أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه، فذاك قمن أن يهلك.

عن أيوب. قال: كنت مع أبي قلابة في جنازة فسمعنا صوت قاص قد ارتفع صوته وصوت أصحابه. فقال أبو قلابة: إن كانوا ليعظمون الموت بالسكينة.

عن حميد الطويل، عن أبي قلابة. قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك لعل لأخي عذراً لا أعلمه.

عن أيوب. قال: لما توفي عبد الرحمن بن أذينة، ذكر أبو قلابة للقضاء، فهرب حتى أتى الشام.

عن أيوب. قال: وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم فراراً منه، وما أدركت بهذا المصر أعلم بالقضاء من أبي قلابة.

عن غيلان بن جرير. قال: استأذنت على أبي قلابة فقال: ادخل إن لم تكن حرورياً.

عن صالح بن رستم. قال: قال أبو قلابة: يا أيوب الزم سوقك فإن الغنى من العافية.

عن أيوب، عن أبي قلابة. قال: إن الله تعالى قد أوسع عليكم فليس بضائركم دنيا إذا شكرتموها لله عز وجل.

عن أيوب. قال: رآني أبو قلابة وأنا أشتري تمراً رديئاً، فقال: قد كنت أظن أن الله تعالى قد نفعك بمجالسنا، أما علمت أن الله تعالى قد نزع من كل رديء بركته.

عن خالد الحذاء. قال: كنا نأتي أبا قلابة، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث، قال: قد أكثرت.

عن عمرو بن ميمون. قال: قدم أبو قلابة على عمر بن عبد العزيز. فقال له: حدث يا أبا قلابة: قال: والله إني لأكره كثيراً من الحديث وكثيراً من السكوت.

عن أيوب. قال: قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

قال الشيخ رحمه الله: أسند أبو قلابة عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما لا يحصى.

١٩٣م ـ مسلم بن يسار

ومنهم المشاهد المبصار، المجاهد المحضار، أبو عبد الله مسلم بن يسار.

عن جعفر بن حيان. قال: ذكر لمسلم بن يسار: قلة التفاته في صلاته، فقال: وما يدريك أين قلبي؟

عن حبيب بن الشهيد؛ أن مسلم بن يسار كان قائماً يصلي فوقع حريق إلى جنبه فما شعر به حتى طفئت النار.

عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه؛ أنه كان يصلي ذات يوم فدخل رجل من أهل الشام ففزعوا واجتمع له أهل الدار فلما انصرفوا، قالت له أم عبد الله: دخل هذا الشامي ففزع أهل الدار فلم تنصرف إليهم ـ أو كما قالت ـ قال: ما شعرت.

عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه. قال: ما رأيته يصلي قط إلا ظننت أنه مريض.

عن عبد الله بن مسلم بن يسار. قال: رأيت مسلماً وهو ساجد، وهو يقول في سجوده: متى ألقاك وأنت عني راض، ويذهب في الدعاء. ثم يقول: متى ألقاك وأنت عني راض.

عن قتادة. قال: قال مسلم بن يسار: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتبه الله عز وجل له.

عن مسلم بن يسار؛ أنه قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، وما أدري ما حسبُ رجاء امرئ عرض له بلاء لم يصبر عليه لما يرجو، وما أدري ما حسب خوف امرئ عرضت له شهوة لم يدعها لما يخشى.

عن معاوية بن قرة. قال: دخلت على مسلم بن يسار. فقلت: ما عندي كبير عمل، إلا أني أرجو الله وأخاف منه. قال: ما شاء الله! من خاف من شيء حذر منه، ومن رجا شيئاً طلبه، وما أدري ما حسب خوف عبد عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف، أو ابتلى

ببلاء فلم يصبر عليه لما يرجو، قال معاوية: فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا لا أعلم.

عن ابن عون. قال: قال مسلم: إذا حدثت عن الله فأمسك، فاعلم ما قبله وما بعده.

عن ثابت. قال: قال مسلم بن يسار: ما شيء من عملي إلا وأنا أخاف أن يكون قد دخله ما أفسده علي، ليس الحب في الله عز وجل فإني لا أجدني أحب إلا في الله.

عن قتادة، عن مسلم بن يسار. قال: مرضت مرضة لي، فلم يكن في عملي شيء أوثق في نفسي من قوم كنت أحبهم في الله عز وجل.

عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه. قال: إذا لبست ثوباً فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره؛ فبئس الثوب هو لك.

عن الربيع بن صبيح. قال: قال مكحول: رأيت سيداً من ساداتكم يا أهل البصرة، دخل الكعبة فصلى ركعتين بين العمودين المقدمين، وهو ساجد فبكى حتى بل المرمر، فسمعته يقول: اغفر لي ذنوبي وما قدمته يداي. قال: فإذا هو مسلم بن يسار.

عن عبد الله بن مسلم بن يسار. قال: كان لأبي غلام لا يصلي وكان لا يضربه فأقول: ألم تنهه. يقول: لا أدري ما أصنع به قد غلبني؟

عن محمد بن واسع. قال: كان مسلم بن يسار يقول: إياكم والرياء فإنها ساعة جهل العالم. وبها يبتغي الشيطان زلته.

عن عمر بن أبي سلمة. قال: قال مسلم بن يسار: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل.

عن مالك بن دينار. قال: رأيت مسلم بن يسار في منامي، بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام، فقلت: لم لا ترد عليَّ السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد السلام، فقلت: ماذا لقيت يوم الموت؟ قال: لقد لقيت أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً، قلت: وماذا كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفى لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات، فكان مالك يحدث بهذا وهو يبكي ويشهق ثم يغشى عليه فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً ثم مات في مرضه فكنا نرى أن قلبه انصدع.

عن إسحاق بن سويد. قال: صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة، فلم أسمعه تكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق، قال: ثم حدثنا فقال: بلغني أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويوقف بين يدي الله عز وجل. فيقول: انظروا في حسناته فينظر في حسناته، فلا توجد له حسنة، فيقول: انظروا في سيئاته فتوجد له سيئات كثيرة، فيؤمر به إلى النار، فيذهب به وهو يلتفت. فيقول: ردوه، إلى ما تلتفت؟ فيقول: أي رب لم يكن هذا ظني ـ أو رجائي فيك ـ شك إبراهيم فيقول: صدقت فيؤمر به إلى الجنة.

عن مسلم بن يسار؛ أنه قال: قدمت البحرين واليمامة على تجارة فإذا أنا بالناس مقبلين ومدبرين نحو منزل فقصدت إليه، فإذا أنا بامرأة جالسة في مصلاها عليها ثياب غليظة، وإذا هي كئيبة محزونة قليلة الكلام، وإذا كل من رأيت ولدها وخولها وعبيدها، والناس مشغولون بالبياعات والتجارات، فقضيت حاجتي ثم أتيتها وودعتها فقالت: حاجتنا إليك أن تأتينا إذا جئت إلينا بحاجة فتنزل بنا.

قال: فانصرفت فلبثت حيناً، ثم إني توجهت إلى بلدها في حاجة، فلما قدمتها لم أر دون منزلها شيئاً مما كنت رأيت، فأتيت منزلها فلم أر أحداً، فأتيت الباب فاستفتحت فإذا أنا بضحك امرأة

وكلامها ففتح لي، فدخلت فإذا أنا بها جالسة في بيت، وإذا عليها ثياب حسنة رقيقة، وإذا الضحك الذي سمعت كلامها وضحكها، وإذا امرأة ليس معها في بيتها شيء قط. فاستنكرت وقلت قد رأيتك على حالين فيهما عجب؛ حالك في قدمتي الأولى وحالك هذه.

قالت: لا تعجب، فإن الذي قد رأيت من حالتي الأولى، إني كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة في ولد ولا خول ولا مال ولا أوجه في تجارة إلا سلمت ولا يبتاع لي شيء إلا ربحت فيه، وتخوفت أن لايكون لي عند الله خير، فكنت مكتئبة لذلك، وقلت: لو كان لي عند الله خير لابتلاني. فتوالت علي المصائب في ولدي الذي رأيت وخولي ومالي وما بقي لي منه شيء، فرجوت أن يكون الله قد أراد بي خيراً فابتلاني وذكرني ففرحت لذلك وطابت نفسي.

فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر فأخبرته بخبرها. فقال: رحم الله هذه، ما فاتها أيوب النبي عليه السلام إلا بقليل.

لقي من الصحابة عدة، وروى عنهم مرسلاً ومتصلاً، حدث عنه من التابعين أبو قلابة ومحمد بن سيرين وقتادة.

١٩٤ ـ معاوية بن قرة

ومنهم البسام بالنهار، البكاء في الأسحار، أبو إياس معاوية بن قرة.

عن حجاج بن الأسود؛ أن معاوية بن قرة قال: من يدلني على بكاء بالليل. بسام بالنهار.

عن تمام بن نجيح، عن معاوية بن قرة. قال: أدركت سبعين رجلاً من أصحاب محمد ﷺ؛ لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئا مما أنتم عليه اليوم إلا الأذان.

وقال: أدركت ثلاثين رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ما منهم إلا من طعن أو طعن، أو ضرب أو ضرب مع رسول الله ﷺ.

عن عون بن موسى، عن معاوية بن قرة. قال: كنا عند الحسن، فتذاكرنا أي العمل أفضل، فكلهم اتفقوا على قيام الليل. فقلت أنا: ترك المحارم، قال: فانتبه لها الحسن فقال: تم الأمر تم الأمر.

عن عبد الله بن ميمون البصري. قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن الله تعالى يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد؛ فإن أصلحه أصلح الله على يديه، وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير، وإن هو أفسده أفسد الله تعالى على يديه، وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشر.

عن حجاج بن الأسود. قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: اللهم إن الصالحين أنت أصلحتهم ورزقتهم، يعملون بطاعتك، فرضيت عنهم، اللهم كما أصلحتهم ورزقتهم، فرضيت عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك وارض عنا.

عن مسلم. قال: لقيني معاوية بن قرة وأنا جاءٍ من الكلأ. فقال لي: ما صنعت أنت؟ قلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا. قال: وأصبت من حلال؟ قلت: نعم! قال: لأن أغدو فيما غدوت به كل يوم، أحب إليّ من أن أقوم الليل وأصوم النهار.

عن شبيب بن مهران. قال: قال لنا معاوية بن قرة: جالسوا وجوه الناس فإنهم أحكم وأعقل من غيرهم.

عن شبيب بن شيبة. قال: قال رجل لمعاوية: إني لأحبك فقال: لم لا تحبني ولست لك بجار ولا قرابة؟

عن خليد بن دعلج. قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

عن سوادة بن حيان عن معاوية بن قرة. قال: من لم يكتب العلم، لم يعد علمه علماً.

أسند معاوية بن قرة عن عدة من الصحابة.

١٩٥ ـ أبو رجاء العطاردي

[ت١٠١هـ]

ومنهم ذو العمر المعمر، والحبر المحبر، والبر المبشر، أبو رجاء العطاردي[١]. أدرك أول دعوة الرسول، فأجاب إلى التصديق والقبول، وثبت على الإقبال والوصول.

عن عمارة المعولي قال: سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: بعث النبي ﷺ وأنا خماسي يدعو إلى الجنة.

عن كثير بن عبد الرحمن. قال: أتينا أبا رجاء العطاردي فقلنا له: ألك علم بمن بايع النبي ﷺ من الجن هل بقي منهم أحد؟ قال: سأخبركم على ذلك، نزلنا على قصر فضربنا أخبيتنا، فإذا حية تضطرب فماتت فدفنتها، فإذا أنا بأصوات كثيرة السلام عليكم! ولا أرى شيئاً، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن الجن جزاك الله عنا خيراً اتخذت عندنا يداً، قلت: وما هي؟ قالوا: الحية التي قبرتها كانت آخر من بقي ممن بايع النبي ﷺ. قال أبو رجاء: وأنا اليوم لي مائة وخمسة وثلاثون سنة.

عن يوسف بن عطية، عن أبيه قال: دخل أبي على أبي رجاء العطاردي فقال ـ: وحدثني أبو رجاء قال: ـ بعث النبي ﷺ ونحن على ماء لنا، وكان لنا صنم مدور، فحملناه على قتب، وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره، فمررنا برملة فانسل الحجر فوقع في رمل فغاب

---

(١) اسمه عمران بن ملحان. توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز (الصفوة).

فيه، فلما رجعنا إلى الماء فقدنا الحجر، فرجعنا في طلبه فإذا هو في رمل قد غاب فيه، فاستخرجناه فكان ذلك أول إسلامي. فقلت: إن إلهاً لم يمنع من تراب يغيب فيه لإله سوء، وإن العنز لتمنع حياها بذنبها، فكان ذلك أول إسلامي، فرجعت إلى المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ.

عن عمارة المغولي. قال: سمعت أبا رجاء يقول: كنا نعمد إلى الرمل، فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه، وكنا نعظم الحرم في الجاهلية ما لا تعظمونه في الإسلام.

عن أبي الأشهب. قال: كان أبو رجاء يختم بنا في قيام رمضان لكل عشرة أيام.

عن أبي عثمان اليشكري. قال: سألت أبا رجاء العطاردي قلت: يا أبا رجاء أرأيت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يخافون على أنفسهم النفاق؟ ـ قال: أما إني أدركت بحمد الله منهم صدراً حسناً ـ قال أبو عثمان وقد كان أدرك عمر بن الخطاب ـ فقال: نعم شديداً، نعم شديداً.

عن أبي رجاء. قال: كان هذا الموضع من ابن عباس، أي مجرى الدموع، كأنه الشراك البالي من الدمع.

عن جرير بن حازم. قال: سمعت أبا رجاء يقول: والله لقد انبئت أن رجالاً منكم يقصون على الناس، ويملّونهم من كتاب الله عز وجل، فلا تفعلوا، واتبعوا كتاب الله ما استطعتم ثم خلوا عنهم، فإن للناس حوائج وأهلين.

أسند أبو رجاء عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس.

١٩٦ ـ أبو عمران الجوني

ومنهم الواعظ اليقظان، موقظ الوسنان، ومنفر الشيطان، الجوني أبو عمران[١].

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من الله تعالى طول النسيئة، ولا حسن الطلب، فإن أخذه ألم شديد.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت أبا عمران يقول في قصصه: حتى متى تبقى وجوه أولياء الله تحت أطباق التراب، وإنما هم محتبسون ببقية آجالكم أيتها الأمة، حتى يبعثهم الله تعالى إلى جنته وثوابه.

عن جعفر. قال: سمعت أبا عمران يقول: زرع الله في قلوبنا وقلوبكم المودة على ذكره، وجعل قلوبنا وقلوبكم أوطاناً تحن إليه، وأجرى علينا وعليكم المغفرة، كما جرت علينا وعليكم الذنوب، إن الله تعالى لم يستودع شيئاً قط إلا حفظه، وأنا مستودع الله ديننا ودينكم، وخواتيم أعمالنا وخواتيم أعمالكم؛ كما استودعت أم موسى موسى، وكما استودع يعقوب يوسف، ودائع الله التي لا تضيع في السموات ولا في الأرض، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

عن جعفر. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: والله لئن ضيعنا، إن لله عباداً آثروا طاعة الله تعالى على شهوة أنفسهم، مضوا من الدنيا على مهل مهل، حتى مشوا على الأسنة، حتى خرج علق الأجواف منهم على أطراف الأسنة، يبتغون بذلك روح الآخرة.

---

(١) أبو عمران، واسمه: عبد الملك بن حبيب (الصفوة).

عن همام. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: ما من ليلة تأتي، إلا وتنادي اعملوا فيَّ ما استطعتم من خير، فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

عن جعفر. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: إنه ليس بين الجنة والنار طرق ولا فيافٍ ولا منزل هنالك لأحد؛ من أخطأته الجنة صار إلى النار.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: حدثت أن البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله تعالى صنفين: صنف إلى الجنة، وصنف إلى النار، تناديهم البهائم يا بني آدم الحمد الله الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم، لا جنة نرجو ولا عقاباً نخاف.

عن جعفر. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول في دعائه: اللهم اغفر لنا علمك فينا؛ فإنك تعلم منا ما لا يعلمه أحد، وكفى بعلمك فينا استكمالاً لكل عقوبة؛ إلا ما عافيت ورحمت.

عن جعفر. قال: سمعت أبا عمران يقول: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله تعالى بكل جبار، وكل شيطان، وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا فيوثقون في الحديد، ثم أمر بهم إلى النار، ثم أوصدها عليهم ـ أي أطبقها ـ فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً. قال: ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

قال أبو عمران: هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه.

عن ابن شوذب. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: ليت شعري أي شيء علم ربنا من أهل الأهواء، حين أوجب لهم النار؟

عن جعفر. قال: قال أبو عمران الجوني: أدركت أربعة هم أفضل من أدركت؛ كانوا يكرهون أن يقولوا: اللهم أعتقنا من النار، ويقولون: إنما يعتق منها من دخلها. وكانوا يقولون: نستجير بالله من النار، ونعوذ بالله من النار.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: وعظ موسى بن عمران عليه السلام قومه بني إسرائيل يوماً، فشق رجل منهم قميصه، فأوحى الله تعالى إلى موسى: قل لصاحب القميص لا يشق قميصه، ليشرح لي عن قلبه.

لقي أبو عمران جماعة من الصحابة وسمع منهم، منهم أنس بن مالك، وجندب بن عبد الله، وعائذ بن عمرو، وأبو برزة رضي الله تعالى عنهم.

١٩٧ ـ ثابت البناني

ومنهم المتعبد الناحل، المتهجد الذابل، أبو محمد ثابت بن أسلم البناني[(١)].

عن أنس بن مالك. قال: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتاً مفتاح من مفاتيح الخير.

عن بكر بن عبد الله. قال: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه، فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، إنه

---

(١) الذي في كتاب «صفة الصفوة»: ثابت بن مسلم، توفي في ولاية خالد بن عبد الله على العراق.

ليظل في اليوم المعمعاني[1] الطويل ما بين طرفيه صائماً، يراوح ما بين جبهته وقدمه.

عن سليمان بن المغيرة. قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: لا يسمى عابد أبداً عابداً وإن كان فيه كل خصلة خير، حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه.

عن أبي شوذب. قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحد من خلقك، أن يصلي لك في قبره فأعطني ذلك.

عن شيبان بن جسر، عن أبيه. قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو، أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل - أو رجل غيره - شك محمد قال: فلما سوينا عليه اللبن، سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي ألا ترى قال: اسكت! فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟ فقالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر. قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره، فأعطنيها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء.

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين. قال: قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

عن منهال بن خليفة، عن ثابت البناني. قال: كان يقال: فقه كوفي، وعبادة بصري.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: ما تركت في مسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها، وبكيت عندها.

---

(١) المعمعاني: أي الشديد الحر.

عن ابن شوذب. قال: ربما مشيت مع ثابت البناني، فلا يمر بمسجد إلا دخل فصلى فيه.

عن محمد بن ثابت البناني. قال: ذهبت ألقن أبي وهو في الموت لا إله إلا الله فقال: يا بني دعني فإني في وردي السادس أو السابع.

عن جعفر عن ثابت. قال: كنا نتبع الجنازة فما نرى إلا متقنعاً باكياً أو متقنعاً متفكراً.

عن جعفر بن سليمان. قال: بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب فجاؤا برجل يعالجها. فقال: أعالجها على أن تطيعني. قال: وأي شيء؟ قال: على أن لا تبكي. قال: فما خيرهما إن لم تبكيا وأبى أن يتعالج.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت ثابتاً يقول: وما على أحدكم أن يذكر الله كل يوم ساعة فيربح يومه.

عن ثابت. قال: بلغنا أن العبد المؤمن، يوقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، فيقول الله له: يا عبدي أكنت تعبدني فيمن يعبدني؟ قال فيقول: يا رب نعم! قال: فيقول له: أكنت تدعوني فيمن يدعوني؟ فيقول: يا رب نعم! فيقول: أكنت تذكرني فيمن يذكرني؟ قال يقول: يا رب نعم! قال فيقول له: وعزتي ما ذكرتني في موطن قط إلا ذكرتك فيه، ولا دعوتني بدعوة قط إلا استجبتها لك.

عن جعفر. قال: سمعت ثابتاً يقول: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام كأمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله عطلاً ما عليهم منها شيء.

عن جعفر. قال: سمعت ثابتاً يقول: وأي عبد أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي الله وحده، ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة.

عن حماد بن سلمة، عن ثابت؛ أنه كان يقول: ما أكثر أحد ذكر الموت إلا رؤي ذلك في عمله.

عن جعفر. قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله.

عن جميلة مولاة أنس. قالت: كان ثابت إذا جاء، قال أنس: يا جميلة ناوليني طيباً أمس به يدي، فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي، ويقول: قد مست يد رسول الله ﷺ.

عن سلام بن مسكين، عن ثابت. قال: ما دعا الله المؤمن بدعوة، إلا وكل بحاجته جبريل عليه السلام فيقول: لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن، قال: وإن الفاجر يدعو الله فيوكل جبريل بحاجته، فيقول: يا جبريل عجل إجابة دعوته، فإني أحب أن لا أسمع صوت عبدي الفاجر.

عن ثابت البناني. قال: بلغني أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام، فرأى عليه معاليق من كل شيء. فقال يحيى عليه السلام: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء. قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك قال: لا! قال: لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. قال إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً.

أسند ثابت عن غير واحد من الصحابة منهم: ابن عمر، وابن الزبير، وشداد وأنس رضي الله تعالى عنهم، وأكثر الرواية عن أنس.

وروى عنه جماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح، وقتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وسليمان التيمي، وحميد، وداود بن أبي هند، وعلي بن زيد بن جدعان، والأعمش وغيرهم.

١٩٨ ـ قتادة بن دعامة

[ت١١٧هـ]

ومنهم الحافظ الرغاب، الواعظ الرهاب، قتادة بن دعامة أبو الخطاب،[1] كان عالماً حافظاً، وعاملاً واعظاً.

عن بكر بن عبد الله المزني. قال: من أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه، فلينظر إلى قتادة، فما أدركنا الذي هو أحفظ منه.

عن قتادة. قال: لزمت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني. فقال يوماً: ليس تكتب! فهل يصير في يدك شيء مما أحدثك به؟ قلت له: إن شئت حدثتك بما حدثتني به قال: فأعدتها عليه، قال: فبقي ينظر إليّ ويقول: أنت أهل أن تحدث، فسل فأقبلت أسأله.

عن معمر. قال: سمعت قتادة يقول: ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي.

عن قتادة. قال: قال لي سعيد بن المسيب: لم أر أحداً أسأل عما يختلف فيه منك، قلت: إنما يسأل عن ذلك من يعقل،

عن معمر. قال: جاء رجل إلى ابن سيرين. فقال: رأيت في المنام كأن حمامة التقمت لؤلؤة فقذفتها سواء. فقال: ذاك قتادة ما رأيت أحفظ من قتادة.

عن مطر. قال: كان قتادة فارس العلم.

عن معمر. قال: قال قتادة لسعيد: خذ المصحف فأمسك علي. قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واواً ولا ألفاً ولا حرفاً. قال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم! قال: لأنا لصحيفة جابر، أحفظ مني لسورة البقرة، وإنما قدمت عليه مرة واحدة.

---

(١) توفي قتادة سنة سبع عشرة ومائة.

عن عاصم الأحول. قال: جلست إلى قتادة، فذكر عمرو ابن عبيد، فوقع فيه ونال منه. فقلت له: أبا الخطاب، ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض فقال: يا أحيول ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة، فينبغي لها أن تذكر حتى يحذر.

عن أبي عوانة. قال: سمعت قتادة يقول: ما أفتيت برأيي منذ ثلاثين سنة.

عن مطر. قال: كان قتادة عبد العلم، وما زال قتادة متعلماً حتى مات.

عن معمر، عن قتادة. قال: يستحب أن لا تقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

عن الحجاج الأسود. قال: سمعت قتادة يقول: ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل، ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن المتقوى، وأن المؤمنين هم العجاجون[1] إلى الله بالليل والنهار. وما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم.

عن شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة. قال: يا ابن آدم لا تعتبر الناس بأموالهم ولا أولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح. إذا رأيت عبداً صالحاً يعمل فيما بينه وبين الله خيراً، ففي ذلك فسارع، وفي ذلك فنافس ما استطعت إليه قوة، ولا قوة إلا بالله.

وقال قتادة: إن الذنب الصغير يجتمع إلى غيره مثله على صاحبه حتى يهلكه؛ ولعمري إنا لنعلم أن أهيبكم للصغير من الذنب أورعكم عن الكبير.

---

(١) العجاجون: الذين يرفعون أصواتهم.

عن هشام الدستوائي. قال: سمعت قتادة يقول: ما نهى الله عن ذنب إلا قد علم أنه موقوع ولكن تقدمة وحجة.

عن شيبان، عن قتادة. قال: اجتنبوا نقض هذا الميثاق فإن الله تعالى قد قدم فيه وأوعد، وذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجة، وإنما تعظم الأمور بما عظمها الله، عند ذوي العقل والفهم والعلم بالله عز وجل، وإنا ما نعلم الله تعالى أوعد في ذنب ما أوعد في نقض هذا الميثاق.

وإن المؤمن حي القلب حي البصر، سمع كتاب الله فانتفع به ووعاه، وحفظه وعقله عن الله، والكافر أصم أبكم لا يسمع خيراً ولا يحفظه ولا يتكلم بخير ولا يعلمه. في الضلالة متسكعاً[1] فيها، لا يجد منها مخرجاً ولا منفذاً، أطاع الشيطان فاستحوذ عليه، وتلا قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] قال: خصومة علَّمها الله عز وجل محمداً ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة.

وإن الله عز وجل علمكم فأحسن تعليمكم، وأدبكم فأحسن تأديبكم. فأخذ رجل بما علمه الله، ولا يتكلف ما لا علم به، فيخرج من دين الله، ويكون من المتكلفين.

وإياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس، تواضعوا لله عز وجل لعل الله يرفعكم، قد رأينا والله أقواماً يسرعون إلى الفتن، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك، هيبة لله ومخافة منه. فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفساً، وأثلج صدوراً، وأخف ظهوراً، من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها.

---

(١) متسكعاً: التسكع: التمادي في الباطل.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٧١).

وأيم الله! لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت، كما يعرفون منها إذا أدبرت، لعقل فيها جيل من الناس كثير، والله ما بعثت فتنة قط إلا في شبهة وريبة إذا شبت، رأيت صاحب الدنيا لها يفرح ولها يحزن، ولها يرضى ولها يسخط، ووالله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها، ليوشك أن تلفظه وتقضي منه.

❁ ❁ ❁

عن أبي إسماعيل القتاد. قال: سمعت قتادة يقول: منع البر النوم، وكانوا ينامون قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أخذوا والله من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا به إلى ربهم.

عن سلام بن أبي مطيع، عن قتادة؛ أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة.

عن سعيد، عن قتادة. قال: من أطاع الله في الدنيا، خلصت له كرامة الله في الآخرة.

عن معمر. قال: صك رجل ابناً لقتادة، فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة فلم يلتفت إليه، فشكاه إلى القسري. فكتب إليه: إنك لم تنصف أبا الخطاب، فدعاه ودعا وجوه أهل البصرة يتشفعون إليه فأبى أن يشفعهم، فقال له: صكه كما صكك، فقال لابنه: يا بني احسر عن ذراعيك وارفع يديك وشد. قال: فحسر عن ذراعيه ورفع يديه، فأمسك قتادة يده وقال: قد وهبناه لله؛ فإنه كان يقال: لا عفو إلا بعد قدرة.

عن شهاب بن خراش، عن قتادة. قال: باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس، أفضل من عبادة حول كامل.

أسند قتادة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: منهم أنس بن مالك، وأبو الطفيل، وعبد الله بن سرجس، وحنظلة الكاتب.

وروى عن قتادة من التابعين عدة: منهم سليمان التيمي، وحميد الطويل، وأيوب السختياني ومطر الوراق، ومحمد بن جحادة، ومنصور بن زاذان.

وروى عنه من الأئمة والأعلام: شعبة وهشام والأوزاعي، ومسعر، وعمرو بن الحارث، ومعمر وليث بن أبي سليم.

١٩٩ ـ محمد بن واسع

[ت١٢٠هـ]

ومنهم العامل الخاشع، والخامل الخاضع، أبو عبد الله محمد بن واسع[١]. كان لله عاملاً، وفي نفسه خاملاً.

عن مالك بن دينار. قال: إن من القراء قراء ذا الوجهين، إذا لقوا الملوك دخلوا معهم فيما هم فيه، وإذا لقوا أهل الآخرة دخلوا معهم فيما هم فيه، فكونوا من قراء الرحمن. وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن.

عن ليث بن أبي سليم، عن محمد بن واسع. قال: إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: كان محمد بن واسع إذا صلى المغرب يلتزق بالقبلة يصلي.

---

(١) توفي محمد بن واسع بعد الحسن بعشر سنين، كأنه مات سنة عشرين ومائة.

عن سليمان التيمي. قال: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله بمثل صحيفته إلا محمد بن واسع.

عن موسى بن بشار. قال: صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان يصلي الليل أجمع، يصلي في المحمل جالساً يومئ برأسه إيماء، وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته حتى لا يفطن له، وكان ربما عرس من الليل، فينزل فيصلي فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً، فيجيء إليه فيقول: الصلاة الصلاة فإذا قاموا قال لنا: إن الماء قريب فتوضؤوا، وإن كان فيه بعد وفي الماء الذي معكم قلة فتيمموا وأبقوا هذه للشفة.

عن هشام بن حسان. قال: قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت أبا عبد الله؟ قال: قريباً أجلي بعيداً أملي سيئاً عملي.

عن إسماعيل بن مسلم العبدي. قال: قال محمد بن واسع: القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة.

عن يوسف بن عطية. عن محمد بن واسع. قال: لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جانبه.

عن حماد بن زيد. قال: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعوده قال: فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه. فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمة على الباب. قال: من أبو سلمة؟ قالوا: يحيى! قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء! قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال: إن شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

عن ابن شوذب. قال: حضر محمد بن واسع محضراً فيه بكاء،

فلما فرغوا أتوا بالطعام فتنحى محمد بن واسع ناحية فجلس، فقالوا له: يا أبا بكر ألا تدنو إلى الطعام فتأكل. قال: إنما يأكل من بكى؟ كأنه يعيب عليهم الطعام بعد البكاء أو مع البكاء.

عن جعفر. قال: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى.

عن هشام بن حسان. قال: كان محمد بن واسع، إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: ما ظنك برجل يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة.

عن عمارة بن مهران المعولي. قال: قال لي محمد بن واسع: ما أعجب إليّ منزلك. قال: قلت: وما يعجبك من منزلي وهو عند القبور. قال: وما عليك يقلون الأذى ويذكرونك الآخرة.

عن جعفر. قال: اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع. قال مالك: إني لأغبط رجلاً معه دينه، له قوام من عيش، راض عن ربه عز وجل. فقال محمد بن واسع: إني لأغبط رجلاً معه دينه، ليس معه شيء من الدنيا، راض عن ربه. قال: فانصرف القوم وهم يرون أن محمداً أقوى الرجلين.

عن يونس. قال: سمعت محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح، ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي.

عن فضيل بن عياض. قال: قال مالك بن دينار: إنما هو طاعة الله أو النار. فقال محمد بن واسع: إنما هو عفو الله أو النار.

عن زياد بن الربيع، عن أبيه. قال: رأيت محمد بن واسع يمر ويعرض حماراً له على البيع. فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه.

عن هشام. قال: دعا مالك بن المنذر محمد بن واسع وكان على شُرَطِ البصرة. فقال: اجلس على القضاء، فأبى محمد، فعاوده فأبى فقال: لتجلس أو لأجلدنك ثلثمائة. فقال له محمد: إن تفعل فأنت مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.

قال: ودعاه بعض الأمراء فأراده على بعض الأمر فأبى، فقال له: إنك لأحمق. فقال محمد: ما زلت يقال لي هذا منذ أنا صغير.

عن محمد بن عبد الله الرداد أبي يحيى. قال: نظر محمد بن واسع إلى ابن له يخطر بيده. فقال له: تعال ويحك أتدري ابن من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتي درهم، وأبوك لا كثر الله في المسلمين ضربه - أو نحوه أو مثله -.

عن عمارة بن مهران. قال: قال محمد بن واسع: من مقت نفسه في ذات الله أمنه من مقته.

عن سليمان بن الحكم بن عوانة، عن محمد بن واسع. قال: أربع يمتن القلب؛ الذنب على الذنب، وكثرة مثافنة النساء وحديثهن، وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى. قيل: وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل غني مترف، وسلطان جائر.

عن سعيد بن عاصم. قال: كان قاص يجلس قريباً من مسجد محمد بن واسع. فقال يوماً وهو يوبخ جلساءه: ما لي أرى القلوب لا تخشع، وأرى العيون لا تدمع، وما لي أرى الجلود لا تقشعر. فقال محمد بن واسع: يا عبد الله ما لي أرى القوم أتوا إثماً من قِبَلك؟ إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب.

عن عبد الواحد بن زياد. قال: سمعت مالك بن دينار. يقول لحوشب: لا تبيتن وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتهيه، فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال: ومحمد بن واسع يستمع

كلامهما: فقال محمد: نعم! ووصف أطباء طريق الآخرة. فقال مالك: بخ بخ للدين والدنيا.

عن عبد العزيز بن أبي رواد. قال: رأيت في يد محمد بن واسع قرحة، فكأنه رأى ما قد شق عليّ منها، فقال لي: تدري ما عليّ في هذه القرحة من نعمة. قال: فسكت. قال: حيث لم يجعلها على حدقتي، ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكري. قال: فهانت عليّ قرحته.

عن الحارث بن نبهان. قال: سمعت محمد بن واسع يقول: واصاحباه ذهب أصحابي. قلت: رحمك الله أبا عبد الله، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار، ويقومون الليل، ويجاهدون في سبيل الله؟ قال: بلى، ولكن أخ، وتفل، أفسدهم العجب.

عن خليد بن دعلج، عن محمد بن واسع. قال: لقضم القصب وسف التراب، خير من الدنو من السلطان.

عن ابن شوذب. قال: كان محمد بن واسع، مع يزيد بن المهلب بخراسان غازياً، فاستأذنه للحج فأذن له، فقال له: نأمر لك قال: تأمر به للجيش كلهم! قال: لا، قال: لا حاجة لي به.

عن سعيد بن عامر. قال: دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فدعاه إلى طعامه، فأبى واعتل عليه فغضب بلال، وقال: إني أراك تكره طعامنا، فقال: لا تقل ذلك أيها الأمير، فوالله لخياركم أحب إلينا من أبنائنا.

عن مخلد. قال: كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم في جيش، وكان صاحب خراسان، وكانت الترك خرجت إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه؟ فقيل له: ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً أصبعه، فقال قتيبة: أصبعه تلك أحب إليَّ من ثلاثين ألف عنان.

عن حماد بن زيد. قال: كنا نجلس إلى محمد بن واسع فكان يقول: اللهم إنا نعوذ بك من كل رزق يباعدنا منك، طهرنا من كل خبيث، ولا تسلط علينا الظلمة، ثم يسكت ساعة ثم يعيده.

عن حيان بن يسار. قال: كان محمد بن واسع يقول: اللهم إن كان أخلق وجهي كثرةُ ذنوبي، فهبني لمن أحببت من خلقك.

عن ابن شوذب. قال: سمعت محمد بن واسع يقول: رأيت يكفي من الدعاء ومن الورع اليسير.

عن سفيان بن وكيع. قال: سمعت أبي يقول: بلغني أن محمد بن واسع أريد على القضاء فأبى فعاتبته امرأته، فقالت: لك عيال وأنت محتاج. قال: ما دمتِ تريني أصبر على الخل والبقل فلا تطمعي في هذا مني.

عن ابن شوذب. قال: قسم أمير من أمراء البصرة على قراء أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل، وأبي محمدُ بن واسع. فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: فقال: يا أبا بكر سل جلسائي فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقاباً فأعتقهم، فقال له محمد: أنشدك الله أقلبك الساعة لهو على ما كان عليه قبل أن يجيزك؟ قال: اللهم لا! قال: ترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار، إنما يعبدُ الله مثل محمد بن واسع.

عن عتبة بن المنهال البصري الأزدي. قال: قال بلال بن أبي بردة، لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أيها الأمير إن الله عز وجل لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره، إنما يسألهم عن أعمالهم.

عن حماد بن زيد. قال: أتى محمد بن واسع رجلًا في حاجة لرجل فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله

في قضائها قضيتها وكنت محموداً، وإن لم يأذن الله في قضائها لم تقضها وكنت معذوراً.

عن أبي سعيد المؤدب، عن محمد بن واسع. قال: ليس لملول صديق، ولا لحاسد غنى، وإياك والإشارة على المعجب برأيه، فإنه لا يقبل رأيك.

قال الشيخ رحمه الله: كان محمد بن واسع عالماً واعياً، لا ناقلاً راوياً، وعى فأرعوى، ونوى فاستوى، قليل الكلام والرواية، طويل الصيام والسعاية. روى عن أنس بن مالك. ومطرف. والحسن. وابن سيرين. وسالم وعبد الله بن الصامت وأبي بردة رضي الله تعالى عنهم.

٢٠٠ـ مالك بن دينار

ومنهم العارف النظار، الخائف الجآر، أبو يحيى مالك بن دينار[١]. كان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكاً.

عن سليمان الخواص. قال: قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله تعالى.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: قرأت في التوراة: أيها الصديقون تنعموا بذكر الله في الدنيا، فإنه لكم في الدنيا نعيم، وفي الآخرة جزاء عظيم.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة ـ زاد السراج في حديثه ـ

---

(١) كان مولى لامرأة من بني سلمة بن لؤي، كان يكتب المصاحف. توفي قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة (الصفوة).

ثم قال خذوا: فيقرأ ويقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه.

عن السري بن يحيى، عن مالك بن دينار. قال: وجد في بعض الكتب سبحوا الله أيها الصديقون بأصوات حزينة.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت مالكاً يقول يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض؛ فيصيب الحش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة أين أصحاب سورتين ماذا عملتم فيهما؟

عن جعفر. قال: قال مالك: قال: داود نبي الله عليه السلام: يا معاشر الأتقياء، تعالوا أعلمكم خشية الله، أيما عبد منكم أحب أن يحيا ويرى الأعمال الصالحة، فليحفظ عينيه أن ينظر إلى السوء، ولسانه أن ينطق بالإفك، عين الله إلى الصديقين وهو يسمع لهم.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: قرأت في التوراة: ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديَّ في صلاتك باكياً؛ فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك، وبالغيب رأيت نوري، قال مالك: يعني: تلك الرقة وتلك الفتوح الذي يفتح الله لك منه.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن الصدق يبدو في القلب ضعيفاً، كما يبدو نبات النخلة يبدو غصناً واحداً، فإذا نتفها صبي، ذهب أصلها وإن أكلتها عنز ذهب أصلها فتسقى فتنشر، وتسقى فتنشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ، وظل يستظل به، وثمرة يؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفاً، فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى. ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه، ويكون كلامه دواءً للخاطئين. قال: ثم يقول مالك: أما رأيتموهم؟ ثم

يرجع إلى نفسه، فيقول: بلى! والله لقد رأيناهم؛ الحسنُ، وسعيدُ بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس.

عن راشد بن نمير عن مالك بن دينار قال: من لم يكن صادقاً فلا يتعَنَّ.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: قال بعض أهل العلم: نظرت في أصل كل إثم، فلم أجده إلا حب المال؛ فمن ألقى عنه حب المال فقد استراح. قال: وسمعت مالكاً يقول: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهم صاحبه.

عن جعفر، عن مالك. قال: إن في بعض الكتب إن الله تعالى يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه.

عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار. قال: إذا لم يكن في القلب حزن خرب، كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرب.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يا هؤلاء إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول في دعائه: اللهم اقبل بقلوبنا إليك حتى نعرفك حسناً، وحتى نرعى عهدك، وحتى نحفظ وصيتك حسناً، اللهم سومنا سيما الأبرار، وألبسنا لباس التقوى، واللهم إنا نتوب إليك قبل الممات، ونلقي بالسلام قبل اللزام، اللهم انظر إلينا منك نظرة تجمع لنا بها الخير كله، خير الآخرة وخير الدنيا، ثم يقف مالك عند كلامه هذا، ويقول: يحسبون أني أعني بخير الدنيا: الدنيار والدرهم لا! إنما أعني العمل الصالح -

حتى ألقاك يوم ألقاك وأنت عنا راض، رغبة ورهبة إليك يا إله السماء وإله الأرض، ثم يبكي بكاء خفيفاً فنبكي معه.

عن جعفر بن سليمان. قال: قال مالك بن دينار: لقد هممت أن آمر إذا مت فأغل فأدفع إلى ربي مغلولاً، كما يدفع العبد الآبق إلى مولاه.

عن حزم القيطعي. قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء. ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لفرج ولا لبطن.

عن جعفر. قال: سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح ختن مالك بن دينار. يقول: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله، قال: فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل. قال: وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين، فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال، يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين، فحرم شيبة مالك بن دينار على النار. فما زال كذلك حتى طلع الفجر.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره، فيمنعه من ذلك الشغل، والأمر يعرض له عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها، ثم يقول مالك: وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين.

عن ابن شوذب. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يقولون الجهاد! أنا من نفسي في جهاد.

عن حزم. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفاخرهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعونكم في شباكهم.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو أني أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لجلست عليها.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: إن لله تعالى عقوبات فتعاهدوهن من أنفسكم في القلب والأبدان، ضنكا في المعيشة، ووهنا في العبادة، وسخطة في الرزق.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا.

عن مالك بن دينار. قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك، قال: إبغني عند المنكسرة قلوبهم.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف بكدمه، فقلنا أبا يحيى ألا سراج، ألا شيء تضع عليه خبزك؟ فقال: دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى.

عن السري بن يحيى. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنه لتأتي علي السنة لا آكل فيها إلا في يوم الأضحى، فإني آكل من أضحيتي لما يذكر فيه.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: والله لقد أصبحت ما

أملك ديناراً ولا درهماً ولا دانقاً، ولئن لم يكن لي عند الله خير ما كانت لي دنيا ولا آخرة.

عن محمد بن عمر أبي كريب. قال: ما كان لمالك بن دينار من الدنيا إلا درهمان درهم لورقة ودرهم ليشتري به خوصا يعمل به.

عن روح بن عمرو القيسي. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: دخل علي جابر بن يزيد وأنا أكتب فقال: يا مالك ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله من ورقة، هذا والله الكسب الحلال.

عن يوسف بن عطية الصفار، عن مالك بن دينار. قال: من دخل بيتي فأخذ شيئاً فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح وكان يأخذ الحصاة من حلال المسجد فيقول: لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب.

وكان يقول: لو صلح لي أن أعمد إلى برد[1] لي فأقطعه باثنين فأتزر بقطعة وأرتدي بقطعة لفعلت.

عن جعفر عن مالك بن دينار. قال: لما وقعت الفتنة أتيت الحسن أسأله: يا أبا سعيد ما تأمرني؟ فلا يجيبني، فقلت: يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك، وأنت معلمي فلا تجيبني، والله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي، وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بقل البرية حتى يحكم الله بين عباده، قال: فأرسل الحسن عينيه باكياً ثم قال: يا مالك ومن يطيق ما تطيق، لكنا والله ما نطيق هذا.

عن جعفر. قال: كنت عند مالك بن دينار، فجاء هشام بن

---

(١) الذي في صفة الصفوة: «أن أعمد إلى بوري فأقطعه» والبوري: حصير منسوج من القصب.

حسان وكان يأتيه هشام وسعيد بن أبي عروة وحوشب يطلبون قلوبهم، فجاء هشام. فقال: أين أبو يحيى؟ قلنا: عند البقال. قال: قوموا بنا إليه. قال: فحانت منه نظرة إلى هشام فقال: يا هشام إني أعطي هذا البقال كل شهر درهماً ودانقين، وآخذ منه كل شهر ستين رغيفاً كل ليلة رغيفين فإذا أصبتهما سخناً فهو أدمهما، يا هشام إني قرأت في زبور داود عليه السلام: إلهي رأيت همومي وأنت من فوقُ العلي، فانظر ما همومك يا هشام.

عن جعفر. قال: كان مالك بن دينار يلبس إزار صوف وعباءه خفيفة فإذا كان الشتاء ففرو، وكبل وعباءة، وكان يكتب المصاحف ولا يأخذ عليها من الأجر أكثر من عمل يده فيدفعه عند البقال فيأكله، وكان يكتب المصحف في أربعة أشهر.

عن عبد الملك بن قريب. قال: حدثني رجل صالح من أهل البصرة، قال: وقع حريق في بيت مالك فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما. فقيل له: يا أبا يحيى البيت. قال: ما لنا فيه السدانة ما أبالي أن يحترق.

قال أحمد بن إبراهيم: وذكر عبد الله بن المبارك. قال: وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بطرف كسائه يجره. وقال: هلك أصحاب الأثقال.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: يا هؤلاء جهالكم كثير لولا ذلك للبست المسوح، ويا هؤلاء إنه ليس في الجوافة شيء شراً من رأسها، ولأن آكل رأس جوافة أحب إليّ من أن آكل حراماً، ويا هؤلاء إنما بطن أحدكم كلب فألق إلى هذا الكلب بكسرة، برأس جوافة، يسكن عنك. ولا تجعلوا بطونكم جُرُباً للشيطان يوعي فيها إبليس ما شاء.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن

لا أنام لم أنم، مخافة أن ينزل العذاب، وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار!!.

عن جعفر. قال: قال مالك: قال عيسى بن مريم عليه السلام: خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا. ويورثان الصبر على المشقة.

عن جعفر بن سليمان. قال: قال مالك: قال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم إن أكل الشعير، والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

عن سلام بن مسكين. قال: دخلت على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، فإذا البيت فيه سرير أثل مرمول بالشريط، وعليه قطعة بوري، وإذا تحت رأسه قطعة كساء، وإذا ركوة وصاغرة، فرفع رأسه فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين، فقعد يكسر ذلك الرغيفين في الماء، حتى إذا ظن أن الخبز قد ابتل. قال: ناولني الدوخلة، فإذا دوخلة معلقة يابسة فوضعتها، فأخرج منها صرة فيها ملح، وقال لي: ادن. فقلت: يا أبا يحيى لا أشتهي. قال: فقال: هيهات هيهات أنت ممن غذي في الماء العذب فلا تصير في الماء المالح.

عن موسى بن سعيد، عن مالك. قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها، لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل.

عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار. قال: إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم فانظروا همومكم يرحمكم الله.

عن حزم. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: أنا للقارئ الفاجر أخوف مني للفاجر المبرز بفجوره، إن هذا أبعدهما غوراً.

عن حماد بن واقد. قال: سمعت مالك بن دينار، يقول: نحن رهائن الأموات، وهم محتبسون حتى ترد إليهم الرهائن، فيحشرون جميعاً ثم غشي عليه.

عن جعفر، عن مالك بن دينار. قال: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: أن قل لقومك لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تركبوا مراكب أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي.

عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار. قال: العالم الذي لا يعمل بعلمه، بمنزلة الصفا إذا وقع عليه القطر زلق عنها.

عن حزم القطيعي، عن مالك بن دينار. قال: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه.

عن مسلم. قال: قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحتهم، ولا أكره مذمتهم. قيل ولم ذلك؟ قال: لأن مادحهم مفرط وذامهم مفرط.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنما العالم ـ أو القاص ـ الذي إذا أتيته فلم تجده في بيته قص عليك بيته. فترى حصيراً للصلاة، ترى مصحفاً، ترى إجانة للوضوء، ترى أثر الآخرة.

قال: وسمعت مالكاً يقول: يا هؤلاء فجاركم كثير، صغاركم وكباركم، فرحم الله من لزم القول الطيب، والعمل الصالح والمداومة.

قال: وسمعت مالكاً يقول: كان يقال: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

عن جعفر. قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار من الحطمة فنجمع الموتى ونجهزهم، ثم يخرج على حمار قصير لاطئ، لجامه

من ليف، وعليه عباءة مرتدياً بها. قال: فيعظنا في الطريق حتى إذا أشرف على القبور وأحس بنا أقبل بصوت له محزون يقول:

ألا حـي الـقـبـور ومـن بـهـنـه ... وجـوه فـي الـتـراب أحـبـهـنـه
فـلـو أن الـقـبـور أجـبـن حـيـاً ... إذاً لأجـبـنـنـي إذ زرتـهـنـه
ولـكـن الـقـبـور صـمـتـن عـنـي ... فـأبـتُ بـحـسـرة مـن عـنـدهـنـه

قال: فإذا سمعنا صوته جئنا إليه. فيقول: إنما الخير في الشباب ثم يجمعهم فيصلي عليهم.

عن جعفر. قال: قلنا لمالك بن دينار: ألا ندعو لك قارئاً يقرأ. قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستسقي. قال: أنتم تستبطئون المطر، لكني أستبطئ الحجارة.

عن الحسين بن زياد. قال: سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشارين فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار، فذكر ذلك له، فقام مالك فمشى معه إلى العشارين، فلما رأوه. قالوا: يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا! قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز يدعو لكم، أدعو لكم وألف يدعو عليكم، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف.

عن مسلم أبي عبد الله. قال: دخل مالك دار الخراج يوماً ينظر، فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار، قد وضع الكبل في رجليه، فبينا هو ينظر إذ أتي بطعامه. فوضع بين يديه، فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له الرجل: تعال كل يا أبا يحيى، قال: أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا، قال: فتقدم إليه ابن عم الرجل، فقال: يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي، وهو ينفق عليّ وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه، قال: فقال

مالك: أتدري ما مثل ابن عمك، مثل شاة أكلت عجين قوم فانتفخ بطنها فماتت، وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه، وصاحب الشاة يدعو الله على من قتل شاته، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة.

عن عباد بن كثير، عن مالك بن دينار. قال: كنت مولعاً بالكتب أنظر فيها، فدخلت ديراً من الديارات ليالي الحجاج، فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه، فإذا فيه: يا ابن آدم لم تطلب علم ما لم تعلم، وأنت لا تعمل بما تعلم.

عن حزم. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: ما يسرني أن لي من الجبل إلى الأبلة بنواة. ثم قال: ولا ببعرة ثم قال: ولا يسرني أن لي من الجسر إلى خراسان بنواة ثم قال: ولا ببعرة ثم قال: إن كنت إنما أريدكم لهذا إني إذاً لشقي.

عن جعفر. قال: سمعت مالكاً يقول: اقسم لكم لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضاً يمشون عليها.

عن مالك بن دينار. قال: سمع صوت بجبل تبالة ليلاً وهو يقول:

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملّها من كان يوقن بالوعد

عن سعيد بن عصام. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كان الأبرار يتواصون بثلاث؛ بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة.

عن الحسن بن أبي جعفر، عن مالك بن دينار. قال: تجوز شهادة القراء في كل شيء. إلا شهادة بعضهم على بعض، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس في الزرب.

عن حزم. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يا عالم أنت عالم

تأكل بعلمك، وتفخر بعلمك، لو كان هذا العلم طلبته لله تعالى لرؤي فيك وفي عملك.

عن سفيان، عن مالك بن دينار. قال: من طلب العلم للعمل وفقه الله، ومن طلب العلم لغير العمل يزداد بالعلم فخراً.

عن جويرية بن أسماء وجعفر. قالا: سمعنا مالك بن دينار. يقول: إني آمركم بأشياء لا يبلغها عملي، ولكني إذا نهيتكم عن شيء ثم خالفتكم إليه فأنا يومئذ كذاب.

زاد جعفر في حديثه، وقال مالك: بلغني أنه يدعى يوم القيامة بالمذكر الصادق، فيوضع على رأسه تاج الملك، ثم يؤمر به إلى الجنة. فيقول: إلهي إن في مقام القيامة أقواماً قد كانوا يعينوني في الدنيا على ما كنت عليه. قال: فيفعل بهم مثل ما فعل به، ثم ينطلق يقودهم إلى الجنة لكرامته على الله تعالى.

عن جعفر، عن مالك بن دينار. قال: كنت عند بلال بن أبي بردة وهو في قبة له، فقلت: قد أصبت هذا خالياً، فأي قصص أقص عليه. فقلت في نفسي: ماله خير من أن أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس. فقلت له: أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟ بناها عبيد الله بن زياد وبنى البيضاء، وبنى المسجد، فولى ما ولي فصار من أمره أن هرب فطلب فقتل، ثم ولي البصرة بشر بن مروان فقالوا: أخو أمير المؤمنين فمات بالبصرة، فحملوه وحشد الناس في جنازته، ومات زنجي فحمله الزنج على طن من قصب فَذُهِبَ بأخي أمير المؤمنين فدفنوه، وذهب بالزنجي فدفنوه، ثم جعلت أقص عليه أميرا أميراً حتى انتهيت إليه، فقلت في نفسي: قد بنيت داراً بالكوفة فلم ترها حتى أخذت فسجنت فعذبت حتى قتل فيها.

عن أبي عيسى. قال: دخلنا على مالك عند الموت، فجعل ينظر ويقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يكون في آخر الزمان رياح وظلمة، فيفزع الناس إلى علمائهم، فيجدونهم قد مسخوا.

عن سعيد بن شبل. قال: نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه. فقال له: هل لك أن أكلم لك بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم؟ قال: افعل ما شئت يا أبا يحيى. قال: فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه.

عن فضيل بن عياض. قال: رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته. فقال: ما أرحمني بعياله. فقيل له: يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله. قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

عن إبراهيم بن أدهم، عن مالك بن دينار. قال: تلقى الرجل وما يلحن حرفاً، وعمله كله لحن.

عن بكر بن محمد العابد. قال: دخل مالك بن دينار على والي البصرة، فقال له الوالي: ادع لي، فقال: كم من مظلوم بالباب يدعو عليك.

عن سلام بن مسكين، عن مالك بن دينار؛ أنه لقي بلال بن أبي بردة في الطريق، والناس يطوفون حوله، فقال له: ما تعرفني؟ قال: بلى! أعرفك أولك نطفة وأوسطك جيفة وأسفلك دودة، قال: فهمّوا أن يضربوه فقال لهم: هذا مالك بن دينار فتركه ومضى.

عن الأصمعي، عن أبيه. قال: مر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار، وهو يتبختر في مشيته، فقال له مالك: أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين، فقال له المهلب: أما تعرفني فقال له: أعرفك أحسن المعرفة، قال: وما تعرف مني، قال: أما أولك فنطفة مذرة. وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة، قال: فقال المهلب: الآن عرفتني حق المعرفة.

عن جعفر. قال: سرق مصحف لمالك بن دينار، فوعظ أصحابه فجعلوا يبكون، فقال: كلنا نبكي فمن سرق المصحف؟

عن كنانة بن جبلة. قال: قال مالك بن دينار: لو أن الملكين اللذين ينسخان أعمالكم، غدوا عليكم يتقاضونكم أثمان الصحف، التي ينسخون فيها أعمالكم، لأمسكتم عن كثير من فضول كلامكم، فإذا كانت الصحف من عند ربكم أفلا تربعون على أنفسكم[1].

أسند مالك بن دينار، عن أنس رضي الله تعالى عنه عدة أحاديث.

وروى عن جلة التابعين عن الحسن، وابن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وغيرهم.

٢٠١ ـ أيوب السختياني

[٦٨ ـ ١٣١هـ]

ومنهم فتى الفتيان، سيد العباد والرهبان، المنور باليقين والإيمان، السختياني أيوب بن كيسان[2]، كان فقيهاً محجاجاً، وناسكاً حجاجاً، عن الخلق آيساً، وبالحق آنساً.

عن أبي عبد الله القصار. قال: كنا عند الحسن وعنده أيوب السختياني، فقام أيوب وخرج. فقال الحسن: هذا سيد الفتيان.

عن الحميدي. قال: لقي سفيان بن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب.

عن عبد الله بن بشر. قال: كان محمد بن سيرين إذا حدثه أيوب بالحديث يقول: حدثني الصدوق.

---

(١) يقال أربع على نفسك: أي قف وتمهل.

(٢) يكنى أيوب: أبا بكر، توفي في الطاعون بالبصرة، سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين. (الصفوة).

عن شعبة. قال: حدثني أيوب سيد الفقهاء.

عن سلام بن أبي مطيع: أنه ذكر الأربعة؛ أيوب، ويونس، وابن عون، وسليمان. فقال: كان أفقههم في دينه أيوب.

عن إسحاق بن محمد. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ، بكى حتى نرحمه.

عن أيوب بن سليمان بن بلال. قال: قلت لعبيد الله بن عمر: أراك تتحرى لقاء العراقيين في الموسم. قال فقال: والله ما أفرح في سنتي إلا أيام الموسم، ألقى أقواماً قد نور الله قلوبهم بالإيمان، فإذا رأيتهم ارتاح قلبي؛ منهم أيوب.

عن هشام بن حسان. قال: حج أيوب السختياني أربعين حجة.

عن شعبة. قال: ما وعدت أيوب موعداً إلا وجدته قد سبقني إليه.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أيوب السختياني وهو يقول: لا يستوي العبد ـ أو لا يسود العبد ـ حتى يكون فيه خصلتان، اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم.

عن عبد الواحد بن زيد. قال: كنت مع أيوب السختياني على حراء، فعطشت عطشاً شديداً، حتى رأى ذلك في وجهي. فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش! وقد خفت على نفسي. قال: تستر علي. قلت: نعم! قال: فاستحلفني، فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حياً. قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء، فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء. قال: فما حدثت به أحداً حتى مات، قال عبد الواحد: فأتيت موسى الأسواري فذكرت له ذلك. فقال: ما بهذه البلدة أفضل من الحسن وأيوب.

عن وهيب. قال: سمعت أيوب يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

عن سفيان عن أيوب. قال: وددت أني أنفلتُ من هذا الأمر كفافاً ـ يعني من الحديث ـ.

عن حماد بن زيد. قال: كان أيوب صديقاً ليزيد بن الوليد فلما ولي الخلافة. قال: اللهم أنسه ذكري.

عن حماد بن زيد. قال: كان أيوب يقول: ليتق الله عزّ وجلّ رجل، وإن زهد فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه، وكان أيوب ممن يخفي زهده، فدخلنا عليه مرة فإذا على فراشه محبس أحمر، فرفعته أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خصفة محشوّة بليف.

عن حماد. قال: غلب أيوب البكاء يوماً. فقال: الشيخ إذا كبر مج وغلبه فوه فوضع يده على فيه. وقال: الزكمة ربما عرضت.

عن معمر. قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل[1]. فقيل له؟ فقال: الشهرة اليوم في التشمير.

عن سلام بن أبي حمزة. قال: سمعت أيوب يقول: الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء؛ أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثواباً عند الله تعالى، الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن.

ثم الزهد فيما حرم الله تعالى من الأخذ والإعطاء.

ثم يقبل علينا. فيقول: زهدكم هذا يا معشر القراء فهو والله أخسه عند الله؛ الزهد في حلال الله عزّ وجلّ.

---

(١) التذييل: أي الطول.

عن حمزة بن أبي عمير، عن أبيه. قال: بينما أيوب يمشي بيني وبين إنسان قد سماه إذ وقف. فقال: إنما يحمد الناس على عافية الله إياهم وستره، وما يبلغ عملنا كله جزاء شربة ماء بارد، شربها أحدنا وهو عطشان، فكيف بالنعم بعد.

عن عبد الله بن بشر. قال: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني، فيكون لما يرى منه أشد اتباعاً منه لو سمع حديثه.

عن حماد بن زيد. قال: سئل أيوب عن شيء؟ فقال: لم يبلغني فيه شيء، فقيل له: قل فيه برأيك، فقال: لا يبلغه رأيي.

عن حماد بن زيد. قال: سمعت أيوب وقيل له: مالك لا تنظر في هذا ـ يعني الرأي ـ؟ فقال أيوب: قيل للحمار ألا تجتر! فقال: أكره مضغ الباطل.

عن حماد بن زيد. قال: كان أيوب إذا هنأ رجلاً بمولود. قال: جعله الله تعالى مباركاً عليك، وعلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

عن حماد بن زيد. قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسماً في وجوه الرجال من أيوب.

عن سفيان. قال: كان أيوب يقول: اللهم إني أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه، وكريم ما مننت به عليّ من الأعمال، التي ينال بها منك حسن الثواب، واجعلنا ممن يتقيك ويخافك ويرجوك ويستحييك، اللهم استرنا بالعافية.

عن حماد. قال: رأيت أيوب لا ينصرف من سوقه؛ إلا معه شيء يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت له في ذلك. فقال: إني سمعت الحسن يقول: إن المؤمن أخذ عن الله عزّ وجلّ أدباً حسناً، فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: أكلمك كلمة، قال: لا! ولا نصف كلمة.

عن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني. قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً، إلا ازداد من الله بعداً.

عن حماد بن زيد، عن أيوب أنه قال: ليبلغني أن الرجل من أهل السنة مات، فكأنما أفقد بعض أعضائي.

عن حماد بن زيد. قال: قال لنا أيوب: إنك لا تبصر خطأ معلمك، حتى تجالس غيره، جالس الناس.

عن حماد بن زيد. قال: قال لنا أيوب: لو احتاج أهلي إلى دستجة بقل لبدأت بها قبلكم. قال: وقال لنا أيوب: الزم السوق فإن الغنى من العافية.

عن حماد بن زيد. قال: كان أيوب إذا قدم من مكة، أمر بجرادق فخبزت وطبخ لحماً سكباجاً، فكان كل من جاء يسلم عليه وضع بين يديه. قال: فوضع بين أيدينا فقال: كلوا فقد أكلت اليوم بضع عشرة مرة - يعني كل من جاء قعد فأكل معه -.

عن حماد بن زيد. قال: قال لي أيوب: الزم سوقك فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

عن حماد بن زيد. قال: سمعت أيوب يقول: لقد جالست الحسن أربع سنين، فما سألته هيبة له.

عن شعبة، عن أيوب. قال: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص.

عن حماد بن زيد. قال: سمعت أيوب يقول: إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون.

أسند: أيوب عن أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمي رضي الله تعالى عنهما.

ومن قدماء التابعين عن أبي عثمان النهدي، وأبي رجاء العطاردي، وأبي العالية، والحسن، وابن سيرين، وأبي قلابة.

٢٠٢ ـ يونس بن عبيد

[ت١٣٩هـ]

ومنهم الورع السديد، والضرع الشديد، ذو الكلام الموزون، واللسان المخزون، أبو عبد الله يونس بن عبيد[(١)].

عن مؤمل بن إسماعيل. قال: جاء رجل من أهل الشام إلى سوق الخزازين فقال: مُطْرَف، بأربعمائة. فقال يونس بن عبيد: عندنا بمائتين، فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير ليصلي بهم، فجاء وقد باع ابن أخته المطرف من الشامي بأربعمائة. فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعناه من ذا الرجل. قال يونس: يا عبد الله هذا المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم فإن شئت خذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه. قال له: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. قال: بل أسألك بالله من أنت وما اسمك؟ قال: يونس بن عبيد. قال: فوالله إنا لنكون في نحر العدو فإذا اشتد الأمر علينا. قلنا: اللهم رب يونس بن عبيد فرّج عنا أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله سبحان الله!!

عن أمية بن بسطام. قال: جاءت يونس بن عبيد امرأة بجبة خز. فقالت له: اشترها. فقال: بكم تبيعيها؟ قالت: بخمسمائة. قال: هي خير من ذاك. قالت: بستمائة. قال: هي خير من ذاك، فلم يزل يقول هي خير من ذاك حتى بلغت ألفاً، وقد بذلتها بخمسمائة.

---

(١) توفي يونس سنة تسع وثلاثين ومائة.

عن أمية. قال: كان يونس بن عبيد يشتري الإبريسم من البصرة، فيبعث به إلى وكيله بالسوس[1] وكان وكيله يبعث إليه بالخز، فإن كتب وكيله إليه أن المتاع عندهم زائد، لم يشتر منهم أبداً حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد.

عن غسان بن المفضل. قال: جاءت امرأة بمطرف خز إلى يونس بن عبيد، فألقته إليه ليعرضه في السوق فنظر إليه. فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهماً. قال: فألقاه إلى جاره. فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومائة قال: أرى ذلك ثمنه أو نحواً من ثمنه. قال فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمسة وعشرين ومائة. قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين. قال: ارجعي إليهم فاستأمريهم.

عن مسلم بن أبي مضر. قال: كانت ليونس معنا بضاعة، فجلسنا يوماً ننظر في حسابنا ويونس جالس، فلما فرغنا من حسابنا. قال يونس: كلمة تكلم بها فلان داخلة في حسابنا. قلنا: نعم! قال: لا حاجة لي في الربح، ردوا علي رأس مالي، وأخذ رأس ماله، وترك ربحه أربعة آلاف.

عن عامر بن أبي عامر الخزاز. قال: سمعت يونس بن عبيد وهو يرثي بهذه الأبيات:

من الموت لا ذو الصبر ينجيه صبره ... ولا لجزوع كاره الموت مجزع
أرى كل ذي نفس وإن طال عمرها ... وعاشت لها سم من الموت منقع
فكل امرئ لاق من الموت سكرة ... له ساعة فيها يذل ويصرع
فإنك من يعجبك لا تك مثله ... إذا أنت لم تصنع كما كان يصنع

عن سليمان بن المغيرة. قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما

---

(١) بلدة بالأهواز، ويطلق على عدة مدن.

أعلم شيئاً أقل من درهم طيب، ينفقه صاحبه في حق، أو أخ يسكن إليه في الإسلام، وما يزدادان إلا قلة.

عن أسماء بن عبيدة. قال سمعت يونس بن عبيد يقول: ليس شيء أعز من شيئين. درهم طيب، ورجل يعمل على سنة.

قال: وسمعت يونس يقول: إنما هما درهمان درهم أمسكت عنه حتى طاب لك فأخذته، ودرهم وجب لله تعالى عليك فيه حق فأديته.

عن سكن صاحب الغنم. قال جاءني يونس بن عبيد بشاة. فقال: بعها وابرأ من أنها تقلب المعلف وتنزع الوتد، ولا تبرأ بعد ما تبيع ولكن إبرأ وبين قبل أن يقع البيع.

عن عبد الرحمن المقري. قال: باع يونس بن عبيد يوماً ثوباً على رجل، فسبح رجل من جلسائه. فقال: ارفع ـ احسبه قال لجليسه ما وجدت موضع التسبيح إلا ههنا.

عن جعفر بن برقان. قال: بلغني عن يونس بن عبيد فضل وصلاح، فكتبت إليه يا أخي: أكتب إلي بما أنت عليه، فكتب إليه أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وتكره لهم ما تكره لها؛ فإذا هي من ذاك بعيد، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير؛ فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم. هذا أمري يا أخي والسلام.

عن سعيد بن عامر. قال: بلغني أن يونس بن عبيد قال: إني لأعد مائة خصلة من خصال البر، ما فيّ منها خصلة واحدة.

عن سلام بن أبي مطيع أو غيره. قال: ما كان يونس بأكثرهم صلاة ولا صوماً، ولكن لا والله ما حضر حق من حقوق الله إلا وهو متهيء له.

عن سعيد بن عامر. قال: قال يونس بن عبيد: ما لي تضيع لي الدجاجة فأجد لها، وتفوتني الصلاة فلا أجد لها.

عن أحمد بن إبراهيم. قال: نظر يونس إلى قدميه عند موته فبكى. فقيل له: ما يبكيك أبا عبد الله؟ قال: قدماي لم تغبرا في سبيل الله عزّ وجلّ.

عن ابن شوذب. قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره؛ صلاته ولسانه.

عن سعيد بن عامر، عن يونس بن عبيد. قال: إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلم.

عن خويل. قال: كنت عند يونس بن عبيد فجاء رجل. فقال: أتنهانا عن مجالسة عمرو بن عبيد، وقد دخل عليه ابنك قبل، فقال له يونس: اتق الله فتغيظ، فلم يبرح أن جاء ابنه. فقال: يا بني، قد عرفت رأيي في عمرو فتدخل عليه؟ فقال: يا أبت كان معي فلان فجعل يعتذر إليه. فقال: أنهاك عن الزنا والسرقة وشرب الخمر، ولأن تلقى الله عزّ وجلّ بهن؛ أحب إليَّ من أن تلقاه برأي عمرو وأصحاب عمرو.

عن حماد بن زيد. قال: قال يونس بن عبيد: ثلاثة احفظوهن عني؛ لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلون أحدكم مع امرأة شابة يقرأ عليها القرآن، ولا يمكن أحدكم سمعه من أصحاب الأهواء.

عن خويل بن واقد الصفار. قال: سمعت رجلاً سأل يونس بن عبيد فقال: جار لي معتزلي أعوده؟ قال: أما لحسبة فلا! قلت: مات أصلي على جنازته؟ قال: أما لحسبة فلا!

عن حزم بن أبي حزم. قال: مر بنا يونس على حمار، ونحن

قعود على باب ابن لاحق فوقف. فقال: أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريباً، وأغرب منه الذي يعرفها.

عن عبد العزيز الرقاشي. قال: سمعت يونس يقول: فتنة المعتزلة على هذه الأمة أشد من فتنة الأزارقة؛ لأنهم يزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ ضلوا، وأنهم لا تجوز شهادتهم لما أحدثوا من البدع، ويكذبون بالشفاعة والحوض، وينكرون عذاب القبر، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، ويجب على الإمام أن يستتيبهم فإن تابوا وإلا نفاهم من ديار المسلمين.

عن جسر أبي جعفر. قال: قلت ليونس: مررت بقوم يختصمون في القدر. قال: لو همتهم ذنوبهم لما اختصموا في القدر.

عن غسان. قال: حدثني بعض أصحابنا من البصريين. قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكى إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً منه بذلك. فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا! قال: فسمعك الذي تسمع به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا! قال: فلسانك الذي تنطق به مائة ألف. قال: لا! قال: ففؤادك الذي تعقل به مائة ألف؟ قال: لا! قال: فيداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا! قال: فرجلاك؟ قال: فذكره نعم الله عليه فأقبل عليه يونس. قال: أرى لك مئين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة.

عن حماد بن زيد. قال: سمعت يونس بن عبيد قال يوماً: يوشك عينك أن ترى ما لم تر، ويوشك أذنك أن تسمع ما لم تسمع، ثم لا تخرج من طبقة إلا دخلت فيما هو أشد منها؛ حتى يكون آخر ذلك الجواز على الصراط.

عن حماد بن زيد. قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: عمدنا إلى ما يصلح الناس فكتبناه، وعمدنا إلى ما يصلحنا فتركناه. قال خالد ـ يعني التسبيح والتهليل وذكر الخير.

عن عثمان بن عمر، عن يونس بن عبيد. قال: ثلاثة كلهم قال قولاً لا يتهم عليه. قال ابن سيرين: ما حسدت رجلاً قط، إن كان من أولياء الله فكيف أحسده على شيء من حطام الدنيا، وقال مورق العجلي: ما غضبت غضباً قط، فكان مني فيه ما أندم عليه إذا سكن غضبي. وقال حسان بن أبي سنان: ما شيء أهون علي من الورع إذ رابني شيء تركته.

عن حماد بن زيد. قال: مرض يونس بن عبيد. فقال أيوب السختياني: ما في العيش بعدك من خير.

❁ ❁ ❁

أسند يونس بن عبيد: عن أنس بن مالك أحاديث، وعامة روايته عن الحسن، وابن سيرين، وأبي قلابة، وحميد بن هلال، وغيرهم من البصريين. ومن الحجازيين عن عطاء، وعكرمة، ومحمد بن المنكدر، ونافع، وهشام بن عروة، وغيرهم.

٢٠٣ ـ سليمان بن طرخان

[ت١٤٣هـ]

ومنهم المتعبد المتهجد، المتثبت المتشدد، أبو المعتمر سليمان بن طرخان[1].

عن حماد بن سلمة. قال: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله عزّ وجلّ فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً، أو عائداً مريضاً، أو مشيعاً لجنازة، أو قاعداً في المسجد. قال: فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عزّ وجلّ.

---

(١) توفي بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومائة (الصفوة).

عن ابن المديني. قال: ذكرنا التيمي عند يحيى بن سعيد. فقال: ما جلسنا عند رجل أخوف من الله تعالى منه.

عن محمد بن عبد الأعلى. قال: سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول: لولا إنك من أهلي ما حدثتك عن أبي بهذا، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي الصبح بوضوء العشاء، وربما أحدث الوضوء من غير نوم.

عن عبد الملك بن قريب الأصمعي. قال: بلغني أن سليمان التيمي. قال لأهله: هلموا حتى نجزئ الليل، فإن شئتم كفيتكم أوله، وإن شئتم كفيتكم آخره.

عن سفيان الثوري. قال: ما رأيت أربعة اجتمعوا في مصر، مثل أربعة اجتمعوا في البصرة؛ أيوب، ويونس، وسليمان التيمي، وعبد الله بن عون.

عن المعتمر، عن أبيه. قال: الحسنة نور في القلب وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب وضعف في العمل.

عن معتمر بن سليمان التيمي. قال: سقط بيت لنا كان أبي يكون فيه، فضرب أبي فسطاطاً فكان فيه حتى مات، فقيل له: لو بنيته؟ فقال: الأمر أعجل من ذلك غداً الموت.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: مكث سليمان التيمي في قبة لبود ثلاثين أو نحواً من ثلاثين سنة.

عن معاذ بن معاذ. قال: كنت أرى سليمان التيمي كأنه غلام حدث قد أخذ في العبادة وكانوا يرون أنه قد أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي.

عن سوار بن عبد الله. قال: سمعت المعتمر يقول: قال أبي

حين حضره الموت: يا معتمر، حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عزّ وجلّ وأنا أحسن الظنّ به.

عن المعتمر. قال: مات صاحب لي كان يطلب معي الحديث، فجزعت عليه، فرأى أبي جزعي عليه. فقال: يا معتمر كان صاحبك هذا على السنة؟ قلت: نعم! قال: فلا تجزع عليه ـ أو لا تحزن عليه.

عن شعبة. قال: لم أر أحداً قط أصدق من سليمان التيمي، وكان إذا حدث الحديث فرفعه إلى النبي ﷺ تغير وجهه.

عن معتمر، عن أبيه. قال: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح عليه مذلته.

عن خالد بن الحارث. قال: قال سليمان التيمي: لو أخذتَ برخصة كل عالم ـ أو زلة كل عالم ـ اجتمع فيك الشر كله.

عن سعيد بن عامر. قال: مرض سليمان التيمي، فبكى في مرضه بكاء شديداً، فقيل له: ما يبكيك؟ أتجزع من الموت. قال: لا! ولكن مررت على قدري فسلمت عليه، فأخاف أن يحاسبني ربي عزّ وجلّ عليه.

❁ ❁ ❁

أسند سليمان التيمي: عن أنس الكبير، وعن أبي عثمان النهدي، وعن أبي مجلز، وأبي نضرة، والحسن، وابن سيرين، وأبي العالية، وأبي قلابة، وعن أبي العلاء بن الشخير، وغيرهم من التابعين.

٢٠٤ ـ عبد الله بن عون

[ت١٥١هـ]

ومنهم الحافظ للسانه، الضابط لأركانه، ذو القلب السليم،

والطريق المستقيم، عبد الله بن عون[1]. كان للقرآن تالياً، وللجماعة موالياً، وعن أعراض المسلمين عافياً.

عن يحيى القطان. قال: ما ساد ابن عون الناس أن كان أتركهم للدنيا، ولكن إنما ساد ابن عون الناس بحفظ لسانه.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: كان ابن عون أملكهم للسانه.

عن معاذ بن معاذ. قال: حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد. قال: إني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلم له يوم من أيام ابن عون فما يقدر عليه، وليس ذاك أن يسكت رجل لا يتكلم؛ ولكن يتكلم فيسلم كما يسلم ابن عون.

عن ابن المبارك. قال: ما رأيت مصلياً مثل ابن عون. قلت له: سليمان التيمي، وفلان؟ قال: كفاك به.

عن عبد الله بن داود الخريبي. قال: كان سبب دخولي البصرة لأن ألقى ابن عون، فلما صرت إلى قناطر بني دارا تلقاني - يعني ابن عون - فدخلني ما الله به عليم.

عن شعبة. قال: لو قدرت أن آخذ لابن عون بالركاب لفعلت.

عن شعبة. قال: ما رأيت مثل أيوب، ولا يونس، ولا ابن عون قط.

عن أزهر. قال: جاء غلام لابن عون. قال: فقأت عين الناقة. قال: بارك الله فيك. قال: قلت: فقأت عينها فتقول: بارك الله فيك؟ قال: أقول أنت حر لوجه الله.

عن ابن قعنب. قال: كان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه الرجل. قال: بارك الله فيك.

---

(١) يكنى أبا عون، توفي في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة (الصفوة).

عن ابن عون: أنه نادته أمه، فأجابها، فعلا صوته صوتها فأعتق رقبتين.

عن قرة بن خالد. قال: كنا نعجب من ورع ابن سيرين فأنساناه ابن عون.

عن بكار بن عبد الله السيريني. قال: كان ابن عون يصوم يوماً ويفطر يوماً.

عن محمد بن عباد المهلبي، عن أبيه. قال: أتيت ابن عون فسلمت عليه. قال: فرجعت إلى البيت فإذا أنا بإنسان قد ضرب الباب، فإذا هو ابن عون، فقلت: ادخل فما جاء به إلا أمر وإنما فارقته الساعة، فقلت: يا ابن عون مه؟ قال: أردت أن آتيك فأسلم عليك فكرهت أن أعود نفسي هذه العادة أن أنوي شيئاً ثم لا أفي به.

عن ابن مهدي. قال: ما كان بالعراق أحد أعلم بالسنة من ابن عون.

عن أبي بكر بن أصرم. قال: قيل لابن المبارك: ابن عون بما ارتفع؟ قال: بالاستقامة.

عن معاذ بن معاذ. قال: ما رأيت أحداً أعظم رجاء لأهل الإسلام من ابن عون، لقد ذكر له الحجاج وأنا شاهد. فقيل: إنهم يزعمون أنك تستغفر للحجاج؟ فقال: ما لي لا أستغفر للحجاج من بين الناس، وما بيني وبينه؟ وما كنت أبالي أن أستغفر له الساعة. قال معاذ: وكان إذا ذكر عنده الرجل بعيب. قال: إن الله تعالى رحيم.

عن يحيى بن كثير. قال: قال ابن عون: أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثاً؛ هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكف عن أعراض المسلمين.

عن أبي عاصم. قال: سألت ابن عون. فقلت: حدثني بهذا

الحديث إن خف عليك؟ قال: لا تقل إن خف عليك. فقلت: لمه؟ قال: أكره أن أحدثك ولا يخف علي فيكون خلافاً لما سألت.

❁ ❁ ❁

رأى أنس بن مالك وصحبه وقيل إنه أسند عنه، وعامة مسانيده عن ابن سيرين، والحسن، وأبي رجاء العطاردي، ومن الحجازيين عن القاسم بن محمد، ومجاهد، ونافع، وغيرهم.

٢٠٥ ـ فرقد السبخي

[ت١٣١هـ]

ومنهم المعرض عن الفاني الوبي، المقبل على الآتي البهي، أبو يعقوب فرقد السبخي[(١)].

عن جعفر بن سليمان. قال: قال فرقد السبخي: قرأت في التوراة: أمهات الخطايا ثلاث: أول ذنب عصي الله به: الكبر، والحسد، والحرص، فاستل من هؤلاء الثلاث ست فصاروا تسعاً؛ الشبع، والنوم، والراحة، وحب المال، وحب الجماع، وحب الرياسة.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت فرقد السبخي يقول: ويل لذي البطن من بطنه؛ إن أضاعه ضعف، وإن أشبعه ثقل.

عن الهيثم بن معاوية. قال: حدثني شيخ لي قال: اجتمع عباد من أهل الكوفة. فقالوا: انحدروا بنا إلى البصرة ننظر إلى عبادتهم. فقال بعض لبعض: اغدوا بنا إلى فرقد السبخي، فدخلوا عليه فحدثهم ساعة. ثم قالوا: يا أبا يعقوب الغداء. قال: إنما طولت حديثي لكم

---

(١) مات فرقد في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة.

لتجوعوا فتأكلوا ما عندي، انزلوا تلك القفة. فأخرجوا منها كسر خبز شعير أسود. فقالوا له: ملح يا أبا يعقوب. فقال: قد طرحنا في العجين ملحاً مرة، لم تعنوني أن أطلب لكم!!.

عن جعفر. قال: سمعت فرقد السبخي يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً والآخرة أماً؛ أما ترى الصبي يلقى على الظئر فإذا ترعرع وعرف والدته، ترك الظئر وألقى نفسه على والدته. فإن الآخرة أمكم يوشك أن تجركم.

عن جعفر. سمعت فرقد السبخي يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه، ومن أصابته مصيبة فشكاها إلى الناس فكأنما يشكو ربه عزّ وجلّ.

عن جعفر بن سليمان. قال: قال فرقد السبخي: إن ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قراءهم على الدين، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا، فدعوهم والدنيا.

عن ابن شوذب. قال: سمعت فرقد يقول: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين، وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل.

عن الحكم بن أبان، عن فرقد. قال: إذا حضر العبد الوفاة، قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين: خفف، فيقول الملك صاحب اليمين: لا أخفف لعله أن يقول: لا إله إلا الله فأكتبها.

عن معاوية بن يحيى المازني. قال: قال فرقد السبخي: الغريب من ليس له حبيب.



أسند فرقد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وسمع من ربعي بن خراش، ومرة الطيب، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وجابر بن زيد أبي الشعثاء.

٢٠٥م - يزيد بن أبان الرقاشي

ومنهم الصالح الباكي، والصائم الظامي، يزيد بن أبان الرقاشي.

عن عبد الخالق بن موسى اللقيطي. قال: جوّع يزيد نفسه لله عزّ وجلّ ستين عاماً؛ حتى ذبل جسمه، ونهك بدنه، وتغير لونه. وكان يقول: غلبني بطني فما أقدر له على حيلة.

عن أشعث بن سوار. قال: دخلت على يزيد الرقاشي، في يوم شديد الحر، فقال: يا أشعث، تعال حتى نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ، ثم قال: والهفاه، سبقني العابدون وقطع بي، قال: وكان قد صام ثنتين وأربعين سنة.

عن أبي إسحاق الخميسي. قال: سمعت يزيد الرقاشي يقول: إن المتجوعين لله تعالى في الرعيل الأول يوم القيامة.

عن أبي المطهر السعدي، عن يزيد الرقاشي. قال: للأبرار همم تبلغهم أعمال البر، وكفاك بهمة دعتك إلى خير خيراً.

عن أبي إسحاق الخميسي. قال: كان يزيد يقول في قصصه: ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربك؟ ومن يصوم لك أو يصلي لك؟ ثم يقول: يا معشر إخواني، مَنِ القبر بيته، والموت موعده ألا تبكون؟ فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

عن كنانة بن جبلة الهروي. قال: قال يزيد الرقاشي: خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1] ألا تحمد من تعطيه فانياً

(١) سورة الزمر، الآية (١٨).

فيعطيك باقياً، درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف، أما لله عندك مكافأة، مطعمُك ومسقيك وكافيك، حفظك في ليلك، وأجابك في ضرائك! كأنك نسيت وجع الأذن، أو ليلة وجع العين، أو خوفاً في بر، أو خوفاً في بحر، دعوته فاستجاب لك، إنما أنت لصّ من لصوص الذنوب، كلما عرض لك عارض عانقته، إن سرك أن تنظر إلى الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها فهلم أخبرك؛ تشيع جنازة فهي الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها؛ ثم احتمل القبر بما فيه أما إني لست آمرك أن تحمل تربته، ولكن آمرك أن تحمل فكرته.

❁ ❁ ❁

أسند يزيد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه الكثير.

وروى عن الحسن، وعن غنيم بن قيس، وغيره.

وروى عنه من الأئمة والأعلام؛ الأعمش، والأوزاعي، وحجاج بن أرطأة، وزيد العمي، ومحمد بن المنكدر، وصفوان بن سليم، وعطاء بن السائب، والحمادان وغيرهم.

٢٠٦ ـ هارون بن رباب الأسدي

ومنهم المخفي لزهده، والموفي بعهده، هارون بن رباب الأسدي.

عن ابن عيينة. قال: كان هارون بن رباب يخفي الزهد، وكان يلبس الصوف تحت ثيابه.

عن سفيان بن عيينة. قال: رأيت هارون بن رباب وكأن النور على وجهه.

عن حماد بن زيد. قال: ذكر أيوب؛ هارون بن رباب. فقال: كان يُسِرُّ الزهد.

عن ابن شوذب. قال: كنت إذا رأيت هارون بن رباب فكأنما أقلع عن البكاء.

عن ابن عيينة. قال: قدم علينا هارون بن رباب، وكان من أنبل الناس، فما كان عنده إلا ثلاثة أو سبعة أحاديث.

عن الأوزاعي. قال: حدثني هارون بن رباب قال: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم حسن، تقول أربعة؛ سبحانك وبحمدك، على حلمك بعد علمك، وتقول الأربعة الأخرى؛ سبحانك وبحمدك، على عفوك بعد قدرتك.

عن حجاج بن الأسود، عن هارون بن رباب. قال: أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه: أن أخبر قومك أنهم قد عمروا بنيانهم، وخربوا قلوبهم، وسمنوا أنفسهم كما تسمن الجزائر ليوم ذبحها، فنظرت إليهم فقليتهم؛ فدعوني فلم أستجب لهم، وسألوني فلم أعطهم.

❁ ❁ ❁

أسند هارون عن أنس رضي الله تعالى عنه، وروى عن الأحنف بن قيس، وعن كنانة بن نعيم.

٢٠٧ ـ منصور بن زاذان

[ت١٣١هـ]

ومنهم زين القراء والفتيان، الميسر له تلاوة القرآن، منصور بن زاذان[(١)].

عن عباد بن العوام. قال: شهدت جنازة منصور بن زاذان،

---

(١) توفي منصور في الطاعون، سنة إحدى وثلاثين ومائة. (الصفوة).

فرأيت النصارى على حدة، والمجوس على حدة، واليهود على حدة، كل واحد منهم على حدة؛ وقد أخذ خالي بيدي من كثرة الزحام وأنا حدث.

عن أبي حمزة. قال: رأيت جنازة منصور بن زاذان، فرأيت الرجال على حدة، والنساء على حدة، واليهود على حدة، والنصارى على حدة.

عن مخلد بن حسين. قال: كان منصور بن زاذان يختم القرآن في كل يوم وليلة.

عن سعيد بن عامر، عن العلاء ـ جار له ـ. قال: أتيت مسجد واسط فأذن المؤذن للظهر، فجاء منصور بن زاذان فافتتح الصلاة فرأيته سجد إحدى عشرة سجدة قبل أن تقام الصلاة.

عن أبي عوانة. قال: لو قيل لمنصور بن زاذان إنك ميت اليوم أو غداً، ما كان عنده من مزيد.

عن خلف بن خليفة، عن منصور. قال: الهم والحزن يزيد في الحسنات، والأشر والبطر يزيد في السيئات.

عن عثمان أبي سلمة، عن منصور. قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار، يتأذى أهل النار بريحه. فيقال له: ويلك ما كنت تعمل؟ أما يكفينا ما نحن فيه من النتن، حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك، فيقول: كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي.

❀ ❀ ❀

أسند منصور بن زاذان عن أنس رضي الله تعالى عنه، وعامة حديثه عن الحسن وابن سيرين.

وروى عن أبي قلابة، وحميد بن هلال، ومعاوية بن قرة،

وقتادة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبد الرحمن بن القاسم، ونافع، وميمون بن أبي شبيب، والحارث العكلي، وغيرهم.

٢٠٨ - بديل بن ميسرة

[ت١٣٠هـ]

ومنهم المخلص العابد، المجتهد الزاهد، بديل بن ميسرة العقيلي(١).

عن السري بن يحيى، عن بديل العقيلي. قال: من أراد بعلمه وجه الله، أقبل الله عليه بوجهه، وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه، وصرف بقلوب العباد عنه.

عن الوليد بن هشام، عن بديل العقيلي. قال: الصيام معقل العابدين.

قال مهدي بن ميمون: رأيت ليلة مات بديل العقيلي قائلاً يقول: ألا إن بديلاً أصبح من سكان الجنة.

❋ ❋ ❋

أسند بديل عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. وسمع من أبي الجوزاء، وعبد الله بن شقيق، وغيرهما.

٢٠٩ - طلق بن حبيب

ومنهم الوفي النجيب. المتعبد اللبيب، طلق بن حبيب.

عن عوف، عن طلق بن حبيب؛ أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك علم الخائفين لك، وخوف العالمين بك، ويقين المتوكلين

---

(١) توفي بديل سنة ثلاثين ومائة (الصفوة).

عليك، وتوكل المؤمنين بك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك، وشكر الصابرين لك، وصبر الشاكرين لك، ونجاة الأحياء المرزوقين عندك.

عن عاصم الأحول. قال: لقي بكر بن عبد الله طلق بن حبيب. فقال له بكر: صف لنا من التقوى شيئاً يسيراً نحفظه. فقال: اعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، والتقوى ترك المعاصي على نور من الله، مخافة عقاب الله عزّ وجلّ.

عن ابن أبي نجيح. قال: لم يكن ببلدنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب.

عن عبد الكريم أبي أمية، عن طلق. قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله عزّ وجلّ.

قال عبد الكريم: وكان طلق كذلك.

قال عبد الكريم: وقال طلق: إني أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي. وكان طلق يفتتح بالبقرة فلا يركع حتى يبلغ العنكبوت.

عن كلثوم بن جبر. قال: كان المتمني بالبصرة يقول: عبادة طلق بن حبيب، وحلم مسلم بن يسار.

عن ابن عون. قال: كان طلق بن حبيب يقول في موعظة: يا ابن آدم الدنيا ليست لك بدار، وإنك لا تكون منها بحريز، فاتق الله يا ابن آدم في السر المفضى به إليك.

عن سعد بن إبراهيم. قال: كنا إذا لقينا طلقاً لم نفترق حتى يقول: اللهم ابرم للمؤمنين أمراً رشيداً تعز فيه وليك، وتذل به عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، ويتناهى فيه عن سخطك.

قال: وكان يقول: إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها

العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

عن يزيد بن أبي زياد، عن طلق بن حبيب. قال: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق، يا ابن آدم إذا ظلمت فاصبر؛ فإن لك ناصراً خيراً منك لنفسك ناصراً.

عن حبيب بن أبي ثابت، عن طلق بن حبيب. قال: يموت المسلم بين حسنتين، حسنة قد قضاها وحسنة ينتظرها ـ يعني الصلاة ـ.

❁ ❁ ❁

أسند طلق بن حبيب عن ابن عباس، وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما. وروى عن بشير بن كعب العدوي، ومتقدمي التابعين رحمهم الله.

٢١٠ ـ يحيى بن أبي كثير

[ت١٢٩هـ]

ومنهم الراوي الخبير، الواعي البصير، أبو نصر يحيى بن أبي كثير[(١)]. كان ذا بصر وهدى، واجتهاد وتقى.

عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير. يقول: سمعت أبي يقول: لا يأتي العلم براحة الجسد.

عن عبد الله بن أبي كثير. قال: سمعت أبي يقول: ميراث العلم خير من ميراث الذهب، واليقين الصالح خير من اللؤلؤ.

---

(١) توفي يحيى سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل سنة ثنتين وثلاثين ومائة (الصفوة).

قال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء.

عن عامر بن يساف. قال: كان يحيى بن أبي كثير؛ حسن اللباس، حسن الهيئة، مات ولم يترك إلا ثلاثين درهماً كفنوه بها.

عن حميد الكندي. قال: سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: تعلم الفقه صلاة، ودراسة القرآن صلاة.

عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير. قال: العالِم من يخشى الله عزّ وجلّ.

عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير. قال: ما وجدت عالمين إلا كان أكثرهما توسعاً أكثرهما فقهاً.

عن الأوزاعي، عن يحيى. قال: العلماء مثل الملح هو صلاح كل شيء؛ فإذا فسد الملح لم يصلحه شيء، وينبغي أن يوطأ بالأقدام ثم يلقى.

عن الأوزاعي. قال: حدثني يحيى، قال: ست من كن فيه فقد استكمل الإيمان؛ قتال أعداء الله بالسيف، والصيام في الصيف، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، والتبكير بالصلاة في يوم الغيم، وترك الجدال والمراء وأنت تعلم أنك صادق، والصبر على المصيبة.

عن الأوزاعي. قال سمعت: يحيى بن أبي كثير يقول: يقول الناس: فلان الناسك، وإنما الناسك الورع.

عن أبي عمرو، عن يحيى بن أبي كثير. قال: ما صلح منطق رجل؛ إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقه؛ إلا عرفت ذلك في سائر عمله.

عن الأوزاعي، قال: قال يحيى بن أبي كثير: إن ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة.

عن الأوزاعي. قال: حدثني يحيى. قال: أفضل الأعمال الورع، وأفضل العبادة التواضع.

عن الأوزاعي، عن يحيى. أنه قال له رجل: إني أحبك. قال: قد عرفت ذلك من نفسي.

عن أبي إسحاق الفزاري، عن يحيى. أنه كان يقول: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق، فخذ في طريق آخر.

عن أبي عمرو الأوزاعي. قال: كان يحيى بن أبي كثير يدعو حضرة شهر رمضان: اللهم سلمني لرمضان وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً.

عن الأوزاعي. قال: سمعت يحيى يقول: يصوم الرجل عن الحلال الطيب، ويفطر على الحرام الخبيث، لحم أخيه - يعني اغتيابه -.

قال: وسمعت يحيى يقول: لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أي شقيه يقع.

عن أبي عمرو - يعني الأوزاعي -، عن يحيى. قال: ثلاث لا تكون في بيت إلا نزعت منه البركة؛ السرف والزنا والخيانة.

عن الأوزاعي. قال: سمعت يحيى يقول: لولا أن الساعة موعد هذه الأمة، لخسف بطائفة وطائفة تنظر.

عن عامر بن يساف، عن يحيى. قال: قرأت في الحكمة: ابن آدم ابدأ أهلك بمكارم الأخلاق، فإن الثواء معهم قليل.

عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير. قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً إلى الله تعالى، فيقول الله تعالى: اجعلوه في سجين إني لم أُرَدْ بهذا العمل.

عن أبي عمرو، عن يحيى بن أبي كثير. قال: موطنان تزخرف فيهما الجنة، وتزين الحور العين، عند الصلاة وعند القتال؛ فإذا انصرف المنصرف، ولم يسأل الله تعالى الحور العين، ولم يسأل الجنة، قلن: يا ويح هذا لم يسألنا الله ولم يسأل الجنة، وعند القتال تقول زوجته: أقدم فلا تخزني في صواحبي.

عن عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير. قال: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل.

عن عكرمة بن عمار، عن يحيى. قال: يفسد النمام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر.

عن الأوزاعي، عن يحيى. قال: قال سليمان بن داود لابنه عليهما السلام: يا بني، إياك والنميمة، فإنها أحدّ من السيف. وإياك وغضب الملك الظلوم؛ فإنه كملك الموت. يا بني، إياك والمراء فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان. يا بني، خطيئة بني آدم فخرهم، والزنا عين الإثم. يا بني، إن الأحلام تصدق قليلاً وتكذب، فلا يحزنك، وعليك بكتاب الله فالزمه، وإياه فتأول. يا بني، إياك وكثرة الغضب، فإن كثرة الغضب تسحق فؤاد الرجل الحليم.

عن الأوزاعي. قال: حدثني يحيى بن أبي كثير. قال: قال سليمان لابنه: لا تكثر الغيرة على أهلك، ولم تر منها سوءاً؛ فترمى بالشر من أجلك، وإن كانت منه بريئة.

عن الأوزاعي، عن يحيى. قال: خير الإخوان الذي يقول لصاحبه: تعال نصوم قبل أن نموت، وشر الإخوان الذي يقول لأخيه: تعال نأكل ونشرب قبل أن نموت.

عن الأوزاعي، عن يحيى. قال: قال سليمان لابنه: إن من عيش السوء نقلاً من منزل إلى منزل.

أسند يحيى بن أبي كثير عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: منهم أنس بن مالك، وأبو كاهل، وعبد الله بن أبي أوفى، ويوسف بن عبد الله بن سلام.

وروى عن جلة من التابعين؛ عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن أبي قتادة.

٢١١ ـ مطر الوراق

ومنهم العالم المشفاق، والعامل المنفاق، أبو رجاء مطر الوراق.

عن مالك بن دينار. قال: يرحم الله مطراً كان عبد العلم.

عن أبي عيسى. قال: ما رأيت مثل مطر في فقهه وزهده.

عن مالك بن دينار. قال: يرحم الله مطراً إني لأرجو له الجنة.

عن ابن شوذب، عن مطر الوراق. قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان التربص، لم يوجد أحدهما يزيد على صاحبه شيئاً.

عن ابن شوذب، عن مطر. قال: عمل قليل في سنَّة، خير من عمل كثير في بدعة، ومن عمل عملاً في سنة قبل الله منه عمله، ومن عمل عملاً في بدعة، ردّ الله عليه بدعته.

* * *

أسند مطر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. وروى عن الحسن وابن سيرين، وأبي رجاء العطاردي، ومطرف بن الشخير، وجابر بن زيد، وأبي قلابة، وعن عمرو بن دينار، وعطاء، وعكرمة، ونافع، وعن الحكم، وسعيد بن جبير.

٢١٢ ـ أوس بن عبد الله

[ت٨٣هـ]

ومنهم المجانب للأهواء والآراء، المفارق للتلاعن والأسواء، أوس بن عبد الله أبو الجوزاء[١].

عن عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء. قال: لأن أجالس القردة والخنازير، أحب إلي من أن أجالس رجلاً من أهل الأهواء.

عن عمرو بن مالك النكري. قال: سمعت أبا الجوزاء يقول: ما لعنت شيئاً قط، ولا أكلت شيئاً ملعوناً، ولا آذيت أحداً قط.

عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء. قال: جاورت ابن عباس اثنتي عشرة سنة في داره، وما من القرآن آية إلا وقد سألته عنها، وكان رسولي يختلف إلى أم المؤمنين غدوة وعشية، فما سمعت من أحد من العلماء، ولا سمعت أن الله تعالى يقول لذنب: إني لا أغفره إلا الشرك به.

عن يحيى بن عمرو بن مالك النكري. قال: سمعت أبي يقول: كان أبو الجوزاء يقول: لو أن أناساً من فقهائكم وأغنيائكم، انطلقوا إلى رجل فقيه غني، فسألوه كوزاً من ماء أكان يعطيهم؟ قالوا: يا أبا الجوزاء، ومن يمنع كوزاً من ماء، قال أبو الجوزاء: والله لا الله أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من ماء.

عن عمرو بن مالك: أن أبا الجوزاء لم يكذب قط.

عن سليمان بن علي: أن أبا الجوزاء كان يواصل سبعة أيام وسبع ليال؛ ثم يقبض على ذراع الرجل الشاب فيكاد يحطمها.

---

(١) الذي في «صفة الصفوة»: أوس بن خالد، خرج مع ابن الأشعث فقتل في أيام الجماجم في ثلاث وثمانين (الصفوة).

عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء. قال: والذي نفسي بيده، إن الشيطان ليلزم بالقلب، حتى ما يستطيع صاحبه ذكر الله. ألا ترونهم في المجالس يأتي على أحدهم عامة يومه لا يذكر الله إلا حالفاً، والذي نفس أبي الجوزاء بيده، ما له في القلب طرد إلا قول لا إله إلا الله، ثم قرأ ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[1].

عن عمرو بن مالك. قال: سمعت أبا الجوزاء يقول: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن.

❁ ❁ ❁

أسند أبو الحوزاء عن عبد الله بن عباس، وعن عائشة رضي الله تعالى عنهما وعن الجماعة.

٢١٢م - يزيد بن حميد الضبعي

ومنهم المتعبد السياح، والمتعوذ الصياح، يزيد بن حميد الضبعي أبو التياح.

عن جعفر بن سليمان. قال: قال أبو التياح: كان الرجل يقرأ عشرين سنة لا يشعر به جيرانه.

عن جعفر. قال: دخلنا على أبي التياح نعوده. فقال: والله إنه لينبغي للرجل المسلم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك جداً واجتهاداً ثم بكى.



(١) سورة الإسراء، الآية (٤٦).

أسند أبو التياح: عن أنس بن مالك، وأبي عثمان النهدي، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وابن أبي مليكة، وأبي حمزة، وإسحاق بن سويد رضي الله تعالى عنهم.

وروى عنه: شعبة، والحمادان، وعبد الوارث، قليل الحديث عامة حديثه في الصحاح.

٢١٣ ـ جابر بن زيد (أبو الشعثاء)

[ت١٠٣هـ]

قال الشيخ: ومنهم المتخلي بعلمه عن الشبه والظلماء، والمتسلي بذكره في الوعورة والوعثاء، جابر بن زيد أبو الشعثاء[1]. كان للعلم عيناً معيناً، وفي العبادة ركناً مكيناً، وكان إلى الحق آيباً، ومن الخلق هارباً، تأخر ذكره عن طبقته وهو من قدماء التابعين.

عن عطاء. قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: لو نزل أهل البصرة بجابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله عزّ وجلّ.

عن الرباب. قال: سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن شيء. فقال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد.

عن الضحاك الضبي. قال: لقي ابن عمر جابر بن زيد في الطواف فقال: يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة وإنك ستستفتى؛ فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت.

عن زياد بن جبير. قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري عن مسألة. فقال فيها، ثم قال: كيف تسألوننا وفيكم أبو الشعثاء.

---

(١) توفي أبو الشعثاء، جابر بن زيد سنة ثلاث ومائة.

عن عمرو بن دينار. قال: ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد.

عن إياس بن معاوية. قال: أدركت أهل البصرة وفقيههم جابر بن زيد من أهل عمان.

عن أبي الحباب. قال: لما دفن جابر بن زيد قال قتادة اليوم دفن علم الأرض.

عن عمرو بن دينار. قال: قال لي أبو الشعثاء: كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء أنا منهم، أي عمرو، فلو ابتليت بشيء منه لركبت راحلتي وهربت في الأرض.

عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد. قال: نظرت في أعمال البر، فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال، والصيام مثل ذلك، والحج يجهد المال والبدن. فرأيت أن الحج أفضل من ذلك كله.

عن صالح الدهان. أن جابر بن زيد كان لا يماكس في ثلاث؛ في الكراء إلى مكة، وفي الرقبة يشتريها للعتق، وفي الأضحية. وقال: كان جابر بن زيد لا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله عزّ وجلّ.

عن صالح الدهان. أن جابر بن زيد كان يتحدث مع بعض أهله، فمر بحائط قوم فانتزع منه قصبة، فجعل يطرد بها الكلاب عن نفسه؛ فلما أتى البيت وضعها في المسجد. فقال لأهله: احتفظوا بهذه القصبة، فإني مررت بحائط قوم فانتزعتها منه. قالوا: سبحان الله يا أبا الشعثاء! ما بلغ بقصبة؟ فقال: لو كان كل من مر بهذا الحائط أخذ منه قصبة لم يبق منه شيء، فلما أصبح ردها.

عن عثمان بن حكيم، عن جابر بن زيد. قال: إذا جئت يوم الجمعة فقف على الباب، وقل: اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه

إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأنجح من دعاك وطلب إليك.

عن الحجاج بن أبي عيينة. قال: كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا، قال: فأتانا ذات يوم عليه نعلان خلقان. فقال: مضى من عمري ستون سنة نعلاي هاتان أحب إلي مما مضى، إلا يك خيراً قدمته.

عن صالح الدهان. قال: إن جابر بن زيد كان إذا وقع في يده درهم ستوق[1] كسره ورمى به، يعني لئلا يغري به مسلماً.

عن مالك بن دينار. قال: دخل علي جابر بن زيد وأنا أكتب، فقلت له: كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء؟ قال: نعم الصنعة صنعتك، ما أحسن هذا تنقل كتاب الله عزّ وجلّ من ورقة إلى ورقة، وآية إلى آية، وكلمة إلى كلمة، هذا الحلال لا بأس به.

عن عمرو. قال: قال أبو الشعثاء: يا عمرو ما أملك من الدنيا إلا حماراً.

عن الحارث بن عمير. قال: قيل لجابر بن زيد عند الموت: أي شيء تريد ـ أو تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن.

عن مطر الوراق، عن جابر بن زيد. قال: لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام.

عن مالك بن دينار. قال: جاءني جابر بن زيد، فحضرت الصلاة، فأبى أن يؤمني وقال: ثلاث ربهن أحق بهن؛ رب البيت أحق بالإمامة في بيته، ورب الفراش أحق بصدر فراشه، ورب الدابة أحق بصدر دابته.



---

(١) الستوق: أي المزيفة.

أسند الكثير من الحديث عن ابن عباس، وابن عمر. وروى عنه عمرو بن دينار، وقتادة، وعمرو بن هرم.

٢١٤ ـ داود بن أبي هند

[ت١٣٩هـ]

ومنهم العالم المثبت، والزاهد المخبت، داود بن أبي هند[١].

عن ابن جريج. قال: لقيت داود بن أبي هند فرأيته ينزع العلم نزعاً.

عن سفيان بن عيينة. قال: حدثني أبي. قال: رأيت داود بن أبي هند بواسط وأنه لشاب يقال له: داود القارئ، ولقد كان يفتي في زمن الحسن.

عن يزيد بن زريع. قال: كان داود بن أبي هند مفتي أهل البصرة.

عن سفيان الثوري. قال: سمعت داود بن أبي هند ـ وكان عاقلاً ـ يقول: إنك إذا أخذت بالذي أجمعوا عليه، لم يضرك الذي اختلفوا فيه، وإن الذي اختلفوا فيه هو الذي نهوا عنه.

عن حماد بن زيد. قال: قلت لداود بن أبي هند: ما قلت في القدر؟ قال: أقول ما قال مطرف: لم نوكل إلى القدر وإليه نصير.

عن سعيد بن عامر. قال: قال داود بن أبي هند: أتيت الشام فلقيني غيلان. فقال: يا داود إني أريد أن أسألك عن مسائل؟ قلت: سلني عن خمسين مسألة، وأسألك عن مسألتين. قال: سل يا داود. قلت: أخبرني ما أفضل ما أعطي ابن آدم؟ قال: العقل، قلت:

---

(١) يكنى داود أبا بكر، وكان يفتي زمان الحسن، واسم أبي هند: دينار، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة (الصفوة).

فاخبرني عن العقل هو شيء مباح للناس من شاء أخذه، ومن شاء تركه، أو هو مقسوم بينهم؟ قال: فمضى ولم يجبني.

عن سفيان. قال: سمعت داود بن أبي هند يقول: أصابني الطاعون زمن الطاعون، فأغمي عليَّ فكأنّ اثنين أتياني. فقال أحدهما لصاحبه أي شيء تجد؟ قال: أجد به تسبيحاً وتكبيراً، وخطواً إلى المساجد، وشيئاً من قراءة القرآن؛ ثم قاما فبرأت، وأقبلت على قراءة القرآن فحفظته ولم أكن أحفظه قبل ذلك.

عن ابن أبي عدي. قال: أقبل علينا داود بن أبي هند. فقال: يا فتيان أخبركم لعل بعضكم أن ينتفع به، كنت وأنا غلام أختلف إلى السوق، فإذا انقلبت إلى بيتي جعلت على نفسي أن أذكر الله تعالى إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغت ذاك المكان، جعلت على نفسي أن أذكر الله تعالى إلى مكان كذا وكذا، حتى آتي المنزل.

عن ابن أبي عدي. قال: صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازاً، يحمل معه غداه من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشياً فيفطر معهم.

عن سفيان بن عيينة. قال: حدثني أبي قال: كنا إذا قدم داود بن أبي هند، خرجنا نتلقاه ننظر إلى هيئته وسمته وتشميره.

❁ ❁ ❁

أسند داود بن أبي هند عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. وروى عن سعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وأبي العالية، وأبي قلابة، والحسن، وابن سيرين، وزرارة بن أوفى، وأبي الشعثاء، وشهر بن حوشب، وعن الشعبي، وعن سماك، وعن عكرمة، وجابر، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وأبي الزبير، ونافع، وعن مكحول، وعطاء الخراساني، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.

٢١٥ ـ المنذر بن مالك

ومنهم مفيض الدموع والعبرة، ومبيد البيوع والحبرة، المنذر بن مالك أبو نضرة، من متقدمي طبقة أهل البصرة.

عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة. قال: كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربع؛ اعمل في فراغك لشغلك، واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في شبابك لهرمك، واعمل في حياتك لموتك.

عن الجريري، عن أبي نضرة. قال: ينتهي القدر إلى هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1].

عن إياس بن فلان ـ سماه المعتمر ـ. قال: انطلق الحسن وانطلقت معه إلى أبي نضرة نعوده، فقال له أبو نضرة: أدن مني يا أبا سعيد. فدنا منه فوضع يده على عنقه وقبل خده، فقال الحسن: يا أبا نضرة إنك والله لولا هول المطلع لسر رجالاً من إخوانك أن يكونوا فارقوا ما هاهنا. فقالوا: يا أبا سعيد اقرأ سورة وأدع بدعوات، فقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ. ثم قال: اللهم مس أخانا الضر، وأنت أرحم الراحمين، قال: فبكى وبكى الحسن فبكى أهل البيت رحمة لأخيهم، قال: فما رأيت الحسن بكى بكاء أشد منه. وقال أبو نضرة: يا أبا سعيد كن أنت الذي تصلي عليّ.

❁ ❁ ❁

أسند أبو نضرة عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم منهم: أبو سعيد الخدري، وجابر، وابن عباس، وأبو موسى، وابن عمر، وأنس رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

---

(١) سورة هود، الآية (١٠٧).

وروى عنه من التابعين عدة منهم: قتادة، وعلي بن زيد، وسليمان التيمي، وداود بن أبي هند، وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية، وأبو سلمة سعيد بن زيد، وأبو نعامة السعدي، وعوف بن أبي جميلة، ويحيى بن أبي كثير، وخليد بن جعفر، وسعيد الجريري، والربيع بن صبيح.

٢١٦ ـ بكر بن عمرو

ومنهم الداعي بالتحقيق، الناجي أبو الصديق. اسمه بكر بن عمرو ـ كان في العبادة سابقاً، وفي اللياذة صادقاً.

عن زيد العمي، عن أبي الصديق الناجي. قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي، فمر بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك، فإما أن تسقينا وترزقنا، وإما أن تهلكنا. فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

عن زيد العمي، عن أبي الصديق. قال: إن كان شسع الرجل لينقطع في الجنازة فما يكاد يدركهم ـ أو فما يدركهم.

أسند أبو الصديق عن أبي سعيد، وابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

٢١٧ ـ الفضيل بن زيد الرقاشي

ومنهم حارس الأوقات، وغارس الأقوات، بالتنصل من الحوبات، أبو حسان الفضيل بن زيد الرقاشي. من متقدمي التابعين وعباد أهل البصرة، غزا في أيام عمر بن الخطاب غزوات.

عن عاصم الأحول. قال: قال لي فضيل الرقاشي: يا هذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم، وإياك

أن تذهب نهارك تقطعه ههنا وههنا فإنه محفوظ عليك، وما رأيت شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

عن عبيد الله بن محمد التيمي، عن أبيه. قال: قال فضيل الرقاشي: إذا كمد الحزين فتر، وإذا فتر انقطع.

أسند الرقاشي عن عبد الله بن المغفل المزني وغيره من الصحابة.

٢١٨ ـ قسامة بن زهير

ومنهم المقتصر على الفلق والكسير، والمستتر بالخرق والحصير، أبو المنهال قسامة بن زهير.

عن عوف، عن قسامة بن زهير. قال: بلغني أن إبراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق. قال: فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم، فلما رآهم وما يفعلون. قال: يا رب دمر عليهم. فقال له ربه تعالى: أنا أرحم بعبادي منك يا إبراهيم، فأهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون.

عن عمران بن جابر، عن قسامة بن زهير. قال: روحوا القلوب تعي الذكر.

أسند عن الأشعري أبي موسى، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

٢١٩ ـ أبو الحلال العتكي

ومنهم العتكي أبو الحلال[1]، المحفوظ من الكسل والملال، كان ذا قوة في العبادة، وتقشف وزهادة.

---

(١) أبو الحلال، اسمه زرارة بن ربيعة، من الأزد.

عن عبيد الله بن ثور. قال: حدثتني أمي عن عمتها العيناء قالت: كان أبو الحلال فوق غرفة فيأتي بعض أبوابها فيشرف على شق من ناحية الحي فينادي: يا فلان بن فلان، ثم يقبل على الشق الآخر، فيقول مثله، حتى يأتي على الأركان الأربعة. قال ثم يقول: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1] ثم يقبل على الصلاة.

ومات يوم مات وهو ابن عشرين ومائة سنة.

عن عون، عن ابن أبي الحلال ـ واسمه ربيعة بن زرارة ـ. قال: حدثتني أمي عن عمتها العيناء بنت أبي الحلال. قالت: كان لأبي جصة يسجد عليها من الكبر لا يستطيع أن يقوم. ويقول: اللهم لا تسلبني القرآن.

روى أبو الحلال عن غير واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، سمع عثمان بن عفان. وحدث عنه قتادة، وغيلان بن جرير.

٢٢٠ ـ ميمون بن سياه

ومنهم المعرض عن الشنآن والعصيان، المقبل على ذكر المنعم المحسان، ميمون بن سياه بن مهران.

عن سلام بن مسكين. قال: ميمون بن سياه سيد القراء.

عن حزم. قال: كان ميمون بن سياه لا يغتاب؛ ولا يدع أحداً يغتاب عنده ينهاه، فإن انتهى وإلا قام عنه.

عن عبد الله بن الجنوب. قال: سمعت ميمون بن سياه يقول: إذا أراد الله بعبده خيراً حبب إليه ذكره.

عن ميمون؛ أنه كان يقول في دعائه: اللهم يسر لنا ما نخاف

---

(١) سورة مريم، الآية (٩٨).

عسره، وسهل لنا ما نخاف حزونته، وفرج عنا ما نخاف ضيقه، ونفس عنا ما نخاف غمه، وفرج عنا ما نخاف كربه.

أسند عن أنس بن مالك عدة أحاديث.

٢٢١ ـ الحجاج بن الفرافصة

ومنهم المأخوذ عن العاجلة، المردود إلى الآجلة، الحجاج بن الفرافصة.

عن سفيان. قال: كتب إليّ الحجاج بن فرافصة. قال بديل: من عرف ربه أحبه، ومن أحبه ترك الدنيا وزهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، وإن تفكر حزن.

عن ابن شوذب. قال: رأيت الحجاج بن فرافصة واقفاً في السوق، عند أصحاب الفاكهة، فقلت: ما تصنع ههنا؟ قال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

عن محمد بن مطرف، عن الحجاج بن فرافصة. قال: بلغنا في بعض الكتب: من عمل بغير مشورة فباطل يتعنى، ولا ينتصر من ظالمه بيد ولا بلسان، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

أسند عن أنس بن مالك، وعن أبي عثمان النهدي، وأبي عمران الجوني، ومكحول.

٢٢٢ ـ إياس بن قتادة التميمي

ومنهم المستقيل آثامه، المتدارك أيامه، المستأنس بوحدته، المعتبر بشيبته، إياس بن قتادة التميمي، ابن أخت الأحنف بن قيس، كان قاضياً لبني تميم.

عن الأصمعي. قال: بلغني إن إياس بن قتادة نظر في المرآة فرأى شيبة، فقال: ألا أراني حميراً لحاجات بني تميم، وهذا الموت

يطلبني، قال: فخرج إلى الشبكة[1] فلم يزل بها حتى مات. قال: وبلغني أنه قال: يا بني تميم، وهبت لكم شبابي، فهبوا لي شيبتي.

أسند إياس عن قيس بن عباد رضي الله تعالى عنه.

٢٢٣ ـ أبو الأبيض

ومنهم المتبع للأوجب الأفرض، المفارق للأنزر الأرمض، العابد المكنى بأبي الأبيض[2].

عن أبي حفص الجزري. قال: كتب أبو الأبيض ـ وكان عابداً ـ إلى بعض إخوانه. أما بعد: فإنك لم تكلف من الدنيا إلا نفساً واحدة، فإن أنت أصلحتها لم يضرك إفساد من فسد بصلاحها، وإن أنت أفسدتها، لم ينفعك صلاح من صلح بفسادها، واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحمر أو أسود.

أسند عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

٢٢٤ ـ لاحق بن حميد

ومنهم الفقيه السديد، العابد الرشيد، أبو مجلز لاحق بن حميد.

عن رديني بن أبي مجلز، عن أبي مجلز. قال: أكيس الناس أشدهم حذراً.

عن عمران بن حدير، عن أبي مجلز. قال: أفضل الصلاة طول القيام، وأفضل العبادة طول الركوع.

عن عمران بن حدير، عن أبي مجلز. قال: إن استطعت أن لا

---

(١) الشبكة، لعلها (الشبيكة) بالتصغير، منزل من منازل حاج البصرة كما في معجم البلدان.

(٢) تكررت ترجمة أبي الأبيض برقم (٤٧٨).

ينكب غريمك فيما بينك وبينه نكبة فافعل، وما تركت غريمك بعد حل حقك فإنه مجزي لك.

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه. قال: قال رجل لأبي مجلز، وهم يتذاكرون الفقه والسنة: لو قرأت سورة ـ أو قرأتم سورة؟ فقال: ما أرى أن قراءة سورة أفضل مما نحن فيه.

عن أبي مجلز. قال: إنما حديث النبي ﷺ مثل القرآن ينسخ بعضه بعضاً.

عن عمران بن حدير. قال: أرسل ابن سيرين إلى أبي مجلز: أن أبعث إلينا بنفقة لا تطلبها حتى نبعث بها إليك، قال: فصر ثلاث مائة فأرسل بها إليه.

أسند أبو مجلز عن عدة من الصحابة: منهم أنس، وعبد الله بن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم.

٢٢٥ ـ حسان بن أبي سنان

ومنهم حافظ الطرف واللسان، رابط القلب والجنان، حسان بن أبي سنان.

عن غسان بن المفضل. قال: حدثنا شيخ لنا يقال له أبو حكيم. قال: خرج حسان يوم العيد فلما رجع، قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة نظرت إليها اليوم ورأيتها! فلما أكثرت. قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

عن حماد بن زيد. قال: كنت إذا رأيت حسان بن أبي سنان كأنه أبداً مريض. قال أبو جعفر: فذكرت ذلك لمخلد بن حسين فقال: هكذا كان، إذا رأيته كأنه أبدا ناقه.

عن عبد الله بن محمد الزراد. قال: خرج حسان إلى العيد،

فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساء منه؟ قال: ما تلقتني امرأة حتى رجعت.

عن عبد الجبار بن النضر السلمي. قال: مر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليكِ مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعينك، فعاقبها بصوم سنة.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: قال حسان بن أبي سنان: لولا المساكين ما اتجرت.

عن زهير بن نعيم البابي. قال: اجتمع يونس بن عبيد، وحسان بن أبي سنان. فقال يونس: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من الورع، فقال حسان: لكن ما عالجت شيئاً أهون عليّ منه. قال يونس: كيف؟ قال: تركت ما يريبني إلى ما لا يريبني فاسترحت.

عن عبد الله بن شوذب. قال: قال حسان: ما أيسر الورع، إذا شككت في شيء فاتركه.

عن الوليد بن يسار. قال: جاءت امرأة عليها ثوب قد نفض من الصبغ فسألت حسان بن أبي سنان، فقال لشريكه: هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. قال: فذهب شريكه يزن درهمين قال: زن لها مائتين. فقالوا: يا أبا عبد الله كانت ترضى بذا، كذا وكذا من سائل. فقال: إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه، إني رأيت بها بقية من الشباب وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما يكره.

عن عبد المؤمن بن عباد أبو عبد الله. قال: لقي حسان بن أبي سنان رجل به زهو ـ وكان مع حسان رجل ـ قال: فسائله حسان مسائلة لطيفة، فقال له الرجل: تسأل مثل هذا، هذه المسائلة حتى يظن في نفسه أنه شيء، قال: ما يدريك؟ لعله يكون في هذا خصلة يحبها الله، وفيك خصلة يبغضها الله. قال فقال: يا أبا عبد الله وما

هذه الخصلة التي فيه يحبها الله، وما الخصلة التي فيّ يبغضها الله؟ قال: لعله أن يكون حين رآك حدثته نفسه أنك خير منه، ولعلك حين رأيته حدثتك نفسك أنك خير منه.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: قلت لحسان بن أبي سنان: أما تحدثك نفسك بالفاقة؟ قال: بلى! قلت: فبأي شيء تردها؟ قال: أقول لها: وكان ذاك تأخذين المسحاة فتجلسين مع الفعلة فتكتسبين دانقاً أو دانقين تعيشين به، فتسكن!.

عن موسى بن هلال. قال: حدثنا رجل كان جليساً لنا ـ وكانت امرأة حسان مولاة له ـ قال: حدثتني امرأة حسان بن أبي سنان. قالت: كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي. قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك؟ أرفق بنفسك! فقال: اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً.

عن أبي جعفر الخراساني. قال: قلت لمهدي بن ميمون: من حسان بن أبي سنان؟ فقال: من حسان بن أبي سنان! رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه قال: في مرضه ـ فقيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، فقيل له: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيي ما بين طرفيها.

عن سعيد بن عامر يذكر أن قوماً أتوا حسان بن أبي سنان، ومعهم رجل قد كانت حاله حسنة فتغيرت، فأتوا حسان يريدون أن يكلموه ليعينه في شيء، فوجدوه ضجراً، فقال بعضهم لبعض: لا نرى أن نكلمه وهو على هذه الحال. قال: فسائلوه ثم أرادوا أن ينصرفوا. قال: فقال لهم: ما حاجتكم؟ قالوا: يا أبا عبد الله نعود إليك، قال: فقال: لا! تكلموا بحاجتكم. فقالوا: هذا فلان قد عرفته

كانت حالته حسنة قبل اليوم فتغيرت، فأردنا أن نجمع له شيئاً، قال: مكانكم، قال: فدخل فأخرج صرة فيها أربعمائة درهم. فقال: أما إني لم أخلف غيرها، ثم قال: مكانكم حتى أخبركم بما رأيتم من غمي، بنيت مخدعاً لأهلنا أنفقنا عليه سبعة وعشرين درهماً وكسراً، هو بنا رافق، ولو لم نبنه وجدنا عنه بداً، فذلك الذي رأيتم من غمي.

عن عبد الله. قال: كتب غلام حسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قبلك، قال: فاشتراه من رجل فلم يأت عليه إلا قليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً. قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كتب إلي ولم أعلمك فأقلني فيما اشتريته منك، قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيبته لك. قال: فرجع ولم يحتمل قلبه، قال فأتاه وقال: يا هذا، إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع. قال: فما زال به حتى رده عليه.

عن عمرو بن محمد. قال: حدثنا صاحب لنا قال: أقبل نفر من أصحاب حسان بن أبي سنان تجاراً في سفينة في النهر، فتلقتهم سفينة تحمل الأرز فاشتروا ذلك الأرز كله. فقال بعضهم: اجعلوا لحسان سهماً كسهم رجل منا، ففعلوا فباعوا ذلك الأرز فربحوا آلاف الدراهم، فأصاب كل إنسان ألفان. فعمدوا إلى ألفي حسان فجعلوها في كيس ثم أتوه بها فأخبروه بخبرها. فقال لهم: أرأيتم لو بعتم هذا الأرز بوضيعة كانت تلزمني الوضيعة معكم. قالوا: لا! قال: لا حاجة لي بها.

أسند حسان بن أبي سنان عن أنس فيما قيل، وكان من أروى الناس عن الحسن، وعن ثابت. وشغلته العبادة عن الرواية.

٢٢٦ ـ عاصم بن سليمان الأحول

[ت١٤١هـ]

ومنهم العابد الأفضل، عاصم بن سليمان الأحول[1].

عن عاصم الأحول. قال: قال لي فضيل الرقاشي ـ وأنا أسائله ـ: يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقل اذهب ههنا وههنا ينقطع عني النهار، فإنه محفوظ عليك، وما رأيت قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

عن محمد بن عباد. قال: حدثني أبي. قال: ربما زارني عاصم الأحول وهو صائم فيفطر، فإذا صلى العشاء تنحى فصلى، فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، لا يضع جنبه.

أسند عاصم عن أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس.

وروى عن ابن سيرين، وأبي عثمان النهدي، وأبي قلابة، وغيرهم.

٢٢٧ ـ إياس بن معاوية

ومنهم صاحب الحكم والأحكام الماضية، المكنى أبا واثلة إياس بن معاوية.

عن محبوب بن هلال. قال: سئل إياس بن معاوية: متى ينقطع الميلاد فلا يكون ميلاد؟ قال: إذا استكمل أهل الجنة عددهم الذي قضاه الله عزّ وجلّ إذ عرشه على الماء، واستكمل أهل النار عددهم

---

(١) عاصم الأحول: يكنى أبا عبد الرحمن، مولى لبني تميم، كان قاضياً بالمدائن في خلافة أبي جعفر، وكان على الحسبة في المكاييل والموازين بالكوفة. توفي سنة إحدى وأربعين ومائة. (الصفوة).

الذي قضاه الله عزّ وجلّ إذ عرشه على الماء، فعند ذلك ينقطع الميلاد فلا يكون ميلاد.

عن نوح. قال: قيل لإياس بن معاوية: فيك أربع خصال: دمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيلك بالقضاء.

قال: أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري، وأما كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ؟ قالوا: بصواب. قال: فالإكثار من الصواب أمثل، وأما إعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني؟ قالوا: نعم! قال: فإني أحق أن أعجب بنفسي، وأما قولكم إنك تعجل بالقضاء فكم هذه وأشار بيده خمسة، فقالوا: خمسة. فقال: عجلتم، ألا قلتم واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة، قالوا: ما نعد شيئاً قد عرفناه، قال: فما أحبس شيئاً قد تبين لي فيه الحكم.

عن عبد الله بن مسلم القرشي. قال: كان إياس يقول: ما أحب أني أكذب كذبة لا يطلع عليها إلا الله، ولا أواخذ بها يوم القيامة، وإن لي مفروحاً من الدنيا.

عن داود بن أبي هند. قال: قال إياس بن معاوية: كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق، قالوا: يا أبا واثلة ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

عن خالد الحذاء. قال: قيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك؟ قال: نعم الابن كفاني أمر دنياي، وفرغني لآخرتي.

عن داود بن أبي هند. قال: قال لي إياس بن معاوية: أنا أكلم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إلي اثنان جمعت عقلي كله.

عن حبيب بن الشهيد. قال: سمعت إياس بن معاوية يقول: ما كلمت أحداً من أصحاب الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، فإني قلت

لهم: ما الظلم فيكم؟ قالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له. فقلت لهم: فإن لله عزّ وجلّ كل شيء.

أسند إياس عن أنس بن مالك، وسمع أباه، وسعيد بن المسيب.

٢٢٨ ـ شميط بن عجلان

ومنهم الوامق الولهان، الواعظ اليقظان، أبو همام شميط بن عجلان، وقيل أبو عبيد الله.

عن عبيد الله بن شميط. سمعت أبي يقول ـ إذا وصف الموقنين ـ: أتاهم من الله أمر وقذهم عن الباطل؛ فأسهروا العيون، وأجاعوا البطون، وأظمأوا الأكباد، وأنصبوا الأبدان، واهتضموا الطارف والتالد.

عن عبيد الله بن شميط. قال: كان أبي يقول في قصصه: إن المتقين أتاهم من الله أمر أقلقهم؛ فأكلوا على تنغص، وباتوا على تصون.

وكان يقول في قصصه: إن المتقين هم الأكياس؛ أكلوا طيب رزق الله، وعاشوا في فضل نعيم الآخرة.

عن رباح بن عمرو أبي المهاجر. قال: سمعت الشميط أخا أخضر بن عجلان وهو يقول في مجلسه ووصف أهل الدنيا وما هم فيه من الغفلة. فقال: حيارى سكارى، فارسهم يركض ركضاً، وبيدقهم يسعى سعياً، عشقوا الدنيا ولزمت بأم رؤوسهم يرتضعونها، لا ينفطمون من رضاعها، وإذا أحدث الله تعالى لأحدهم نعمة، أحدث رياء وسمعة فعلق من بين أصفر وأخضر وأحمر. ثم قال للناس: تعالوا فانظروا؛ فأما المؤمنون فيقولون: لا حسن والله ولا جميل! إن يكن من حلال فقد أسرفت، وإن يكن من حرام فثكلتك

أمك. وأما المنافقون فيقولون: يا ويحنا يا ليت لنا ما أكثر وأطيب، ذروهم عباد الله، وما اختاروا لأنفسهم من فالوذجهم وورودجهم، فكلْ يوماً بقلاً ويوماً خلاً ويوماً ملحاً، والموعد الله، يطلبون لأولادهم السمن والعسل، ثم يخرجونهم على أيتام المساكين، فيذهب الصبي إلى أمه فيجاذبها خمارها. فيقول: اطلبي لنا سمناً وعسلاً فإني رأيت مع ابن فلان سمناً وعسلاً. فتقول له أمه: إنه كثير لك من حيث أصبت لك الخبز والملح، يشتري أحدهم الأمة العجماء قد أخرجت من دار المشركين إلى دار المسلمين فلا يفقهها في الدين ولا يعلمها شيئاً من سنن المرسلين، فتلبس الوشي وتحلى بالذهب ثم تخطر على فساق أهل الأسواق، فإن جنت جناية تبعه من ذلك ما ساءه.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي إذا وصف أهل الدنيا، قال: دائم البطنة؛ قليل الفطنة، إنما همه بطنه وفرجه وجلده. يقول: متى أصبح فآكل وأشرب وألهو وألعب، ومتى أمسي فأنام، جيفة بالليل بطال بالنهار.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: إن أولياء الله آثروا رضى الله عزّ وجلّ على هوى أنفسهم، وإن كانت أهوائهم محنة لهم فارغموا أنفسهم كثيراً لرضاء ربهم فافلحوا وانجحوا.

عن عبيد الله بن شميط. قال: كان أبي وغيلان الطفاوي يقولان: صم عن الدنيا، واجعل غاية افطارك في الدنيا الموت.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: بادروا بالصحة السقم، وبالفراغ الشغل، وبادروا بالحياة الموت.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: يا ابن آدم، إنما الدنيا غداء وعشاء، فإن أخرت غداءك إلى عشائك أمسى ديوانك في ديوان الصائمين.

عن محمد بن عبد الله بن سميع الأزدي. قال: دعا بعض الأمراء شميطاً إلى طعام فاعتل عليه، ولم يأته فقيل له في ذلك. فقال: فقد أكلة أيسر علي من بذل ديني لهم، ما ينبغي أن تكون بطن المؤمن أعز عليه من دينه.

عن جعفر وعبيد الله بن شميط. قالا: سمعنا شميطاً يقول: رأس مال المؤمن دينه حيث ما زال، زال معه دينه، لا يخلِّفه في الرحال، ولا يأمن عليه الرجال.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول في كلامه: بئس العبد عبد خلق للعبادة فصدته الشهوات عن العبادة، بئس العبد عبد خلق للعاقبة، فصدته العاجلة عن العاقبة، فزالت العاجلة وشقي بالعاقبة.

قال: وسمعت أبي شميط يقول: كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي من رزقك، قد أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، فكيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة. أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته. فالعجب كل العجب لمصدق بدار الحق وهو يسعى لدار الغرور!!

عن عبد الله بن عبيد الله العباداني. قال: سمعت شميطاً يقول في قصصه: يا ابن آدم؛ إنك ما دمت ساكتاً فإنك سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: ـ ونظر إلى الناس يوم عيدهم في محشرهم ومجمعهم ـ فقال: هل ترى إلا خرقة تبلى، ولحماً يأكله الدود غداً.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت شميطاً يقول: من جعل الموت نصب عينيه؛ لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: إن الله عزّ وجلّ جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر، ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك.

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول: يعمد أحدهم فيقرأ القرآن، ويطلب العلم حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء؛ امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي. فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة، ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها.

وكان أبي يقول: فمثله كمثل الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾[1].

عن رباح القيسي وعبيد الله بن شميط. قالا: سمعنا شميطاً يقول: رجلان معذبان في الدنيا، رجل أعطي الدنيا فهو متعوب فيها ومشغول بها، وفقير زويت عنه الدنيا فنفسه تتقطع عليها حسرات.

عن رباح وعبيد الله بن شميط وجعفر. قالوا: سمعنا شميطاً يقول: إني والله ما رأيت أبدانكم إلا مطاياكم إلى ربكم عزّ وجلّ، ألا فانضوها في طاعة الله يبارك الله فيكم.

---

(١) سورة النحل، الآية (٢٥).

عن عبيد الله بن شميط. قال: سمعت أبي يقول في موعظته: قد أفلح من جعل الله تعالى له عينين بصيرتين، ولساناً فصيحاً، وقلباً واعياً يعي الخير ويعمل به.

عن عبيد الله بن شميط. قال: كان أبي يقول: الناس ثلاثة؛ فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة، ثم راجع بتوبة فهذا صاحب يمين، ورجل ابتكر الشر في حداثته ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا فهو صاحب الشمال.

أسند شميط عن غير واحد من التابعين، وهو قليل الرواية.



الفصل الرابع
ذكر طبقة من تابعي أهل المدينة

ذكر طبقة من تابعي المدينة من المعروفين بالتعبد والنسك، وقد تقدم ذكر متقدميهم في جملة طبقة البصريين ـ وهم الفقهاء السبعة ـ.

٢٢٩ ـ زين العابدين علي بن الحسين

[ت٩٤هـ]

فمن هذه الطبقة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم زين العابدين[١]، ومنار القانتين، كان عابداً وفياً، وجواداً حفياً.

عن العتبي. قال: حدثنا أبي. قال: كان علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة. فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم؟ ومن أريد أن أناجي؟

عن جعفر، عن أبيه: أن علي بن الحسين قال: يا بني، لو

---

(١) أمه أم ولد، اسمها غزالة، وهو علي الأصغر، وأما الأكبر فإنه قتل مع الحسين عليهما السلام، وكان علي هذا مع أبيه، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش فلم يقتل، وكان يكنى أبا الحسين، وقيل: أبا محمد. توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وخمسين سنة، رضي الله عنه. (الصفوة).

اتخذت لي ثوباً للغائط، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع عليّ، ثم انتبه. فقال: فما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه إلا ثوب، فرفضه.

عن عمرو بن ثابت. قال: كان علي بن الحسين لا يضرب بعيره من المدينة إلى مكة.

عن فضيل بن غزوان. قال: قال لي علي بن الحسين: من ضحك ضحكة، مج مجة من العلم.

عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين. قال: إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه. قال: قال علي بن الحسين: فقد الأحبة غربة، وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إلي، فإذا عدت فعد عليّ.

وكان يقول: إن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

عن أبي حمزة الثمالي. قال: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أضرب، فقعدت حتى خرج، فسلمت عليه ودعوت له فردَّ عليّ السلام، ودعا لي، ثم انتهى إلى حائط له. فقال: يا أبا حمزة، ترى هذا الحائط؟ قلت: بلى! يا ابن رسول الله ﷺ قال: فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه، حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين ما لي أراك كئيباً حزيناً، أعلى الدنيا فهو رزق حاضر، يأكل منها البر والفاجر. فقلت: ما عليها أحزن لأنه كما تقول. فقال: أعلى الآخرة؟ هو وعد صادق،

يحكم فيها ملك قاهر. قلت: ما على هذا أحزن لأنه كما تقول. فقال: وما حزنك يا علي بن الحسين؟ قلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير. فقال لي: يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا! ثم قال: فخاف الله فلم يكفه؟ قلت: لا! ثم غاب عني، فقيل لي: يا علي هذا الخضر عليه السلام ناجاك.

عن ابن شهاب الزهري. قال: شهدت علي بن الحسين يوم حَمَلَه عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديداً، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه، والتوديع له فأذنوا لي، فدخلت عليه وهو في قبة والأقياد في رجليه والغل في يديه فبكيت. وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم. فقال: يا زهري، أتظن أن هذا مما ترى عليَّ وفي عنقي يكربني، أما لو شئت ما كان. فإنه وإن بلغ منك وبأمثالك ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد. ثم قال: يا زهري، لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة. قال: فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه. فقال لي بعضهم: إنا لنراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان، فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته. فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقده الأعوان، فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت. فقلت: أقم عندي فقال: لا أحب، ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهري فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن! إنه مشغول بنفسه. فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به.

قال: وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين!!

عن أبي حمزة الثمالي. قال: سمعت علي بن الحسين يقول: من قنع بما قسم الله له. فهو من أغنى الناس.

عن أبي حمزة الثمالي. قال: كان علي بن الحسين: يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عزّ وجلّ.

عن شيبة بن نعمامة. قال: كان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة. قال جرير في الحديث ـ أو من قبله ـ: إنه حين مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل الجرب إلى المساكين.

عن عمرو بن ثابت. قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره. فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

عن محمد بن إسحاق. قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

عن سعيد بن مرجانة. قال: عمد علي بن الحسين إلى عبد له كان عبد الله بن جعفر أعطاه به عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فأعتقه.

عن يحيى بن سعيد. قال: سمعت علي بن الحسين واجتمع عليه ناس فقالوا له ذلك القول. فقال لهم: أحبونا حب الإسلام لله عزّ وجلّ، فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً.

عن محمد بن حاطب، عن علي بن الحسين. قال: أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا:

قال لهم علي بن الحسين: ألا تخبرونني أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1]؟ قالوا: لا!

قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾[2]؟ قالوا: لا!

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[3] أخرجوا فعل الله بكم!!

عن خلف بن حوشب، عن علي بن الحسين. قال: يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة، أحبونا حب الإسلام، ولا ترفعونا فوق حقنا.

عن سفيان. قال: قال علي بن الحسين: ما أحب أن لي بنصيبي من الذل، حمر النعم.

عن ابن المنهال الطائي. أن علي بن الحسين كان إذا ناول الصدقة السائل، قبّله ثم ناوله.

عن عبد الرحمن بن حبيب بن أزدك. قال: سمعت نافع بن جبير يقول لعلي بن الحسين: غفر الله لك! أنت سيد الناس

---

(١) سورة الحشر، الآية (٨).

(٢) سورة الحشر، الآية (٩).

(٣) سورة الحشر، الآية (١٠).

وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه - يعني زيد بن أسلم -. فقال: إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث ما كان.

عن محمد بن عبد الرحمن المديني. قال: كان علي بن الحسين يتخطى حلق قومه، حتى يأتي زيد بن أسلم فيجلس عنده. فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

عن جعفر بن محمد. قال: سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه، فقال: لا تلوموني فإن يعقوب فقد سبطاً من ولده، فبكى حتى ابيضت عيناه، ولم يعلم أنه مات. وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟[1].

عن العتبي. قال: حدثني أبي، قال: قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم - لابنه: يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرّته عليك أكثر من منفعته له.

عن إبراهيم بن سعد. قال: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته، وعنده جماعة فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم! فعزوه وتعجبوا من صبره. فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره.

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين. قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: على ما صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله عزّ وجلّ. فيقال: صدقتم ادخلوا الجنة.

عن ابن عائشة، عن أبيه. قال: حج هشام بن عبد الملك قبل

---

(١) يريد بذلك: من قتل مع أبيه الحسين، من ولده وأهل بيته، رضي الله عنهم.

أن يلي الخلافة، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه، وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه.

قال: ونصب لهشام منبر فقعد عليه فقال له أهل الشام: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكني أعرفه، هذا علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما:

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا؟ بضائره	العرب تعرف ما أنكرت والعجم
يغضي حياء ويغضي من مهابته	ولا يكلم إلا حين يبتسم

عن ثابت بن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين. قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم! قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسي علينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: ما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عزّ وجلّ. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله في داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل! فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك. قالوا: وبما جاورتم الله في داره؟ قالوا: كنا نتزاور في الله عزّ وجلّ، ونتجالس في الله، ونتباذل في الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

عن أبي جعفر: أن أباه علي بن الحسين قاسم الله عزّ وجلّ ماله مرتين، وقال: إن الله تعالى يحب المؤمن المذنب التائب.

عن أبي حمزة الثمالي. قال: كنت عند علي بن الحسين فإذا عصافير يطرن حوله يصرخن. فقال: يا أبا حمزة هل تدري ما يقول هؤلاء العصافير؟ فقلت: لا! قال: فإنها تقدس ربها عزّ وجلّ وتسأله قوت يومها.

عن موسى بن أبي حبيب، عن علي بن الحسين. قال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاة. قيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى.

وقال علي بن الحسين: من كتم علماً أحداً، أو أخذ عليه أجراً رفداً، فلا ينفعه أبداً.

عن أبي جعفر. قال: كان في نقش خاتم أبي: القوة لله جميعاً.

عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين. قال: لا يقولن أحدكم: اللهم تصدق علي بالجنة، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب؛ ولكن ليقولن: اللهم ارزقني الجنة، اللهم منّ علي بالجنة.

عن صالح بن حسان. قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان؟ قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا! قال: ما رأيت أحداً أورع منه.

عن أبي حازم. قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

عن عمرو بن دينار. قال: دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي. فقال: ما شأنك؟ قال: علي دين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. قال: فهو علي.

❁ ❁ ❁

عن الزهري. قال: دخلنا على علي بن الحسين بن علي. فقال: يا زهري فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا الصوم، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا شهر رمضان. فقال: يا زهري ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً؛ عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها حرام، وأربعة عشرة خصلة صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب.

قال: قلت: فسرهن يا ابن رسول الله.

قال: أما الواجب؛ فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين ـ يعني في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ـ قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾[1] الآية. وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين، لمن لم يجد الإطعام. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[2] وصيام حلق الرأس قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾[3] الآية، صاحبه بالخيار إن شاء صام ثلاثاً، وصوم دم المتعة؛ لمن لم يجد الهدي. قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٢).

(٢) سورة المائدة، الآية (٨٩).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٦).

﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾[1] الآية، وصوم جزاء الصيد. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ﴾[2] الآية، وإنما يقوم ذلك الصيد قيمة، ثم يقص ذلك الثمن على الحنطة.

وأما الذي صاحبه بالخيار؛ فصوم يوم الإثنين والخميس، وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفطر.

وأما صوم الإذن؛ فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، وكذلك العبد والأمة.

وأما صوم الحرام؛ فصوم يوم الفطر ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم الشك نهينا أن نصومه كرمضان، وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام، والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه. قال رسول الله ﷺ: (من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلا بإذنهم)[3].

ويؤمر الصبي بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً، وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلة من أول النهار ثم وجد قوة في بدنه أمر بالإمساك، وذلك تأديب الله عزّ وجلّ، وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أمر بالإمساك.

وأما صوم الإباحة؛ فمن أكل أو شرب ناسياً من غير عمد، فقد أبيح له ذلك وأجزأه عن صومه.

وأما صوم المريض، وصوم المسافر؛ فإن العامة اختلفت فيه. فقال بعضهم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٧٨٩) وابن ماجه (١٧٦٣).

وإن شاء أفطر، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعاً، فإن صام في السفر والمرض، فعليه القضاء، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1].

* * *

أسند علي بن الحسين الكثير؛ وسمع من ابن عباس، وجابر، ومروان، وصفية، وأم سلمة، وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٢٣٠ ـ محمد بن المنكدر

[ت١٣٠هـ]

ومنهم الناظر المعتبر، والذاكر المعتذر، أبو عبد الله محمد بن المنكدر[2]. اعتذر فابتدر، واعتبر فانشمر.

عن يحيى بن الفضل الأنيسي. قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي، إذ استبكى وكثر بكاؤه، حتى فزع أهله وسألوه ما الذي أبكاه؛ فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي. قال: يا أخي ما الذي أبكاك؟ قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك؟ قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عزّ وجلّ! قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[3]. قال: فبكى أبو حازم أيضاً معه واشتد

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٢) محمد بن المنكدر، يرجع نسبه إلى تيم بن مرة، يكنى أبا عبد الله، أمه أم ولد، توفي بالمدينة سنة ثلاثين، أو إحدى وثلاثين ومائة. (الصفوة).

(٣) سورة الزمر، الآية (٤٧).

بكاؤهما. قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته. قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

عن عكرمة، عن محمد بن المنكدر. أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ فقال: أخشى آية من كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ وإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

عن المنكدر. قال: كان محمد يقوم من الليل فيتوضأ، ثم يدعو فيحمد الله عزّ وجلّ ويثني عليه ويشكره، ثم يرفع صوته بالذكر؛ فقيل له: لم ترفع صوتك؟ قال: إن لي جاراً يشتكي يرفع صوته بالوجع، وأنا أرفع صوتي بالنعمة.

عن مالك بن أنس. قال: كان محمد بن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي.

عن الحارث الصواف. قال: قال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

عن عمر بن محمد بن المنكدر. قال: كنت أمسك على أبي المصحف. قال: فمرت مولاة له فكلمها فضحك إليها؛ ثم أقبل يقول: إنا لله إنا لله! حتى ظننت أنه قد حدث شيء. فقلت: ما لك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها.

عن ابن زيد. قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر، وهو في الموت. قال فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى إذ إن وجهه لكأنه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك! ثم قضى رحمه الله.

عن أبي عقيل، عن محمد بن المنكدر. قال: بلغني إنّ الجبلين إذا أصبحا نادى أحدهما صاحبه يناديه باسمه. فيقول: أي فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله؟ فيقول: نعم! فيقول: لقد أقر الله عينك، لكن ما مر بي ذاكر لله عزّ وجلّ اليوم.

عن عمر بن محمد بن المنكدر. قال: بينا أنا جالس مع أبي في مسجد رسول الله ﷺ إذ مر بنا رجل يحدث الناس ويفتيهم ويقص. قال: فدعاه أبي. فقال له: يا أبا فلان إن المتكلم يخاف مقت الله عزّ وجلّ، وأن المستمع يرجو رحمة الله عزّ وجلّ.

عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر. قال: إن الله تعالى يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله. فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين ظهرانيهم.

عن سفيان. قال: صلى ابن المنكدر على رجل! فقيل له: تصلي على فلان؟ فقال: إني أستحي من الله أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه.

عن أبي معشر. قال: بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين ديناراً. ثم قال لبنيه: يا بني ما ظنكم برجل فرَّغ صفوان لعبادة ربه عزّ وجلّ؟.

عن محمد بن سوقة. قال: سمعت محمد بن المنكدر. يقول: نعم العون على تقوى الله عزّ وجلّ الغنى.

عن عثمان بن واقد. قال: قيل لمحمد بن المنكدر: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

عن سفيان بن وكيع. قال: سمعت سفيان يقول لمحمد بن المنكدر: ما بقي من لذتك؟ قال: لقاء الإخوان، وإدخال السرور عليهم.

عن أبي معشر. قال: كان محمد بن المنكدر بمنى؛ وكان سيداً يطعم الطعام ويجتمع عنده القراء.

عن محمد بن سوقة. قال: كان محمد بن المنكدر يحج وعليه دين. فقيل له: أتحج وعليك دين؟ فقال: الحج أقضى للدين.

عن سفيان، عن ابن المنكدر. قال: كان أبي يحج بالصبيان. فيقال له: أتحج بالصبيان؟ فقال: نعم أعرضهم لله تعالى.

عن سعيد بن عامر. قال: دخل أعرابي المدينة، فرأى حال بني المنكدر، وموقعهم من الناس وفضلهم، ثم خرج. فلقيه رجل فقال: كيف تركت أهل المدينة؟ قال: بخير! وإن استطعت أن تكون من آل بني المنكدر فكن منهم.

عن مالك، عن محمد بن المنكدر. قال: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان، ادخلوهم في رياض الجنة، ثم يقول للملائكة: اسمعوهم حمدي وثنائي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

عن ابن زيد. قال: قال محمد بن المنكدر: إني لليلة حذاء هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا إنسان عند أسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم! قال: فما كان إلا ساعة إذا بسحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله سبحانه.

وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير. فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه، فلما سلم الإمام تقنع وانصرف، فاتبعه ولم يجلس للقاص، حتى أتى دار أنس، فدخل موضعاً وأخرج مفتاحاً ففتح ثم دخل.

قال: ورجعت فلما سبحت أتيته، فإذا أنا أسمع نجراً في بيته

فسلمت، ثم قلت: أدخل؟ قال: ادخل! فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها! فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهدها وأعظمها مني، فلما رأيت ذلك. قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله عزّ وجلّ يا أخي؛ هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ فقال: لا! ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا عند أحد حتى أموت، ولا تأتيني يا ابن المنكدر فإنك إن تأتيني شهرتني للناس. فقلت: إني أحب أن ألقاك. قال: ألقني في المسجد وكان فارسياً.

قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل رحمه الله.

قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من ذلك الدار فلم يره ولم يدر أين ذهب. فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح.

عن ابن زيد. قال: قال ابن المنكدر: استودعني رجل مائة دينار. فقلت له: أي أخي إن احتجنا إليها أنفقناها حتى نقضيك. قال: نعم! واحتجنا إليها فأنفقناها فأتاني رسوله، فقلت: إنا قد احتجنا إليها. قال: وليس في بيتي شيء! قال: فكنت أدعو: يا رب لا تخرب أمانتي وأدها. قال: فخرجت فحين وضعت رجلي لأدخل، فإذا رجل يأخذ بمنكبي لا أعرفه، فدفع إلي صرة فيها مائة دينار، فأداها فأصبح الناس لا يدرون من أين ذلك؟ فما علموا من أين ذلك حتى مات عامر وابن المنكدر، فإذا رجل يخبر. قال: بعثني بها إليه عامر ـ يعني ابن عبد الله بن الزبير ـ فقال: ادفعها إليه ولا تذكرها حتى أموت أنا أو يموت ابن المنكدر. قال: فما ذكرتها حتى ماتا جميعاً.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال محمد بن المنكدر: الفقيه يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل؟.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال محمد بن المنكدر: لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك.

عن بشر بن المفضل. قال: جلست إلى محمد بن المنكدر فلما أراد أن يقوم. قال: أتأذن!.

❀ ❀ ❀

أسند محمد بن المنكدر عن عدة من الصحابة: منهم جابر، وأبو هريرة، وأبو قتادة، وابن عمر، وابن عباس، وأنس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

وروى عنه من التابعين جماعة: منهم الزهري، وسعد بن إبراهيم، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعد بن سعيد الأنصاري، وأبو حازم، وسهيل، وموسى بن عقبة، ويزيد الرقاشي، وعلي بن زيد بن جدعان، وأيوب السختياني، ويونس بن عبيد، ومحمد بن سوقة، وحسان بن عطية، وأبان بن تغلب.

وروى عنه من الأئمة والأعلام: ابن جريج، ومالك، ومعتمر، والثوري، وشعبة، والأوزاعي، وروح بن الهيثم، وغيرهم.

٢٣١ ـ صفوان بن سُليم

[ت١٣٢هـ]

ومنهم المجتهد الوفي، المتعبد السخي، صفوان بن سليم الزهري[١]، كان ذا جهد واغتناء، وورد واعتناء.

عن عبد العزيز بن أبي حازم. قال: عادلني صفوان بن سليم إلى مكة، فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع.

---

(١) صفوان بن سليم، يكنى أبا عبد الله، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (الصفوة).

عن سليمان بن سالم. قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي في البيت، وإذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام.

عن أنس بن عياض. قال: رأيت صفوان بن سليم، ولو قيل له غداً القيامة؛ ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة.

عن أنس بن عياض. قال: انصرف صفوان يوم فطر أو أضحى إلى منزله، ومعه صديق له، فقرب إليه خبزاً وزيتاً فجاءه سائل فوقف على الباب فقام إليه فأعطاه ديناراً.

عن ابن عيينة. قال: حج صفوان بن سليم ومعه سبعة دنانير، فاشترى بها بدنة، فقيل له: ليس معك إلا سبعة دنانير تشتري بها بدنة، قال: إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[1].

عن أبي كثير بن يحيى. قال: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وعمر بن عبد العزيز عامله عليها، قال: فصلى بالناس الظهر، ثم فتح باب المقصورة، واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة. فقال: يا عمر من هذا الرجل؟ ما رأيت سمتاً أحسن منه؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم، قال: يا غلام كيس فيه خمسمائة دينار، فأتي بكيس فيه خمسمائة دينار، فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي فوصفه للغلام حتى أثبته. قال: فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم فأقبل عليه. فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين ـ وهو ذا ينظر إليك ـ إلى أن أدفع إليك هذا الكيس فيه خمسمائة دينار. وهو يقول: استعن بهذه على زمانك وعلى عيالك. فقال: صفوان للغلام ليس أنا بالذي أرسلتَ إليه. فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى! أنا

---

(١) سورة الحج، الآية (٣٦).

صفوان بن سليم. قال: وإليك أرسلت، قال: اذهب فاستثبت فإذا استثبت فهلم. فقال الغلام: فأمسك الكيس معك، وأذهبُ. قال: لا! إن أمسكت فقد أخذت، ولكن اذهب فاستثبت وأنا ههنا جالس، فولى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة.

عن سليمان. قال: جاء رجل من أهل الشام، فقال: دلوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة. قيل له: بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنساناً، فسأل بعض إخوان صفوان صفواناً عن قصة القميص. فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة وإذا برجل عار فنزعت قميصي فكسوته.

عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن صفوان. قال: ما نهض ملك من الأرض حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

أسند صفوان عن جماعة من الصحابة ورآهم: منهم أنس، وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمرو، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وثعلبة بن مالك القرظي.

وسمع من كبار التابعين وأخذ عنهم: منهم سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله بن عمر، وحمزة بن عبد الله بن عمر، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وعطاء بن يسار، وسليمان بن يسار، ونافع بن جبير، والقاسم بن محمد، وطاووس، وعكرمة، ونافع، وذكوان أبو صالح، وغيرهم من قريش والأنصار ومواليهم.

حدث عنه من التابعين جماعة منهم: محمد بن المنكدر، وموسى بن عقبة، ومحمد بن عجلان، وزيد بن أسلم.

٢٣٢ ـ عامر بن عبد الله بن الزبير

[ت١٢٤هـ]

ومنهم الداعي العامل، الخافي العاقل، عامر بن عبد الله بن الزبير[١]. كان لمشهوده عاملاً، ولمشروعه عاقلاً.

عن مالك بن أنس. قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة، وربما سقطت عنه القطيفة ولم يشعر بها.

عن مالك بن أنس. قال: ربما خرج عامر بن عبد الله بن الزبير منصرفاً من العتمة، من مسجد رسول الله ﷺ، فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله، فيرفع يديه فما يزال كذلك حتى ينادي بالصبح، فيرجع إلى المسجد يصلي الصبح بوضوء العتمة.

عن سفيان بن عيينة، عن رجل. قال: قال عامر بن عبد الله بن الزبير: ما سألت الله تعالى حاجة سنة بعد موت أبي إلا له.

عن سفيان بن عيينة. قال: اشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله تعالى بسبع ديات.

عن معن بن عيسى. قال: سمعت أن عامر بن عبد الله ربما خرج بالبدرة فيها عشرة آلاف درهم يقسمها؛ فما يصلي العتمة ومعه منها درهم.

❁ ❁ ❁

أسند عامر بن عبد الله: عن أبيه وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

---

(١) توفي عامر سنة أربع وعشرين ومائة.

وحدث عن عدة من التابعين منهم: عمرو بن سليم، وعوف بن الحارث بن الطفيل.

وحدث عنه من التابعين جماعة منهم: عمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري. ومن الأئمة والأعلام: أبو الأسود، وعثمان بن أبي سليمان، وزياد بن سعيد، وعبد الله بن سعيد، وابن أبي هند، وربيعة بن عثمان، وعثمان بن حكيم، ومالك بن أنس، ومحمد بن أبي حميد.

٢٣٣ ـ سعد بن إبراهيم الزهري

[ت١٢٧هـ]

ومنهم فقيه العصر، وصائم الدهر، المتعبد القاري، الكاسي العاري، سعد بن إبراهيم الزهري[١].

عن مسعر بن كدام. قال: سألت سعد بن إبراهيم من أفقه أهل المدينة؟ قال: أفقههم أتقاهم.

عن سفيان. قال: كان سعد بن إبراهيم قاضياً فعزل، وكان يتقى بعد ما عزل كما يتقى وهو قاض.

عن عبيد الله بن سعد الزهري. قال: قال عمي عن أبيه. قال: سرد أبي سعد بن إبراهيم الصوم أربعين سنة.

عن عبيد الله بن سعد، ثنا عمي، عن أبيه إبراهيم بن سعد. قال: كان حزب أبي سعد من البقرة إلى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾[٢].

---

(١) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يكنى أبا إسحاق، ولي قضاء المدينة توفي بالمدينة، سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، رحمه الله تعالى (الصفوة).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١).

عن عبيد الله بن سعد، ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه. قال: كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، لم يفطر، حتى يختم القرآن، وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة، وكان كثيراً إذا أفطر يرسلني إلى مساكين يأكلون معه.

عن عبيد الله بن سعد الزهري، عن عمي، عن أبيه إبراهيم بن سعد. قال: دخل ناس من القراء على سعد بن إبراهيم يعودونه، منهم؛ ابن هرمز وصالح مولى التوأمة قال: فاغرورقت عين ابن هرمز ـ يعني من البكاء ـ فقال له سعد: ما يبكيك؟ قال: والله لكأني بقائلة غداً تقول واسعداه! قال: لئن قالت ذلك، ما أخذتني في الله لومة لائم منذ أربعين سنة، ثم قال سعد: أليس يعلم ربي عزّ وجلّ أنكم أحب خلقه إلي ـ يعني القراء ـ.

❃ ❃ ❃

أسند سعد: عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأنس بن مالك، ومحمد بن حاطب، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف. ورأى ابن عمر، وروى عن أبيه، وعن أبي سلمة، وعبيد بن عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وحفص بن عاصم، ونافع في آخرين.

وروى عنه من التابعين: يحيى بن سعيد، وأيوب السختياني. ومن الأئمة والأعلام: منصور بن المعتمر، والثوري، ومسعر، وشعبة، ومالك بن أنس.

٢٣٤ ـ محمد بن الحنفية

[ت٨١هـ]

ومنهم الإمام اللبيب، ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب،

والنصاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية، والعبارات الجلية، أبو القاسم محمد بن الحنفية[1].

عن وردان. قال: كنت في العصابة الذين ابتدروا إلى محمد بن علي بن الحنفية، وكان ابن الزبير منعه أن يدخل مكة حتى يبايعه، فأبى أن يبايعه، وأراد الشام أن يدخلها فمنعه عبد الملك بن مروان أن يدخلها حتى يبايعه فأبى. فسرنا معه ولو أمرنا بالقتال لقاتلنا معه، فجمعنا يوماً فقسم لنا فيئاً يسيراً، ثم حمد الله تعالى فأثنى عليه. وقال: الحقوا برحالكم، واتقوا الله، وعليكم بما تعرفون، ودعوا ما تنكرون، وعليكم أنفسكم، ودعوا أمر العامة، واستقروا على أمرنا كما استقرت السماء والأرض، فإن أمرنا إذا جاء كان كالشمس الضاحية.

عن أبي حمزة. قال: كنت مع محمد بن علي، فسرنا من الطائف إلى إيلة بعد موت ابن عباس، بزيادة على أربعين ليلة، وكان عبد الملك قد كتب لمحمد بن الحنفية عهداً، على أن يدخل هو وأصحابه في أرضه حتى يصطلح الناس على رجل، فلما قدم الشام بعث إليه محمد بن علي أن تؤمن أصحابي ففعل. فقام فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: الله وليّ الأمور كلها وحاكمها، ما شاء الله كان ومن لم يشأ لم يكن، إن كل ما هو آت قريب، عجلتم بالأمر قبل نزوله. والذي نفسي بيده إن في أصلابكم لمن يقاتل مع آل محمد، ما يخفى على أهل الشرك أمر آل محمد، فأمر آل محمد مستأخر، والذي نفسي بيده ليعودن فيكم كما بدا، الحمد لله الذي حقن دماءكم. من أحب منكم أن يأتي مأمنه إلى بلده آمناً محفوظاً فليفعل،

---

(١) محمد بن الحنفية، هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أمه خولة بنت جعفر بن قيس، ويقال: بل كانت أمة من سبي اليمامة.
توفي سنة إحدى وثمانين، وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع، رحمه الله، (الصفوة).

فانصرف عنه أصحابه وبقي معه تسعمائة رجل، فأحرم بعمرة وقلد هدياً فقدم مكة ـ ونحن معه ـ فلما أردنا أن ندخل مكة تلقتنا خيل ابن الزبير فمنعتنا أن ندخل، وأرسل إليه محمد بن علي لقد خرجت عنك وما أريد أن أقاتلك، ورجعت وما أريد أن أقاتلك، دعنا فلندخل لنقضي نسكنا ثم لنخرج عنك، فأبى ومنعنا الهدي، فرجع محمد بن علي إلى المدينة ورجعنا فكنا بالمدينة حتى قتل ابن الزبير، فخرج إلى مكة وخرجنا معه فنزل الشعب حتى قضينا نسكنا، وقد رأيت القمل يتناثر من محمد بن علي، فلما قضينا نسكنا رجعنا إلى المدينة، فمكث محمد بن علي ثلاث شهور ثم توفي رحمه الله.

عن منذر الثوري. قال: قال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف؛ من لا يجد بداً من معاشرته، حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

عن سعيد بن الحسين. قال: قال لي محمد بن الحنفية رحمه الله: من كف يده ولسانه وجلس في بيته؛ فإن ذنوب بني أمية أسرع عليهم من سيوف المسلمين.

عن علي بن الحسين. قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده، ويحلف له ليحملن له مائة ألف في البر، ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في درعه. وكتب إلى الحجاج أن أكتب إلى ابن الحنفية فتهدده وتواعده ثم أعلمني ما يرد عليك.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتواعده فيه بالقتل.

قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله تعالى ثلاثمائة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عزّ وجلّ إلي نظرة يمنعني بها منك.

قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب

عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم نسخته. فقال ملك الروم: ما هذا خرج منك ولا أنت كتبت به، ما خرج إلا من بيت نبوة.

عن الربيع بن المنذر، عن أبيه. قال: قال محمد بن الحنفية: يا منذر قلت: لبيك! قال: كلُّ ما لا يبتغى به وجه الله تعالى يضمحل.

عن أبي عثمان المؤذن. قال: قال محمد بن الحنفية: من كرمت عليه نفسه، لم يكن للدنيا عنده قدر.

عن ابن عيينة. قال: قال محمد بن الحنفية: إن الله تعالى جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

❁ ❁ ❁

أسند محمد بن الحنفية عن عدة من الصحابة وعامة حديثه عند أولاده.

وروى عنه: عمرو بن دينار، ومنذر الثوري، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن قيس بن مخرمة.

٢٣٥ ـ محمد بن علي الباقر

[ت١١٧هـ]

ومنهم الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر محمد بن علي الباقر[١]، كان من سلالة النبوة، وممن جمع حسب الدين والأبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات.

عن خلف بن حوشب، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال:

---

(١) محمد بن علي الباقر: أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل غير ذلك، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، رضي الله عنه (الصفوة).

الإيمان ثابت في القلوب، واليقين خطرات. فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية.

عن عمر مولى عفرة، عن محمد بن علي. أنه قال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك؛ قلَّ ذلك أو كثر.

عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي. قال: كنت جالساً عند خالي محمد بن علي وعنده يحيى بن سعيد وربيعة الرأي، إذ جاءه الحاجب فقال: هؤلاء قوم من أهل العراق، فدخل أبو إسحاق السبيعي وجابر الجعفي وعبد الله بن عطاء والحكم بن عيينة. فتحدثوا فأقبل محمد على جابر. فقال: ما يروي فقهاء أهل العراق في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1] ما البرهان؟ قال: رأى يعقوب عليه السلام عاضاً على إبهامه. فقال: لا! حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنه هم أن يحلَّ التكة، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه. فقال: أي شيء تصنعين؟ فقالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت، ثم قال: والله لا تنالينها مني أبداً، فهو البرهان الذي رأى.

عن جابر - يعني الجعفي -. قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر إني لمحزون وإني لمشتغل القلب. قلت: ولم حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر إنه من دخل قلبه صافي خالصِ دين الله شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون! هل هو إلا مركب ركبته،

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٤).

أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة. ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة الله عزّ وجلّ، ونظروا إلى الله عزّ وجلّ وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم. فأنزلِ الدنيا بمنزل نزلت به وارتحلت عنه، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته.

عن منصور، عن أبي محمد جعفر بن علي. قال: لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان.

عن سعد الإسكافي، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد.

عن سعد الإسكافي، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً.

عن الأصمعي. قال: قال محمد بن علي لابنه: يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر. إنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

عن حجاج، عن أبي جعفر. قال: أشد الأعمال ثلاثة؛ ذكر الله على كل حال، وانصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال.

عن أبي حمزة الثمالي. حدثني أبو جعفر محمد بن علي. قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، قال قلت: جعلت فداك يا أبة من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا

تصحبن فاسقاً فإنه بايعك بأكلة فما دونها. قال: قلت: يا أبة وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها. قال: قلت: يا أبة ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه. قال: قلت: يا أبة ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد. قال: قلت: يا أبة ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. قال: قلت: يا أبة ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع.

عن أبي داود. أنه سمع محمد بن علي يقول: إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص.

عن جابر، عن أبي جعفر. قال: شيعتنا من أطاع الله عزّ وجلّ.

عن عروة بن عبد الله. قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قال قلت: وتقول الصديق! قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم! الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة.

عن جابر. قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق، يزعمون أنهم يحبوننا، وينالون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم إني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عنهما.

عن شعبة الخياط مولى جابر الجعفي. قال: قال لي أبو جعفر

محمد بن علي لما ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة.

عن عبد الله بن عطاء. قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم.

عن أحمد بن محمد. قال: قال محمد بن علي: كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه. أنه كان في جوف الليل يقول: أمرتني فلم ائتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر.

عن محمد بن مسعر. قال: قال جعفر بن محمد: فقد أبي بغلة له فقال: لئن ردها الله تعالى علي لأحمدنه محامد يرضاها، فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها، فركبها فلما استوى عليها وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال: الحمد لله لم يزد عليها. فقيل له في ذلك. فقال: وهل تركت أو بقَّيت شيئاً جعلت الحمد كله لله عزّ وجلّ.

عن ابن المبارك. قال: قال محمد بن علي بن الحسين: من أعطي الخلق والرفق، فقد أعطي الخير كله والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرم الرفق والخلق، كان ذلك له سبيلاً إلى كل شر وبلية، إلا من عصمة الله تعالى.

عن عبيد الله بن الوليد. قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا! قال: فلستم بإخوان كما تزعمون.

عن القاسم بن الفضل، عن أبي جعفر. قال: أعرف المودة لك في قلب أخيك ممّا له في قلبك.

عن عمرو بن دينار. قال: قال محمد بن علي: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عزّ وجلّ فيما أحب.

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: ما من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من أن د أل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

أسند أبو جعفر محمد بن علي: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وروى عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس، وعن الحسن والحسين.

وأسند عن سعيد بن المسيب، وعبيد الله بن أبي رافع.

وروى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، وعطاء بن أبي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب. وروى عنه من الأئمة والأعلام: ليث بن أبي سليم، وابن جريج، وحجاج بن أرطاة، في آخرين.

٢٣٦ ـ جعفر بن محمد الصادق[1]

[ت١٤٨هـ]

ومنهم الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق[2]، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع.

عن عمرو بن المقدام. قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

---

(١) قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: يتبع جعفر بأبيه، وإن تأخرت طبقته عن المذكورين، إلحاقاً للفرع بالأصل، وإشفاقاً من القطع والوصل.

(٢) أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. توفي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله تعالى (الصفوة).

عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين. قال: لما قال سفيان الثوري: لا أقوم حتى تحدثني. قال له: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١١ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾[2] يا سفيان: إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده. وقال: ثلاث وأي ثلاث. قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله ولينفعنه الله بها.

عن سفيان الثوري. قال: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز دكناء وكساء خز ايرجاني. فجعلت أنظر إليه معجباً. فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا، لعلك تعجب مما رأيت. قال: قلت: يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك! فقال لي: يا ثوري كان ذلك زماناً مقفراً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقفاره واقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه عزاليه، ثم حسر عن ردن جبته وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن. فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا لله وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه.

عن محمد بن بشر. عن جعفر بن محمد. قال: أوحى الله تعالى إلى الدنيا؛ أن أخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٢) سورة نوح، الآيتان (١١ ـ ١٢).

عن الهياح بن بسطام. قال: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.

عن هشام بن عباد. قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فأتهموهم.

عن الأصمعي. قال: قال جعفر بن محمد: الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقهما، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكونن صنيعة إلا عند ذي حسب ودين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدّر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذر معيشته حرمه الله تعالى.

عن الهيثم. حدثني بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق. قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال:

يا بني، اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً، وتموت حميداً؛ يا بني، من رضي بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه.

ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه؛ يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها.

ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني، إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك.

يا بني، قل الحق لك أو عليك تستشان[1] من بين أقرانك.

يا بني، كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً.

وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإياك والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بني، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بأصول، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب.

يا بني، إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.

قال علي بن موسى: فما ترك هذه الوصية إلى أن توفى.

عن عائذ بن حبيب. قال: قال جعفر بن محمد: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.

عن نصر بن كثير. قال: دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر بن محمد. فقلت: إني أريد البيت الحرام، فعلمني شيئاً أدعو به، فقال: إذا بلغت البيت الحرام، فضع يدك على الحائط ثم قل:

---

(١) تستشان: أي تُقصد.

يا سابق الفوت، يا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت، ثم ادع بما شئت. فقال له سفيان شيئاً لم أفهمه. فقال له: يا سفيان إذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله، وإذا جاءك ما تكره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار.

عن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي. قال: وقع الذباب على المنصور فذبه عنه، فعاد فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد عليه. فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة.

عن يحيى بن الفرات. قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلا بثلاثة؛ بتعجيله، وتصغيره، وستره.

❁ ❁ ❁

أسند جعفر بن محمد رضي الله عنه عن أبيه، وعن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وعبيد الله بن أبي رافع، وعبد الرحمن بن القاسم، وغيرهم.

وروى عن جعفر عدة من التابعين: منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء، ويزيد بن عبد الله بن الهاد.

وحدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وغيرهم.

٢٣٧ ـ علي بن عبد الله بن العباس

[ت١١٧هـ]

ومنهم ناسك النساك، وقمر الأفلاك، وعنصر الأملاك، علي بن

عبد الله بن العباس[1].

عن أحمد بن محمد بن كريب. قال: كان علي بن عبد الله بن العباس يصلي في كل يوم ألف سجدة ـ يريد خمسمائة ركعة.

عن هشام بن سليمان المخزومي. أن علي بن عبد الله بن العباس كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً، عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلس علي بن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً، فإن قعد قعدوا، وإن نهض نهضوا، وإن مشى مشوا جميعاً حوله، وكان لا يرى لقرشي في المسجد الحرام مجلسُ ذكرٍ يجتمع إليه فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم.

عن جعفر بن سليمان. قال: كان علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا الحسن، فلما قدم على عبد الملك. قال له: غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي على اسمك وكنيتك. فقال: أما الاسم فلا، وأما الكنية فاكتني بأبي محمد فغير كنيته.

أسند عامة حديثه عن أبيه عبد الله بن العباس. حدث عنه من التابعين: الزهري، وسعد بن إبراهيم، ومنصور بن المعتمر، وعبد الله بن أبي بكر، والمنهال بن عمرو. وحدث عنه أولاده: محمد، وداود، وعيسى، وسليمان، وصالح.

٢٣٨ ـ محمد بن كعب القرظي

[ت١١٧هـ]

ومنهم المنفر عن دار الغرور والكرب، والمبشر بما يعقب تحمل

---

(١) أمه زرعة بنت مشرح، ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رمضان سنة أربعين فسمي باسمه، وكني بكنيته. وكان يقال له: السجاد.
توفي بالشام سنة سبع عشرة ومائة رضي الله عنه (الصفوة).

النفور والصعب، القرظي أبو حمزة محمد بن كعب[1].

عن يونس بن عبدة، عن محمد بن كعب القرظي. قال: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً، جعل فيه ثلاث خلال؛ فقهاً في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصراً بعيوبه.

عن محمد بن نصر الحارثي. قال كان محمد بن كعب يقول: الدنيا دار فناء ومنزل بلغة، رغبت عنها السعداء، وأسرعت من أيدي الأشقياء. فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها، وأسعد الناس فيها أزهد الناس بها، هي المعذبة لمن أطاعها، المهلكة لمن اتبعها، الخائنة لمن انقاد لها، علمها جهل، وغناؤها فقر، وزيادتها نقصان، وأيامها دول.

عن داود بن قيس. قال: سمعت ابن كعب يقول: إن الأرض لتبكي من رجل، وتبكي على رجل، تبكي لمن كان يعمل على ظهرها بطاعة الله تعالى، وتبكي ممن يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى، قد أثقلها. ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

عن هشام بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي. أنه سئل ما علامة الخذلان؟ قال: أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن، ويستحسن ما كان قبيحاً.

عن عبيد الله بن وهب. قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت الأرض زلزالها والقارعة، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر، أحب إلي من أن أهدر القرآن هدراً، أو قال: أنثره نثراً.

---

(١) توفي محمد بن كعب سنة سبع عشرة ومائة، رحمه الله تعالى.

(٢) سورة الدخان، الآية (٢٩).

أسند محمد بن كعب عن عدة من الصحابة منهم: زيد بن أرقم، وعبد الله بن عباس، والمغيرة بن شعبة، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن زيد الخطمي وغيرهم.

وروى عنه من التابعين؛ الحكم بن عيينة، ومحمد بن المنكدر.

٢٣٩ ـ زيد بن أسلم

ومنهم الحليم الأحلم، والسليم الأسلم، أبو أسامة زيد بن أسلم، كان بالعدل قائلاً، وبالفضل عاملاً، وعن الجهل عادلاً.

عن أبي عمر الصنعاني، عن زيد بن أسلم. قال: من يكرم الله عزّ وجلّ بطاعته، يكرمه الله بجنته، ومن يكرم الله تعالى بترك معصيته؛ أكرمه الله تعالى بأن لا يدخله النار.

وقال: استعن بالله يغنك الله عما سواه، ولا يكونن أحد أغنى بالله منك، ولا يكونن أحد أفقر إلى الله منك.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه. أنه كان يصف الرياء ويقول: ما كان من نفسك ورضيته نفسك لها فإنه من نفسك، فانهها. وما كان من نفسك فكرهته نفسك فإنه من الشيطان، فتعوذ بالله.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: كان أبي يقول: أي بني وكيف تعجبك نفسك؟ وأنت لا تشاء أن ترى من عباد الله من هو خير منك إلا رأيته، يا بني لا ترى أنك خير من أحد يقول لا إله إلا الله، حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه.

عن معمر، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة وشدد على نفسه، ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ثم مات. فقال: أي رب ما لي عندك. قال: النار، قال: يا رب

وأين عبادتي واجتهادي؟ فقيل له: إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتي.

عن أبي مسعر، عن زيد بن أسلم: أن نبياً من الأنبياء أمر قومه أن يقرضوا ربهم عزّ وجلّ. فقال رجل منهم: يا رب ليس عندي إلا تبن حماري فإن كان لك حمار علفته من تبن حماري هذا. قال فكان يدعو بذلك في صلاته. قال: فنهاه نبيه عن ذلك فأوحى الله عزّ وجلّ إليه لأي شيء نهيته؟ قد كان يضحكني في اليوم كذا وكذا مرة.

قال الشيخ رحمه الله: وزادني غيره من رواية متصلة عن النبي ﷺ مسنداً فقال: (دعه فإني إنما أجازي العباد على قدر عقولهم).

عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم. قال: يقال: إن لله عباداً مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولله تعالى عباد مغاليق للخير مفاتيح للشر.

عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري. قال: سألت زيد بن أسلم عن المستغفرين بالأسحار؟ قال: هم الذين يحضرون الصبح.

❁ ❁ ❁

أدرك زيد بن أسلم جماعة من الصحابة، وسمع من عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك.

وروى عنه من التابعين والأئمة والأعلام: الزهري، وأيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر، ومحمد بن عجلان، وروح بن القاسم، ومحمد بن إسحاق، والثوري، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وغيرهم.

٢٤٠ ـ سلمة بن دينار

ومنهم ذو الهم العازم، والخوف اللازم، سلمة بن دينار أبو

حازم[1]، كان للغوامض فاتقاً، وللعوارض رامقاً، وبمعبوده عمن سواه واثقاً.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم.

عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم. أنه قال: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، فإنك تجد الرجل يشغل نفسه بهمِّ غيره؛ حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهمِّ بهمِّ نفسه.

عن عبد الرحمن بن جرير. قال: سمعت أبا حازم يقول: عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمَّه الفتوح.

عن سفيان. قال: قال أبو حازم: ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه.

عن عبد الرحمن بن معن، عن أبي حازم. قال: يا بني لا تقتدي بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفُّ عن العيب، ولا يصلح عند الشيب.

عن إسماعيل بن داود. قال: سمعت أبا حازم يقول: لو نادى مناد من السماء بأمن أهل الأرض من دخول النار، لحق عليهم الوجل، من حضور ذلك الموقف، ومعاينة ذلك اليوم.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال أبو حازم: قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك.

---

(١) أبو حازم، مولى لقوم من بني ليث بن بكر، توفي بعد سنة أربعين ومائة في خلافة المنصور. (الصفوة).

عن محمد بن هانئ عن بعض أصحابه. قال: قال رجل لأبي حازم: إنك متشدد. فقال أبو حازم: وما لي لا أتشدد وقد ترصدني أربعة عشر عدواً؛ أما أربعة؛ فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني. وأما العشرة فمنها: الجوع والعطش والحر والبرد والعري والهرم والمرض والفقر والموت والنار. ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوى.

عن أبي داود الضرير. قال: قال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت، واعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك، إن شأنك صغير فاعرف نفسك.

عن بلال بن كعب. قال: مر أبو حازم بأبي جعفر المديني، وهو مكتئب حزين. فقال: ما لي أراك مكتئباً حزيناً، وإن شئت أخبرتك؟. قال: أخبرني ما وراءك قال: ذكرت ولدك من بعدك. قال: نعم! قال: فلا تفعل فإن كانوا لله أولياء، فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء، فلا تبال ما لقوا بعدك.

عن شعبة بن عبد الرحمن. قال: قال أبو حازم: إن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك.

عن أحمد بن عبد الرحمن بن سعد الدشتكي. قال: سمعت أبي يقول: قال أبو حازم عيشنا عيش الملوك، وديننا دين الملائكة.

عن عبد الرحمن بن زيد. قال: قال ابن المنكدر لأبي حازم: يا أبا حازم ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم وما صنعت إليهم خيراً قط.

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي

ذلك من قبله فاشكره. وقرأ ابن زيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾[1].

عن إبراهيم بن أدهم، عن أبي حازم المديني، قال: أفضل خصلة ترجى للمؤمن، أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم.

عن يحيى بن أبي كثير. قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجاً. فقال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم! أبو حازم. فأرسل إليه فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني. قال: والله ما عرفتني قبل هذا، ولا أنا رأيتك، فأي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلى الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا.

فقال: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب. قال: صدقت.

فقال: يا أبا حازم ليت شعري، ما لنا عند الله تعالى غداً؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عزّ وجلّ. قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾[2] قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: ﴿قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]. قال سليمان: ليت شعري كيف العرض على الله غداً؟ قال أبو حازم: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء كالآبق يقدم به على مولاه.

---

(١) سورة مريم، الآية (٩٦).
(٢) سورة الانفطار، الآيتان (١٣ ـ ١٤).
(٣) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتد بكاؤه.

فقال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون عنكم الصلف وتمسكوا بالمروءة، وتقسموا بالسوية وتعدلوا في القضية. قال: يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك؟ قال: تأخذه بحقه وتضعه بحقه في أهله.

قال: يا أبا حازم من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهى. قال: فما أعدل العدل؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين. قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها منّ ولا أذى.

قال: يا أبا حازم من أكيس الناس؟ قال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها، ثم دل الناس عليها. قال: فمن أحمق الخلق؟ قال: رجل اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه.

قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا! قال: ولم؟ قال: إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصيراً.

قال: يا أبا حازم ارفع إلي حاجتك، قال: نعم! تدخلني الجنة وتخرجني من النار. قال: ليس ذاك إلي. قال: فما لي حاجة سواها.

قال: يا أبا حازم فادع الله لي، قال: نعم! اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى. قال سليمان: قط. قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله، فما حاجتك أن ترمي عن قوس ليس لها وتر؟

قال سليمان: يا أبا حازم، ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو

تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: بل نصيحة تلقيها إلي. قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر، فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم؟ فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت. قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1].

قال: يا أبا حازم أوصني. قال: نعم! سوف أوصيك وأوجز، نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

ثم قام فلما ولى. قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقها ولك عندي أمثالها كثير. فرمى بها وقال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟ إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً، وردي عليك بذلاً، إن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2]. فسأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ، ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تفطن الرعاة لما فطنتا إليه، فأتيا أباهما وهو شعيب عليه السلام، فأخبرتاه خبره. قال شعيب: ينبغي أن يكون هذا جائعاً، ثم قال لإحداهما: اذهبي ادعيه، فلما أتته أعظمته وغطت وجهها ثم قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك فلما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾[3]. كره موسى عليه السلام ذلك، وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بداً من أن يتبعها، لأنه كان في أرض مسبعة وخوف، فخرج معها، وكانت امرأة ذات عجز فكانت الرياح تصرف ثوبها فتصف لموسى عليه السلام عجزها، فيغض مرة ويعرض أخرى. فقال: يا أمة الله كوني خلفي

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨٧).

(٢) سورة القصص، الآية (٢٤).

(٣) سورة القصص، الآية (٢٥).

فدخل موسى إلى شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ. فقال: كلْ فقال موسى عليه السلام: لا! قال شعيب: ألست جائعاً؟ قال: بلى، ولكني من أهل بيت لا يبيعون شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، أخشى أن يكون هذا أجر ما سقيت لهما. قال شعيب عليه السلام: لا، يا شاب ولكن هذا عادتي وعادة آبائي، قرى الضيف وإطعام الطعام. قال: فجلس موسى عليه السلام فأكل.

فإن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل منه، وإن كان من مال المسلمين فلي فيها شركاء ونظراء إن وازيتهم، وإلا فلا حاجة لي فيها، إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا ونفسوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت، كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم، ويشاركونهم في دنياهم وشركوا معهم في قتلهم.

قال ابن شهاب: يا أبا حازم إياي تعني؟ أو بي تعرض؟ قال: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع.

قال سليمان: يا ابن شهاب تعرفه قال: نعم! جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط.

قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببت الله تعالى لأحببتني.

قال ابن شهاب: يا أبا حازم تشتمني؟ قال سليمان: ما شتمك، ولكن شتمتك نفسك، أما علمت أن للجار على الجار حقاً كحق القرابة؟

فلما ذهب أبو حازم. قال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين تحب أن يكون الناس كلهم مثل أبي حازم قال: لا.

عن إبراهيم. قال: كتب سليمان إلى أبي حازم، ارفع إلي حاجتك. قال: هيهات، رفعت حاجتي إلى من لا يختزن الحوائج، فما أعطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

عن سفيان. قال: قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين، فشيئاً هو لي وشيئاً لغيري. فأما ما كان لغيري فلو طلبته بحيلة السماوات والأرض لم أصل إليه، فيمنع رزق غيري مني كما يمنع رزقي من غيري.

عن ابن عيينة. قال: سمعت أبا حازم يقول: إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك.

عن زيد بن أسلم. قال: كنت مع أبي حازم في الصائفة فأرسل عبد الرحمن بن خالد إلى أبي حازم أن ائتنا حتى نسائلك وتحدثنا. فقال أبو حازم: معاذ الله، أدركت أهل العلم لا يحملون الدين إلى أهل الدنيا، فلن أكون بأول من فعل ذلك، فإن كان لك حاجة فأبلغنا. فتصدى له عبد الرحمن وسأل منه وقال له: لقد ازددت علينا بهذا كرامة.

عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم. قال: انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثَمَّ فاتركه اليوم.

عن ثوابة بن رافع. قال: قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأماني.

عن يعقوب بن عبد الرحمن. عن أبي حازم. قال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

عن محمد بن مطرف. عن أبي حازم. قال: لا يحسن عبد فيما

بينه وبين الله تعالى إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يعور فيما بينه وبين الله تعالى إلا عور الله فيما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها. إنك إذا صانعت الله مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنئتك الوجوه كلها.

عن أبي حازم أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك، إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء.

عن أبي الحسن المدايني. قال: قال أبو حازم: من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلوى.

عن محمد بن مطرف. قال: قال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك، إلا وقد ألزق به شيء يسوءك.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال أبو حازم: أكتم حسناتك، أشد مما تكتم سيئاتك.

عن يحيى بن سليم. قال: قال أبو حازم: ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال أبو حازم: إنما السلطان سوق فما نفق عنده أُتِيَ به.

عن ابن عيينة. قال: دخل أبو حازم على أمير المدينة فقال له: تكلم. فقال له: انظر الناس ببابك إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير.

عن محمد بن يحيى المازني. قال: قال أبو حازم: رضي الناس من العمل بالعلم، ومن الفعل بالقول.

عن ابن عيينة. قال: قال أبو حازم: إني لأعظ وما أرى للموعظة موضعاً، وما أريد بذلك إلا نفسي.

عن يعقوب بن عبد الرحمن. قال: قال أبو حازم: شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة، ولا أطول عليك. قيل: وما هما؟ قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عزّ وجلّ.

عن محمد بن مطرف. قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت. فقلنا: يا أبا حازم كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير راجياً حسن الظن به، ثم قال: إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال أبو حازم: إني لأستحي من ربي عزّ وجلّ أن أسأله شيئاً، فأكون كالأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، ولكني أعمل تعظيماً له.

عن عبيد الله بن عمر، عن أبي حازم. قال: لا تكون عالماً حتى يكون فيك ثلاث خصال؛ لا تبغي على من فوقك، ولا تحتقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

عن عبد العزيز بن أبي حازم. قال: سمعت أبي يقول: إن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم منهم من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه؛ حتى إذا كان هذا الزمان فهلك الناس.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني. قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي

الدنيا. فقال لي: اعلم يا ابن أخي، إن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي؛ لأن الله عزّ وجلّ قد حبب هذه الدنيا إلينا. ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها.

❁ ❁ ❁

عن الذيال بن عباد. قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، ورحمك من النار. فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك؛ بما أصح من بدنك وأطال من عمرك، وعلمت حجج الله تعالى مما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وفهمك من سنة نبيك ﷺ. فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك، الغرض الأقصى. ابتلى في ذلك شكرك، وأبدى فيه فضله عليك. وقد قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

انظر أي رجل تكون، إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ؟ فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها، وعن حججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغرير، ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس كذلك! أخذ على العلماء في كتابه إذ قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2] الآية.

إنك تقول: إنك جدل! ماهر عالم، قد جادلت الناس فجدلتهم، وخاصمتهم فخصمتهم، ادلالاً منك بفهمك، واقتداراً منك برأيك،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨٧).

فأين تذهب عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(١) الآية.

اعلم، إن أدنى ما ارتكبت، وأعظم ما احتقبت، أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك؛ حين أدنيت، وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غداً مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لا يردّ على أحد حقاً، ولا ترك باطلاً حين أدناك، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسلماً إلى ضلالتهم وداعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم. يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم تبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم.

فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك.

فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول. وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

ما لك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك، فتقول: والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحي له فيه ديناً، ولا أميت له فيه باطلاً، إنما شكرك لمن استحملك كتابه، واستودعك علمه. ما يؤمنك أن تكون

(١) سورة النساء، الآية (١٠٩).

من الذين قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾[1] الآية.

إنك لست في دار مقام؟ قد أوذنت بالرحيل! ما بقاء المرء بعد أقرانه. طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل! يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن تردفه على ظهرك. ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت، وتخلص فقد أدهيت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب. فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه؟ أو علمك شيئاً جهلوه؟ بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلوا، وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك. ولكنهم إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك ذهاب عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٦٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٥).

عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه؛ الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ: (إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة). فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١). وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه، ومقة يقذفها الله في قلوبهم لهم، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٢).

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه في دينه، مقتوراً عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه، وظهور جلده، وكمال شهوته، فعنى بذلك دهره، حتى إذا كبر سنه، ورق عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته، فتحت عليه الدنيا شر فتوح، فلزمته تبعتها، وعلقته فتنتها، وأعشت عينيه زهرتها، وصفت لغيره منفعتها، فسبحان الله ما أبين هذا الغبن، وأخسر هذا الأمر.

فهلا إذ عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه في كتابه إلى سعد ـ حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد ـ: أما بعد فأعرض عن زهرة ما أنت فيه،

---

(١) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

(٢) سورة المجادلة، الآية (١٩).

حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا. فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك. فمن يلوم الحدث في سنه، والجاهل في علمه، المأفون في رأيه المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نحتسب عند الله مصيبتنا، ونشكو إليه بثنا، وما نرى منك ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أسند أبو حازم: عن سهل بن سعد الساعدي وسمع منه، وعن ابن عمر، وأنس بن مالك، وقيل إنه رأى أبا هريرة. وسمع من سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وغيرهم.

وروى عنه من التابعين عدة: منهم عبيد الله بن عمر العمري، وعمارة بن غزية، ومحمد بن عجلان، وسعيد بن أبي هلال. وحدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك، والثوري والحمادان، وابن عيينة، ومعمر، وغيرهم.

٢٤١ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن

[ت١٣٦هـ]

ومنهم صاحب المعارف والبيان، والمحارف والقربان، ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو عثمان[١].

---

(١) اسم أبي عبد الرحمن: فروخ، مولى آل المنكدر.

وقد عرف ربيعة بـ «ربيعة الرأي».

توفي بالأنبار، وقيل: بل رجع إلى المدينة فمات بها، وذلك سنة ست وثلاثين ومائة. (الصفوة).

عن سفيان. قال: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً جالساً فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا.

عن عمارة بن غزية. قال: سمعت رجلاً سأل ربيعة فقال: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها، ووضعها في حقها.

عن ابن وهب. قال: سمعت مالك بن أنس فذكر فضل ربيعة. قال: لما قدم ربيعة على أمير المؤمنين أبي العباس، أمر له بجائزة، فأبى أن يقبلها، فأمر له بخمسة آلاف درهم يشتري بها جارية فأبى أن يقبلها.

عن سليمان بن بلال، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ أن رجلاً قال له: انعت لي أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما. فقال ربيعة: ما أدري كيف أنعتهما لك؟ أما هما فقد سبقا من كان معهما، وأتعبا من كان بعدهما.

عن أنس بن عياض؛ أن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وقف على قوم، وهم يتذاكرون شأن القدر. فقال: لئن كنتم صادقين - وأعوذ بالله أن تكونوا صادقين - لما في أيديكم، أعظم مما في يدي ربكم إن كان الخير والشر بأيديكم.

عن أنس بن عياض؛ أن غيلان وقف على ربيعة فقال: يا ربيعة أنت الذي تزعم أن الله عزّ وجلّ يحب أن يعصى؟ قال: ويلك يا غيلان أفأنت الذي تزعم أن الله يعصى قسراً؟.

عن مالك. قال: قال لي ربيعة: - حين أراد أن يذهب إلى العراق - يا أبا عبد الله اكتب لي مائة حديث من عيون أحاديثكم،

قال: قلت له: أتريد أن تحدث بها بالعراق؟ قال فقال: إذا بلغك أني أحدث بالعراق فاعلم أني مجنون.

عن مالك، عن ربيعة. قال: قال لي ابن خلدة الزرقي: إني أرى الناس قد ملكوك أمر أنفسهم، فإذا سألت عن المسألة فاطلب الخلاص منها لنفسك، ثم للذي سألك.

عن الليث بن سعد. قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن. وعليّ جبة نارانجية، فقلت له: يا أبا عثمان لو أصلحت من لسانك!. فقال: يا أبا الحارث لأن ألحن كذا وكذا لحنة، أحب إلي من أن ألبس مثل جبتك هذه.

عن العلاء بن كثير، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ أنه مر بمالك بن أنس فقال: يا مالك ما أقول لك نفاسة! إنه بلغني أنه سيكون في هذه الأمة أئمة في الدين، يضلون ويضلون فاتق الله أن تكون منهم.

عن يونس بن يزيد. قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه.

❊ ❊ ❊

أسند ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عدة من الصحابة: عن أنس بن مالك وسمع منه، والسائب بن يزيد. وحدث عن سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وسعيد بن يسار أبي الحباب، وعطاء بن يسار، وغيرهم.

وروى عنه من التابعين: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأخوه عبد ربه بن سعيد. ومن الأئمة والأعلام: نافع بن أبي نعيم، ومالك بن أنس، والثوري، وغيرهم.

فهرس الجزء الأول من كتاب تهذيب حلية الأولياء

مسلسل	المترجم له	الصفحة
١٥ -	عاصم بن ثابت	١٠٥
١٦ -	خبيب بن عدي	١٠٦
١٧ -	جعفر بن أبي طالب	١٠٨
١٨ -	عبد الله بن رواحة	١١١
١٩ -	أنس بن النضر	١١٤
٢٠ -	عبد الله ذو البجادين	١١٥
٢١ -	عبد الله بن مسعود	١١٥
٢٢ -	عمار بن ياسر	١٢٥
٢٣ -	خباب بن الأرت	١٢٧
٢٤ -	بلال بن رباح	١٣٠
٢٥ -	صهيب بن سنان	١٣٢
٢٦ -	أبو ذر الغفاري	١٣٤
٢٧ -	عتبة بن غزوان	١٤٦
٢٨ -	المقداد بن الأسود	١٤٧
٢٩ -	سالم مولى أبي حذيفة	١٥١
٣٠ -	عامر بن ربيعة	١٥٢
٣١ -	ثوبان مولى رسول الله ﷺ	١٥٣
٣٢ -	رافع مولى رسول الله ﷺ	١٥٣
٣٣ -	أسلم أبو رافع مولى رسول الله ﷺ	١٥٤
٣٤ -	سلمان الفارسي	١٥٤
٣٥ -	أبو الدرداء	١٦٦
٣٦ -	معاذ بن جبل	١٨٠
٣٧ -	سعيد بن عامر	١٩٠
٣٨ -	عمير بن سعد	١٩٣
٣٩ -	أبي بن كعب	١٩٦
٤٠ -	أبو موسى الأشعري	١٩٨
٤١ -	شداد بن أوس	٢٠٢
٤٢ -	حذيفة بن اليمان	٢٠٤

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة
٩٧ ـ	عباد بن خالد الغفاري	٢٥٦
٩٨ ـ	عمرو بن عوف المزني	٢٥٦
٩٩ ـ	عمرو بن تغلب	٢٥٧
١٠٠ ـ	عويم بن ساعدة الأنصاري	٢٥٧
١٠١ ـ	عبيد مولى رسول الله ﷺ	٢٥٧
١٠٢ ـ	عكاشة بن محصن الأسدي	٢٥٧
١٠٣ ـ	العرباض بن سارية	٢٥٧
١٠٤ ـ	عبد الله بن حبشي الخثعمي	٢٥٨
١٠٥ ـ	عتبة بن عبد الله السلمي	٢٥٨
١٠٦ ـ	عتبة بن الندر السلمي	٢٥٨
١٠٧ ـ	عمرو بن عبسة السلمي	٢٥٨
١٠٨ ـ	عبادة بن قرص	٢٥٨
١٠٩ ـ	عياض بن حمار المجاشعي	٢٥٩
١١٠ ـ	فضالة بن عبيد الأنصاري	٢٥٩
١١١ ـ	فرات بن حيان العجلي	٢٥٩
١١٢ ـ	أبو فراس الأسلمي	٢٦٠
١١٣ ـ	قرة بن إياس أبو معاوية	٢٦٠
١١٤ ـ	كناز بن الحصين أبو مرثد الغنوي	٢٦٠
١١٥ ـ	كعب بن عمرو	٢٦٠
١١٦ ـ	أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ	٢٦٠
١١٧ ـ	مسطح بن أثاثة	٢٦٠
١١٨ ـ	مسعود بن الربيع القاري	٢٦١
١١٩ ـ	معاذ أبو حليمة القارئ	٢٦١
١٢٠ ـ	واثلة بن الأسقع	٢٦١
١٢١ ـ	وابصة بن معبد الجهني	٢٦٢
١٢٢ ـ	هلال مولى المغيرة بن شعبة	٢٦٢
١٢٣ ـ	يسار أبو فكيهة	٢٦٣

مسلسل	المترجم له	الصفحة
	كلمة المؤلف عن أبي عبد الرحمن السلمي وعن أبي سعيد بن الأعرابي وتأليفهما في طبقات وتراجم الصوفية ...	٢٦٣
١٢٤ -	بشير بن معبد الخصاصية	٢٦٤
١٢٥ -	أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ	٢٦٤
١٢٦ -	أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ	٢٦٤
١٢٧ -	أبو ريحانة شمعون الأزدي	٢٦٤
١٢٨ -	أبو ثعلبة الخشني	٢٦٤
١٢٩ -	ربيعة بن كعب الأسلمي	٢٦٤
١٣٠ -	نضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي	٢٦٥
١٣١ -	معاوية بن الحكم السلمي	٢٦٥
	كلمة المؤلف عمن كان يزور الصفة	٢٦٦
١٣٢ -	الحسن بن علي	٢٦٧
	الفصل الثالث: ذكر بعض الصحابيات	
١٣٣ -	فاطمة بنت رسول الله ﷺ	٢٧٠
١٣٤ -	عائشة بنت أبي بكر	٢٧١
١٣٥ -	حفصة بنت عمر	٢٧٤
١٣٦ -	زينب بنت جحش	٢٧٤
١٣٧ -	صفية زوج رسول الله ﷺ	٢٧٦
١٣٨ -	أسماء بنت أبي بكر	٢٧٧
١٣٩ -	الرميصاء أم سليم	٢٧٨
١٤٠ -	أم حرام بنت ملحان	٢٨٠
١٤١ -	أم ورقة الأنصارية	٢٨٠
١٤٢ -	أم سليط الأنصارية	٢٨١
١٤٣ -	خولة بنت قيس	٢٨١
١٤٤ -	أم عمارة	٢٨٢
١٤٥ -	الحولاء بنت تويت	٢٨٢
١٤٦ -	أم شريك الأسدية	٢٨٣
١٤٧ -	أم أيمن	٢٨٤
١٤٨ -	يسيرة المهاجرة	٢٨٤

الباب الثاني
ذكر التابعين

الفصل الأول: الزهاد الثمانية

الفصل الثاني: الفقهاء السبعة

الفصل الثالث: ذكر التابعين من أهل البصرة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة



وطبقات الأصفياء

للحافظ أبي نعيم الأصبهاني

٣٣٦ - ٤٣٠ هـ

إعداد

صالح أحمد الشامي

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

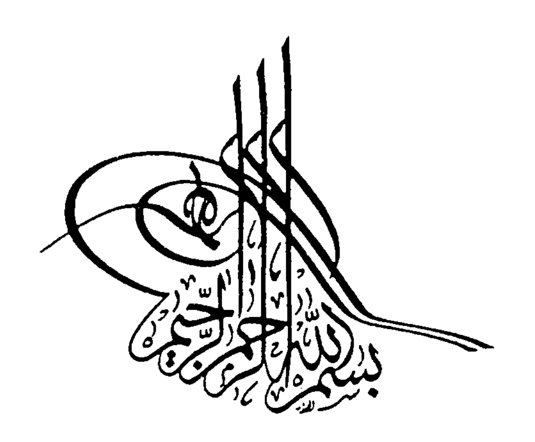
الطبعة الأولى

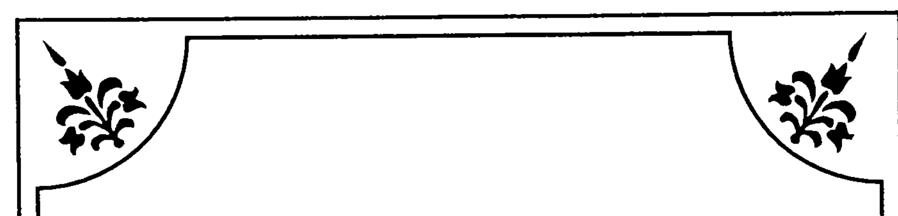
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥


تهذيب
حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء
الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم



تتمة

الباب الثاني

ذكر التابعين ومن بعدهم





الفصل الخامس
ذكر طبقة من تابعي أهل مكة

٢٤٢ ـ عبيد بن عمير

ومن تابعي أهل مكة، الواعظ الصغير، العابد الضمير، أبو عاصم عبيد بن عمير، كان بذكر الله لهجاً، وبنعم الله عليه بهجاً، وعن ذكر من سوى الله حرجاً.

عن مجاهد. قال: كنا نفخر بفقيهنا، ونفخر بقارئنا، فأما فقيهنا فابن عباس، وأما قارئنا فعبيد بن عمير.

عن مجاهد، عن ابن عباس؛ أنه دخل المسجد وعبيد بن عمير يقص. فقال لقائده: اذهب بي نحوه، فجاء حتى قام على رأسه. فقال: أبا عاصم، ذكر بالله وذكر الله.

عن ثابت، قال: قال عبيد بن عمير: إن أعظمكم الليل أن تساهروه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وعجزتم عن العدو أن تقاتلوه، فعليكم بسبحان الله وبحمده! والذي نفسي بيده لهما أحب إلى الله تعالى من جبلي ذهب وفضة.

عن عبد الله بن عبيد بن عمير. قال: قال أبي عبيد بن عمير: إن الله لم يذكر شيئاً نسيه إن يكن الله نسي شيئاً، ما قال الله فهو كما قال الله تعالى، وما قال رسول الله فهو كما قال رسول الله ﷺ قال: فما تركه ولم يقله وتركه رسول الله فلم يقله، فبعفو الله وبرحمته ذروه، ولا تبحثوا عنه.

عن عبيد بن عمير. قال: آثروا الحياء من الله، على الحياء من الناس.

عن عبد الله بن عبيد بن عمير. قال: كان إذا دخل عبيد بن عمير المسجد وقد غابت الشمس فسمع النداء. قال: اللهم إني أسألك عند حضور إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وقيام دعاتك، وحضور صلاتك، أن تغفر لي وترحمني، وأن تجيرني من النار. وإذا أصبح قال مثل ذلك قبل أن يصلي الفجر.

عن عاصم عن رجل عن عبيد بن عمير. قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص له من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة به فقال: يا فلان إنه نزل بي كذا وكذا وإني أحب أن تعينني. قال: ما أنا بالذي أفعل. فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا وأنا أحب أن تعينني: قال: فأنطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك. قال: فانطلق إلى أخص الثلاثة. فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا فأنا أحب أن تعينني. قال: أنا أذهب معك حيث ذهبت، وأدخل معك حيث دخلت.

قال: فالأول ماله خلفه في أهله ولم يتبعه منه شيء، والثاني أهله وعشيرته ذهبوا معه إلى قبره ثم رجعوا وتركوه، والثالث هو عمله وهو معه حيث ما ذهب ويدخل معه حيث ما دخل.

عن مجاهد، عن عبيد بن عمير. قال: ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن مضى.

عن مجاهد، عن عبيد بن عمير. قال: إن الدنيا هينة على الله تعالى أن يعطيها من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب.

عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه. قال: يجعل للقبر لساناً ينطق به فيقول: يا ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة! وبيت الدود! وبيت الوحشة! وبيت الوحدة.

عن قيس بن سعد، عن عبيد بن عمير. قال: إن أهل القبور ليتلقون الميت كما يتلقى الراكب، يسائلونه، فإذا سألوه ما فعل فلان؟ ممن قد مات. فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية.

عن عبيد الله بن هبيرة، عن عبيد بن عمير. قال: ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول وعمل.

عن عبد الكريم بن أمية، عن عبيد بن عمير. قال: إن الله يبغض القاري، إذا كان لباساً ركاباً ولاجاً خراجاً.

عن أبي راشد، عن عبيد بن عمير. قال: كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس، فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً. فقال: يا عبد الله من أدخلك داري بغير إذني؟ قال: دخلتها بإذن ربها قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذه خليلاً. قال: ومن هو؟ فوالله لئن أخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لآتينه، ثم لا أبرح له خادماً حتى يفرق بيننا الموت. قال: ذاك العبد أنت هو! قال: أنا؟ قال: نعم! أنت. قال: فيم اتخذني ربي خليلاً؟ قال: إنك تعطي الناس ولا تسألهم.

❁ ❁ ❁

أسند عبيد بن عمير، عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، منهم: أُبي بن كعب، وأبو ذر، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو عمير بن قتادة، وعائشة، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

أسند عنه من التابعين عدة؛ منهم: مجاهد، وعطاء، وأبو الزبير، ووهب بن كيسان، وأبو حازم، وأبو سفيان.

٢٤٣ ـ مجاهد بن جبر

[ت١٠٢هـ]

ومنهم العالم الحبر، ذو الأحلام والصبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر[1]، صاحب التأويل والتفسير، والأقاويل والتذكير.

عن ليث، عن مجاهد. قال: من أعز نفسه أذل دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه.

عن أبان بن صالح، عن مجاهد. قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية، أسأله فيما نزلت، وكيف كانت؟.

عن ليث، عن مجاهد. قال: ذهبت العلماء، فما بقي إلا المتعلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم.

عن ليث، عن مجاهد. قال: إن المسلم لو لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه.

عن ليث بن أبي سليم. قال: كان مجاهد يقول: الفقيه من يخاف الله عزّ وجلّ.

عن ليث، عن مجاهد. قال: إن العبد إذا أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله عزّ وجلّ بقلوب المؤمنين إليه.

---

(١) توفي مجاهد بمكة وهو ساجد سنة اثنتين ومائة، أو ثلاث ومائة أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله (الصفوة).

عن ليث، عن مجاهد. قال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

عن إسماعيل بن كثير، عن مجاهد. قال: لابن آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك مثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورته، أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك.

عن زبيد، عن مجاهد. قال إبليس: إن يعجزني ابن آدم فلن يعجزني من ثلاث خصال؛ أخذ مال بغير حقه، وإضاعة إنفاقه في غير حقه، ومنعه عن حقه.

عن زبيد، عن مجاهد. قال: لم ير إبليس ابن آدم ساجداً قط إلا التطم ودعا بالويل، ثم يقول: أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار.

عن الأعمش، عن مجاهد. قال: ما من يوم يمضي من الدنيا إلا قال: الحمد لله الذي أخرجني من الدنيا فلا أعود إليها أبداً.

عن حميد الأعرج، عن مجاهد. قال: كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي، قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق.

عن عبيد الله بن عمر، عن مجاهد. قال: صحبت ابن عمر، وإني أريد أن أخدمه، فكان هو يخدمني.

عن مجاهد. قال: مررت مع ابن عمر على خربة. فقال: يا مجاهد، ناد يا خربة، ما فعل أهلك، أين أهلك؟ قال: فناديت. فقال ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالهم.

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. قال: إن هذا العلم لا يتعلمه مستح ولا متكبر.

عن ليث، عن مجاهد. قال: يؤتى بثلاثة نفر يوم القيامة؛ بالغني وبالمريض والعبد.

فيقول للغني: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: أكثرت لي من المال فطغيت، فيؤتى بسليمان بن داود عليه السلام في ملكه فيقال له: أنت كنت أشد شغلاً أم هذا؟ قال: بل هذا، قال: فإن هذا لم يمنعه شغله عن عبادتي.

قال: فيؤتى بالمريض فيقول: ما منعك عن عبادتي؟ قال: يا رب أشغلت علي جسدي. قال: فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضره فيقول له: أنت كنت أشد ضراً أم هذا؟ قال فيقول: لا بل هذا، قال: فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني.

قال: ثم يؤتى بالمملوك فيقال له: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: جعلت علي أرباباً يملكونني، قال: فيؤتى بيوسف الصديق عليه السلام في عبوديته فيقال: أنت أشد عبودية أم هذا؟ قال: لا، بل هذا، قال: فإن هذا لم يشغله شيء عن عبادتي.

عن عمر بن ذر. قال: قال مجاهد: ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه، أتاه ملك الموت. فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد. قال: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة. فيقول: ما كان هذا ظني؟ فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي، فيقول: خلوا سبيله.

٢٤٤ ـ عطاء بن أبي رباح

[ت١١٥هـ]

ومنهم فقيه الحرم والبطاح، مفترش الجنبين وأطراح، أبو محمد عطاء بن أبي رباح[(١)].

عن ابن جريج. قال: كان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح عشرين سنة.

عن ابن جريج. قال: كان عطاء بعد ما كبر وضعف، يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

عن معاذ بن سعد الأعور. قال: كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه. فغضب وقال: ما هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به، فأريه أني لا أحسن شيئاً منه.

عن عمرو بن سعيد، عن أبيه. قال: قدم ابن عمر مكة فسألوه. فقال: تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح؟.

عن أسلم المنقري. قال: كنت جالساً مع أبي جعفر فمر عليه عطاء، فقال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء بن أبي رباح. سمعت سليمان بن أحمد يقول سمعت أحمد بن محمد الشافعي يقول: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام

---

(١) واسم أبي رباح: أسلم، كان عطاء من مولدي الجند، نشأ بمكة، وهو مولى آل أبي ميسرة الفهري.

مات عطاء بمكة في سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة رحمه الله (الصفوة).

عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد. قال: لو أن رجلاً أنفق مثل أحد في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين.

عن الأعمش، عن مجاهد. قال: ما أدري أي النعمتين أفضل؟ أن هداني للإسلام؟ أو عافاني من الأهواء.

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. قال: من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين.

عن قيس بن سعد، أنه سمع مجاهداً يقول: ما من يوم إلا يقول: ابنَ آدم قد دخلت عليك اليوم، ولم أرجع بعد اليوم، فانظر ما تعمل في، ولا ليلة إلا قالت كذلك.

عن الأعمش، عن مجاهد. قال: كان بالمدينة أهل بيت ذو حاجة عندهم رأس شاة، فأصابوا شيئاً. فقالوا: لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا. قال: فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم.

عن عبد الكريم، عن مجاهد. قال: ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

أسند مجاهد عن عدة من علماء الصحابة وأعلامهم: منهم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، ورافع بن خديج، وغيرهم.

وحدث عنه علماء التابعين وعلماء الأمصار: طاووس، وعطاء، وعكرمة، وأبو سعيد، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير، ومن الكوفيين: الحكم، وغيرهم.

لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح.

عن سلمة بن كهيل. قال: ما رأيت أحداً يطلب بعلمه ما عند الله تعالى إلا ثلاثة؛ عطاء، وطاووساً، ومجاهداً.

عن عمر بن ذر. قال: ما رأيت قط مثل عطاء، وما رأيت على عطاء قميصاً قط، وما رأيت عليه ثوباً يسوي خمسة دراهم.

عن جريج. قال: رأيت عطاء يطوف بالبيت. فقال لقائده: أمسكوا واحفظوا عني خمساً؛ القدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى، ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون، حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال إسماعيل بن أمية: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد.

عن أبي هزان. قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: من جلس مجلس ذكر، كفَّر الله عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل.

قال أبو هزان: قلت لعطاء: ما مجلس الذكر؟ قال: مجلس الحلال والحرام، وكيف تصلي؟ وكيف تصوم؟ وكيف تنكح؟ وكيف تطلق وتبيع وتشتري؟.

عن أبي بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح. قال: ما قال عبد قط: يا رب يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه. قال: فذكرت ذلك للحسن فقال: أما تقرؤون القرآن؟ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا

﴿تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[1].

عن عمر بن الورد. قال: قال لي عطاء: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل.

عن أبي إسماعيل الكوفي. قال: سألت عطاء بن أبي رباح عن شيء فأجابني، فقلت له: عمن ذا؟ فقال: ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الإسناد.

عن أبي حنيفة. قال: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء. فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم! قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً بذنب. فقال لي عطاء: عرفت فالزم.

عن عبد الله بن حسان. قال: قيل لعطاء: ما أفضل ما أعطى العباد؟ قال: العقل عن الله عزّ وجلّ وهو المعرفة بالدين.

❁ ❁ ❁

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وسمع ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وزيد بن خالد الجهني.

وروى عنه من التابعين عدة؛ عمرو بن دينار، والزهري، وأبو الزبير، وقتادة، ومالك بن دينار، ويحيى بن أبي كثير، وجابر الجعفي، وأيوب السختياني، وإسماعيل السري، وحبيب بن أبي ثابت، والأعمش، ومن الأعلام والأئمة من لا يحصون.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان (١٩٣ - ١٩٤).

٢٤٥ ـ عكرمة مولى ابن عباس

[ت١٠٤هـ]

ومنهم مفسر الآيات المحكمة، ومنور الروايات المبهمة، أبو عبد الله مولى ابن عباس عكرمة[١]، كان في البلاد جوالاً، ومن علمه للعباد بذالاً.

عن الزبير بن الحارث، عن عكرمة. قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن.

عن حبيب بن أبي ثابت. قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً؛ عطاء، وطاووس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفذ ما عندهما. جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا، وأنزلت آية كذا في كذا، قال: ثم دخلوا الحمام ليلاً.

عن عمرو. قال: سمعت جابر بن زيد يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس.

عن الشعبي. قال: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة.

عن سماك بن حرب. قال: سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

---

(١) مات ابن عباس وهو عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة، فأتى علياً فقال: بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار؟ فراح علي إلى خالد فاستقاله، فأقاله، فأعتقه.
مات عكرمة سنة أربع ومائة. وقيل غير ذلك، وهو ابن ثمانين سنة رحمه الله. (الصفوة).

عن أيوب. قال: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن. فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع.

عن أيوب. قال: قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى أصعد فوق ظهر بيت.

عن إبراهيم، عن أبيه. حدثني رجل من أهل المدينة. قال: مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتهما. فقال الناس: مات أفقه الناس، وأشعر الناس.

عن عكرمة. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لي: انطلق فأفت الناس، فمن سألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عني ثلثي مؤونة الناس.

عن عمرو. قال: كنت إذا سمعت من عكرمة يحدث عن المغازي، كأنه مشرف عليهم، ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون.

عن أيوب. قال: كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق، قال: فأتي - يعني سوق البصرة - فإذا رجل على حمار، فقيل لي هذا عكرمة. قال: واجتمع الناس إليه فقمت إليه فما قدرت على شيء أسأله عنه، ذهبت المسائل مني. فقمت إلى جنب حماره. قال: فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ.

عن خالد الحذاء. قال: قال عكرمة لرجل وهو يسأله: ما لك أجبلت؟ قال شعبة: ثم حدثني أيوب قال: كان خالد الحذاء يسأل عكرمة فسكت خالد. فقال عكرمة: مالك أجبلت؟ قال: إني تعبت.

عن الفرزدق بن جواس. قال قدم علينا عكرمة ونحن مع شهر بن حوشب بجرجان، فقلنا لشهر: ألا نأتيه؟ فقال: ائتوه فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر، وإن مولى هذا كان حبر هذه الأمة.

عن عبد العزيز بن أبي رواد. قال: قلت لعكرمة بنيسابور:

الرجل يدخل الخلاء وفي إصبعه خاتم فيه اسم الله. قال: يجعل فصه في باطن كفه ثم يقبض عليه.

عن زيد بن الحباب. قال: سمعت سفيان الثوري يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة.

عن عكرمة. قال: أدركت مئين من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد.

❁ ❁ ❁

أسند عكرمة عن عدة من الصحابة: منهم حبر الأمة مولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعائشة وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم.

وروى عنه جلة من التابعين وقادة الخير: منهم طاووس، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وأبو الشعثاء، والشعبي، وكثير غيرهم.

٢٤٦ ـ عمرو بن دينار

ومنهم الفقيه المتشدد، والمتعبد المتهجد، عمرو بن دينار أبو محمد.

عن سفيان بن عيينة. قال: لما مات عطاء قال هشام لعمرو بن دينار: اجلس وأفت الناس، وأجري عليك رزقاً. قال: لست أريد أن أفتي الناس، ولا أن تجري علي رزقاً. قال سفيان: وقالوا لعطاء حين حضرته الوفاة: بمن توصينا؟ قال: بعمرو بن دينار.

عن ابن عيينة. قال: قيل لإياس بن معاوية. أي أهل مكة رأيت أفقه؟ قال: أسوأهم خلقاً عمرو بن دينار الذي كنت إذا سألته عن حديث كأنما تقلع عيناه.

عن طاووس. قال: قال لي أبي: إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار، فإن أذنيه كانتا قمعاً للعلماء.

عن شعبة قال: ما رأيت أحداً أثبت من عمرو بن دينار، لا الحكم ولا قتادة.

عن صدقة. قال: كان عمرو بن دينار جزأ الليل ثلاثاً، ثلثاً ينام، وثلثاً يتحدث، وثلثاً يصلي.

عن سفيان. قال: جلست إلى عمرو بن دينار سنين، فما قال لي كلمة تسوءني قط.

عن داود بن عبد الرحمن العطار، عن عمرو بن دينار. قال: ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به فيجلس في قبره. قال داود: وزاد في هذا الحديث قال: يقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك.

عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار. قال: الأواب الحفيظ، الذي لا يقوم من مجلس له إلا استغفر الله عزّ وجلّ، يقول: اللهم اغفر لنا ما أصبنا في مجلسنا، سبحان الله وبحمده.

أسند عمرو بن دينار: عن جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

٢٤٧ ـ عبد الله بن عبيد بن عمير

[ت١١٣هـ]

ومنهم عبد الله بن عبيد بن عمير[١].

---

(١) توفي عبد الله بن عبيد سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة، رحمه الله (الصفوة).

عن هارون بن أبي إبراهيم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير. قال: كان من كلامه: لا تقنعن لنفسك باليسير من الأمر في طاعة الله عزّ وجلّ كعمل المهين الدنيء، ولكن اجهد واجتهد فعل الحريص الحفي، وتواضع لله عزّ وجلّ دون الضعف فعل الغريب السبي.

عن هارون، عن عبد الله. قال: كان من كلامه: الهوى قائد، والعمل سائق، والنفس حرون، فإن دنا قائدها لم تستقم لسائقها، وإن دنا سائقها لم تستقم لقائدها، ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى يردا معنا.

عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: حدثني عبد الله بن عبيد. قال: العلم ضالة المؤمن يغدو في طلبه، فكلما أصاب منه شيئاً حواه، ويطلب إليه غيره.

عن الرصافي، عن عبد الله بن عبيد بن عمير. قال: لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى، ورزق بالورع، أن يذل لصاحب الدنيا.

أسند عبد الله بن عبيد بن عمير: عن أبيه عن جده، وأرسل عن أبي الدرداء، وحذيفة، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

٢٤٨ ـ الزهري

[٥٨ ـ ١٢٤هـ]

ومنهم العالم السوي، والراوي الروي، أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[١]، كان ذا عز وسناء، وفخر وسخاء.

عن عمرو بن دينار. قال: ما رأيت أحداً أبصر للحديث من ابن شهاب.

---

(١) ولد الزهري سنة ثمان وخمسين، ومات سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة رحمه الله (الصفوة).

عن وهيب. قال: سمعت أيوب يقول: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري.

عن معمر. قال: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل. قال: فائتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه. قال محمد بن عبد الملك في حديثه: والحسن وضرباؤه يومئذ أحياء.

عن مكحول. قال: ما أعلم أحداً أعلم بسنة ماضية من الزهري.

عن سفيان. قال: مات الزهري يوم مات وما على الأرض أحد أعلم بالسنة منه.

عن صالح بن كيسان. قال: اجتمعت أنا والزهري، ونحن نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ. قال: ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت: أنا ليس بسنة فلا أكتبه، قال: فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت.

عن معمر. قال: ما رأيت مثل الزهري في وجهه قط ـ يعني الحديث، ولا مثل حماد بن أبي سلمة في وجهه قط ـ يعني الرأي ـ.

عن الليث. قال: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه، ولو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب، لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب، لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بوعي جامع.

عن إبراهيم بن سعد. قال: سمعت ابن شهاب يحدث، قال: لقيني سالم كاتب هشام، فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تكتب لولده حديثك، فقال له: لو سألتني عن حديثين أتبع أحدهما الآخر، ما قدرت على ذلك، ولكن ابعث إلي كاتباً أو كاتبين، فإنه قل يوم إلا يأتيني قوم

يسألوني عما لم أسأل فيه بالأمس، فبعث بكاتبين اختلفا إلي سنة على دينهما، قال ثم لقيني فقال: يا أبا بكر ما أرانا إلا أنقصناك؟ قلت: كلا، إنما كنتما في غراز من الأرض، فالآن هبطت بطون الأودية.

عن يونس عن الزهري. قال: العلم واد، فإذا هبطت وادياً فعليك بالتوءدة حتى تخرج منه، فإنك لا تقطع حتى يقطع بك.

عن معمر. قال: سمعت الزهري يقول: إن كنت لآتي باب عروة، فأجلس ثم أنصرف ولا أدخل، ولو أشاء أن أدخل لدخلت إعظاماً له.

عن معمر. قال: سمعت الزهري يقول: مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين.

عن مالك بن أنس، عن الزهري. قال: خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى أن كان خادمه ليخرج فيقول: من بالباب؟ فتقول الجارية: غلامك الأعيمش ـ فتظن أني غلامه ـ وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي له وضوءه.

عن مالك بن أنس، عن الزهري. قال: تبعت سعيد بن المسيب في طلب حديث ثلاثة أيام.

عن الزهري. قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه.

عن سفيان. قال: كنت أسمع الزهري يقول: حدثني فلان وكان من أوعية العلم، ولا يقول كان عالماً.

عن مالك بن أنس. قال: أول من دون العلم ابن شهاب.

عن أبي المليح. قال: كنا لا نطمع أن نكتب عند الزهري، حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه فكتب الناس الحديث.

عن يونس، عن ابن شهاب. قال: العلم خزائن وتفتحها المسائل.

عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري. قال: ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث قط، إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت.

عن الأوزاعي، عن الزهري. قال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

عن محمد بن إسحاق، عن الزهري. قال: إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه وهو أشد غوائله.

عن يونس بن يزيد. قال: سمعت الزهري يقول: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به.

عن يوسف بن الماجشون. قال: قال لنا ابن شهاب ـ أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث ـ: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم.

عن عتبة بن أبي حكيم. قال: جلس إسحاق بن عبد الله بالمدينة في مجلس الزهري فجعل إسحاق يقول: قال رسول الله ﷺ فقال الزهري: ما لك قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله! أسند حديثك، تحدثونا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة.

عن أبي رزين. قال: سمعت الزهري يقول: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه.

عن معمر، عن الزهري. قال: ما عبد الله بشيء أفضل من العلم.

عن محمد بن عجلان، عن الزهري. قال: فضل العالم على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة خطو الفرس الجواد المضمر.

عن يونس. قال: قال الزهري: إياك وغلول الكتب، قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها.

عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب الزهري. قال: جلست إلى ثعلبة بن أبي صغير فقال: أراك تحب العلم، فقلت: نعم؟ قال: عليك بذلك الشيخ ـ يعني سعيد بن المسيب ـ قال: فلزمت سعيد بن المسيب سبع سنين، وتحولت من عنده إلى عروة ففجرت عن ثبج بحر.

عن الليث بن سعد. قال: قال ابن شهاب: ما صبر أحد على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري. فأما عروة بن الزبير فبئر لا تكدره الدلاء، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب.

عن مالك بن أنس: أن ابن شهاب سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فذكره له وأخبره بحاله، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب، فقدم ابن شهاب فجاء يسلم على سعيد فلم يكلمه سعيد ولم يرد عليه، فلما انصرف سعيد مشى معه ابن شهاب. فقال: ما لي سلمت عليك فلم تكلمني؟ ما بلغك عني إلا خير؟ قال: لم ذكرتني لبني مروان؟.

عن ابن عيينة، عن الزهري. قال: كنت عند الوليد بن عبد

الملك فتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]. قال: نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. قال الزهري: أصلح الله الأمير، ليس كذا أخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قال: وكيف أخبرك؟ قال: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق.

عن الأوزاعي، عن الزهري. قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: إن الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله.

عن عقيل بن خالد. قال: رأيت على ابن شهاب خاتماً نقشه محمد يسأل الله العافية.

عن عمرو بن دينار. قال: ما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب، وما كانت عنده إلا مثل البعرة.

عن سفيان. قال: قالوا للزهري: لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت في المدينة فغدوت إلى مسجد رسول الله ﷺ ورحت، وجلست إلى عمود من أعمدته فذكرت الناس وعلمتهم. فقال: لو أني فعلت ذلك لوطئ عقبي، ولا ينبغي ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

أدرك أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري جماعة من الصحابة وحدث عنهم. فممن روى عنهم ورآهم ممن روى عن النبي ﷺ وأدركه: عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعير، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وغيرهم.

وحدثنا عن الزهري جماعة من التابعين كثيرون.

---

(١) سورة النور، الآية (١١).

الفصل السادس
ذكر طبقة من أهل اليمن

٢٤٩ ـ طاووس بن كيسان

[ت١٠٥هـ]

ومنهم المتفقه اليقظان، والمتعبد المحسان، أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان[١]، أول الطبقة من أهل اليمن، الذين قال فيهم النبي ﷺ: (الإيمان يمان).

عن ابن شوذب. قال: شهدت جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومائة، فجعلوا يقولون: رحم الله أبا عبد الرحمن حج أربعين حجة.

عن عبد الرزاق. قال: قال أبي: مات طاووس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث ابن هشام بالحرس. قال: فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعاً السرير على كاهله، قال: فلقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه.

وعنه قال: توفي طاووس بالمزدلفة أو بمنى، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بقائمة السرير فما زايله حتى بلغ القبر.

(١) توفي طاووس بمكة قبل يوم التروية بيوم، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة وهو خليفة، فصلى على طاووس. وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة رحمه الله (الصفوة).

عن عبد الرزاق. قال: قدم طاووس مكة فقدم أمير فقيل له: إن من فضله ومن ومن، فلو أتيته؟ قال: ما لي إليه حاجة. قالوا: إنا نخاف عليك. قال: فما هو إذاً كما تقولون.

عن عطاء، عن ابن عباس. قال: إني لأظن طاووساً من أهل الجنة.

عن ليث، عن طاووس. قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه.

عن داود بن شابور. قال: قال رجل لطاووس: أدع الله لنا. قال: ما أجد في قلبي خشية فأدعو لك.

عن عبد الله بن بشر: أن طاووساً اليماني كان له طريقان إلى المسجد، طريق في السوق وطريق آخر، فكان يأخذ في هذا يوماً، وفي هذا يوماً فإذا مرّ في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية لم ينعس تلك الليلة.

عن سفيان الثوري. قال: كان طاووس يجلس في بيته، فقيل له في ذلك، فقال: حيف الأئمة وفساد الناس.

عن ابن طاووس ـ أو غيره ـ: أن رجلاً كان يسير مع طاووس فسمع غراباً نعب فقال خير، فقال طاووس: أي خير عند هذا أو شر؟ لا تصحبني أو لا تمشي معي.

عن ابن طاووس، عن أبيه. قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة فلما خلق آدم سكنت أفئدتهم.

عن مسعر، عن رجل. قال: أتى طاووس رجلاً في السحر فقالوا: هو نائم. قال: ما كنت أرى أن أحد ينام في السحر.

عن هشام بن حُجَير، عن طاووس. قال: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.

عن سفيان قال: سمعت طاووساً يقول: لا يحرر دين المرء إلا حفرته.

عن ابن طاووس، عن أبيه. قال: كان رجل فيما خلا من الزمان، وكان عاقلاً لبيباً، فكبر فقعد في البيت، فقال لابنه يوماً: إني قد اغتممت في البيت، فلو أدخلت عليّ رجالاً يكلموني، فذهب ابنه فجمع نفراً وقال: ادخلوا على أبي فحدثوه، فإن سمعتم منه منكراً فاعذروه فإنه قد كبر، وإن سمعتم خيراً فاقبلوه، قال: فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال: إن أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإذا تزوج أحدكم فليتزوج في معدن صالح، وإذا اطلعتم من رجل على عمل فجرة، فاحذروه فإن لها أخوات.

عن سفيان. قال: قلت لعبد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء والعامة، وكان طاووس يدخل مع الخاصة.

عن حبيب. قال: قال لي طاووس: إذا حدثتك حديثاً فقد أثبته لك فلا تسأل عنه أحداً غيري.

عن طاووس. قال: أدركت خمسين من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

عن ابن طاووس. قال: قلت لأبي: أريد أن أتزوج فلانة، قال: اذهب فانظر إليها، قال: فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت رأسي، وأتيت فلما رآني في تلك الهيئة قال: اقعد لا تذهب.

عن طاووس؛ أنه رأى فتية من قريش وهم يرفلون في مشيتهم.

فقال: إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها، وتمشون مشية ما تحسن الرقاص يمشونها.

عن معمر: أن طاووساً أقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج.

عن عبد الله بن طاووس. قال: كان سيرنا إلى مكة مع أبي شهراً، فإذا رجعنا سار بنا شهرين، فقلنا له في ذلك! فقال: بلغني أن الرجل لا يزال في سبيل الله حتى يأتي بيته.

عن عبد الله بن صالح المكي. قال: دخل عليّ طاووس يعودني فقلت: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي! فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

عن عبد الله الشامي. قال: أتيت طاووساً فخرج إلى ابنه شيخ كبير فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه، قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرَّف؟ فقال: إن العالم لا يخرِّف، فدخلت عليه فقال لي طاووس: سل وأوجز، قلت: إن أوجزت أوجزت لك، قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم! قال: خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وأرجه رجاء هو أشد من -خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

عن ابن جريج، قال: قال لي عطاء: جاءني طاووس فقال لي: يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجاباً، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة.

عن ليث بن سليم، قال: قال لي طاووس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

عن الصلت بن راشد. قال: كنت جالساً عند طاووس، فسأله

سلم بن قتيبة عن شيء، فانتهره قال: قلت: هذا سلم بن قتيبة صاحب خراسان، قال: ذلك أهون له علي.

عن ابن أبي رواد. قال: رأيت طاووساً وأصحاباً له إذا صلوا العصر لم يكلموا أحدا وابتهلوا في الدعاء.

عن ابن طاووس ـ أو غيره ـ، عن طاووس. قال: لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى، أو يكون قاضياً بين الناس في أموالهم، أو أميراً على رقابهم.

عن عبد الله بن طاووس. قال: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن خلقه.

عن داود بن إبراهيم؛ أن طاووساً رأى رجلًا مسكيناً في عينيه عمش وفي ثوبه وسخ. فقال له: عدَّ أن الفقر من الله، فأين أنت عن الماء؟.

عن داود بن إبراهيم: أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فرق الناس بعضهم بعضاً فلما كان السَّحَر ذهب عنهم، فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم وناموا، فقام طاووس يصلي. فقال له رجل: ألا تنام فإنك نصبت هذه الليلة؟ فقال طاووس: وهل ينام السحر أحد؟.

عن النعمان بن الزبير الصنعاني. يحدث أن محمد بن يوسف أخا الحجاج أو أيوب بن يحيى، بعث إلى طاووس بسبعمائة دينار أو خمسمائة، وقيل للرسول: إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك، قال: فخرج بها حتى قدم على طاووس الجند[1]:

---

(١) الجند: مدينة باليمن.

فقال: يا أبا عبد الرحمن، نفقة بعث الأمير بها إليك، قال: ما لي بها من حاجة، فأراده على أخذها فأبى أن يقبل طاووس، فرمى بها في كوة البيت ثم ذهب فقال لهم: قد أخذها، فلبثوا حيناً ثم بلغهم عن طاووس شيئاً يكرهونه، فقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا، فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير، قال: ما قبضت منه شيئاً، فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق، فقال: انظروا الذي ذهب بها فابعثوه إليه فبعثوه فجاءه وقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن، قال: هل قبضت منك شيئاً؟ قال: لا! قال له: هل تعلم أين وضعته؟ قال: نعم! في تلك الكوة، قال: انظر حيث وضعته قال: فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت، قال: فأخذها فذهب بها إليهم.

عن الهيثم بن الحجاج الطائي. قال: حج سليمان بن عبد الملك، فخرج حاجبه ذات يوم فقال: إن أمير المؤمنين قال: ابعثوا إليّ فقيهاً أسأله عن بعض المناسك. قال: فمر طاووس فقالوا: هذا طاووس اليماني، فأخذه الحاجب فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: اعفني فأبى قال: فأدخله عليه فقال طاووس: فلما وقفت بين يديه، قلت: إن هذا المجلس يسألني الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا! ثم قال: ويلك لمن أعدها الله؟ قلت: لمن أشركه الله في حكمه فجار قال: فبكى لها.

عن الزهري. قال: نظر سليمان بن عبد الملك إلى رجل يطاف به بالكعبة له جمال وتمام، فقال: يا ابن شهاب من هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين هذا طاووس اليماني، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان فأتاه فقال: لو ما حدثتنا؟.

فقال: حدثني أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أهون الخلق على الله من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فلم يعدل فيهم)، فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لو ما حدثتنا؟.

فقال: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال ابن شهاب: ظننت أنه أراد علياً، قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش فقال: (إن لكم على قريش حقاً، ولهم على الناس حق، ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا، وائتمنوا فأدوا فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً). فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه فقال: لو ما حدثتني؟.

فقال: حدثني ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن آخر آية نزلت في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] الآية.

عن ابن عيينة. قال: قال عمر بن عبد العزيز لطاووس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين ـ يعني سليمان بن عبد الملك ـ فقال طاووس: ما لي إليه من حاجة، قال: فكأنه قد عجب من ذلك قال سفيان: وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة ورب هذه البنية ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووساً.

عن سفيان. قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، قال: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه.

عن ابن طاووس. قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨١).

تخرج على هذا السلطان وأن تقعد به، قال: فخرجنا حجاجاً فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل لمحمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى، يقال له: ابن نجيح، وكان من أخبث عمالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فإذا ابن نجيح قد أخبر بطاووس، فجاء فقعد بين يديه، فسلم عليه فلم يجبه، فكلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسأله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، قال: بلى، معرفته به فعل بي ما رأيت، قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئاً، فلما دخلت المنزل التفت إليّ فقال لي: يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

أدرك طاووس خمسين رجلاً من الصحابة وعلمائهم وأعلامهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم بمنه. وأكثر روايته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه.

روى عنه؛ مجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وإبراهيم بن ميسرة، وأبو الزبير، ومحمد بن المنكدر، والزهري، وحبيب بن أبي ثابت، وغيرهم.

٢٥٠ ـ وهب بن منبه

[ت١١٠هـ]

ومنهم الحكيم الدامغ للمشبه. الحليم الدافع للمتسفه. أبو عبد الله وهب بن منبه[١].

عن عبد الصمد بن معقل؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول في

---

(١) وهب بن منبه، من الأبناء. مات بصنعاء سنة عشر ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة. (الصفوة).

موعظة له: يا ابن آدم إنه لا أقوى من خالق، ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه.

عن عبد الصمد بن معقل؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن ناساً من بني إسرائيل سألوا نبيهم عن الرب عز وجل أين يكون وفي أي البيوت يكون؟ أم نبني له بيتاً نعبده فيه، فأوحى الله تعالى إليه: إن قومك سألوك أين أكون فيعبدوني، فأي بيت يسعني؟ ولم تسعني السماوات والأرض، فإذا أرادوا مسكني فإني في قلب العفيف الوادع الورع.

عن أبي سنان. قال: اجتمع وهب بن منبه وعطاء الخراساني، فقال له عطاء: يا أبا عبد الله ما هذا الكلام الذي بلغني أنه قد فشا عنك في القدر. فقال وهب بن منبه: ما تكلمت في القدر بشيء ولا أعرف هذا، ثم حدَّث وهب بن منبه فقال: قرأت نيفاً وتسعين كتاباً من كتب الله عز وجل، منها سبعون أو نيف، وسبعون ظاهرة في الكتابين، ومنها عشرون لا يعلمها إلا قليل من الناس، فوجدت فيها كلها: أن من وكَّل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر.

عن عقيل بن معقل. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: لا يشكن ابن آدم أن الله عز وجل يوقع الأرزاق متفاضلة ومختلفة، فإن تقلل ابن آدم شيئاً من رزقه، فليزده رغبة إلى الله عز وجل، ولا يقولن لو اطلع الله هذا وشعر به غيّره، فكيف لا يطلع الله الشيء الذي هو خلقه وقدره؟ أو لا يعتبر ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس، فإن الله فضل بينهم في الأجسام والألوان والعقول والأحلام، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل الله عليه في الرزق والمعيشة، ولا يكبر عليه أنه قد فضل عليه في علمه وعقله.

أو لا يعلم ابن آدم أن الذي رزقه في ثلاثة أوان من عمره لم

يكن له في واحد منهن كسب ولا حيلة، أنه سوف يرزقه في الزمن الرابع، أول زمن من أزمانه: حين كان في رحم أمه، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه، في قرار مكين، لا يؤذيه فيه حر ولا قر، ولا شيء يهمه، ثم أراد الله أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها، ويحدث له في الزمن الثاني رزقاً من أمه يكفيه ويغنيه، من غير حول ولا قوة، ثم أراد الله أن يعصمه من ذلك اللبن، ويحوله في الزمن الثالث في رزق يحدثه له من كسب أبويه، يجعل له الرحمة في قلوبهما، حتى يؤثراه على أنفسهما بكسبهما، ويستعنيا روحه بما يعنيهما، لا يعنيهما في شيء من ذلك بكسب ولا حيلة يحتالها، حتى يعقل ويحدث نفسه أن له حيلة وكسباً، فإنه لن يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه، ورزقه في الأزمان الثلاث التي قبلها، فلا مقال له ولا معذرة.

إلا برحمة الله هو الذي خلقه، فإن ابن آدم كثير الشك، يقصر به حلمه وعقله عن علم الله، ولا يتفكر في أمره، ولو تفكر حتى يفهم، ويفهم حتى يعلم، علم أن علامة الله التي بها يعرف خلقه الذي خلق ورزقه لما خلق.

عن عطاء الخراساني. قال: لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي وأوجز. قال: أوحى الله إلى داود: يا داود، أما وعزتي وعظمتي، لا يشعر بي عبد من عبادي دون خلقي، أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً، أما وعزتي وعظمتي، لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعلم ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السموات من يده وأرضخت الأرض من تحته، ولا أبالي في أي واد هلك.

عن عبد الصمد بن معقل. قال: سمعت وهب بن منبه يقول:

وجدت في بعض الكتب أن الله يقول: كفى بي للعبد مالاً، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته، من قبل أن يسألني، وأستجيب له من قبل أن يدعوني، فإني أعلم بحاجته التي ترفق به من نفسه.

عن أبي إدريس، عن وهب بن منبه. قال: قرأت إحدى وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها: إن الله عز وجل لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا، وأن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً.

وقال وهب بن منبه: وإني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه: أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيسخر بهم، حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً.

وقال وهب بن منبه: لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً، أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فلهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد، وأنه ليزايله بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يستزله قال: يا ويله ماله ولهذا لا حاجة لي بهذا، ولا طاقة لي بهذا، فيرفضه ويتحول إلى الجاهل، فيستأسره ويستمكن من قياده، حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجل بها في عاجل الدنيا، كالجلد والحلق وتسخيم الوجوه والقطع والرجم والصلب. وأن الرجلين ليستويان في أعمال البر، فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب، أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر.

عن عمر بن عبد الرحمن الصنعاني. قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لقي رجل راهباً فقال: يا راهب، كيف صلاتك؟ قال الراهب: ما أحسب أحداً سمع بذكر الجنة والنار، فأتى عليه ساعة لا يصلي

فيها، قال: فكيف ذكرك الموت؟ قال: ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت. قال الراهب: كيف صلاتك أيها الرجل؟ قال: إني لأصلي وأبكي حتى ينبت العشب من دموع عيني. قال الراهب: أما إنك إن بت تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مراءٍ بعملك، فإن المرائي لا يرفع له عمل، فقال الرجل للراهب: فأوصني فإني أراك حكيماً، قال: ازهد في الدنيا، ولا تنازع أهلها فيها، وكن فيها كالنحلة إذا أكلت أكلت طيباً، وإن وضعت وضعت طيباً، وإن وقعت على عود لم تكسره، وانصح لله نصح الكلب لأهله، يجيعونه ويطردونه ويضربونه ويأبى إلا أن ينصح لهم.

قال: فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث قال: واسوأتاه إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله.

عن عقيل بن معقل. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: إن من حكمة الله عز وجل أن خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره، فمنه خلق يدوم ما دامت الدنيا لا تنقصه الأيام ولاتهرمه، ومنه خلق تنقصه الأيام وتهرمه وتبليه وتميته، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق، ومنه خلق يطعم ويرزق، خلقه الله عز وجل وخلق معه رزقه، ثم خلق الله تعالى من ذلك خلقاً في البر وخلقا في البحر، ثم جعل رزق ما خلق في البر من البر، ورزق ما خلق في البحر من البحر، ولا يصلح خلق البر في البحر، ولا خلق البحر في البر، ولا ينفع رزق دواب البحر دواب البر، ولا رزق دواب البر دواب البحر، إذا خرج ما في البحر، إلى البر هلك، وإذا دخل ما في البر إلى البحر هلك، وفي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن قد أهمته قسمة الأرزاق والمعيشة، فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق، أنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه بين خلقه، ولا يستطيع أحد أن يغيرها، ولا أن يخلطها. كما لا تستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب

البحر، ولو تضطر إليه ماتت كلها، ولا تستطيع دواب البحر أن تعيش بأرزاق دواب البر، ولو تضطر إليه أهلكها ذلك كله، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أحياها ذلك وأصلحها. وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بقسمته من رزق الله، أحياه ذلك وأصلحه، وإذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره.

عن عيسى بن سنان. قال: سمعت وهباً قال لعطاء الخراساني: كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنيا غيرهم، وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم اليوم فينا، يبذلون لأهل الدنيا علمهم، رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعهم عندهم، فأياك وأبواب السلاطين، فإن عند أبوابهم، فتناً كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا وأصابوا من دينك مثله.

ثم قال: يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فكل عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء يكفيك، إنما بطنك بحر من البحور، ووادٍ من الأودية لا يسعه إلا التراب.

عن جعفر بن برقان، عن وهب بن منبه؛ أنه كان يقول: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حرون، إن فتر قائدها صدت عن الطريق ولم تستقم لسائقها، وإن فتر سائقها حرنت، ولم تتبع قائدها، فإذا اجتمعا استقامت طوعاً أو كرهاً.

عن أشرس، عن وهب بن منبه. قال: قال داود عليه السلام: إلهي أين أجدك إذا طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي.

عن عبد الصمد بن معقل؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل، صام سبعين أسبوعاً، يفطر في كل سبعة أيام

يوماً، وهو يسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس، فلما أن طال ذلك عليه، ولم يجب قال: لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنبي وما بيني وبين ربي لكان خيراً لي من هذا الأمر الذي أطلب، فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فقال: إن الله عز وجل أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليّ مما مضى من عبادتك، وقد فتح بصرك، قال: فنظر فإذا أحبولة لإبليس قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من بني آدم إلا وحوله شياطين مثل الذباب فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ قال: الورع اللين.

عن عمر بن عبد الرحمن الصنعاني، عن وهب بن منبه. قال: أصاب رجل من الأولين ذنباً، فقال لله عليَّ أن لا يظلني سقف بيت أبداً، حتى تأتيني براءة من النار، فكان بالعراء في الحر والقر، فمر به رجل ورأى شدة حاله. فقال: يا عبد الله ما بلغ منك ما أرى؟ فقال: بلغ بي ما ترى ذكر جهنم، فكيف بي إن أنا وقعت فيها.

عن بكار بن عبد الله، عن وهب. قال: قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الرابعة! يا أبناء الأربعين، أنتم زرع قددنا حصاده، يا أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم، يا أبناء الستين لاعذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا؟ وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم.

عن منذر الأفطس، عن وهب، قال: قال دانيال عليه السلام: يا لهفتا على زمان يلتمس فيه الصالحون، فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة في أثر الحاصد، أو كالخصلة في أثر القاطف، يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيهم.

عن أبي أنيس ابن وهب بن منبه، عن وهب. قال: إن الله عز وجل حين فرغ من خلقه، نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض. فقال: أنا الله الذي لا إله إلا أنا، الذي خلقتك بقوتي، وأتقنتك

بحكمتي. حق قضائي ونافذ أمري، أنا أعيدك كما خلقتك وأفنيك بحكمتي حتى أبقى وحدي، فإن الملك والخلود لا يحق إلا لي أدعو خلقي وأجمعهم لقضائي يوم يخسر أعدائي، وتجِلُ القلوب من خوفي، وتجف الأقلام من هيبتي، وتبرأ الآلهة ممن عبدها دوني.

قال: وذكر وهب بن منبه: أن الله عز وجل لما فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة، أقبل يوم السبت، فمدح نفسه بما هو أهله، وذكر عظمته وجبروته، وكبريائه وسلطانه، وقدرته وملكه وربوبيته، فأنصت له كل شيء وأطرق له كل شيء خلقه. فقال: أنا الملك الذي لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة، والأسماء الحسنى، أنا الله الذي لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأفلاك العلى، أنا الله الذي لا إله إلا أنا ذو المن والطول والآلاء والكبرياء، أنا الله الذي لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ومن فيهن، ملأت كل شيء عظمتي، وقهر كل شيء ملكي، وأحاطت بكل شيء قدرتي، وأحصى كل شيء علمي، ووسعت كل شيء رحمتي، وبلغ كل شيء لطفي، فأنا الله يا معشر الخلائق، فاعرفوا مكاني فليس في السموات والأرض إلا أنا، وخلقي كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بي، وينقلب في قبضتي، ويعيش في رزقي، وحياته وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي، فليس له محيص ولا ملجأ غيري، لو تخليت عنه إذاً لهلك كله، وإذاً لكنت أنا على حالي، لا ينقصني ذلك شيئاً ولا يزيدني ولا يهدني فقده، وأنا معتز بالعز كله، في جبروتي وملكي، وبرهاني ونوري، وسعة بطشي وعلو مكاني، وعظمة شأني، فلا شيء مثلي، ولا إله غيري، ولا ينبغي لشيء خلقته أن يعدل بي، ولا ينكرني، فكيف ينكرني من خلقته يوم خلقته على معرفتي؟ أم كيف يكابرني من قهره ملكي، فليس له خالق ولا باعث ولا وارث غيري؟ أم كيف يعازني من ناصيته بيدي؟ أم كيف يعدل بي، من أعمره وأسقم جسمه، وأنقص عقله، وأتوفى نفسه، وأخلقه وأهرمه فلا يمتنع مني؟ أم كيف يستنكف عن عبادتي عبدي، وابن

عبادي وابن إمائي، لا ينسب إلى خالق ولا وارث غيري؟ أم كيف يعبد دوني من تُخْلِقُه الأيام ويُفني أجَلَه اختلافُ الليل والنهار، وهما شعبة يسيرة من سلطاني؟ فإليَّ إليَّ يا أهل الموت والفناء لا إلى غيري، فإني كتبت الرحمة على نفسي، وقضيت بالعفو والمغفرة لمن استغفرني، أغفر الذنوب جميعاً صغيرها وكبيرها، ولا يكبر ذلك عليَّ، ولا تلقوا بأيديكم ولا تقنطوا من رحمتي، فإن رحمتي سبقت غضبي، وخزائن الخير كلها بيدي. ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه، ولكن لأبين به قدرتي، ولينظر الناظرون في ملكي وتدبير حكمتي، ولتدين خلائقي كلها لعزتي، وتسبح الخلائق كلهم بحمدي، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهي.

❁ ❁ ❁

عن عبد الصمد بن معقل؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول لرجل من جلسائه: ألا أعلمك طباً لا يتعايا فيه الأطباء، وفقهاً لا يتعايا فيه الفقهاء، وحلماً لا يتعايا فيه الحلماء؟. قال: بلى! يا أبا عبد الله،

قال: أما الطب الذي لا يتعايا فيه الأطباء، فلا تأكل طعاماً إلا ما سميت الله على أوله، وحمدته على آخره.

وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء، فإن سئلت عن شيء عندك فيه علم فاخبر بعلمك، وإلا فقل: لا أدري.

وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه الحلماء، فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء.

❁ ❁ ❁

عن غوث بن معقل. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل، فاجتهد في نصحك وعلمك لله، فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح، وإن النصح لله عز

وجل لا يكمل إلا بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيبة، ريحها طيب، وطعمها طيب، كذلك مثل طاعة الله؛ النصح ريحها، والعمل طعمها، ثم زيِّن طاعة الله بالعلم والحلم والفقه، ثم أكرم نفسك عن أخلاق السفهاء، وعبِّدها على أخلاق العلماء، وعودها على فعل الحلماء، وامنعها عمل الأشقياء، وألزمها سيرة الفقهاء، واعزلها عن سبل الخبثاء، وما كان لك من فضل فأعن به من دونك، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه، حتى تبلغه معك، فإن الحكيم يجمع فضوله، ثم يعود بها على من دونه، ثم ينظر في نقائص من دونه، ثم يقومها ويزجيها حتى يبلغه، إن كان فقيهاً حمل من لا فقه له، إذا رأى أنه يريد صحبته ومعونته، وإذا كان له مال، أعطى منه من لا مال له، وإن كان مصلحاً، استغفر الله للمذنب إذا رجا توبته، وإن كان محسناً أحسن إلى من أساء إليه، واستوجب بذلك أجره، ولا يغتر بالقول، حتى يجيء معه الفعل، ولا يتمنى طاعة الله إذا لم يعمل بها، فإذا بلغ من طاعة الله شيئاً، حمد الله ثم طلب ما لم يبلغ منها، وإذا علم من الحكمة، لم تشبعه حتى يتعلم ما لم يبلغ منها، وإذا ذكر خطيئته، سترها عن الناس، واستغفر الله الذي هو القادر على أن يغفرها، ثم لا يستعين على شيء من قوله بالكذب؛ فإن الكذب في الحديث مثل الآكلة في الخشبة يرى ظاهرها صحيحاً وجوفها نخراً، لا يزال من يغتر بها يظن أنها حاملة ما عليها، حتى تنكسر على ما فيها، ويهلك من اغتر بها. وكذلك الكذب في الحديث، لا يزال صاحبه يغتر به، ويظن أنه معينه على حاجته، وزائد له في رغبته، حتى يعرف ذلك منه ويتبين لذوي العقول غروره، ويستنبط العلماء ما كان يستخفي به عنهم. فإذا اطلعوا على ذاك من أمره وتبين لهم، كذبوا خبره، وأبادوا شهادته، واتهموا صدقه، واحتقروا شأنه، وأبغضوا مجلسه، واستخفوا منه بسرائرهم، وكتموا حديثهم، وصرفوا عنه أمانتهم، وغيبوا عنه أمرهم، وحزروه على دينهم ومعيشتهم، ولم

يحضروه شيئاً من محاضرهم، ولم يأمنوه على شيء من سرهم، ولم يحكموه في شيء مما شجر بينهم.

عن عبد الصمد بن معقل. قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات؛ من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله، ومن شكا مصيبة فإنما يشكو ربه، ومن أسف على ما في يد غيره، سخط قضاء ربه عز وجل، ومن تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه.

وعنه سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت في التوراة: أيما دار بنيت بقوة الضعفاء، جعلت عاقبتها الخراب، وأيما مال جمع من غير حل جعلت عاقبته الفقر.

عن محمد بن عمر. قال: سمعت وهب بن منبه يقول: وجدت في بعض الكتب: أن الله عز وجل يقول: إن عبدي إذا أطاعني فإني أستجيب له من قبل أن يدعوني، وأعطيه من قبل أن يسألني، وإن عبدي إذا أطاعني، لو أن أهل السموات والأرض، أجلبوا عليه جعلت له مخرجاً من ذلك، وإن عبدي إذا عصاني، أقطع يده عن أبواب السموات، وأجعله في الهوى فلا ينتصر بشيء من خلقي.

عن إدريس، عن جده وهب بن منبه. قال: ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، وما يتم عقل امرئ حتى تكون فيه عشر خصال؛ أن يكون الكبر منه مأموناً، والرشد فيه مأموراً، يرضى من الدنيا بالقوت، وما كان من فضل فمبذول، والتواضع فيها أحب إليه من الشرف، والذل فيها أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب العلم دهره، ولا يتبرم من طالبي الخير، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه.

والعاشرة هي ملاك أمره، بها ينال مجده وبها يعلو ذكره، وبها علاه في الدرجات في الدارين كليهما. قيل: وما هي؟ قال: أن يرى

أن جميع الناس: بين خير منه وأفضل، وآخر شر منه وأرذل، فإذا رأى الذي هو خير منه وأفضل كسره ذلك وتمنى أن يلحقه، وإذا رأى الذي هو شر منه وأرذل قال: لعل هذا ينجو وأهلك، ولعل لهذا باطناً لم يظهر لي، وذلك خير له، ويرى ظاهره لعل ذلك شر لي. فهناك يكمل عقله، وساد أهل زمانه وكان من السباق إلى رحمة الله عز وجل وجنته إن شاء الله تعالى.

عن أبي سنان القسملي. قال: سمعت وهباً وأقبل على عطاء الخراساني فقال له: ويحك يا عطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك، وأبناء الدنيا، ويحك يا عطاء أتأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه ويقول: أدعوني أستجيب لكم، ويحك يا عطاء إرضَ بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك يا عطاء إن كنت يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس في الدنيا شيء يكفيك، ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور، وواد من الأودية، ولا يملأه إلا التراب.

❁ ❁ ❁

عن عبد الصمد بن معقل. قال: سمعت رجلاً يسأل عمي وهب بن منبه في المسجد الحرام فقال: حدثني رحمك الله عن زبور داود عليه السلام. فقال: نعم! وجدت في آخره ثلاثين سطراً، يا داود اسمع مني والحق أقول: من لقيني وهو يحبني أدخلته جنتي، يا داود اسمع مني والحق أقول: من لقيني وهو يخاف عذابي لم أعذبه، يا داود اسمع مني والحق أقول: من لقيني وهو مستحيٍ من معاصيه أنسيت الحفظة ذنوبه، يا داود اسمع مني والحق أقول: لو أن عبداً من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوباً مغاربها ومشارقها ثم ندم حلب شاة

واستغفرني مرة واحدة، وعلمت من قلبه أن لا يعود إليها، ألقيتها عنه أسرع من هبوط الماء من السماء إلى الأرض، يا داود اسمع مني والحق أقول: لو أن عبداً أتاني بحسنة واحدة حكمته في جنتي.

قال داود: من أجل ذلك لا يحل لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك.

قال: يا داود إنما يكفي أوليائي اليسير من العمل كما يكفي الطعام القليل من الملح، يا داود هل تدري متى أتولاهم؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا قلوبهم من الشك، وعلموا أن لي جنة وناراً، وأني أحي وأميت، وأبعث من في القبور، وأني لم أتخذ صاحبة ولا ولداً، فإن توفيتهم بيسير من العمل، وهم يوقنون بذلك، جعلته عظيماً عندهم.

هل تدري يا داود من أسرع مرّاً على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة من ذكري، هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم منزلة عندي؟ الذي هو بما أعطى أشد فرحاً بما حبس، هل تدري يا داود أي الفقراء أفضل؟ الذين يرضون بحكمى وبقسمتي، ويحمدونني على ما أنعمت عليهم من المعاش، هل تدري يا داود أي المؤمنين أحب إليَّ أن أطيل حياته؟ الذي إذا قال: لا إله إلا الله اقشعر جلده، فإني أكره له الموت كما يكره الوالد لولده ولا بد منه، إني أريد أن أسرَّه في دار سوى هذه الدار، فإن نعيمها فيها بلاء ورخاءها فيها شدة، فيها عدو لا يألوهم فيها خبالاً، يجري منهم مجرى الدم.

من أجل ذلك عجلت أوليائي إلى الجنة، لولا ذلك ما مات آدم ولا أولاده المؤمنون حتى ينفخ في الصور، إني أدري ما تقول في نفسك يا داود، تقول: قطعت عنهم عبادتك، أما تعلم يا داود أني أثيب المؤمن على عثرة يعثرها، فكيف إذا ذاق الموت وهو أعظم

المصائب، وترى جسده الطيب بين أطباق الثرى، إنما أحبسه طول ما أحبسه لأعظم له الأجر، وأجري عليه أحسن ما كان يعمله إلى يوم القيامة.

قال داود: لك الحمد إلهي، من أجل ذلك سميت نفسك أرحم الراحمين، إلهي فما جزاء من يعزي الحزين على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن ألبسه رداء الإيمان ثم لا أنزعه عنه أبداً.

قال: إلهي فما جزاء من يشيع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه ملائكتي يوم يموت، وأصلي على روحه في الأرواح.

قال: إلهي فما جزاء مساعد الأرملة واليتيم ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي.

قال: إلهي فما جزاء من يبكي من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجنتيه؟ قال: جزاؤه أن أحرم وجهه على النار.

❁ ❁ ❁

عن عقيل بن معقل. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: لكل شيء علامة يعرف بها وتشهد له أو عليه، وإن للدِّين ثلاث علامات يعرف بهن، وهي: الإيمان والعلم والعمل.

وللإيمان ثلاث علامات: الإيمان بالله وملائكته وبكتبه ورسله.

وللعمل ثلاث علامات: الصلاة والزكاة والصيام.

وللعلم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يحب الله، وما يكره.

وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويقول: مالا يعلم، ويتعاطى ما لا ينال.

وللظالم ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة.

وللمنافق ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان أحد عنده، ويحرص في كل أموره على المحمدة.

وللحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب المحسود ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة.

وللمسرف ثلاث علامات: يشتري بما ليس له، ويأكل بما ليس له، ويلبس ما ليس له.

وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يأثم.

وللغافل ثلاث علامات: السهو واللهو والنسيان.

❀ ❀ ❀

عن عامر بن عبد الله اليحصبي. قال: كان وهب بن منبه يقول: أزهد الناس في الدنيا، وإن كان مكباً عليها حرصاً، من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب، وإن أرغب الناس فيها، وإن كان معرضاً عنها، من لم يبال ما كان كسبه فيها حلالاً أو حراماً، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس جواداً بما سوى ذلك.

عن السري بن يحيى. قال: كتب وهب بن منبه إلى مكحول، إنك قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفاً، فاطلب بما بطن من علم الإسلام عند الله تعالى محبة وزلفى. واعلم أن إحدى المحبتين سوف تمنعك من الأخرى.

عن أبي سنان الشيباني. قال: بلغنا أن وهب بن منبه قال: يا بني اتخذ طاعة الله تعالى تجارة، تزيد بها ربح الدنيا والآخرة،

والإيمان بالله تعالى سفينتك التي تحمل عليها، والتوكل على الله تعالى دقلها، والدنيا بحرَك، والأيام مَوجَك، والأعمال المفروضة تجارتَك التي ترجو بها ربحها، والنافلةَ هديتك التي تكرم بها، والحرصَ عليها الريح التي تسير بها وتزجيها، وردٌّ النفس عن هواها مراسيها التي ترسيها، والموتَ ساحلها، والله عز وجل مالكها، وأحب التجار إليه أفضلهم بضاعة وأكثرهم هدية. وأبغض التجار إليه أقلهم بضاعة وأردأهم هدية. كما تكون تجارتك تربح، وكما تكون هديتك تكرم.

عن عقيل بن معقل بن منبه. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: الأجر معروض ولكن لا يستوجبه من لا يعمل، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يبصره من لا ينظر إليه. وطاعة الله قريبة ممن يرغب فيها، بعيدة ممن يزهد فيها، ومن يحرص عليها يبتغيها، ومن لا يحبها لا يجدها، لا تسبق من سعى إليها، ولا يدركها من أبطأ عنها، وطاعة الله تعالى تشرف من أكرمها، وتهين من أضاعها، وكتاب الله تعالى يدل عليها، والإيمان بالله تعالى يحض عليها.

عن رباح بن زيد، عن رجل عن وهب. قال: إن للعلم طغياناً كطغيان المال.

عن محمد بن زياد، عن وهب بن منبه. قال: من جعل شهوته تحت قدمه، فزع الشيطان من ظله، ومن غلب حلمه هواه فذاك العالم الغلاب.

❀ ❀ ❀

عن عقيل بن معقل، عن وهب. قال: اعمل في نواحي الدين الثلاث، فإن للدين نواحي ثلاثاً، هن جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات.

أولهن: تعمل شكراً لله بالأنعم الكثيرة الغاديات الرائحات،

الظاهرات الباطنات، الحديثات القديمات. فيعمل المؤمن شكراً لهن ورجاء تمامهن.

والناحية الثانية من الدين: رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن، وليس لها مثل، ولا يزهد فيها إلا سفيه.

والناحية الثالثة: تعمل فراراً من النار التي ليس عليها صبر، ولا لأحد بها طاقة ولا يدان، وليست مصيبتها كالمصيبات، ولا حزنها كالحزن، نبأها عظيم، وشأنها شديد، وخزيها فظيع، ولايغفل عن الفرار والتعوذ بالله منها إلا سفيه أحمق خاسر، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

عن سعيد بن رمانة. قال: قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى! ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، من أتى الباب بأسنانه فتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.

عن سماك بن الفضل. قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إني لأتفقد أخلاقي؛ ما فيها شيء يعجبني.

عن جعفر بن برقان. قال: بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول: طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وتصدق من مال جمع من غير معصية، وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة، ووسعته السنَّة ولم يتعدها إلى البدعة.

عن أبي كثير اليماني. قال: قال وهب بن منبه: المؤمن مفكر مذكر مزدجر، تفكر فعلته السكينة، وتذكر فوصل القربة، وازدجر فباين الحوبة، سكنَ فتواضع، قنعَ فلم يهتم، رفض الشهوات فصار حراً، ألقى الحسدَ فظهرت له المحبة، زهد في كل فان فاستكمل العقل، رغب في كل باق فعقل المعرفة. فقلبه متعلق بهمه، وهمه موكل بمعاده، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا لفرحهم، بل حزنه عليه

سرمداً فهو دهره محزون، وفرحه إذا ما نامت العيون، يتلو كتاب الله، يردده على قلبه، فمرة يفزع قلبه، ومرة تهمل عيناه، يقطع الله عنه الليل بالتلاوة، ويقطع عنه النهار بالخلوة، مفكراً في ذنوبه، مستصغراً لأعماله. قال وهب: فهذا ينادى يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رؤوس الخلائق: قم أيها الكريم فادخل الجنة.

عن أبي زكريا التيمي. قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقوش، فطلب من يقرأه له فأتي بوهب بن منبه فقرأه، فإذا فيه: ابنَ آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك، وقد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الوليد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة. قال: فبكى سليمان بكاء شديداً.

عن عقيل بن معقل بن منبه. قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: يا بني أخلص طاعة الله بسريرة ناصحة، يصدق الله فيها فعلك في العلانية، فإن من فعل خيراً ثم أسره إلى الله، فقد أصاب موضعه، وأبلغه قراره، وإن من أسر عملاً صالحاً لم يطلع عليه أحد إلا الله، فقد أطلع عليه من هو حسبه،واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره، فلا تخافنَّ على عمل صالح أسررته إلى الله عز وجل ضياعاً، ولا تخافنّ من ظلمه ولا هضمه، ولا تظننَّ أن العلانية هي أنجح من السريرة، فإن مثل العلانية مع السريرة، كمثل ورق الشجر مع عِرْقها، العلانية ورقها، والسريرة عرقها، إن نخر العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خير ما كان عِرْقها مستخفياً لا يرى منه شيء. كذلك الدين لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة، يصدق الله بها

علانيته، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة، كما ينفع عِرْق الشجرة صلاح فرعها، وإن كان حياتها من قبل عرقها فإن فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين فإن العلانية معها تزين الدين وتجمّله، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه عز وجل.

عن عمران عن وهب. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى، إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وجلاً، وعفِّر خدك بالتراب واسجد لي بمكارم وجهك وبدنك، واسألني حين تسألني بخشية من قلب وَجِل، واخشني أيام الحياة، وعلِّم الجاهل آلائي، وقل لعبادي: لا يتمادوا في غي ما هم فيه، فإن أخذي أليم شديد.

عن مالك بن دينار، عن وهب بن منبه. قال: قرأت في بعض الكتب: ابنَ آدم لا خير لك في أن تعلم ما لا تعلم، ولم تعمل بما علمت، فإن مثل ذلك كرجل احتطب حطباً فحزم حزمة فذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى.

عن إبراهيم بن فارس، عن وهب. قال: اتخذوا اليد عند المساكين، فإن لهم يوم القيامة دولة.

❋ ❋ ❋

أسند وهب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: ابن عباس، وجابر، والنعمان بن بشير، وروى عن أبي هريرة، ومعاذ بن جبل، وعن أخيه، وعن طاووس.

وروى عنه من التابعين عدة منهم: عمرو بن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، ووهب بن كيسان، وزيد بن أسلم، وموسى بن عقبة، وعطاء بن السائب، وعمار الدهني، ومحمد بن جحادة، وأبان بن أبي عياش.

الفصل السابع
ذكر طبقة من أهل الجزيرة

٢٥١ ـ ميمون بن مهران

[٤٠ ـ ١١٧هـ]

ومنهم الحكيم اليقظان أبو أيوب ميمون بن مهران[١]. إمام أهل الجزيرة، حميد السيرة، سديد السريرة.

عن يونس، عن ميمون بن مهران. قال: لا تمارينَّ عالماً ولا جاهلاً، فإنك إن ماريت عالماً خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلاً خشن بصدرك.

عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران. قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قمت من عنده قال: إذا ذهب هذا وضرباؤه لم يبق من الناس إلا رجاج.

عن أبي المليح. قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: لا خير في الدنيا إلا لرجلين، رجل تائب، ورجل يعمل في الدرجات.

عن جعفر بن برقان. قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: إن هذا القرآن قد خَلِق في صدر كثير من الناس، والتمسوا ما سواه من

(١) ميمون بن مهران، مولى بني نصر، ولد سنة أربعين، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله (الصفوة).

الأحاديث، وإن فيمن يبتغ هذا العلم من يتخذه بضاعة يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه، ومنهم من يريد أن يماري به، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به.

عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران. قال: لا يسلم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال.

عن فرات بن سليمان، عن ميمون بن مهران. قال: ثلاث لا تبلونَّ نفسك بهنَّ، لا تدخل على السلطان وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك لذي هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه؟.

عن طلحة بن زيد. قال: قال ميمون بن مهران: لا تعرف الأمير، ولا تعرف من يعرفه.

عن أبي المليح. قال: سمعت ميموناً يقول: العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

عن حبيب بن أبي مرزوق. قال: قال ميمون: وددت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت الأخرى أتمتع بها، وأني لم أل عملاً قط. قلت: ولا لعمر بن عبد العزيز؟ قال: ولا لعمر بن عبد العزيز، لا خير في العمل لعمر ولا لغيره.

عن جعفر بن برقان عن، ميمون بن مهران. قال: ما عرضت قولي على عملي، إلا وجدت من نفسي اعتراضاً.

عن جعفر بن برقان. قال: قال لي ميمون بن مهران: يا جعفر! قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.

عن أبي المليح. قال: قال لنا ميمون بن مهران ونحن حوله: يا

معشر الشباب قوتكم اجعلوها في شبابكم ونشاطكم في طاعة الله، يا معشر الشيوخ حتى متى؟!.

عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران. قال: لئن أتصدق بدرهم في حياتي، أحب إليّ من أن يتصدق عني بعد موتي بمائة درهم.

عن أبي المليح الرقي، عن ميمون بن مهران. قال: كان يقال: الذِّكر ذِكران، ذِكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية، إذا أشرفت عليها.

عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران. قال: ثلاث المؤمن والكافر فيهن سواء، الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر، وبر الوالدين قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[1] الآية، والعهد تفي به لمن عاهدت من مسلم أو كافر.

عن هارون أبي محمد البربري؛ أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وعلى خراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه، وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق، فكتب عمر إليه: اجْبِ من الخراج الطيب، واقضِ ما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إليَّ فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا.

عن جعفر، عن ميمون. قال: ما أقل أكياس الناس، لا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أمروا به، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا. فيقول: ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر، التي لا همَّ لها

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٨).

إلا ما تجعل في أجوافها، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه. فقال: والله إني لأراني من شرهم بعيراً واحداً.

عن جعفر بن برقان. قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه، ومن أين ملبسه، ومن أين مشربه، أمن حل ذلك أم من حرام؟.

عن أبي المليح، عن ميمون. أنه أتاه رجل فقال له: لا يزال الناس بخير ما كنت فيهم، قال: لا يزال الناس بخير ما اتقوا الله.

عن أبي المليح عن ميمون. قال: من أساء سرا فليتب سراً، ومن أساء علانية فليتب علانية. فإن الله يغفر ولا يعيِّر، والناس يعيِّرونك ولا يغفرون.

عن أبي المليح، عن ميمون. قال: شر الناس العيَّابون، ولا يلبس الكتان إلاغني أو غوي.

عن الحسن، عن ميمون. قال: يا ابن آدم خفف عن ظهرك، فإن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمل عليه من ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وكل هذا تحمله على ظهرك فخفف عن ظهرك.

وقال ميمون: إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل.

وقال ميمون: ما أتى قوم في ناديهم المنكر إلا عند هلاكهم.

عن أبي المليح. قال: قرأ يوماً ميمون: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1] فرّق حتى بكى، ثم قال: ما سمع الخلائق بعتب أشد منه قط.

---

(١) سورة يس: الآية (٥٩).

أسند ميمون بن مهران عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما.

٢٥٢ - يزيد بن الأصم

ومنهم المنيب الأقوم، يزيد بن الأصم.

عن يزيد بن الأصم. قال: لقيت عائشة رضي الله تعالى عنها وهي مقبلة من مكة، أنا وابن لطلحة بن عبيد الله، وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة، فأصبنا منها فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، ثم أقبلت عليّ فوعظتني موعظة بليغة. ثم قالت: أما علمت أن الله تعالى ساقك حتى جعلك في بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة، ورمى برسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم. أن رجلاً كان ذا بأس وكان يوفد إلى عمر لبأسه وكان من أهل الشام، وإن عمر فقده فسأل عنه، فقيل له: تتابع في هذا الشراب! فدعا كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبل الله بقلبه، وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي، وقابل التوب شديد العقاب. قد حذرني الله عقابه، ذي الطول والطَّوْل الخير الكثير، لا إله إلا هو إليه المصير. فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره. قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة، فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.

عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم. قال: إن رجلاً في الجاهلية شرب فسكر فجعل يتناول القمر، فحلف لا يدعه حتى ينزله، فيثب الوثبة ويخر، ويكدح وجهه، فلم يزل يفعل ذلك حتى خر فنام. فلما أصبح قال لأهله: ويحكم ما شأني؟ قالوا: كنت تحلف لتنزلن القمر فتثب فتخر، فهذا الذي لقيت منه ما لقيت. قال: أرأيت شراباً حملني على أن أنزل القمر، لا والله لا أعود إليه أبداً.

عن سفيان بن عيينة. قال: كتب يزيد بن الأصم إلى الحسين بن علي حين خرج، أما بعد فإن أهل الكوفة قد أبوا إلا أن ينقضوك، وقلَّ شيء نقض إلا قلق، وإني أعيذك بالله أن تكون كالمغتر بالبرق، أو كالمسبق للسَّراب، واصبر إن وعد الله حق، ولا يستخِفَّنَّك الذين لا يوقنون.

أسند يزيد بن الأصم؛ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وميمونة. رضوان الله تعالى عليهم.



الفصل الثامن
ذكر أهل الكوفة

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ذكرنا نفراً من متقدمي طبقة الكوفيين في ذكر زهاد اليمانية وعبادهم، وعدنا إلى ذكر جماعة من عباد الكوفيين ونساكهم.

٢٥٣ ـ شقيق بن سلمة

فمنهم الوالهِ الذَّابل، المجتهد النَّاحل، شقيق بن سلمة أبو وائل[(١)].

عن عاصم. قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله.

عن معروف بن واصل. قال: كنا عند أبي وائل شقيق بن سلمة، فذكروا قرب الله من خلقه، فقال: نعم! يقول الله تعالى: يا ابن آدم ادن مني شبراً أدن منك ذراعاً، ادن مني ذراعاً أدن منك باعاً، امش إليّ أهرول إليك.

عن الأعمش، عن شقيق. قال: خرجنا في ليلة مخوفة، فمررنا بأجمة فيها رجل نائم، وقد قيد لفرسه، وهي ترعى عند رأسه، فأيقظناه. فقلنا له: تنام في مثل هذا المكان؟ فرفع رأسه فقال: إني

---

(١) توفي شفيق في زمن الحجاج بعد الجماجم، وكانت وقعة دير الجماجم سنة أربع وثمانين بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث.

لأستحيي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئاً دونه، ثم وضع رأسه فنام.

عن عاصم بن أبي النجود. قال: كان عطاء أبي وائل ألفين، فإذا خرج أمسك ما يكفي أهله سنة، وتصدق بما سوى ذلك.

عن عاصم. قال: ما رأيت أبا وائل ملتفتاً في صلاة ولا في غيرها، ولا سمعته يسب دابة قط، إلا أنه ذكر الحجاج يوماً فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، ثم تداركها فقال: إن كان ذاك أحب إليك، فقلت: وتستثني في الحجاج؟ فقال: نعدها ذنباً.

عن الزبرقان. قال: كنت عند أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه. فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم أغفر لي، فغفر له؟!.

عن عاصم. قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد: رب اغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني فطولاً من فضلك، وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي ولا مسبوق. قال: ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

عن الأعمش، عن أبي وائل. قال: دخلت على عبيد الله بن زياد بالبصرة مع مسروق، فإذا بين يديه تل من وَرِق ثلاثة آلاف ألف من خراج أصبهان. قال فقال: يا أبا وائل ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا؟ قال: فقلت: فكيف إذا كان من غلول؟ قال: فذاك شر على شر. قال وقال لي: إذا أتيت الكوفة فائتني لعلي أصيبك بمعروف. قال: فلما رجعت قلت: لو أني شاورت علقمة في ذلك، قال: فأتيته فقلت: إني دخلت على ابن زياد فقال لي كذا فكيف ترى؟ قال: لو أتيته قبل أن تستأمرني لم أقل لك شيئاً، فأما إذا استأمرتني فإني حقيق أن أنصحك، ووالله ما يسرني أن لي ألفين مع

ألفين فإني أكره الناس عليه، قال: قلت: لم يا أبا شبل؟ قال: إني أخاف أن ينقصوا مني أكثر مما انتقص منهم.

عن المعلى بن عرفان. قال: سمعت أبا وائل وجاءه رجل فقال: ابنك استعمل على السوق. فقال: والله لو جئتني بموته كان أحب إليّ، إن كنت لأكره أن يدخل بيتي من عمل عملهم.

عن عاصم. قال: كان أبو وائل يقول لجاريته: يا بركة إذا جاء يحيى - يعني ابنه - بشيء فلا تقبليه، وإذا جاءك أصحابي بشيء فخذيه. قال: وكان يحيى ابنه قاضياً على الكناسة.

عن الأعمش، عن أبي وائل. قال: إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفاً حلالاً لأهل بيت غرباء.

عن عاصم، عن أبي وائل: وكان له خص من قصب، فكان يكون فيه هو وفرسه. فإذا غزا نقضه وتصدق به، فإذا رجع أنشأ بناه.

عن الأعمش. قال: سمعت شقيقاً يقول: اللهم إن كنت كتبتنا عندك أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

عن حصين، عن أبي وائل. قال: دخلت على الأسود بن هلال فقلت: ليتني وإياك قد مضينا. قال: بئس ما تقول؟ أليس أسجد كل يوم وليلة أربعاً وثلاثين سجدة.

عن عاصم. قال: قلت لأبي وائل: إن قوماً يقولون إن الله يدخل المؤمنين النار. فقال: لعمرك إن لها لحشواً غير المؤمنين.

عن عاصم. قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما أشبه قراء أهل زماننا؟ قلت: ومن يشبههم؟ قال: أشبههم برجل أسمن غنماً فلما أراد ذبحها، وجدها غثاً لا تنقى، أو رجل عمد إلى دراهم فلوس فألقاها

في زئبق ثم أخرجها فكسرها فإذا هي نحاس.

عن أبي حصين. قال: قال لي أبو وائل: لأن يكون لي ولد يقاتل في سبيل الله، أحب لي من مائة ألف.

عن عاصم. قال: ما رأيت أبا و[illegible] يلتفت في صلاة ولا في غيرها قط، ولا قائلاً لأحد كيف أمسيت وكيف أصبحت؟.

❁ ❁ ❁

أسند أبو وائل عن علية الصحابة وجماهيرهم رضي الله تعالى عنهم منهم: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى، وحذيفة، وخباب بن الأرت، وأبو مسعود، وأسامة بن زيد، وسلمان، وأبو الدرداء، والبراء، وسهل بن حنيف، وكعب بن عجرة، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وجرير البجلي، وقيس بن أبي غرزة، وعائشة، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم.

وعن كبار التابعين: عن مسروق بن الأجدع، وسلمان بن ربيعة، وعلقمة بن قيس، وعمرو بن شرحبيل.

أكثر حديثه عند الأعمش، ومنصور، وحماد بن أبي سليمان، وعاصم بن بهدلة، ومغيرة بن مقسم، وحبيب بن أبي ثابت، وزيد بن الحارث وغيرهم.

٢٥٣م ـ خيثمة بن عبد الرحمن

ومنهم المطعم للإخوان، والمكرم للخلان، خيثمة بن عبد الرحمن[١].

كان بالمنعم واثقاً، وللقائه تائقاً.

---

(١) خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، واسم أبي سيرة: يزيد بن مالك الجعفي.

عن الأعمش. قال: ورث خيثمة بن عبد الرحمن مائتي ألف درهم فأنفقها على الفقراء والفقهاء.

عن الأعمش. قال: ربما دخلنا على خيثمة فيخرج السلة من تحت السرير فيها الخبيص والفالوذج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا أما إني ما جعلته إلا لكم، وكان يصر الدراهم وكان موسراً فإذا رأى الرجل من أصحابه منخرق القميص أو الرداء أو به خلة تحيَّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه، فيقول: اشتر قميصاً، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا.

عن الأعمش. قال: رأيت على إبراهيم ثياباً بيضاء، فسألته عنها فقال: كسانيها خيثمة.

عن الأعمش. قال: كان خيثمة يجيء إلى المسجد، ومعه صرار في خرقة، فيجلس مع أصحابه فإذا رأى أحداً من أصحابه قد تخرق قميصه، أو رداؤه فقام الرجل فخرج من المسجد، اتبعه من باب آخر يعارضه ويقول: يا أخي هذه الصرة فاشتر بها رداء، اشتر بها قميصاً.

عن الأعمش. قال: كان خيثمة يجري على المسيب بن رافع في كل شهر خمسين درهماً واشترى له خادماً.

عن سلمة بن كهيل. قال: لقي خيثمة محارب بن دثار فقال له: كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه. قال خيثمة: إن هذا بك لنقص كبير.

عن طلحة. قال: قال خيثمة: كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله. إما حج، وإما عمرة، وإما غزوة، وإما صيام رمضان.

عن محمد بن خالد؛ أن خيثمة كان يختم القرآن في ثلاث.

عن الأعمش، أو العلاء بن المسيب. قال: انخرق دلو لخيثمة فبعث به إلى الخراز، فسأله صاعاً من تمر، فخرزه خيثمة بيده وتصدق بالصاع.

عن الأعمش. قال: دعاني خيثمة فلما جئت إذا أصحاب العمائم والمطارف على الخيل، فحقرت نفسي فرجعت، فلقيني بعد ذلك فقال: ما لك لم تجيء؟ قلت: جئت ولكن قد رأيت أصحاب العمائم والمطارف على الخيل فحقرت نفسي، قال: فأنت والله أحب إليَّ منهم، فكنا إذا دخلنا عليه، قال: بالسلة من تحت السرير، فقال: كلوا، والله ما أشتهيه وما أصنعه إلا لكم.

عن الأعمش، عن خيثمة. قال: تقرؤون أنتم في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، إن موضعه في التوراة يا أيها المساكين.

عن الأعمش، عن خيثمة. قال: كان قوم يؤذونه فقال: إن هؤلاء يؤذونني، ولا والله ما طلبني أحد منهم بحاجة إلا قضيتها، ولا أدخل عليَّ أحد منهم أذى فقابلته به، ولأنا أبغض فيهم من الكلب الأسود، ولم يروا ذلك إلا أنه والله لا يحب منافق مؤمنا أبداً.

عن عبد الملك بن ميسرة، عن خيثمة. قال: طوبى للمؤمن كيف يحفظ في ذريته من بعده.

عن الأعمش، عن خيثمة. قال: تقول الملائكة: يا رب عبدك المؤمن تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء، قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه قالوا: يا رب لا يضره ما أصابه في الدنيا. قال: ويقولون: عبدك الكافر تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا. قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه. قال: فإذا رأوا عقابه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا.

عن الأعمش، عن خيثمة. قال: قال سليمان عليه السلام: كل العيش قد جربناه لينه وشديده فوجدناه يكفي منه أدناه.

عن الأعمش، عن خيثمة، وعن حمزة عن شهر بن حوشب.

قال: دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم إليه النظر، فلما خرج. قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت عليه السلام. قال: لقد رأيته ينظر إليّ فكأنه يريدني. قال: فما تريد. قال: أريد أن تحملني على الريح فتلقيني بالهند. قال: فدعا بالريح فحمله عليها فألقته بالهند ثم أتى ملك الموت سليمان عليه السلام فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي. قال: كنت أعجب منه، إني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك.

عن الحكم، عن خيثمة. قال: إذا طلبت شيئاً فوجدته فسل الله الجنة، فلعله يكون يومك الذي يستجاب لك فيه.

عن قتادة، عن خيثمة بن أبي سبرة الجعفي. قال: أتيت المدينة فسألت الله تعالى أن ييسر لي جليساً صالحاً. فيسر لي أبا هريرة. فجلست إليه فقلت: إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوفقت لي. فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، جئت لألتمس الخير والعلم. قال حماد: فقال: تسألني وفيكم علماء أصحاب محمد ﷺ، وابن عمه علي بن أبي طالب، وفيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة، وفيكم عبد الله بن مسعود صاحب وسائد رسول الله ﷺ ونعليه، وفيكم حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ، وعمار بن ياسر الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه، وسلمان صاحب الكتابين. قال قتادة: الكتابان الإنجيل والفرقان.

عن حكيم بن جبير. قال: سمعت خيثمة بن عبد الرحمن يقول: أدركت ثلاثة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ما رأيت أحداً منهم غيره الخضاب.



أدرك خيثمة بن عبد الرحمن عدة من أعلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم. فممن روى عنهم وأسند:

عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعدي بن حاتم، والنعمان بن بشير، وروى عن عدة من خضارم التابعين منهم: سويد بن غفلة، وأبو عطية مالك بن عامر الهمداني، وأبو حذيفة سلمة بن صهيب، وقيس بن مروان.

وروى عن خيثمة عدة من التابعين والأئمة منهم: الأعمش، وطلحة بن مصرف، ومنصور بن المعتمر، وعاصم بن بهدلة، وعمرو بن مرة.

٢٥٤ ـ الحارث بن سويد

ومنهم الحارث بن سويد التيمي[١] أبو عائشة، كان على وقته شحيحاً، وبالإغضاء عن اللاهين نجيحاً.

عن إبراهيم التيمي. قال: إن كان الرجل من الحي ليجيء فيسب الحارث بن سويد فيسكت، فإذا سكت قام فنفض رداءه ودخل.

عن أبي حيان التيمي، عن أبيه. قال: صحب عبد الله بن مسعود من التيم سبعون رجلاً، وكان الحارث بن سويد من أعلاهم نفساً.

عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي. قال: لقد أدركت سبعين شيخاً من أصحاب عبد الله أصغرهم الحارث بن سويد، فسمعته يقرأ ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ ـ حتى انتهى إلى قوله ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ فقال: إن هذا لإحصاء شديد.

---

(١) توفي الحارث بن سويد بالكوفة في آخر أيام ابن الزبير.

عن أيوب، عن يحيى بن سعيد بن حبان، عن أبيه. قال: جمع المختار رباع أهل الكوفة على صحيفة مختومة يبايعون على ما فيها ويقرون بها. فقلت: لأنظرن ما يصنع الحارث بن سويد، فلما دعيت إذا هو بين يدي القوم فمشيت إلى جنبه، فقلت: يا أبا عائشة أتدري ما في هذه الصحيفة؟ قال: إليك عني، فإني سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما كنت لأدع قولاً أقوله أدرأ به عني سوطين.

أسند الحارث بن سويد عن؛ عبد الله بن مسعود، وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما.

روى عنه؛ عمارة بن عمير، وإبراهيم التيمي، وثمامة بن عقبة.

٢٥٥ ـ الحارث بن قيس الجعفي

ومنهم الحارث بن قيس الجعفي.

عن خيثمة، عن الحارث بن قيس. قال: إذا كنت في أمر الآخرة فتمكَّث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخَّ، وإذا هممت بأمر خير فلا تؤخره، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك مراء فزدها طولاً.

٢٥٦ ـ شريح بن الحارث الكندي (القاضي)

[ت٧٦هـ]

ومنهم شريح بن الحارث الكندي[1] أبو أمية القاضي، كان من حاله التسليم والتراضي، والقيام على نفسه بالمحاسبة والتقاضي.

عن إبراهيم. قال: كان شريح يقول: سيعلم الظالمون حق من نقضوا، إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر.

عن الأعمش. قال: اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس

---

(١) توفي شريح سنة ست وسبعين، وقد بلغ مائة وثماني سنين.

في الشمس، فدخل عليه عواده. فقالوا: كيف تجدك؟ فقال: صالح! فقالوا: ألا أريتها الطبيب. فقال: قد فعلت. فقالوا: ما قال لك؟ قال: وعد خيراً.

عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن شريح؛ أنه كان يقول: أخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

عن الأعمش. قال: مرّ شريح بقوم وهم يلعبون، فقال: مالكم؟ قالوا: فرغنا يا أبا أمامة، قال: ما بهذا أمر الفارغ.

عن سالم أبي عبد الله. قال: شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل قال: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، فقال: إني رجل من أهل الشام. فقال: بعيد سحيق، قال: إني تزوجت امرأة. قال: بالرفأ والبنين. قال: إني اشترطت لها دارها، قال: الشرط أملك! قال: اقض بيننا. قال: قد فعلت.

عن سفيان، عن رجل، عن شريح. أنه قيل له: بأي شيء أصبت هذا العلم، قال: بمقاومة العلماء، آخذ منهم وأعطيهم.

عن هبيرة. سمع علياً رضي الله تعالى عنه يقول: يا أيها الناس يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة، فجعل يسألهم ما كذا، ما كذا، ويسألونه يا أمير المؤمنين ما كذا فيخبرهم، حتى ارتفع النهار وتصدعوا غير شريح جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا قال: كذا وكذا، ولا يسأله شريح عن شيء إلا أخبره به. فسمعت علياً يقول: قم يا شريح فأنت أقضى العرب!!

عن إبراهيم، عن شريح؛ أنه قضى على رجل باعترافه. فقال: يا أبا أمية قضيت علي بغير بينة؟ قال: أخبرني بذلك ابن أخت خالتك.

عن أبي حصين. قال: سئل شريح عن شاة تأكل الذباب. فقال: علف مجان ولبن طيب.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمعان. قال: كتب شريح القاضي إلى أخ له هرب من الطاعون، أما بعد فإنك والمكان الذي أنت به، بعين من لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل أمر حمامه، ولم يظلمه أيامه، وإنك وإياهم لعلى بساط واحد، وإن المنتجع من ذي قدرة لقريب والسلام.

عن الشعبي، عن شريح؛ أن عمر كتب إليه: إذا جاءك الشيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلفتنك عنه رجال، وإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة نبيك عليه السلام فاقض بها، وإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به.

عن ميسرة، عن شريح. قال: كنت مع علي رضي الله تعالى عنه في سوق الكوفة حتى انتهى إلى قاص يقص فوقف عليه. فقال: أيها القاص تقص ونحن قريب العهد، أما إني أسألك فإن تخرج عما سألتك وإلا أدبتك. قال القاص: سل يا أمير المؤمنين عما شئت. فقال علي: ما ثبات الإيمان وزواله؟ فقال القاص: ثبات الإيمان الورع، وزواله الطمع. قال علي: فمثلك يقص.

عن الأصمعي. قال: قال رجل لشريح: لقد بلغ الله بك يا أبا أمية. قال: إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها فيك. قال: إني والله لأحسدك على ما أرى بك؟ قال: ما ينفعك الله بهذا ولا ضرني.

عن الشعبي. قال: اشترى عمر فرساً من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب. فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؟ فقال: لا! قال: فاجعل بيني وبينك حكماً. قال الرجل: شريح. قال: ومن شريح؟ قال شريح العراقي. قال: فانطلقا إليه فقصا

عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته. فقال عمر: وهل القضا إلا هذا، سر إلى الكوفة. فإنه لأول يوم عرفه يومئذ.

أسند شريح عن البدريين: منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما.

٢٥٧ ـ عمرو بن شرحبيل

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم العارف بالسبيل، العازم على الرحيل، أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل.

عن أبي إسحاق. قال: أوى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل إلى فراشه. فقال: يا ليت أمي لم تلدني فقالت له امرأته: أبا ميسرة أليس قد أحسن الله إليك؟ هداك للإسلام، وفعل بك كذا. قال: بلى! ولكن الله أخبرنا إنا واردون على النار ولم يبين لنا إنا صادرون عنها.

عن شقيق أبي وائل. قال: ما ولدت همدانية قط أحب إليَّ أن أكون في مسلاخه، من عمرو بن شرحبيل.

عن أبي وائل. قال: أنبأنا عمرو بن شرحبيل وكان من أفضل أصحاب عبد الله بن مسعود.

عن مرة بن شرحبيل. قال: سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة فخالفه عمرو بن شرحبيل فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته. فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى! فأتيا أبا موسى الأشعري فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل. وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون.

عن عمارة. قال: قال أبو معمر عبد الله بن سخبرة، لما مات

أبو ميسرة: يا أصحاب عبد الله امشوا خلف أبي ميسرة، فإنه كان يستحب أن يمشي خلف الجنائز.

عن أبي إسحاق؛ أن أبا ميسرة أوصى أن يصلي عليه شريح.

أسند عمرو بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وخباب بن الأرت، وكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين.

٢٥٨ ـ عمرو بن ميمون الأودي

[ت٧٤هـ]

ومنهم عمرو بن ميمون الأودي[١]. المتحمل للعناء، المتشوق للقاء، كان للحياة مستبقاً، وللعبادة معتنقاً.

عن أبي إسحاق؛ أن عمرو بن ميمون حج ستين حجة وعمرة.

عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون؛ أنه كان لا يتمنى الموت حتى أرسل إليه يزيد بن أبي مسلم فتعنته ولقي منه شدة، ولم يكد أن يدعه، ثم تركه بعد ذلك. قال فكان يقول: اليوم أتمنى الموت، اللهم ألحقني بالأبرار، ولا تخلفني مع الأشرار، واسقني من خير الأنهار.

عن الوليد بن العيزار عن عمرو بن ميمون. قال: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره.

عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون. قال: ما تكلم الناس بشيء أعظم من لا إله إلا الله. فقال سعيد بن عياض: تدري ما هي؟ هي والله الكلمة التي ألزمها محمداً وأصحابه وكانوا أحق بها وأهلها.

عن حصين، عن عمرو بن ميمون الأودي. قال: ثلاثة ارفضوهن ولا تكلموا فيهن؛ القدر، والنجوم، وعلي وعثمان.

---

(١) توفي عمرو بن ميمون سنة أربع وسبعين، في أول خلافة عبد الملك.

عن أبي المليح. قال: قال عمرو بن ميمون: ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي.

أسند عمرو بن ميمون الأودي: عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله تعالى عنهم.

٢٥٩ ـ عمرو بن عتبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى. ومنهم المجاب المستشهد، عمرو بن عتبة بن فرقد[١]، كان مظللاً محروساً، وبالبلاء مكللاً ممسوساً.

عن إبراهيم بن علقمة. قال: خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومعضد غازين، فلما بلغنا ما سبذان وأميرها عتبة بن فرقد. فقال لنا ابنه عمرو بن عتبة: إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم نزلا، ولعله أن تظلموا فيه أحداً، ولكن إن شئتم قلنا في ظل هذه الشجرة، وأكلنا من كسرنا، ثم رجعنا ففعلنا، فلما قدمنا الأرض قطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها. فقال: والله أن تحدر لي الدم على هذه لحسن فرمي، فرأيت الدم يتحدر على المكان الذي وضع يده عليه فمات.

عن الأعمش. قال: قال عمرو بن عتبة بن فرقد: سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة. سألته أن يزهدني في الدنيا، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها.

عن السدي. قال: حدثني ابن عم لعمرو بن عتبة. قال: نزلنا

---

(١) استشهد عمرو بن عتبة في غزاة أذربيجان، وذلك في خلافة عثمان.

في مرج حسن فقال عمرو بن عتبة: ما أحسن هذا المرج؟ ما أحسن الآن لو أن منادياً نادى يا خيل الله اركبي، فخرج رجل فكان في أول من لقي فأصيب ثم جيء به فدفن في هذا المرج. قال: فما كان بأسرع من أن نادى مناد يا خيل الله اركبي، فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج فأتى عتبة فأخبر بذلك. فقال: علي عمراً علي عمراً، فأرسل في طلبه فما أدرك حتى أصيب. قال: فما أراه دفن إلا في مركز رمحه، وعتبة يومئذ على الناس.

عن عبد الله بن ربيعة. قال: قال عتبة بن فرقد لعبد الله: يا عبد الله ألا تعينني على ابن أخيك، يعينني على ما أنا فيه من عمل. فقال له عبد الله: يا عمرو أطع أباك. قال: فنظر إلى معضد وهو جالس فقال له معضد: لا تطعهم واسجد واقترب. فقال عمرو: يا أبت إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتي فدعني فأعمل في فكاك رقبتي، قال: فبكى عتبة فقال: يا بني إني لأحبك حبين حباً لله، وحب الوالد لولده. قال عمرو: يا أبت إنك قد كنت أتيتني بمال قد بلغ سبعين ألفاً فإن كنت سائلي عنه فهو ذا فخذه وإلا فدعني فأمضيه. قال له عتبة: فأمضه قال: فأمضاها فما بقي منها درهم.

عن السدي. قال: خرج عمرو بن عتبة بن فرقد فاشترى فرساً بأربعة آلاف درهم فعنفوه يستغلونه. فقال: ما من خطوة يخطوها يتقدمها إلى عدو إلا وهي أحب إليّ من أربعة آلاف.

عن ابن لاحق عن من ذكره. قال: كان له ـ يعني عمرو بن عتبة ـ كل يوم رغيفان يتسحر بأحدهما ويفطر بالآخر.

عن عيسى بن عمر. قال: كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم يبكي ويصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح.

قال الشيخ رضي الله عنه: عمرو بن عتبة من كبار تابعي أهل الكوفة مشهور بالتعبد والزهد، شغلته العبادة عن الرواية. ذكر القاضي أبو أحمد العسال في تاريخه أنه لا يعرف له مسنداً.

٢٦٠ ـ معضد أبو زيد العجلي

ومنهم المتعبد المتهجد، الشاهد المستشهد، أبو زيد العجلي معضد.

عن همام. قال: انتهيت إلى معضد وهو ساجد، فأتيته وهو يقول: اللهم اشفني من النوم باليسير، ثم مضى في صلاته.

عن بلال بن سعد، عن معضد. قال: لولا ثلاث؛ ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل. ما باليت أن أكون يعسوباً.

عن علقمة. قال: حاصرنا مدينة فأعطيت معضداً ثوباً لي فاعتجر به فأصابه حجر في رأسه فجعل يمسحها وينظر إليَّ ويقول: إنها لصغيرة وإن الله ليبارك في الصغير فأصابه من دمه. قال: فغسلته فلم يذهب، وكان علقمة يلبسه ويصلي فيه ويقول: إنه ليزيده إليّ حباً أن دم معضد فيه.

عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: خرجنا في جيش فيهم علقمة، ويزيد بن معاوية النخعي، وعمرو بن عتبة، ومعضد، قال: فخرج عمرو بن عتبة وعليه جبة جديدة بيضاء. فقال: ما أحسن الدم ينحدر على هذه، فخرج فتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه، قال: فتحدر عليها الدم ثم مات منها فدفناه. قال: وخرج معضد العجلي يتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه فجعل يلمسها بيده ويقول: إنها لصغيرة وإن الله ليبارك في الصغيرة قال: فمات منها فدفناه.

قال الشيخ رضي الله عنه: لا أعرف لمعضد مع شهرته بالعبادة مسنداً مرفوعاً متصلاً.

٢٦١ ـ شبيل بن عوف

ومنهم أخيذ الحذر والخوف، وحفيظ النظر والجوف، الأحمسي شبيل بن عوف.

عن إسماعيل بن أبي خالد عن شبيل بن عوف. قال: ما أغبرت رجلاي في طلب دنيا قط.

عن إسماعيل بن أبي خالد، يذكر عن شبيل بن عوف. قال: ما جلست في مجلس قط إلا انتظار جنازة أو لحاجة.

عن ابن أبي خالد عن شبيل بن عوف. قال: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كمن أبداها.

شبيل بن عوف يكنى أبا الطفيل، أدرك الجاهلية وشهد فتح القادسية. سمع عمر بن الخطاب، وزيد بن أرقم، وأبا جبيرة الأنصاري وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

عن إسماعيل عن شبيل بن عوف قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: من مؤذنوكم اليوم؟ قالوا: موالينا وعبيدنا. قال: إن ذلك لنقص كبير.

٢٦٢ ـ مرة بن شراحيل

ومنهم المدمن للتعبد، المواظب على التهجد، المنقبض عن الهزل والأباطيل، المحصن لسانه في الفتن عن الأقاويل، الطيب أبو إسماعيل مرة بن شراحيل.

عن يحيى بن معين. قال: مرة بن شراحيل مرة الطيب، وإنما سمي الطيب لعبادته.

عن ابن إدريس. قال: سمعت حصينا. قال: أتينا مرة بن شراحيل الطيب نسأل عنه، فقالوا: إنه في غرفة له قد تعبد اثنتي عشرة سنة، قال: فدخلنا عليه.

عن العلاء بن عبد الكريم الأيامي. قال: كنا نأتي مرة الهمداني فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه. قال: فيجلس معنا هنيهة ثم يقوم فإنما هو ركوع وسجود.

عن الهيثم. قال: كان مرة يصلي كل يوم مائتي ركعة.

عن عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ، عن رجل عن مرة الطيب. قال: لما كانت الفتنة الأولى عصمه الله منها، فقال: عصمت منها لأحدثن لله شكراً فكان يصلي في اليوم والليلة خمسين ركعة يختم فيها القرآن فلما كانت فتنة ابن الزبير عصم منها فقال: عصمت منها لأحدثن لله شكراً، فكان يصلي في اليوم والليلة عدد سور القرآن مائة ركعة وأربع عشرة ركعة يختم فيها القرآن.

عن زبيد الأيامي. قال: قيل لمرة بن شراحيل: ألا تلحق بعلي بصفين؟ قال: إن علياً سبقني بخير أعماله، بدر وذواتها، وأنا أكره أن أشركه فيما هان فيه.

عن إسماعيل بن أبي خالد. قال مرة: شهدت فتح القادسية في ثلاثة آلاف من قومي فما منهم من أحد إلا خف في الفتنة غيري، وما منهم أحد إلا غبطني.

عن حمزة العبدي. قال: أتينا مرة بن شراحيل فقال: ألا إن الله عز وجل لم يكتب على عبد بلاء إلا أمضاه عليه، وإن أطاعه ذلك العبد، ولم يكتب لعبد رزقاً إلا وفاه إياه وإن عصاه ذلك العبد.

أسند مرة بن شراحيل الهمداني عن الصديقين وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم.

أصحاب عبد الله بن مسعود

قال الشيخ رحمه الله: قد ذكرنا عدة من أصحاب عبد الله بن مسعود رحمهم الله تعالى وبقى منهم عدة لم نذكرهم.

منهم: زيد بن وهب، وسويد بن غفلة، وزر بن حبيش، وكردوس، وأبو عمرو الشيباني، ويزيد بن معاوية النخعي، وهمام، وغيرهم نقتصر من ذكر كل واحد منهم على حكاية أو حكايتين تدل على أحوالهم، إذ هم المشهورون بالتبحر في علم القرآن، والأحكام. يستغني بالمنتشر من أخبارهم، والمستفيض من أحوالهم عن الاستقصاء والإكثار من ذكر كلامهم وأقوالهم.

٢٦٣ - زيد بن وهب

عن أبي منصور، عن زيد بن وهب[(١)]. قال: خرجت إلى الجبانة فجلست فيها إلى جنب حائط، فجاء رجل إلى قبر فسواه، ثم جاء فجلس إليّ. فقلت: من هذا؟ قال أخي. قلت: أخ لك. قال: أخ لي في الإسلام رأيته البارحة فيما يرى النائم، فقلت: فلان قد عشت الحمد لله رب العالمين. قال: قد قلتها، لأن أكون أقدر على أن أقولها أحب إليّ من ملء الأرض وما فيها، ألم تر حين كانوا يدفنوني فإن فلاناً قام فصلى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

(١) رحل زيد إلى رسول الله ﷺ فقبض رسول الله ﷺ وزيد في الطريق.
توفي زيد بعد الجماجم. التي كانت سنة أربع وثمانين.

كان من شأن زيد إذا كان مقيماً: التعبد والتوحد، وإذا كان مسافراً: الجهاد والحج والعمرة.

عن عبد الله بن داود. قال: أخبرتنا مولاة لزيد بن وهب قالت: كان زيد بن وهب قد أثر الرحل بوجهه من الحج والعمرة.

أسند زيد بن وهب: عن عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وحذيفة، وأكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٢٦٤ ـ سويد بن غفلة

[ت٨١هـ]

وأما أبو أمية سويد بن غفلة[1]، فكان الأذان والصلاة عمله، وبلغ من أقصى السن أمله، ولم تخرج الفتن عقله ولا جهله.

عن عامر ـ يعني الشعبي ـ. قال: قال سويد بن غفلة: أنا أصغر من النبي ﷺ بسنة.

عن ميسرة أبي صالح، عن سويد بن غفلة. قال: أتانا مصدق النبي ﷺ، وصليت معه ولم ألقه صلىٰ الله عليه وسلم.

عن حنش بن الحارث النخعي. قال: رأيت سويد بن غفلة يمر بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد، وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة.

عن عاصم. قال: تزوج سويد بن غفلة، وهو ابن ست عشرة ومائة سنة، وكان يمشي يأتي الجمعة يؤمنا.

---

(١) رحل سويد إلى رسول الله ﷺ، فوصل إلى المدينة، وقد قبض ﷺ.
توفي سنة إحدى وثمانين، وهو ابن ثمان وعشرون ومائة. (الصفوة).

عن عمران. قال: قال سويد بن غفلة: لو استطعت أن أكون مؤذن الحي لفعلت.

عن علي بن مدرك. قال: كان سويد بن غفلة يؤذن بالهاجرة فسمعه الحجاج وهو بالدير. فقال: ائتوني بهذا المؤذن فأتي بسويد بن غفلة. فقال: ما حملك على الصلاة بالهاجرة؟ قال: صليتها مع أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

عن عمران بن مسلم. قال: كان سويد بن غفلة، إذا قيل له: أعطيَ فلان، وولي فلان. قال: حسبي كسرتي وملحي.

أسند سويد: عن أبي بكر، وعمر، وعبد الله بن مسعود، وبلال وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٢٦٥ ـ همام بن الحارث النخعي

ومنهم المتعبد القوام، المتلذذ بالسهر للذكر همام، وهو همام بن الحارث النخعي[١].

عن إبراهيم. قال: أصبح همام مترجلاً[٢]، فقال بعض القوم: إن جمة همام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل، قال: وكان صاحب صلاة.

عن إبراهيم، عن همام بن الحارث. أنه كان يدعو: اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهراً في طاعتك، فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد.

(١) توفي همام بالكوفة في ولاية الحجاج.
(٢) ترجيل الشعر: تسريحه وتنظيفه.

أسند همام: عن عبد الله بن مسعود، وحذيفة، وغيرهما رضي الله تعالى عنهم.

٢٦٦ ـ كردوس بن هاني

ومنهم كردوس بن هاني. وقيل ابن عياش التغلبي وقيل ابن عمرو، يعرف بالقاص كان يقص على التابعين.

عن عبد الله بن إدريس. قال: سمعت عَمّي يذكر. قال: كان كردوس يقول: ويقص علينا زمن الحجاج: إن الجنة لا تنال إلا بعمل، اخلطوا الرغبة بالرهبة، ودوموا على صالح الأعمال، واتقوا الله بقلوب سليمة وأعمال صادقة.

ويكثر أن يقول: من خاف أدلج، ومن خاف أدلج، ومن خاف أدلج.

عن شقيق، عن كردوس بن هاني. قال: كنت أجد في الإنجيل إذ كنت أقرأ، إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه وإنه ليحبه، لينظر كيف تضرعه.

أسند كردوس: عن ابن مسعود، وحذيفة رضي الله تعالى عنهما.

٢٦٧ ـ زر بن حبيش

ومنهم الوافد الغادي، الذاكر في النادي وَفَدَ ليتعلم، وغزا ليغنم، زر بن حبيش أبو مريم[1]. تحمل الكلال، طلباً للكمال، فحفظ من الملال، وثبت في الوصال.

عن عاصم، عن زر بن حبيش. قال: خرجت في وفد لأهل

---

(١) توفي زر بن حبيش وهو ابن اثنتين وعشرين ومائة، رحمه الله تعالى.

الكوفة، وايم الله إن حرضني على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. فلما قدمت المدينة لزمت أبيّ بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف.

عن عاصم بن زر بن حبيش. قال: أتيت صفوان بن عسال، فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت ابتغي العلم. قال: ما من رجل خرج من بيته ابتغاء العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاء بما يعمل.

عن إسماعيل. قال: رأيت زراً وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة وإن لحييه ليضطربان من الكبر.

عن عاصم. قال: ما رأيت رجلاً أقرأ من زر بن حبيش.

عن أبي بكر بن عياش. قال: كان زر بن حبيش من أعرب الناس، كان ابن مسعود يسأله، يعني عن العربية.

عن عاصم. قال: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً، منهم زر بن حبيش.

عن سويد الكلبي؛ أن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه، وكان في آخره:

ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحتك فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها ... تلك زروع قد دنى حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر لو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.



قال الشيخ رحمه الله تعالى: أدرك زر بن حبيش الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين. وسمع من عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما. واقتبس من علماء الصحابة: أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة، رضي الله تعالى عنهم.

٢٦٨ ـ أبو عبد الرحمن السلمي

[١٥ ـ ١٠٥هـ]

ومنهم ذو الصيام والقيام، مقرئ الأئمة والأعلام، على مدى السنين والأعوام، في التعبد لبيب، وفي التعليم أريب. أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب[(١)].

عن عطاء بن السائب. قال: ذهبنا نرجي أبا عبد الرحمن السلمي عند موته، فقال: إني لأرجو ربي، وقد صمت له ثمانين رمضاناً.

عن أبي إسحاق السبيعي. قال: أقرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة.

عن شمر. قال: أخذ بيدي أبو عبد الله الرحمن السلمي فقال: كيف قوتك على الصلاة؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره، قال أبو عبد الرحمن: كنت أنا مثلك أصلي العشاء، ثم أقوم أصلي فإذا أنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت.

عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن؛ أنه كان يؤتى بالطعام إلى المسجد، فربما استقبلوه به في الطريق، فيطعمه المساكين فيقولون: بارك الله فيك. فيقول: وبارك الله فيكم ويقول: قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، إذا تصدقتم، ودعي لكم، فردوا حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم به.

---

(١) توفي أبو عبد الرحمن السلمي سنة خمس ومائة، وله تسعون سنة، رحمه الله.

عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن. قال: إن الملك يجيء إلى أحدكم غدوة بصحيفة فليمل فيها خيراً، فإنه إذا أملى في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً كان عسى أن يكفر ما بينهما.

عن عاصم. قال: كان أبو عبد الرحمن إذا ابتدأ مجلسه، قال: لا يجالسنا رجل جالس شقيقاً الضبي، ولا يجالسنا حروري، وإياي والقصاص إلا أبو الأحوص. قال عاصم: كنا نجلس إلى أبي الأحوص فيتكلم بكلمات.

عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن. أن شقيقا الضبي قال له: لم تنه الناس عن مجالستي؟ قال: إني رأيتك مضلاً لدينك تطلب أرأيت أرأيت!!.

أسند أبو عبد الرحمن عن الخلفاء: عمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وعن أبي مسعود، وأبي الدرداء، وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٢٦٩ ـ زياد بن جرير الأسلمي

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم معظم الأمانة، ومنظم الديانة، الفقيه التقي، العامل الوفي، زياد بن جرير الأسلمي[(١)].

عن خناس بن سحيم. قال: أقبلت مع زياد بن جرير من الكناسة فقلت في كلامي: لا والأمانة، فجعل زياد يبكي ويبكي حتى ظننت أني أتيت أمراً عظيماً، فقلت له: أكان يكره ما قلت؟ قال: نعم! كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي.

---

(١) الذي في «صفة الصفوة»: زياد بن حدير الأسدي، يكنى أبا المغيرة وقيل: أبا عبد الرحمن.

عن الشعبي، عن زياد بن جرير. قال: أتيت عمر بن الخطاب فقال: يا زياد أفي هدم أنتم أم في بناء؟ قال: قلت: لا بل في بناء. فقال عمر: أما إن الزمان ينهدم بزلة عالم، وجدال منافق، أو أئمة مضلين.

عن جعفر بن حميد. قال: كان زياد بن جرير يقول: تجهزتم؟ فسمعه رجل فقال: ما يعني بقوله تجهزتم؟ فيقول: تجهزوا للقاء الله تعالى.

عن شمر بن عطية عن زياد بن جرير. قال: ما فقه قوم لم يبلغوا التقى.

عن أبي صخرة، عن زياد بن جرير. قال: وددت أني في دين[1] من حديد معي فيه ما يصلحني لا أكلم الناس ولا يكلموني حتى ألقى الله.

عن حفص بن حميد. قال: قال لي زياد بن جرير: خذ من شعرك فإن فيه فتنة.

قال: وكان الرجل يأتي زياد بن جرير فيقول له: إني أريد رستاق كذا وكذا[2]، فيقول له: اقطع طريقك بذكر الله.

عن حفص بن حميد. قال: قال لي زياد بن جرير: اقرأ عليّ، فقرأت عليه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾[3] فقال: يا ابن أم زياد أنقض ظهر رسول الله ﷺ؟! فجعل يبكي كما يبكي الصبي.

---

(١) الذي في «صفة الصفوة»: «أني في حيّزٍ من حديد» وهو أوضح مما في الأصل.

(٢) الرستاق: فارسي معرب، ومعناه: السواد، والمراد: أنه يريد السفر إلى مكان ما.

(٣) سورة الشرح: الآيات (١ ـ ٣).

عن عاصم؛ أن زياد بن جرير قال: قدمت على عمر بن الخطاب وعليّ طيلسان وشاربي عافٍ، فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ ولم يرد عليّ السلام، فانصرفت عنه فأتيت ابنه عاصماً، فقلت له لقد رميت من أمير المؤمنين في الرأس. فقال: سأكفيك ذلك، فلقي أباه فقال يا أمير المؤمنين أخوك زياد بن جرير يسلم عليك، فلم ترد عليه السلام. فقال: إني قد رأيت عليه طيلساناً ورأيت شاربه عافياً. قال: فرجع إليّ فأخبرني، فانطلقت فقصصت شاربي وكان معي برد شققته فجعلته إزاراً ورداء، ثم أقبلت إلى عمر فسلمت عليه. فقال: وعليك السلام، هذا أحسن مما كنت فيه يا زياد.

قال الشيخ رحمه الله: كان زياد قليل المسانيد، أسند عن عليّ وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما.

٢٧٠ ـ زاذان أبو عمرو الكندي

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الناصح المجاب، والرابح المثاب، زاذان أبو عمرو الكندي[١].

عن واقد، عن زاذان. قال: من قرأ القرآن، ليتأكل به الناس، جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم.

عن محمد بن جحادة. قال: كان زاذان يبيع الكرابيس[٢] فكان إذا جاءه الرجل أراه شر الطرفين وسامه سومة واحدة.

عن زبيد. قال: رأيت زاذان يصلي كأنه جذع قد حفر له.

عن عبيد الله بن أبي كثير. قال: كان زاذان يخرج يوم العيد يتخلل الطرق ويكبر ويذكر الله حتى يأتي المصلى.

---

(١) توفي زاذان بالكوفة أيام الحجاج بعد الجماجم.

(٢) الكرابيس: الثياب القطنية.

عن العيزار بن عمرو. قال: خرجت مع زاذان إلى الجبان يوم عيد، فرأى ستور الحجاج ترفعها الريح. فقال: هذا والله المفلس. فقلت: تقول هذا وله مثل هذا؟ فقال: مفلس من دينه.

أسند زاذان: عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وجرير بن عبد الله البجلي، وسلمان الفارسي، والبراء بن عازب، وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

٢٧١ ـ أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود

قال الشيخ رحمه الله تعالى. ومنهم الذاكر الشاكر أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

عن هلال عن أبي عبيدة. قال: ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو في الصلاة، وإن كان في السوق فإن يحرك به شفتيه فهو أعظم.

عن أبي سنان، عن أبي عبيدة. قال: لو أن رجلاً جلس على ظهر الطريق، ومعه خرقة فيها دنانير لا يمر إنسان إلا أعطاه ديناراً، وآخر إلى جانبه يكبر الله تعالى لكان صاحب التكبير أعظم أجراً.

عن إسرائيل، عن أبي عبيدة. قال: إن جباراً من الجبابرة قال: لا أنتهي حتى أنظر من في السماء؟ قال: فسلط الله تعالى عليه أضعف خلقه فدخلت بقة في أنفه فأخذه الموت. فقال: اضربوا رأسي فضربوه حتى نثروا دماغه.

عن قتادة. قال: كان أبو عبيدة يقول: ما من الناس أحد أحمر ولا أسود أعجمي ولا فصيح، أعلم أنه أفضل مني بتقوى، إلا أحببت أن أكون في مسلاخه.

عن الربيع بن أبي راشد. قال: سمعت أبا عبيدة يقول: إن الحكم العدل يسكن الأصوات عن الله عز وجل، وإن الحكم الجائر تكثر منه الشكاة إلى الله تعالى.

أسند أبو عبيدة عن أبيه رضي الله تعالى عنهما.

٢٧٢ ـ يزيد بن شريك التيمي وابنه إبراهيم

ومنهم يزيد بن شريك التيمي وابنه إبراهيم[(١)].

عن ليث بن أبي سليم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه. قال: قدمت البصرة فربحت فيها عشرين ألفاً فما اكترثت بها فرحاً، وما أريد أن أعود إليها. لأني سمعت أبا ذر يقول: إن صاحب الدرهم يوم القيامة أخف حساباً من صاحب الدرهمين.

عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه: أنه خرج إلى البصرة فاشترى رقيقاً بأربعة آلاف درهم، ثم باعهم فربح أربعة آلاف درهم، فقلت: يا أبت لو أنك عدت إلى البصرة فاشتريت مثل هؤلاء فربحت فيهم. فقال: يا بني لم تقول هذا؟ فوالله ما فرحت بها حين أصبتها ولا أحدث نفسي أن أرجع فأصيب مثلها.

عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي؛ أن أباه كان يرتدي بالرداء فيبلغ أليتيه من خلفه، وثدييه من بين يديه. فقلت: يا أبت لو اتخذت رداء هو أوسع من ردائك هذا، فقال: يابني لم تقول هذا فوالله ما على الأرض لقمة لقمتها إلا وددت أنها كانت في في أبغض الناس إليّ.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال إبراهيم التيمي، مثلت نفسي في النار أعالج أغلالها وسعيرها، وآكل من زقومها وأشرب من زمهريرها، فقلت: يا نفسي أي شيء تشتهين؟ قالت: أرجع إلى الدنيا أعمل عملاً أنجو به من هذا العذاب. ومثلت نفسي في الجنة مع حورها، وألبس من سندسها وإِستبرقها وحريرها، فقلت: يا نفسي أي شيء تشتهين؟ قالت: أرجع إلى الدنيا فأعمل عملاً أزداد من هذا الثواب! فقلت: أنت في الدنيا وفي الأمنية.

---

(١) توفي إبراهيم في حبس الحجاج سنة اثنتين وتسعين. (الصفوة).

عن أبي حيان. قال: قال إبراهيم التيمي: ما عرضت عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذباً.

عن عمر بن ذر. قال: ربما قيل لإبراهيم التيمي: تكلم! فيقول: ما تحضرني نية.

عن مسافر الجصاص. قال: كان إبراهيم التيمي يدعو يقول: اللهم أعصمني بكتابك وسنة نبيك من اختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى بغير هدى منك، ومن سبل الضلالة، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ واللبس والخصومات.

عن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي. قال: ما أكل آكل أكلة تسره ولا شرب شربة تسره، إلا نقص بها من حظه من الآخرة.

عن الأعمش. قال: كان إبراهيم التيمي إذا سجد تجيء العصافير تستقر على ظهره كأنه جذم حائط.

عن سفيان. قال: قال التيمي: كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها.

عن الأعمش. قال: سمعت إبراهيم [النخعي] يقول: ما أحد يبتغي بقصصه وجه الله غير إبراهيم التيمي، ولوددت أنه انفلت منه كفافاً.

عن العوام بن حوشب. قال: ما رأيت رجلاً قط خيراً من إبراهيم التيمي، وما رأيته رافعاً بصره إلى السماء لا في صلاة ولا في غيرها، وسمعته يقول: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

عن حصين. قال: كان من كلام إبراهيم التيمي أنه يقول: أي حسرة أكبر على امرئ من أن يرى عبداً كان له، خوله الله إياه في الدنيا، هو أفضل منزلة منه عند الله يوم القيامة؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يصيب مالاً فيرثه غيره، فيعمل فيه بطاعة الله تعالى،

فيصير وزره عليه وأجره لغيره؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يرى من كان مكفوف البصر ففتح له عن بصره يوم القيامة وعمي هو؟ إن من كان قبلكم يفرون من الدنيا وهي مقبلة عليهم، ولهم من القدم مالهم، وأنتم تتبعونها وهي مدبرة عنكم، ولكم من الأحداث مالكم، فقيسوا أمركم وأمر القوم.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى، فاغسل يدك منه.

أسند إبراهيم بن يزيد التيمي أبو إسماعيل، عن جماعة وأكثر روايته عن أبيه وعن الحارث بن سويد.

٢٧٣ ـ إبراهيم بن يزيد النخعي

[ت٩٥هـ]

ومنهم التقي الحفي، الفقيه الرضي، إبراهيم بن يزيد النخعي[(١)].

كان للعلوم جامعاً، ومن نخوة النفوس واضعاً، وعن المتواضعين رافعاً.

عن الأعمش. قال: كان إبراهيم يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته. فأقول له في الشيء يسأل عنه، أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا. وكان إبراهيم صيرفي الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه.

عن زبيد. قال: ما سألت إبراهيم قط عن شيء إلا رأيت الكراهية في وجهه.

---

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي، يكنى أبا عمران، توفي بالكوفة سنة خمس وتسعين، وهو ابن تسع وأربعين، وقيل ابن نيف وخمسين. (الصفوة).

عن منصور. قال: ما سألت إبراهيم قط عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون وعسى.

عن الأعمش. قال: كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف. فاستأذن عليه رجل فغطى المصحف. وقال: لا يرني هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

عن عبد الله بن شعيب بن الحبحاب. قال: كنت فيمن صلى على إبراهيم النخعي رحمه الله ليلاً، ودفن في زمن الحجاج، إما تاسع تسعة وإما سابع سبعة، ثم أصبحت فغدوت على الشعبي رحمه الله تعالى. فقال: دفنتم ذلك الرجل الليلة؟ قلت: نعم! قال: دفنتم أفقه الناس قلت: ومن الحسن؟ قال: أفقه من الحسن ومن أهل البصرة ومن أهل الكوفة، وأهل الشام وأهل الحجاز.

عن عبد الله بن أشعث بن سوار. قال: قلت للحسن: مات إبراهيم! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! إن كان لقديم السن لكثير العلم.

عن إسماعيل بن أبي خالد. قال: كان الشعبي وأبو الضحى وإبراهيم وأصحابنا يجتمعون في المسجد فيتذاكرون الحديث، فإذا جاءتهم فتيا ليس عندهم منها شيء، رموا بأبصارهم إلى إبراهيم النخعي.

عن الأعمش. قال: ما عرضت على إبراهيم حديثاً قط إلا وجدت عنده منه شيئاً.

عن المغيرة. قال: قال الشعبي حين بلغه موت إبراهيم: هلك الرجل؟ قيل: نعم! قال: لو قلت أنعي العلم ما خلف بعده مثله، وسأخبركم عن ذلك. إنه نشأ في أهل بيت فقه فأخذ فقههم، ثم جالسنا فأخذ صفو حديثنا، إلى فقه أهل بيته، فمن كان مثله، والعجب منه حين يفضل سعيد بن جبير على نفسه.

عن عبد الملك بن أبي سليمان. قال: سمعت سعيد بن جبير يسأل، فقال: تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي؟

عن مغيرة، عن إبراهيم. قال: كان أصحابنا يكرهون تفسير القرآن ويهابونه.

عن أبي حمزة الأعور. قال: لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت إبراهيم النخعي فقلت: يا أبا عمران أما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات. فقال: أوه دققوا قولاً واخترعوا ديناً من قبل أنفسهم، ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا هو الحق وما خالفه باطل، لقد تركوا دين محمد ﷺ إياك وإياهم.

عن ميمون بن أبي حمزة. قال: قال لي إبراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بدا ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

عن فضيل بن عمرو، عن إبراهيم. قال: إذا سألوك مؤمن أنت؟ فقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

عن هنيدة امرأة إبراهيم النخعي؛ أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

عن زكرياء العبدي، عن إبراهيم النخعي: أنه بكى في مرضه فقالوا له: يا أبا عمران ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا أنتظر رسولاً من ربي يبشرني إما بهذه وإما بهذه.

عن الأعمش، عن إبراهيم. قال: كانوا يجلسون فيتذاكرون فأطولهم سكوتاً، أفضلهم في أنفسهم.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: كانوا يقولون ويرجون، إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من الدم، أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه.

عن مغيرة، عن إبراهيم. قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه، نظروا إلى صلاته وإلى هديه وإلى سمته.

عن أبي هاشم الرماني، عن إبراهيم. قال: لا يستقيم رأي إلا برواية، ولا رواية إلا برأي.

عن سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم. قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب، يقول: أحتيج إليَّ أحتيج إليَّ!!.

عن مالك، عن زبيد. قال: وسألت إبراهيم عن مسألة؟. فقال: ما وجدت أحداً من بيتك تسأله غيري؟!.

عن أشعث بن سوار. قال: جلست إلى إبراهيم ما بين العصر إلى المغرب فلم يتكلم، فلما مات سمعت الحكم وحماداً يقولان: قال إبراهيم، فأخبرتهما بجلوسي إليه فلم يتكلم، فقالا: أما إنه لا يتكلم حتى يسأل.

عن الحارث العكلي. قال: كنت آخذاً بيد إبراهيم فذكرت رجلاً فتنقصته، فلما دنونا من باب المسجد انتزع يده من يدي، وقال: اذهب فتوضأ قد كان يعدون هذا هجراً.

عن الأعمش، عن إبراهيم. قال: الكذب يفطر الصائم.

عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم. قال: كانت تكون فيهم الجنازة فيظلون الأيام محزونين يعرف ذلك فيهم.

قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم.

عن الحسن بن عمرو والفقيمي، عن إبراهيم. قال: من ابتغى شيئاً من العلم يبتغي به وجه الله عز وجل، آتاه الله منه ما يكفيه.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: كان يقال العدل في المسلمين: من لم تظهر له ريبة.

عن أبي حمزة، عن إبراهيم. قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: كل نفقة ينفقها العبد فإنه يؤجر عليها، غير نفقة البناء إلا بناء مسجد يراد به وجه الله تعالى، قال: فقلت لإبراهيم: أرأيت إن كان بناء كفافاً؟ قال: لا أجر ولا وزر.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: كان من كان قبلكم من أهل الميسرة خصبهم في بيوتهم، وكان في اللباس تجوّز، فكانوا يبدؤون فيغلقون عليهم أبوابهم. قال: فإن كان فضلاً فعلى الأقارب، وإن كان فضلاً فعلى الجيران، وإن كان فضلاً فها هنا وها هنا، وكان يعجبهم أن يكون في بيوتهم التمر للزائرين والسائل.

عن مغيرة، عن إبراهيم. قال: كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف، قال: وكان يقال: عظموا كتاب الله.

عن الأعمش. قال: سمعت إبراهيم يقول: كانوا يكرهون أن يسموا العبد، عبد الله، يخافون أن يكون ذلك عتقاً، وكانوا يكرهون أن يظهروا صالح ما يسرون، يقول الرجل: إني لأستحيي أن أفعل كذا وكذا وأصنع كذا وكذا، وكانوا يعطون الشيء ويكرهون أن يقولوا: أعطيك احتسب به الخير، أو يقولون حر لوجه الله، وكانوا يعطون ويسكتون ولا يقولون شيئاً، قال إبراهيم: وإني لأرى الشيء أكرهه في نفسي فما يمنعني أن أعيبه إلا كراهية أن أبتلى بمثله.

عن خلف بن حوشب؛ أن جوّاباً التميمي، كان يرتعد عند الذكر. فقال له إبراهيم: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من هو خير منك.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

عن منصور، عن إبراهيم. قال: كانوا يستحسنون شدة النزع للسيئة قد عملها لتكون بها.

عن إبراهيم والحسن. قالا: كفى بالمرء شراً أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم الله! التقوى ها هنا، يومىء إلى صدره ثلاث مرات.

عن مغيرة. قال: كان رجل على حال حسنة فأحدث ـ أو أذنب ذنباً فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم ذلك. فقال: تداركوه وعظوه ولا تدعوه.

أدرك إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران جماعة من الصحابة: منهم أبو سعيد الخدري، ومن أمهات المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله تعالى عنها فمن دونها من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأكثر روايته عن علماء التابعين: عن علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة السلماني، ويزيد بن معاوية النخعي، وعبد الرحمن بن يزيد، وشريح بن الحارث، وزر بن حبيش، وغيرهم.

٢٧٤ ـ عون بن عبد الله بن عتبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الراكن إلى ذكر الله، والساكن إلى ضمان الله، المفارق للمثرين والكبراء، المرافق للمساكين والفقراء، كان لمسير الأجل مبصراً، ولغرور الأمل محذراً، كان على نفسه نائحاً، وإلى الحق رائحاً، صاحب التشمير والعدة والأهبة، عون بن عبد الله بن عتبة.

عن نوفل بن أبي الفرات. قال: سمعت عون بن عبد الله يقول: إن لكل رجل سيداً من عمله، وإن سيد عملي الذكر.

عن المسعودي، عن عون بن عبد الله. قال: مجالس الذكر شفاء القلوب.

عن المسعودي، عن عون بن عبد الله. قال: ذكر الله صقال القلوب.

عن محمد بن عجلان، عن عون بن عبد الله. قال: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين، والغافل في الذاكرين كالفار عن المقاتلين.

عن مسعر، عن عون بن عبد الله. قال: كانوا يتلاقون فيتساءلون وما يريدون بذلك؛ إلا أن يحمدوا الله عز وجل.

عن أبي أسامة. قال: وصل إلى عون بن عبد الله أكثر من عشرين ألف درهم فتصدق بها، فقال له أصحابه: لو اعتقدتَ عقدة لولدك؟ فقال: اعتقدتها لنفسي واعتقدت الله لولدي؟ قال أبو أسامة: فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون بن عبد الله.

عن المسعودي. قال: قال عون بن عبد الله: إن من كان قبلكم كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

عن سفيان. قال: قال عون بن عبد الله: صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غماً مني، فإن رأيت رجلاً أحسن ثياباً مني وأطيب ريحاً مني غمني ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت.

عن ابن عيينة. قال: ذكر لنا عن عون بن عبد الله أنه كان يقول: إن من العصمة أن تطلب الشيء من الدنيا ولا تجده، قال: وكان يقول: إن من أعظم الخير أن ترى ما أوتيت من الإسلام عظيماً، عند ما زوى عنك من الدنيا.

عن المسعودي، عن عون بن عبد الله. قال: ما أحد ينزل الموت حقَّ منزلته، إلا عدَّ غداً ليس من أجله، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله؟ وراجٍ غداً لا يبلغه؟ لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره.

عن المسعودي، عن عون بن عبد الله؛ أنه كان يكتب بهذه: أما

بعد فإني أوصيك بوصية الله التي حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن ضيعها، ورأس التقوى الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع، وإن تقوى الله شرطه الذي اشترط، وحقه الذي افترض، والوفاء بعهد الله أن تجعل له ولا تجعل لمن دونه، فإنما يطاع من دونه بطاعته، وإنما تقدم الأمور وتؤخر بطاعته، وإن ينقض كل عهد للوفاء بعهده، ولا ينقض عهده لوفاء بعهد غيره. هذا إجماع من القول له تفسير لا يبصره إلا البصير، ولا يعرفه إلا اليسير.

عن المسعودي، عن عون. قال: الخير من الله كثير، ولكنه لا يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكنه لا يبصره من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به. ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء.

عن عبد الرحمن - يعني المسعودي -، عن عون. قال: كان يقال: أزهد الناس في عالم أهله، وكان يضرب مثل ذلك كالسراج بين أظهر القوم يستصبح الناس منه، ويقول أهل البيت: إنما هو معنا وفينا، فلم يفجأهم إلا وقد طفيء السراج فأمسك الناس ما استصبحوا من ذلك.

عن معن. قال: كان عون بن عبد الله أحياناً يلبس الخز، وأحياناً يلبس الصوف والبت[1] ونحوه. قال: فقيل له في ذلك؟ فقال: ألبس الخز لئلا يستحيي ذو الهيئة أن يجلس إليَّ، وألبس الصوف لئلا يهابني ضعفاء الناس أن يجلسوا إليَّ.

عن سفيان الثوري. قال: قال عون بن عبد الله: إن من كمال التقوى أن تبتغي إلى ما قد علمت منها ما لم تعلم، واعلم أن النقص

(١) البت: كساء غليظ.

فيما قد علمت، ترك ابتغاء الزيادة فيه. وإنما يحمل الرجل على ترك العلم قلة الانتفاع بما قد علم.

عن ابن عجلان، عن عون؛ أنه كان يقول: اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، فبالعفو تنجون، وبالرحمة تدخلون، وبالأعمال تقتسمون المنازل.

عن مسعر. قال: قال عون بن عبد الله: كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك. وكانوا يقولون: ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية.

عن المسعودي، عن عون. قال: كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث؛ ـ ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض ـ: من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

عن المسعودي، عن عون. قال: قال لرجل من الفقهاء: من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. فقال الفقيه: والله! إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوى ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقيناه كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسرا وما اتقيناه، وإنا لنرجو الثالثة: ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجراً.

عن أبي إبراهيم الحسن بن زيد. قال: دخل عون بن عبد الله مسجداً بالكوفة فلف رداءه ثم اتكأ عليه. وقال: أعمروها! ولو أن تتكئوا فيها.

عن أبي هارون موسى. قال: كان عون يحدثنا ولحيته ترتش بالدموع.

عن مسعر عن عون. قال: ما أقبح السيآت بعد السيآت؟ وما أحسن الحسنات بعد السيآت؟ وأحسن من ذلك الحسنات بعد الحسنات.

عن المسعودي. قال: قال عون بن عبد الله: ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

عن المسعودي، عن عون. قال: جالسوا التوابين فإنهم أرق الناس قلوباً.

عن أبي العجل الأسدي. قال: قال عون بن عبد الله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، والموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة، فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب.

عن سلمة الأعور، عن عون بن عبد الله بن عتبة. قال: اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح للتوبة، ولا يزال العبد يهتم بالذنب يصيبه حتى يكون أنفع له من بعض حسناته.

عن أبي حازم، عن عون؛ أنه كان يقول: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال عون بن عبد الله: الخير الذي لا شر فيه، الشكر مع العافية، فكم من منعَم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى غير صابر. وكان يقول: الحمد لله الذي إذا شئتُ أي ساعة من ليل أو نهار وضعت عنده سري، بغير شفيع فيقضي لي حاجتي ربي عز وجل، والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني.

عن عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله. أنه كان يقول في بكائه: وذكر خطيئته.

ويحي! بأي شيء لم أعصِ ربي. ويحي! إنما عصيته بنعمته عندي، ويحي! كم من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي، في كتاب كتبه كتاب لم يغيبوا عني، واسوأتاه! لم أستحيهم ولم أراقب ربي، ويحي! نسيت ما لم ينسوا مني، ويحي! غفلت ولم يغفلوا عني، لم أستحيهم ولم أراقب. واسوأتاه! ويحي! حفظوا ما ضيعت مني، ويحي! طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني. ويحي! طاوعتها فيما يضرها ويضرني. ويحها! ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني أريد إصلاحها وتريد أن تفسدني. ويحها! إني لأنصفها وما تنصفني، أدعوها لأرشدها وتدعوني لتغويني، ويحها! إنها لعدو، لو أنزلتها تلك المنزلة مني، ويحها! تريد اليوم أن ترديني وغداً تخاصمني.

رب لا تسلطها على ذلك مني، رب إن نفسي لم ترحمني فارحمني، رب إني أعذرها ولا عذرتني، إنه إن يك خيراً أخذلها وتخذلني، وإن يك شراً أحبها وتحبني، رب فعافني منها وعافها مني، حتى لا أظلمها ولا تظلمني، وأصلحني لها وأصلحها لي، فلا أهلكها ولا تهلكني، ولا تكلني إليها ولا تكلها إليّ.

ويحي! كيف أفر من الموت وقد وكل بي. ويحي! كيف أنساه ولا ينساني.

ويحي! إنه يقص أثري فإن فررت لقيني، وإن أقمت أدركني. ويحي! هل عسى أن يكون قد أظلني فمساني؟ وصبحني! أو طرقني فبغتني؟.

ويحي! أزعم أن خطيئتي قد أقرحت قلبي، ولا يتجافى جنبي، ولا تدمع عيني ولا تسهر لي. ويحي! كيف أنام على مثلها ليلي،

ويحي! هل ينام على مثلها مثلي، ويحي! لقد خشيت أن لا يكون هذا الصدق مني؟ بل ويلي! إن لم يرحمني ربي. ويحي! كيف لا توهن قوتي ولا تعطش هامتي بل ويلي! إن لم يرحمني ربي. ويحي! كيف لا أنشط فيما يطفئها عني؟ بل ويلي! إن لم برحمني ربي.

ويحي! كيف لا يذهب ذكر خطيئتي كسلي، ولا يبعثني إلى ما يذهبها عني. بل ويلي! إن لم يرحمني ربي. ويحي! كيف تنكا قرحتي ما تكسب يدي، ويح نفسي بل ويلي! إن لم يرحمني ربي. ويحي! لا تنهاني الأولى من خطيئتي عن الآخرة، ولا تذكرني الآخرة من خطيئتي بسوء ما ركبت من الأولى، فويلي ثم ويلي! إن لم يتم عفو ربي. ويحي! لقد كان لي فيما استوعبت من لساني وسمعي وقلبي وبصري اشتغال، فويل لي إن لم يرحمني ربي. ويحي! إن حجبت يوم القيامة عن ربي فلم يزكني ولم ينظر إليّ ولم يكلمني، فأعوذ بنور وجه ربي من خطيئتي، وأعوذ به أن أعطى كتابي بشمالي أو وراء ظهري، فيسود به وجهي، وتزرق به مع العمى عيني. بل ويلي! إن لم يرحمني ربي. ويحي! بأي شيء استقبل ربي؟ بلساني أم بيدي أم بسمعي أم بقلبي أم ببصري. ففي كل هذا له الحجة والطلبة عندي، فويل لي إن لم يرحمني ربي، كيف لا يشغلني ذكر خطيئتي عما لا يعنيني؟ ويحك يا نفسي مالك لا تنسين مالا ينسى؟ وقد أتيت مالا يؤتى، وكل ذلك عند ربك يحصى، في كتاب لا يبيد ولا يبلى. ويحك! لا تخافين أن تجزي فيمن يجزي يوم تجزي كل نفس بما تسعى، وقد آثرت ما يفنى على ما يبقى.

يا نفس ويحك! ألا تستفيقين مما أنت فيه؟ إن سقمت تندمين، وإن صححت تأثمين، مالك؟ إن افتقرت تحزنين، وإن استغنيت تفتنين. مالك؟ إن نشطت تزهدين، فلم إن دعيت تكسلين؟ أراك ترغبين قبل أن تنصبي، فلم لا تنصبين فيما ترغبين.

يا نفس ويحك! لم تخالفين؟ تقولين في الدنيا قول الزاهدين وتعملين فيها عمل الراغبين. ويحك! لم تكرهين الموت؟ لم لا تذعنين وتحبين الحياة، لم لا تصنعين. يا نفس ويحك! أترجين أن ترضي ولا تراضين، وتجانبين وتعصين. مالك؟ إن سألت تكثرين، فلم إن أنفقت تقترين؟ أتريدين الحياة؟ ولم تحذرين بتغير الزيادة، ولم تشكرين. تعظمين في الرهبة حين تسألين، وتقصرين في الرغبة حين تعملين، تريدين الآخرة بغير عمل، وتؤخرين التوبة لطول الأمل.

عن عون بن عبد الله. أنه قال: أوصى رجل ابنه، فقال: يا بني عليك بتقوى الله، وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خير منك اليوم فافعل، وإذا صليت فصل صلاة مودع، وإياك وكثرة طلب الحاجات فإنها فقر حاضر، وإياك وما يعتذر منه.

أدرك عون بن عبد الله بن عتبة، جماعة من الصحابة. وسمع عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبا هريرة، وأكثر روايته عن أبيه عن عبد الله بن مسعود، وأبوه عبد الله بن عتبة يعد في الصحابة.

وصحب عون: الشعبي والأسود بن يزيد، وكبار التابعين وعلمائهم من أهل الكوفة وغيرها.

وروى عن عون من التابعين جماعة: منهم إسماعيل بن أبي خالد، وأبو إسحاق الشيباني، وأبو الزبير، وأبو سهيل نافع بن مالك، ومجالد. وروى عنه سعيد المقبري، ومالك بن مغول، ومسعر، وغيرهم من الأئمة والأعلام.

٢٧٥ ـ سعيد بن جبير

[ت٩٤هـ]

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الفقيه البكاء، والعالم

الدعاء، السعيد الشهيد، السديد الحميد، أبو عبد الله سعيد بن جبير[1].

عن القاسم الأعرج. قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

عن عطاء بن السائب. قال: كان سعيد بن جبير ربما أبكانا.

عن القاسم بن أبي أيوب. قال: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) الآية[2].

عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير؛ أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

عن أشعث بن إسحاق. قال: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

عن داود بن أبي هند. قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير، قال: ما أراني إلا مقتولاً. وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبين لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة فكلا صاحبي رزقها وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

---

(١) كان سعيد بن جبير فيمن خرج على الحجاج من القراء، وشهد دير الجماجم، فلما انهزم أصحاب الأشعث هرب فلحق بمكة، فأخذه بعد مدة طويلة خالد بن عبد الله القسري، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة، فبعث به إلى الحجاج.

قتل سنة أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين، وفي مدة عمره أقوال، أحدهما: سبع وخمسون، والثاني: تسع وأربعون. (الصفوة).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨١).

عن أصبغ بن زيد. قال: كان لسعيد بن جبير ديك، يقوم إلى الصلاة إذا صاح، فلم يصح ليلة من الليالي، فأصبح سعيد ولم يصل. قال: فشق ذلك عليه. فقال له ماله؟ قطع الله صوته! قال: فما سمع ذاك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أي بني لا تدع على شيء بعدها.

عن ضرار بن مرة الشيباني، عن سعيد بن جبير. قال: التوكل على الله جماع الإيمان.

عن أبي حصين. قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم ـ يعني خالد بن عبد الله ـ ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج. فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله! قلت: والله إني لأراك كما سمتك أمك سعيداً. قال: فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه.

قال: فأخبرني يزيد أبو عبد الله قال: أتينا سعيد بن جبير حين جيء به، فإذا هو طيب النفس، وبنية له في حجره، فنظرت إلى القيد فبكت. قال: فتبعناه إلى باب الجسر فقال له الحرس: أعطنا كفلاء فإنا نخاف أن تغرق نفسك، قال يزيد: فكنت فيمن تكفل به.

عن عمرو بن سعيد. قال: دعا سعيد بن جبير ابنه حين دعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي. فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة.

عن هلال بن خباب. قال: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة.

عن حميد الأعرج. قال: أقبل ابن لسعيد بن جبير. فقال: إني لأعلم خير خلة فيه؟ أن يموت فأحتسبه.

عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير. قال: لدغتني عقرب فأقسمت عليَّ أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكرهت أن أحنثها.

عن معاوية بن إسحاق. قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: لئن أوتمن على بيت من الدر، أحب إليَّ من أن أوتمن على امرأة حسناء.

عن عمر بن ذر. قال: قرأت كتاب سعيد بن جبير، اعلم أن كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة.

عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. قال: إن الخشية أن تخشى الله تعالى حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك. فتلك الخشية. والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن.

عن يعلى بن حكيم. قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة، فجعلت تدعو وتبكي وتتضرع حتى ماتت.

عن هلال بن خباب. قال: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب أو هلك علماؤهم.

عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير. قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام، أينام ربك؟ فقال موسى: اتقوا الله! فقالوا: أيصلي ربك؟ فقال موسى: اتقوا الله! فقالوا: فهل يصبغ ربك؟ فقال موسى: اتقوا الله! فأوحى الله تعالى إليه، إن بني إسرائيل سألوك أينام ربك؟ فخذ زجاجتين فضعهما على كفيك ثم قم الليل. قال: ففعل موسى عليه السلام فلما ذهب من الليل نعس موسى عليه السلام فوقع لركبتيه، فقام فلما أدبر الليل نعس موسى أيضاً فوقع

لركبتيه فوقعت الزجاجتان فانكسرتا، فقال عز وجل: لو نمت لوقعت السموات على الأرض ولهلك كل شيء كما هلكت هاتان.

قال أشعث عن جعفر عن سعيد: وفيه أنزلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

قال: وسألوك أيصبغ ربك؟ فأنا أصبغ الألوان كلها الأحمر والأبيض والأسود، وسألوك أيصلي ربك؟ فإني أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي فذلك صلاتي.

عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير. قال: كان الله سبحانه يبعث ملك الموت إلى الأنبياء عياناً، فبعثه إلى إبراهيم عليه السلام ليقبضه فدخل دار إبراهيم عليه السلام في صورة رجل شاب جميل الوجه، وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً فلما دخل عليه حملته الغيرة على أن قال له: يا عبد الله من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها، فعرف إبراهيم عليه السلام أن هذا الأمر حدث. قال: يا إبراهيم إني أمرت بقبض روحك فقال: أمهلني يا ملك الموت حتى يدخل إسحاق، فأمهله، فلما دخل إسحاق قام إليه فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، فرقَّ لهما ملك الموت فرجع إلى ربه عز وجل. فقال: يا رب خليلك جزع من الموت. قال: يا ملك الموت فائت خليلي في منامه فاقبضه، قال: فأتاه في منامه فقبضه.

عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير. قال: إن الله تعالى ليرحم يوم القيامة، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة.

عن جعفر، عن سعيد بن جبير؛ أنه قيل له: من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير. قال: لقيني راهب فقال: يا سعيد في الفتنة يتبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت.

عن موسى بن نافع الكوفي الأسدي. قال: ذكرت لسعيد بن جبير، أني تركت بالكوفة ناساً يوترون قبل أن يناموا مخافة أن لا يستيقظوا للوتر، فيرزقهم الله قياماً من الليل فيصلون شفعاً ما بدا لهم، ثم يعيدون وترهم. فقال: هذا من البدع، إذا أنت أوترت قبل أن تنام، ثم رزقك الله قياماً بعد وترك، فصل شفعاً ما بدا لك، ولا تعد وترك واكتف بالذي كان.

عن خصيف. قال: رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح، قال: فأتيته فصليت إلى جنبه وسألته عن آية من كتاب الله فلم يجبني، فلما صلى الصبح قال: إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح.

عن أبي جرير؛ أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة. ويقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة.

عن إسماعيل بن زربي. قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: ما زال البلاء بأصحابي حتى رأيت أن ليس لله في حاجة، حتى نزل بي البلاء.

عن محمد بن سوقة، عن سعيد بن جبير. قال: من إضاعة المال، أن يرزقك الله حلالاً فتنفقه في معصية الله.

عن جعفر، عن سعيد. قال: قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل ثلاث سنين. فقال الملك: ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه. فقال له جلساؤه: كيف تقدر على أن تؤذيه أو تغيظه، وهو في السماء وأنت في الأرض، قال: أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله عليهم السماء.

عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير. قال: وددت أن الناس أخذوا ما عندي من العلم، فإنه مما يهمني.

عن عبد الكريم الجزري، عن سعيد. قال: كنت أسمع الحديث من ابن عباس فلو أذن لي لقبلت رأسه.

عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير. قال: لما أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، قال: إن الله قد بنى بيتاً وإنه يأمركم أن تحجوه. قال: فأجابه كل شيء من البنيان من حجر أو شجر أو مدر.

عن إسماعيل بن عبد الملك. قال: سألت سعيد بن جبير عن فريضة من فرائض الجد، فقال: يا ابن أخي إنه كان يقال من أحب أن يتجرأ على جراثيم جهنم، فليتجرأ على فرائض الجد.

عن أيوب. قال: قام سعيد بن جبير يوماً من مجلسه، فسألته عن حديث. فقال: ليس كل حين أحلب فأشرب!!.

عن عثمان بن مردويه. قال: كنت مع وهب بن منبه وسعيد بن جبير يوم عرفة بنخيل ابن عامر، فقال وهب لسعيد: أبا عبد الله، كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه، قال له وهب: إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء عده بلاء.

عن خلف بن خليفة، عن أبيه. قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة فلم يتمها.

عن يحيى بن سعيد عن كاتب للحجاج يقال له يعلى. قال مالك، وهو أخ لأم سلمة الذي كان على بيت المال. قال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن، يستخفني ويستحسن كتابتي، فأدخل عليه بغير إذن، فدخلت عليه يوماً بعد ما قتل سعيد بن جبير، وهو في قبة لها أربعة أبواب، فدخلت عليه مما يلي ظهره فسمعته يقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ فخرجت رويدا وعلمت أنه إن علم بي قتلني، فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا يسيرا.

عن عون بن أبي شداد العبدي. قال: بلغني أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير، أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الأحوص، ومعه عشرون رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه.

قال: فأدخل عليه فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير.

قال: أنت الشقي بن كسير. قال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

فقال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة إمام الهدى عليه الصلاة والسلام.

قال: فما قولك في علي، في الجنة هو أو في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي.

قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال: أبيت أن تصدقني قال: إني لم أحب أن أكذبك.

قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار.

قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب.

قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يدي سعيد بن جبير. فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذه لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي، بكى سعيد بن جبير. فقال له: ما يبكيك؟ هو اللهو؟ قال سعيد: بل هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فإنها معاء الشاء يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد!.

فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله! وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده.

فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك.

فأمر بالنطع فبسط. فقال: اقتلوه. فقال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

قال: شدوا به لغير القبلة، قال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله! فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، فذبح على النطع رحمه الله.

قال: وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمسة عشر ليلة، ووقع الآكلة في بطنه فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم منتن. فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه فتركها ساعة ثم استخرجها وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناج، وبلغنا أنه كان ينادي بقية حياته: ما لي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلي.

أسند سعيد بن جبير عن جماعة من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن المغفل المزني، وعن عدي بن حاتم، وأبي هريرة، وغيرهم وأكثر روايته عن ابن عباس.

٢٧٦ ـ عامر بن شراحيل الشعبي

[ت١٠٤هـ]

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الفقيه القوي، سالك السمت المرضي، بالعلم الواضح المضي، والحال الزاكي الوضي، أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي[١]. كان بالأوامر مكتفياً، وعن

(١) توفي الشعبي بالكوفة فجاءة سنة أربع ومائة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وقيل: اثنتين وثمانين، رحمه الله تعالى (الصفوة).

الزواجر منتهياً، تاركاً لتكلف الأثقال، معتنقاً لتحمل الواجب من الأفعال.

عن أشعث بن سوار. قال: لما هلك الشعبي أتيت البصرة فدخلت على الحسن. فقلت: يا أبا سعيد هلك الشعبي، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! إن كان لقديم السن، كثير العلم، وإنه لمن الإسلام بمكان. ثم أتيت محمد بن سيرين فقلت: يا أبا بكر هلك الشعبي، فقال مثل ما قال الحسن.

عن ابن سيرين. قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير.

عن عاصم بن سليمان. قال: ما رأيت أحداً كان أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي.

عن أبي مجلز. قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي.

عن ليث. قال: كنت أسأل الشعبي فيعرض عني ويجبهني بالمسألة. فقلت: يا معشر العلماء يا معشر الفقهاء تروون عنا أحاديثكم وتجبهوننا بالمسألة، فقال الشعبي: يا معشر العلماء يا معشر الفقهاء، لسنا بفقهاء، ولا علماء، ولكنا قوم قد سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، إنما الفقيه من ورع عن محارم الله، والعالم من خاف الله.

عن مالك بن مغول قال: عن الشعبي. وقال له رجل: أيها العالم فقال: العالم من يخاف الله!.

عن الأصمعي. قال: اجتمع الشعبي والأخطل عند عبد الملك؛ فلما خرجا. قال الأخطل للشعبي: يا شعبي ارفق بي فإنك تغرف من آنية شتى، وأنا أغرف من إناء واحد.

عن بيان، عن الشعبي. قال: من كذب على القرآن فقد كذب على الله.

عن أبي إسحاق، عن الشعبي. قال: ما ترك أحد في الدنيا شيئاً لله إلا أعطاه الله في الآخرة ما هو خير له.

عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي. قال: يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار؛ فيقولون: ما لكم في النار؟ وإنما كنا نعمل بما تعلموننا، فيقولون: إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به.

عن مجالد، عن الشعبي. قال: تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى ذهب الدين، ثم تعايش الناس بالمروءة زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءة، ثم تعايش الناس بالحياء زمناً طويلاً حتى ذهب الحياء، ثم تعايش الناس بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيأتي بعد هذا ما هو أشد منه.

عن ابن عياش، عن الشعبي. قال: كانت العرب تقول: إذا كانت محاسن الرجل تغلب مساويه، فذلكم الرجل الكامل، وإذا كانا متقاربين فذلكم المتماسك، وإذا كانت المساوئ أكثر من المحاسن فذلكم المتهتك.

عن زبيد. قال: قال الشعبي: وددت أني أنجو منه كفافاً لا عليَّ ولا لي.

عن مالك بن مغول، عن الشعبي. قال: ليتني لم أتعلم علماً قط.

عن إسماعيل بن أبي خالد. قال: سمعت الشعبي يقول: ما ترك عبد مالاً هو فيه أعظم أجراً؛ من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس.

عن عطاء بن السائب، عن الشعبي. قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها.

عن عيسى الحناط، عن الشعبي. قال: لو أن رجلاً سافر من

أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره رأيت أن سفره لم يضع.

عن مجالد. قال: سألت الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية لا يجد بما يشتري. قال: لأن أتركها وأنا موسر، أحب إليّ من أن أتكلفها وأنا معسر.

عن الحسن بن عبد الرحمن. قال: رأيت الشعبي يسلم على موسى النصراني. فقال: السلام عليكم ورحمة الله! فقيل له في ذلك؟ فقال: أو ليس في رحمة الله، لو لم يكن في رحمة الله هلك.

عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي. قال: عيادة حمقاء القرآء على أهل المريض، أشد من مرض صاحبهم. يجيئون في غير حينهم، ويجلسون إلى غير وقتهم.

عن أبي هاني المكتب. قال: سئل عامر الشعبي عن قتال أهل العراق وأهل الشام؟ فقال: لا يزالون يظهرون علينا أهل الشام؟ قال عامر: ذلك بأنهم جهلوا الحق واجتمعوا، وتفرقتم. ولم يكن الله ليظهر أهل فرقة على جماعة أبداً.

عن عبيد اللحام. قال: كنت أمشي مع الشعبي فقام إليه رجل. فقال: أبا عمرو ما تقول في قوم يصومون قبل شهر رمضان بيوم؟ ويصومون بعده يوماً. قال: ولم؟ قال: حتى لا يفوتهم شيء من الشهر. قال: هكذا هلكت بنو إسرائيل: قدموا قبل الشهر يوماً، وبعده يوماً، فصاموا اثنين وثلاثنين يوماً، فلما ذهب ذلك القرن جاء قوم آخرون فتقدموا قبل الشهر بيومين، وبعده بيومين، حتى صاموا أربعة وثلاثين يوماً، حتى بلغ صومهم خمسين يوماً. صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته.

عن داود، عن الشعبي، أن رجلاً صاد قنبرة فلما صارت في يده،

قالت: ما تريد أن تصنع بي! قال: أذبحك وآكلك، قالت: ما أشفي من قرم، ولا أشبع من جوع. ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي؛ أما واحدة أعلمك وأنا في يدك، والثانية على الجبل، والثالثة على الشجرة. فقال: هاتي الواحدة، قالت: لا تلهفن على ما فاتك! فلما صارت على الجبل قالت: لا تصدقن بما لا يكون أن يكون! فلما صارت على الشجرة. قالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً. قال: فعض على شفتيه وتلهف. فقال: هاتي الثالثة، قالت: قد نسيت اثنتين فكيف أحدثك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك، ولا تصدقن بما لا يكون أن يكون. أنا وريشي ولحمي ودمي لا أكون عشرين مثقالاً، قال: فطارت وذهبت.

عن داود، عن الشعبي. قال: مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب. فقال الذئب: أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب؟ قال: فإذا حضر فأعلمني. قال: فبلغ ذلك الثعلب فجاء فقال له الأسد، يا أبا الحصين عادني السباع كلهم فلم تعدني؟ قال: بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء. قال: فأي شيء أصبت. قال: قالوا خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج! قال: فضرب الأسد بمخالبه إلى ساق الذئب فانسل الثعلب وقعد على الطريق، فمر به الذئب والدماء تسيل عليه. قال: فناداه الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند السلطان فانظر ماذا يخرج من رأسك، وأما هذه فقد خرجت من رجلك.

عن الشعبي. قال: حدثني عجلان مولى زياد وكان حاجبه. قال: كان زياد إذا خرج من منزله مشيت أمامه إلى المسجد فإذا دخل مشيت أمامه إلى مجلسه، فدخل مجلسه ذات يوم فإذا هو بهر في زاوية البيت فذهبت أزجره فقال: دعه يقارب ماله، ثم صلى الظهر ثم

عاد إلى مجلسه ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه، كل ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبيل غروب الشمس خرج جرذ فوثب إليه فأخذه. فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر يظفر بها.

قال: وحدثني عجلان قال: قال لي زياد: أدخل عليَّ ويحك رجلاً عاقلاً! قال: قلت: لا أعرف من تعني؟ قال: لا يخفى العاقل في وجهه وقده، فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان، قلت: ادخل! فدخل فقال زياد: يا هذا إني قد أردت مشورتك في أمر فما عندك؟ قال: أنا حاقن ولا رأي لحاقن. قال: يا عجلان ادخله المتوضأ قال: ثم خرج فقال له: ما عندك؟ فقال: إني جائع ولا رأي لجائع، قال: يا عجلان ائت بطعام فأتى به قال: فطعم! فقال: سل عما بدا لك فما سأله عن شيء إلا وجد عنده منه بعض ما يريد، فكتب زياد إلى عماله لا تنظروا في حوائج الناس وأحد منكم حاقن أو جائع.

عن عاصم الأحول، عن الشعبي. قال: كان يقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، فإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب، وذنب لا يضر كذنب لم يعمل.

عن مطرف، عن الشعبي. قال: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء.

عن أبي زيد. قال: سألت الشعبي عن شيء فغضب وحلف أن لا يحدثني، فذهبت فجلست على بابه. فقال: يا أبا زيد إن يميني إنما وقعت على نيتي، فرغ لي قلبك واحفظ عني ثلاثاً؛ لا تقولن لشيء خلقه الله لم خلق هذا وما أراد به؟ ولا تقولن لشيء لا تعلمه إني أعلمه، وإياك والمقايسة في الدين. فإذا أنت قد أحللت حراماً أو حرمت حلالاً وتزل قدم بعد ثبوتها. قم عني يا أبا زيد!.

عن داود الأودي. قال: قال الشعبي: أحدثك ثلاثة أحاديث لها

شأن؟ قلت: بلى! قال: إذا سألت عن مسألة فأجبت فيها فلا تتبع مسألتك أرأيت أرأيت، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾. حتى فرغ من الآية، وحديث آخر أحدثك به، إذا سئلت عن شيء فلا تقس بشيء فتحرم حلالاً وتحل حراماً، والثالثة لها شأن إذا سئلت عما لا علم لك به فقل لا علم لي وأنا شريكك!.

عن صالح بن مسلم. قال لي عامر الشعبي: إنما هلكتم بأنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس، ولقد بغض إليّ هؤلاء المسجد، حتى إنه لأبغض إليّ من كناسة داري - يعني أصحاب الرأي.

عن أبي بكر الهذلي. قال: قال الشعبي: يا هؤلاء أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس وقتل معه صبي أكانت ديتهما سواء؟ أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه. قلت: بل سواء. قال: فليس القياس بشيء.

عن منصور بن عبد الرحمن. عن الشعبي. قال: أدركت خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن مالك بن مغول. قال: مزح الشعبي في بيته، فقيل له: يا أبا عمرو وتمزح؟ قال قراء داخل، وقراء خارج، نموت من الغم.

عن مجالد، عن الشعبي. قال: نعم الشيء الغوغاء؟ يسدون السيل، ويطفئون الحريق، ويشغبون على ولاة السوء.

عن حماد بن عبد الله. قال: سمعت الشعبي يقول: لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا.

عن عبادة بن موسى عن الشعبي. قال: أتى بي الحجاج موثقاً، فلما انتهيت إلى باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم. فقال: إنا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم، وليس بيوم شفاعة، بوء للأمير بالشرك والنفاق على نفسك، فبالحري أن تنجو، ثم لقيني محمد بن الحجاج، فقال لي مثل مقالة يزيد، فلما دخلت عليه قال: وأنت يا

شعبي فيمن خرج علينا وكثَّر. قلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، وضاق المسلك، واكتحلني السهر، واستحلسنا الخوف ودفعنا في خربة خربه، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال: صدق والله! ما بروا في خروجهم علينا، ولا قووا علينا حيث فجروا، فاطلقا عنه. قال: فاحتاج إلى فريضة فقال: ما تقول في أخت وأم وجد؟ قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ، عثمان بن غفان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وعلي، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم. قال: فما قال فيها ابن عباس إن كان لمتقياً؟ قلت: جعل الجد أباً وأعطى الأم الثلث ولم يعط الأخت شيئاً، قال: فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان؟ قلت: جعلها أثلاثاً، قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟ قلت: جعلها من تسعة فأعطى الأم ثلاثاً، وأعطى الجد أربعاً، وأعطى الأخت سهمين. قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت ثلاثاً، وأعطى الأم سهماً، وأعطى الجد سهمين. قال: فما قال فيها أبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت ثلاثاً، وأعطى الجد سهماً، وأعطى الأم سهمين. قال: مر القاضي فليمضها على ما أمضاها عليه أمير المؤمنين عثمان.

عن محمد بن جعادة. قال: كان الشعبي من أولع الناس بهذا البيت:

ليست الأحلام في حين الرضا   إنما الأحلام في وقت الغضب

عن مجالد، عن الشعبي؛ أنه كان يقول:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى   فأنت وعير بالفلاة سواء

❁ ❁ ❁

أدرك الشعبي أكابر الصحابة وأعلامهم رضي الله تعالى عنهم:

علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وابن عباس، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم كثير.

ومن النساء: عائشة، وأم سلمة، وميمونة، أمهات المؤمنين. وأم هاني، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت قيس.

وروى عن مسروق، وعلقمة، والأسود، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن طلحة، وعمر بن علي بن أبي طالب، وسالم بن عبد الله بن مسعود، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأبي بردة بن أبي موسى.

وروى عن الشعبي من التابعين جماعة منهم: أبو إسحاق السبيعي، وأبو إسحاق الشيباني، وأبو حصين، والحكم بن عتيبة، وعطاء بن السائب، وآخرون.

٢٧٧ ـ عمرو بن عبد الله السبيعي

[ت١٢٨هـ]

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم المعمر الثابت، المشمر القانت، تبصر فعقل، وتصبر ففعل، أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي[١].

عن أسود بن عامر. قال: قال شريك: ولد أبو إسحاق في سلطان عثمان بن عفان، أحسب شريكاً قال: لثلاث سنين بقين منه.

عن مغيرة. قال: كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الضرب الأول.

---

(١) توفي أبو إسحاق سنة ثمان وعشرين ومائة، وهو ابن ثمان وتسعين سنة رحمه الله (الصفوة).

عن جرير. قال: كان يقال من جالس أبا إسحاق فقد جالس علياً وعبد الله رضي الله تعالى عنهما.

عن أبي أحمد الزبيري. قال: روى أبو إسحاق عن أربعة أو ثلاثة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن الأعمش. قال: كنت إذا اجتمعت أنا وأبو إسحاق جئنا بحديث عبد الله طرياً.

عن أبي إسحاق. قال: غزوت في زمان زياد ستاً أو سبع غزوات، ومات زياد قبل معاوية.

عن يحيى بن آدم. قال أبو بكر بن عياش: دفنا أبا إسحاق أيام الخوارج سنة ست - أو سبع - وعشرين ومائةٍ.

عن سفيان. قال: قال مشيختنا: اجتمع الشعبي وأبو إسحاق، فقال الشعبي: أنت خير مني يا أبا إسحاق، فقال: لا والله! ما أنا بخير منك، بل أنت خير مني وأسن.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال عون بن عبد الله لأبي إسحاق: ما بقي منك؟ قال: أصلي فأقرأ البقرة في ركعة، قال: ذهب شرك وبقي خيرك.

عن أبي بكر بن عياش. قال: قال أبو إسحاق: ذهبت الصلاة مني وضعفت، وإني لأصلي وأنا قائم فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران.

عن أبي الأحوص. قال: حدثنا أبو إسحاق. قال: قد كبرت وضعفت، ما أصوم إلا ثلاثة من الشهر، والإثنين والخميس، وشهور الحرم.

عن أبي بكر بن عياش. قال: دخل الضحاك بن قيس الكوفة

يوم مات أبو إسحاق السبيعي، فرأى الجنازة وكثرة من فيها. فقال: كان هذا فيكم ربانياً!.

أسند أبو إسحاق السبيعي عن ثلاثة وعشرين من الصحابة. ورأى علي بن أبي طالب وسمع منه، ومن سعيد بن زيد، وابن عمر. وأسامة بن زيد، وغيرهم.

٢٧٨ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الفقيه المرتضى، والحكم المبتلى، أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى. أمتحن بالحكم والقضاء، فابتلي بالندم والبكاء.

عن ثابت البناني، عن ابن أبي ليلى. قال: طفت على هذه الأمصار فلم أر مصراً أبكر على ذكر الله، ولا أكثر تهجداً بالليل، من أهل البصرة.

عن الأعمش. قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي، فإذا دخل الداخل نام على فراشه.

عن مجاهد. قال: كان لعبد الرحمن بن أبي ليلى بيت يجتمع فيه القراء فيه مصاحف، فقلما تفرقوا إلا عن طعام.

عن صالح بن محمد الرازي بلغنا عن ابن أبي ليلى: أنه لما ولي القضاء ركب أول يوم للقضاء، فاصطف له الناس لينظروا إليه، قال: فقال: مجنون من مجانين أهل الكوفة: انظروا إلى من جمع الله له سرور الدنيا بخزي الآخرة. فقال ابن أبي ليلى: لو قد سمعتها قبل أن ألي، ما وليت لهم شيئاً!

عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

عن الأعمش. قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى محلوقاً على المصطبة، وهم يقولون له: العن الكذابين، وكان رجلاً ضخماً به ربو. فقال: اللهم العن الكذابين ـ آه ثم يسكت ـ علي، وعبد الله بن الزبير، والمختار.

ولد عبد الرحمن بن أبي ليلى في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وأسند عن عمر بن الخطاب، وسمع عثمان، وعلياً، وسعد بن أبي وقاص، وبلالاً، وحذيفة، وأبا ذر، وابن عباس، وابن عمر، وأبي بن كعب وغيرهم.

وحدث عنه من التابعين: مجاهد، والحكم، وجماعة.

٢٧٩ ـ عبد الله بن أبي الهذيل

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم مغتنم الساعات، ومكتتم الطاعات، عبد الله بن أبي الهذيل أبو المغيرة.

عن أبي فروة. قال: كنا نجالس عبد الله بن أبي الهذيل، فإن جاء إنسان فألقى حديثاً من حديث الناس. قال: يا عبد الله ليس لهذا جلسنا!.

عن أبي سنان. قال: شكى عبد الله بن أبي الهذيل يوماً ذنوبه، فقال له رجل: يا أبا المغيرة أو لست التقي النقي؟ فقال: اللهم إن عبدك هذا أراد أن يتقرب إليَّ، وإني أشهدك على مقته.

عن العوام بن حوشب، عن ابن أبي الهذيل. قال: لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة.

عن العوام بن حوشب. قال: ما رأيت إبراهيم النخعي إلا وكأنه غضبان، وما يخيل إليَّ أني رأيت إبراهيم التيمي رافعاً رأسه إلى السماء قط، ولا رأيت ابن أبي الهذيل إلا وكأنه مذعور.

عن العوام، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: إني لأتكلم حتى أخشى الله، وأسكت حتى أخشى الله.

عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: أدركنا أقواماً وإن أحدهم يستحيي من الله تعالى في سواد الليل. قال سفيان: يعني التكشف.

عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال إلا الخلاء.

عن العوام، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: إن بعض الأشياخ حضرته الصلاة، فقيل له: تقدم فأبى، فقيل له: ما منعك؟ قال: خفت أن يمر المار فيقول: إنما قدموا هذا لأنه خيرهم.

عن الأجلح، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: قال موسى عليه السلام: يا رب خلقت خلقا وهم عبادك ثم تحرقهم بالنار!! قال: يا موسى اذهب فازرع زرعاً، قال: قد فعلت، قال: فاحصده، قال: قد فعلت، قال: فاجعله في كدوسه، قال: قد فعلت، قال: فلا تدع منه شيئاً إلا رفعته، قال: قد فعلت، قال: فلعلك قد تركت منه شيئاً، قال: لا! إلا ما لا بال له، قال: فمثل أولئك أدخل من عبادي النار.

عن أبي التياح، عن عبد الله بن أبي الهذيل. قال: لما سلط الله بخت نصر على بنى إسرائيل، جيء بسبي فجلسوا حلقاً حلقاً، فمر بهم نبي لهم فلما رأوه بكوا وضجوا إليه وصاحوا قال: فسمع ذلك فسأل مالهم؟ قالوا: مرَّ بهم نبي لهم، قال: إيتوني به، قال فقال: ما الذي سلطني على قومك؟ قال: عظم خطيئتك، وظلم قومي أنفسهم.

روى عبد الله بن أبي الهذيل عن الصديق أبي بكر، وأرسل عنه، وروى عن علي بن أبي طالب، وسمع من عمار بن ياسر، ومن خباب بن الأرت، وغيرهم.

٢٨٠ ـ أبو صالح الحنفي ماهان

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم المكلف بالمحامد والأذكار، والمبتلى في إظهاره على الظَلَمة الإنكار، أبو صالح الحنفي ماهان. وقيل: إن اسمه عبد الرحمن بن قيس أخو طليق.

عن محمد بن فضيل، عن أبيه عن ماهان الحنفي. قال: أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب، وثوبه الذي يلبس، أكثر ذكراً لله منه؟! وكان لا يفتر من التكبير والتسبيح والتهليل.

عن إبراهيم مؤذن بني حنيفة. قال: أمر الحجاج بماهان أن يصلب على بابه، قال: ورأيته حين رفع على خشبة يسبح ويهلل ويكبر ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين، قال: وطعنه الرجل على تلك الحال، قال: فلقد رأيته بعد شهر معقوداً بيده تسعة وعشرين قال: وكنا نرى عنده الضوء بالليل شبه السراج.

عن أبي إسحاق ـ يعني الشيباني قال: دنوت من ماهان أبي صالح لما أراد ابن أبي مسلم أن يقطعه ويصلبه، فقال: تنح يا ابن أخي لا تسأل عن هذا المقام.

عن ضرار، عن ماهان. قال: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا من ربنا.

عن سفيان بن دينار التمار. قال: سألت ماهان الحنفي ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وكانت قلوبهم سليمة.

أسند أبو صالح الحنفي عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة رضي الله تعالى عنهم.

٢٨١ ـ ربعي بن خراش

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم المفارق للبزة والرياش، والمهاجر للوطاء والفراش، العابد العبسي ربعي بن خراش.

عن سفيان. قال: ذكرت ربعياً، وتدرون من ربعي؟ كان ربعي من أشجع، زعم قومه أنه لم يكذب قط فسعى به ساع إلى الحجاج بن يوسف فقالوا: ها هنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط، وإنه سيكذب لك اليوم، فإنك ضربت على ابنيه البعث فعصياً، وهما في البيت، فبعث إليه فإذا شيخ منحن، فقال له: ما فعل ابناك؟ قال: هما هذان في البيت، قال: فحمله وكساه وأوصى به خيراً.

روى ربعي بن خراش عن عمر بن الخطاب، وأسند عن علي، وحذيفة، وعقبة بن عمرو، وأبي ذر، وأبي بكرة، وطارق بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم.

٢٨٢ ـ موسى بن طلحة التيمي

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم الفصيح الفقيه التقي، موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، كان فقيهاً كاملاً، وتقياً عاملاً.

عن عثمان بن طلحة عن موسى بن طلحة. قال: قلت له: أي أصحاب محمد ﷺ كان أكبر؟. قال: عثمان بن مظعون.

عن عاصم بن أبي النجود. قال: فصحاء الناس ثلاثة؛ موسى ابن طلحة، وقبيصة بن جابر، ويحيى بن يعمر.

عن خالد بن سمير. قال: لما خرج المختار بالكوفة، قدم علينا موسى بن طلحة، فكانوا يرونه في زمانهم المهدي، فغشيه الناس فإذا رجل طويل السكوت، قليل الكلام، طويل الحزن والكآبة.

عن مسعر. قال: قال عمر بن عبد العزيز لأبي بردة: هل بقي بالكوفة أحد في مثل سنك وشرفك؟ فكأنه لم يذكر أحداً، فقيل: بل موسى بن طلحة.

عن عثمان بن عبد الله بن موهب، عن موسى بن طلحة، قال: كلمة من كنز تحت العرش، إذا قالها العبد أسلم واستسلم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

أسند موسى عن أبيه طلحة أحد العشرة، وعن أبي أيوب الأنصاري وغيرهما من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

روى عنه من التابعين أبو إسحاق، وسماك بن حرب، وعثمان بن عبد الله بن موهب، وعثمان بن حكيم، وأبو مالك الأشجعي.

٢٨٣ ـ ميمون بن أبي شبيب

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم العفيف اللبيب، الفقيه الأديب، أبو نصر ميمون بن أبي شبيب. قتل يوم الجماجم.

عن الحسن بن الحر عن ميمون بن أبي شبيب. قال: أردت الجمعة زمن الحجاج، قال: فتهيأت للذهاب، قال: ثم قلت: أين أذهب؟ أصلي خلف هذا! فقلت مرة: أذهب، وقلت مرة: لا أذهب، قال: فأجمع رأيي على الذهاب، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[1] قال: فذهبت.

قال: وجلست مرة أكتب كتاباً، قال: فعرض لي شيء إن أنا كتبته في كتابي زين كتابي، وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القبح، وكنت قد صدقت، قال: فقلت: مرة أكتبه وقلت مرة: لا أكتبه، قال: فأجمع رأيي على تركه، فناداني مناد من جانب

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٩).

البيت ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

عن إبراهيم. قال: كان ميمون بن أبي شيبة[2] إذا مر بدرهم زيف كسره.

أسند عن علي، ومعاذ، والمقداد، وعبد الله بن مسعود، وعمار، وأبي ذر، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعائشة رضي الله تعالى عنهم.

٢٨٤ ـ سعيد بن فيروز أبو البختري

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الطاعن على الممتري، الخارج على المفتري، سعيد بن فيروز أبو البختري. خرج مع القراء على الحجاج المفتري فقتل بدير الجماجم مع القراء يوم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

عن غسان بن مضر. قال: خرج القراء على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وفيهم أبو البختري، وكان شعارهم يوم خرجوا يا ثارات الصلاة، قال: وقتل أبو البختري بدير الجماجم.

عن عطاء بن السائب. قال: قال أبو البختري يوم دير الجماجم: إن مفر الناس أشد حداً من السيف، قال: فقاتل حتى قتل.

عن أبي العنبس. قال: قال أبو البختري: لأن أكون في قوم أعلم مني أحب إليَّ من أن أكون في قوم أنا أعلمهم.

عن سفيان. قال: كان أبو البختري يقول: وددت أن الله تعالى يطاع، وأني عبد مملوك.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

(٢) لعله أراد: ابن شعبة، والدميمون.

روى أبو البختري عن علي، وأبي ذر، وسلمان. وسمع من ابن عمر، وأبي سعيد، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم، واختلف في سماعه من علي.

٢٨٤م ـ محمد بن سوقة

قال الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه: ومنهم الخائف المعظم، العاطف المقدم، عرف فعظم، وعطف فقدم، أبو عبد الله بن سوقة[1].

عن أبي إسحاق. قال: سمعت محمد بن سوقة وهو يقول: إن المؤمن الذي يخاف الله لا يسمن، ولا يزداد لونه إلا تغيراً.

عن فضيل بن عياض، عن محمد بن سوقة. قال: أمران لو لم نعذب إلا بهما، لكنا مستحقين بهما العذاب، أحدنا يزداد في دنياه فيفرح فرحاً، ما علم الله منه قط أنه فرح بشيء قط زيد في دينه مثله، وأحدنا ينقص من دنياه، فيحزن حزناً ما علم الله منه قط أنه حزن على شيء نقصه من دينه مثله.

عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي. قال: كان محمد بن سوقة وضرار بن مرة أبو سنان، إذا كان يوم جمعة طلب كل واحد منهما صاحبه، فإذا اجتمعا جلسا يبكيان.

عن جعفر الأحمر. قال: كان أصحابنا البكاؤون أربعة؛ مطرف بن طريف، ومحمد بن سوقة، وعبد الملك بن أبجر، وأبو سنان ضرار بن مرة.

عن سفيان الثوري. قال: خمسة من أهل الكوفة يزدادون في كل يوم خيراً، فذكر ابن أبجر، وأبا حيان التيمي، ومحمد بن سوقة، وعمرو بن قيس، وأبا سنان ضرار بن مرة.

---

(١) في «صفة الصفوة»: يكنى أبا بكر، وكان بزّازاً.

عن سفيان. قال: ما أرى كان يدفع عن أهل هذه المدينة إلا بمحمد بن سوقة، ورث عن أبيه مائة ألف فتصدق به كله.

عن مسعود بن سهل. قال: نظر محمد بن سوقة في ماله، فوجد قد اجتمعت له مائة ألف درهم، فأقبل يقول: ما اجتمعت من خير استدرجت واستدرجت له، لئن بقيت له. قال: فما دارت الجمعة وعنده منها مائة درهم.

قال: واشترى محمد بن سوقة من غزوان خزاً بوزن، فدفعه إليه بالوزن الذي اشتراه به، فوزنه فوجده يزيد ثلاث مائة دينار، فقال محمد لغزوان: اشتريت منك كذا وكذا مناً، فوجدته كذا وكذا مناً، فقال له غزوان: لا أدري ما تقول: اشتريت كذا وكذا مناً، فدفعت إليك بالوزن الذي اشتريت، فمكثا يترددان الكلام، محمد بن سوقة يريد أن يرد الفضل على غزوان، وغزوان يأبى أن يقبله، فقال له غزوان: يا هذا إن كان لي فهو لك، وإن يكن لك فهو لك.

عن سيف بن هارون البرجمي قال: سمعت أبا حنيفة يقول ونحن في جنازة محمد بن سوقة: لقد دخل مكة ثمانين مرة من بين حجة وعمرة.

عن سفيان بن عيينة. قال: نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة بالكوفة، فحمله على حمار، فسألوه فقالوا: يا أبا عبد الله أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، قالوا: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان.

عن مهدي بن سابق. قال: طلب ابن أخ محمد بن سوقة منه شيئاً فبكى، فقال له: والله يا عم لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك! قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت لأني لم أبتديك قبل سؤالك.

عن يعلى. قال: رأيت محمد بن سوقة وبين يديه جفنة وهو يعجن، وإن دموعه تسيل وهو يقول: لما قل مالي جفاني إخواني.

عن سفيان بن عيينة، عن ابن سوقة. قال: دخلت مع ابن عمر قصراً بالكوفة، فقلت له: رأيتنا في زمان الحجاج وقد جيء بنا ونحن في هذا المكان محبوسين مرعوبين، نفرق فرقاً شديداً، وقد فزعنا فزعاً شديداً قال: فمررت، كأنكَ لم تدعه إلى ضرٍّ مسَّك، ارجع إلى ذلك المكان فادعه واحمده واشكره على ما أعطاك.

عن الفرات. قال: سمعت محمد بن سوقة يقول: ما استفاد رجل أخاً في الله إلا رفعه الله بذلك درجة.

أدرك محمد بن سوقة أنس بن مالك، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وسمع منهما، وأكثر روايته عن علية التابعين؛ عمرو بن ميمون الأودي، وزر بن حبيش، وشقيق بن وائل، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم.

ومن الحجازيين نافع بن جبير، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر.

٢٨٥ ـ طلحة بن مصرف

[ت١١٢هـ]

قال الشيخ: ومنهم الورع الكلف، القارئ الدنف، أبو محمد[١] طلحة بن مصرف. كان ذا صدق ووفاء، وخلق وصفاء.

عن ابن أبي غنية. حدثني هذا الشيخ عن جدته. قالت: دخلت خادمنا منزل طلحة بن مصرف تقتبس ناراً وطلحة يصلي، فقالت لها

(١) وقيل: أبو عبد الله، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة.

أمرأته: مكانك يا فلانة حتى نشوي لأبي محمد هذا القديد على قصبتك يفطر عليها، قال: فلما قضى الصلاة قال: ما صنعت؟ لا أذوقها حتى ترسلي إلي سيدتها تستأذنيها حبسك إياها، وشواءك على قصبتها.

عن الحسن بن عمرو قال: قال لي طلحة بن مصرف: لولا أني على وضوء لأخبرتك بما تقول الرافضة.

عن الفضيل بن غزوان. قال: قيل لطلحة بن مصرف لو ابتعت طعاماً فربحت فيه؟ قال: إني أكره أن يعلم الله من قلبي غلاء على المسلمين.

عن حصين بن عبد الرحمن، عن طلحة بن مصرف. قال: يستحب من الدعاء أن يقول العبد: اللهم اجعل صمتي تفكراً، واجعل نظري عبراً، واجعل منطقي ذكراً.

عن الفضيل بن عياض. قال: بلغني عن طلحة بن مصرف أنه ضحك يوماً، فوثب على نفسه. فقال: فيم الضحك!! إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط. ثم قال: آليت أن لا أفترَّ ضاحكاً حتى أعلم بما تقع الواقعة، فما رؤي ضاحكاً حتى صار إلى الله عز وجل.

عن العلاء بن كريز. قال: بينما سليمان بن عبد الملك جالس إذ مر به رجل عليه ثياب يخيل في مشيته، فقال: هذا ينبغي أن يكون عراقياً، وينبغي أن يكون كوفياً، وينبغي أن يكون من همدان. ثم قال: عليَّ بالرجل، فأتي به فقال: ممن الرجل؟ فقال: ويلك دعني حتى ترجع إليَّ نفسي، قال: فتركه هنيهة ثم سأله ممن الرجل؟ فقال: من أهل العراق، قال: من أيهم؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أي أهل الكوفة، قال: من همدان فازداد عجباً. فقال: ما تقول في أبي بكر؟ قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال الناس فيه فأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك. قال: فما تقول في عمر؟ فقال:

مثل ذلك، قال: فما تقول في عثمان؟ قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا، وقال فيه ناس فأساؤوا وعند الله علمه، قال: فما تقول في علي؟ قال: هو والله مثل ذلك.

قال: سب علياً، قال: لا أسبه، قال: والله لتسبنه قال: والله لا أسبه! قال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك؟ قال: والله لا أسبه، قال: فأمر بضرب عنقه، فقام رجل في يده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوصة، فقال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك، قال: والله لا أسبه، ثم نادى: ويلك يا سليمان أدنني منك، فدعا به. فقال: يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من عليّ؟ قال: وما ذاك؟ قال: الله رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شر من علي ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] قال: فنظرت إلى الغضب ينحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته. ثم قال: خليا سبيله، فعاد إلى مشيته، فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره، وإذا هو طلحة بن مصرف.

عن حريش بن سليم. قال: كان طلحة بن مصرف يقول في دعائه: اللهم اغفر لي ريائي وسمعتي.

عن السري بن مصرف. قال: سمع طلحة بن مصرف رجلاً يعتذر إلى رجل فقال: لا تكثر الاعتذار إلى أخيك، أخاف أن يبلغ بك الكذب.

عن ليث. قال: كنت أمشي مع طلحة فقال: لو علمت أنك أسن مني في ليلة ما تقدمتك.

---

(١) سورة المائدة، الآية (١١٨).

عن العلاء بن عبد الكريم. قال: ضحكت فقال لي طلحة بن مصرف: إنك لتضحك ضحك رجل لم يشهد الجماجم، فسئل: يا أبا محمد وشهدتها؟ قال: ورميت فيها بأسهم، ولوددت أن يدي قطعت إلى ها هنا. وأشار إلى مرفقه وأني لم أشهدها.

عن عبد الملك بن هانئ. قال: خطب زبيد إلى طلحة ابنته، فقال له: إنها قبيحة، فقال: قد رضيت، قال: إن بعينيها أثراً. قال: رضيت.

عن أبي خالد. قال: أخبرت أن طلحة شهر بالقراءة، فقرأ على الأعمش ليسلخ ذلك عنه.

عن سفيان. قال: قال الأعمش: ما رأيت مثل طلحة إذا كنت قائماً فقعدت قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فحللت حبوتي، قطع القراءة، كراهية أن يكون قد أملّني.

عن ليث. قال: حدثتُ طلحة في مرضه الذي مات فيه أن طاووساً كان يكره الأنين، قال: فما سمع طلحة يئن حتى مات رحمه الله.

عن موسى الجهني. قال: كان طلحة إذا ذكر عنده الاختلاف قال: لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السعة.

عن مالك بن مغول. قال: شكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعن عليه بهذه الآية ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[1].

عن أبي سنان، عن طلحة بن مصرف. قال: المؤمن يجلب عليه إبليس من الشياطين أكثر من ربيعة ومضر.

---

(١) سورة النمل، الآية (١٩).

عن مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف. قال: إني لأكره الخروج يوم النيروز، إني لأراها شعبة من المجوسية، وأرى إنساناً أو أرجوحة.

عن مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف. قال: كان لرجل عَبْرة كل يوم، فقال له غلام له: لئن كان هذا دأبك ليذهبن بصرك ولتلتمس لك قائداً.

عن عبد الملك بن أبجر. قال: ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأ إلا رأيت له الفضل عليهم.

أدرك طلحة بن مصرف اليامي عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وسمع من أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن الزبير.

ومن كبار التابعين والحضارمة جماعة: منهم سويد بن غفلة، وزر بن حبيش، وخيثمة، وعلقمة، ومسروق، وأبو معمر، وزيد بن وهب وغيرهم.

ومن الحجازيين: مجاهداً، وأبا صالح، وكريباً مولى ابن عباس، ويحيى بن سعيد.

٢٨٦ ـ زبيد بن الحارث الأيامي

[ت١٢٢هـ]

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم ذو الخشية والمهابة، والتوكل والقناعة، كان بالدنيا وعروضها مستهيناً، وللقرآن وفروضه مستبيناً، أبو عبد الرحمن زبيد بن الحارث الأيامي[١].

(١) توفي زبيد سنة اثنتين وعشرين ومائة.

عن إسماعيل بن حماد. قال: كنت إذا رأيت زبيداً مقبلاً من السوق وجف قلبي.

عن حسن - يعني ابن صالح -. قال زبيد: سمعت كلمة فنفعني الله عز وجل بها ثلاثين سنة.

عن شعبة. قال: ما رأيت رجلاً خيراً وأفضل من زبيد.

عن فضيل. قال: دخلت على زبيد الأيامي وهو مريض فقلت: شفاك الله. فقال: استخير الله.

عن حصين؛ أن أميراً أعطى زبيداً دراهم فلم يقبلها زبيد.

عن زياد. قال: كان زبيد الأيامي مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان يا صبيان: تعالوا فصلوا أهب لكم الجوز. قال: فكانوا يجيئون ويصلون ثم يحوطون حوله. فقلنا له: ما تصنع بهذا؟ قال: وما عليَّ أشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة!.

عن سفيان. قال: كان زبيد إذا كانت ليلة مطيرة أضاء بشعلة من نار فطاف على عجائز الحي، فقال: أَوَكَفَ عليكم البيت؟ أتريدون ناراً؟ فإذ أصبح طاف على عجائز الحي، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئاً؟.

عن وكيع. حدثني أبي. قال: كنت جالساً مع زبيد فأتاه رجل ضرير يريد أن يسائله. فقال له زبيد: إن كنت تريد أن تسألني عن شيء فإن معي غيري.

عن الأشعث بن عبد الرحمن بن زبيد، عن أبيه. قال: كان زبيد قد قسم علينا الليل أثلاثاً؛ ثلثاً عليه وثلثاً عليَّ، وثلثاً على أخي. وكان زبيد يبدأ فيقوم ثلثه. ثم يضربني برجله فإذا رأى مني كسلاً قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك. قال: ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله. فإذا رأى منه كسلاً قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك. قال: فيقوم حتى يصبح.

عن سعيد بن جبير. قال: لو اخترت عبداً لله أكون في مسالخه لاخترت زبيداً الأيامي.

عن أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد. قال: رأيت جدي ورأى جارية معها زمارة من قصب، فأخذها وشقها. ورأى جارية معها دف فأخذه فكسره.

أدرك زبيد بن الحارث من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ابن عمر، وأنس بن مالك، وسمع أبا وائل، والشعبي، ومرة الهمداني.

وروى عنه من التابعين منصور بن المعتمر، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، ومحمد بن حجادة.

٢٨٧ ـ منصور بن المعتمر

[ت١٣٢هـ]

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم حليف الصيام والقيام، خفيف التطعم والمنام، المتفكر المعتبر، أبو غياث منصور بن المعتمر(١).

عن عبد الله بن الأجلح. قال: رأيت منصور بن المعتمر وكان من أحسن الناس قياماً في الصلاة، وكان يخضب بالحناء.

عن الثوري. قال: لو رأيت منصوراً يصلي لقلت يموت الساعة.

عن أبي الأحوص. قال: قالت ابنة لجار منصور بن المعتمر لأبيها: يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصور كان يقوم بالليل.

عن سفيان وذكر منصور بن المعتمر فقال: قد كان عمش من البكاء.

---

(١) توفي منصور سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

عن جرير بن عبد الحميد. قال: كانت أم منصور تقول له: يا بني إن لعينك عليك حقاً، ولجسمك عليك حقاً، فكان يقول لها منصور: دعي عنك منصوراً، فإن بين النفختين نوماً طويلاً.

عن مغيرة. قال: اختلف منصور إلى إبراهيم وهو من أعبد الناس، فلما أخذ في الآثار فتر.

عن أبي عوانة. قال: لما أجلس منصور بن المعتمر على القضاء، كان يأتيه الرجل فيقص عليه فيقول قد فهمت ما قلت، ولا أدري ما الجواب فيه، فكان يفعل ذلك، فذكر ذلك لابن هبيرة - وكان هو الذي ولاه - فقال: هذا أمر لا يصلح إلا أن يعين عليه صاحبه بشهوة فتركه.

عن أبي بكر بن عياش. قال: ربما كنت مع منصور في منزله جالساً، فتصيح به أمه، وكانت فظة غليظة، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها.

عن سفيان، عن منصور. قال: كان يقال للأم: ثلاثة أرباع البر.

عن حسن بن صالح. قال: كان منصور في الديوان، فقال له إنسان ناولني الطين أختم به، قال: أرني كتابك حتى أنظر أي شيء فيه.

قال الشيخ رحمه الله: عداده في التابعين.

روى عن أنس بن مالك، ورأى ابن أبي أوفى، وحدث عن سفيان، وأبي وائل شقيق، وزيد بن وهب، والشعبي وربعي، وخيثمة، وسعد بن أبي عبيدة، وأبي البختري.

وحدث عنه من التابعين جماعة: سليمان التيمي، والأعمش وأيوب السختياني، ومحمد بن جحادة، وحصين. ومن الأئمة والأعلام سفيان الثوري، ومسعر بن كدام، وشعبة بن الحجاج.

٢٨٨ ـ سليمان الأعمش

[٦٠ ـ ١٤٨هـ]

ومنهم الإمام المقري، الراوي المفتي، كان كثير العمل، قصير الأمل، من ربه راهباً ناسكاً، ومع عباده لاعباً ضاحكاً، سليمان بن مهران الأعمش.

عن مبشر بن عبيد، عن الأعمش. قال: قرأت القرآن على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على علقمة ـ أو مسروق ـ وقرأ هو على عبد الله بن مسعود وقرأ عبد الله بن مسعود على رسول الله ﷺ.

عن نعيم، قال: سمعتُ الأعمش يقول: كانوا يقرؤون على يحيى بن وثاب وأنا جالس، فلما مات أحدقوا بي.

عن جرير؛ كان الأعمش إذا خرج فسألوه عن حديث فلم يحفظه كان يجلس في الشمس يقول بيديه في عينيه، فلا يزال يعركهما ويعركهما حتى يذكره، فإذا ذكره قال: هات عن أي شيء سألت؟ فيجيبه.

عن ابن عيينة. قال: رأيت الأعمش لبس فروا مقلوباً وتباناً خيوطه على رجليه، ثم قال: أرأيتم لولا أنني تعلمت العلم من كان يأتيني؟ لو كنت بقالاً كان يقذرني الناس أن يشتروا مني!!.

عن محمد بن عبيد الطنافسي. قال: جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعمش فسأله عن مسألة خفيفة من الصلاة، فالتفت إلينا الأعمش وقال: انظروا إليه! لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتاب.

عن الأعمش. قال: قال لي حبيب بن أبي ثابت: أهل الحجاز وأهل مكة أعلم بالمناسك، قال فقلت له: فأنت عنهم وأنا عن أصحابي، لا تأتي بحرف إلا جئتك فيه بحديث.

عن مبشر بن عبيد. قال: سمعت الأعمش يقول: العلم في لِمَ؟.

عن عيسى بن يونس. قال: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ولا الطبقة الذين كانوا قبلنا، ما رأينا الأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم!!.

عن القاسم بن عبد الرحمن. قال: ليس أحد أعلم بحديث عبد الله من الأعمش.

عن شريك. قال: ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشراف الملوك، فقال له رجل من جلسائه: وأي نبل كان للأعمش؟! قال شريك: أما لو رأيت الأعمش ومعه لحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه وشريك عن يساره وكلاهما ينازعه حمل اللحم لعلمت أن ثمَّ نبلاً كثيراً.

عن عبيد الله بن موسى، عن الأعمش. قال: أعظم الخيانة أداء الأمانة إلى الخائنين. وقال الأعمش: نقض العهد وفاء العهد لمن ليس له عهد.

عن جرير. قال: ذكر الإرجاء عند الأعمش. فقال: ما نرجو من رأي أنا أكبر منه.

عن عيسى بن يونس. قال: بعث عيسى بن موسى بألف درهم إلى الأعمش وصحيفة ليكتب له فيها حديثاً، فأخذ الأعمش الألف درهم وكتب في الصحيفة بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد حتى ختمها، وطوى الصحيفة وبعث بها إليه، فلما نظر فيها بعث إليه يا ابن الفاعلة ظننت أني لا أحسن كتاب الله؟ فكتب إليه الأعمش: أفظننت أني أبيع الحديث؟ ولم يكتب له وحبس المال لنفسه.

عن أسامة. أن الأعمش عوتب في إتيانه أخاً ليقطين القائد. فقال: أنزلته منزلة الحش احتيج إليه فأتي.

عن عبد الرزاق. قال: أخبرني بعض أصحابنا أن الأعمش قام من النوم لحاجة فلم يصب ماء، فوضع يده على الجدار فتيمم ثم نام، فقيل له في ذلك قال: أخاف أن أموت على غير وضوء. قال عبد الرزاق: وربما فعله معمر.

عن وكيع. كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلف إليه قريباً من ستين فما رأيته يقضي ركعة.

عن حميد بن عبد الرحمن، عن الأعمش. قال: استعان بي مالك بن الحارث في حاجة، فجئت في قباء مخرق فقال: لو لبست ثوباً غيره؟ فقلت: امش! فإنما حاجتك بيد الله، قال: فجعل يقول في المسجد: ما صرت مع سليمان إلا غلاماً.

عن إبراهيم بن عرعرة. قال: سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النساك، وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول. قال يحيى: وهو علامة الإسلام.

عن حفص بن غياث. قال: قيل للأعمش أيام زيد بن علي: لو خرجت؟ قال: ويلكم والله ما أعرف أحداً أجعل عرضي دونه، فكيف أجعل ديني دونه.

عن هشيم. قال: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أجود حديثاً من الأعمش.

عن حفص بن غياث. قال: سمعت الأعمش يقول: يوشك إن احتبس عليَّ الموت إن وجدته بالثمن اشتريته.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال الأعمش: كنا نعد أهل السوق شرارنا، وإنا لنعدهم اليوم خيارنا.

عن الحسن بن صالح، عن الأعمش. قال: إن كنا لنشهد الجنازة، فلا ندري من نعزي من حزن القوم.

عن أبي بكر بن عياش. قال: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به، فوالله لو كانت نفسي بيدي لطرحتها في الحش! إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحداً، واذهب بي واطرحني في لحدي.

عن أبي بكر بن عياش قال: رأيت الأعمش يلبس قميصاً مقلوباً، فيقول الناس مجانين يلبسون الخشن مقابل جلودهم.

عن سفيان، عن الأعمش. قال: كان ملك الموت عليه السلام يظهر للناس، فيأتي للرجل فيقول: اقض حاجتك فإني أريد أن أقبض روحك! قال: فشكي فأنزل الله عز وجل الداء وجعل الموت خفاء.

عن أبي سفيان الحذاء. قال: أخذ الأعمش ناحية هذا السواد، فأتاه قوم منهم فسألوه أن يحدثهم فأبى، فقال بعض جلسائه: يا أبا محمد لو حدثت هؤلاء المساكين؟ فقال الأعمش: من يعلق الدر على الخنازير.

عن عبد السلام. كان الأعمش إذا حدث يتخشع ويعظم العلم.

عن أبي بكر بن عياش. قال: قال رجل للأعمش: هؤلاء الغلمان حولك! قال: اسكت، يحفظون عليك أمر دينك.

عن عيسى بن يونس. قال: سمعت الأعمش يقول: كان أنس بن مالك يمر بي في طرفي النهار فأقول: لا أسمع منك حديثاً، خدمت رسول الله ﷺ، ثم جئت إلى الحجاج حتى ولاك، قال: ثم ندمت فصرت أروي عن رجل عنه.

عن مندل بن علي. قال: خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي فافتتح إمامهم البقرة في الركعة الأولى، ثم قرأ في الثانية آل عمران،

فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله؟ أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أم الناس فليخفف فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة) فقال الإمام: قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1] فقال الأعمش: فأنا رسول الخاشعين إليك إنك ثقيل.

أدرك الأعمش أيام جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم توفي ابن عمر وقتل ابن الزبير وللأعمش ثلاث عشرة سنة، وتوفي جابر بن عبد الله وللأعمش ثماني عشرة سنة، وتوفي ابن أبي أوفى وللأعمش سبع وعشرون سنة، وتوفى أنس بن مالك وللأعمش ثلاث وثلاثون سنة، رأى أنس بن مالك بمكة وسمع منه، ورأى ابن أبي أوفى وسمع منه.

كان مولده عام قتل الحسين سنة ستين، ووفاته سنة ثمان وأربعين ومائة.

روى عن الأعمش جماعة من التابعين منهم سليمان التيمي، ومحمد بن جحادة، وأبان بن تغلب، وغيرهم.

٢٨٩ ـ حبيب بن أبي ثابت

[ت١١٩هـ]

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم المتعبد المنفاق، المتوكل على المولى الرزاق، مطعم القراء، ومعلم السفهاء، حبيب بن أبي ثابت، تواضع فارتفع، وتطاوع فانتفع.

عن أبي يحيى القتات. قال: قدمت مع حبيب بن أبي ثابت[2] الطائف فكأنما قدم عليهم نبي.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٤٥).

(٢) توفي حبيب سنة تسع عشرة ومائة، رحمه الله تعالى «الصفوة».

عن أبي سنان، عن حبيب بن أبي ثابت. قال: من وضع جبينه لله تعالى فقد برئ من الكبر.

عن كامل أبي العلاء. قال: أنفق حبيب بن أبي ثابت على القراء مائة ألف.

عن إسماعيل بن سالم، عن حبيب بن أبي ثابت. قال: إن من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعاً، ولا يخص أحداً دون أحد.

عن أبي بكر بن عياش. قال: رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً، فلو رأيته قلت: ميت، يعني من طول السجود.

عن أسلم المنقري، عن حبيب بن أبي ثابت. قال: كان يعقوب عليه السلام قد كبر، حتى رفع حاجباه بخرقة، فقيل له: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان، وكثرة الأحزان. فأوحى إليه ربه أتشكوني؟ قال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها.

روى حبيب بن أبي ثابت عن عدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: منهم ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وحكيم بن حزام وأنس بن مالك. وابن أبي أوفى، وأبو الطفيل.

وروى عنه عدة من التابعين: منهم عطاء، وعبد العزيز بن أبي رفيع، والشيباني، والأعمش، وعامة حديثه عند الأئمة والأعلام الثوري، ومسعر، وشعبة.

٢٩٠ ـ عبد الرحمن بن أبي نعم

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الوافد المواصل، العابد العامل، عبد الرحمن بن أبي نعم. واصل ليصل، وعامل ليقبل.

عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: كنا بجمع مع

عبد الرحمن بن أبي نعم وهو يلبي بصوت حزين، ثم يأتي خراسان وأطراف الأرض، ثم يوافي مكة وهو محرم، وكان يفطر في الشهر مرتين، قال: فطلب إليه رجل من أصحابه يفطر عنده، فقال: اجمع لي لبناً حليباً وسمناً، قال: فشربه، فلما صار في بطنه تقعقعت أمعاؤه.

عن مغيرة. قال: كان عبد الرحمٰن بن أبي نعم إذا قلنا له: كيف أنت يا أبا الحكم؟ قال: إن نكن أبراراً فكرام أتقياء، وإن نكن فجاراً فلئام أشقياء.

عن مغيرة. قال: جاء ابن أبي نعم، إلى الحجاج وهو يقتل في الجماجم، فقال: يا حجاج لا تسرف في القتل إنه كان منصوراً، قال: والله لقد هممت أن أروي الأرض من دمك؟ قال: يا حجاج ما في بطنها أكثر مما على ظهرها، فلم يقتله.

أسند عبد الرحمن بن أبي نعم عن عدة من الصحابة منهم: عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة رضي الله عنهم.

٢٩١ ـ خلف بن حوشب

قال الشيخ: ومنهم ذو السمت المهذب، والكلام المحبب، أبو عبد الرحمن خلف بن حوشب.

عن أبي راشد. قال: كان أبي معجباً بخلف بن حوشب، فقلت: يا أبت إنك لتعجب بهذا الرجل؟ فقال: يا بني إنه نشأ على طريقة حسنة فلم يزل عليها، قال: وكان خلف يكنى بأبي مرزوق، فقال له ربيع: حولها، فقال له خلف: فأكنني، قال: فأنت أبو عبد الرحمن.

عن عبد السلام بن حرب، عن خلف بن حوشب. قال: لم تطب لأحد الحياة وهو يذكر الموت في كل حين مرة.

عن عبد السلام بن حرب، عن خلف بن حوشب. قال: قال عيسى عليه السلام للحواريين: يا ملح الأرض لا تفسدوا، فإن الشيء إذا فسد لا يصلحه إلا الملح واعلموا أن فيكم خصلتين؛ الضحك من غير عجب، والتصبح من غير سهر.

عن ابن عيينة، عن خلف بن حوشب. قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة، فدعوا لهم الدنيا.

روى خلف بن حوشب عن عدة من التابعين منهم: الحكم، ومجاهد، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم.

٢٩٢ ـ الربيع بن أبي راشد

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم الحاضر الشاهد، الذاكر الواجد، الربيع بن أبي راشد.

عن عبد الله بن المبارك، عن مالك. قال: قيل للربيع بن أبي راشد ألا تجلس فتحدث؟ قال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة أفسد علي قلبي. قال مالك: ولم أر رجلاً أظهر حزناً منه.

عن عمر بن ذر. قال: كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب.

عن عمر بن ذر. قال: لقيني الربيع بن أبي راشد في السدة في السوق، فأخذ بيدي فنحاني وقال: يا أبا ذر من سأل الله رضاه فقد سأله أمراً عظيماً.

عن مالك بن مغول. قال: قال الربيع بن أبي راشد لولا ما يأمل

المؤمنون من كرامة الله تعالى لهم بعد الموت، لانشقت في الدنيا مرائرهم، ولتقطعت في الدنيا أجوافهم.

عن عمر بن ذر. قال: قال الربيع بن أبي راشد - ورأى رجلاً مريضاً يتصدق بصدقة يقسمها بين جيرانه - الهدايا أمام الزيارة، فلم يلبث الرجل إلا أياماً حتى مات، فكبى عند ذلك الربيع.

وقال: أحسّ والله بالموت وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدم بين يديه.

عن خلف بن حوشب. قال: قال لي الربيع بن أبي راشد: اقرأ عليّ فقرأت عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾[1] فقال: لولا أن تكون بدعة لسحت أو همت في الجبال.

عن سفيان الثوري. قال: ما رأيت جنازة تبعها من الناس ما تبع جنازة الربيع بن أبي راشد.

عن الحسن بن علي. قال: قال أبو عبد الملك: كنا جلوساً عند حبيب بن أبي ثابت، ومعنا الربيع بن أبي راشد والربيع محتب، فجاء رجل فتكلم بكلام من كلام الناس، فحل الربيع حبوته وانتعل، ثم قام فخرج، فقال حبيب للرجل: ما صنعت؟ أفسدت علينا مجلسنا.

عن سفيان. قال: لم يكن بالكوفة رجل أكثر ذكراً للموت من الربيع بن أبي راشد.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال الربيع بن أبي راشد: حال ذكر الموت بيني وبين كثير من التجارة.

أسند الربيع عن منذر الثوري، وفي حديثه قلة.

---

(١) سورة الحج، الآية (٥).

ذكر جماعة من تابعي التابعين
من أهل الكوفة

قال الشيخ رحمه الله: ذكر جماعة من تابعي التابعين، من أهل الكوفة، والمعدودين فيهم.

٢٩٣ ـ كرز بن وبرة الحارثي

فمنهم كرز بن وبرة الحارثي. كان يسكن جرجان، كوفي الأصل، له الصيت البليغ، والمكان الرفيع في النسك والتعبد، كما كان يغلب عليه المؤانسة والمشاهدات، فيشهده شتى الملاطفات، ويؤنسه خفي المخاطبات.

عن فضيل بن غزوان. قال: دخلت على كرز بن وبرة بيته، فإذا عند مصلاه حفيرة قد ملأها تبناً وبسط عليها كساء من طول القيام.

عن ابن شبرمة: سأل كرز بن وبرة ربه أن يعطيه اسمه الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا، فأعطاه الله ذلك فسأل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث ختمات.

عن ابن شبرمة. قال: صحبت كرزاً في سفر، وكان إذا مر ببقعة نظيفة نزل فصلى.

عن أبي داود الحفري. قال: دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟. قال: إن بابي مغلق، وإن ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أحدثته.

عن محمد بن فضيل، عن أبيه ـ أو عن نفسه ـ. قال: كان كرز إذا خرج أمر بالمعروف فيضربونه حتى يغشى عليه.

عن خلف بن تميم. قال: سمعت أبي يذكر قال: قدم علينا كرز بن وبرة الحارثي من جرجان، فانجفل إليه قراء الكوفة، فكنت فيمن أتاه، وما سمعت منه إلا كلمتين، قال: صلوا على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم تعرض عليه، قال: وقال: اللهم اختم لنا بخير، وما رأيت في هذه الأمة أعبد من كرز، كان لا يفتر يصلي في المحمل، فإذا نزل من المحمل افتتح الصلاة.

عن شجاع بن صبيح مولى كرز بن وبرة. قال: أخبرني أبو سليمان المكتب. قال: صحبت كرزاً إلى مكة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرحل، ثم تنحى للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل، فاحتبس يوماً عن الوقت، فانبث أصحابه في طلبه، فكنت فيمن طلبه، قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رآني أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجة، قال: قلت: وما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قال: أحب أن تكتم ما رأيت، قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبد الله، فقال: أوثق لي، فحلفت ألا أخبر به أحداً حتى يموت.

عن محمد بن فضيل. قال: سمعت أبي يقول: لم يرفع كرز رأسه إلى السماء أربعين سنة.

عن ابن عيينة. قال: سمعت ابن شبرمة يقول: قلت لابن هبيرة:

لو شئت كنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم

فقال لي ابن هبيرة: من كرز ومن ابن طارق؟ قال: قلت: أما كرز فكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة، وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب كفاه كف من تراب. قال أبو حفص: ذكروا أن ابن طارق كان يقدر طوافه في اليوم عشر فراسخ.

أسند كرز عن طاووس، وعطاء، والربيع بن خيثم، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهم.

٢٩٤ ـ عبد الملك بن أبجر

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم المتقي الأنور، الباكي الأغزر عبد الملك بن سعيد بن أبجر.

عن الوليد بن شجاع حدثني أبي. قال: كان ابن أبجر من شدة التوقي، كأنما يتكلم بالمعاريض، وكان ابن أبجر إذا رأى شيئاً يكرهه، قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فلا يزال يرددها حتى يعلم أنه قد كره شيئاً. وكان ابن أبجر من شدة التوقي يقول: من لا يعرفه كأنه عيي، وكان ابن أبجر يعالج من نفسه شدة شديدة، ولكن لا يتكلم بشيء.

عن جعفر الأحمر. قال: كان أصحابنا البكاؤون أربعة؛ عبد الملك بن أبجر، ومحمد بن سوقة، ومطرف بن طريف، وأبو سنان ضرار بن مرة.

عن الوليد بن شجاع. حدثني أبي قال: كنت لا أكاد ألقى عبد الملك بن أبجر إلا قال: نقصت الأعمار بعدك، واقتربت الآجال، ما فعل جيرانك؟ يعني أهل القبور، ثم يقول: أمر يريد الله إدباره متى يقبل؟!.

عن سفيان. قال: قال سلمة بن كهيل: ما بالكوفة أحد أكون في مسلاخه أحب إلي من ابن أبجر.

عن سفيان الثوري. قال: خمسة من أهل الكوفة يزدادون في كل يوم خيراً، فذكر ابن أبجر، وأبا حيان التيمي، وابن سوقة، وعمرو بن قيس، وأبا سنان.

عن حسين الجعفي. قال: كنت عند عبد الملك بن أبجر، وقد أبق غلام له، وكان له بابان، فلم يعلم حتى جاء الغلام، فقال له عبد الملك: فلان ويحك أبقت؟ لم تقبل لك صلاة! من أي باب خرجت؟ أأحد خير لك منا؟ ما أحسبك تجد أحداً خيراً لك منا، من أي باب خرجت حين ذهبت؟ قال: من هذا الباب، قال: ادخل منه واستغفر الله لك، يا فلانة أطعميه فإني أحسبه جائعاً.

عن ابن عيينة قال: قال ابن لعبد الملك بن أبجر لغلام لهم: يا حائك. قال: تعيره بشيء نحن أدخلناه فيه، أحسبه قال: إن كان عيباً فنحن أدخلناه فيه.

عن حسين الجعفي، عن عبد الملك بن أبجر. قال: ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو مبتلى ببلية لينظر كيف صبره.

روى عبد الملك عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وله صحبة.

وأسند عن زر بن حبيش، وعامر الشعبي، وعبد الملك بن عمير، وواصل بن حيان، وإياد بن لقيط، وطلحة بن مصرف، وسلمة بن كهيل، وثوير بن أبي فاختة، ومجاهد، وأبي سفيان، وطلحة بن نافع.

٢٩٥ ـ عبد الأعلى التيمي

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم ذو الخشوع الغيبي، والدموع السيبي عبد الأعلى التيمي. باطنه خاشع، وحاضره سامع، وناظره دامع.

عن مسعر عن عبد الأعلى التيمي. قال: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تبارك وتعالى نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٧).

عن مسعر، عن عبد الأعلى. قال: إذا جلس قوم فلم يذكروا الجنة ولا النار، قالت الملائكة: اغفلوا العظيمتين.

عن مسعر، عن عبد الأعلى. قال: إن الجنة والنار لقنتا السمع من بني آدم فإذا سأل الرجل الجنة قالت: اللهم أدخله في، وإذا استعاذ من النار قالت: اللهم أعذه مني.

عن مسعر، عن عبد الأعلى التيمي. قال: ما من أهل بيت إلا ويتصفحهم ملك الموت في كل يوم مرتين.

عن محمد بن عبد العزيز التيمي، قال: قال عبد الأعلى التيمي: شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا؛ ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل.

أسند عبد الأعلى التيمي عن إبراهيم التيمي وغيره.

٢٩٦ - مُجمّع بن صمغان التيمي

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الورع السخي، مجمع بن صمغان التيمي[١].

عن أبي بكر بن عياش. قال: رأيت مجمعاً التيمي، كأني أنظر إليه في سوق الغنم، قالوا له: كيف شأتك هذه؟ قال: ما أرضاها، قال أبو بكر: ومن كان أورع من مجمع!.

عن أبي الربيع الواسطي، قال: سمعت حفص بن غياث يقول: دخل سفيان الثوري على مجمع التيمي، فإذا في إزار سفيان خرق، قال: فأخذ أربعة دراهم فناولها سفيان فقال: اشتر إزاراً، قال سفيان: لا أحتاج إليها، قال مجمع: صدقت، أنت لا تحتاج، ولكني أحتاج.

---

(١) الذي في «صفة الصفوة»: مجمع بن يسار أبو حمزة التيمي.

قال: فأخذها فاشترى بها إزاراً فكان سفيان يقول: كساني أخي مجمع جزاه الله خيراً. وقال سفيان ليس شيء من عملي أرجو أن لا يشوبه شيء كحبي مجمعا التيمي.

عن سفيان. قال: حلف لنا أبو حيان التيمي: ما من شيء أوثق في نفسه من حبه مجمعاً التيمي.

عن الأعمش. قال: كنت مع مجمع التيمي فاشترى تمراً بدرهم، فجاء سائل يسأل التمار، فقال مجمع: أعطه بنصف وأعطني بنصف.

عن مطهر. قال: قال مجمع التيمي: ذكر الموت غنى.

عن أبي حيان التيمي. قال: رأيت مجمعاً يبكي في جنازة ابنه، فقلت: ما يبكيك؟ قال: إني أجد له ما يجد الوالد لولده، وأبكي عليه أني لا أدري إلى جنة يصير أو إلى نار.

عن الأعمش، عن مجمع. قال: نزل عليه ضيف فما سأله من أين جئت وما حالك؟ حتى خرج من عنده.

٢٩٧ ـ ضرار بن مرة

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الباكي اليقظان، ضرار بن مرة أبو سنان.

عن عبد الله بن الأجلح. قال: كان أبو سنان ضرار بن مرة يقول لنا: لا تجيئوني جماعة، ليجئ الرجل وحده، فإنكم إذا اجتمعتم تحدثتم، وإذا كان الرجل وحده لم يخل من أن يدرس حزبه، أو يذكر ربه.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال أبو سنان ضرار بن مرة: قد سقيت أهلي اليوم وعلفت الشاة، وكان يقول: خيركم أنفعكم لأهله.

زاد أحمد بن زهير في حديثه: وكان أبو سنان يشتري الشيء من السوق فيحمله، فيقال: هات نحمله فيأبى، ويقول: إنه لا يحب المستكبرين.

عن سفيان، عن أبي سنان. قال: يقول الله عز وجل: يا دنيا مري على المؤمن ليصبر عليك فيجزى، ولا تحلولي له فتفتنيه، يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، املأُ قلبكَ غنى واسدُّ فاقتك، وإلا تفعل ملأت قلبك شغلاً ولا أسد فاقتك.

عن إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان. قال: قال إبليس: إذا استمكنت من ابن آدم ثلاثاً أصبت منه حاجتي، إذا نسي ذنوبه، وإذا استكثر عمله، وإذا أعجب برأيه.

أسند عن عبد الله بن أبي الهذيل، وعبد الله بن الحارث، وسعيد بن جبير.

وحدث عنه الأئمة سفيان الثوري، وشعبة، وابن عيينة، وجرير.

٢٩٨ ـ عمرو بن مرة

[ت١١٦هـ]

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الراوي الثابت، والراجي القانت، عمرو بن مرة[(١)].

عن شعبة. قال: ما رأيت عمرو بن مرة في صلاة قط إلا ظننت أنه لا ينفتل حتى يستجاب له من اجتهاده.

عن سفيان. قال: قلت لمسعر: من أفضل من رأيت؟ قال: ما يخيل إليّ أني رأيت أحداً أفضله على عمرو بن مرة، ما رأيته قط يدعو هكذا إلا قلت: يستجاب له.

عن مسعر. قال: سمعت عبد الملك بن ميسرة يقول ونحن في

---

(١) توفي عمرو بن مرة سنة ست عشرة ومائة.

جنازة عمرو بن مرة: إني لأحسبه خير أهل الأرض.

عن سليم بن رستم. قال: كنت اقرأ على عمرو بن مرة، فكنت أسمعه كثيراً ما يقول: اللهم اجعلني ممن يعقل عنك.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال عمرو بن مرة: أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة. قال: نظرت إلى امرأة فأعجبتني، فكف بصري فأرجو أن يكون ذلك كفارة.

عن سعيد بن أبي سنان. قال: قال عمرو بن مرة: ما أحب أني بصير، إني أذكر أني نظرت نظرة وأنا شاب.

عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة. قال: من طلب الآخرة أضر بالدنيا، ومن طلب الدنيا أضر بالآخرة، فأضروا بالفاني للباقي.

عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة. قال: قال إبليس: كيف ينجو مني ابن آدم، وإذا غضب كنت عند أنفه، وإذا فرح كنت في قلبه.

أسند عمرو بن مرة، عن عبد الله بن أبي أوفى، وعن عبد الله بن سلمة المرادي، وأبي وائل، ومرة الهمداني، وخيثمة، وعمرو بن ميمون، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبيدة بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، في آخرين.

٢٩٩ ـ عمرو بن قيس الملائي

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم القارئ الخاشع، والمسكين المتواضع، عمرو بن قيس الملائي.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٣).

عن المحاربي. قال: قال لي سفيان: عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض، فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته، إما يصلي وإما يقرأ في المصحف كأنه يبادر أموراً تفوته، فإن لم أجده في بيته، وجدته في بعض مساجد الكوفة، في زاوية من بعض زوايا المسجد، كأنه سارق، قاعداً يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه. فلما مات عمرو بن قيس، أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته، فلما أخرجوه إلى الجبان وبرزوا بسريره وكان أوصى أن يصلي عليه أبو حيان التيمي، تقدم أبو حيان فكبر عليه أربعاً، . .

عن الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس. قال: ثلاث من رؤوس التواضع؛ أن تبدأ بالسلام على من لقيت، وأن ترضى بالمجلس الدون من الشرف، وأن لا تحب الرياء والسمعة والمدحة في عمل الله.

عن نعيم بن ميسرة. قال: كان عمرو بن قيس الملائي يقرئ الناس القرآن، فكان يجلس بين يدي رجل رجل حتى يفرغ منهم، وكان إذا مشى لا يمشي أمامهم فيقول: تعالوا نمشي جميعاً.

عن سفيان. قال: كان عمرو إذا أتى الرجل من أهل العلم، جثى على ركبتيه فيقول: علمني مما علمك الله، ويتأول قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف: ٦٦].

عن عبد الرحمن بن جبيات. قال: قيل لعمرو: ما الذي نرى بك من تغير الحال؟ قال: رحمة للناس من غفلتهم عن أنفسهم.

عن إسحاق بن خلف. قال: كان عمرو إذا نظر إلى أهل السوق بكى، وقال: ما أغفل هؤلاء عما أعدّ لهم.

عن أبي سنان، عن عمرو. قال: إذا شغلت بنفسك ذهلت عن الناس، وإذا شغلت بالناس ذهلت عن ذات نفسك.

عن أبي خالد الأحمر. قال: كان عمرو يقول: إذا سمعت بالخير، فاعمل به ولو مرة واحدة.

عن عمرو بن قيس. قال: كانوا يكرهون أن يعطي الرجل صبيه الشيء، فيجيء به فيراه المسكين، فيبكي على أهله، ويراه الفقير فيبكي على أهله.

عن ابن غسان. قال: قال عمرو: حديث أرقق به قلبي، وأتبلغ به إلى ربي؛ أحب إليّ من خمسين قضية من قضايا شريح.

عن إسحاق بن خلف. قال: كان عمرو بن قيس إذا بكى حول وجهه إلى الحائط، ويقول لأصحابه: إن هذا زكام.

عن أبي خالد الأحمر. قال: كان عمرو يقول: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك.

عن سفيان. قال: عمرو بن قيس أستاذي. وقال: سمعت عمرو بن قيس يقول: ينبغي لصاحب الحديث أن يكون مثل الصيرفي، ينتقد الحديث كما ينتقد الصيرفي الدراهم، فإن الدراهم فيها الزايف والبهرج، وكذلك الحديث.

أسند عن عدة من التابعين منهم: الحكم بن عتيبة، وأبو إسحاق السبيعي، وعبد الملك بن عمير، وسماك بن حرب، وسلمة بن كهيل، وعطية بن سعد العوفي، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن المنكدر، ومصعب بن سعد، ومحمد بن عجلان، وغيرهم.

٣٠٠ ـ عمر بن ذر

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الواعظ البر، الرافض للشر، أبو ذر عمر بن ذر.

عن محمد بن كناسة. قال: لما مات ذر بن عمر بن ذر الهمداني ـ وكان موته فجأة ـ جاء أباه أهل بيته يبكون، فقال: ما

لكم؟! إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا، ولا ذهب لنا بحق، ولا أخطئ بنا، ولا أريد غيرنا، ومالنا على الله معتب.

فلما وضعه في قبره. قال: رحمك الله يا بني! والله لقد كنت بي باراً، ولقد كنت عليك حدباً، وما بي إليك من وحشة، ولا إلى أحد بعد الله فاقة، ولا ذهبت لنا بعز، ولا أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه، فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا قلت؟.

ثم قال: اللهم إنك وعدتني الثواب بالصبر على ذر، اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك، اللهم إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر لذر صلة مني، فلا تعرفه قبيحاً، وتجاوز عنه فإنك أرحم به مني، اللهم وإني قد وهبت لذر إساءته إليّ فهب له إساءته إليك، فإنك أجود مني وأكرم.

فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن صبيح. قال: سمعت عمر بن ذر يقول: ما دخل الموت دار قوم إلا شتت جمعهم، وقنعهم بعيشهم، بعد أن كانوا يفرحون ويمرحون.

عن عمار بن عمرو البجلي. قال: سمعت ابن ذر يقول: من أجمع على الصبر في الأمور، فقد حوى الخير والتمس معاقل البر وكمال الأجور.

عن محمد بن الحسين. حدثني بعض أصحابنا. قال: كان عمر بن ذر إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال: جاء الليل ولليل مهابة، والله أحق أن يهاب.

عن سفيان. قال: قال ابن ذر: لولا أني أخاف أن لا يكون براً من القسم، لأقسمت أن لا أخرج بشيء من الدنيا، حتى أعلم مالي في وجوه رسل الله إليّ.

عن زكرياء بن أبي زائدة. قال: كان عمر بن ذر أول ما يجلس يقص يقول: أعيروني دموعكم، فإذا قاموا من عنده قال لهم الشعبي: أعرتموه دموعكم؟!.

عن ابن السماك. قال: وعظ عمر بن ذر، فجعل فتى من بني تميم يصرخ ويتغير لونه، ولا أرى له دمعة تسيل ثم سقط مغشياً عليه، ثم رأيته في مجلس ابن ذر يبكي حتى أقول الآن تخرج نفسه، فذكرت ذلك لعمر بن ذر فقال: ابن أخي، إن العقل إذا طاش، فقدت الحرقة وقلصت الدمعة، وإذا ثبت العقل، فهم صاحبه الموعظة فأحرقته والله! وحزن وبكى.

عن أبي بحر البكراوي. قال: اجتمع بمكة الفضل الرقاشي، وعمر بن ذر فشهدتهما، فتكلم الفضل فأطال ووعظ وذهب من الكلام في مذاهب، فما رأيت أحداً رق لكلامه فسكت. فتكلم ابن ذر فحدث وبكى فبكى الناس ورقوا.

عن سفيان بن عيينة قال: كان ابن عياش المنتوف، يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبقِ للصلح موضعاً فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

❁ ❁ ❁

عن عمار بن عمرو البجلي، سمعت عمر بن ذر يقول: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم، ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم، قاموا

إلى الله فرحين مستبشرين، بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة.

فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل، بربح وغبن. أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين!!.

فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم.

فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيى القلوب بذكر الله! كم من قائم في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومته، عندما يرى من كرامة الله للعابدين غداً، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله.

❁ ❁ ❁

عن النضر بن إسماعيل. قال: سمعت ابن ذر يقول في كلامه: أما الموت فقد شهر لكم، فأنتم تنظرون إليه في كل يوم وليلة، من بين منقول عزيز على أهله، كريم في عشيرته، مطاع في قومه، إلى حفرة يابسة، وأحجار من الجندل صم، ليس يقدر له الأهلون على وساد إلا خالطه فيه الهوام، فوساده يومئذ عمله.

ومن بين مغموم غريب قد كثر في الدنيا همه وطال فيها سعيه، وتعب فيها بدنه، جاءه الموت من قبل أن ينال بغيته، فأخذه بغتة.

ومن بين صبي مرضع، ومريض موجع، ورهن بالشر مولع، وكلهم بسهم الموت يقرع.

أما للعابدين من عبر في كلام الواعظين؟! ولربما قلت: سبحانه وجل جلاله، لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، ثم أرجع إلى حلمه وقدرته ثم أقول: بل أخرنا إلى حين آجالنا سبحانه، إلى يوم تشخص فيه الأبصار، وتجف فيه القلوب! ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾[1].

يا رب قد أنذرت وحذرت، فلك الحجة على خلقك، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[2].

ثم يقول: أيها الظالم أنت في أجلك الذي استأجلت، فاغتنمه قبل نفاذه، وبادره قبل فوته، وآخر الأجل معاينة الأجل عند نزول الموت، فعند ذلك لا ينفع الأسف، إنما ابن آدم غرض للمنايا منصوب، من رمته بسهامها لم تخطئه، ومن أرادته لم تصب غيره.

ألا وإن الخير الأكبر، خير الآخرة الدائم، فلا ينفد، والباقي فلا يفنى، والممتد فلا ينقطع، والعباد المكرمون في جوار الله تعالى مقيمون، في كل ما اشتهت الأنفس ولذت الأعين، متزاورون على النجائب، ويتلاقون فيتذاكرون أيام الدنيا، هنيئاً للقوم هنيئاً، لقد وجد القوم بغيتهم، ونالوا طلبتهم، إذ كانت رغبتهم إلى السيد الكريم المتفضل.

❋ ❋ ❋

عن النضر بن إسماعيل. قال: شهدت عمر بن ذر في جنازة وحوله الناس، فلما وضع الميت على شفير القبر بكى عمر. ثم قال:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٤٣).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤٤).

أيها الميت، أما أنت فقد قطعت سفر الدنيا فطوبى لك إن توسدت في قبرك خيراً.

أسند عمر عن عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وطاوس، وعكرمة، وأبي الزبير، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ونافع، وعن أبيه ذر، والشعبي، وشقيق أبي وائل، وغيرهم من التابعين.



الفصل التاسع
ذكر طبقة من تابعي أهل الشام

٣٠١ ـ أبو مسلم الخولاني[1]

قال الشيخ رضي الله عنه: ذكر طبقة من تابعي أهل الشام. فمنهم حكيم الأمة وممثلها أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب. تقدم ذكره وبعض كلامه مع الزهاد الثمانية في صدر الكتاب، قيل: كان إسلامه عام حنين، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر وانتقل إلى الشام في أيام معاوية، طرحه الأسود بن قيس العنسي المتنبئ باليمن في النار، فلم تضره، فكان يشبه بالخليل إبراهيم عليه السلام في حاله.

عن الحسن، عن أبي مسلم الخولاني. قال: مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، إذا ظهرت لهم شاهدوا، وإذا غابت عنهم تاهوا.

عن أبي قلابة، عن أبي مسلم الخولاني. قال: العلماء ثلاثة؛ رجل عاش بعلمه وعاش الناس معه، ورجل عاش بعلمه ولم يعش الناس معه، ورجل عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه.

أسند عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) سبقت ترجمته برقم ١٦٨ مع تراجم الزهاد الثمانية. وذكره المصنف هنا باعتباره من تابعي أهل الشام.

٣٠٢ ـ أبو إدريس الخولاني

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم المعتبر النظار، والمتفكر الذكار، أبي إدريس الخولاني، عائذ الله بن عبد الله.

عن طلحة الأيامي، عن أبي إدريس، عن رجل من أهل اليمن. كان يقول: اللهم اجعل نظري عبراً، وصمتي تفكراً، ومنطقي ذكراً.

عن ضرار بن مرة. قال: لقيت الضحاك بخراسان وعليَّ فرو خلِق. فقال الضحاك: قال أبو إدريس: قلب نقي في ثياب دنسة، خير من قلب دنس في ثياب نقية.

عن إبراهيم الدمشقي، عن أبي إدريس الخولاني. قال: من تعلم ظرف[1] الحديث ليستفئ به قلوب الناس لم يرح رائحة الجنة.

عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس. قال: من جعل همومه هماً واحداً، كفاه الله همومه، ومن كان له في كل واد هم، لم يبال الله في أيها هلك.

عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني. قال: المساجد مجالس الكرام.

عن ابن شهاب. قال: جلست إلى أبي إدريس الخولاني يوماً وهو يقص، فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاماً؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه. قال: يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاماً، إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم.

عن أبي قلابة. قال: قال أبو إدريس الخولاني: إنما القرآن آية

---

(١) ظرف: وفي نسخه: طرق. ولعل المراد إسناد الحديث.

مبشرة، وآية منذرة، وآية فريضة، أو قصص أو أخبار، وآية تأمرك، وآية تنهاك.

عن جعفر بن ربيعة بن يزيد؛ أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينة، وما زاد الله عبداً قط فقها إلا زاده الله قصداً.

عن أبي عون، عن أبي إدريس الخولاني. قال: لأن أرى في طائفة المسجد ناراً تقد، أحب إليَّ من أن أرى فيها رجلاً يقص ليس بفقيه.

عن يسار، عن عائذ الله أبي إدريس. قال: من تتبع الأحاديث ليتحدث بها لا يجد ريح الجنة.

عن أبي الأخنس، عن أبي إدريس الخولاني. أنه قال: لأن أرى في جانب المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحب إليَّ من [أن] أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها.

عن أبي قلابة، عن أبي إدريس. قال: لا يهتك الله ستر عبد في قلبه مثقال ذرة خيراً.

عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني. أنه قال: يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى خاشعاً.

عن عبد الله بن أبي زكرياء، عن أبي إدريس عائذ الله. قال: إن ربكم تعالى قال: ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلم أمحقك فيمن أمحق.

عن يحيى بن مسلم. قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: ما بينك وبين أن تعلم أنك ناعم حق ناعم، إلا أن تسقط من أعين المؤمنين.

أسند أبو إدريس عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وعوف بن مالك، وأبي ثعلبة، وعبد الله بن حوالة، وغيرهم.

حدث عنه الزهري، وبشر بن عبيد، وربيعة بن يزيد، ويونس بن ميسرة بن حلبس، والوليد بن عبد الرحمن الجرشي، وأبو حازم بن دينار، وغيرهم.

٣٠٣ ـ أبو عبد الله الصنابحي

ومنهم المشمر المسابق، أبو عبد الله الصنابحي عبد الرحمن بن عسيلة.

عن محمود بن الربيع. قال: كنا عند عبادة بن الصامت فاشتكى، فأقبل الصنابحي فقال عبادة: من سره أن ينظر إلى رجل، كأنما رقي به فوق سبع سموات، فعمل ما عمل على ما رأى، فلينظر إلى هذا.

عن جرير بن عثمان، عن أبي عبد الله الصنابحي؛ أنه كان يقول: إنا لا نرى إلا حراً وبرداً فأرحنا من الدنيا.

عن عقيل بن مدرك، عن بعض المشيخة، عن أبي عبد الله الصنابحي. قال: الدنيا تدعو إلى فتنة، والشيطان يدعو إلى خطيئة، ولقاء الله خير من الإقامة معهما.

أسند أبو عبد الرحمن الصنابحي عن أبي بكر الصديق، وعن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، ومعاوية رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٣٠٤ ـ أيفع بن عبد الكلاعي

ومنهم الواعظ الداعي، أيفع بن عبد الكلاعي.

عن صفوان بن عمرو، قال: سمعت أيفع بن عبد الكلاعي، وهو يعظ الناس، قال: إن لجهنم سبع قناطر، فالصراط عليها، والله تعالى في الرابعة منها، قال: فيحبس الخلق عند القنطرة الأولى، فيقال: قفوهم إنهم مسؤولون، فيحبسون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية، حوسبوا بالأمانة كيف أدوها وكيف خانوها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا، قال: والرحم يومئذ ردف الرب تعالى متدلية في الهواء إلى جهنم تقول: اللهم من وصلني فصله اليوم، ومن قطعني فاقطعه اليوم.

وأسند أيفع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره.

٣٠٥ ـ جبير بن نفير

ومنهم المتواضع في نفسه العفير، جبير بن نفير.

عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير. قال: قيل له: أي الكبرين أشر؟ قال: كبر العبادة.

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه. قال: أهدى ابن السائب ابن أخي ميمونة، لميمونة فراش ريش، فلما أفطرت وأرادت أن ترقد ـ وقد كانت نحلت من العبادة ـ قالت: افرشوا لي فراش ابن أخي، فرقدت عليه فما تحركت حتى أصبحت، فقالت: أخرجوه عني، هذا مغفل هذا منيم لا أفترشه.

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه. قال: أخرج معاوية غنائم قبرس إلى طرسوس من ساحل حمص، ثم جعلها هناك في كنيسة يقال لها كنيسة معاوية، ثم قام في الناس فقال: إني قاسم غنائمكم على ثلاثة أسهم، سهم لكم، وسهم للسفن، وسهم للقبط، فإنه لم يكن لكم قوة على عدو البحر إلا بالسفن والقبط، فقام أبو ذر

فقال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا تأخذني في الله لومة لائم، أتقسم يا معاوية للسفن سهماً وإنما هي فيئنا، وتقسم للقبط سهماً وإنما هم أجراؤنا؟! فقسمها معاوية على قول أبي ذر.

عن أبي بكر بن أبي مريم. قال: حدثني ابن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير. قال: لا يفقه العبد كل الفقه حتى يترك مجلس قومه.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: روى جبير بن نفير عن الصديق والفاروق وعن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأبي ذر، والنواس وغيرهم.

٣٠٦ ـ ابن محيريز

[ت٩٩هـ]

ومنهم الصابر للدين، العزيز المتواضع في نفسه، عبد الله بن محيريز[١].

عن خالد بن دريك. قال: خرج ابن محيريز إلى بزاز يشتري منه ثوباً، والبزاز لا يعرفه، قال: وعنده رجل يعرفه، فقال: بكم هذا الثوب؟ قال الرجل: بكذا وكذا، فقال الرجل الذي يعرفه: أحسن إلى ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إنما جئت أشتري بمالي، ولم أجيء أشتري بديني، فقام ولم يشتر.

عن خالد بن دريك. قال: قال لي ابن محيريز: ردَّ عني ألسنة الناس، قال: فاشتريت له عمامة قبطية وريطة قبطية وقميصاً قبطياً، قال: ثم راح فيها، قال: ثم قال: ماذا قال الناس؟ قال: قلت: قالوا: لبس ابن محيريز، قال: ففرح بذلك، وكان يلبس الثياب الغزلية السمر.

---

(١) توفي ابن محيريز في ولاية الوليد بن عبد الملك.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: قال ابن محيريز: لأن يكون في جلدي برص أحب إليّ من أن ألبس ثوب حرير.

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ورجاء قالا: لبس ابن محيريز ثوبين من نسج أهله، فقال له خالد بن دريك: إني أكره أن يزهدوك ويبخلوك. فقال: أعوذ بالله أن أزكي نفسي أو أزكي أحداً، قال: فأمر فاشترى له ثوبين أبيضين مصريين فلبسهما.

عن عبد الله بن أبي نعم. قال: دخل ابن محيريز على سليمان بن عبد الملك، فقال له: يا ابن محيريز، بلغني أنك زوجت ابنك؟ قال: نعم! قال: فقد أصدقنا عنه، فقال: أما العاجل فقد دفع إليهم، وأما الآجل فهو عليه. قال: وبلال بن أبي بردة معه على السرير، فقال بلال: يا ابن محيريز اقبل عطية الأمير، فلما خرج ابن محيريز تبعته، فقال لي: متى كان ابن أبي بردة شرطياً لسليمان.

عن أبي زرعة؛ أن عبد الملك بن مروان بعث إلى ابن محيريز بجارية فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله. فقيل له: يا أمير المؤمنين نفيت ابن محيريز عن منزله، قال: ولم؟ قال: من أجل الجارية التي بعثت بها إليه، قال: فبعث عبد الملك فأخذها.

عن عبد الواحد بن موسى. قال: سمعت ابن محيريز يقول: اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً.

عن يحيى بن أبي عمرو. قال: قال لنا ابن محيريز: يقولون: أخبرنا ابن محيريز!! إني أخشى الله أن يصرعني ذلك مصرعاً يسوؤني.

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني. قال: كان ابن محيريز إذا مدح قال: وما يدريك؟ وما علمك؟.

عن عمر بن عبد الملك الكناني. قال: صحب ابن محيريز رجلاً في الساقة في أرض الروم فلما أردنا أن نفارقه قال له ابن محيريز:

أوصني قال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرَف فافعل، وإن استطعت أن تمشي ولا يُمشى إليك فافعل، وإن استطعت أن تَسأل ولا تُسأل فافعل.

عن داود بن مهاجر، عن ابن محيريز. قال: صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ، فقلت: أوصني رحمك الله، قال: احفظ عني ثلاث خصال، ينفعك الله بهن؛ إن استطعت أن تعرف ولا تعرف فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يجلس إليك فافعل.

عن عبد الله بن عوف القاري. قال: لقد رأيتنا برودس وما في الجيش أكثر صلاة في العلانية من ابن محيريز، ثم قد أقصر عن ذلك حين عرف وشهر.

عن رجاء بن أبي سلمة، عن الوليد بن هشام. قال: ولاني الوليد الصائفة، فقلت لابن محيريز: إن ابتليت بما ترى، ولا غنى عن رأيك؟ قال: إن كان ولا بد فليلاً.

عن هشام بن مسلم الكتاني. قال: سألت ابن محيريز فأكثرت عليه، فقال: يا هشام ما هذا؟ قلت: ذهب العلم، قال: إن العلم لن يذهب ما دام كتاب الله عز وجل. رجل سأل عن أمر، حتى إذا عرف ما عليه فيه، مما له أتاه وهو يعرفه، كرجل أتاه وهو لا يعرفه؟!.

عن أبي زرعة. قال: لم يكن بالشام أحد يظهر عيب الحجاج بن يوسف إلا ابن محيريز، وأبو الأبيض العنسي، فقال له الوليد: لتنتهين عنه أو لأبعثن بك إليه.

عن علي بن طليق. قال: سمعت ابن محيريز يقول: من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت.

عن رجاء بن حيوة. قال: كنا في مجلس ابن محيريز فأتانا نعي

ابن عمر، فقال ابن محيريز: والله لقد كنت أعد بقاءه أماناً لأهل الأرض، وقال رجاء بن حيوة لما مات ابن محيريز: والله لئن كنت أعد بقاء ابن محيريز أماناً لأهل الأرض.

عن موسى بن عقبة. قال: سمعت ابن محيريز ونحن معه في جنازة بالرملة يقول: أدركت الناس وإذا مات فيهم الميت من المسلمين قالوا: الحمد لله الذي توفانا على الإسلام، ثم انقطع ذلك فلست أسمع اليوم أحداً يقول ذلك.

عن عبد ربه بن سليمان، عن عبد الله بن محيريز. قال: كل كلام في المسجد لغو إلا كلام ثلاثة؛ مصل. أو ذاكر، أو سائل حق أو معطيه.

عن الأوزاعي. قال: كان عبد الله بن زكريا إذا قدم فلسطين فرأى ابن محيريز صغرت إليه نفسه لما يرى من فضله.

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن. قال: قال لي ابن محيريز: إذا رأيت خيراً فاحمد الله، وإذا رأيت منكراً فالطأ بالأرض، وسل الله أن يخفف البلاء عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

عن خالد بن دريك. قال: قال ابن محيريز: كنا نرى أن العمل أفضل من العلم، ونحن اليوم إلى العلم أحوج منا إلى العمل.

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عبد الله بن محيريز. قال: يذهب الدين سنَّة سنَّة كما يذهب الحبل قوة قوة.

عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز. قال: كان جدي ابن محيريز يختم القرآن في كل سبع.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: كان ابن محيريز يجيء إلى عبد الملك بصحيفة فيها النصيحة يقرئه ما فيها، فإذا فرغ منها أخذ الصحيفة.

عن خالد بن دريك. قال: كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت من هذه الأمة؛ كان أبعد الناس أن يسكت عن حق، بعد أن يتبين له حتى يتكلم فيه، غضب من غضب ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.

عن ضمرة الشيباني. قال: كان عبد الله بن الديلمي من أبصر الناس لإخوانه، فذكر ابن محيريز في مجلسٍ هو فيه، فقال رجل كان بخيلاً، فغضب ابن الديلمي وقال: كان جواداً حيث يحب الله، بخيلاً حيث تحبون.

أسند عبد الله بن محيريز عن عدة من الصحابة منهم: أبو سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو محذورة، وفضالة بن عبيد، وأبو جمعة حبيب بن سباع، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

حدث عنه من التابعين مكحول، والزهري، ومحمد بن يحيى ابن حبان، وخالد بن دريك.

٣٠٧ ـ عبد الله بن أبي زكريا

[ت١١٧هـ]

ومنهم المستبق إلى ذكره كهلاً وصبياً، المغتنم مسألته جهراً وخفياً، كان رضياً زكياً، ولياً تقياً، عبد الله بن أبي زكريا[١].

عن الأوزاعي. قال: لم يكن بالشام رجل يفضل على ابن أبي زكريا، قال: عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي.

عن أبي جميلة. قال: سمعت ابن أبي زكريا يقول: عالجت الصمت عشرين سنة فلم أقدر منه على ما أريد.

---

(١) توفي ابن أبي زكريا رحمه الله سنة سبع عشرة ومائة «الصفوة».

عن أبي جميلة. قال: كان ابن أبي زكريا لا يذكر في مجلسه أحد، يقول: إن ذكرتم الله أعنّاكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم.

عن أبي سبأ عتبة بن تميم، عن عبد الله بن أبي زكريا. قال: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه أمات الله قلبه.

عن مرجي الزاهد الشاهد. قال: سمعت عبد الله بن أبي زكريا يقول: والله للبس المسوح وسف الرماد ونوم على المزابل مع الكلاب ليسير في مرافقة الأبرار.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول: لو خيرت بين أن أعمر مائة سنة من ذي قبل، في طاعة الله، أو أن أقبض في يومي هذا، أو في ساعتي هذه، لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه تشوقاً إلى الله وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده.

عن علي بن أبي جميلة. قال: دعاني عبد الله ابن أبي زكريا إلى منزله، قال: ثم أخرج إليّ مصاحف، فقلت له: ما تصنع بكل هذه؟ قال: ليس فيها فضل عني، أما واحد فأقرأ فيه، والآخر تقرأ فيه المرأة، وآخر يقرأ فيه ابني. قال: وكنت لا تراه أبداً إلا وثيابه كأنما غسلت يومئذ نقاء.

عن الأوزاعي؛ أن عبد الله بن أبي زكريا كلم رجلاً جاءه للمسألة عن المشيئة، فأخبره بالأمر والسنَّة فلم يقبل، فقال: اكفف فلو أدركت رسول الله ﷺ لم تقبل منه، أو كنت حرياً أن لا تقبل منه.

عن محمد بن أبي جميلة. قال: أرادني عبد الله بن عبد الملك على صحبته، فشاورت ابن أبي زكريا فقال: أنت حر فلا تجعل نفسك مملوكاً.

أسند عن عبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأم الدرداء، ورجاء بن حيوة.

٣٠٨ ـ أبو عطية المذبوح

ومنهم المفزع المشروح، أبو عطية بن قيس المذبوح.

عن الهيثم بن مالك. قال: كنا نتحدث عند أيفع بن عبد، وعنده أبو عطية المذبوح، فتذاكروا النعم، فقالوا: من أنعم الناس؟ فقالوا: فلان وفلان، فقال أيفع: ما تقول يا أبا عطية؟ فقال: أنا أخبركم من هو أنعم منه، جسد في اللحد قد أمن من العذاب. قال بقية: وقال لي صفوان بن عمرو: قال جسد في التراب، قد أمن من العذاب ينتظر الثواب.

عن حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبوح. قال: لما حضر أبا عطية الموت جزع منه، فقالوا له: أتجزع من الموت؟ قال: مالي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي.

روي عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، ومعاوية، وعمرو بن عبسة.

٣٠٩ ـ مريج بن مسروق

ومنهم القلق المخنوق، أبو الحسن مريج بن مسروق.

عن صفوان بن عمرو حدثني مريج بن مسروق؛ أنه كان يقول: يا بني! المخافة قبل الرجاء، فإن الله عز وجل خلق جنة وناراً، فلن تخوضوا إلى الجنة حتى تمروا على النار.

عن عيسى بن يزيد. قال: رؤي مريج بن مسروق الهوزني يوماً يرقع شقوقاً في بيته بزبل البقر، فقيل له في ذلك فقال: إنما الدنيا مزبلة نرقعها بالزبل.

عن ابن مكرم، عن مريج بن مسروق. قال: ما من شاب يدع

لذة الدنيا ولهوها ويعمل شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله، ـ والذي نفس مريج بيده ـ مثل أجر اثنين وسبعين صديقاً.

أسند عن معاذ بن جبل.

٣١٠ ـ عمرو بن الأسود

ومنهم المتسمت بالسمت الأجود، العنسي عمرو بن الأسود.

عن يحيى بن جابر الطائي. قال: قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاه.

وكان عمر بن الخطاب يقول: من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو بن الأسود.

عن شرحبيل؛ أن عمر بن الأسود كان يدع كثيراً من الشبع مخافة الأشر، وكان إذا خرج من بيته إلى المسجد قبض يمينه على شماله مخافة الخيلاء.

أسند عن معاذ. وعبادة بن الصامت، والعرباض بن سارية، وأم حرام وجناده بن أبي أمية.

٣١١ ـ عمير بن هاني

ومنهم التارك للأماني والتواني، المثابر على المباني والمعاني، أبو الوليد عمير بن هاني.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قلت لعمير بن هاني: إن لسانك لا يفتر عن ذكر الله، فكم تسبح كل يوم وليلة؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع.

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال: سمعت عمير بن هاني ـ وذكر الفتنة ـ فقال: طوبى لرجل صاحب غنم، إلى

جانب علم، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويقري الضيف، لا يعرفه الناس ويعرفه الله بتقواه وذلك العبد النومة[1].

أسند عمير عن ابن عمر وأبي هريرة، ومعاوية.

٣١٢ ـ عبيدة بن مهاجر

ومنهم الزاهد المفارق للمشاجر، المسابق للمتاجر، أبو عبد رب عبيدة بن مهاجر.

عن سعيد بن عبد العزيز؛ أن أبا عبد رب خرج من عشرة آلاف دينار، أو من مائة ألف، فكان يقول: لو سالتْ بردى أمثال الذهب، ما كنت بأول الناس يقوم إليها، ولو قيل: إن الموت في هذا العود، ما سبقني إليه أحد إلا بفضل قوة.

عن عبد الله بن يوسف؛ أن أبا عبد رب كان يشتري الرقاب فيعتقهم، فاشترى يوماً عجوزاً رومية فأعتقها، فقالت: ما أدري أين آوي؟ فبعث بها إلى منزله، فلما انصرف من المسجد أتي بالعشاء فدعاها فأكلت ثم راطنها فإذا هي أمه، فسألها الإسلام فأبت، فكان يبلغ من برها ما يبلغ، فأتى يوماً بعد صلاة العصر يوم الجمعة فأخبر أنها أسلمت، فخر ساجداً حتى غابت الشمس.

عن ابن جابر؛ أن أبا عبد رب كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان في تجارة، فأمسى إلى جانب مرعى ونهر فنزل به، قال أبو عبد رب: فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية من المخرج، فاتبعته فوافيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير، فسلمت عليه فقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين، قال: قلت: ما حالتك هذه؟ قال: نعمة يجب علي حمد الله فيها، قال: قلت: وكيف وإنما أنت في حصير؟ قال: ومالي

---

(١) النومة: أي الذي لا يؤبه له.

لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خلقي، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر عليّ ما أكره ذكره أو نشره، فمن أعظمُ نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه؟! قال: قلت: رحمك الله إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فإنا نزول على النهر ها هنا؛ قال: ولمه؟ قال: قلت: لتصيب من الطعام ولنعطيك ما يغنيك من لبس الحصير، قال: ما بي حاجة قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد رب.

فانصرفت وقد تقاصرت إلي نفسي، ومقتها إذ أني لم أخلف بدمشق رجلاً في الغنى يكاثرني، وأنا ألتمس الزيادة فيه، اللهم إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه.

قال: فبت ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به، فلما كان من السحر رحلوا كنحو من رحلتهم فيما مضى، وقدموا إليّ دابتي فركبتها وصرفتها إلى دمشق، وقلت: ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري، فسألني القوم فأخبرتهم، وعاتبوني على المضي فأبيت، قال: قال ابن جابر: فلما قدم تصدق بصامت ماله، وتجهز به في سبيل الله.

قال ابن جابر: فحدثني بعض إخواني قال: ما كست صاحب عباء بدانق في عباءة، أعطيته ستة وهو يقول: سبعة، فلما أكثرت قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل دمشق، قال: ما تشبه شيخاً وفد علي أمس، يقال له أبو عبد رب: اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة ما سألني أن أضع له درهماً، وسألني أن أحملها له فبعثت أعواني، فما زال يفرقها بين فقراء الجيش، فما دخل إلى منزله منها بكساء.

قال ابن جابر: وكان أبو عبد رب قد تصدق بصامت ماله، وباع عقده فتصدق بها إلا داراً بدمشق، وكان يقول: والله لو أن نهركم هذا - يعني برد - سال ذهباً وفضة من شاء خرج إليه فأخذه، ما خرجت

إليه، ولو أنه قيل: من مس هذا العود مات لسرني أن أقوم إليه، شوقاً إلى الله وإلى رسوله.

قال ابن جابر: فوافيته ذات يوم يتوضأ على مطهرة دمشق، فسلمت فرد عليّ فقال: يا طويل لا تعجل فانتظرته، فلما فرغ من وضوئه أقبل عليّ فقال: إني أريد أن أستشيرك فأشر عليّ؟ قال: قلت: اذكر، قال: خرجت من صامت مالي وعقدي[1] فلم يبق إلا داري هذه أعطيت بها كذا وكذا ألفاً فما ترى؟ قال: قلت: والله ما تدري ما بقي من عمرك، وأخاف أن تحتاج إلى الناس وفي غلتها قوام لعيشك، وتسكن في طائفة منها تسترك وتغنيك عن منازل الناس، قال: وإن هذا لرأيك؟ قلت: نعم! قال: أصابك والله المثل، قلت: وما ذاك؟ قال: لا يخطئك من طويل حمق أو قزحة في رجله، أبالفقر تخوفني!! قال ابن جابر: فباعها بمال عظيم وفرقه، وكان مع ذلك موته، فما وجدوا من ثمنها إلا قدر ثمن الكفن.

أسند عن معاوية بن أبي سفيان، وتسمى: بعبد الرحمن وعبد الجبار، وكان اسمه قسطنطين.

٣١٣ - يزيد بن مرثد

ومنهم البكاء الموجد، يزيد بن مرثد.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال: قلت ليزيد بن مرثد: مالي أرى عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟! قلت: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين.

---

(١) عقدي: جمع عقدة، وهي الصنيعة والمكان الكثير الشجر والنخل.

قال: فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه! قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكانا. ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ما خصصت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا ما تقر لي معك عين.

عن الوضين بن عطاء. قال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد، فبلغ ذلك يزيد بن مرثد فلبس فروه قد قلبها، فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً، وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً، وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق، ويأكل الخبز واللحم، فقيل للوليد: إن يزيد بن مرثد قد اختلط، وأخبر بما فعله فتركه.

أسند عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

٣١٤ ـ شفي بن ماتع الأصبحي

قال الشيخ رضي الله عنه: ومنهم العامل الخفي، شفي بن ماتع الأصبحي.

عن قيس بن رافع، عن شفي الأصبحي. قال: تفتح على هذه الأمة خزائن كل شيء، حتى يفتح عليهم خزائن الحديث.

عن شييم بن بيتان، عن شفي الأصبحي. قال: من كثر كلامه كثرت خطيئته.

عن عمار بن سعد، عن شفي الأصبحي. قال: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة.

عن شجرة أبي محمد، عن شفي. قال: إن الرجلين ليكونان في الصلاة مناكبهما جميعاً، ولما بينهما كما بين السماء والأرض، وإنهما ليكونان في بيت، صيامهما واحد، ولما بين صيامهما كما بين السماء والأرض.

أسند شفي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وغيرهما.

٣١٥ ـ رجاء بن حيوة

[ت١١٢هـ]

ومنهم الفقيه المفهم المطعام، مشير الخلفاء والأمراء، رجاء بن حيوة أبو المقدام(١).

عن مطر الوراق. قال: ما رأيت شامياً أفضل من رجاء بن حيوة.

عن أبي أسامة. قال: كان ابن عون إذا ذكر من يعجبه، ذكر رجاء بن حيوة.

عن ابن عون. قال: ثلاث لم أر مثلهم، كأنهم التقوا فتواصوا؛ ابن سيرين بالعراق، وقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام.

عن أبي السائب. قال: ما رأيت أحداً أحسن اعتدالاً في صلاة من رجاء بن حيوة.

عن عبد الرحمن بن عبد الله؛ أن رجاء بن حيوة الكندي قال

---

(١) توفي رجاء سنة اثنتي عشرة ومائة رحمه الله تعالى.

لعدي بن عدي ولمعن بن المنذر يوماً وهو يعظهما: انظرا الأمر الذي تحبان أن تلقيا الله عليه، فخذا فيه الساعة وانظرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله عليه فدعاه الساعة.

عن العلاء بن روبة. قال: كانت لي حاجة إلى رجاء بن حيوة، فسألت عنه، فقالوا: هو عند سليمان بن عبد الملك، قال: فلقيته فقال: ولى أمير المؤمنين اليوم ابن موهب القضاء، ولو خيرت بين أن ألي وبين أن أحمل إلى حفرتي لاخترت أن أحمل إلى حفرتي، قلت: إن الناس يقولون: إنك أنت الذي أشرت به؟! قال: صدقوا إني نظرت للعامة ولم أنظر له.

عن محمد بن ذكوان، عن رجاء بن حيوة. قال: إني لواقف مع سليمان بن عبد الملك، وكانت لي منه منزلة، إذا جاء رجل، ذكر رجاء بن حيوة من حسن هيئته، قال: فسلم فقال: يا رجاء إنك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الوقع يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف! واعلم يا رجاء أنه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان ضعيف، وهو لا يستطيع رفعها لقي الله يوم يلقاه وقد ثبت قدميه للحساب، واعلم يا رجاء أنه من كان في حاجة أخيه المسلم، كان الله في حاجته، واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله! فرحاً أدخلته على مسلم.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: قدم يزيد بن عبد الملك بيت المقدس، فسأل رجاء بن حيوة أن يصحبه فأبى واستعفاه، فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك، فقال: إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا، فقال له عقبة: إن هؤلاء القوم قلَّ ما باعدهم رجل بعد مقاربة إلا ركبوه، قال: إني أرجو أن يكفيهم الذي أدعوهم له.

عن ابن عون. قال: ما أدركت من الناس أحداً أعظم رجاء

لأهل الإسلام من القاسم بن محمد، ومحمد بن سيرين، ورجاء بن حيوة.

عن ضمرة عن رجاء. قال: الحلم أرفع من العقل لأن الله تسمى به.

عن أبي عتبة، عن رجاء بن حيوة. قال: ما أكثر عبد ذكر الموت، إلا ترك الحسد والفرح.

عن ابن عجلان عن رجاء بن حيوة. قال: يقال: ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان يزينه التقى، وما أحسن التقى يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه الحلم، وما أحسن الحلم يزينه الرفق.

أسند عن عبد الله بن عمرو، وأبي الدرداء وأبي أمامة، ومعاوية، وجابر. وروى عن عبد الرحمن بن غنم، وعبادة بن نسي، وعبد الملك بن مروان، ورواد كاتب المغيرة، وأم الدرداء وغيرهم.

٣١٦ ـ مكحول الشامي

ومنهم الإمام الفقيه الصائم المهزول، إمام أهل الشام أبو عبد الله مكحول.

عن مغيرة بن زياد، عن مكحول. قال: من لم ينفعه علمه ضره جهله، اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه.

عن عبد ربه بن صالح. قال: دخل على مكحول في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسن الله عافيتك أبا عبد الله؟ فقال: الإلحاق بمن يرجى عفوه، خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

عن سفيان. قال: كتب ابن منبه إلى مكحول: إنك أمرؤ قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام شرفاً، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى.

عن أبي رزين. قال: لما أكثر الناس على مكحول في القدر، قلت: لأسألنه عن شيء؟ قلت: ما تقول في رجل عنده جارية وعليه دين، ولا مال له غيرها، أترى له أن يعزل عنها؟ قال: لا يفعل لا يفعل، فإن الله تعالى لم يخلق نفساً، إلا وهي كائنة فلا عليه أن لا يفعل.

عن محمد بن راشد، عن مكحول. أنه عاد حكيم بن حزام بن حكيم فقال: أتراك مرابطاً العام؟ قال: كيف تسألني عن هذا، وأنا على ذي الحال؟ قال: وما عليك أن تنوي ذاك فإن شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك.

عن بركة الأزدي. قال: وضأت مكحولاً فأتيته بالمنديل، فأبى أن يمسح به وجهه، ومسح وجهه بطرف ثوبه، فقال: الوضوء بركة وأنا أحب أن لا تعدو ثوبي.

عن الزهري. قال: العلماء أربعة؛ سعيد بن المسيب بالمدينة، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن أبي الحسن بالبصرة، ومكحول بالشام.

عن ابن جابر، عن مكحول. قال: لا يؤخذ العلم إلا عن من شهد له بالطلب.

عن الأوزاعي، عن مكحول. قال: لأن تضرب عنقي أحب إليّ من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء أحب إليّ من بيت المال.

عن أبي المهاجر عن مكحول. قال: أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً.

عن ثابت بن ثوبان؛ أنه سمع مكحولاً يقول: من أحب رجلاً صالحاً فإنما أحب الله، ومن ذهب إلى علم يتعلمه، فهو في طريق الجنة حتى يرجع.

عن الأوزاعي، عن مكحول. قال: إن كان الفضل في الجماعة، فإن السلامة في العزلة.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال: سمعت مكحولاً يقول: لا يأتي على الناس ما يوعدون، حتى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفة حمار.

عن أبي عبد الله الشامي، عن مكحول. قال: أفضل العبادة بعد الفرائض الجوع والظمأ.

عن ابن جابر. قال: أقبل يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى مكحول وأصحابه، فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له، فقال مكحول: مكانكم، دعوه يجلس حيث أدرك يتعلم التواضع.

عن عمرو بن فروخ، عن مكحول. قال: من طابت ريحه زاد في عقله، ومن نظف ثوبه قل همه.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: سمعت مكحول يقول: رأيت رجلاً يصلي، وكلما ركع وسجد بكى، فاتهمته أنه يرائي ببكائه فحرمت البكاء سنة.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: كنت جالساً عند مكحول فاستطال عليه رجل، فقال مكحول: ذلٌ من لا سفيه له.

عن النعمان بن المنذر، عن مكحول. قال: لا تعاهدوا السفيه ولا المنافق فما نقضوا من عهد الله أكبر من عهدكم.

أسند مكحول عن عدة من الصحابة منهم: أنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وأبو أمامة الباهلي، وأبو هند الداري.

وروى عن أبي ثعلبة الخشني، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أيوب، وأبي الدرداء، وشداد بن أوس، وأبي هريرة في آخرين.

٣١٧ ـ عطاء بن ميسرة

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم المحث على التزود للآجلة، المنفر عن الاغترار بالعاجلة، أبو عثمان الخراساني عطاء بن ميسرة. كان فقيهاً كاملاً، وواعظاً عاملاً، تزود للارتحال، تيقنا للانتقال.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال: كنا نغازي مع عطاء الخراساني، فكان يحيي الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا، يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان ويا فلان، قوموا وتوضؤوا وصلوا فإن قيام هذا الليل، وصيام هذا النهار، أيسر من شراب الصديد، ومقطعات الحديد، الوحا الوحا، النجا النجا ثم يقبل على صلاته.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال: كنا نغزو مع عطاء الخرساني، فكان يحيي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر.

❁ ❁ ❁

عن يزيد بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني: أنه كان يومي في حديثه يقول: إني لا أوصيكم بدنياكم أنتم بها مستوصون، وأنتم عليها حراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم.

تعلمن أنه لن يعتق عبد وإن كان في الشرف والمال، وإن قال: أنا فلان بن فلان، حتى يعتقه الله تعالى من النار، فمن أعتقه الله من النار عتق، ومن لم يعتقه الله من النار كان في أشد هلكة هلكها أحد قط، فجدوا في دار المعتمل لدار الثواب، وجدوا في دار الفناء لدار البقاء، فإنما سميت الدنيا لأنها أدني فيها المعتمل وإنما سميت الآخرة لأن كل شيء فيها مستأخر، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل.

فألصقوا إلى الذنوب إذا أذنبتم إلى كل ذنب: اللهم اغفر لي،

فإنه التسليم لأمر الله، وألصقوا إلى الذنوب: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله رب العالمين، وسبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قولا إلا بالله، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فإذا نشرت الصحف وجاء هذا الكلام قد ألصقه كل عبد إلى خطاياه، رجا بهذا الكلام المغفرة، وأذهبت هذه الحسنات سيئآته، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1] فمن خرج من الدنيا بحسنات وسيئآت رجا بها مغفرة لسيئاته، ومن أصر على الذنوب واستكبر عن الاستغفار خرج ذلك اليوم مصراً على الذنوب، مستكبراً عن الاستغفار قاصه الحساب وجازاه بعمله إلا من تجاوز عنه المتجاوز الكريم، فإنه لذو مغفرة للناس على ظلمهم وهو سريع الحساب.

واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه فوالله لتفارقنها، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه فوالله لتذوقنه، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه فوالله لتنزلنها، وهي دار الناس كلهم.

ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته، وتجهز له بجهازه، وأخذ للحر ظلالة، وللعطش مزاداً، وللبرد لحافاً، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه ولم يأخذ له أهبته ندم، فإذا أضحى لم يجد ظلاً، وإذا ظمئ لم يجد مآء يتروى به،وإذا وجد البرد لم يجد لذلك لحافاً، فلا أرى رجلاً أندم منه وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه.

فأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع، فأخذ في الدنيا لظمأ لا يروى، فمن آواه الله في ظل عرشه لم يضح أبداً، ومن أضحى يومئذ لم يستظل أبداً، ومن قام فأخذ لري لم يعطش أبداً،

---

(١) سورة هود، الآية (١١٤).

فإن من عطش يومئذ لم يرو أبداً، ومن قام فأخذ لكسوته لم يعر أبداً، فإنه من عري يومئذ لم يكس أبداً، لم يأت أحد من الناس ببرآئتين واحدة منهن بعد هول المطلع، والثانية في القيام بين يدي الجبار تعالى يقضي في رقاب خلقه ما يشاء لا شريك له.

❀ ❀ ❀

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: كان عطاء الخراساني إذا لم يجد أحداً يحدثه أتى المساكين فحدثهم.

عن يزيد بن سمرة، أنه سمع عطاء الخرساني يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام.

عن قدامة بن الهيثم. قال: سألت عطاء بن ميسرة الخراساني فقلت له: لي على رجل حق وقد جحدني به، وقد أعيى علي البينة، أفأقتص من ماله؟ قال: أرأيت لو وقع بجاريتك فعلمت ما كنت صانعاً[١].

عن الأوزاعي. قال: حدثني عطاء الخراساني. قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض، إلا شهدت له يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت.

عن عمر بن الورد. قال: قال لي عطاء الخراساني: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل.

عن ابن عطاء، عن أبيه. قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم، وإن كانوا نسوا فذكروهم، وكان يقال: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثاً وزر أخاً في الله.

---

(١) والمعنى هل تقتص منه بأن تقع على جاريته؟

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه. قال: السنة قضيَّة[1] على القرآن.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه. قال: قالت امرأة سعيد بن المسيب ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم، أصلحك الله، عافاك الله.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه. قال: لما رأيت الصحاف الصغار قد ظهرت، عرفت أن البركة قد رفعت.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه. قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم.

عن ابن عطاء، عن أبيه. قال: لا ينبغي للعالم أن يعدو صوته مجلسه، وقال عطاء: مجالس العلم ربض، بعضهم خلف بعض.

عن منصور بن غريب، عن عطاء. قال: إذا كان خمس كان خمس؛ إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدي على أهل الذمة كانت الدولة.

عن عمر بن أبي خليفة، قال: سمعت عطاء الخراساني ـ وصلى معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا ـ فقال: ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء فإنها ساعة الغفلة وهي صلاة الأوابين، ومن جمع القرآن فقرأه من أوله إلى آخره في الصلاة كان في رياض الجنة.

أسند عطاء بن ميسرة؛ عن أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة وأبي أمامة، وعقبة بن عامر.

---

(١) قضية: أي قاضية عليه، فهي مخصصة لعمومه، ومقيدة لمطلقه.

٣١٨ ـ خالد بن معدان

[ت١٠٣هـ]

ومنهم ذو البدن المجهود، والقلب الموجود، واللب المحمود، كان لقلبه واجداً وبلبه وافداً، وفي وصله جاهداً، خالد بن معدان[(١)].

عن ثور عن خالد بن معدان. قال: قرأت في بعض الكتب أجِعْ نفسك وأعْرِها لعلها ترى الله عز وجل.

عن عبدة بنت خالد بن معدان، عن أبيها. قالت: قلَّ ما كان خالد يأوي إلى فراش مقيله،، إلا وهو يذكر فيه شوقه إلى رسول الله ﷺ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك.

عن الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان. قال: والله لو كان الموت في مكان موضوعاً لكنت أول من يسبق إليه.

عن بنت خالد بن معدان، عن أبيها. قال: إن أدنى حالات المؤمن أن يكون قائماً، وخير حالات الفاجر أن يكون نائماً.

عن حريز، عن خالد بن معدان. قال: إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه.

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: إنه ليشكر للعبد إذا قال: الحمد لله، وإن كان على فراش وطيء، وعنده شابة حسناء!!

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: إياكم والخطران فإنه قد تنافق يد الرجل من سائر جسده، قيل: وما الخطران؟ قال: ضرب الرجل بيده إذا مشى.

---

(١) توفي خالد سنة ثلاث ومائة رحمه الله.

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: قال الله تعالى: إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي، المعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم.

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ قالوا: بلى! ولكن مررتم بها وهي خامدة.

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: ما من عبد إلا وله أربع أعين؛ عينان في وجهه يبصر بهما أمور الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمور الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً، فتح عينيه اللتين في قلبه، فيبصر بهما ما وعد بالغيب، وهما غيب فآمن الغيب بالغيب، وإذا أراد بعبد غير ذلك، تركه على ما هو عليه، ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

عن بحير بن سعيد. قال: سمعت خالد بن معدان يقول: كانوا لا يفضلون على الرباط شيئاً.

روى خالد بن معدان؛ عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي ذر رضي الله تعالى عنهم.

وأسند عن المقدام بن معدي كرب، وأبي أمامة الباهلي، وأبي هريرة. وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعبد الله بن بسر، وثوبان، وغيرهم.

٣١٩ ـ بلال بن سعد

[ت١٢٤هـ]

ومنهم المتشمر في الوعظ، المتفكر في الوعد، بلال بن سعد،

---

(١) سورة محمد، الآية (٢٤).

كان عقولاً عن الله تعالى سميعاً، حمولاً في الخدمة رفيعاً، بليغاً في الموعظة ضليعاً.

عن الأوزاعي. قال: كان بلال بن سعد من العبادة على شيء، لم نسمع أحداً من أمة محمد ﷺ كان له في كل يوم وليلة اغتسالة.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد ولم أسمع واعظاً أبلغ منه.

عن عبد الله بن المبارك. قال: كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: واحزناه على أني لا أحزن!!.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد. قال: إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا أهلها، وإذا أظهرت فلم تغير ضرَّت العامة.

عن خالد بن محمد الثقفي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول في قصصه: ـ وكان قاصاً لأهل دمشق ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فكيف بإيمان قوم متباغضين؟!

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: ذكرك حسناتك ونسيانك سيآتك غرة.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت؟.

عن عثمان بن مسلم؛ أنه سمع بلال بن سعد يقول: رب مسرور مغبون، ورب مغبون لا يشعر، فويل لمن له الويل ولا يشعر، يأكل ويشرب ويضحك ويلعب وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد، قال: إن لكم رباً ليس إلى عقاب أحدكم بسريع، يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل، ويعطف على المدبر.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد. قال: أدركت الناس يتحاثون على الأعمال الصالحة، الصلاة والصيام والزكاة، وفعل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنهم اليوم يتحاثون على الرأى.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد. قال: كفى به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها.

عن الأوزاعي، عن بلال. قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهباناً.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال بلال بن سعد: الذكر ذكران؛ ذكر باللسان حسن جميل، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: وذكر الغساق فقال: لو أن قطعة منه وقعت إلى الأرض لأنتنت ما فيها.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر.

عن الأوزاعي. قال: خرج الناس يستسقون وفيهم بلال بن سعد، فقال: يا أيها الناس ألستم تقرون بالإساءة؟ قالوا: نعم! قال: اللهم إنك قلت ما على المحسنين من سبيل، وكل يقر لك بالإساءة فاغفر لنا واسقنا، قال: فسقوا.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد. قال: إن الله يغفر الذنوب، ولكن لا يمحوها من الصحيفة، حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد. قال: يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار، قال: فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه، فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير، فيقول: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، فيأمر بهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت، فيأمر بردهما فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ما حملك على ما فعلت وقد اختبرتها؟ فيقول: يا رب قد ذقت من وبال معصيتك، ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً، ويقول للذي مضى وهو يتلفت ما حملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظني بك يا رب، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حيث أخرجتني منها أنك لا تعيدني إليها، قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه، فقد تمت خسارته.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد يقول في مواعظه: يا أهل الخلود، يا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار.

عن الأوزاعي. قال: سمعت بلال بن سعد السكوني يقول: إن المؤمن ليقول قولاً ولا يدعه الله وقوله، حتى ينظر في عمله، فإن كان عمله موافقاً لقوله، لم يدعه حتى ينظر في ورعه، فإن كان ورعه موافقاً لقوله وعمله، لم يدعه حتى ينظر فيما نوى به، فإن سلمت له النية فبالحري أن يسلم سائر ذلك، إن المؤمن ليقول قولاً يوافق قوله عمله، وإن المنافق ليقول بما يعلم، ويعمل بما ينكر.

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي حوشب. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: يا أولي الألباب لا تقتدوا بمن لا يعلم، ويا

أولي الألباب لا تقتدوا بالسفهاء، ويا أولي الأبصار لا تقتدوا بالعمي، ويا أولي الإحسان لا يكن المساكين ومن لا يعرف أقرب إلى الله منكم، وأحرى أن يستجاب لهم، فليتفكر متفكر فيما يبقى له وينفعه.

قال: وسمعت بلالاً يقول: أمّا ما وكلكم به فتضيعون، وأما ما تكفل لكم به فتطلبون، ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين! أذووا عقول في طلب الدنيا، وبله عما خلقتم له؟ فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله، فكذلك اشفقوا من عقاب الله بما تنتهكون من معاصي الله.

قال: وسمعته يقول: عباد الرحمن! اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار نصب وحزن لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يغتر.

عن الضحاك. قال: سمعت بلال بن سعد يقول: عبادَ الرحمن! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم، أو شيئاً من خطاياكم غفر لكم؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[1]، والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم، أفترغبون في طاعة الله بتعجيل دنيا تفنى عن قريب، ولا ترغبون ولا تنافسون في جنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[2].

أسند بلال بن سعد؛ عن أبيه سعد بن تميم السكوني، وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله، رضي الله تعالى عنهم.

٣٢٠ - يزيد بن ميسرة

ومنهم البليغ في الوعظ والتذكرة، المصيب في الرأي والمشورة، أبو يوسف يزيد بن ميسرة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١١٥).

(٢) سورة الرعد، الآية (٣٥).

عن الأوزاعي. قال: قدم عطاء الخراساني على هشام فنزل على مكحول، فقال لمكحول: ها هنا أحد يحركنا؟ قال: نعم! يزيد بن ميسرة، فأتوه فقال عطاء: حركنا رحمك الله، قال: نعم! كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا، شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا. قال: أعد عليّ، فأعاد عليه فرجع عطاء ولم يلق هشاماً!!

عن راشد بن أبي راشد، عن يزيد بن ميسرة. قال: لا تبذل علمك لمن لا يسأله، ولا تنثر اللؤلؤ عند من لا يلتقطه، ولا تنشر بضاعتك عند من يكسدها عليك.

عن شريح بن عبيد، عن يزيد بن ميسرة. قال: الشح ما بين مخلاة المسكين وتاج الملك.

عن يحيى بن جابر، عن يزيد بن ميسرة. قال: البكاء من سبعة أشياء؛ من الفرح، والحزن، والفزع، والوجع، والرياء، والشكر، وبكاء من خشية الله، فذلك الذي تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار.

عن راشد بن أبي راشد. قال: قال يزيد بن ميسرة: لا تضر نعمة معها شكر، ولا بلاء معه صبر، ولبلاء في طاعة الله خير من نعمة في معصية الله.

عن صفوان بن عمرو؛ أن يزيد بن حصين السكوني حين ولي حمص، أرسل إلى يزيد بن ميسرة. قال: يا أبا يوسف كيف ترى فيما ابتلينا به من هذا السلطان؟ قال: اتق الله أيها الأمير، وإياك والعجلة؟ وعليك بالأناة، وفي السجن راحة، هل تدري ما يقال لصاحب السلطان؟ أيها المسلط لا ينفخنك روح الشيطان، فإنك إنما خلقت من تراب، وإلى التراب تعود، ورثت مكان من قبلك، وغيرك وارث مكانك غداً.

عن عبد الرحمن بن عدي، عن يزيد بن ميسرة. قال: إن الله تعالى يقول: أيها الشاب التارك شهوته لي، المبتذل شبابه من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي.

عن أبي راشد، عن يزيد بن ميسرة. قال: قال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم، كما تواضعون فكذلك ترفعون، وكما ترحمون كذلك ترحمون، وكما تقضون من حوائج الناس، فكذلك الله تعالى يقضي من حوائجكم.

عن صفوان بن عمرو. قال: كان يزيد بن ميسرة فيما بلغنا يقول: إذا زكاك رجل في وجهك فأنكر عليه، واغضب ولا تقر بذلك، وقل: اللهم لاتؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: ابدؤوا بالذي يحق لله عليكم، ولا تعلموا الله ما ينبغي لكم.

قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: اللهم اجعل مخافتك في قلوبنا، وأدم على قلوبنا ذكر الموت، أيها الناس اذكروا أين أنتم اليوم؟ وأين تكونون غداً؟ اليوم في البيوت تتكلمون، وغداً في القبور سكوت، فطوبى للأبرار الشاكرين! يا غافلين تشيعون الميت إلى قبره، ويقول: ويلكم إنما أنتم غداً مثلي، أيتها النفس ألا تنظرين إلى ما رأيت في الدنيا، وما لم تري على مثل ذلك، إنما هي كأرواح تذهب لا يرى لها أثر، أو كثور يدور يذهب الأول فالأول.

عن يحيى بن جابر، عن يزيد بن ميسرة. قال: إن العبد ليمرض المرضة وماله عند الله من خير، فيذكره الله بعض ما سلف من خطاياه، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدموع من خشية الله، فيبعثه الله إن بعثه مطهراً، ويقبضه إن قبضه على ذلك.

أسند يزيد بن ميسرة عن أم الدرداء.

٣٢١ - إبراهيم بن أبي عبلة

ومنهم إبراهيم بن أبي عبلة. كان أميناً قارئاً، وكان في علمه وقراءته هنياً مرياً، وفي مواعظه ونصائحه بليغاً قوياً، رحمة الله تعالى عليه.

عن ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن أبي عبلة. قال: قدم الوليد بن عبد الملك فأمرني فتكلمت، فلقيني عمر بن عبد العزيز فقال: يا إبراهيم لقد وعظت موعظة وقعت من القلوب.

عن ضمرة. قال: قال لي إبراهيم بن أبي عبلة. قال لي الوليد بن عبد الملك: في كم تختم القرآن؟ قلت: في كذا وكذا، فقال: أمير المؤمنين على شغله يختم في كل سبع أو ثلاث.

عن أبي هاني، عن إبراهيم بن أبي عبلة. قال: بعث إليّ هشام بن عبد الملك فقال لي: يا إبراهيم إنا قد عرفناك صغيراً، واختبرناك كبيراً، فرضينا سيرتك وحالك، وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وخاصتي، وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر. قال: فقلت: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك، وكفى به جازياً ومثيباً، وأما الذي أنا عليه فما لي بالخراج بصر، ومالي عليه قوة. قال: فغضب حتى اختلج وجهه، وكان في عينيه قبل[١] فنظر إليّ نظراً منكراً ثم قال: لتلين طائعاً أو لتلين كارهاً؟ قال: فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه قد انكسر، وسورته قد طفئت، فقلت: يا أمير المؤمنين أتكلم؟ قال: نعم! قلت: إن الله سبحانه قال: في كتابه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[٢] الآية. فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب

(١) قبل: القبل في العين، إقبال السواد على الأنف.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٧٢).

عليهن إذ أبين، ولا أكرههن إذ كرهن، وما أنا بحقيق أن تغضب عليّ إذ أبيت، ولا تكرهني إذا كرهت. قال: فضحك حتى بدت نواجذه. ثم قال: يا إبراهيم قد أبيت إلا فقها، لقد رضينا عنك وأعفيناك.

أدرك عدة من الصحابة ورأى منهم أنس بن مالك، وأبا أبي عبد الله بن أم حرام الأنصاري، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن بسر، وأبا أمامة.

وروى عن؛ عبادة بن الصامت، وعتبة بن غزوان السلمي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأرسل عنهم.

٣٢٢ ـ يونس بن ميسرة

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم الشهيد المحبس، يونس بن ميسرة بن حلبس. رضي الله تعالى عنه.

عن الهيثم بن عمران. قال: كنت أجلس إلى يونس بن ميسرة وهو أعمى، فكنت أسمعه يقول: اللهم ارزقنا الشهادة، فقتل سنة اثنتين وثلاثين ومائة مدخل عبد الله بن علي دمشق.

عن محمد بن مهاجر. قال: سمعت يونس بن ميسرة. يقول: أين إخواني؟ أين أصحابي؟ ذهب المعلمون وبقي المتعلمون، وذهب المطعمون وبقي المستطعمون!!.

عن خالد بن يزيد بن صبيح، عن يونس بن ميسرة. قال: قالت الحكمة: يا ابن آدم، تلتمسني وأنت تجدني في حرفين؛ تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم.

عن عبد الرحمن بن الوليد، قال: سمعت ابن حلبس. ينشد هذا البيت عند الموت:

ذهب الرجال الصالحون وأخرت نتن الرجال لذا الزمان المنتن

عن عمرو بن واقد، عن يونس بن حلبس؛ أنه كان يمر على المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة، فسمع قائلاً يقول: هذا يونس بن حلبس قد هجر، تحجون وتعتمرون كل شهر، وتصلون كل يوم خمس صلوات، أنتم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل. قال: فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه، فقال: سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم فلا تردون؟ قالوا: قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات.

عن سعيد بن عبد العزيز، عن ابن حلبس. قال: قال عيسى عليه السلام: إن الشيطان مع الدنيا، ومكره مع المال، وتزيينه عند الهوى، واستكماله عند الشهوات.

أسند عن عدة من الصحابة منهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن بسر. وروى عن؛ أم الدرداء وأبي إدريس الخولاني، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

٣٢٣ ـ عمر بن عبد العزيز

[٦١ ـ ١٠١هـ]

قال الشيخ رحمه الله ومنهم المحتصن الحريز، ذو الشجى والأزيز، المولى عمر بن عبد العزيز[١].

كان واحد أمته في الفضل، ونجيب عشيرته في العدل، جمع زهداً وعفافاً، وورعاً وكفافاً، شغله آجل العيش عن عاجله،وألهاه

---

(١) عمر بن عبد العزيز. رحمه الله، يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب،. توفي لعشر ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين وستة أشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، مات بدير سمعان ودفن هناك. رحمه الله تعالى. «الصفوة».

إقامة العدل عن عاذله، كان للرعية أمناً وأماناً، وعلى من خالفه حجة وبرهاناً، كان مفوهاً عليماً، ومفهماً حكيماً.

عن عمرو بن قيس الملائي. قال: سئل محمد بن علي بن الحسين، عن عمر بن عبد العزيز فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبة، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

عن نافع. قال: كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول: ليت شعري من هذا الذي في وجهه علامة من ولد عمر يملأ الأرض عدلاً؟!.

عن عبد الرزاق. قال: أخبرني أبي قال: قال وهب بن منبه: إن كان في هذه الأمة مهدي، فهو عمر بن عبد العزيز.

عن ابن شوذب. قال: قال الحسن: إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز، وإلا فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم عليه السلام.

عن مالك بن دينار. قال: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد. إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

عن أبي يونس بن أبي شبيب. قال: شهدت عمر بن عبد العزيز، وهو يطوف بالبيت، وإن حجزة إزاره لغائبة في عكنه، ثم رأيته بعد ما استخلف لو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت!!.

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز. قال: قال لي أبو جعفر: ـ يعني أمير المؤمنين ـ كم كانت غلة أبيك عمر حين ولي الخلافة؟ قلت: أربعين ألف دينار، قال: فكم كانت غلته حين توفي؟ قلت: أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت.

عن مسلمة بن عبد الملك. قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة

بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين. قالت: نفعل إن شاء الله، ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه، قالت: والله ماله قميص غيره.

عن أبي أمية الخصي، غلام عمر بن عبد العزيز. قال: بعثني عمر بن عبد العزيز بدينارين إلى أهل الدير فقال: إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم، قال: فأتيتهم فقالوا: لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه.

عن عون بن المعتمر. قال: دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنباً قالت: لا، قال: فعندك نمية يعني الفلوس أشتري بها عنباً قالت: لا، فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا نمية تشتري بها عنباً!! قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في نار جهنم.

عن عقبة بن نافع القرشي؛ أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال لها: ألا تخبريني عن عمر؟ فقالت: ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه.

عن سهل بن صدقة، مولى عمر بن عبد العزيز. قال: حدثني بعض خاصة آل عمر. أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عالياً، فسألوا عن البكاء فقالوا: إن عمر خير جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن، فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء، فبكين إياساً منه.

عن يحيى. قال: كنت أنا وابن أبي زكريا بباب عمر، فسمعنا بكاء في داره، فسألنا عنه فقالوا: خير أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم في منزلها، وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما في عنقه، وبين أن تلحق بمنزل أبيها، فبكت فبكى جواريها لبكائها.

عن المغيرة بن حكيم. قال: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك: يا مغيرة قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر، ولكني لم أر من الناس أحداً قط كان أشد خوفاً من ربه من عمر، كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.

عن أبي عثمان الثقفي. قال: كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم، فجاءه يوماً بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك؟ فقال: نفقت السوق، قال: لا ولكنك أتعبت البغل، أرحه ثلاثة أيام.

عن يحيى. قال: كانت لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر جارية، فبعثت بها إليه وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك وقد وهبتها لك فتناول منها حاجتك. فقال لها عمر: اجلسي يا جارية فوالله ما شيء من الدنيا كان أعجب إليّ أن أناله منك، فأخبريني بقصتك وما كان من سبيك؟ قالت: كنت جارية من البربر، جنى أبي جناية فهرب من موسى بن نصير، عامل عبد الملك على أفريقية، فأخذني موسى بن نصير، فبعث بي إلى عبد الملك فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلت بي إليك. فقال: كدنا والله أن نفتضح فجهزها وأرسل بها إلى أهلها.

عن سعيد بن سويد؛ أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك، فلو لبست! فنكس ملياً ثم رفع رأسه فقال: أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة.

عن قربان بن دبيق. قال: مرت بي ابنة لعمر بن عبد العزيز يقال لها أمينة فدعاها عمر يا أمين يا أمين فلم تجبه، فأمر إنساناً فجاء بها،

فقال: ما منعك أن تجيبيني قالت: إني عارية، فقال: يا مزاحم انظر تلك الفرش التي فتقناها، فاقطع لها منها قميصاً، فقطع منها قميصاً فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها فقال: بنت أخيك عارية، وأنت عندك ما عندك، فأرسلت إليها بتخت من ثياب وقالت: لا تطلبي من عمر شيئاً.

عن جابر بن نوح. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته؛ أما بعد: فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك، بغض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باق والسلام.

عن أسماء بن عبيد. قال: دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز. فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي، وما يصلح عيالي؟ فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته. فخرج من عنده فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد أبا خالد، فرجع. فقال: أكثر من ذكر الموت، فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.

عن جعونة. قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا أيها الناس إنما أنتم أغراض، تنتضل فيها المنايا، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأية أكلة ليس معها غصة، وأية جرعة ليس معها شرقة، وإن أمسِ شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه، وخلف في أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن، وإن غدا آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يدي طالبه! إنه لا أقوى من طالب، ولا أضعف من مطلوب. إنما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار، إنما أنتم فروع أصولٍ قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله.

عن عبيد الله بن العيزار. قال: خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام، على منبر من طين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم تكلم بثلاث

كلمات فقال: أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب حي لمغرق له في الموت والسلام عليكم.

عن أبي الحسن المدائني. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يعزيه على ابنه؛ أما بعد: فإنا قوم من أهل الآخرة أسكنا الدنيا، أموات أبناء أموات، والعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام.

عن محمد الكوفي. قال: شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله تعالى خلق خلقه ثم أرقدهم، ثم يبعثهم من رقدتهم، فإما إلى جنة وإما إلى نار، والله إن كنا مصدقين بهذا إنا لحمقى، وإنا كنا مكذبين بهذا إنا لهلكى، ثم نزل.

عن عبد الله بن المفضل التميمي. قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز، أن صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً أو رائحاً إلى الله تعالى، وتضعونه في صدع من الأرض، ثم في بطن الصدع، غير ممهد ولا موسد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب؛ وأسكن التراب، وواجه الحساب، فقير إلى ما قدم أمامه، غني عما ترك بعده. أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي.

قال: ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ثم نزل، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته.

عن عيسى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل؛ أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والانشمار لما استطعت من مالك وما

رزقك الله إلى دار قرارك، فكأنك والله ذقت الموت، وعاينت ما بعده، بتصريف الليل والنهار. فإنهما سريعان في طي الأجل، ونقص العمر، لم يفتهما شيء إلا أفنياه، ولا زمن مرا به إلا أبلياه، مستعدان لمن بقي بمثل الذي أصاب من قد مضى، فنستغفر الله لسيئ أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا على ما نعظ به مما نقصر عنه.

عن وهيب بن الورد. قال: اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه، فقالوا له: إما أن تستأذن لنا، وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة، قال: قولوا: فقالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا، وإن أباك قد حرمنا ما في يديه. قال: فدخل على أبيه فأخبره عنهم، فقال له عمر: قل لهم إن أبي يقول لكم: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.

عن عدي الكندي. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، أما بعد: فكأن العباد قد عادوا إلى الله تعالى، ثم ينبئهم بما عملوا، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فإنه لا معقب لحكمه، ولا ينازع في أمره، ولا يقاطع في حقه الذي استحفظه عباده وأوصاهم به، وإني أوصيك بتقوى الله، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة، وآتاك من كرامة، فإن نعمه يمدها شكره، ويقطعها كفره، أكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك، ولا مناص ولا فوت، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما زهدت فيه، والرغبة فيما رغبت فيه، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه، فإن فيه لعمري شغلاً عن دنياك، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل، ولا الحق

حتى تذر الباطل، فنسأل الله لنا ولك حسن معونته، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته.

عن الأوزاعي. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه: وقسم لك أبوك الخمس كله، وإنما لك سهم أبيك، كسهم رجل من المسلمين، وفيه حق الله والرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة، فكيف ينجو من كثر خصماؤه؟! وإظهارك المعازف والمزامير بدعة في الإسلام، لقد هممت أن أبعث إليك من يجز جمتك جمة السوء.

عن الأوزاعي. قال: لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فتكلم في ذلك عنبسة بن سعيد فقال: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة؟ قال: لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد، ولا يمنعه من أخذه، إلا بعد مكانه، والله إني لأرى أن الأمور لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم، لنزلت بهم بائقة من عذاب الله، ولفعل بهم.

عن أبي عمرو. قال: دخلت ابنة أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز، ومعها مولاة لها تمسك بيدها، فقام لها عمر، ومشى إليها، حتى جعل يديها في يده، ويده في ثيابه، ومشى بها حتى أجلسها في مجلسه وجلس بين يديها، وما ترك لها حاجة إلا قضاها.

عن يحيى الغساني. قال: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقاً ونقباً، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله آخذ من الناس بالمظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا

أصلحهم الله. قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقله سرقاً ونقباً.

وعنه قال: حج سليمان بن عبد الملك، ومعه عمر بن عبد العزيز، فلما أشرف على عقبة عسفان نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته، فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا يأكل بعضها بعضاً، أنت المسؤول عنها، والمأخوذ بما فيها، فطار غراب من حجرة سليمان ينعب في منقاره كسرة، فقال سليمان: ما ترى هذا الغراب يقول؟ قال: أظنه يقول: من أين دخلت هذه الكسرة وكيف خرجت!! قال: لتجيء بالعجب يا عمر!! قال: إن شئت أخبرك بأعجب من هذا أخبرتك؟ قال: فأخبرني. قال: من عرف الله فعصاه. ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها. قال سليمان: نغصت علينا ما نحن فيه يا عمر، وضرب دابته وسار. فأقبل عمر حتى نزل عن دابته فأمسك برأسها وذلك أنه سبق ثقله، فرأى الناس كل من قدم شيئاً قدم عليه، فبكى عمر فقال سليمان: ما يبكيك؟ قال: هكذا يوم القيامة من قدم شيئا قدم عليه، ومن لم يقدم شيئاً قدم على غير شيء.

عن الحجاج بن عنبسة بن سعيد. قال: اجتمع بنو مروان فقالوا: لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا، وأذكرناه أرحامنا! قال: فدخلوا فتكلم رجل منهم فمزح، قال: فنظر إليه عمر، قال: فوصل له رجل كلامه بالمزاح، فقال عمر: لهذا اجتمعتم! لأخس الحديث ولما يورث الضغائن،إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله تعالى، فإن تعديتم ذلك ففي السنة عن رسول الله ﷺ، فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث.

عن جويرية بن أسماء. قال: قال عمر بن عبد العزيز لحاجبه:

لا يدخلن عليّ اليوم إلا مرواني، فلما اجتمعوا عنده حمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا بني مروان إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً، إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثه في أيديكم. فسكتوا، فقال عمر: ألا تجيبوني؟ فقال رجل من القوم: والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا والله لا نكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا، فقال عمر: والله لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له، لأصعرت خدودكم، قوموا عني.

عن نوفل بن أبي الفرات. قال: كانت بنو أمية ينزلون فلانة بنت مروان على أبواب القصر، فلما ولي عمر قال: لا يلي إنزالها أحد غيري فأدخلوها على دابتها إلى باب قبته، فأنزلها ثم طبق لها وسادتين إحداهما على الأخرى، ثم أنشأ يمازحها، ولم يكن من شأنه المزاح، فقال: أما رأيت الحرس الذي على الباب؟ قالت: بلى فربما رأيتهم عند من هو خير منك. فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها، أخذ في الجد وترك المزاح، فقال: يا عمة، إن رسول الله ﷺ قبض، فترك الناس على نهر مورود، فولي ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئاً، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فكرى منه ساقية، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة، وأيم الله لئن أبقاني الله لأسكرن تلك السواقي حتى أعيده إلى مجراه الأول. قالت: فلا يسبوا عندك إذا، قال: ومن يسبهم! إنما يرفع إلي الرجل مظلمته فأردها عليهم.

عن قتادة؛ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولي العهد من بعده: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني كنت وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع

أن أخفي عليه من عملي شيئاً، يقول فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝﴾[1] فإن يرض عني الرحيم، فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل، وإن سخط عليّ فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إله إلا هو، أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة، فعليك بتقوى الله، والرعية الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً، حتى تلحق باللطيف الخبير والسلام.

❁ ❁ ❁

عن ليث بن أبي رقية ـ كاتب عمر بن عبد العزيز في خلافته ـ؛ أن عمر كتب إلى ابنه، في العام الذي استخلف فيه ـ وابنه إذ ذاك بالمدينة يقال له عبد الملك ـ.

أما بعد: فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن أحق من رعى ذلك وحفظه عني أنت، وإن الله تعالى له الحمد، قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغاً في لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما عبر من النعمة، وإياه نسأل العون على شكرها.

فاذكر فضل الله على أبيك وعليك، ثم أعن أباك على ما قوي عليه، وعلى ما ظننت أن عنده منه عجزاً عن العمل، فيما أنعم به عليه وعليك في ذلك، فراع نفسك وشبابك وصحتك، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله حمداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً، حمد الله وذكره، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره، ولا تفتتن فيما أنعم الله به عليك، فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه.

إن أباك كان بين ظهراني إخوانه عند أبيه يفضل عليه الكبير،

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٧).

ويدني دونه الصغير، وإن كان الله وله الحمد قد رزقني من والدي حسباً جميلاً كنت به راضياً، أرى أفضل الذي يبره ولده عليّ حقاً، حتى ولدت وولد طائفة من أخواتك، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه، فمن كان راغباً في الجنة وهارباً من النار، فالآن في هذه الحالة والتوبة مقبولة، والذنب مغفور، قبل نفاد الأجل، وانقضاء العمل، وفراغ من الله للثقلين ليدينهم بأعمالهم، في موطن لا تقبل فيه الفدية، ولا تنفع فيه المعذرة، تبرز فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرده الناس بأعمالهم، ويصدرون فيه أشتاتاً إلى منازلهم، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله، وويل يومئذ لمن عصى الله، فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد في غناك، وضع لله نفسك، وأد إلى الله فرائض حقه في مالك، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[1] وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة بك على ربك، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك، فإذا أنت أخطأت باب الشكر، ونزلت منازل أهل الفقر، وكنت ممن طغى للغنى وتعجل طيباته في الحياة الدنيا.

فإني لأعظك بهذا، وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه، ويكمل في الذي خلق له لعبادة ربه، إذاً تواكل الناس الخير، وإذاً يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستحلت المحارم، وقل الواعظون، والساعون لله بالنصيحة في الأرض، فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.



(١) سورة النمل، الآية (٤٠).

عن مسلمة. قال: دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه فقال: يا مسلمة أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه الماء - فإن الماء على التمر طيب - أكان يجزيه إلى الليل؟ قلت: لا أدري، فرفع أكثر منه قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا، حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره. قال: فعلام ندخل النار؟ قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

عن رباح بن عبيدة. قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل.

❁ ❁ ❁

عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة؛ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها تحقق لهم ولايته، وبها رافقوا أنبياءهم، وبها نضرت وجوههم، وبها نظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، والمخرج من كرب يوم القيامة، ولم يقبل ممن بقي إلا بمثل ما رضي عمن مضى، ولمن بقي عبرة فيما مضى، وسنة الله فيهم واحدة.

فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظمك، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون، وكيف يتفرقون، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله، وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة، وشاغلاً عن الدنيا، ومرغباً في

الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعده، ولا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك فيزري بدينك، ويمقتك عليه ربك.

واعلم أن القدر سيجري إليك برزقك، ويوفيك أملك من دنياك بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة، ولا منقوصاً منه بضعف. إن أبلاك الله بفقر فتعفف في فقرك واخبت لقضاء ربك، واعتبر بما قسم الله لك من الإسلام، ما ذوى منك من نعمة الدنيا، فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة من الدنيا الفانية.

اعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله وإلى الجنة، ما أصابه في الدنيا من فقر أو بلاء، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله وإلى النار، ما أصاب في الدنيا من نعمة أو رخاء، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم في دنياهم، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم، كل شيء من ذلك كأن لم يكن.

تشيعون غادياً أو رائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقضى أجله، وتغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير متوسد ولا متمهد، فارق الأحبة، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتهناً بعمله، فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وانقضاء موافاته، وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

❃ ❃ ❃

عن يحيى الغساني. قال: كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية، ويقول: ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة، فأتي سليمان بحروري مستقتل، فقال له سليمان:

هيه؟ قال: إنه نزع لحييك يا فاسق ابن الفاسق، فقال سليمان: عليَّ بعمر بن عبد العزيز، فلما أتاه عاود سليمان الحروري، فقال: ماذا تقول؟ قال: وماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق.

فقال سليمان لعمر: ماذا ترى عليه يا أبا حفص؟ فسكت عمر، فقال: عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه؟، قال: أرى عليه أن تشتمه كما شتمك. وتشتم أباه كما شتم أباك. فقال سليمان: ليس إلا ذا؟ فأمر به فضربت عنقه.

وقام سليمان وخرج عمر، فأدركه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان، فقال: يا أبا حفص تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك، وتشتم أباه كما شتم أباك؟! والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك!! قال: ولو أمرك فعلته؟ قال: إي والله لو أمرني فعلت.

فلما أفضت الخلافة إلى عمر جاء خالد بن الريان فقام مقام صاحب الحرس، وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك، فنظر إليه عمر فقال: يا خالد ضع هذا السيف عنك. وقال: اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه أبداً.

ثم نظر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري فقال: يا عمرو والله لتعلمن أن ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام، ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد، فرأيتك تحسن الصلاة، وأنت رجل من الأنصار، خذ هذا السيف فقد وليتك حرسي.

❁ ❁ ❁

وعنه قال: بينا عمر بن عبد العزيز يسير يوماً في سوق حمص، فقام إليه رجل عليه بردان قطريان فقال: يا أمير المؤمنين أمرت من

كان مظلوماً أن يأتيك؟ قال: نعم، قال: فقد أتاك مظلوم بعيد الدار. فقال له عمر: وأين أهلك؟ قال: بعدن أبين. قال عمر: والله إن أهلك من أهل عمر لبعيد. فنزل عن دابته في موضعه فقال: ما ظلامتك؟ قال: ضيعة لي وثب عليها واثب فانتزعها مني. فكتب إلى عروة بن محمد يأمره أن يسمع منه بينته، فإن ثبت له حق دفعه إليه وختم كتابه. فلما أراد الرجل القيام، قال له عمر: على رسلك إنك قد أتيتنا من بلد بعيد، فكم نفذ لك زاد، أو نفقت لك راحلة؟ وأخلق لك ثوب فحسب ذلك فبلغ أحد عشر ديناراً، فدفعها عمر إليه.

❁ ❁ ❁

عن طلحة بن عبد الملك الأيلي. قال: دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك، وعنده أيوب ابنه ـ وهو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده ـ فجاء إنسان يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء، فقال سليمان: ما أخال النساء يرثن في العقار شيئاً فقال عمر بن عبد العزيز: سبحان الله!! وأين كتاب الله؟ فقال: يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب في ذلك، فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف!!.

قال أيوب: والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين، ثم لا يشعر حتى تفارقه رأسه.

فقال له عمر: إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك، فما يدخل على هؤلاء أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا.

فقال سليمان: مه، ألأبي حفص تقول هذا؟!.

قال عمر: والله لئن كان جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه.

عن إسماعيل بن أبي حكيم. قال: أتى عمر بن عبد العزيز

كتاب من بعض بني مروان فأغضبه، فاستشاط غضباً ثم قال: إن لله في بني مروان ذبحاً، وأيم الله لئن كان الذبح على يدي، فلما بلغهم ذلك كفوا. وكانوا يعلمون صرامته وأنه إن وقع في أمر مضى فيه.

عن جويرية بن أسماء. قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت على منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت الناس بالتي تقول: أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف.

عن عمر بن علي بن مقدم. قال: قال ابن لسليمان بن عبد الملك لمزاحم: إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال: فاستأذنت له فقال: أدخله، فأدخلته على عمر، فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام. قال: فهذا كتابي وأخرج كتاباً من كمه، فقرأه عمر فقال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال: للفاسق ابن الحجاج. قال عمر: فهو أولى بماله، قال: فإنها من بيت مال المسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها قال: يا أمير المؤمنين رد عليَّ كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل. قال: فبكى ابن سليمان، قال مزاحم: فقلت: يا أمير المؤمنين ابن سليمان اللاطئ الحب، اللازق بالقلب تصنع به هذا؟ قال: ويحك يا مزاحم إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي.

❁ ❁ ❁

عن بشر بن عبد الله بن عمر عن بعض آل عمر: أن هشام بن

عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما أكلمك به، إنهم يقولون: استأنف العمل برأيك فيما تحت يديك، وخلِّ بين من سبقك وبين ما ولوا به من كان يلون أمره بما عليهم ولهم.

فقال له عمر: أرأيت لو أتيت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك بأمر واحد، فبأي السجلين كنت آخذ؟ قال: بالأقدم ولا أعدل به شيئاً.

قال عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي في مالي وفيما سبقني.

فقال له سعيد بن خالد بن عرو بن عثمان: يا أمير المؤمنين امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل، وخل عمن سبقك وعما ولى خيره وشره، فإنك مكتف بذلك.

فقال له عمر: أنشدك الله الذي إليه تعود أرأيت لو أن رجلاً هلك وترك بنين صغاراً وكباراً، فعز الأكابر الأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم، فأدرك الأصاغر فجاؤوك بهم وبما صنعوا في أموالهم ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها.

قال: فإني قد وجدت كثيراً ممن قبلي من الولاة عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم. وعزهم بها أتباعهم. فلما وليت أتوني بذلك. فلم يسعني إلا الرد على الضعيف من القوي، وعلى المستضعف من الشريف. فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين.

❀ ❀ ❀

عن شعيب. حدثني محدث: أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، دخل على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة فأخلني ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ فقال له عمر: أسر

دون عمك؟ فقال: نعم، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه فقال له: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة لم تحيها؟ فقال: له يا بني أشيء حملتكه الرعية إليّ، أم رأي رأيته من قبل نفسك؟ قال: لا والله ولكن رأي رأيته من قبل نفسي، وعرفت أنك مسؤول فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا علي فتقا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت فيه بدعة، ويحيي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين.

عن الفرات بن السائب؛ أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ـ وكان عندها جوهر أمر لها أبوها به لم ير مثله ـ: اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال، وإما تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد. قالت: لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لي، قال: فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين، فلما هلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة إن شئت يردونه عليك؟ قالت: فإني لا أشاؤه، طبت عنه نفساً في حياة عمر وأرجع فيه بعد موته؟ لا والله أبداً. فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده.

عن أحمد بن عبد الله بن يونس. قال: سمعت بعض شيوخنا يذكر: أن عمر بن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه وكان مسلماً، وكان أبوه كافراً نصرانياً أو غيره، فقال عمر للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين؟ قال؛ فقال الكاتب: ما ضر

رسول الله ﷺ كفر أبيه، قال: فقال عمر: وقد جعلته مثلاً! لا تخط بين يدي بقلم أبداً.

عن سالم بن عبد الله بن عمر. أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى سالم بن عبد الله، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي إله إلا هو، أما بعد: فإن الله ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة، عن غير مشاورة مني فيها، ولا طلبة مني لها، إلا قضاء الرحمن وقدره، فأسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الأمة بما ابتلاني، أن يعينني على ما ولاني، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن مؤازرة، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إليّ بكتب عمر بن الخطاب وسيرته، وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد، فإني متبع أثر عمر وسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام.

فكتب إليه سالم بن عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، من سالم بن عبد الله بن عمر إلى عبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن الله خلق الدنيا لما أراد، وجعل لها مدة قصيرة، كأن بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] لا يقدر منها أهلها على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها، أنزل بذلك كتابه، وأنزل بذلك رسله، وقدم فيه بالوعيد، وضرب فيه الأمثال، ووصل به القول، وشرع فيه دينه، وأحل الحلال وحرم الحرام، وقص فأحس القصص، وجعل دينه في الأولين والآخرين، فجعله ديناً واحداً، فلم

---

(١) سورة القصص، الآية (٨٨).

يفرق بين كتبه، ولم تختلف رسله، ولم يَشْقَ أحد بشيء من أمره سعد به أحد، ولم يسعد أحد من أمره بشيء شقي به أحد.

وإنك اليوم يا عمر لم تعدُ أن تكون إنساناً من بني آدم، يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً منهم، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم، فإنك قد وليت أمراً عظيماً، ليس يليه عليك أحد دون الله، قد أفضى فيما بينك وبين الخلائق، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك، وأن لا تخسر نفسك وأهلك فافعل، ولا قوة إلا بالله.

فإنه قد كان قبلك رجال عملوا بما عملوا، وأماتوا ما أماتوا من الحق، وأحيوا ما أحيوا من الباطل، حتى ولد فيه رجال ونشؤوا فيه، وظنوا أنها السنة، ولم يسدوا على العباد باب رخاء إلا فتح عليهم باب بلاء، فإن استطعت أن تفتح عليهم أبواب الرخاء، فإنك لا تفتح عليهم منها باباً إلا سد به عنك باب بلاء، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول: لا أجد من يكفيني عمله، فإنك إذا كنت تنزع لله وتعمل لله، أتاح الله لك رجالاً وكالا بأعوان الله، وإنما العون من الله على قدر النية، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر ذلك.

فإن استطعت أن تأتي الله يوم القيامة، ولا يتبعك أحد بظلم، ويجيء من كان قبلك وهم غابطون لك، بقلة أتباعك، وأنت غير غابط لهم بكثرة أتباعهم فافعل، ولا قوة إلا بالله.

فإنهم قد عاينوا وعالجوا نزع الموت، الذي كانوا منه يفرون، وانشقت بطونهم التي كانوا فيها لا يشبعون، وانفقأت أعينهم التى كانت لا تنقضي لذاتها، واندقت رقابهم في التراب غير موسدين، بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق، فصاروا جيفاً تحت بطون الأرض تحت آكامها، لو كانوا إلى جنب مسكين تأذى بريحهم، بعد إنفاق ما

لا يحصى عليهم من الطيب، كان إسرافاً وبداراً عن الحق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أعظم يا عمر وأفظع الذي سيق إليك من أمر هذه الأمة، فأهل العراق فليكونوا من صدرك بمنزلة من لا فقر بك إليه، ولا غنى بك عنه، فإنهم قد وليتهم عمال ظلمة قسموا المال وسفكوا الدماء، فإنه من تبعث من عمالك كلهم أن يأخذوا بجبية، وأن يعملوا بعصبية، وأن يتجبروا في عملهم، وأن يحتكروا على المسلمين بيعاً، وأن يسفكوا دماً حراماً، الله الله يا عمر في ذلك فإنك توشك إن اجترأت على ذلك أن يؤتى بك صغيراً ذليلاً، وإن أنت اتقيت ما أمرتك به وجدت راحته على ظهرك وسمعك وبصرك.

ثم إنك كتبت إليّ تسأل أن أبعث إليك بكتب عمر بن الخطاب، وسيرته وقضائه في المسلمين وأهل العهد، وإن عمر عمل في غير زمانك، وإني أرجو إن عملت بمثل ما عمل عمر أن تكون عند الله أفضل منزلة من عمر، وقل كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1] والسلام عليك.

❁ ❁ ❁

عن داود بن سليمان. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد صاحب الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن أهل الكوفة قوم قد أصابهم بلاء وشدة، وجور في أحكام الله، وسنن خبيثة سنها عليهم

(١) سورة هود، الآية (٨٨).

عمال سوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله، فإنه لا قليل من الإثم، وآمرك أن تطرز أرضهم ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، وإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله.

عن الثوري. قال: ضرب عمر بن عبد العزيز بيده على بطنه ثم قال: بطني بطيء عن عبادة ربه، متلوث بالذنوب والخطايا، يتمنى على الله منازل الأبرار بخلاف أعمالهم.

عن محمد بن الوليد. قال: مر عمر بن عبد العزيز برجل وفي يده حصاة يلعب بها، وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين، فمال إليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصاة وأخلصت إلى الله الدعاء.

عن عبد الله بن شوذب. قال: حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز، فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق ففزع سليمان فقال لعمر: ألا ترى ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا عند نزول رحمته، فكيف لو كان عند نزول نقمته!!

عن عامر بن عبيدة. قال: أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز أنه خرج في جنازة، فأتى ببرد كان يلقى للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلى الجنازة، فألقي له فضربه برجله، ثم قعد على الأرض، فقالوا: ما هذا؟ فجاء رجل فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي غداً بين يديك، وفي يده قضيب قد اتكأ عليه بسنانه، فقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاد عليه قال: يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك، فبكى حتى جرت دموعه على القضيب ثم قال: ما عيالك؟ قال: خمسة، أنا وامرأتي وثلاثة أولادي قال: فإن الفرض لك ولعيالك عشرة دنانير، ونأمر لك

بخمسمائة، مائتين من مالي وثلاثمائة من مال الله تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك.

عن جعونة. قال: استعمل عمر عاملاً، فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله، فأتاه يعتذر إليه فقال: لم أعمل له إلا قليلاً. فقال: حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم.

عن سفيان الثوري. قال: قال عمر بن عبد العزيز: من لم يعلم أن كلامه من عمله كثرت ذنوبه.

عن محمد بن معبد؛ أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين، قال: فكنت إذا دخلت على ملك الروم فدخلت عليه عظماء الروم خرجت، قال: فدخلت يوماً فإذا هو جالس في الأرض مكتئباً حزيناً، فقلت: ما شأن الملك؟ قال: وما تدري ما حدث؟! قلت: وما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح، قلت: من؟ قال: عمر بن عبد العزيز. قال: ثم قال ملك الروم: لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم عليه السلام لأحياهم عمر بن عبد العزيز، ثم قال: لست أعجب من الراهب أغلق بابه، ورفض الدنيا وترهب وتعبد، ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها ثم ترهب.

عن عمرو بن مهاجر. قال: قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟.

عن جعونة. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أما بعد: فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته، إلا أن يكون وهماً مني، أو أمراً خفي عليّ لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك

موضوعاً عني مغفوراً لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد، ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم ولا أثرة على فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين فله ما بين مائتي دينار إلى ثلاث مائة دينار على قدر ما نوى من الحسنة، وتجشم من المشقة، رحم الله امرأ لم يتعاظمه سفر، يحيي الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك، فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام عليكم.

عن إبراهيم. حدثني أبي عن جدي. قال: كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، وكتب إلى عامل له يشتري له عسلاً ولا يسخر فيه شيئاً، وأن عامله حمله على مركبة من البريد، فلما أتى قال: على ما حمله؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك.

عن خالد بن أبي الصلت. قال: أتي عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن في فحم الإمارة، فكرهه ولم يتوضأ به.

عن عمرو بن مهاجر. قال: اشتهى عمر تفاحاً فقال: لو أن عندنا شيئاً من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحاً، فلما جاءه به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب، قال عمرو بن مهاجر: فقلت له: يا أمير المؤمنين ابن عمك

رجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة.

عن عبد الله بن بكر السهمي. حدثني رجل؛ أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال: أيها الناس ما منكم من أحد يبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته بما قدرت عليه، وما منكم من أحد لا يسعه ما عندنا إلا وددت أنه بديء بي وبلحمتي الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشه، وأيم الله إني لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان به مني ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه قضاء من الله، كتاب ناطق، وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى فيها عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت إياها، لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله.

عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه. قال: خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة، وكان آخر خطبة خطبها؛ حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه، ليحكم بينكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله اليوم وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير من بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في شق صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحساب، مرتهن بما عمل، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم. فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم، أما والله إني لأقول هذا، وما أعلم عند أحد من

الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحداً، أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً، وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله.

عن عمر بن أبي الوليد. قال: خرج عمر بن عبد العزيز يوم جمعة وهو ناحل الجسم، فخطب كما يخطب ثم قال: أيها الناس من أحسن منكم فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله فإنه لا بد لأقوام من أن يعملوا أعمالاً وظفها الله في رقابهم، وكتبها عليهم.

عن عدي بن الفضل. قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال: اتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأته.

عن غالب القطان. قال: قال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين.

عن إسماعيل بن أبي حكيم. قال: أول كلمة سمعتها من عمر بن عبد العزيز، يوم استخلف، وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس إني والله ما سألت الله في سر ولا علانية قط، فمن كره منكم فأمره إليه، فقام رجل من الأنصار فبايعه وبايعه الناس.

عن أبي حازم الخناصري الأسدي. قال: قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، والناس رائحون إلى الجمعة، فقلت: إن أنا صرت إلى الموضع الذي أريد نزوله فاتتني الصلاة، ولكن أبدأ

بالصلاة، فصرت إلى باب المسجد فأنخت بعيري، ثم عقلته ودخلت المسجد، فإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب الناس، فلما أن بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم إليَّ مقبلاً؟ فلما أن سمع الناس نداء أمير المؤمنين لي أوسعوا لي، فدنوت من المحراب، فلما أن نزل أمير المؤمنين، فصلى بالناس التفت إليَّ فقال: يا أبا حازم متى قدمت بلدنا؟ قلت: الساعة، وبعيري معقول بباب المسجد فلما أن تكلم عرفته، فقلت: أنت عمر بن عبد العزيز؟ قال: نعم، قلت له: تالله لقد كنت عندنا بالأمس بالخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان، فكان وجهك وضياً، وثوبك نقياً، ومركبك وطياً، وطعامك شهياً وحرسك شديداً، فما الذي غير بك، وأنت أمير المؤمنين؟ قال لي: يا أبا حازم أناشدك الله إلا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة؟ قلت له: نعم، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بين أيديكم عقبة كؤوداً، لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول) قال أبو حازم: فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه، ثم قال: يا أبا حازم أفتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة، لعلي أن أنجو منها، وما أظنني منها بناج؟.

عن عبد العزيز. قال: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه؛ أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت. فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرمها به فعل. فكتب إليه عمر؛ أما بعد: فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم، فإنه مرمتها والسلام.

عن جابر بن حنظلة الضبي. قال: كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز؛ أما بعد: فإن الناس قد كثروا في الإسلام وخفت أن يقل الخراج؟ فكتب إليه عمر بن عبد العزيز! فهمت كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا.

عن ابن عائشة. قال: بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فتختم به، فكتب إليه عمر: عزيمة مني إليك لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه، واشتريت فصاً بدرهم واحد ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدره والسلام.

عن نوفل بن أبي الفرات. قال: كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز، يأمر للبيت بكسوة، كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت.

عن نوفل بن أبي الفرات. قال: كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز، فكنت أختم على بيادر أهل الذمة، فجاءني كتاب عمر أن لا تفعل فإنه بلغني أنها كانت من صنائع الحجاج، وأنا أكره أن أتأسى به.

عن عبد الملك بن بزيغ. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أما بعد، فإنك لن تزال تعنّي إليّ رجلاً من المسلمين في الحر والبرد تسألني عن السنة، كأنك إنما تعظمني بذلك، وأيم الله لحسبك بالحسن[1]، فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين، فرحم الله الحسن فإنه من الإسلام بمنزل ومكان، ولا تقرينّه كتابي هذا.

عن ابن شوذب. قال: كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له ـ وكانا قد ولاهما عمر شيئاً من أمر العراق ـ فكتبا إلى عمر يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلا السيف. فكتب إليهما خبيثين من الخبث، رديئين من الردى، تعرضان لي بدماء المسلمين، ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون عليّ من دمه.

---

(١) المقصود به: الحسن البصري.

عن حفص بن عمر. قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم: أما بعد فقد قرأت كتابك الذي كتبت به إلى سليمان وكنت المبتلى بالنظر فيه دونه، كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع، مثل الذي كان يقطع لمن كان قبلك، وتذكر أن الشمع الذي كان قبلك لقد نفذ، ولعمري لطال ما رأيتك تخرج من منزلك إلى مسجد رسول الله في الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء فلعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم، والسلام عليك.

وكتب عمر إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم: أما بعد، فقد قرأت كتابك التي كتبته إلى سليمان، وكنت المبتلى بالنظر فيه، كتبت تسأله أن يقطع لك شيئاً من القراطيس، مثل الذي كان يقطع لمن كان قبلك، وتذكر أن التي قبلك قد نفدت، وقد قطعت لك دون ما كان يقطع لمن كان قبلك، فأدق قلمك، وقارب بين أسطرك، واجمع حوائجك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين مالاً ينتفعون به والسلام.

عن جويرية بن أسماء. قال: كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز ـ وكان عامله على المدينة ـ سلام عليك، أما بعد، فإن أشياخنا من الأنصار، قد بلغوا أسناناً لم يبلغوا الشرف من العطاء، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبلغ بهم الشرف من العطاء فليفعل، وكتب إليه في صحيفة أخرى: سلام عليك، أما بعد، فإن من كان قبلي من أمراء المدينة كان يجري عليهم رزق في شمعة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي برزق في شمعة فليفعل. وكتب إليه في صحيفة أخرى، سلام عليك أما بعد، فإن بني عدي بن النجار أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم،فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببنائه فليفعل.

قال: فأجابه في هؤلاء الثلاث بجواب واحد في صحيفة واحدة: سلام عليك أما بعد، جاءني كتابك تذكر أن أشياخنا من الأنصار بلغوا أسناناً، لم يبلغوا الشرف من العطاء؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبلغ

بهم الشرف من العطاء فليفعل، وإنما الشرف شرف الآخرة، فلا أعرفن ما كتبت به إليّ في نحو هذا، وجاءني كتابك تذكر أن من كان قبلك، من أمراء المدينة، كان يجري عليهم رزق في شمعة، فإن رأى أمير الؤمنين أن يأمر لي برزق في شمعة فليفعل، ولعمري يابن أم حزم لطال ما مشيت إلى مصلى رسول الله ﷺ في الظلم لا يمشي بين يديك بالشمع، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم. وجاءني كتابك تذكر أن بني عدي بن النجار من أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببنائه فليفعل، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة، فإذا أتاك كتابي هذا فابنه لهم بلبن بناء قاصداً والسلام عليك.

عن يحيى الغساني. قال: بلغني أن ناساً من الحرورية تجمعوا بناحية من الموصل، فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه ذلك، فكتب إليّ يأمرني: أن أرسلْ إليَّ رجالاً من أهل الجدل وأعطهم رهناً، وخذ منهم رهناً، واحملهم على مراكب من البريد إليّ، ففعلت ذلك فقدموا عليه فلم يدع لهم حجة إلا كسرها، فقالوا: لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك وتلعنهم وتبرأ منهم، فقال عمر: إن الله لم يجعلني لعاناً ولكن إن أبقى أنا وأنتم فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فقال لهم عمر: إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق، مذكم دنتم الله بهذا الدين؟ قالوا: مذ كذا وكذا سنة، قال: فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه؟ قالوا: لا، قال: فكيف وسعكم تركه ولا يسعني ترك أهل بيتي، وقد كان فيهم المحسنَ والمسيىء والمصيب والمخطىء؟ قالوا: قد بلغنا ما ها هنا.

فكتب إليّ عمر أن خذ من في أيديهم من رهنك وخل من في يدك من رهنهم، وإن كان رأى القوم أن يسيحوا في البلاد، على غير

فساد على أهل الذمة، ولا تناول أحد من الأئمة فليذهبوا حيث شاؤوا، وإن هم تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة فحاكمهم إلى الله.

وكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العصابة الذين خرجوا، أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1] وإني أذكركم الله أن تفعلوا كفعل كبرائكم ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[2] أفبذنبي تخرجون من دينكم، وتسفكون الدماء، وتنتهكون المحارم؟ فلو كانت ذنوب أبي بكر وعمر مخرجة رعيتهم من دينهم ـ إن كانت لهما ذنوب ـ فقد كانت آباؤكم في جماعتهم فلم ينزعوا، فما سرعتكم على المسلمين، وأنتم بضعة وأربعون رجلاً، وإني أقسم لكم بالله لو كنتم أبكاري من ولدي، فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق، لدفقت دماءكم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة، فهذا النصح فإن استغششتموني فقديماً ما استغش الناصحون.

فأبوا إلا القتال وحلقوا رؤوسهم، وساروا إلى يحيى بن يحيى فأتاهم كتاب عمر ويحيى مواقفهم للقتال: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يحيى بن يحيى، أما بعد: فإني ذكرت آية من كتاب الله ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3] وإن من العدوان قتل النساء والصبيان، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً، ولا تقتلن أسيراً، ولا تطلبن هارباً، ولا تجهزن على جريح إن شاء الله والسلام.

---

(١) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٧) وأول الآية: **﴿ولا تكونوا كالذين﴾**.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٠).

عن الأوزاعي؛ أن أبا مسلم لما خرج في بعث المسلمين رده عمر بن عبد العزيز من دابق، وقال: ليس بمثله يستعين المسلمون في قتال عدوهم، وكان عطاؤه ألفين فرده إلى ثلاثين، فرجع من دابق إلى طرابلس لأنه كان سيافاً للحجاج، وكان ثقفياً.

عن الأوزاعي. قال: كان عمر بن عبد العزيز يجعل كل يوم من ماله درهماً في طعام المسلمين ثم يأكل معهم، وكان ينزل بأهل الذمة فيقدمون له من الحلبة المنبوتة، والبقول وأشباه ذلك، مما كانوا يصنعون من طعامهم، فيعطيهم أكثر من ذلك ويأكل معهم، فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه لم يأكل منه، فأما من المسلمين فلم يكن يقبل شيئاً.

عن الأوزاعي. قال: كتب عمر إلى عماله اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة، فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً.

عن الأوزاعي، عن عمر بن عبد العزيز. قال: ما أحب أن تهون علي سكرات الموت لأنها آخر ما يكفر به عن المسلم.

عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه. قال: قال عمر بن عبد العزيز: عظني يا أبا حازم، قال: قلت: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن.

عن عبد الواحد بن زيد. قال: كتب الحسن إلى عمر، أما بعد: يا أمير المؤمنين فإن طول البقاء إلى فناء ما هو، فخذ من فنائك الذي لا يبقى، لبقائك الذي لا يفنى والسلام. فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال: نصح أبو سعيد وأوجز.

عن عثمان بن عبد الحميد. قال: دخل سابق البربري على

عمر بن عبدالعزيز، فقال له: عظني يا سابق وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ إن شاء الله، قال: هات فأنشده:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ووافيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شركته ... وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه.

عن ميمون بن مهران؛ أنه قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً وعنده سابق البربري الشاعر، وهو ينشد شعراً، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات:

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة ... فراراً ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعاً ... ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغني لماله ... ولا معدما في المال ذا حاجة يدع

قال: فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه، فقمنا فانصرفنا عنه.

عن وهيب بن الورد. قال: كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

يرى مستكيناً وهو للهو ماقت ... به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كله ... وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبقى من العيش آجلاً ... فأشغله عن عاجل العيش آجله

عن ابن أبي عائشة. قال: كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات.

فـمـا تـزود مـمـا كـان يـجـمـعـه إلا حنوطاً غداة البين مع خرق
وغـيـر نـفـحـة أعـواد تـشـب لـه وقـلَّ ذلـك مـن زاد لـمـنـطـلـق

عن القاسم بن غزوان. قال: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت محاجر عينيك الدموع السواجم
بَلَ أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفظعات عظائم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يبلى وتشغل بالهوى كما غر باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

عن ابن لعمر بن عبد العزيز. قال: أمرنا أن نشتري موضع قبره، فاشتريناه من الراهب قال: فقال الشاعر:

أقول لما نعى الناعون لي عمراً لا يبعدن قوام العدل والدين
قد غادر القوم في اللحد الذي لحدوا بدير سمعان قسطاس الموازين

عن الزهري. حدثني الثقة. قال: لما بلغ محارب بن دثار موت عمر بن عبد العزيز دعا بكاتبه فقال: اكتب، فكتب، بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: امحه فإن الشعر لا يكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال:

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعه لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة حق قد نعشت لهم كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي على العدول التي تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأت عيني لهم شبهاً تضم أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لا زلت مجتهداً سقياً لها سنن بالحق تقتفر
لو كنت أملك والأقدار غالبة تأتي رواحاً وتبياتاً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه بدير سمعان لكن يغلب القدر

عن جعونة قال: كان لا يقوم أحد من بني أمية إلا سب علياً، فلم يسبه عمر بن عبد العزيز فقال كثير عزة:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بـرياً ولـم تـتـبـع سـجـيـة مـجـرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

عن عطاء، عن عمر بن عبد العزيز؛ أنه أخر الجمعة يوماً عن وقته الذي كان يصلي فيه، فقلنا له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتك؟ قال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها فحبس بها، فعرفنا أنه ليس له غيرها. ثم قال: أما إني قد رأيتني وأنا بالمدينة وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط، ثم قال: يتمثل:

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عـودة أخـرى الـلـيـالـي الـغـوابـر

عن رجاء بن حيوة. قال: قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهماً، فذكر قميصه ورداءه وقباءه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفيه.

عن يوسف بن يعقوب الكاهلي. قال: كان عمر بن عبد العزيز يلبس الفرو الغليظ، وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين.

عن رباح بن عبيدة. قال: كنت أتجر، فقال لي عمر بن عبد العزيز: يا رباح اتخذ لي كسائين خزا أتخذ أحدهما محبساً والآخر شعاراً، قال: ففعلت فصنعتهما بالبصرة، فلم آل ثم قدمت بهما فأمر بقبضهما، فلما أصبح غدوت عليه فقال لي: يا رباح ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما، فلما ولي قال لي: يا رباح اتخذ لي من هذه الجباب الهروية عامل قطن فيهن صغر قال: فاشتريت له ثلاث شقق فقطعت من الثلاث جبتين خشنتين ثم أتيت بهما إليه، فقبضهما فقال لي: يا رباح ما أجود ثوبيك لولا لين فيهما قال: فذكرت قوله الأول وقوله الآخر.

عن عبد الله بن مسلم، يحدث عن أبيه. قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز، وعنده كاتب يكتب، قال: وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرجل، وأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة، قد طبق ما بين كتفيه قال: فنظر في أمري.

عن عوف بن مهاجر؛ أن عمر بن عبد العزيز كانت تسرج له الشمعة، ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ من حاجتهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه.

عن صالح بن سعيد المؤذن. قال: بينا أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء فأذنت للعشاء الآخرة، فصلى ثم دخل القصر فقلما لبث أن خرج فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فاحتبى، فاستفتح الأنفال فما زال يرددها ويقرأ، كلما مر بآية تخويف تضرع، وكلما مر بآية رحمة دعا، حتى أذنت للفجر.

عن طلحة بن يحيى. قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال، فقال: أبقاك الله يا أمير المؤمنين ما دام البقاء خيراً لك. قال: قد فرغ من ذاك يا أبا النضر، ولكن قل أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك من الأبرار.

عن غيلان بن ميسرة؛ أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز فقال: زرعت زرعاً فمر به جيش من أهل الشام فأفسده، فعوضه عشرة آلاف درهم.

عن ميمون بن مهران. قال: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: أو أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال رجل: باع آخرته بدنيا غيره.

عن بشر بن عبد الله بن بشار السلمي. قال: خطب عمر الناس

فقال: أيها الناس لا يبعدن عليكم ولا يطولن يوم القيامة، فإنه من وافتة منيته فقد قامت عليه قيامته، لا يستطيع أن يزيد في حسن، ولا يعتب من سيئ، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاصي، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم.

عن هشام بن حسان. قال: قال عمر: لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة، فأخرجت كل أمة خبيثها، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم.

عن حيان بن نافع البصري. قال: بعثني عروة بن محمد السعدي إلى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق بهدايا، قال: فوافيناه قد مات واستخلف عمر بن عبد العزيز، فدخلنا عليه وقد هيأنا تلك الهدايا كما كانت تهيأ لسليمان، قال: ومعنا عنبرة فيها نحو من خمسمائة رطل أو ستمائة رطل، ومسك كثير فأخذوا يعرضون على عمر تلك الهدية، وفاح المسك فجعل عمر كمه على أنفه ثم قال: يا غلام ارفع هذا فإنه إنما يستمتع من هذا بريحه، ثم قال: رحمك الله أبا أيوب، لو كنت حيا لكان نصيبنا فيه أوفر. قال: فرفع.

عن محمد بن مهاجر. قال: كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ، وعصاه وقدح وجفنة ووسادة حشوها ليف وقطيفة ورداء، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال: هذا ميراث من أكرمكم الله به، ونصركم به وأعزكم به، وفعل وفعل.

عن جرير بن عطية بن الخطفي ـ والخطفي اسمه حذيفة بن بدر بن سلمة ـ قال: لما قدم عمر بن عبد العزيز نهضت إليه الشعراء من الحجاز والعراق، فكان فيمن حضره نصيب وجرير والفرزدق والأحوص وكثير والحجاج القضاعي، فمكثوا شهراً لا يؤذن لهم، ولم يكن لعمر فيهم رأي ولا أرب، وإنما كان رأيه وبطانته ووزراؤه وأهل أربه القراء والفقهاء ومن وسم عنده بورع، فكان يبعث إليهم حيث

كانوا من بلدانهم، فوافق جرير قدوم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ـ وكان ورعا فقيهاً مفوهاً في المنطق نظير الحسن بن أبي الحسن في منطقه ـ فرآه جرير على باب عمر مشمر الثياب معتماً على لمة لاصقة برأسه قد أرخى صنفيها بين يديه فقال جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته ... هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ... أني لدى الباب كالمشدود في قرني

فقال له عون: من أنت؟ فقال: جرير، فقال: إنه لا يحل لك عرضي، قال: فاذكرني للخليفة، قال: إن رأيت لك موضعاً فعلت، فدخل عون على عمر فسلم عليه ثم حمد الله، وذكر بعض كلامه ومواعظه، ثم قال: هذا جرير بالباب فاحرز لي عرضي منه، فأذن لجرير فدخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إني أخبرت أنك تحب أن توعظ ولا تطرب، فاذن لي في الكلام؟ فأذن له. فقال:

لجت أمامة في لومي وما علمت ... عرض اليمامة روحاتي ولا بكري
ما هوم القوم مذ شدوا رحالهم ... إلا غشاشا لدى إغضارها اليسر
يصرخن صرخ خصى المعزاء إذا وقدت ... شمس النهار وعاد الظل للقمر
زرت الخليفة من أرض على قدر ... كما أتى ربه موسى على قدر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجوا من المطر
أأذكر الضر والبلوى التي نزلت ... أم تكتفي بالذي نبئت من خبر
ما زلت بعدك في دار تقحمني ... وضاق بالحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ... ولا يعود لنا باد على حضر
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
أذهبت خلقته حتى دعا ودعت ... يا رب بارك لطر الناس في عمر
ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في الوكر لم ينهض ولم يطر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فترقرقت عينا عمر، وقال: إنك لتصف جهدك، فقال: ما غاب

عني وعنك أشد، فجهز إلى الحجاز عيراً تحمل الطعام والكسى والعطايا يبث في فقرائهم ثم قال: أخبرني أمن المهاجرين أنت يا جرير؟ قال: لا، قال: فشبك بينك وبين الأنصار رحم أو قرابة أو صهر؟ قال: لا، قال: فممن يقاتل على هذا الفيء أنت ويجلب على عدو المسلمين؟ قال: لا، قال: فلا أرى لك في شيء من هذا الفيء حقاً. قال: بلى والله لقد فرض الله لي فيه حقاً، إن لم تدفعني عنه، قال: ويحك وما حقك؟ قال ابن سبيل أتاك من شقة بعيدة فهو منقطع به على بابك، قال: إذاً أعطيك، فدعا بعشرين ديناراً فضلت من عطائه، فقال: هذه فضلت من عطائي، وإنما يعطى ابن السبيل من مال الرجل، ولو فضل أكثر من هذا أعطيتك فخذها فإن شئت فاحمد، وإن شئت فذم. قال: بل أحمد يا أمير المؤمنين، فخرج فجهشت إليه الشعراء وقالوا: ما وراءك يا أبا حزرة؟ قال: يلحق الرجل منك بمطيته، فإني خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ولا يعطي الشعراء. وقال:

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

عن علي بن الحسين. قال: كان لعمر بن عبد العزيز صديق، فأخبر أنه قد مات، فجاء إلى أهله يعزيهم فصرخوا في وجهه، فقال لهم عمر: إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم وإن الذي يرزقكم حي لا يموت، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئاً من حفركم، إنما سد حفرة نفسه، وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها، إن الله تعالى لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالفناء، ولا امتلأت دار حبرة إلا امتلأت عبرة، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه، فإن الذي صار إليه صاحبكم اليوم كلكم يصير إليه غداً.

عن الربيع. قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله ما رأيت مثل ابنك ابنا، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه. قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع فأعدت عليه ما قلت أولاً قال: لا والذي قضى عليه ـ أو قال عليهم ـ بالموت، ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن.

عن عثمان بن عبد الحميد. حدثني أبي. قال: بلغنا أن ابنا لعمر بن عبد العزيز مات صغيراً، فدخل عليه الناس يعزونه، وهو ساكت لا يتكلم طويلاً، حتى قال بعضهم: إن ذا لمن جزع. قال: ثم تكلم فقال: الحمد لله دخل ملك الموت حجرتي فذهب ببعضي، وكأنه ذهب بي.

عن سفيان. قال: قال عمر بن عبد العزيز: كانت لي نفس تواقة، فكنت لا أنال منها شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلى الآخرة.

عن رجاء بن حيوة. قال: سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز، فاعتل السراج فذهبت أقوم أصلحه، فأمرني عمر بالجلوس ثم قام فأصلحه، ثم عاد فجلس، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز، ولؤم بالرجل إن استخدم ضيفه.

عن عبد الله بن عمرو. قال: سمعت شيخاً كان في حرس عمر يقول: رأيت عمر بن عبد العزيز حين ولي، وبه من حسن اللون وجودة الثياب والبزة، ثم دخلت عليه بعد، وقد ولي فإذا هو قد احترق واسود، ولصق جلده بعظمه، حتى ليس بين الجلد والعظم

لحم، وإذا عليه قلنسوة بيضاء قد اجتمع قطنها، يعلم أنها قد غسلت، وعليه سحق أنبجانية قد خرج سداها، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض، تحت الشاذكونة عباءة قطرانية من مشاقة الصوف، فأعطاني مالاً أتصدق به بالرقة، فقال: لا تقسمه إلا على نهر جار، فقلت له: يأتيني من لا أعرفه فمن أعطي؟ قال: من مد يده إليك.

عن محمد بن كعب. قال: لما استخلف عمر بعث إليَّ وأنا بالمدينة، فقدمت عليه، فلما دخلت عليه، جعلت أنظر إليه نظراً لا أصرف بصري عنه تعجباً، فقال: يا ابن كعب إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنت تنظره!! قال: قلت تعجباً، قال: ما أعجبك؟ قلت: يا أمير المؤمنين أعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك، ونفش من شعرك، قال: فكيف لو رأيتني بعد ثلاث وقد دليت في حفرتي - أو قبري - وسالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخري صديداً ودماً، كنت لي أشد نكرة.

عن هاشم. قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال، فتركتهم عالة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ أو إلى نظرائي من أهل بيتك؟ قال: فقال أسندوني، ثم قال: أما قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال، فإني والله ما منعتهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك: لو أوصيت بهم إليّ أو إلى نظرائي من أهل بيتك، فوصيي ووليي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بني أحد رجلين؛ إما رجل يتقي فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية الله. ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً، قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلى لا شيء لهم، بل بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بني إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا كان لكم عليهم حقاً، أي

بني إن أمامكم ميل بين أمرين، بين أن تستغنوا، ويدخل أبوكم النار، وأن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

عن نوفل بن الفرات: أن عمر استعمل جعونة بن الحارث على ملطية، فغزا فأصاب غنماً، ووفد ابنه إلى عمر فلما دخل عليه وأخبره الخبر قال له عمر: هل أصيب من المسلمين أحد؟ قال: لا، إلا رويجل، فغضب عمر وقال: رويجل!! رويجل!! مرتين تجيئوني بالشاة والبقرة ويصاب رجل من المسلمين؟ لا تلي لي أنت ولا أبوك عملاً ما كنت حياً.

عن علي بن زيد. قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين، فمات لها عمر بن عبد العزيز.

عن أيوب؛ نبئت أن عمر ذكر له ذلك الموضع الرابع الذي فيه قبر النبي ﷺ، فعرضوا له به، قالوا: لو دنوت من المدينة فقال: لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار، أحب إليّ من أن يعلم الله أني أرى أني لذلك أهل.

عن المغيرة بن حكيم. قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت: كنت أسمع عمر كثيراً يقول: اللهم أخفِ عليهم موتي، اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة، فقلت له يوماً: لو خرجت عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين، لعلك تغفي، فخرجت إلى جانب البيت الذي كان فيه، فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فجعل يرددها، قالت: ثم أطرق فلبثت ساعة ثم قلت لوصيف له كان يخدمه: ادخل فانظر، قالت: فدخل فصاح، فدخلت فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القبلة وغمض عينيه بإحدى يديه، وضم فاه بالأخرى.

عن الأوزاعي. قال: شَهِدت جنازة عمر بن عبد العزيز، ثم

خرجت أريد مدينة قنسرين، فمررت على راهب يثير على ثورين له - أو حمارين - فقال: يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل؟ قلت له: نعم، فأرخى عينيه فبكى سجاماً فقلت له: ما يبكيك ولست من أهل دينه؟ قال: إني لست عليه أبكي، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطفئ.

عن الأوزاعي. قال: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال؛ يدلني من العدل إلى ما لا أهتدي له، ويكون لي على الخير عوناً، ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحداً، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس، فإذا كان كذلك فحيهلا به، وإلا فهو في حرج من صحبتي والدخول عليّ.

عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله. قال: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة.

عن ميمون بن مهران. قال: أتينا عمر بن عبد العزيز، فظننا أنه يحتاج إلينا، وإذا نحن عنده تلامذة.

عن مجاهد. قال: أتينا عمر نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه.

عن ميمون بن مهران. قال: كان عمر بن عبد العزيز يعلم العلماء.

عن مرثد أبي يزيد. قال: سمعت عمر يقول: أيها الناس قيدوا النعم بالشكر، وقيدوا العلم بالكتاب.

عن نعيم بن عبد الله. قال: قال عمر: إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة.

عن ميمون بن مهران. قال: قلت لعمر ليلة: يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى؟ أما في أول الليل فأنت في حاجات الناس، وأما

وسط الليل فأنت مع جلسائك، وأما آخر الليل فالله أعلم ما تصير إليه! قال: فضرب على كتفي، وقال: ويحك يا ميمون، إني وجدت لقيا الرجال تلقيحاً لألبابهم.

عن يحيى الغساني. قال: كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً، فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها، فقال له هشام: أعد مقالتك فقال: يا أمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها، فقال: والله إن فيك لعجباً، إنك تذكر من أقطع جدك قطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليهم، وتذكر من نزعها فتترحم عليه، وإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحمه الله.

أسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عن عدة من الصحابة وكبار التابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

منهم أنس بن مالك وسمع منه، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعمر بن أبي سلمة المخزومي، والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم الأنصارية.

وروى عن؛ أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وغيرهم.

٣٢٤ ـ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

قال الشيخ رحمه الله:

ومنهم الحذر الحرك. سليل عمر عبد الملك.

كان للحق نافذاً، وللباطل واقذاً.

عن سيار أبي الحكم. قال: قال ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له: عبد الملك: ـ وكان يفضل على عمر ـ يا أبت أقم الحق ولو ساعة من نهار.

عن ميمون بن مهران؛ أن عبد الملك بن عمر قال له: يا أبت ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل، فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك، قال: يا بني إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه.

عن هشام بن حسان. قال: قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم: كم ترانا أصبنا من أموال المؤمنين؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين أتدري ما عيالك؟ قال: نعم، الله لهم، فخرجت من عنده فلقيت ابنه عبد الملك فقلت له: هل تدري ما قال أمير المؤمنين؟ قال: وما قال؟ قلت: قال: هل تدري ما أصبنا من أموال المؤمنين، قال: فما قلت له؟ قال: قلت له: هل تدري ما عيالك قال: نعم، الله لهم. قال عبد الملك: بئس الوزير أنت يا مزاحم، ثم جاء يستأذن على أبيه فقال للآذن استأذن لي عليه، فقال له الآذن إنما لأبيك من الليل والنهار هذه الساعة، قال: ما بد من لقائه، فسمع عمر مقالتهما قال: من هذا؟ قال الآذن: عبد الملك، قال: ائذن له. قال: فدخل فقال: ما جاء بك هذه الساعة؟ قال: شيء ذكره لي مزاحم، قال: نعم فما رأيك، قال: رأيي أن تمضيه، قال: فإني أروح إلى الصلاة فأصعد المنبر، فأرده على رؤوس الناس، قال: ومن لك أن تعيش إلى الصلاة؟ قال: فمه؟ قال: الساعة، قال: فخرج فنودي في الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر فرده على رؤوس الناس.

عن إسماعيل بن أبي حكيم. قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز،

فلما تفرقنا نادى مناديه الصلاة جامعة، قال: فجئت المسجد فإذا عمر على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها، وما كان ينبغي لهم أن يعطونها، وإني قد رأيت ذلك ليس عليَّ فيه دون الله محاسب، وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي، اقرأ يا مزاحم، فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتابا، ثم يأخذه عمر وبيده الجلم فيقطعه حتى نودي بالظهر.

عن جعونة. قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر، فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقاً لم تحيه، وباطلاً لم تمته؟ قال: اقعد يا بني، إن أباءك وأجدادك خدعوا الناس عن الحق، فانتهت الأمور إليَّ، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها، ولكن أليس حسبي جميلاً أن لا تطلع الشمس عليّ في يوم إلا أحييت فيه حقاً، وأمت فيه باطلاً حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك.

عن ميمون بن مهران. قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز وإلى مكحول وإلى أبي قلابة، فقال: ما ترون في هذه الأموال التي أخذت من الناس ظلماً؟ فقال مكحول يومئذ قولاً ضعيفاً كرهه، فقال: أرى أن تستأنف، فنظر إليَّ عمر كالمستغيث بي، قلت: يا أمير المؤمنين ابعث إلى عبد الملك فأحضره فإنه ليس بدون من رأيت، قال: يا حارث ادع لي عبد الملك، فلما دخل عليه عبد الملك قال: يا عبد الملك ما ترى في هذه الأموال التي قد أخذت من الناس ظلماً قد حضروا يطلبونها، وقد عرفنا مواضعها؟ قال: أرى أن تردها، فإن لم تفعل كنت شريكاً لمن أخذها.

عن إسماعيل بن أبي حكيم ـ وكان كاتب عمر بن عبد العزيز بالمدينة، ولم يزل معه بالشام ـ قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم؟ قال: على إنفاذه، فرفع عمر يديه ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من

ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني، أصلي الظهر إن شاء الله ثم أصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، من لك بالظهر، ومن لك يا أمير المؤمنين إن بقيت أن تسلم لك نيتك للظهر؟ قال عمر: فقد تفرق الناس للقائلة، فقال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة حتى يجتمع الناس، فأمر مناديه فنادى، فاجتمع الناس وقد جيء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب وفي يد عمر جلم يقصه حتى نودي بالظهر.

عن ميمون بن مهران. قال: ما رأيت ثلاثة في بيت أخير من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك، ومولاه مزاحم.

عن زياد بن أبي حسان؛ أنه شهد عمر بن عبد العزيز حيث دفن ابنه عبد الملك قال: لما دفنه وسوى عليه قبره بالأرض وضعوا عنده خشبتين من زيتون، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائماً، وأحاط به الناس. فقال: رحمك الله يا بني لقد كنت باراً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك مسروراً ولا أرجى بحظي من الله فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد أو غائب. رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمر الله والحمد لله رب العالمين. ثم انصرف.

عن إسماعيل بن أبي حكيم. قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتد غضبه، وكان فيه حدة، وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حاضر، فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك، وموضعك الذي وضعك الله به، وما ولاك من أمر عباده، يبلغ بك الغضب ما أرى؟ قال: كيف قلت! قال: فأعاد عليه كلامه، فقال: أما تغضب يا عبد الملك؟ فقال: ما تغني سعة

جوفي إن لم أردد فيها الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه، قال: وكان له بطين.

عن ابن أبي عبلة. قال: جلس عمر يوماً للناس، فلما انتصف النهار ضجر وكلّ وملّ، فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، فدخل ليستريح ساعة فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال أردت أن أستريح ساعة، قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر من ساعته، وخرج إلى الناس.

عن محمد بن مالك العبدي. قال: لما مات عبد الملك بن عمر، عزاه الناس عنه، فعزاه أعرابي من بني كلاب فقال:

تعز أمير المؤمنين فإنه　　لما قد ترى يغذي الصغير ويولد
هل ابنك إلا من سلالة آدم　　لكل على حوض المنية مورد

قال: فما وقعت منه تعزية أحد ما وقعت منه تعزية الأعرابي.

٣٢٥ ـ كعب الأحبار

[ت٣٢هـ]

قال الشيخ رحمه الله:

ومنهم الحبر صاحب الكتب والأسفار، المثير للمكتوم والأسرار والمشير إلى المشاهد والآثار، أبو إسحاق كعب بن ماتع الأحبار[1].

عن يزيد بن قودر، عن كعب. قال: قال: المؤمن الزاهد

(١) كان كعب الأحبار يهودياً فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص. توفي بحمص سنة ثنتين وثلاثين قبل استشهاد عثمان بسنة.

والمملوك الصالح آمنان من الحساب، وطوبى لهم كيف يحفظهم الله في ديارهم، إن الله إذا أحب عبده المؤمن، زوى عنه الدنيا، ليرفعه درجات في الجنة، وإذا أبغض عبده الكافر، بسط له في الدنيا، حتى يسفله دركات في النار. قال كعب: ويقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر: أبشروا ولا تحزنوا فإن الدنيا لو وزنت عند الله جناح بعوضة مما لكم عندي ماأعطيتهم منها شيئاً.

عن عبد الله بن بريدة. قال: قال كعب: ما كرم عبد على الله إلا زاد البلاء عليه شدة، وما أعطى رجل صدقة ماله فنقصت من ماله، ولا حبسها فزادت في ماله، ولا سرق سارق إلا حسبت من رزقه.

عن إسماعيل عن كعب. قال: ما من رجل بكى من خشية الله، فتسيل دموعه على الأرض، فتقطر فتصيبه النار أبداً، حتى يرجع قطر السماء إذا وقع على الأرض إلى السماء.

عن عباد الجشمي. قال: قال كعب: لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً.

عن محمد بن زياد الألهاني، عن كعب. قال: دخل عليه وهو مريض، فقيل له: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: جسد أخذ بذنبه، فإن قبض على هذه الحال فإلى رحيم، وإن يعافه ينشئه خلقاً لا ذنب له.

عن عبد الله بن الحارث، عن كعب. قال: ما استقر لعبد ثناء في الأرض، حتى يستقر في السماء.

عن أبي محمد عن كعب. أنه قال: أنيروا بيوتكم بذكر الله، واجعلوا في بيوتكم حظاً من صلاتكم، فوالذي نفس كعب بيده إنهم لمسمون على أفواه، وإنهم لمعرفون في أهل السماء، ، فلان بن فلان يعمر بيته بذكر الله.

عن شريح بن عبيد الحضرمي. قال: قال عمر لكعب: خوفنا يا كعب، قال: والله إن لله لملائكة قياماً منذ يوم خلقهم ما ثنوا أصلابهم، وآخرين ركوعاً ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجوداً ما رفعوا رؤوسهم، حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ما عبدناك كنه ما ينبغي لك أن تعبد.

ثم قال: والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبي لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دلي من غسلين دلو واحدة في مطلع الشمس لغلت منها جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاثياً على ركبتيه يقول: رب نفسي نفسي، وحتى نبينا وإبراهيم وإسحاق عليهم الصلاة والسلام.

قال: فأبكى القوم حتى نشجوا. فلما رأى ذلك عمر قال لكعب: بشرنا.

قال: أبشروا فإن لله ثلاثمائة وأربع عشرة شريعة، لا يأتي بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص رجل إلا أدخله الله الجنة، ولو تعلمون كل رحمة الله لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت لها الأرض، والله لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم.

عن أبي مصعب، عن أبيه عن كعب. قال: يحشر الجبارون يوم القيامة مثل الذر في صور رجال يغشاهم الذل أو قال: يأتيهم من كل مكان يسلكون في نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار.

عن زادان. قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فنزلت الملائكة

فصاروا صفوفاً، فيقول: يا جبريل ائتني بجهنم، فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام، زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق، ثم زفرت ثانية، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه، ثم تزفر الثالثة، فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهل العقول، فيفزع كل امرئ إلى عمله، حتى أن إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: بخلتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى عليه السلام: بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي، وأن عيسى عليه السلام ليقول: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني، ومحمد ﷺ يقول: أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي، إنما أسألك أمتي، قال: فيجيبه الجليل جل جلاله: إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك.

ثم تقف الملائكة بين يدي الله ينتظرون ما يؤمرون به، فيقول الرحمن تعالى: معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر، ومن أمة محمد إلى النار، فقد اشتد غضبي عليهم، بتهاونهم بأمري في دار الدنيا، واستخفافهم بحقي وانتهاكهم حرمتي، يستخفون من الناس ويبارزوني مع كرامتي لهم في تفضيلي إياهم على الأمم، ولا يعرفون فضلي وعظيم نعمتي، فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسود وجهه، قد وضعت الأنكال في قدمه، والأغلال في عنقه، إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: معاشر الأشقياء من أي أمة أنتم؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم، فيقولون: يا مالك نحن من أمة القرآن، فيقول لهم مالك: معاشر الأشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء، فيقولون: وامحمداه، يا محمد اشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك، قال: فينادي مالك بتهدد

وانتهار يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب، يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لي في دار الدنيا، يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا حول بيتي الحرام، يا مالك لا تسربلهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ومنهم من تأخذه النار إلى صدره.

فإذا انتقم الله منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم، فتح بينهم وبين المشركين باب، فرأوهم في الطبق الأعلى من النار، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، يبكون ويقولون: يا محمداه ارحم من أمتك الأشقياء، واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم، ثم ينادون: يا رباه يا سيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى، فعندها يقول المشركون لهم: ما أغنى إيمانكم بالله وبمحمد، فيغضب الله لذلك فيقول: يا جبريل انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد ﷺ، فيخرجهم ضبابير، قد امتحشوا، فيلقيهم على نهر على باب الجنة، يقال له نهر الحياة، فيمكثون حتى يعودوا أنضر ما كانوا، ثم يأمر بإدخالهم الجنة، مكتوب على جباههم، هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، من أمة محمد ﷺ، فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك، فيتضرعون إلى الله تعالى أن يمحو عنهم تلك السمة، فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك من بين أهل الجنة.

عن يزيد بن قودر عن كعب. أنه قال: إن الله تعالى يقول: إني

جاعل من صدَّق بأطيب الكلام وعمل به وعلمه لله، خلفاً من النبيين، ومعهم يوم القيامة.

وقال: إن أناساً اجتمعوا ففارقوا الجماعة، ،رغبة عنهم وطعناً عليهم، فقالوا: ما فعلوا ذلك حتى دخلهم العجب، فإياكم والعجب فإنه الذبح والهلاك.

وقال كعب: من أراد أن يبلغ شرف الآخرة فليكثر التفكير يكن عالماً، وليرض بقوت يومه يكن غنياً، وليكثر البكاء عند ذكر خطاياه، يطفئ الله عنه بحور جهنم.

وقال كعب: طلب العلم مع السمت الحسن والعمل الصالح جزء من النبوة.

وقال كعب: مؤمن عالم أشد على إبليس وجنوده من مائة ألف مؤمن عابد، لأن الله تعالى يعصم بهم من الحرام.

وقال كعب: يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون بالعلم، ويتغايرون عليه، كما يتغاير النساء على الرجال، فذلك حظهم من العلم.

عن أبي قبيل، عن كعب. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن الذنب لا ينسى وأن الديان لا يموت، وأن البر لا يبلى.

عن سعيد بن أبي هلال؛ أن عبد الله بن عمرو قال لكعب: أخبرني عن صفة محمد ﷺ وأمته، قال: أجدهم في كتاب الله تعالى أن أحمد وأمته حمادون، يحمدون الله عز وجل على كل خير وشر، يكبرون الله على كل شرف، ويسبحون الله في كل منزل. نداؤهم في جو السماء، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل على الصخر، يصفون في الصلاة كصفوف الملائكة، ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة، إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن

خلفهم، برماح شداد، إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً ـ وأشار بيده ـ كما تظل النسور على وكورها لا يتأخرون زحفاً أبداً حتى يحضرهم جبريل عليه السلام.

عن العلاء بن المسيب، عن أبيه عن كعب. قال قال: محمد في التوراة مكتوب، قال الله تعالى: محمد عبدي المتوكل المختار، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام.

عن عطاء بن أبي مروان، عن كعب. قال: والذي فلق البحر لبني إسرائيل، إن في التوراة لمكتوباً يا ابن آدم اتق ربك، وأبر والديك، وصل رحمك، أمد لك في عمرك، وأيسر لك يسرك، وأصرف عنك عسرك.

عن سعيد بن أبي هلال. أن كعباً مر بعمر، وهو يضرب رجلاً بالدرة، فقال كعب: على رسلك يا عمر! فوالذي نفسي بيده، إنه لمكتوب في التوراة ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، ويل لحاكم الأرض من حاكم السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها لفي كتاب الله المنزل ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه.

عن مجاهد عن كعب. قال: إن الرب تعالى قال لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الغنا مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين. يا موسى: إنك لن تتقرب إليَّ بعمل من أعمال البر خير لك من الرضا بقضائي، ولن تأتي بعمل أحبط لحسناتك من البطر، إياك والتضرع لأبناء الدنيا، إذاً أعرض عنك، وإياك أن تجود بدينك لدنياهم، إذاً آمر أبواب رحمتي أن تغلق دونك، أدن الفقراء وقرب مجالستهم منك، ولا تركنن إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أضر عليك من الركون

إلى الدنيا. يا موسى بن عمران: قل للمذنبين النادمين أبشروا، وقل للغافلين المعجبين اخسؤوا.

عن أبي عبد السلام، عن كعب. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى تعلم الخير وعلمه الناس، فإني منور لمعلمي الخير ومتعلميه في قبورهم، حتى لا يستوحشوا بمكانهم.

عن مكحول. أن كعب الأحبار. قال: تجد الرجل مستكثراً من أنواع أعمال البر، ويبلغ صنائع المعروف، ويكابد سهر الليل، وظمأ الهواجر، ولعله لا يساوي في ذلك كله عند ربه جيفة حمار. قيل: وكيف ذلك يا أبا إسحاق؟ قال لقلة عقله وسوء رغبته، وتجد الرجل ينام الليل ويفطر النهار، ولا يعرف بشيء من البر، ولا صنائع المعروف، ولعله عند الله من المقربين، قيل: وكيف ذلك يا أبا إسحاق؟ قال لما قسم الله له من العقل، فإن الله تعالى فرض على عباده أن يعرفوه وأن يطيعوه وأن يعبدوه، وإنما عبده وعرفه وأطاعه من خلقه العاقلون، وأما الجهال فهم الذين جهلوه فلم يعرفوه ولم يطيعوه ولم يعبدوه.

عن مكحول، عن كعب. أن لقمان قال لابنه: يا بني كن أخرس عاقلاً ولا تكن نطوقاً جاهلاً، ولأن يسيل لعابك على صدرك وأنت كاف اللسان عما لا يعنيك، أجمل بك وأحسن من أن تجلس إلى قوم فتنطق بما لا يعنيك، ولكل عمل دليل، ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت. ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلاً أن تنهى عما تركب، وكفى بك عقلاً أن يسلم الناس من شرك.

عن أبي صالح عن كعب. قال: إن الله تعالى اختار من الشهور شهر رمضان، واختار من البلاد مكة، واختار من الأيام يوم الجمعة، واختار من الليالي ليلة القدر، واختار الساعات فخير الساعات للصلوات، فالمؤمن بين حسنتين: حسنة قضاها وأخرى ينتظرها.

عن أبي سلمة الصنعاني، عن كعب. قال: قلة المنطق حكمة، فعليكم بالصمت، فإنه رعة حسنة، وقلة وزر، وخفة من الذنوب، فأحصوا باب الحكم فإن بابه الصبر، وإن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب، والمشاء إلى غير أرب، ويحب الوالي الذي يكون كراع لا يغفل عن رعيته، واعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المسلم، وعليكم بالعلم قبل أن يرفع، وإن رفعه ذهاب رواته.

عن يزيد بن قودر، عن كعب. قال: ليس شيء أشد على إبليس وجنوده والشياطين، ولا أكثر لبكائهم من أن يروا مسلماً ساجداً. يقولون بالسجود دخلوا الجنة وبالسجود دخلنا النار.

عن عبد الله بن ضمرة، عن كعب. قال: من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.

عن راشد الزهري، عن كعب. أنه كان يقول: اعمل عمل العبد الذي لا يرى أنه يموت إلا هرماً، واحذر حذر المرء الذي يرى أنه يموت غداً.

عن يزيد بن قودر عن كعب. قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد عليه من دعائه شيئاً، فذكر أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم.

عن كعب. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في التوراة: يا موسى لولا من يحمدني ما أنزلت من السماء قطرة، ولا أنبتت من الأرض حبة، يا موسى لولا من يقول لا إله إلا الله، لسلطت جهنم على أهل الدنيا، يا موسى لولا من يدعوني لتباعدت من خلقي، يا موسى لولا من يعبدني ما أمهلت من يعصيني طرفة

عين، يا موسى إياك والكبر فإنه لو لقيني جميع خلقي بمثقال حبة من خردل من كبر، أدخلتهم ناري، ولو كنت أنت ولو كان إبراهيم خليلي، يا موسى، إذا لقيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء، فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب، يا موسى أتحب أن لا أنساك على كل حال؟ قال: نعم! قال: فأحب الفقراء ومجالستهم وانذر المذنبين، يا موسى أتريد أن أكون لك حبيباً أيام حياتك، وفي القبر لك مؤنساً؟ قال: نعم! قال فأكثر تلاوة كتابي، يا موسى أتحب أن لا أخذلك في تارات القيامة قال: نعم! قال: فأصبح وأمس ولسانك رطب من ذكري، يا موسى أتحب أن أبيحك جنتي؟ قال: نعم! قال: حببني إلى خلقي، قال: يا رب كيف أحببك إلى عبادك؟ قال: تذكرهم آلائي ونعمائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة، بحق أقول لك يا موسى إنه من لقيني وهو يعرف أن النعمة مني، والشكر مني، استحييت أن أعذبه، يا موسى إن جهنم وما فيها تلظى وتلهب على المشرك، وكل عاق لوالديه. قال موسى: إلهي من كل ما العقوق؟ قال العقوق الموجب غضبي أن يشكوه والداه في الناس فلا يبالي، ويأكل شهوته ويحرم والديه، يا موسى كلمة من العقوق تزن جميع الجبال. قال: إلهي من كل ما هي؟ قال: أن تقول لوالديك لا لبيك: يا موسى إن كنفي ورحمتي وعفوي على من إذا فرح الوالدان فرح، وإذا حزن الوالدان حزن معهما وإذا بكى الوالدان بكى معهما: يا موسى من رضي عنه والداه رضيت عنه، وإذا استغفر له والداه، غفرت له على ما كان فيه ولا أبالي.

يا موسى أتريد الأمان من العطش يوم القيامة؟ قال: نعم يا رب، قال: كن مستغفراً للمؤمنين والمؤمنات، يا موسى أقل العثرة واعف عن من ظلمك في مالك وعرضك، وأجب من دعاك، أكن لك كذلك؛ يا موسى أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات جميع الخلق. قال: نعم يا رب. قال: عد المرضى، وكن لثياب

الفقراء فالياً. فجعل موسى على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي ثياب الفقراء ويعود المرضى. قال الله: يا موسى - حين فعل ذلك - أما إني قد ألهمت كل شيء خلقته أن يستغفر لك، وألهمت الملائكة يوم القيامة أن يسلموا عليك حين تخرج من قبرك.

يا موسى: أنا أرحم الراحمين: يا موسى من لقيني وقد عرف أني أغفر وأرحم لم أفاتشه الكبير من المعصية، وغفرت له الصغير تطولاً عليه بالرحمة؛ يا موسى قل لبني إسرائيل يحذروني فإني أحب من يحذرني: يا موسى من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ودعا الناس إلى طاعتي، فله صحبتي في الدنيا وفي القبر وفي القيامة في ظلي؛ يا موسى قل لبني إسرائيل إذا أدوا فرائضي يكونوا خاشعين، يا موسى قل لبني إسرائيل لا يلهيهم شيء من دنياهم إذا كان حلول فرائضي، يا موسى قل لبني إسرائيل لا ينسوني فإنه من لقيني وقد نسيني لم تفارق روحه جسده، حتى أفزعه بالنار فزعة لو أدخلت روعتها في مسامع أهل الدنيا لماتوا أسرع من طرفة عين، يا موسى بحق أقول لك إنه ليس شيء مما خلقته أشد خوفاً مني من النار، قال: سبحانك من عليٍّ. قال: يا موسى إني أنا خلقتها ورعبت قلبها بأني أنا ربكَ أفعل ما أشاء، فامتلأتْ رعباً وخوفاً: يا موسى النار مطيعة وما أنشأت فيها من الجنود مطيعون لي كلهم؛ قال موسى: سبحانك من عليٍّ. قال: يا موسى لهبها وما فيها من الملائكة وسكان السموات وسكان جناتي لا يدخلونها ولا يسمعون حسيسها؛ يا موسى قلوب ملائكتي في أجوافها كخفقان الطير؛ يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري؛ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين؛ يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً؛ يا موسى إني لا أزكي ولا أرحم من حلف باسمي كاذباً: يا موسى إذا قضيت بين الناس فاقض بينهم كقضائك لنفسك وأهل بيتك؛ يا موسى إن

العبد إذا خشيني كنت أحب إليه من نفسه: يا موسى ارحم ترحم وكما تدين تدان: يا موسى اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير.

عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه عن كعب. قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. قال: يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلّك ونعظمك أن نذكرك. قال: وما هي؟ قال الجنابة والغائط. قال: يا موسى اذكرني على أي حال كان.

عن عكرمة. قال: سمعت كعباً يقول لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء قد اهريقت، فاعلم أن أمر الله قد ضيع في الأرض فانتقم الله من بعضهم لبعض، وإذا رأيت قطر السماء قد منع فاعلم أن الزكاة قد منعت فمنع الله ما عنده، وإذا رأيت الوباء قد فشا فاعلم أن الزنا قد فشا.

وأسند كعب عن أكابر الصحابة عن أمير المؤمنين الفاروق عمر، وعن السيد المهاجر المتاجر صهيب بن سنان، وعن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضوان الله تعالى عليهم، توفي كعب رحمه الله قبل مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة.

٣٢٦ ـ نوف البكالي

ومنهم المرغب في المحاسن والمعالي، نوف بن أبي فضالة البكالي. كان للكتب قارياً. وإلى المحامد داعياً، وعن المحاذر ناهياً.

عن الأوزاعي. حدثني يحيى بن أبي عمرو الشيباني. حدثني نوف البكالي. قال: كان عمرو البكالي: إذا افتتح موعظة قال: ألا تحمدون ربكم، الذي حضر غيبتكم، وأخذ سهمكم وجعل وفادة القوم لكم، وذلك أن موسى عليه السلام وفد ببني إسرائيل، فقال الله لهم: إني قد جعلت لكم الأرض مسجداً، حيث ما صليتم منها تقبلت

صلاتكم إلا في ثلاث مواطن، فإنه من صلى فيهن لم أقبل صلاته: المقبرة، والحمام، والمرحاض. قالوا: لا! إلا في كنيسة قال: وجعلت لكم التراب طهوراً، إذا لم تجدوا الماء قالوا: لا! إلا بالماء. قال: وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل وكان وحده تقبلت صلاته، قالوا: لا! إلا في جماعة.

عن القرظي، عن نوف البكالي - وكان يقرأ الكتب -. قال: إني لأجد أناساً من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قوماً يحتالون للدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر. يلبسون للناس مسوك الضأن، وقلوبهم قلوب الذئب. يقول الرب تعالى: فعليَّ تجترئون وبي تغترون، حلفتُ بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران. قال القرظي: تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[1] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾[2].

عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي. قال: أوحى الله إلى الجبال إني نازل على جبل منكم، فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور فإنه تواضع. وقال أرضى بما قسم الله لي، قال: فكان الأمر عليه.

عن عبد الملك بن عامر، عن نوف. قال: قال إبراهيم عليه السلام: يا رب إنه ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، قال فأنزل الله تعالى ثلاثة آلاف ملك فأمهم ثلاثة أيام.

عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي. قال: مثل هذه الأمة مثل المرأة الحامل، يرجى لها الفرج على رأس ولدها، وهذه الأمة إذا لج بها البلاء، لم يكن لها فرج دون الساعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٤).

(٢) سورة الحج، الآية (١١).

عن أبي عمران الجوني، عن نوف. قال: قال عزير فيما يناجي ربه عزّ وجلّ: تخلق خلقاً فتضل وتهدي من تشاء؟ قال: فقيل: يا عزير أعرض عن هذا! لتعرضن عن هذا، أو لأمحونك من النبوة، إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون.

عن سليم بن عامر. قال: أرسلتني أم الدرداء إلى نوف البكالي وإلى رجل آخر كان يقص في المسجد فقالت: قل لهما: اتقيا الله! ولتكن موعظتكما الناس موعظتكما لأنفسكما.

عن مطرف بن عبد الله؛ أن نوفاً وعبد الله بن عمرو اجتمعا. فقال نوف: أجد في التوراة أن السموات والأرض ومن فيهن لو كان طبقاً واحداً من حديد فقال رجل لا إله إلا الله لخرقتهن حتى تنتهي إلى الله عزّ وجلّ.

عن عبد الأعلى، عن نوف. قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، خرج فنظر إلى النجوم، فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً، فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام. يا نوف: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم، ولأحد من خلقي عنده مظلمة. يا نوف: لا تكونن شاعراً ولا عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا عشاراً، فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها، إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب عرطبة ـ وهي الطنبور أو صاحب كوبة ـ وهي الطبل.

أسند نوف البكالي؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعن ثوبان رضي الله تعالى عنهما.

٣٢٧ ـ حيلان بن فروة

ومنهم الواعظ الجعد، المعروف بالحفظ والسرد، حيلان بن فروة أبو الجلد. كان للكتب المنزلة حافظاً، وبمواعظ الأنبياء وأحوالهم واعظاً، وبالأذكار لهجاً لافظاً.

عن أبي عمران بن الجوني، عن أبي الجلد. قال: وجدت التسويف جنداً من جنود إبليس، قد أهلك خلقاً من خلق الله كثيراً.

عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد. قال: قرأت في الحكمة: من كان له من نفسه واعظ، كان له من الله حافظ، ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزاً، والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية.

عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك، وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الحقير الذليل، وذم نفسك فهي أولى بالذم، وناجني حيث تناجيني بقلب وجل ولسان صادق.

عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد: أن عيسى ابن مريم عليهما السلام مر بمشيخة فقال: معاشر الشيوخ أما علمتم أن الزرع إذا ابيض ويبس واشتد فقد دنا حصاده، قالوا بلى! قال: فاستعدوا فقد دنا حصادكم، ثم مر بشبان فقال: معاشر الشباب أما تعلمون أن رب الزرع ربما حصده قصيلاً[1]، قالوا بلى! قال: فاستعدوا فإنكم لا تدرون متى تحصدون.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. قال: قال موسى عليه السلام:

(١) القصيل: ما قطع من الزرع وهو أخضر.

إلهي كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟ قال: فأوحى الله تعالى إليه يا موسى الآن شكرتني.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد عن مسألة داود عليه السلام. قال: إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلي شكرك إلا بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال: بلى يا رب! قال: فإني أرضى بذلك منك شكراً.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: إلهي ما جزاء من يعزي الحزين المصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال الله عزّ وجلّ: جزاؤه أن تشيعه الملائكة يوم يموت إلى قبره، وأن أصلي على روحه في الأرواح. قال: إلهي، فما جزاء من يسند اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن يحرم وجهه على لفح النار، وأن أؤمنه يوم الفزع الأكبر.

عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد. قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام: إلهي ما جزاء من بكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجهه؟ قال: جزاؤه أن أحرم وجهه على لفح النار وأؤمنه يوم الفزع.

عن أبي عمران الجوني، عن أبي الجلد. أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود أنذر عبادي الصديقين، فلا يعجبن بأنفسهم، ولا يتكلن على أعمالهم، فإنه ليس أحد من عبادي أنصبه للحساب، وأقيم عليه عدلي إلا عذبته من غير أن أظلمه، وبشر الخطائين أنه لا يتعاظمني ذنب أن أغفره وأتجاوز عنه.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. أن داود عليه السلام أمر منادياً ينادي: الصلاة جامعة، فخرج الناس وهم يرون أنه ستكون منه يومئذ موعظة وتأديب ودعاء، فلما وافى مكانه قال: اللهم اغفر لنا وانصرف، فاستقبل أواخر الناس أوائلهم. فقالوا: ما لكم؟ قالوا: إن

النبي عليه السلام إنما دعا بدعوة واحدة ثم انصرف. فقالوا: سبحان الله! كنا نرجو أن يكون هذا اليوم يوم عبادة ودعاء وموعظة وتأديب، فما دعا إلا بدعوة واحدة، فأوحى الله تعالى إليه أن أبلغ عني قومك فإنهم قد استقلوا دعاءك، إني من أغفر له، أصلح له أمر آخرته ودنياه.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. أن عيسى عليه السلام قال: فكرت في الخلق فإذا من لم يخلق كان عندي أغبط ممن خلق.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: بحق أقول لكم: ما الدنيا تريدون ولا الآخرة، قالوا: يا رسول الله، فسر لنا هذا الأمر. فإنا قد كنا نرى أنا نريد إحداهما، قال لو أردتم الدنيا أطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فأعطاكم، ولو أردتم الآخرة أطعتم رب الآخرة الذي يملكها فأعطاكموها، ولكن لا هذه تريدون ولا تلك.

عن أبي عمران عن أبي الجلد. أن عيسى عليه السلام أوصى الحواريين فقال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، وإن القاسي قلبه بعيد من الله ولكن لا يعلم، ولا تنظروا إلى ذنوب الناس كأنكم أرباب، ولكن انظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، والناس رجلان؛ مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء في بليتهم، واحمدوا الله على العافية.

عن أبي عمران، عن أبي الجلد. قال: إن العذاب لما هبط على قوم يونس عليه السلام فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم، فمشى ذووا العقول منهم إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له: إنا قد نزل بنا ما ترى، فعلمنا دعاء ندعو به عسى الله أن يرفع عنا عقوبته. قال: قولوا يا حي حين لا حي، ويا حي يحيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت. قال فكشف الله عنهم.

عن مطر الوراق، عن أبي الجلد. قال: والذي نفسي بيده ليكونن في آخر الزمان قوم مخصبة ألسنتهم، مجدبة قلوبهم، قصيرة آجالهم، رقيقة أخلاقهم، يتكافى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، يتعلمون قول الزور لوناً غير لون، فإذا فعلوا انتظروا النكال من الله عزّ وجلّ.

عن أبي روح، عن أبي الجلد. قال: أعوذ بالله من زمان يأمل فيه الكبير، ويموت فيه الصغير، ولا يعتق فيه المحررون، وفي ذلك الزمان أقوام، يرجون ولا يخافون، هنالك يدعون فلا يستجاب لهم، وفي ذلك الزمان أقوام، قلوبهم قلوب الذئاب لا يتراحمون.

أسند أبو الجلد عن معقل بن يسار وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٣٢٨ ـ شهر بن حوشب

ومنهم المعتبر بالشعر المشيب، والمنتظر للوارد المغيب، شهر بن حوشب.

عن عمر بن عبد المجيد. قال: اعتمَّ شهر بن حوشب وهو يريد سلطاناً يأتيه، ثم نقض عمامته وجعل يقول: السلطان بعد الشيب، السلطان بعد الشيب.

عن داود بن أبي هند، عن شهر بن حوشب. قال: بينما عيسى عليه السلام جالس مع الحواريين، إذ جاء طائر منظوم الجناحين باللؤلؤ والياقوت، كأحسن ما يكون من الطير، فجعل يدرج بين أيديهم. فقال عيسى عليه السلام: دعوه لا تنفروه فإن هذا بعث لكم آية. فخلع مسلاخه فخرج أقرع أحمر كأقبح ما يكون، فأتى بركة فتلوث في حمأتها فخرج أسود قبيحاً، فاستقبل جربة الماء فاغتسل ثم عاد إلى مسلاخه فلبسه فعاد إليه حسنه وجماله. فقال عيسى عليه السلام: إن هذا بعث لكم آية، إن مثل هذا كمثل المؤمن إذا تلوث

في الذنوب والخطايا نزع منه حسنه وجماله. وإذا تاب إلى الله عاد إليه حسنه وجماله.

عن حمزة أبي عمارة، عن شهر بن حوشب. قال: كان ملك الموت عليه السلام صديقاً لسليمان بن داود عليهما السلام، فبينا هو ذات يوم معه وابن عم له عنده. قال: فجاء ملك الموت ينظر إليه، فقام ملك الموت فقال الشاب لسليمان من هذا؟ قال: ملك الموت، قال: لقد نظر إليّ نظراً أرعب قلبي، فمر الريح تلقيني بالهند، فأمر الريح فألقته بالهند فرجع، فقال له سليمان: إن ابن عم لي كان معي ذكر أنك نظرت إليه فأرعبته. فقال: مر الريح تلقيني بالهند فأمرت الريح فألقته. قال: لقد أمرت بقبض روحه بالهند وقد قبضت روحه.

عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب. قال: كان يقال إذا جمع الطعام أربعاً كمل كل شيء من شأنه؛ إذا كان أصله حلالاً، وذكر اسم الله عليه، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله حين يفرغ منه. فقد كمل كل شيء من شأنه.

عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن شهر بن حوشب. قال: ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه، واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه، وبين يديه ملائكة قيام، وهو يعرض اللوح لا يطرف، فإذا أتى على أجل عبد. قال: اقبضوا هذا! اقبضوا هذا!.

عن سيار بن سلامة، عن شهر بن حوشب. قال: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه.

عن داود ـ يعني ابن شابور ـ عن شهر. قال: قال لقمان لابنه: يا بني لا تطلب العلم لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، ولا ترائي به في المجالس. ولا تدع العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة، فإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم. فإن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يعلموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة

فيصيبك بها معهم. وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يطلع عليهم بسخطه فيصيبك بها معهم.

عن حبيب بن محمد، عن شهر، عن أبي ذر. قال: إن الله تعالى يقول: يا جبريل انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة التي كان يجدها، قال: فيصير العبد المؤمن والها، طالباً للذي كان يعهد من نفسه، نزلت به مصيبة لم ينزل به مثلها قط، فإذا نظر الله تعالى إليه على تلك الحالة. قال: يا جبريل، رد إلى قلب عبدي ما نسخت منه، فقد ابتليته فوجدته صادقاً، وسأمده من قبلي بزيادة. وإذا كان عبداً كاذباً لم يكترث به ولم يبال به.

أسند شهر عن عدة من الصحابة: منهم أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن سلام رضي الله تعالى عنهم.

٣٢٩ ـ مغيث بن سمي

ومنهم الواعظ المحذر، المذكر المبشر، مغيث بن سمي رضي الله تعالى عنه.

عن مالك بن الحارث، عن مغيث بن سمي. قال: إن لجهنم كل يوم زفرتين، ما يبقى شيء إلا سمعهما، إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب.

عن مالك بن الحارث، عن مغيث بن سمي. قال: إذا جيء بالرجل في النار، قيل له: انتظر حتى نتحفك. فيؤتى بكأس من سم الأفاعي والأساود فإذا أدناها إلى فيه، ميزت اللحم على حدة والعظام على حدة.

عن أبي سفيان، عن مغيث. قال: بينما رجل ممن كان قبلكم يسير وحده، إذ تفكر فيما سلف من ذنوبه، وكان يعمل بالمعاصي، فقال: اللهم غفرانك، فأدركه الموت على تلك الحال فغفر له.

عن مالك بن الحارث، قال: قال مغيث: إن في الجنة قصوراً من ذهب، وقصوراً من فضة، وقصوراً من ياقوت، وقصوراً من زبرجد، جبالها المسك وترابها المسك والزعفران.

عن أبي سفيان، عن مغيث. قال: تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، قال: فنظر يوماً في غب السماء فأعجبته الأرض. فقال: لو نزلت فمشيت في الأرض، ونظرت فيها، قال: فنزل ونزل معه برغيف فعرضت له امرأة فتكشفت له فلم يملك نفسه أن وقع عليها، فأدركه الموت وهو على تلك الحال. قال: وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات، فجئ بعمل ستين سنة فوضع في كفة قال: وجئ بخطيئته فوضعت في كفة فرجحت بعمله، حتى جئ بالرغيف فوضع مع عمله قال: فرجح بخطيئته.

عن جامع بن شداد، عن مغيث بن سمي. قال: أراه قال ـ نجد في كتاب الله ـ لولا أن يفتتن عبدي المؤمن، لجعلت لعبدي الكافر عصابة من حديد لا يصدع حتى يلقاني.

أسند عن؛ عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وغيرهما.

٣٣٠ ـ حسان بن عطية

ومنهم المسارع إلى الأعمال الزكية، الذام للأقوال الردية، الداعي بالأدعية المرضية، أبو بكر حسان بن عطية. بصري الأصل من ناقلة الشام.

عن الأوزاعي. قال: ما رأيت أحداً أكثر عملاً منه في الخير ـ يعني حسان بن عطية ـ.

عن الأوزاعي. قال: كان حسان بن عطية يتنحى إذا صلى العصر في ناحية المسجد، فيذكر الله حتى تغيب الشمس.

عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية. قال: من أطال قيام الليل، يهون عليه طول القيام يوم القيامة.

عن الأوزاعي. قال: كان لحسان بن عطية غنم، فلما سمع في المنائح الذي سمع، تركها، قلت للأوزاعي: كيف الذي سمع؟ قال: يوم له ويوم لجاره.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: إن القوم ليكونون في الصلاة الواحدة، وإن بينهم كما بين السماء والأرض، وتفسير ذلك: أن الرجل يكون خاشعا مقبلاً على صلاته، والآخر ساهياً غافلاً.

عن الأوزاعي: حدثني حسان: أن الإيمان في كتاب الله صار إلى العمل فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[1] ثم صيرهم إلى العمل فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[2].

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: لقد غرب الخير اليوم فيمن ترى أنه من أهل الخير.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: صلاة الرجل عند أهله من عمل السر.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: ما عادى عبد ربه بأشد من أن يكره ذكره، ومن ذكره.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: كانوا يمسكون عن ذكر النساء وعن الخنا في المساجد.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان (٣ ـ ٤).

عن الأوزاعي. قال: قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام بن عبد الملك، فتكلم غيلان وكان رجلًا مفوهاً، فلما فرغ من كلامه قال لحسان: ما تقول فيما سمعت من كلامي؟ فقال له حسان: يا غيلان إن يكن لساني يكلُّ عن جوابك، فإن قلبي ينكر ما تقول.

عن الأوزاعي. قال: قال حسان بن عطية لغيلان القدري: أما والله لئن كنت أعطيت لساناً لم نعطه! إنا لنعرف باطل ما تأتي به.

عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية. قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ولا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة.

عن الأوزاعي، عن حسان. أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان، ومن شر ما تجرى به الأقلام، وأعوذ بك أن تجعلني عبرة لغيري، وأعوذ بك أن تجعل غيري أسعد بما آتيتني مني، وأعوذ بك أن أتقوت بشيء من معصيتك عند ضر ينزل بي، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أقول قولاً لا أبتغي به غير وجهك. اللهم اغفر لي فإنك بي عالم، ولا تعذبني فإنك عليَّ قادر.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: ما سلك عبد وادياً، فرفع يديه فرغب إلى الله حيث لا يراه أحد، إلا ملأ الله ذلك الوادي حسنات، فليعظم ذلك الوادي أو ليصغر.

عن الأوزاعي. قال: حدثني حسان. قال: خمس من كن فيه فقد جمع الله له الإيمان، النصيحة لله ولرسوله، وحب الله ورسوله، ومن بذل للناس من نفسه الرضا وكف عنهم السخط، ومن وصل ذا رحمه، ومن كان ذكره في السر كذكره في العلانية سواء.

عن الأوزاعي، عن حسان. قال: حملة العرش ثمانية، يتجاوبون بصوت حسن رخيم، قال: فيقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على

حلمك بعد علمك، وتقول الأربعة الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.

عن الأوزاعي. حدثني حسان. قال: يعذب الله الظالم بالظالم، ثم يدخلهما النار جميعاً.

عن الأوزاعي. حدثني حسان. قال: قال الله تعالى: إذا تصاموا عن السائل، وأرخوا شعورهم، ومشوا تبختراً، فبي حلفت لأذعرن بعضهم من بعض.

عن الأوزاعي، عن حسان: قال: بينا رجل راكب حماراً إذ عثر به، فقال: تعست: فقال صاحب اليمين: ما هي بحسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها، فأُوحي إلى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه، فكتبت في السيئات.

أسند عن؛ أنس بن مالك، وشداد بن أوس، وأرسل عن عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وحذيفة، وأبي الدرداء، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وحمزة بن عمرو الأسلمي.

وروى عن؛ سعيد بن المسيب، ومحمد بن أبي عائشة، ومحمد بن المنكدر، ونافع، وأبي الأشعث الصنعاني، وأبي كبشة السلولي، وأبي المنيب الجرشي وأبي عبيد الله مسلم بن مشكم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٣٣١ ـ القاسم بن مخيمرة

ومنهم الرافض للفضول، النافض للهموم، أبو عروة القاسم بن مخيمرة. رضي الله تعالى عنه كوفي الأصل، نزيل الشام.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قال القاسم بن مخيمرة: ما

اجتمع على مائدتي لونان من طعام واحد، ولا أغلقت بابي ولي خلفه هم.

عن موسى بن سليمان. قال: سمعت القاسم يقول في هذه الآية: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[1] قال أضاعوا المواقيت فإنهم لو تركوها كانوا بتركها كفاراً.

عن الأوزاعي عن القاسم. قال: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته.

عن الأوزاعي. قال: قال القاسم: كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الإسلام عروة عروة.

عن أبي عبيد الحاجب؛ أنه سأل القاسم بن مخيمرة عن القدر، فقال: بلغني أن قلوباً ستنكر ما كانت تعرف، فإذا فعلت ذلك نكست عليها، وطبع عليها، فقلبي من تلك القلوب إن أطعتك وأصحابك.

عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة. قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني إياك والشبع، فإنه مخونة بالليل ومذلة بالنهار - أو قال ومذمة بالنهار.

عن القاسم بن مخيمرة. قال: أتيت عمر فقضى عني سبعين ديناراً، وحملني على بغلة، وفرض لي في خمسين. قلت: أغنيتني عن التجارة، فسألني عن حديث. فقلت: هيبتني يا أمير المؤمنين. قال سعيد: كأنه كره أن يحدثه على هذا الوجه.

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأسند عن؛ شريح، ورواد، وعمرو بن شرحبيل، وعلقمة بن قيس، وأبي بردة، وأبي الدرداء، وعن أم الدرداء في آخرين رضي الله تعالى عنهم.

---

(١) سورة مريم، الآية (٥٩).

٣٣٢ - إسماعيل بن المهاجر

ومنهم القارئ الصادق المثابر. إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر رضي الله تعالى عنه.

عن ابن جابر، عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر. أن داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فقال: ذروني أبكي قبل يوم البكاء، قبل تحريق العظام واشتعال اللحى، قبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

عن إسماعيل بن عبيد. قال: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه وقال: يا بني عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقر به، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن، يا بني عليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فوالله لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي وما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترون أني لا أحب لنفسي إلا خيراً؟

أسند عن أبي صالح الأشعري، وأم الدرداء، وغيرهم.

٣٣٣ - سليمان الأشدق

ومنهم الصدوق الأصدق، الفقيه الأحذق، سليمان بن موسى الأشدق رضي الله تعالى عنه.

عن شعيب بن أبي حمزة. قال: قال لي الزهري: إن مكحولاً يأتينا، وسليمان بن موسى، وأيم الله إن سليمان لأحفظ الرجلين.

عن ابن جريج. قال: لم نر من جاءنا من الشام يسأل عن مثل مسألته - يعني سليمان بن موسى -.

عن يزيد بن يحيى، عن سليمان بن موسى. قال: ثلاثة لا

ينتصفون من ثلاثة؛ حليم من جاهل، وبر من فاجر، وشريف من دنئ.

عن سعيد، عن سليمان بن موسى. قال: أخوك في الإسلام إن استشرته في دينك وجدت عنده علماً، وإن استشرته في دنياك وجدت عنده رأياً، مالك وله كان قد فارقك فلم تجد منه خلفاً.

عن سعيد بن سليمان. قال: إذا وجدت علم الرجل حجازياً، وسخاءه عراقياً، واستقامته استقامة شامية فهو رجل.

أسند عن الزهري وعن غيره من التابعين رضي الله تعالى عنهم.

٣٣٤ ـ أبو بكر الغساني

ومنهم المتعبد الرباني، أبو بكر بن أبي مريم الغساني رضي الله تعالى عنه.

عن بقية. قال: خرجنا إلى أبي بكر بن أبي مريم نسمع منه في ضيعته ـ وكانت كثيرة الزيتون ـ فخرج علينا نبطي من أهلها فقال لي: من تريدون؟ فقلنا: نريد أبا بكر بن أبي مريم. فقال: الشيخ؟ فقلنا: نعم! قال: ما في هذه القرية شجرة من زيتون إلا وقد قام إليها ليلة جمعاء.

عن الحسن بن علي بن مسلم السكوني. قال: كان لأبي بكر بن أبي مريم في خديه مسلكان من الدموع.

عن يزيد بن عبد ربه. قال: عدت مع خالي علي بن مسلم، أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله! لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا! ثم جاء الليل فقال: اذن؟ فقلت: نعم! فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم غمضناه فمات رحمه الله، وكان لا يقدر أحد ينظر إليه من خوى فمه من الصيام.

عن بقية بن الوليد قال: أخذت بيد عبد الله بن المبارك فأدخلته على أبي بكر بن أبي مريم، وصفوان بن عمرو فسمع منهما، فلما خرج قال لي: يا أبا محمد تمسك بشيخيك.

أسند عن عبد الله بن بشر، وروى عن؛ سعيد بن سويد، وحبيب بن عبيد، وحكيم بن عمير، والمهاجر بن حبيب، وضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس في آخرين رضي الله تعالى عنهم.

٣٣٥ ـ علي بن أبي جملة

٣٣٦ ـ ورجاء بن أبي سلمة

ومنهم القرينان العابدان الراويان، العاملان، علي بن أبي جملة. ورجاء ابن أبي سلمة، رضي الله تعالى عنهما.

عن ضمرة بن ربيعة بن حبيب، عن علي بن أبي جملة. قال: قال لي زياد بن صخر اللخمي: إذا صنعت يداً فاصنعها إلى ذي دين أو حسيب.

عن ضمرة، عن علي بن أبي جملة. قال: كان علي بن عبد الله بن عباس يصلي في كل يوم ألف سجدة.

أسند علي بن أبي جملة عن؛ نافع وعبد الله بن محيريز وعبادة بن نسي رضي الله تعالى عنهم.

٣٣٧ ـ ثور بن يزيد

ومنهم القائل بالوعيد، أبو خالد، ثور بن يزيد رضي الله تعالى عنه كان في القول بالوعيد شاطحاً، وعرف به فلقب ناطحاً.

عن أبي عاصم. قال: قال ابن أبي رواد: قد جاءكم ثور اتقوا لا ينطحكم بقرنه.

عن يحيى بن سعيد: كان قلبه بين عينيه - يعني ثور بن يزيد -.

عن بشر بن منصور، عن ثور بن يزيد. قال: قال المسيح عليه السلام: من تعلم وعمل وعلَّم، فذلك الذي يسمى - أو يدعى - عظيماً في ملكوت السموات.

عن ابن أبي أذينة، عن ثور. قال: مكتوب في بعض الكتب: إن سرَّك أن تعلم علم اليقين، فأحب في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا.

عن بشر بن منصور، عن ثور. قال: قرأت في بعض الكتب: قل للذين يتظامؤون ويتجوعون للبر، أولئك الذين يأوون في حظيرة القدس عندي.

عن بشر بن منصور، عن ثور. قال: قال بشر الشامي: كان يقال المطيع مهاب، والعاصي مرحوم، والخائف وجل، والوجل حزين، والحزن داع إلى طول الفرح يوم القيامة، ولكل العباد همة فهموم خير وهموم شر.

عن رباح بن عمرو القيسي، عن ثور. قال: قرأت في التوراة أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين، كلموا الله كثيراً، وكلموا الناس قليلاً، قالوا: وكيف نكلم الله؟ قال: اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه.

عن الوليد بن كامل، عن ثور. قال: مكتوب في الإنجيل: الحجر في البنيان من غير حل عربون خرابه.

عن طلحة بن زيد، عن ثور. قال: قرأت في بعض الكتب: بكاء المؤمن في قلبه، وبكاء المنافق في عينيه.

أسند ثور بن يزيد عن؛ خالد بن معدان، وعن خالد بن مهاجر، وعن مكحول والقاسم أبي عبد الرحمن، وراشد بن سعد

المقري، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، ويحيى بن الحارث الدماري، وأبي منيب الجرشي، وحبيب بن عبيد، ويزيد بن شريح. ومن الحجازيين عن سعيد بن المسيب، وعطاء، ونافع، وأبي الزبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

٣٣٨ ـ حدير بن كريب

ومنهم حدير بن كريب أبو الزاهرية، مخوف العصاة بانتقام القاهرية.

عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية. قال: بلغني في بعض الكتب: أن الله تعالى يقول: أبث العلم في آخر الزمان، حتى يعلمه الرجل والمرأة، والذكر والأنثى، والحر والعبد، والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم آخذتهم بحقي عليهم.

عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية. قال: ما من أحد يأكل طعاماً لا يحمد الله تعالى عليه إلا كأنما سرقه.

روى أبو الزاهرية عن أبي الدرداء، وحذيفة إرسالاً، وأكثر حديثه عن جبير بن نفير، وكثير بن مرة.

٣٣٩ ـ حبيب بن عبيد

ومنهم حبيب بن عبيد رضي الله تعالى عنه.

عن جرير بن عثمان. حدثني حبيب بن عبيد. قال: تعلموا العلم واعقلوه، وانتفعوا به، ولا تعلموا لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عمر، أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل ببزته.

عن ابن أبي مريم. حدثني حبيب بن عبيد. قال: كان دليجة إذا مشى طاشت قدماه من العبادة، فقيل له: ما شأنك؟ فقال: الشوق!

روى عن؛ معاذ بن جبل وعمرو بن عبسة، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، والمقدام، والعرباض، وعائشة رضي الله تعالى عنهم.

٣٤٠ ـ ضمرة بن حبيب

ومنهم ضمرة بن حبيب ـ رضي الله تعالى عنه.

عن أرطأة. قال: كان ضمرة إذا قام إلى الصلاة قلت: هذا أزهد الناس في الدنيا، فإذا عمل للدنيا قلت: هذا أرغب الناس في الدنيا.

عن عتبة بن ضمرة بن حبيب، عن أبيه. قال: موطنان لا ينبغي لأحد أن يضحك فيهما، معاينة القرد، واطلاعك إلى القبر.

عن عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب. حدثني أبي. قال: كان يقال: لا يعجبنكم صيام امرئ ولا قيامه، ولكن انظروا إلى ورعه. فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد الله حقاً.

أسند ضمرة عن؛ أبي الدرداء، وعبد الله بن عمر، وشداد بن أوس، والنعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهم.

٣٤١ ـ ربيعة الجرشي

ومنهم ربيعة الجرشي. وقيل ابن عمرو معدود في الصحابة.

عن بشير بن كعب العدوي. قال: سمعت ربيعة زمن معاوية يقول: يجمع الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[١]؟ قال: فيقومون وفيهم قلة، ثم يلبث ما شاء الله أن يلبث ثم يقوم فيقول: سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم، ليقم الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] الآية، فيقومون وهم أكثر من الأولين، ثم يلبث ما شاء الله أن يلبث، ثم يقوم فيقول:

---

(١) سورة السجدة، الآية (١٦).

(٢) سورة النور، الآية (٣٧).

سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال. قال: فيقومون أكثر من الأولين.

عن عطية بن قيس، عن ربيعة؛ أنه كان يقول في قصصه: إن الله جعل الخير من أحدكم كشراك نعله، وجعل الشر منه مد بصره.

٣٤٢ ـ يحيى الشيباني (أبو زرعة)

ومنهم أبو زرعة يحيى بن أبي عمرو الشيباني.

عن ضمرة، عن الشيباني. قال: في التوراة مكتوب: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه. لا يهلك العرف بين الله والناس.

عن ضمرة، عن الشيباني. قال: أوصى بنو إسرائيل في التوراة: استوصوا بمن يقدم عليكم من غير أهل بلادكم من الغرباء خيراً.

عن ضمرة، عن الشيباني. قال: مكتوب في التوراة، كما تدين تدان، وبالكأس الذي تسقى به تشرب وزيادة، لأن البادي لا بدّ أن يزاد.

أسند عن؛ عمرو بن عبد الله الحضرمي، وعبد الله بن محيريز، وعبد الله بن الديلمي، وأبي سلام الدمشقي وأبي مريم، وغيرهم.

٣٤٣ ـ عثمان بن أبي سودة

ومنهم عثمان بن أبي سودة أبو العوام.

عن الأوزاعي. قال: سمعت عثمان بن أبي سودة يقول في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[(١)] قال: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله.

---

(١) سورة الواقعة، الآية (١٠).

عن الأوزاعي. حدثني عثمان بن أبي سودة. قال: إذا انصرف القوم عن المقبرة بعد أن يفرغ من الميت، كانوا يقولون: اللهم من قدمته منا فقدمه إلى مقدم صدق، ومن أخرته منا فأخره إلى مؤخر صدق، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده.

أدرك عثمان عبادة بن الصامت، وسمع عبد الله بن محيريز، وأبا شعيب الحضرمي، صاحب عثمان، وأبا أيوب الأنصاري.

٣٤٤ ـ أبو زيد الغوثي

ومنهم أبو زيد الغوثي رضي الله تعالى عنه.

٣٤٥ ـ عبد الرحمن بن ميسرة

ومنهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي رضي الله تعالى عنه.

عن صفوان بن عمرو. حدثني عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي. قال: إن لله ملكاً اسمه روبيل نصفه ثلج ونصفه نور، صلاته يقول: اللهم كما ألفت بين هذا النور وبين هذا الثلج فلا الثلج يطفئ النور ولا النور يطفئ الثلج، فألف بين عبادك المؤمنين. قال: وكان يقال وكل بالصيام.

روى عن العرباض بن سارية، وعمرو بن عبسة، وأبي أمامة.

٣٤٦ ـ عمرو بن قيس الكندي

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم عمرو بن قيس الكندي رضي الله تعالى عنه.

عن ثور بن يزيد عن عمرو بن قيس. قال: ما كدت أن أعمر نفسي حتى أبلي جسمي، وما من عبد أنزل الدنيا حق منزلتها حتى يرضى أن يوطأ فيها بالأقدام، ومن الذلة، ومن أهان نفسه في الله عزّ

وجلّ أعزه الله يوم القيامة، وإن أبغض الأجساد إلى الله الجسد الناعم.

روى عن معاوية، وعبد الله بن عمرو، وواثلة، وعبد الله بن بسر المازني وغيرهم.

٣٤٧ ـ محمد بن زياد الألهاني

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم محمد بن زياد الألهاني رضي الله تعالى عنه.

عن بقية. قال: أعطاني محمد بن زياد ديناراً فقال: اشتر به زيتاً ولا تماكس، فإني أدركت القوم، فإذا اشترى أحدهم البضاعة لم يماكس في شيء مما يشتريه.

عن بقية. حدثني محمد بن زياد. قال: اجتمع رجال من الأخيار ـ أو قال العلماء والعباد ـ وذكروا الموت، فقال بعضهم: لولا أنه أتاني آت أو ملك الموت فقال: أيكم سبق إلى هذا العمود فوضع عليه يده مات، لرجوت أن لا يسبقني إليه أحد منكم شوقاً إلى لقاء الله.

أسند محمد عن؛ أبي أمامة، وجابر، وعبد الله بن بسر، وأبي عتبة الخولاني، وغيرهم.

٣٤٨ ـ عبدة بن أبي لبابة

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم عبدة بن أبي لبابة رضي الله تعالى عنه.

عن الأوزاعي، عن عبدة. قال: إن أقرب الناس من الرياء آمنهم له.

عن الأوزاعي، عن عبدة. قال: إذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإذا فرغ منه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

عن الأوزاعي، عن عبدة. قال: إن ناركم هذه لتتعوذ بالله من نار جهنم.

عن الأوزاعي، عن عبدة. قال: قال الشيطان مهما أعجزني ابن آدم، فلن يعجزني في اثنين. ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟.

عن الأوزاعي. قال: كان عبدة إذا كان في المسجد لم يذكر شيئاً من أمر الدنيا.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال: سمعت عبدة يقول: لوددت أن حظي من أهل هذا الزمان، أن لا يسألوني عن شيء ولا أسألهم، يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم.

عن رجاء بن أبي سلمة. قال سمعت عبدة وسئل عن مسألة فقال له الرجل: أرأيت! فقال: قد رضيت من أهل زماني هذا أن لا أسألهم عن شيء ولا يسألوني، إنما يقول أحدهم أرأيت أرأيت.

عن الأوزاعي. قال: لم يقدم علينا من العراق أحد أفضل من عبدة بن أبي لبابة، والحسن بن الحر، وكانا شريكين جميعاً موليين مولى لبني أسد، ومولى لبني غاضرة.

عن الأوزاعي. قال: رأيت عبدة يطوف بالبيت وهو ضعيف، فقلت لو رفقت بنفسك فقال: إنما المؤمن بالتحامل.

أدرك عبدة عبد الله بن عمر، وسمع منه. وروى عن؛ سويد بن غفلة، وعلقمة، ومسروق، وأبي وائل، وزر بن حبيش، وعمرو بن ميمون، ورواد مولى المغيرة، ومجاهد، وأبي سلمة.

٣٤٩ ـ راشد بن سعد

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم راشد بن سعد المقرائي.

عن جرير بن عثمان عن راشد بن سعد. قيل له: ما النعيم؟ قال: طيب النفس، قيل فما الغِنى؟ قال: صحة الجسد.

عن معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد. أن موسى عليه السلام أتى ربه عزّ وجلّ لموعده ـ وكان وعد قومه أربعين يوماً ـ فقال: يا موسى إن قومك قد افتتنوا بعجل، فقال: يا رب وكيف يفتتنون وقد أنجيتهم من فرعون ونجيتهم من البحر، وأنعمت عليهم؟ قال: يا موسى إنهم اتخذوا من بعدك عجلاً جسداً له خوار، قال: يا رب فمن جعل الروح فيه؟ قال أنا يا موسى، قال: فأنت أضللتهم يا رب، قال: يا موسى يا رأس النبيين، يا أبا الحكماء، إني رأيت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم.

روى راشد عن؛ سعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وأبي أمامة الباهلي، وعون بن مالك، والمقدام بن معدي كرب في آخرين.

٣٥٠ ـ هاني بن كلثوم

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم هاني بن كلثوم بن شريك.

كان قليل الكلام عزيز الحديث، أراده عمر بن عبد العزيز على القضاء فاستعفى وأبى.

عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي، عن هاني بن كلثوم. قال: مثل المؤمن الفقير كمثل المريض عند الطبيب العالم بدائه، تطلع نفسه إلى أشياء يشتهيها لو أصابها أهلكته، كذلك يحمي الله تعالى المؤمن من الدنيا.

أسند عن محمود بن ربيعة.

٣٥١ ـ عروة بن رويم

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم عروة بن رويم اللخمي.

عن سعيد بن عبد العزيز، عن عروة بن رويم. قال: قالت

الصفراء امرأة موسى: بأبي أنت وأمي، أنا أيم منك منذ كلمك ربك - فكان موسى عليه السلام لن يأتي النساء منذ كلمه الله، وكان قد ألبس على وجهه حريرة أو برقعاً، فكان أحد لا ينظر إليه إلا مات، فكشف لها عن وجهه فأخذها من غشيته مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة، فقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة. قال لك ذلك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، قالت: فأوصني، قال: لا تسألي الناس شيئاً.

عن فرج بن فضالة، عن عروة. أن عيسى عليه السلام دعا ربه فقال: يا رب أرني موضع الشيطان من ابن آدم، فجلى له ذلك فإذا له رأس كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب، فإن ذكر الله خنس وإن ترك الذكر مناه وحدثه. قال: فذلك قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾.

أسند عروة عن؛ علي، وجابر، وأنس، وأبي ثعلبة، وأبي كبشة الأنماري، وعبد الرحمن بن غنيم، والقاسم أبي عبد الرحمن، وغيرهم.

٣٥٢ ـ سعيد بن عبد العزيز[1]

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم سعيد بن عبد العزيز.

عن الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز. قال: كان من دعاء داود عليه السلام، سبحان مستخرج الشكر بالعطاء، ومستخرج البلاء بالدعاء.

عن الحكم بن نافع، عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: إن أعظم الذنوب أن يقول الرجل: الله يعلم أني صادق، والله يعلم أنه كاذب.

(١) له ترجمة أخرى برقم ٤٠٩.

عن عقبة بن علقمة، عن سعيد بن عبد العزيز. قال: الدنيا غنيمة الآخرة.

عن مروان، عن سعيد بن عبد العزيز. قال: كان موسى عليه السلام إذا خرج للبيعة للأحكام بين بني إسرائيل، توكأ على يوشع، فإذا بلغ البيعة جلس موسى عليه السلام ليحكم بينهم وقام يوشع على رأسه، فلما كان قبل موت موسى بسنة انقطع الوحي عن موسى ونزل جبريل عليه السلام على يوشع، فلما خرجوا إلى البيعة جلس يوشع يحكم بين بني إسرائيل وقام موسى على رأسه. فقال موسى: إلهي إني لا أطيق هذا الذل كله، فاقبضني إليك.

عن الوليد، عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني نظرت في العلم فكثر همي، ونظرت في الحكمة فكبر سني، ونظرت فإذا مع الصحة سقماً، وإذا مع الشباب كبراً، وإذا مع الحياة موتاً، وإذا تربتي وتربة السفيه واحدة؛ إلا أن أفضله يوم القيامة بعملي.

أسند سعيد عن جماعة من أعلام التابعين منهم: نافع، والزهري، وزيد بن أسلم، وأبو الزبير، ومكحول، وربيعة بن يزيد، ويونس بن ميسرة بن حلبس وعبد الرحمن بن سلمة الجمحي، وزياد، وعثمان أبناء أبي سودة، ويزيد بن أبي مالك، وغيرهم.

٣٥٣ ـ عبد الله بن شوذب

قال الشيخ رحمه الله: ومنهم عبد الله بن شوذب.

عن ضمرة، عن عبد الله بن شوذب. قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: جودة الثياب من خيلاء القلب.

عن ضمرة، عن ابن شوذب. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، أتدري لأي شيء اصطفيتك على الناس برسالاتي

وبكلامي؟ قال: لا، يا رب! قال: لأنه لم يتواضع لي أحد قط تواضعك.

عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب. قال: لما مات الحجاج وولي سليمان أقطع الناس الموات فجعل الناس يأخذون، فقال ابن الحسن لأبيه: لو أخذنا كما يأخذ الناس؟ فقال: اسكت! ما يسرني لو أن لي ما بين الجسرين بزنبيل تراب.

عن ضمرة. قال: قال ابن شوذب: اجتمع قوم فتذاكروا أي النعم أفضل؟ فقال رجل: ما ستر الله به بعضنا عن بعض، قال فيرون أن قول ذلك أرجح.

عن كثير بن الوليد. قال: كنت إذا رأيت ابن شوذب ذكرت الملائكة.

أسند عن عدة من أعلام التابعين منهم: الحسن، وابن سيرين، وثابت البناني، وأبو رجاء العطاردي، وأبو التياح، وأبو نضرة، وقتادة، وتوبة العنبري، ومطر الوراق، وأبو هارون العبدي، وعلي بن زيد بن جدعان، وعبد الله بن القاسم وجماعة.

٣٥٤ ـ أبو عمرو الأوزاعي

[٨٨ ـ ١٥٧هـ]

ومنهم العلم المنشور، والحكم المشهور، الإمام المبجل، والمقدام المفضل، عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي[(١)]. رضي الله تعالى عنه. كان واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه، كان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، مقوالاً بالحق لا يخاف سطوة العظائم.

(١) ولد سنة ثمان وثمانين، وسكن بيروت، وبها مات.

عن أبي سعيد الثعلبي. قال: لما خرج إبراهيم ومحمد على أبي جعفر المنصور، أراد أهل الثغور أن يعينوه عليهما، فأبوا ذلك فوقع في يد ملك الروم الألوف من المسلمين أسرى، - وكان ملك الروم يحب أن يفادي بهم ويأبى أبو جعفر - فكتب الأوزاعي إلى أبي جعفر كتاباً:

أما بعد فإن الله تعالى استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائماً، وبنبيه ﷺ في خفض الجناح والرأفة متشبهاً، وأسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سايحة المشركين غلبت عام أول، وموطئهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل والحصون، وكان ذلك بذنوب العباد، وما عفا الله عنه أكثر، فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصراً، ولا عنهم مدافعاً، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن، وكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه، وإعراضهم عنه، فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفادات بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله تعالى، فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[1] والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدي خراجاً إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتتن أمه) فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنونهم، ويتكشفون منهم ما لا نستحله نحن إلا بنكاح؟ وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك ومستوف منك، يوم توضع ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٨).

﴿نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[1] فلما وصل إليه كتابه أمر بالفداء.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن مصعب القرقساني. حدثني الأوزاعي. قال: بعث إليّ أبو جعفر أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة، ردَّ عليَّ واستجلسني ثم قال: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟

قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟

قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم.

قلت: يا أمير المؤمنين انظر ولا تجهل شيئاً مما أقول لك.

قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له؟

قلت: أن تسمعه ولا تعمل به، قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية - يعني ابن بسر - قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه، فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثماً ويزداد الله بها عليه سخطة).

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول، عن عطية بن بسر. قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما والٍ بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

يا أمير المؤمنين! من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين.

يا أمير المؤمنين! إن الذي يلين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمرهم لقرابتكم من النبي ﷺ، فقد كان بكم رؤوفاً رحيماً، مواسياً بنفسه لهم في ذات يده وعند الناس، فحقيق أن يقوم لهم فيهم بالحق، وأن يكون بالقسط له فيهم قائماً، ولعوراتهم ساتراً، لم تغلق عليه دونهم الأبواب، ولم يقم عليه دونهم الحجاب، يبتهج بالنعمة عندهم، ويبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين! قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك، عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم، فكل له عليك نصيبه من العدل، فكيف إذا اتبعك منهم فئام وراءهم فئام، ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه.

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عروة بن رويم. قال: (كانت بيد النبي ﷺ جريدة يستاك بها، ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك، وملأت قلوبهم رعباً؟) فكيف بمن شقق أبشارهم وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه.

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن زياد بن جارية عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة خدش أعرابياً لم يتعمدها، فأتاه جبريل فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا مستكبراً، فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: اقتص مني، فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، ما كنت لأفعل ذلك أبداً، ولو أتت على نفسي، فدعا له بخير.

يا أمير المؤمنين! رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من

ربك، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ: (لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها).

يا أمير المؤمنين! إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين! تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[1] قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي، وحدثته الألسن.

يا أمير المؤمنين! بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخفت أن أسأل عنها، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين! أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ قال: يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى، فلا تمنين في نفسك أن يكون له الحق فيفلج على صاحبه، فأمحوك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة، يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير، ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء.

يا أمير المؤمنين! إنك قد بليت بأمر عظيم، لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين! حدثني يزيد بن مزيد عن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل من

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٩).

الأنصار رجلاً على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيماً، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله؟ قال: لا! قال عمر: وكيف ذاك؟ قال: لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: (ما من وال يلي من أمور الناس شيئاً إلا أتي به يوم القيامة فيوقف على جسر من نار فينتفض به الجسر انتفاضاً يزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجا بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً). فقال له عمر: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر، وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم! سمعناه من رسول الله ﷺ، فقال عمر: واعمراه، من يتولاها بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه، وألصق خده بالأرض.

فأخذ أبو جعفر المنديل فوضعه على وجهه فبكى وانتحب حتى أبكاني.

فقلت: يا أمير المؤمنين! قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة على مكة والطائف، فقال له: (يا عباس يا عم النبي! نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها) هي نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه، لأنه لا يغني عنه من الله شيئاً، أوحى الله تعالى إليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1] فقال: (يا عباس، يا صفية عمة النبي، إني لست أغني عنكم من الله شيئاً، ألا لي عملي ولكم عملكم) وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل: أريب العقدة، لا يطلع منه على عورة، ولا يحنو على حوبة، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال: السلطان أربعة أمراء؛ فأمير قوي ظلف نفسه وعماله، فذاك المجاهد في سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة،

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرتع عماله فضعف فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله ﷺ: (شر الرعاء الحطمة) فهو الهالك وحده، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: أتيتك حين أمر الله عزّ وجلّ بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: يا جبريل صف لي النار. فقال: إن الله أمر بها فأوقدت ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذَنوباً من شرابها صب في ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكر الله تعالى وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقرت، ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه، وتشويه خلقه وعظمه. فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبكائه، فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي، فأكون قد أمنت مكره، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما، ففضل محمد على الأنبياء كفضل جبريل على ملائكة السماء كلهم.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من قال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين! إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، إنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه. هذه نصيحتي والسلام عليك.

ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله. فقال: قد أذنت وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبول، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله.

قال محمد بن مصعب فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله. وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لا بيع نصيحتي بعرض من الدنيا كلها، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن يوسف الفريابي، عن الأوزاعي. قال: سألني عبد الله بن علي فقال: أليس الخلافة وصية لنا من رسول الله ﷺ، قاتل عليها علي بصفين؟ قال: قلت لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ما حكم علي. الحكمين، قال فنكس رأسه.

عن عباس بن الوليد بن مزيد. أخبرني أبي، عن الأوزاعي. قال: قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني عليك بخشية الله فإنها غلبت كل شيء، وبلغني أن سليمان عليه السلام قال: يا معشر الجبابرة كيف تصنعون إذا رأيتم الجبار.

عن عباس بن الوليد. أخبرني أبي. قال: سمعت الأوزاعي يقول: بلغني أنه ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله، إلا زلت عنه القلوب، كما زل الماء عن الصفا. قال: وسمعت الأوزاعي يقول: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم

القيامة، يوماً فيوماً وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم وليلة مع ليلة؟

وبإسناده. قال سمعت الأوزاعي يقول: إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً.

عن الأوزاعي. قال: بلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم: ألا ليت الخلائق لم يخلقوا، ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له، وجلسوا مجلساً فذكروا ما عملوا.

عن أبي إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي. قال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

عن موسى بن أعين. قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يقتدى بنا، ما أرى يسعنا التبسم.

عن أبي حفص عمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي. قال: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه، قال أبو حفص: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ما جاء الأوزاعي بشيء أعجب إلينا من هذا.

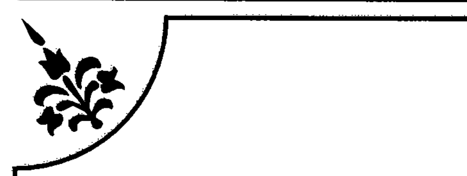
عن بشر بن الوليد. قال: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل، فقال له: يا أبا عمرو تكتب لي إلى والي بعلبك، فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: فرد الجرة وكتب له، فوضع عنه ثلاثين ديناراً.

عن أبي إسحاق الفزاري. قال: قال الأوزاعي: اصبر نفسك

على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله، لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين.






الباب الثالث

ذكر قوم أيدوا بطرف من المعارف بغير ترتيب لأيامهم وبلادهم






قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه: قد تقدم ذكر طبقات من الصحابة والتابعين وتابعيهم على ترتيب أيامهم وبلدانهم حسبما أذن الله تعالى فيه ويسره فله الحمد والمنة.

وعزمنا على ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد، المذكورين بالكد في الاجتهاد، والجد في التشمر والاستعداد، راغبين عن الاغترار بالزائل الفاني، سابقين إلى السامي النامي.

واعلموا أن الذين تقدم ذكرهم من الصحابة والتابعين فإن مثلهم في الناس كمثل المعادن والجواهر الذين لا يعرف مقامهم ومراتبهم إلا المستنبطون والغواص، والأكابر من السادة والخواص، لأنهم كانوا أعمدة الدين والأساس.

وهذه الطبقة التي قد عزمنا على الشروع في ذكرهم فهم قوم أيدوا بطرف من المعارف، وكوشفوا ببعض طرف الملاطف، فقطعوا به المفاوز والمخاوف وطيبوا ببعض نوافج الأطايب والعواطف، فسبيلهم في الناس، كالرياحين والآس، إذا أراد الله تعالى إنعاش بعض المجتذبين، واختطاف بعض المجتلبين، هطل على هذه الطبقة طشاً من سَحائب لطفه، وأهب عليهم نسمة من رياح عطفه، فيثير منهم نسيماً مما خصهم به من كراماته، فأيدهم به من آياته، يهيج بهم الوافدين، وينبه بهم الواسنين، لتكون طرق الحق في كل الأعصار مسلوكة، ولئلا توجد الأدلة والحجج متروكة، وهم أولياء الله وأصفياؤه، الذين يذكر الله برؤيتهم، ويسعد متبوعهم بصحبتهم

ومحبتهم، فذكرنا لكل واحد من أعلامهم شاهد أحواله، وظاهر أقواله. وهم أخلاط من العباد، وعدلنا عن ترتيب أيامهم والبلاد، فمن اشتهر بالرواية ذكرنا له حديثاً فما فوقه ومن لم تعرف له رواية اقتصرنا من كلامه على حكاية. والله خير معين، وبه نستعين.



الفصل الأول
ذكر قوم من أهل البصرة

٣٥٥ ـ حبيب الفارسي

فمنهم: حبيب أبو محمد الفارسي، من ساكني البصرة، كان صاحب المكرمات، مجاب الدعوات. وكان سبب إقباله على الآجلة، وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن بن أبي الحسن، فوقعت موعظته من قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه، ثقة بالله ومكتفياً بضمانه، فاشترى نفسه من الله عزّ وجلّ، وتصدق بأربعين ألفاً في أربع دفعات، تصدق بعشرة آلاف في أول النهار، فقال: يا رب اشتريت نفسي منك بهذا، ثم أتبعه بعشرة آلاف أخرى فقال: يا رب هذه شكراً لما وفقتني له، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال: رب إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى فقال: رب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها.

عن يونس. قال: جاء رجل إلى أبي محمد فشكى إليه ديناً عليه. فقال: اذهب واستقرض وأنا أضمن، قال: فأتى رجلاً فاقترض منه خمسمائة درهم وضمنها أبو محمد ثم جاء الرجل فقال: يا أبا محمد دراهمي قد أضرني حبسها، فقال: نعم! غداً فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى وجاء الرجل فقال له: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذه، قال: فذهب فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمسمائة، فرجع إليه

فقال: يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد فقال: اذهب هي لك.

عن السري بن يحيى. قال: قدم رجل من أهل خراسان، وقد باع ما كان له بها، وهمَّ بسكنى البصرة ومعه عشرة آلاف درهم، فلما قدم البصرة وهم بالخروج إلى مكة هو وامرأته، سأل لمن يودع العشرة آلاف درهم؟ فقيل: لحبيب أبي محمد فأتاه، فقال له: إني حاج وامرأتي، وهذه العشرة الآلاف درهم، أردت أن أشتري بها منزلاً بالبصرة، فإن وجدت منزلاً ويخف عليك أن تشتري لنا بها فافعل! وسار الرجل إلى مكة فأصاب الناس بالبصرة مجاعة، فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف دقيقاً ويتصدق به. فقالوا له: إنما وضعها لتشتري بها منزلاً، فقال: أتصدق بها وأشتري له بها من ربي عزّ وجلّ منزلاً في الجنة، فإن رضي وإلا دفعت إليه دراهمه. قال: فاشترى دقيقاً وخبزه وتصدق به، فلما قدم الخراساني من مكة أتى حبيباً فقال: يا أبا محمد أنا صاحب العشرة الآلاف، فما أدري اشتريت لنا بها منزلاً أو تردها علي فأشتري أنا بها؟ فقال: لقد اشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وثمار وأنهار، فانصرف الخراساني إلى امرأته فقال: أرى قد اشترى لنا حبيب أبو محمد منزلاً إني أراه كان لبعض الملوك قد عظم أمره وما فيه. قال: ثم أقمت يومين أو ثلاثة فأتيت حبيباً فقلت: يا أبا محمد المنزل فقال: قد اشتريت لك من ربي منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره ووصفائه، فانصرف الرجل إلى امرأته فقال لها: إن حبيباً إنما اشترى لنا من ربه المنزل في الجنة. فقالت: يا فلان أرجو أن يكون قد وفق الله حبيباً وما قدر ما يكون لبثنا في الدنيا فارجع إليه فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنزل، قال: فأتيت حبيباً فقلت له: يا أبا محمد قبلنا ما اشتريت لنا فاكتب لنا كتاب عهدة. فقال: نعم! فدعا من يكتب له الكتاب فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عزّ وجلّ لفلان الخراساني، اشترى له منه منزلاً في الجنة بقصوره

وأنهاره وأشجاره ووصفائه ووصيفاته بعشرة آلاف درهم فعلى ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراساني ويبرئ حبيباً من عهدته، فأخذ الخراساني الكتاب وانطلق به إلى امرأته فدفعه إليها فأقام الخراساني نحواً من أربعين يوماً ثم حضرته الوفاة فأوصى إلى امرأته إذا غسلتموني وكفنتموني فادفعي هذا الكتاب إليهم يجعلوه في أكفاني، ففعلوا.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت حبيباً يقول: أتانا سائل وقد عجنت عمرة وذهبت تجئ بنار تخبزه، فقلت للسائل: خذ العجين قال: فاحتمله فجاءت عمرة فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا يخبزونه فلما أكثرت علي أخبرتها. فقالت: سبحان الله لا بدّ لنا من شيء نأكله، قال: فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً فقالت عمرة: ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا معه لحماً.

عن جعفر. قال: سمعت حبيباً أبا محمد يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز، ولو أن الله دعاني يوم القيامة فقال يا حبيب فقلت: لبيك! قال جئتني بصلاة يوم أو صوم يوم أو ركعة أو تسبيحة اتقيت عليها من إبليس أن لا يكون طعن فيها طعنة فأفسدها، ما استطعت أن أقول نعم أي رب!

قال: وسمعت حبيباً أبا محمد يقول: لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يليكم.

عن جعفر. قال: كنا ننصرف من مجلس ثابت البناني فنأتي حبيباً أبا محمد فيحث على الصدقة، فإذا وقعت قام فتعلق بقرن معلق في بيته ثم يقول:

ها قد تغذيت وطابت نفسي ... فليس في الحي غلام مثلي

إلا غلام قد تغذى قبلي

سبحانك وحنانيك، خلقت فسويت، وقدرت فهديت، وأعطيت

فأغنيت، وأقنيت وعافيت، وعفوت وأعطيت، فلك الحمد على ما أعطيت، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، حمداً لا ينقطع أولاه، ولا ينفد أخراه، حمداً أنت منتهاه، فتكون الجنة عقباه، أنت الكريم الأعلى، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النعماء، وأنت ولي الحسنات، وأنت خليل إبراهيم لا يحفيك سائل، ولا ينقصك نائل، ولا يبلغ مدحك قول قائل، سجد وجهي لوجهك الكريم. ثم يخر فيسجد ونسجد معه، ثم يفرق الصدقة على من حضره من المساكين.

عن محمد بن ثابت. قال: قال حبيب أبو محمد: لا قرة عين لمن لا تقر عينه بك، ولا فرح لمن لا يفرح بك، وعزتك إنك تعلم أني أحبك.

عن جعفر. قال: كان حبيب أبو محمد رقيقاً من أكثر الناس بكاء، فبكى ذات ليلة بكاء كثيراً فقالت عمرة بالفارسية: لم تبكي يا أبا محمد؟ قال لها حبيب بالفارسية: دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبل.

قيل إنه أسند عن الحسن، وابن سيرين وهو وهم من قائله، فإن حبيباً الذي أسند عن الحسن وابن سيرين حبيب المعلم، وتحفظ له حكاية عن الفرزدق.

٣٥٦ ـ عبد الواحد بن زيد

ومنهم المنفلت من القيد، المتصيد للصيد، عبد الواحد بن زيد. كان عابداً زاهداً، وواعظاً عن المحاذر زائداً، وللقاصد المبادر رائداً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال لي أبو سليمان الداراني: أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء فإذا أراد أن يتوضأ انطلق، وإذا رجع إلى سريره عاد عليه الفالج.

عن السري بن حسان. قال: قال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.

عن مضر القارئ. قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: وعزتك لا أعلم لمحبتك فرحاً دون لقائك، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك، في دار كرامتك. فيا من أحلَّ الصادقين دار الكرامة، وأورث الباطلين منازل الندامة، اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفاً، وأعظمهم منزلة وقربة، تفضلاً منك عليَّ وعلى إخواني. يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها.

عن محمد بن عبد الله، عن عبد الواحد بن زيد. قال: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه، فذاك رجل في العابدين أعمى.

عن مسمع بن عاصم. قال: شهدت عبد الواحد بن زيد عاد مريضاً من إخوانه، فقال: ما تشتهي؟ قال: الجنة! قال: فعلامَ تأسُ من الدنيا إذا كانت هذه شهوتك؟ قال: آسى والله على مجالس الذكر ومذاكرة الرجال، بتعداد نعم الله! قال عبد الواحد: هذا والله خير الدنيا وبه يدرك خير الآخرة.

عن حصين بن القاسم. قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: طريق بين القلبين منخرقة لا يحجز المار فيها شيء، خروج الموعظة من قلب المتكلم تقع في قلب المستمع كما خرجت من قلب الواعظ لا يغيرها شيء.

عن مضر القارئ، عن عبد الواحد بن زيد. قال: كان الرجل إذا اشتكى إلى الحسن كثرة الذنوب، قال: اجعل بينك وبينها البحر.

قال: وسمعت الحسن يقول: إن لكل طريق مختصر، ومختصر طريق الجنة الجهاد.

عن معاذ بن زياد. قال: سمعت عبد الواحد بن زيد غير مرة يقول: ما يسرني أن لي جميع ما حوت عليه البصرة من الأموال والثمرة بفلسين.

عن الحارث بن عبيد. قال: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار، فكنت لا أفهم كثيراً من موعظة مالك، لكثرة بكاء عبد الواحد.

عن حاتم بن سليمان الطائي. قال: شهدت عبد الواحد بن زيد في جنازة حوشب، فلما دفن قال: رحمك الله يا أبا بشر فلقد كنت حذراً من مثل هذا اليوم، رحمك الله يا أبا بشر، فلقد كنت من الموت جزعاً، أما والله! لئن استطعت لأعملن رحلي بعد مصرعك هذا. قال ثم شمر بغد واجتهد.

عن حصين بن القاسم الوزان. قال: كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ؛ فناداه رجل من ناحية المسجد: كفَّ عنا يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي. قال: فلم يلتفت عبد الواحد إلى ذلك ومر في الموعظة، فلم يزل الرجل يقول: كف عنا يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد لا يقطع موعظته، حتى والله حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه ثم مات، فقال: أنا والله شهدت جنازته يومئذ، فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ.

عن حصين الوزان. قال: كان لعبد الواحد بن زيد ابنٌ متعبدٌ، وكان مع ذلك قد كفاه جميع أمره وحوائجه، قال: فمات الفتى فوجد به عبد الواحد وجداً شديداً، قال: فذكره ذات يوم فدمعت عيناه فقال: لقد نغص علي الحياة بعده. قال: ثم رجع، وقال: هل الحياة إلا متنغصة؟.

عن إسماعيل بن ذكوان. قال: قال عبد الواحد بن زيد: جالسوا

أهل الدين فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم.

عن مضر أبي سعيد، عن عبد الواحد بن زيد. قال: قلت لزياد النميري: ما منتهى الخوف؟ قال: إجلال الله عند مقام السوءات، قلت: فما منتهى الرجاء؟ قال: تأمل الله على كل الحالات.

عن مسلم العباداني. قال: قدم علينا مرة صالح المري وعبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام وسلمة الأسواري فنزلوا على الساحل قال: فهيأت لهم ذات ليلة طعاماً فدعوتهم إليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا قائل يقول من بعض أولئك المطوعة وهو على ساحل البحر ماراً رافعاً صوته يقول:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولـذة نـفـس غـيـهـا غـيـر نـافـع

قال: فصاح عتبة صيحة فسقط مغشياً عليه وبكى القوم ورفعنا الطعام وما ذاقوا منه والله لقمة واحدة.

عن بكر بن معاذ. قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من النيران، ألا وإنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله تعالى منها: يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من شدة العطش يوم القيامة: يا إخوتاه ألا تبكون بلى! فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله أن يسقيكموه في حظائر القدس مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، قال: ثم جعل يبكي حتى غشي عليه.

عن حصين بن القاسم الوزان. قال: لو قسم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب.

عن أبي عاصم العباداني. حدثني عبد الواحد بن زيد. قال: كنا

في غزاة لنا ونحن في العسكر الأعظم؛ فنزلنا منزلاً فنام أصحابي وقمت أقرأ جزئي. قال: فجعلت عيناي تغالباني وأغالبهما، حتى استتممت جزئي، فلما فرغت وأخذت مضجعي قلت: لو كنت نمت كما نام أصحابي كان أروح لبدني فإذا أصبحت قرأت جزئي؟ قال: فقلت هذه المقالة في نفسي والله ما حركت بها شفتاي، ولا سمعها أحد من الناس مني. قال: ثم نمت فرأيت في منامي كأني أرى شاباً جميلاً قد وقف علي وبيده ورقة بيضاء كأنها الفضة، فقلت: يا فتى ما هذه الورقة التي أراها بيدك؟ قال: فدفعها إلي فنظرت فإذا فيها مكتوب:

ينام من شاء على غفلة ... والنوم كالموت فلا تتكل

تنقطع الأعمال فيه كما ... تنقطع الدنيا عن المنتقل

قال وتغيب الفتى عني فلم أره! قال: فكان عبد الواحد يردد هذا الكلام كثيراً ويبكي، ويقول: فرق النوم بين المصلين وبين لذتهم في الصلاة، وبين الصائمين وبين لذتهم في الصيام، ويذكر أصناف الخير.

عن سوار الغنوي. قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما.

عن حصين بن القاسم الوزان. قال: قال عبد الواحد بن زيد: ما للعاملين والبطنة؟ إنما العامل تجزيه العلقة التي تقوم برمقه.

قال وسمعته يقول يوماً: عاهدت الله عهداً لا أحنث بعهدي عنده أبداً، قلت: ما هو يا أبا عبيدة؟ قال: اقصر يا حصين. قلت: أو ما تؤمل في إخبارك إياي خيراً من قدوة؟ قال: بلى! قلت: فأخبرني قال: عاهدته أن لا يراني نهاراً طاعماً أبداً حتى ألقاه، قال حصين: فإن كان ليشتد به المرض فيجتهد به إخوانه أن ينال شيئاً فيأبى ذلك حتى قضى عليه رحمه الله.

عن مضر القارئ. قال: قال لي عبد الواحد بن زيد: ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضا، وهي رأس المحبة.

عن ابن السماك، عن عبد الواحد بن زيد. قال: كان يقال من عمل بما علم؛ فتح الله له ما لا يعلم.

عن محمد بن عبد الله الخزاعي. قال: صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

عن مسمع بن عاصم. قال: قال عبد الواحد بن زيد: من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها وقواه لها؛ ومن نوى الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها.

قال: وقال لي: يا سيار أتراك تصبر لمحبته عن هواك فيخيب صبرك؟ لقد أساء بسيده الظن من ظن به هذا وشبهه، قال: ثم بكى عبد الواحد حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: بأبي أنت يا مسبغ نعمة غادية ورائحة على أهل معصيته فكيف ييأس من رحمته أهل محبته.

أسند عبد الواحد عن أسلم الكوفي، وعن الحسن البصري.

٣٥٧ ـ صالح بن بشير المري

[ت١٧٦هـ]

ومنهم القارئ الدري، والواعظ التقي، أبو بشر صالح بن بشير المري[١]. صاحب قراءة وشجن، ومخافة وحزن، يحرك الأخبار، ويفرك الأشرار.

---

(١) توفي صالح المري سنة ست وسبعين ومائة رحمه الله تعالى.

عن خالد بن خداش، عن صالح المري. قال: يا عجباً لقوم أمروا بالزاد، وأذنوا بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم، وهم يلعبون.

عن الحسن بن حسان. قال: كنا يوماً عند صالح المري وهو يتكلم ويعظ، فقال لرجل حدث بين يديه: اقرأ يا بني فقرأ الرجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[1] فقطع عليه صالح القراءة فقال: وكيف يكون للظالمين حميم أو شفيع؟ والطالب له رب العالمين، إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم؛ حفاة عراة مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم ذائبة أجسامهم، ينادون يا ويلاه يا ثبوراه!! ماذا نزل بنا، ماذا حلّ بنا، أين يذهب بنا ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها متكئين، ومرة يقادون إليها عنتاً مقرنين، من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا يستقر لفظاعة هوله على قرار قدمُك.

ثم نحب وصاح يا سوء منظراه! ويا سوء منقلباه! وبكى وبكى الناس.

فقام شاب به تأنيث فقال: أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟ قال: نعم! والله يا ابن أخي وما هو أكبر من ذلك!! لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فلا يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف، فصاح الفتى إنا لله واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة؟ ويا أسفي على تفريطي في طاعتك يا سيداه! واأسفاه على تضييع

(١) سورة غافر، الآية (١٨).

عمري في دار الدنيا! ثم بكى واستقبل القبلة ثم قال: اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلني على ما كان مني واعف عما تقدم من عملي وأقلني عثرتي وارحمني ومن حضرني، وتفضل علينا بجودك أجمعين يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقاً بذلك قلبي، فالويل لي إن أنت لم تقبلني، ثم غلب فسقط مغشياً عليه، فحمل من بين القوم صريعاً يبكون عليه ويدعون له.

وكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه يدعو الله له ويقول: بأبي قتيل القرآن، بأبي قتيل المواعظ والأحزان.

عن عبد الرحمن بن مهدي. فقال: جلست مع سفيان الثوري في مسجد صالح المري فتكلم صالح، فرأيت سفيان الثوري يبكي وقال: ليس هذا بقاص هذا نذير قوم.

عن خلف بن الوليد. قال: كان صالح المري إذا قص قال: هات جونة المسك والترياق المجرب - يعني القرآن - فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتى ينصرف.

عن عفان بن مسلم. قال: كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقص، فكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور، يذعرك أمره من حزنه وكثرة بكائه، كأنه ثكلى. وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء.

عن عبد الله بن محمد. قال: سمعت صالحاً المري يقول في كلامه: ألم تر كالغير عواقب فعلهم؛ أو لم تحرك الفكر على التنبيه لمصيرهم، بلى! والله لقد بان لك ذلك ولكنك شبت علمك بالغفلة، وأنت أولى من غيرك بما صنعت من نفسك. قال: ثم بكى وبكى الناس.

عن أحمد بن إسحاق الحضرمي. قال: سمعت صالحاً المري يقول: للبكاء دواع بالفكرة في الذنوب؛ فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت وإلا فاعرض عليها التقلب بين أطباق النيران. قال: ثم بكى وغشي عليه وتصايح الناس.

عن بشر بن ميمون النجدي. قال: سمعت صالحاً المري يقول في كلامه: وكيف تقر بالدنيا عين من عرفها؟ قال: ثم يبكي ويقول: خلفة الماضين، وبقية المتقدمين، رحلوا أنفسكم عنها قبل الرحيل، فكأن الأمر قريب نزل بكم.

عن أحمد بن إسحاق الحضرمي. قال: سمعت صالحاً المري يتمثل بهذا البيت في قصصه:

وغائب الموت لا ترجون رجعته … إذا ذووا غيبة من سفرة رجعوا

قال: ثم يبكي ويقول: هو والله السفر البعيد، فتزودوا لمراحله ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[1] واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم، فبادروا الموت، واعملوا له قبل حلوله، ثم يبكي.

عن أبي معاوية الغلابي. قال: كان كلام صالح المري يقطع القلب، ولو قلت إني لم أر رجلاً محزوناً مثله، وما سمعت كلام رجل قط أحسن منه.

عن أبي السائب العبدي. قال: أتانا صالح المري فدخل علينا، فقلت: من أين أقبلت يا أبا بشر؟ قال: أقبلت من منزلي أخوض المواضع حتى صرت إليكم، مررت بدار فلان فنادتني: يا صالح خذ موعظتك مني فقد نزلني فلان فارتحل، ونزلني فلان فارتحل، فقربت

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

بدار فلان فنادتني: يا صالح خذ موعظتك مني، نزلني فلان فارتحل، ونزلني فلان فارتحل، فجعل يعدد الدور داراً داراً حتى وصل إلينا.

عن عمار بن عثمان الحلبي. قال: سمعت صالحاً يقول: ما بينك وبين أن ترى لله عليك فيما تحب، إلا أن تعمل فيما بينك وبين خلقه فيما يحب، فحينئذ لا تفقد بره ولا تعدم في كل أمر خيره.

عن الأصمعي. قال: شهدت صالحاً المري عزى رجلاً على أبيه فقال له: لئن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة في نفسك؟ فمصيبتك بأبيك جلل في مصيبتك في نفسك، فإياها فابك!!

أسند صالح عن؛ الحسن، وثابت وقتادة، وبكر بن عبد الله المزني، ومنصور بن زاذان، وجعفر بن زيد، ويزيد الرقاشي، وميمون بن سياه، وأبان بن أبي عياش، ومحمد بن زياد، وهشام بن حسان، والجريري، وقيس بن سعد، وخليد بن حسان في آخرين.

٣٥٨ ـ عمران القصير

ومنهم الواعظ البصير، المحث على المسير إلى المصير. أبو بكر عمران القصير، كان التحفظ من شأنه. والتيقظ من مظانه.

عن عثمان بن زائدة، عن عمران القصير. قال: ألا صابر كريم لأيام قلائل، حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

عن جعفر، عن عمران القصير. قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم، فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، لولا ذلك لتهدموا.

عن زهير السلولي. قال: شهدت هارون بن رباب، مع مشايخ من شكله. فقال: ـ وعمران القصير يتكلم ـ قال: ومعهم فتيان شبان

جلوس فجعلوا يبكون والمشايخ لا تبكي، فقلت في نفسي: هؤلاء الفتيان خير من هؤلاء الشيوخ قال: فخرجوا من المجلس لما تقضى المجلس، والفتيان يحدث بعضهم بعضاً ويضحك بعضهم إلى بعض، قال وخرج المشايخ في الحال التي كانوا عليها كأنما على رؤوسهم الطير.

روى عمران عن أنس بن مالك ورآه، وأسند عن عطاء بن أبي رباح، وأبي رجاء العطاردي، والحسن، ومحمد بن سيرين وأخيه أنس، وقيس بن سعد، وعبد الله بن دينار، ونافع، وأبي غالب، وعبد الله بن أبي القلوص، وابن أبي نجيح.

وروى عنه الثوري، وشعبة.

٣٥٩ ـ غالب القطان

ومنهم المتعبد اليقظان، غالب بن خطاف القطان، كان في عبادة ربه راجحاً، ولعبيده وخلقه ناصحاً.

عن جعفر. قال: سمعت غالباً القطان. يقول في دعائه: اللهم ارحم في دار الدنيا غربتنا، وارحم لنزول الموت مصرعنا، وآنس في القبور وحشتنا، وارحم بسط أيدينا، وفغر أفواهنا، ومنشر وجوهنا، وارحم وقوفنا بين يديك.

عن بشر بن المفضل، عن غالب. قال: قلت للحسن: إن من جلسائك من يقول إذا كان يوم الجمعة فلا تقل اللهم اغفر لنا، فإن في المسجد الشرطي واللوطي وذكر أشياء من هذا النحو؟ فقال: أيها الرجل اجتهد في الدعاء، وعم في النصيحة، فإنما أنت شافع، فإن أعطاك الله ما تريد فذاك، وإلا رد عليك فضل نصيحتك.

أسند غالب عن الحسن، وبكر بن عبد الله المزني، وغيرهما من الأئمة والأعلام، متفق على إمامته وثقته.

٣٦٠ ـ سلام بن أبي مطيع

ومنهم الشاكر الرفيع، والشاهد السميع، سلام بن أبي مطيع.

شكر فارتفع، وشهد فاستمع.

عن هدبة بن خالد. قال: كان سلام بن أبي مطيع إذا قام يصلي كأنه شيء ملقى لا يتحرك.

عن محمد بن يحيى النيسابوري، عن سلام. قال: كن لنعمة الله عليك في دينك، أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك.

عن عبد الله بن المبارك. قال: قال سلام: الزاهد على ثلاثة وجوه؛ واحد أن تخلص العمل لله والقول، ولا يراد بشيء منه الدنيا، والثاني ترك ما لا يصلح، والعمل بما يصلح، والثالث الحلال وهو أن يزهد فيه وهو تطوع وهو أدناها.

عن سعيد بن عامر. قال: قال سلام: متى شئت أن ترى من النعمة عليك أكثر منها عليه رأيته، قال سلام: إي والله، إن أغلقت عليك بابك جاءك من يدق عليك بابك يسألك ليعرفك الله نعمته عليك.

عن أبي زهير الغساني، عن سلام بن أبي مطيع. قال: دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن، فقلت: اذكر المطرحين في الطرق، واذكر الذين لا مأوى لهم ولا من يخدمهم. قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئن، فجعل يقول: اذكر المطرحين في الطرق، واذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم.

عن عبد الله بن محمد التيمي، عن سلام: وكان من عقلاء الرجال.

أدرك سلام الحسن، وثابتاً، ومالك بن دينار. وسمع من قتادة،

وشعيب بن الحبحاب، ومعمر، وذويهم. ومن الكوفيين سعيد بن مسروق، وجابر الجعفي.

حدث عنه عبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن المبارك، وطبقتهما.

٣٦١ ـ رياح بن عمرو القيسي

ومنهم المتخشع البكاء، المتضرع الدعاء، أبو المهاجر رياح بن عمرو القيسي.

عن مالك بن ضيغم، عن أبيه. قال: جاءنا رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر، فقلنا: هو نائم، فقال: أنوم بعد العصر؟ هذه الساعة؟ هذا وقت نوم؟ ثم ولى. فأتبعناه رجلاً فقلنا: الحقه فقل: نوقظه لك، قال: فجاء بعد المغرب فقلنا: أبلغته؟ قال: هو كان أشغل من أن يفهم عني، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يوبخ نفسه، أقلت: أي نوع هذا، لينم الرجل متى شاء، تسألين عما لا يعنيك، أما إن لله عز وجل عليّ عهداً لا أنقضه فيما بيني وبينه أبداً، أن لا أوسدك النوم حولاً. قال: فلما سمعت منه هذا تركته وانصرفت.

عن الحارث بن سعيد. قال: أخذ بيدي رياح القيسي يوماً فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على ممر الساعات ونحن على هذه الحال، قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خر مغشياً عليه، قال: فجلست والله عند رأسه أبكي، قال: فأفاق فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك، قال: لنفسك فابك، ثم قال: وانفساه، وانفساه، ثم غشي عليه. قال: فرحمته والله مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق، قال: فوثب وهو يقول: تلك إذاً كرة خاسرة، تلك إذاً كرة خاسرة، ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى منزله، فدخل وصفق بابه ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات رحمة الله تعالى عليه.

عن إسحاق بن إبراهيم الثقفي. حدثني رياح بن عمرو القيسي قال: أتيت الأبرد بن ضرار في بني سعد، فقال لي: يا رياح هل طالت بك الليالي والأيام؟ فقلت له: بِمَ؟ قال: بالشوق إلى لقاء الله، قال: فسكت ولم أقل شيئاً حتى أتيت رابعة، فقلت لها: تلثمي بثوبك، واستتري بجهدك، فقد سألني الأبرد مسألة لم أقل فيها شيئاً، فقالت: ما سألك؟ فقلت لها قال لي: هل طالت بك الأيام والليالي بالشوق إلى لقاء الله، قالت لي رابعة: فقلت: ماذا؟ قلت: لم أقل نعم فأكذب، ولم أقل لا فأهجن نفسي، قال: فسمعت تخريق قميصها من وراء ثوبها وهي تقول: لكني نعم!.

عن معاذ أبي عون الضرير. قال: كنت أكون قريباً من الجبان، فكان يمر بي رياح القيسي بعد المغرب إذا خلت الطريق، وكنت أسمعه وهو ينشج بالبكاء ويقول: إلى كم يا ليل ويا نهار تحطان من أجلي، وأنا غافل عما يراد بي، إنا لله، إنا لله، فهو كذلك حتى يغيب عني وجهه.

عن علي بن الحسن بن أبي مريم. قال: قال رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة.

عن عبيد الله بن محمد التيمي. قال: قال رياح القيسي: لا أجعل لبطني على عقلي سبيلاً أيام الدنيا، فكان لا يشبع، إنما كان يأكل بلغه بقدر ما يمسك الرمق.

عن عبد المؤمن الصائغ. قال: دعوت رياحاً ذات ليلة إلى منزلي ونحن بعبادان، فجاء في السحر، فقربت إليه طعاماً فأصاب منه شيئاً، فقلت: ازدد فما أراك شبعت، قال: فصاح صيحة أفزعني وقال: كيف أشبع في أيام الدنيا وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي؟! قال: فرفعت الطعام من بين يديه فقلت: أنت في شيء، ونحن في شيء.

عن محمد بن يحيى. قال: قال رياح القيسي: كما لا تنظر

الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبداً.

عن عبد الله بن عمرو. قال: نظرت رابعة إلى رياح وهو يقبل صبياً من أهله ويضمه إليه، فقالت: أتحبه؟ قال: نعم! قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه، قال: فصرخ رياح وخر مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول: رحمة منه تعالى ذكره، ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

أسند رياح عن حسان بن أبي سنان وغيره.

٣٦٢ ـ حوشب بن مسلم

ومنهم السابق المقدم، أبو بشر حوشب بن مسلم، كان في العباد عارفاً، وعن الدنيا عازفاً[١].

عن حوشب، عن الحسن. قال: سألته قلت: يا أبا سعيد، رجل آتاه الله مالاً فهو يحج منه، ويصل منه، ويتصدق منه، أله أن يتنعم فيه؟ فقال الحسن: لا، لو كانت الدنيا له ما كان له إلا الكفاف، ويقدم فضل ذلك ليوم فقره وفاقته، إنما كان المتمسك من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أخذ عنهم من التابعين كانوا يكرهون أن يتخذوا العقد والأموال في الدنيا ليركنوا إليها ولتشتد ظهورهم، فكانوا ما آتاهم الله من رزق أخذوا منه الكفاف وقدموا فضل ذلك ليوم فقرهم وفاقتهم، ثم حوائجهم بعد في أمر دينهم ودنياهم، وفيما بينهم وبين الله عز وجل.

روى عن الحسن وغيره.

---

(١) معظم ما جاء في ترجمة حوشب، إنما هو روايات عن شيخه الحسن البصري.

٣٦٣ ـ سعيد بن إياس الجريري

ومنهم الموقن بالمعبود، المقيم على رعاية العهود سعيد بن إياس الجريري أبو مسعود.

عن سلام بن أبي مطيع. قال: أتينا الجريري وكان من مشايخ أهل البصرة، وكان قدم من الحج، فجعل يقول: أبلانا الله في سفرنا كذا، وأبلانا في سفرنا كذا، ثم قال: كان يقال إن تعداد النعم من الشكر.

عن حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري. قال: كانوا يجعلون أول نهارهم لقضاء حوائجهم، وإصلاح معايشهم، وآخر النهار لعبادة ربهم وصلاتهم.

عن عوانة. قال: كنا نأتي سعيد الجريري أيام العشر، فيقول: هي أيام شغل وابن آدم إلى الملالة أقرب.

عن سعيد الجريري. قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، حتى متى؟ قال: ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين.

عن أحمد بن أبي الحواري، عن سعيد الجريري قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: تزعم أنك لا تسألني شيئاً، فإذا قلت ما شاء الله فقد سألتني كل شيء.

عن أحمد بن أبي الحواري، عن الجريري. قال: بينا داود عليه السلام على باب مجلسه جالس، ومعه جليس له من بني إسرائيل، إذ مر به رجل فاستطال عليه، فغضب جليسه الإسرائيلي، فقال له داود عليه السلام: لا تغضب فإني قد علمت أني قد أحدثت بيني وبين ربي حدثاً، فسلط علي هذا، فدعني حتى أدخل وأتنصل إلى ربي من الحدث الذي كان مني، حتى يعود هذا فيقبل أسفل قدمي، قال:

فدخل وتوضأ وصلى ركعتين واعتذر إلى ربه عز وجل من الحدث الذي حدث منه، ثم عاد إلى مجلسه، وعاد الرجل نادماً، فانكب يقبل رجل داود عليه السلام وقال: يا نبي الله اغفر لي، فقال داود عليه السلام: اذهب فقد علمت من أين أتيت.

أسند الجريري عن الجماهير من التابعين.

وأدرك من الصحابة أبا الطفيل رضي الله تعالى عنهم.

٣٦٤ ـ الفضل بن عيسى الرقاشي

ومنهم الواعظ الناصح، المنقى من العار الفاضح، كان يلاحظ الإكساب ولا ينشرح للانتحاب، الفضل بن عيسى الرقاشي.

عن عبيد الله بن أبي المغيرة القرشي. قال: كتب إليّ الفضل بن عيسى أما بعد؛ فإن الدار التي أصبحنا فيها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء موصوفة، كل ما فيها إلى زوال ونفاد، بينا أهلها منها في رخآء وسرور، إذ صيرتهم في وعثاء ووعور.

أحوالها مختلفة، وطبقاتها منصرفة، يضربون ببلائها، ويمتحنون برخائها، العيش فيها مذموم، والسرور فيها لا يدوم، وكيف يدوم عيش تغيره الآفات، وتنوبه الفجيعات، وتفجع فيها الرزايا، وتسوق أهلها المنايا.

إنما هم بها أعراض مستهدفة، والحتوف لهم مستشرفة، ترميهم بسهامها، وتغشاهم بحمامها، ولا بد من الورود بمشارعه، والمعاينة لفظائعه.

أمر سبق من الله في قضائه، وعزم عليه في إمضائه. فليس منه مذهب، ولا عنه مهرب، ألا فأخبث بدار يقلص ظلها ويفنى أهلها، إنما هم بها سفر نازلون، وأهل ظعن شاخصون.

كأن قد انقلبت الحال، وتنادوا بالارتحال، فأصبحت منهم قفاراً

قد انهارت دعائمها، وتنكرت معالمها، واستبدلوا بها القبور الموحشة، التي استبطنت بالخراب، وأسست بالتراب، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل موحشين، وذوي محلة متشاسعين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران، قد اقتربوا في المنازل، وتشاغلوا عن التواصل، فلم أر مثلهم جيران محلة لا يتزاورون على ما بينهم من الجوار، وتقارب الديار، وأنى ذلك منهم وقد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى، وصاروا بعد الحياة رفاتاً، قد فجع بهم الأحباب، وارتهنوا فليس لهم إياب.

وكأن قد صرنا إلى ما صاروا، فنرتهن في ذلك المضجع، ويضمنا ذلك المستودع، يؤخذ بالقهر والاعتسار، وليس ينفع منه شفق الحذار، والسلام.

عن عتبة بن هارون. قال: مر فضل الرقاشي وأنا معه بمقبرة، فقال: يا أيها الديار الموحشة التي نطق بالخراب فناؤها، وشيد في التراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، في محلة المتشاغلين، لا يتواصلون تواصل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران.

عن عبيد الله بن محمد. قال: سمعت أبي يقول: قال فضل الرقاشي: ما تلذذ المتلذذون، ولا استطارت قلوبهم بشيء كحسن الصوت بالقرآن، وكل قلب لا يجب[1] على حسن الصوت بالقرآن فهو قلب ميت. قال الفضل: وأي عين لا تهمل على حسن الصوت إلا عين غافل أو لاه.

عن الحكم بن أبان. قال: قال الفضل بن عيسى: إذا احتضر

---

(١) لا يجب: الوجيب: الاضطراب.

ابن آدم قيل للملك الذي كان يكتب له: كف، قال: لا وما أدري لعله يقول لا إله إلا الله فأكتبها له.

عن محمد بن الحسين، عن أبيه. قال: قال الفضل الرقاشي: إذا كمد الحزن فتر، وإذا فتر انقطع.

أسند الكثير، وأكثر روايته عن محمد بن المنكدر أحاديث لم يتابع عليها.

٣٦٥ ـ كهمس الدّعاء

ومنهم الورع البكاء، كهمس بن الحسن أبو عبد الله الدعاء.

عن عمارة بن زاذان. قال: قال كهمس: يا أبا سلمة، أذنبت ذنباً فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، قلت: وما هو يا أبا عبد الله؟ قال: زارني أخ لي فاشتريت له سمكاً بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فمسح بها يده، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة.

عن أبي عبد الرحمن الحنفي. قال: سقط من كهمس دينار في الطريق، فرجع في طلبه، قال: فوجده، فلما صار في يده قال: أحمد، ما أدري أهو ديناري أو غيره.

عن الهيثم بن معاوية، عن شيخ من أصحابه. قال: كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا ملَّ قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء، فوالله ما رضيتك لله ساعة قط.

عن سعيد بن عامر. قال: مر بكهمس فارس زمن الفتنة وكهمس آخذ بعزلى راوية، فقال: اسقني، فقال: أحمد ربي! لئن كنت من هؤلاء ما أسقيتك.

عن سعيد بن عامر. قال: كان كهمس رجلاً صالحاً من بني

حنيفة، وكان يعمل في الجصاصات وكان يؤذن، وكان يقوم على أمه حتى ماتت، ثم خرج فأقام بمكة حتى مات.

عن الحسن بن نوح بن عبد الملك بن قريب. قال: كان كهمس يعمل في الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه.

عن غسان بن المفضل. حدثني رجل من قريش. قال: كان عمرو بن عبيد يأتي كهمساً يسلم عليه، ويجلس عنده هو وأصحابه، فقالت له أمه: إني أرى هذا وأصحابه وأكرههم وما يعجبوني فلا تجالسهم، قال: فجاء إليه عمرو وأصحابه فأشرف عليهم فقال: إن أمي قد كرهتك وأصحابك فلا تأتوني.

عن هشام بن حسان. قال: دخلنا على كهمس وهو بمكة، وهو في دار لسليمان بن علي على المسعى قد اشتراها بأربعين ألف دينار، قال هشام: وقد أنفق عليها مثلها، قال: فدخلها عليه بعد العصر، فرفع إنسان رأسه من أصحابنا فنظر إلى سقف البيت فقال: يا أبا عبد الملك يسرك أن هذه الدار لك تأكل غلتها؟ فقال كهمس: لا والله ما يسرني لو أنها لي بأربعة دراهم، قال هشام: فلا أرى رجلاً يحلف على يمين بعد العصر وهو كاذب.

عن يحيى بن كثير صاحب البصري. قال: اشترى كهمس دقيقاً بدرهم، فأكل منه، فلما طال عليه كاله فإذا هو كما وضعه، فجعل بعد لا يأخذ منه شيئاً إلا نقص حتى فني.

عن الأصمعي، عن إسحاق بن إبراهيم. قال: دخلت عن كهمس العابد فقرب إلينا اثنتي عشرة بسرة حمراء، وقال: هذا الجهد من أخيكم والله المستعان.

أسند كهمس عن جماهير التابعين ومشاهيرهم.

٣٦٦ ـ عطاء السليمي

ومنهم ذو الخوف العظيم، والقلب السليم، عطاء السليمي.

أنحله الفزع، وأذبله الضرع، فكانت المعرفة ذمامه، والمخافة زمامه.

عن بشر بن منصور. قال: قلت لعطاء السليمي: أرأيت لو أن ناراً أوقدت فقيل لرجل من دخل هذه النار دخل الجنة، ترى أن أحداً من الناس يدخل فيها؟ قال: إني أظن لو قيل لي ذلك لخرجت نفسي قبل أن أدخل فيها فرحاً.

عن نعيم بن مورع. قال: أتينا عطاء السليمي وكان عابداً، فدخلنا عليه فجعل يقول: ويل لعطاء، ليت عطاء لم تلده أمه، وعليه مدرعة، فلم يزل كذلك حتى اصفرت الشمس، فذكرنا بعد منازلنا فقمنا وتركناه، وكان يقول في دعائه: اللهم ارحم غربتي في الدنيا، وارحم مصرعي عند الموت، وارحم وحدتي في قبري، وارحم قيامي بين يديك.

عن أبي سليمان. قال: كان عطاء السليمي قد اشتد خوفه، وكان لا يسأل أبداً الجنة، فإذا ذكرت عنده الجنة قال: نسأل الله العفو.

عن أبي جعفر السائح قال: كان عطاء السليمي يقول: التمسوا لي هذه الأحاديث في الرخص، عسى الله أن يروح عني ما أنا فيه من الغم.

عن نعيم بن مورع بن توبة العنبري. قال: كان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى بكاءً شديداً، فيقال له في ذلك فيقول: إني أريد أن أقدم على أمر عظيم أريد أن أقوم بين يدي الله عز وجل!!

عن العلاء بن محمد. قال: دخلت على عطاء السليمي وقد

غشي عليه، فقلت لامرأته أم جعفر: ما شأن عطاء؟ فقالت: سجرت جارتنا التنور فنظر إليها فخر مغشياً عليه.

عن صالح المري. قال: كان عطاء السليمي قد أضر بنفسه حتى ضعف، قال: فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك شيئاً فلا ترد علي كرامتي، قال: أفعل، قال: فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت، وسمنا فجعلت له شريبة فلتتها وحليتها فأرسلت بها مع ابني وكوزاً من ماء فقلت له: لا تبرح حتى يشربها، قال: فرجع فقال: قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرحت بها مع ابني، فرجع بها لم يشربها، قال: فأتيته فلمته وقلت له: سبحان الله رددت علي كرامتي!! إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله، قال: فلما رآني قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بشر لا يسؤك الله، قَدْ شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد زاولت نفسي على أن أسيغها فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربه ذكرت هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾[1] الآية. فبكى صالح عندها، فقلت في نفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر؟!.

عن بكار عن سعير. قال: مررت بعطاء السليمي فقال: من أين جئت؟ قلت: من عند أخيك الحسن، قال: فما قال؟ قلت: قال: الدنيا مطية المؤمن إلى ربه، عليها يرتحل المؤمن إلى ربه، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم، قال: فخر عطاء مغشياً عليه.

عن العلاء بن محمد البصري. قال: شهدت عطاء السليمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صلى عليها، كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق، فإذا نظر إلى الجبان خر مغشياً عليه.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٧٠).

عن بشر بن منصور. قال: كنت أسمع عطاء السليمي كل عشية بعد العصر يقول: غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر.

عن عفيرة. قالت: لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط، ففتق فتقاً في بطنه.

عن العلاء بن محمد. قال: رأيت عطاء السليمي كالشن البالي، وكنت إذا رأيت عطاء كأنه رجل ليس من أهل الدنيا، ودخلت عليه فقالت امرأته: أما ترى عطاء بكى الليل والنهار لا يفيق!!

عن جعفر. قال: هاجت ريح بالبصرة وظلمة، قال: فتشاغل الناس إلى المساجد، قال: فقلت: أنا إلى من أذهب؟ قال: فأتيت عطاء فإذا هو قائم في الحجرة ويده على رأسه، قال وهو يقول: إلهي لم أكن أرى أن تبقيني حتى تريني أعلام القيامة، قال: فما زال قائماً في مقامه ذلك حتى أصبح.

عن محمد بن صالح الضبي. قال: قال عطاء السليمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوقنا فقال له: إن في الجنة حوراً يتباهى بها أهل الجنة من حسنها، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها، قال: فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين عاماً.

عن إبراهيم بن أدهم. قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه مخافة أن يكون قد مسخ، وكان إذا انتبه يقول: ويحك يا عطاء ويحك.

عن عبد الخالق بن عبد الله العبدي. قال: كان عطاء إذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر، فوقف على أهل القبور، ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتتاه، ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم فواعملاه، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

عن مخلد. قال: ما رأيت أحداً كان أفضل من عطاء، فلقد كانت الفاكهة تمر بما فيها، لا يعلم سعرها ولا يعرفها.

عن صالح المري. قال: قال لي عطاء: يا أبا بشر أشتهي الموت ولا أرى أن لي فيه راحة، غير أني قد علمت أن الميت قد حيل بينه وبين الأعمال فاستراح من أن يعمل بمعصية، فيحبط على نفسه، والحي في كل يوم هو من نفسه على وجل، وآخر ذلك كله الموت.

عن صالح المري. قال: قلت لعطاء السليمي ما تشتهي؟ فبكى فقال: أشتهي والله يا أبا بشر أن أكون رماداً، لا يجتمع منه سفة أبداً في الدنيا ولا في الآخرة. قال صالح: فأبكاني والله، وعلمت أنه إنما أراد النجاة من عسر يوم الحساب.

عن بشر بن منصور. قال: كان عطاء السليمي يقول: رب ارحم في الدنيا غربتي وفي القبر وحدتي، وطول مقامي غدا بين يديك.

عن عبد الرحمن بن زيد. قال: دخلنا على عطاء السليمي وهو في الموت، فنظر إليّ أتنفس فقال: ما لك؟ فقلت: من أجلك، فقال: والله لوددت أن نفسي بقيت بين لهاتي وحنجرتي تتردد إلى يوم القيامة مخافة أن تخرج إلى النار.

عن مسكين أبي فاطمة. قال: سمعت عطاء السليمي يقول: بلغنا أن الشهوة والهوى يغلبان العلم والعقل والبيان.

عن سفيان بن عيينة. قال: حدثونا، قال: كان إذا قالوا لعطاء السليمي: ادع لنا قال: اللهم لا تمقتنا، فإن كنت مقتنا فاغفر لنا.

عن حماد بن زيد. قال: رجعنا من جنازة فدخلنا على عطاء السليمي، فلما رآنا كأنه خاف أن يدخله شيء - أي لكثرتنا -، فقال: اللهم لا تمقتنا - أو اللهم لا تمقتني - ثم قال: سمعت جعفر بن زيد العبدي يقول: مر رجل فجلس فأثنوا عليه خيراً فلما جاوزهم قام

وقال: اللهم إن كان هؤلاء يعرفوني فأنت تعرفني.

عن إبراهيم بن يعقوب. قال: كان عطاء السليمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ ببطنه، كأنه امرأة ماخض، ويقول: قد كنت أرجو أن أموت قبل أن يجيء الشتاء.

أدرك عطاء السليمي أنس بن مالك وأيامه، ولم يسند عنه شيئاً، ولقي الحسن، وعبد الله بن غالب الحداني، ومالك بن دينار، وجعفر بن زيد العبدي وسمع منهم، وحكى عنهم.

٣٦٧ ـ عتبة الغلام

ومنهم الحر الهمام، المجلو من الظلام، المكلوء بالشهادة والكلام، عتبة بن أبان الغلام.

كشف له الغطاء، ونظف له الوطاء، فخفف عنه البطاء.

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: سأل رجل رباحاً القيسي ـ وأنا شاهد ـ فقال له: يا أبا المهاجر لأي شيء سمي عتبة الغلام؟ قال: كان نصفاً من الرجال، ولكنا كنا نسميه الغلام لأنه كان في العبادة غلام رهان.

عن عبيد الله بن محمد. قال: عتبة الغلام هو عتبة بن أبان بن صمعة، مات قبل أبيه.

عن حسين. قال: قال عبد الواحد بن زيد: بمن تشبِّه حزن هذا الغلام؟ ـ يعني عتبة ـ قلت: بحزن الحسن، قال: والله ما أبعدت.

عن مخلد بن الحسين. قال: جاءنا عتبة الغلام، فقلنا له ما جاء بك؟ قال: جئت أغزو، قال: قلت مثلك يغزو؟ قال: إني رأيت في المنام أني آتي المصيصة فأغزو فأستشهد، قال: فنودي يوماً في الخيل

فنفر الناس، وجاء عتبة راجعاً من حاجته، فلما دخل من باب الجهاد استقبله رجل فقال: هل لك في فرسي وسلاحي فإني قد اعتللت؟ قال: نعم! قال: فنزل الرجل ودفعه إليه، قال: فمضى مع الناس فلقوا الروم فكان أول رجل استشهد.

عن أبي حسن بن اليسع. قال: لقي عبد الواحد بن زيد عتبة الغلام في رحبة القصابين في يوم شات شديد البرد، فإذا هو يرفض عرقاً، فقال له عبد الواحد: عتبة! قال: نعم! قال: فما شأنك؟ ما لك تعرق في مثل هذا اليوم؟ قال: خير، قال: لتخبرني، قال: خير، قال: فقال للأنس الذي بيني وبينك والإخاء إلا ما أخبرتني، قال: إني والله ذكرت ذنباً أصبته في هذا المكان، فهذا الذي رأيت من أجل ذلك.

عن بكر. قال: كان عتبة الغلام يأخذ دقيقه فيبله بالماء فيعجنه ويضعه في الشمس حتى يجف، فإذا كان الليل جاء فأخذه وأكل منه لقماً، قال: ثم يأخذ الكوز فيغرف من جب كان في الشمس نهاره، فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك، وبردت لك الماء، فيقول لها: يا أم فلان قد سددت عني كلب الجوع.

عن عبد الله بن الفرج العابد. قال: كان عتبة يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله، ويقول كسرة وملح حتى يهيأ في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب.

عن أبي عمر البصري. قال: كان رأس مال عتبة فلساً فيشتري بالفلس الخوص، فإذا عمله باعه بثلاث فلوس، ففلس يتصدق به، وفلس يتخذه رأس ماله، وفلس يشتري به شيئاً يفطر عليه. قال أبو يوسف: أظن الدانق يومئذ بثلاث فلوس كبار.

عن محمد بن مستور ـ وكان رجلاً عابداً من بني راسب ـ. قال: جاءنا عتبة الغلام إلى الكلأ، قال: فلما أمسينا قلت لأصحابه: اشتروا لحماً بدرهم واطبخوه سكباجاً حتى يتعشى به عتبة، قال: فلما

صلى العشاء فقدناه، قال: قلت: اطلبوه، قال: فطلبوه فوجدوه في بيت من أبيات قد أخذ سويق دقيق كان معه فجعله في خرقة فصب عليه ماء وهو يأكل منه وعيناه تذرفان، قال: قلت: سبحان الله إخوانك قد عملوا لك شيئاً، قال: هذا يكفيني.

عن مخلد بن الحسين. قال: كان عتبة يجالسنا عند باب هشام بن حسان، وقال لنا يوماً ـ يعني عتبة ـ إنه لا يعجبني رجل لا يكون في يده حرفة، فقلنا له: هو ذا تجالسنا أنت وما نراك تحترف، فقال: بلى إني لأحترف، رأس مالي طسوج[1] أشتري به خوصاً أعمله وأبيعه بثلاث طساسيج، فطسوج رأس مالي، وقيراط خبزي.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي. قال: سألت يوسف بن عطية فقلت: ما كان لباس عتبة؟ قال: كان يلبس كسائين أغبرين، يتزر بواحدة ويرتدي بأخرى، إذا رأيته قلت بعض الأكرة[2].

قال إبراهيم: وكان عتبة عربياً شريفاً من عوذ.

عن أحمد بن زهير المروزي. قال: ركب عتبة في زورق مع قوم، قال: فأراد الملاح أن يعدل ببعضهم السفينة، قال: فلم يجد أحداً منهم أحقر في عينه من عتبة. قال: فضرب جنبه وقال: استو، فقال عتبة: الحمد لله الذي لم يرَ فيهم أحقر في عينيه مني.

عن أبي المحبر بن قحذم. قال: قال سليمان بن علي لبعض أصحابه: ويحك أين عتبة هذا الذي قد افتتن به أهل البصرة؟ قال: فخرج به في الجيش حتى أتى به الجبان فوقف به على عتبة وهو لا يعلم، منكس رأسه بيده عود، ينكت عليه الأرض، فوقف عليه فسلم، فرفع رأسه فنظر إليه فقال: وعليكم السلام ورحمة الله

---

(١) طسوج: يساوي ربع دانق.

(٢) الأكرة: جمع أكار، وهو الأجير.

وبركاته، قال: كيف أنت يا عتبة؟ قال: بحال بين حالين، قال: ما هما؟ قال: قدوم على الله بخير أم بشر. ثم نكس رأسه وجعل ينكت الأرض فقال سليمان بن علي: أرى عتبة قد أحرز نفسه ولا يبالي ما أصبحنا فيه وأمسينا. ثم قال: يا عتبة قد أمرت لك بألفي درهم، قال: أقبلها منك أيها الأمير على أن تقضي لي معها حاجة؟ قال: نعم! وسر سليمان، فقال: وما حاجتك! فقال: تعفيني منها، قال: قد فعلت. قال: ثم ولى عنه منصرفاً وهو يبكي ويقول: قصَّر إلينا عتبة ما نحن فيه.

عن عبد الله بن عون. قال: سمعت أبا حفص يقول: كان عتبة مع قرابة له على ظهر الطريق يكلمه، فجعل ذلك لا يأبه لكلامه، قال: فقال عتبة: ألا تكلمني؟ قال: أما رأيت إلى أمير البصرة مر بمن معه؟ قال: ما علمت.

عن مضر. قال: قال رجل لعبد الواحد بن زيد: يا أبا عبيدة تعلم أحداً يمشي في الطريق، مشتغلاً بنفسه لا يعرفه أحد يقول من كثرة أشغاله؟ قال: ما أعرف أحداً إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عتبة، قال: وطريقه على السوق، قال: فقال له: يا عتبة من رأيت ومن تلقاك في الطريق؟ قال: ما رأيت أحداً.

عن أبي المهاجر القيسي. قال: قال عتبة: لولا ما قد نهينا عنه من تمني الموت لتمنيته، قلت: ولِمَ تتمنى الموت؟ قال: لي فيه خلتان حسنتان، قلت: وما هما؟ قال: الراحة من معاشرة الفجار، ورجاءً لمجاورة الأبرار، قال: ثم بكى وقال: أستغفر الله وما يؤمنني أن يقرن بيني وبين الشيطان في سلسلة من حديد ثم يقذف بي في النار، ثم غشي عليه.

عن أحمد بن خالد الوهبي. قال: سمعت بعض أصحابنا يقول:

غشي على عتبة الغلام فأفاق وهو يقول: ارحم من تجرأ عليك وأكل بالدين، فنظروا في دينه فإذا عليه فلسان.

عن سليم النحيف. قال: رمقت عتبة ذات ليلة، فما زاد ليلته تلك على هذه الكلمات، إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب، قال: فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر.

عن عنبسة الخواص. قال: كان عتبة يزورني، فربما بات عندي، قال: فبات عندي ذات ليلة فبكى من السحر بكاءً شديداً، فلما أصبح قلت له: قد فزعت قلبي الليلة ببكائك ففيم ذاك يا أخي؟ قال: يا عنبسة إني والله ذكرت يوم العرض على الله، ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان، قد اشتدت حمرتهما، قال: ثم أزبد وجعل يخور، فناديته: عتبة عتبة، فأجابني بصوت خفي: قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين، قال: ويردده ثم جعل يحشرج البكاء ويردده حشرجة الموت ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟! قال: فلم يزل يرددها حتى والله أبكاني.

عن أبي عبد الله الشحام. قال: كان عتبة يبيت عندي، قال: فكان يبيت في بيت وحده، قال عبد الله فقلت له: ما كانت عبادته؟ قال: كان يستقبل القبلة فلا يزال في فكر وبكاء حتى يصبح، قال: وربما جاءني وهو ممسٍ فيقول: أخرج إلي شربة من ماء أو تمرات أفطر عليها فيكون لك مثل أجري.

عن الحسن بن أبي جعفر. قال: سمعت عتبة يقول: من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أطاعه ومن أطاع الله أكرمه، ومن أكرمه أسكنه في جواره، ومن أسكنه في جواره فطوباه، وطوباه، وطوباه، وطوباه فلم يزل يقول وطوباه حتى خرَّ ساقطاً مغشياً عليه.

عن عبد الواحد بن زيد. قال: ربما سهرت مفكراً في طول حزنه ـ يعني عتبة ـ ولقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال: إنما أبكي على تقصيري.

عن عبد الله بن المبشر ـ من ولد توبة العنبري ـ قال: دعا عتبة ربه أن يمن عليه بصوت حزين، ودمع غزير، وغذاء من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، قال: وكانت دموعه جارية دهره، قال: وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته لا يدري من أين يأتيه.

عن عبد الخالق العبدي. قال: كان لعتبة بيت كان يتعبد فيه، فلما خرج إلى الشام أقفله، وقال: لا تفتحوه إلى أن يبلغكم موتي، فلما بلغهم قتله فتحوه فأصابوا فيه قبراً محفوراً، وغلا حديداً.

٣٦٨ ـ بشر بن منصور السليمي

ومنهم المتعبد العليم، المتوجد السليم، بشر بن منصور السليمي، رحمه الله. استحلى الوحدة والأذكار، وسلم من الفتنة والأخطار.

عن العباس بن الوليد بن نصر. قال: أتينا بشر بن منصور بعد العصر، فخرج إلينا وكأنه متغير، فقلت له يا أبا محمد لعلنا شغلناك عن شيء؟ فردَّ ردّاً ضعيفاً ثم قال: ما أكتمكم ـ أو كلمة نحوها ـ كنت أقرأ في المصحف ـ أي شغلتموني ـ ثم قال لنا: ما أكاد ألقى أحداً فأربح عليه شيئاً، أو نحو هذا.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: كان بشر بن منصور يقول لي: اجعل العلم فضلاً ـ يعني في الساعات التي لا شغل فيها ـ.

عن عبد الرحمن. قال: واعدت بشر بن منصور أنا وأبو الخصيب عبد الله بن ثعلبة، وبشر بن السري في أن نأتيه فلما أتيناه قال: استخرت الله في مجيئكم إليّ فكان الغالب على قلبي أن ألا تجيئوا.

قال عبد الرحمن: وأتاني مرة في حاجة فقلت له: ألا بعثت إليّ حتى آتيك؟ قال لا، الحاجة لي.

قال عبد الرحمن: وعرضت عليه دابة يركب يرجع عليها؟ قال أكره أن أعود نفسي هذه العادة.

عن عمارة بن يحيى. قال: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: أيبعث الرجل بالسلام إلى أهل الرجل؟ قال نعم! وقد كان بشر بن منصور - ولم أر مثله قط - إذا أتاني بعث إلى أهلنا بالسلام، وإن حفظ الإخاء من الدين، والكرم من الدين.

قال: وسألت عبد الرحمن عن الرجل يسلم على القوم وهم يأكلون وهو صاحب هوى أو فاسق، أيدعونه إلى طعامهم؟ قال نعم! قال لي بشر بن منصور: إني لأدعو إلى طعامي من لو نبذت إلى الكلب كان أحب إلي من أن يأكله.

قال عبد الرحمن: وليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام.

❁ ❁ ❁

عن غسان بن الفضل. قال: كان بشر بن منصور من الذين إذا رؤوا ذكر الله، وإذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة، رجل منبسط ليس بمتماوت، ذكي فقيه.

قال غسان: وكان بشر رجلاً من العرب، وعلم بنيه عمل الخوص.

قال غسان: حدثني أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور. قال: بشر بن منصور ما فاتته التكبيرة الأولى قط، ولا رأيته قام في مسجدنا سائل قط فلم يعط شيئاً إلا أعطاه، وأوصاني في كتبه أن أغسلها أو أدفنها. قال غسان: وكنت أرى بشراً إذا رآه الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه، وفعل بي ذاك كثيراً. وقال لي

بشر: رأيت من يأتي الفقهاء والقصاص أرقَّ قلباً ممن لا يأتي القصاص.

عن عبد الخالق أبي همام الزهراني. قال: قال بشر بن منصور: أقلَّ من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون، قال: فإن كان شيء - يعني فضيحة في القيامة - كان من يعرفك قليلاً.

عن سهل بن منصور. قال: كان بشر يصلي يوماً بأطال الصلاة ورأى رجلاً ينظر إليه ففطن له بشر، فقال للرجل: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة كذا وكذا.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: قلت لبشر بن منصور: إنا لنجلس مجلس خير وبركة قال: نعم المجلس، قال: قلت له: إنه ربما لم يجلس إلي فكأني أغتم، قال: إن كنت تشتهي أن يجلس إليك؟! اترك هذا المجلس.

عن زهير السجستاني أبي عبد الرحمن. قال: سمعت بشر بن منصور يقول: ما جلست إلي أحد ولا جلس إلي أحد، فقمت من عنده أو قام من عندي، إلا علمت أني لو لم أقعد إليه أو يقعد إلي كان خيراً لي.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: قال بشر بن منصور: إني لأذكر الشيء من أمر الدنيا ألهي به نفسي عن ذكر الآخرة، أخاف على عقلي.

عن محمد بن قدامة. قال: لما احتضر بشر بن منصور قيل له: أوص بدينك، قال أنا أرجو ربي لذنبي، أفلا أرجوه لديني؟ فلما مات قضى عنه دينه بعض إخوانه.

عن ابن عيينة. قال: قال رجل لبشر بن منصور: عظني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

أسند الكثير، روايته عن الأئمة والأعلام.

٣٦٩ - عبد العزيز بن سلمان

ومنهم الواله العيمان[1]، الوارد العطشان، عبد العزيز بن سلمان. رحمه الله، الخوف أضناه، والرجاء أسلاه.

عن أبي طارق التبان. قال: كان عبد العزيز بن سلمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد.

عن مسمع بن عاصم. قال: بت أنا وعبد العزيز بن سلمان، وكلاب بن جري، وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل، فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت، ثم بكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان لبكائهم، وبكيت والله لبكائهم، ثم لا أدري ما أبكاهم!! فلما كان بعد سألت عبد العزيز فقلت: أبا محمد ما الذي أبكاك ليلتك؟ قال إني نظرت والله إلى أمواج البحر تموج وتحيك، فذكرت أطباق النيران وزفراتها، فذاك الذي أبكاني، ثم سألت كلاباً وسلمان فقالا لي نحواً من ذلك، قال: فما كان في القوم شرٌ مني، ما كان بكائي إلا لبكائهم، رحمة لما كانوا يصنعون بأنفسهم.

عن محمد بن الحسين. حدثني محمد بن عبد العزيز بن سلمان. قال: كنت أسمع أبي يقول: عجبت ممن عرف الموت كيف تقر في الدنيا عينه، أم كيف تطيب بها نفسه، أم كيف لا يتصدع قلبه فيها؟

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قيل لعبد العزيز الراسبي - وكانت رابعة تسميه سيد العابدين - ما بقي مما تلذ به؟ قال سرداب أخلو به فيه.

---

(١) رجل عيمان أيمان: ذهبت إبله، وماتت أقرانه.

٣٧٠ ـ عبد الله بن ثعلبة

ومنهم التائه الكلفي، البكاء الدنفي، عبد الله بن ثعلبة الحنفي. هيَّمه الحب، وتيَّمه القرب.

عن أبي عروة ـ وكان جاراً لعبد الله بن ثعلبة ـ. قال: بكى عبد الله حتى انمحق خداه من الدموع، وكان يقول:

لكل أناس مَقْبَر بفنائهم   فهم ينقصون والقبور تزيد
فهم جيرة الأحياء أما مزارهم   فدان وأما الملتقى فبعيد

عن محمد بن علي الهاشمي. قال: قال عبد الله بن ثعلبة: إذا أمسيت فالله يحفظك بأحراسه، فإذا أصبحت غدوت على معاصيه خلافاً له، فإذا أمسيت أعاد أحراسه إليك، لا يمنعه ما كان منك.

عن حامد بن عمر البكراوي. قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد واحزناه على الحزن.

عن عبد الصمد بن محمد، عن أبيه. قال: قال عبد الله بن ثعلبة: إلَهي من كرمك فكأنك تطاع ولا تعصى، ومن ذلك أنك تعصى فكأنك لا ترى، وأي زمن لم تعصك فيه سكان أرضك، وكنت والله بالخير عليهم عواداً.

عن يوسف بن أبي عبد الله. قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار!!

٣٧١ ـ المغيرة بن حبيب

ومنهم المسارع اللبيب، المغيرة بن حبيب، فارق الشهوات، وعانق القربات.

عن جعفر بن سليمان. قال: شهدت أيوب السختياني يغسل المغيرة بن حبيب، ختن مالك بن دينار، قال فقال: اللهم أدخل

المغيرة الجنة فإني لا أعلم المغيرة إلا كان حريصاً عليها. قال: ثم قال: أما والله ما كان المغيرة عندنا بدون صاحبه ـ يعني مالك بن دينار ـ.

عن جعفر. قال: سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح ختن مالك بن دينار يقول: قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار لا أعلم ما عمله؟ قال فصليت معه العشاء الآخرة ثم مضيت، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل، وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل، ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار، قال فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، قال: ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ويقول يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار، قال: فوالله ما زال كذلك حتى طلع الفجر. قال: فقلت لنفسي والله لئن خرج مالك فرآني لاقلقن باله أبداً، قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

عن صعدي بن أبي الحجر. قال: كنا ندخل على المغيرة فنقول: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا مغرقين في النعم، موقرين من الشكر، يتحبب إلينا ربنا، وهو عنا غني، ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون.

عن جعفر. قال: سمعت مالك بن دينار يقول للمغيرة بن حبيب ما لا أحصي ـ وكان ختنه يا مغيرة ـ: كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته.

عن جعفر. قال: شهدت المغيرة جاء إلى مالك بن دينار ـ لما ماتت ابنة مالك بن دينار وهي امرأة المغيرة ـ، فقال له: يا أبا يحيى انظر ما يصيبك من ميراث ابنتك فخذه. قال اذهب يا مغيرة فهو لك.

روى المغيرة عن صهره مالك بن دينار، وهو عزيز الحديث.

٣٧٢ ـ حماد بن سلمة

[ت١٦٨هـ]

ومنهم المجتهد في العبادة، المعدود في الإمامة، أبو سلمة حماد بن سلمة[١]. كان لخطير الأعمال مصطنعاً، وبيسير الأقوات مقتنعاً.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

عن عفان بن مسلم. قال: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله، من حماد بن سلمة.

عن موسى بن إسماعيل. قال: لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً قط صدقتكم، كان مشغولاً بنفسه إما أن يحدث، وإما أن يقرأ، وإما أن يسبح وإما أن يصلي. كان قد قسم النهار على هذه الأعمال.

عن حماد بن زيد. قال: ما كنا نأتي أحداً نتعلم شيئاً بنية من ذلك الزمان إلا حماد بن سلمة، ونحن نقول اليوم: ما نأتي أحداً تعلم بنية إلا حماد بن سلمة.

عن يونس بن محمد. قال: مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي.

عن سوار بن عبد الله بن سوار. قال: كان حماد بن سلمة يبيع الخُمُر[٢]، وكان يغدو إلى السوق، فإذا كسب حبة أو حبتين شد سفطه، وأغلق حانوته وانصرف.

---

(١) توفي حماد بن سلمة رحمه الله سنة ثمان وستين ومائة.

(٢) الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة وجهها.

عن محمد بن إسماعيل البخاري. قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة أترى يغفر الله لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبوي.

عن موسى بن إسماعيل. قال: سمعت حماد بن سلمة يقول لرجل: إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه قل هو الله أحد فلا تأته.

عن آدم بن إياس. قال: شهدت حماد بن سلمة ودعوه - يعني السلطان - فقال: أحمل لحية حمراء لهؤلاء؟! لا والله لا فعلت.

عن محمد بن الحجاج. قال: كان رجل يسمع معنا عند حماد بن سلمة، فركب إلى الصين، فلما رجع أهدى إلى حماد بن سلمة هدية، فقال له حماد: إني إن قبلتها لم أحدثك بحديث، وإن لم أقبلها حدثتك. قال: لا تقبلها وحدثني.

أسند حماد بن سلمة عن من لا يحصون من التابعين والأعلام.

٣٧٣ - حماد بن زيد

[ت١٧٩هـ]

ومنهم الإمام الرشيد، الآخذ بالأصل الوكيد، المتمسك بالمنهج الحميد. نزل من العلوم بالمحل الرفيع، وتوصل إلى الأصول بالوسيط المنيع، اقتبس الآثار عن الأخيار، وأخذ الأعمال عن الأبرار، أكبر فوائده في الأقضية والأحكام، وأبلغ مواعظه في مراعاة الأبنية والأعلام. أبو إسماعيل حماد بن زيد[1].

(١) توفي حماد بن زيد رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة، وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: ما رأيت أحداً أعرف بالسنة من حماد بن زيد.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: من أدركت من الناس كان الأئمة منهم أربعة؛ مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن سعيد، وذكر الرابع ونسيته، إن لم يكن قال ابن المبارك: فلا أدري من هو؟.

عن أبي عاصم. قال: مات حماد بن زيد يوم مات ولا أعلم له في الإسلام نظيراً في هيبته، ودله، أظنه قال وسمته.

عن خالد بن خداش. قال: حماد بن زيد من عقلاء الناس، وذوي الألباب.

عن خالد بن خداش. قال: سمعت حماد بن زيد يقول: لئن قلت إن علياً أفضل من عثمان لقد قلت إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا.

عن يزيد بن زريع. قال: يوم مات حماد بن زيد: مات اليوم سيد المسلمين.

عن حماد بن زيد. قال: اجتمع أيوب السختياني ويونس بن عبيد وابن عون وثابت البناني في بيت.

فقال ثابت: يا هؤلاء كيف يكون العبد إذا دعا الله فاستجاب له دعاءه؟

قال ابن عون: يكون البلاء في نفسه.

قال ثابت: فإنه يعرضه العجب بما صنع الله به.

فقال يونس بن عبيد: لا يكون العبد يعجب بصنع الله به إلا وهو مستدرج.

فقال أيوب: وما علامة المستدرج؟ قال: إن العبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها، وأبقى عليها ثم شكر الله، أعطاه الله أشرف من المنزلة الأولى، وإذا هو ضيع الشكر استدرجه الله، وكان تضييعه للشكر استدراجاً من الله له، وإن العبد المستدرج يكون له فيما بينه وبين الله تيسير وحبس، فعليه ينكر العجب عن معرفة الاستدراج، وإن العبد المستدرج إذا ألقي في قلبه شيء من الشكر، حمله شكره على التفقد من أين أتي، فإذا عرف ذلك خضع وإذا خضع أقال الله عثرته.

قال حماد: إن ابن عمر سئل عن الاستدراج فقال: ذاك مكْرُهُ بالعباد المضيعين.

قال: فبكوا جميعاً، ثم رفع أيوب يده من بينهم وقال: يا عالم الغيب والشهادة لا توفيق لنا إن لم توفقنا، ولا قوة لنا إن لم تقونا. فقال يونس: به وجدنا طعم القوة من دعائك يا أبا بكر. قال: وكان أيوب يعرفه أصحابه أن له دعوة مستجابة.

أدرك حماد معظم التابعين من البصريين، وغيرهم.

٣٧٤ ـ زياد بن عبد الله النميري

ومنهم القائم المتهجد، والصائم المتعبد، ابتدر الفوت، وانتظر الموت، زياد بن عبد الله النميري.

عن صالح المري. قال: قال لي زياد النميري: منذ زمن طويل أتاني آت في منامي فقال: قم يا زياد إلى عبادتك من التهجد، وحظك من قيام الليل، فهو والله خير لك من نومة توهن بدنك، وينكسر لها قلبك. قال فاستيقظت مرعوباً، ثم عادني والله النوم فأتاني ذلك ـ أو غيره ـ فقال: قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين، قال: فوثبت فزعاً.

عن عمارة بن زاذان. قال: سمعت زياد النميري يقول: لو كان

لي من الموت أجل أعرف مدته، لكنت حرياً بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحاً أو مساء؟ ثم خنقته عبرته فقام.

عن عبد الواحد بن الخطاب. قال: سمعت زياد النميري - ونحن في جنازة وذكروا القيامة -: فقال زياد من مات فقد قامت قيامته.

أسند عن أنس بن مالك.

٣٧٥ - هشام بن حسان

[ت١٤٨هـ]

ومنهم المترقب ذو الأحزان، المتيقظ ذو الأشجان، هشام بن حسان[١]. أكثر كلامه ما أسنده عن أستاذه الحسن بن أبي الحسن، لزمه عشر سنين[٢].

عن هشام عن الحسن. قال: كان آدم عليه السلام قبل أن يصيب الخطيئة أجله بين عينيه وأمله خلفه، فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه، وأجله خلف ظهره.

عن حماد بن زيد. قال: ما رأيت مثل مجلس هشام بن حسان أحسن سمتاً وهدياً، وإن كان ليحدث فيبكي وتجري الدموع على لحيته من غير تكلح ولا تقبض.

أدرك هشام الأئمة والأعلام، واقتبس عنهم الأقضية والأحكام.

سمع محمد بن سيرين، وقتادة، وعكرمة، وهشام بن عروة.

---

(١) توفي هشام بن حسان رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائة (الصفوة).

(٢) جميع ما أورده المصنف في الترجمة هو مما رواه هشام عن أستاذه الحسن البصري مما سبق ذكره في ترجمة الحسن.

٣٧٦ ـ هشام الدستوائي

ومنهم المخلص في الرعاية، السلس في الرواية، كان للذكر أليفاً، وللخوف حليفاً، هشام بن أبي عبد الله الدستوائي[١].

عن سعيد بن عامر، عن هشام الدستوائي. قال: كنا نختلف إلى رجل من الفقهاء سماه، فلما وقع الطاعون كانت ركعتان يصليهما أحدنا أحب إليه من طلب الحديث.

عن شعبة. قال: ما أقول لكم إن أحداً طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا هشاماً الدستوائي، وإن كان يقول: ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافاً لا لنا ولا علينا.

عن عمرو بن الهيثم بن قطن. قال: ما رأيت أحداً أكثر ذكراً للموت من هشام الدستوائي.

عن مسلم بن إبراهيم. قال: كان هشام الدستوائي لا يطفئ السراج إلى الصبح، وقال: إذا رأيت الظلمة ذكرت ظلمة القبر.

عن أبي زيد الهروي. قال: سمعت هشاماً الدستوائي يقول: وددت أن هذا الحديث ماء فاسقيكموه.

عن أبي نعيم. قال: قدمت البصرة فلم أرَ بها أفضل من رجلين، هشام الدستوائي، وحماد بن سلمة.

عن ابن المبارك. قال: سمعت هشاماً الدستوائي يقول: عجب للعالم كيف يضحك!!

عن أبي عبيدة الحداد، عن هشام الدستوائي. قال: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: يا معشر العلماء، مثلكم مثل الدفلي[٢]

---

(١) توفي هشام الدستوائي رحمه الله سنة ثلاث وخمسين ومائة. (الصفوة).

(٢) الدفلي: شجر ذو ورد أحمر.

يعجب ورده من نظر إليه، ويقتل طعمه من أكله. كلامكم دواء ولم يبرئ الداء، وأعمالكم داء لا تقبل الدواء، الحكمة تخرج من أفواهكم، وليس بينها وبين آذانكم إلا أربع أصابع، ثم لا تعيها قلوبكم!! معشر العلماء إن الله إنما يبسط لكم الدنيا لتعملوا، ولم يبسط لكم لتطغوا! معشر العلماء كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به؟ العلم فوق رؤوسكم، والعمل تحت أقدامكم، فلا أحرار كرام، ولا عبيد أتقياء؟!

سمع هشام الأئمة والأعلام، قتادة، ويحيى بن أبي كثير، وطبقتهما من البصريين، وحماد بن أبي سليمان وطبقته من الكوفيين، وأبا الزبير وطبقته من المكيين.

٣٧٧ ـ جعفر الضبيعي

ومنهم الضبيعي جعفر بن سليمان صحب العُبَّاد، ونقل عنهم وعن الزهاد.

صحب مالك بن دينار، وثابتاً البناني[١]، وأبا عمران الجوني، وأبا التياح، وفرقداً السبخي، وشميط بن عجلان.

عن جعفر بن سليمان. قال: اختلفت إلى مالك بن دينار عشر سنين، وإلى ثابت البناني عشر سنين، وصليت مع مالك بن دينار العتمة عشر سنين، وكان يقرأ في كل ليلة في المغرب إذا زلزلت والعاديات.

عن سليمان، عن جعفر. قال: كنت إذا رأيت من قلبي قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع، وكان وجهه كأنه وجه ثكلى.

(١) معظم بل جميع ما جاء في هذه الترجمة، أخبار رواها جعفر عن مالك بن دينار. وثابت البناني، وأبي عمران الجوني. وقد سبق ذكرها في ترجماتهم، فلا فائدة من إعادتها.

أسند جعفر عن ثابت، والجعد بن أبي عثمان، وعن أبي هارون العبدي والنضر بن معبد، وأبي طارق السعدي، ويزيد الرشك، وغيرهم.

٣٧٨ ـ الربيع بن برة

ومنهم المفيق من الغرة، والمحذر من المضرة والمعرة، المشوق إلى الحبور والمسرة، الربيع بن عبد الرحمن المعروف بابن برة.

عن محمد بن سنان. قال: سمعت الربيع بن بَرّة يقول: ابنَ آدم إنما أنت جيفة منتنة، طيَّبَ نسيمك ما رُكب فيك من روح الحياة، فلو قد نزع منك روحك، ألقيت جثة ملقاة، وجيفة منتنة، وجسداً خاوياً، قد جيَّف بعد طيب ريحه، واستوحش منه بعد الأنس بقربه، فأي الخليقة ابن آدم منك أجهل، وأي الخليقة منك أعجب، إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك وأن التراب مقيلك، ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تقر بالدنيا عيناً، أما سمعته يقول: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1] أما والله ما حداك على الصبر والشكر إلا لعظيم ثوابهما عنده لأوليائه، أما سمعته يقول جل ثناؤه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]. أو ما سمعته يقول عز شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]. فهاهما منزلتان عظيمتا الثواب عند الله قد بذلهما لك، يا ابن آدم فمن أعظم في الدنيا منك غفلة؟ أو من أطول في القيامة حسرة؟ إن كنت ترغب عما رغب لك فيه مولاك، وأنك تقرأ في الليل والنهار في الصباح والمساء ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[4].

---

(١) سورة سبأ، الآية (١٩).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٣) سورة الزمر، الآية (١٠).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٤٠).

عن عباد بن الوليد القرشي. قال: قال الربيع بن برة: عجبت للخلائق كيف ذهلوا عن أمر حق تراه عيونهم، وشهد عليه معاقدُ قلوبهم، إيماناً وتصديقاً بما جاء به المرسلون، ثم هاهم في غفلة عنه سكارى يلعبون، ثم يقول: وأيم الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم، ونعمة من الله عليهم، ولولا ذلك لألفى المؤمنون طائشة عقولهم، طائرة أفئدتهم، محلقة قلوبهم، لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبداً، حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك أكياس مجتهدون، قد تعجلوا إلى مليكهم بالاشتياق إليه بما يرضيه عنهم قبل قدومهم عليه، فكأني والله أنظر إلى القوم قد قدموا على ما قدموا من القربة إلى الله تعالى مسرورين، والملائكة من حولهم يقدمونهم على الله مستبشرين، يقولون: سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون.

عن داود بن المحبر، عن أبيه. قال: مر بنا الربيع بن برة ونحن نسوي نعشاً لميت، فقال: من هذا الغريب بين أظهركم؟ قلنا: ليس بغريب بل هو قريب حبيب، قال: فبكى وقال: ومن أغرب من الميت بين الأحياء!! قال: فبكى القوم جميعاً.

عن محمد بن سلام الجمحي. قال: كان الربيع بن برة يقول: نصب المتقون الوعيد من الله أمامهم، فنظرتْ إليه قلوبهم بتصديق وتحقيق، فهم والله في الدنيا منغصون، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب وارتاحت إلى حلول ذلك، فهم والله إلى الآخرة متطلعون، بين وعيد هائل، ووعد حق صادق، فلا ينفكون من خوف وعيد إلا رجعوا إلى تشوق موعود، فهم كذلك وعلى ذلك، حتى يأتي أمر الله، ثم يبكي.

عن محمد بن سلام. قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه: قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا

حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة، فيا أخوتاه! نشدتكم بالله هل تعلمون مؤمناً بالله أغر ولنقمه أقل حذراً من قوم هجمت به الغير على مصارع النادمين، فطاشت عقولهم، وضلت حلومهم عندما رأوا من العبر والأمثال، ثم رجعوا من ذلك إلى غير عقله ولا نقله. فبالله يا إخوتاه هل رأيتم عاقلاً رضي من حاله لنفسه بمثل هذه حالاً؟ والله، عباد الله لتبلغن من طاعة الله تعالى رضاه، أو لتنكرن ما تعرفون من حسن بلائه، وتواتر نعمائه إن تحسن أيها المرء يحسن إليك، وإن تسيء فعلى نفسك بالعتب، فارجع فقد بين وحذر وأنذر، فما للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

عن عاصم الخلقاني. قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: إن لله عباداً أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام، رجاء أن ينير ذلك لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت، فرأت فيه ما رجت من عظم ثواب الله، فازدادوا والله بذلك جداً واجتهاداً عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تقر أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم، قال: ثم بكى حتى بلّ لحيته بالدموع.

عن الربيع بن برة. قال: إنما يحب البقاء من كان عمره له غنماً، وزيادة في عمله، فأما من غبن عمره واستتر له هواه فلا خير له في طول الحياة.

الربيع بن برة تعزّ مسانيده، وقيل: إنه أسند عن الحسن.

٣٧٩ ـ عوسجة العقيلي

ومنهم عوسجة العقيلي، كان مشاهداً مكابداً، يحث على المشاهدة والتولي، ويدعو إلى الوحدة والتخلي.

عن عبد الرحمن بن بديل العقيلي، عن عوسجة العقيلي. قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام؛ يا عيسى ابن مريم أنزلني من نفسك كهمك، واجعلني ذخراً لك في معادك، تقرب إلي بالنوافل أدنك، وتوكل علي أكفِك، ولا تولَّ غيري فأخذلَك، واصبر على البلاء، وارض بالقضاء، وكن كمسرتي فيك فإن مسرتي فيك أن أطاع فلا أعصى، وكن مني قريباً، وأحيي لي ذكراً بلسانك، ولتكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة، وأحكم لي لطف الفطنة، وكن لي راغباً وراهباً، وأمتْ قلبك بالخشية لي، وراع الليل لتجزى مسرتي، واظمأ لي من نهارك ليوم الري عندي.

امش في الخيرات جهدك، ولتعرف بالخير حيث ما توجهت، واحكم لي في عبادي بنصيحتي، وقم في الخلائق بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء من وساوس الصدور، ومن مرض الشيطان، وجلاء الأبصار، ومن عشا الكلال، ولا تك كأنك فلس معبور، وأنت حي تتنفس.

يا عيسى ابن مريم حقاً أقول لك: ما آمنت بي خليقة إلا خشعت لي، ولا خشعت إلا رجت ثوابي وأشهدك أنها آمنة من عقابي، ما لم تبدل أو تغير سنتي.

يا عيسى ابن مريم ابن البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء مودع الأهل، وخلى الدنيا وترك اللذات لأهلها من بعده، وارتفعت رغبته فيما عند إلّهه، وكن يقظان إذ نامت عيون الأبرار، حذراً لما هو آتٍ من أمر المعاد، وزلازل الأهوال، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال، واكحل عينك بملمول[1] الحزن إذا ضحك البطالون، وابك بكاء من قد علم أنه مودع للملم النازل الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد معه، وكن في ذلك صابراً محتسباً.

---

(١) الملمول: الميل الذي يكتحل به.

فطوبى لك إن نالك ما وعدت الصابرين، فرح من الدنيا بالله يوماً فيوماً، وذق مذاقه ما قد هرب منك أين طعمه، وما لم يأتك كيف لذته، حقاً ما أقول لك ما أنت إلا بساعتك ويومك، افرح من الدنيا بالبلغة، وليكفك منها الجشر الجشيب. قد رأيت إلام تصير، مكتوب عليك ما أخذت وكيف رتعت، فاعمل على حساب فإنك مسؤول لو رأت عيناك ما أعددت لأوليائي الصالحين لتاب قلبك، وزهقت نفسك، اشتياقاً إليه.

٣٨٠ ـ خزيمة أبو محمد العابد[1]

ومنهن خزيمة أبو محمد العابد، كان عن الوضيعة حائداً، وإلى الرفيعة رائداً.

عن خزيمة أبي محمد ـ وكان من العابدين ـ. قال: دخل أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم على داود الطائي فقال: ما رأيت أحداً رضي من الدنيا بمثل ما رضيت به؟! فقال: يا يعقوب من رضي بالدنيا بمثل كلها عرضاً عن الآخرة فذلك الذي رضي بأقل مما رضيت به.

عن أبي محمد خزيمة. قال: قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني، قال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة، قال: كيف لي بذلك؟ قال: ازهد في الدنيا.

عن خزيمة أبي محمد؛ أن رجلاً أتى بعض الزهاد فقال له الزاهد: ما جاء بك؟ قال: بلغني زهدك، قال: أفلا أدلك على من هو أزهد مني؟ قال: ومن هو؟ قال: أنت، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك زهدت في الجنة وما أعد الله فيها، وزهدت أنا في الدنيا على فنائها وذم الله إياها، فأنت أزهد مني!!

---

(١) تكرر ترجمة خزيمة مرة أخرى برقم (٤٧٣).

عن خزيمة أبي محمد قال: كانت دعوة بكر بن عبد الله المزني لمن لقي من إخوانه أن يقول له: زهدنا الله وإياك زهادة من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات، فعلم أن الله سبحانه وتعالى يراه فتركه.

٣٨١ ـ خليفة العبدي

ومنهم خليفة العبدي، كان للفكرة والخدمة مستلذاً، ومن لوامع العبرة مستمداً، رضي الله تعالى عنه.

عن جعفر بن سليمان. قال: سمعت خليفة العبدي ـ وكان متعبداً ـ يقول: لو أن الله لم يعبد إلا عن روية، ما عبده أحد، ولكنّ المؤمنون تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء فملأ كل شيء، وغطى كل شيء، وفي مجيء سلطان النهار إذا جاء فمحى سلطانَ الليل، وفي السحاب المسخر بين السماء والأرض وفي النجوم، وفي الشتاء، وفي الصيف، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم، حتى أيقنت قلوبهم بربهم، وحتى كأنما عبدوا الله تعالى عن روية.

عن هلال بن دارم بن قيس الدارمي. قال: كان خليفة العبدي جاراً لنا، فكان يقوم إذا هدأت العيون فيقول: اللهم إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر.

عن هلال بن دارم. قال: وحدثتني عجوز تكون معه ـ يعني خليفة ـ في الدار قالت: فكنت أسمعه إذا دعا في السحر يقول: قام المبطلون وقمت معهم، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك، فكم من ذي جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه، وكم من ذي ضر كثير قد كشفت له عن ضره، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفنا من جودك وكرمك، فأنت المؤمَل لكل خير، والمرجو عند كل نائبة.

٣٨٢ ـ الربيع بن صبيح

ومنهم ذو العقل الرجيح، والعمل النجيح، الربيع بن صبيح[(١)]، رضي الله تعالى عنهم.

عن الربيع بن صبيح، عن الحسن. قال: إن العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا أوطنا، وأنشد:

يجول الغنى والعز في كل موطن ليستوطنا قلب امرئ إن توكلا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه وكان له فيما يحاول معقلا
إذا رضيت نفسي بمقدور حظها تعالت وكانت أفضل الناس منزلا

أسند عن الحسن، ومحمد بن سيرين، ويزيد الرقاشي، وغيرهم.

٣٨٣ ـ علي بن علي الرفاعي

ومنهم علي بن علي الرفاعي، كان مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه يسميه راهب العرب، وكان شعبة رضي الله تعالى عنه يقول: اذهبوا بنا إلى سيدنا وابن سيدنا علي الرفاعي رضي الله تعالى عنه.

عن ابن الجعد. أخبرني علي بن علي الرفاعي عن الحسن. قال: بينما رجلان من صدر هذه الأمة يتراجعان بينهما أمر الناس، فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك ما تَبَّرَ الناس ـ أي ما أهلكهم ـ عن هذا الأمر، بعدما زعموا أن قد أمنوا؟ قال فجعل يقول: ضعف الناس والذنوب، والشيطان، قال: وجعل يعرض بأمور لا توافق الرجل في نفسه، فلما رأى ذلك قال: بلى بطأ بهم عن هذا الأمر بعدما زعموا

---

(١) كل ما أورده المصنف في ترجمته، إنما هو أخبار رواها عن شيخه الحسن البصري. وقد سبق ذكرها، فلم تكن حاجة لإعادتها.

أن قد أمنوا، أن الله أشهد الدنيا، وغيب الآخرة، فأخذ الناس بالشاهد وتركوا الغائب، والذي نفس عبد الله بن قيس بيده لو أن الله تعالى قرن إحداهما إلى جانب الأخرى حتى يعاينهما الناس ما عدلوا ولا مالوا.

أسند علي بن علي عن أبي المتوكل الناجي وغيره رضي الله عنهم أجمعين.

٣٨٤ ـ إبراهيم بن عبد الله

ومنهم إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود، راوي الرسالة عن الحسن إلى عمر بن عبد العزيز، رضي الله تعالى عنهم[1].

٣٨٥ ـ معاوية بن عبد الكريم

ومنهم معاوية بن عبد الكريم رضي الله تعالى عنه.

عن معاوية بن عبد الكريم. قال: ذكروا عند الحسن الزهد فقال بعضهم: اللباس، وقال بعضهم: المطعم، وقال بعضهم كذا، وقال الحسن: لستم في شيء، الزاهد: إذا رأى أحداً قال هو أفضل مني.

روى معاوية عن؛ الحسن، ومحمد بن سيرين، وأبي رجاء العطاردي وبكر بن عبد الله المزني، وعطاء، وقيس بن سعد وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.



(١) ذكر المصنف هنا بعض نص الرسالة التي أرسلها الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله، وقد سبق ذكرها في ترجمة الحسن البصري.

الفصل الثاني
ذكر أئمة البلدان وتابعيهم

قال الشيخ رحمه الله: انقضى ذكر الجماعة من البصريين وعبادها ونجومها، ذكرنا طرفاً من أحوال أئمة الهدى وأعلام التقى ومصابيح الدجى من الصحابة وتابعيهم رضي الله تعالى عنهم.

ونذكر الآن من سلك سمتهم ونحا نحوهم، فبدأنا بأئمة البلدان ومحاسن الزمان: كمالك بن أنس، وسفيان بن سعيد، وشعبة بن الحجاج، ومسعر بن كدام، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وداود الطائي، والحسن، وعلي ابني صالح، وفضيل بن عياض، وقرنائهم ليكون الكتاب جامعاً لتسمية الشموس والأقمار والأئمة ذوي الأخطار.

ثم نتبعهم بذكر المقتدين بهم والتابعين لهم من النجوم الزواهر الذين أبرزوا للقدرة من السواتر ونصبوا لإذاعة المواعظ والزواجر، وهم الذين تطهروا من عوارض العلل والفتن، وأيدوا بموارد التحف والمنن، فحفظت أسرارهم، وسلمت أعمارهم، وحمدت أحوالهم وآثارهم وارتفعت بمراعاة الحرمة ومصافاة الخدمة أخطارهم، صفت من الأغيار أسرارهم فعلت في الأبرار أذكارهم تمت أنوارهم، فانتفت أكدارهم، دامت أذكارهم فماتت أوزارهم، فهم العمد والأوتاد، وبهجة العباد والبلاد، اقتصرنا من ذكر أحوالهم وأقوالهم على اليسير مما انتشر في الناس من حكمهم الكثيرة.

٣٨٦ ـ مالك بن أنس

[المدينة: ٩٣ ـ ١٧٩هـ]

فمنهم إمام الحرمين، المشهور في البلدين: الحجاز والعراقين، المستفيض مذهبه في المغربين والمشرقين، مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه[١].

كان أحد النبلاء وأكمل العقلاء. ورث حديث الرسول ونشر في أمته علم الأحكام والأصول، تحقق بالتقوى فابتلي بالبلوى.

عن أبي داود. قال: ضرب جعفرُ بن سليمان مالكَ بن أنس في طلاق المكره.

وحكى لي بعض أصحاب ابن وهب عن ابن وهب: أن مالكاً لما ضرب حلق وحمل على بعير فقيل له: ناد على نفسك قال فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء. قال: فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال: أدركوه أنزلوه.

عن الفضل بن زياد القطان. قال: سألت أحمد بن حنبل: من ضرب مالك بن أنس؟ قال: ضربه بعض الولاة، لا أدري من هو، إنما ضربه في طلاق المكره كان لا يجيزه فضربه لذلك.

عن أبي مصعب. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك.

---

(١) توفي مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة.

قال مطرف: كان مالك طويلاً عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلى الشقرة، ولباسه الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب ويعيبه، ويراه من المُثَل. (الصفوة).

عن خلف بن عمرو. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك. فقلت له: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.

قال خلف: دخلت على مالك فقال لي: انظر ما ترى تحت مصلاي، أو حصيري؟ فنظرت فإذا أنا بكتاب، فقال: اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده، قد اجتمع الناس عليه، فقال لهم: إني قد خبأت لكم تحت منبري طيباً أو علماً، وأمرت مالكاً أن يفرقه على الناس، فانصرف الناس وهم يقولون إذا ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ، ثم بكى فقمت عنه.

عن إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة. قال: مر مالك بن أنس على ابن حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له فقال: إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

عن ابن أبي أويس. قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ، وجلس على فراشه، وسرح لحيته، وتمكن في الجلوس بوقار وهيبة ثم حدث، فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً، وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم، أو يستعجل، فقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ.

عن أبي مصعب. قال: كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على الطهارة، إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال الشافعي: إذا جاء الأثر، كان مالك كالنجم. وقال: مالك وسفيان القرينان.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: ما بقي على وجه الأرض أحد آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك بن أنس.

عن أبي يونس المدني. قال: أنشدني بعض أصحابنا من المدنيين في مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

عن شعبة. قال: أتيت المدينة بعد موت نافع بسنة، فإذا الحلقة لمالك بن أنس.

عن خالد بن خداش. قال: ودعت مالكَ بن أنس فقلت: أوصني يا أبا عبد الله، قال: تقوى الله، وطلب الحديث من عند أهله.

عن ابن وهب. قال: قال مالك: العلم نور يجعله الله حيث يشاء، ليس بكثرة الرواية.

عن الحارث بن مسكين وعبد الله بن يوسف. قالا: سئل مالك بن أنس عن الداء العضال فقال: الخبث في الدين.

عن ابن مهدي، عن رجل، عن مالك بن أنس. قال: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء.

عن ابن وهب. قال: قيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن، جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه.

عن ابن قعنب. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قال رجل: ما كنت لاعباً فلا تلعبن بدينك.

عن ابن وهب. قال: سئل مالك بن أنس عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء، ربنا، ربنا.

عن ابن وهب. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: تأتي أمة محمد ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء. قال مالك: أراهم صدر هذه الأمة.

قال مالك: وحق على من طلب العلم: أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

قال مالك: وبلغني أن لقمان قال لابنه: يا بني ليس غناء كصحة، ولا نعيم كطيب نفس.

وقال مالك: قال لقمان لابنه: يا بني إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سراع يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن داراً تسير إليها، أقرب إليك من دار تخرج منها.

عن القعنبي. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.

عن مجاهد بن موسى. قال: سمعت نافع بن عبد الله يقول: جالست مالكاً أربعين سنة أو خمساً وثلاثين سنة، كل يوم أبكر وأهجر وأروح، ما سمعته يقرأ على إنسان شيئاً قط. وسمعت معن بن عيسى يقول: ما من حديث أحدث به عن مالك إلا وقد سمعته منه نحواً أو أكثر من ثلاثين مرة.

عن مطرف. قال: قال لي مالك: ما يقول الناس فيَّ؟ قلت: أما الصديق فيثني، وأما العدو فيقع. قال: ما زال الناس كذا لهم صديق وعدو، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها.

عن الحارث بن مسكين. قال: كان عبد الرحمن بن القاسم يقول: إنما أقتدي في ديني برجلين: مالك بن أنس في علمه، وسليمان بن القاسم في ورعه.

عن القواريري. قال: كنا عند حماد بن زيد، وجاءه نعي مالك بن أنس فقال: رحم الله أبا عبد الله، كان من الدين بمكان.

عن القعنبي. قال: أتينا سفيان بن عيينة فرأيته حزيناً، فقيل: بلغه موت مالك بن أنس رحمه الله. ثم قال سفيان: ما ترك على الأرض مثله.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: قال يحيى بن سعيد القطان: ما أقدم على مالك في زمانه أحداً.

عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب. قال: سمعت عمي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: إن عندي لأحاديث ما حدثت بها قط، ولا سمعت مني، ولا أحدث بها حتى أموت.

عن ضمرة. قال: سمعت مالكاً يقول: لو كان لي سلطان على من يفسر القرآن لضربت رأسه.

عن أبي عمار. قال: سألت أحمد بن حنبل عن كتاب مالك بن أنس فقال: ما أحسنه لمن تدين به.

عن محمد بن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به.

عن محمد بن الربيع. قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله.

وعنه سمعت الشافعي يقول: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

عن سفيان بن عيينة. قال: كان مالك لا يأخذ الحديث إلا من جيدة.

عن ابن مهدي. قال: ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحداً.

عن سفيان. قال: كان مالك ينتقي الرجال ولا يحدث عن كل أحد، قال علي: ومالك أمان فيمن حدث عنه من الرجال، كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم إلا عن من يعرف ما يقول.

عن إسحاق. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت من ابن شهاب أحاديث لم أحدث بها إلى اليوم، قلت: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لم يكن العمل عليها فتركتها.

عن مطرف المديني. قال: قال مالك بن أنس: أو يكتب عن مثل عطاف بن خلد؟ لقد أدركت في هذا المسجد سبعين شيخاً ـ أو نحوه ـ فما كتبت عنهم حديثاً، إنما يكتب عن أهله، قوم جرى فيهم الحديث مثل عبيد الله بن عمرو وأشباهه.

عن حبيب بن زريق. قال: قلت لمالك بن أنس: لم تكتب عن صالح مولى التوأمة وحزام بن عثمان وعمر مولى غفرة؟ قال: أدركت سبعين تابعياً في هذا المسجد، ما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين.

عن ابن وهب. قال: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك بن أنس: لا أدري، فعلت.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج. قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه.

عن ابن مهدي. قال: سأل رجل مالكاً عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك، فأخبرهم أني قد قلت لك: إني لا أحسنها.

عن الحارث بن مسكين، عن عمرو بن يزيد - شيخ من أهل مصر - صديق لمالك بن أنس قال: قلت لمالك: يا أبا عبد الله، يأتيك ناس من بلدان شتى، قد أنضوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول: لا أدري!! فقال: يا عبد الله يأتيني الشامي من شامه، والعراقي من عراقه، والمصري من مصره، فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟ قال عمرو: فأخبرت الليث بن سعد بقول مالك.

عن مطرف بن عبد الله. قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده أبو حنيفة والزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

عن إسحاق بن عيسى. قال: قال مالك بن أنس: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ لجدله.

عن ابن وهب. قال: سمعت مالكاً يقول: إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله.

عن أبي ثور. قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك بن أنس

إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك إلى شاك مثلك فخاصمه، وكان يقول: لست أرى لأحد يسب أصحاب النبي ﷺ في الفيء سهماً.

عن جعفر بن عبد الله. قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1]، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده، حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه، ورمى بالعود وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج.

عن عبد الله بن نافع. قال: كان مالك يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

عن القعنبي، عن مالك؛ أنه بلغه أن عيسى عليه السلام كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، ولكن انظروا فيها كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان، مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية.

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم. قال: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد بن الحسن: صاحبنا أعلم أم صاحبكم؟[2] قلت: تريد المكابرة أو الإنصاف؟ فقال: بل الإنصاف، قلت: فما الحجة عندكم؟ قال: الكتاب والسنة والإجماع والقياس. قال قلت:

---

(١) سورة طه، الآية (٥).

(٢) المقصود بصاحب الإمام الشافعي: الإمام مالك، وبصاحب الإمام محمد بن الحسن: الإمام أبو حنيفة.

أنشدك بالله أصاحبنا أعلم بكتاب الله أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم، قلت: فصاحبكم أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أم صاحبنا؟ قال: فقال: صاحبكم، قلت: فبقي شيء غير القياس؟ قال: لا، قلت: فنحن ندعي القياس أكثر مما تدعون أنتم، وإنما القياس على الأصول يعرف القياس. قال: ويريد بصاحبه مالك بن أنس رحمه الله.

عن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي يقول: ما بعد كتاب الله تعالى كتاب أكثر صواباً من موطأ مالك.

عن محمد بن عبد الله بن الحكم. قال: سمعت الشافعي يقول: قال محمد بن الحسن: أقمت على مالك بن أنس ثلاث سنين وكسراً، وكان يقول: إنه سمع منه لفظاً أكثر من سبعمائة حديث، قال: وكان إذا حدثهم عن مالك امتلأ منزله، وكثر الناس عليه، حتى يضيق عليهم الموضع، وإذا حدث عن غير مالك، لم يجئه إلا اليسير، فكان يقول. ما أعلم أحداً أسوأ ثناء على أصحابكم منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم علي الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتوني متكارهين.

عن خالد بن نزار. قال: سمعت مالك بن أنس يقول لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم.

عن ابن المبارك. قال: ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك بن أنس، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

عن أبي مسهر. قال: سأل المأمون مالك بن أنس: هل لك دار؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشتر لك بها داراً، قال: ثم أراد المأمون الشخوص وقال لمالك: تعال معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال له: مالكَ إلى ذلك سبيل، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار، فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، ولا سبيل إلى

الخروج معك، فإن النبي ﷺ قال: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وقال: (المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد) وهذه دنانيركم فإن شئتم فخذوه، وإن شئتم فدعوه.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: سفيان الثوري إمام في الحديث، وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك إمام فيهما جميعاً.

عن عبد الله بن عبد الحكم. قال: سمعت مالك بن أنس يقول: شاورني هارون الرشيد في ثلاث؛ في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إماماً يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ، واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة، فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ، وأما تقدمتك نافعاً إماماً يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ، فإن نافعاً إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه، قال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

٣٨٧ ـ سفيان الثوري

[٩٧ ـ ١٦١هـ]

ومنهم الإمام المرضي، والورع الدري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري رضي الله تعالى عنه[١].

---

(١) كان مولد سفيان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين، وتوفي سنة إحدى وستين ومائة، وكان مستخفياً بالبصرة في خلافة المهدي.

كانت له النكت الرائقة، والنتف الفائقة، مسلم له في الإمامة، ومثبت به الرعاية، العلم حليفه، والزهد أليفه.

عن عبد الرحمن بن مهدي. يقول: أدركت من الناس الأئمة منهم أربعة؛ مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن سعيد، وذكر الرابع ونسيته إن لم يكن ابن المبارك فلا أدري.

عن شعبة. قال: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

عن سفيان بن عيينة. قال: أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ﷺ؛ ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه.

عن أيوب بن سويد. قال: سمعت المثنى بن الصباح، وذكر سفيان الثوري فقال: عالم الأمة وعابدها.

عن محمد بن عبيد الطنافسي. قال: لا أذكر سفيان الثوري إلا وهو يفتي، أذكر منذ سبعين سنة ونحن في الكتاب تمر بنا المرأة والرجل فيسترشدوننا إلى سفيان ليستفتوه فيفتيهم.

عن بشر بن الحارث. قال: كان سفيان الثوري عندي إمام الناس.

عن مبارك بن سعيد. قال: رأيت عاصم بن أبي النجود يجئ إلى سفيان الثوري، يستفتيه ويقول: أتيتنا يا سفيان صغيراً وأتيناك كبيراً.

عن عبد الله بن المبارك. قال: ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان الثوري رحمه الله.

عن الأوزاعي. قال: لو قيل لي اختر رجلًا يقوم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لاخترت لهما الثوري.

عن إبراهيم بن محمد الشافعي. قال: قلت لعبد الله بن المبارك: رأيت مثل سفيان الثوري فقال: وهل رأى سفيان الثوري مثل نفسه.

عن يحيى القطان. قال: قال لي عبد الله بن المبارك: إذا لقيت سفيان فلا تسأله عن شيء إلا عن رأيه.

عن أحمد بن يونس. قال: ما رأيت أحداً أعلم من سفيان، ولا أورع من سفيان، ولا أفقه من سفيان، ولا أزهد من سفيان!!

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: ما رأيت أعقل من مالك، ولا رأيت أعلم من سفيان.

عن أبي عاصم. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة.

عن محمد بن عبيد الطنافسي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: زينوا العلم بأنفسكم ولا تزينوا بالعلم.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء؟!

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟

عن عبد الله بن المبارك. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما أطاق أحد العبادة، ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف.

عن عبد الله بن داود. قال: قال سفيان الثوري: إنما يطلب العلم ليتقى الله به، فمن ثم فضل، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء.

عن ضمرة بن ربيعة. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: كان يقال حسن الأدب يطفئ غضب الرب عز وجل.

عن أبي بكر بن عياش. قال: سمعت الثوري يقول: إنما هو طلبه، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم نشره.

وعنه: كان يقال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه.

عن أبي عاصم. قال: سمعت الثوري يقول: من حدث قبل أن يحتاج إليه ذل.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الحديث أكثر من الذهب والفضة وليس يدرك، وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة.

عن أبي الأحوص. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: وددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً، لا علي ولا لي.

عن ضمرة. قال: سمعت سفيان يقول: وددت أن أنفلت من هذا الأمر لا لي ولا علي.

عن عيسى بن يونس. قال: مات سفيان الثوري مستخفياً، قد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتباً.

عن قبيصة. قال: ما رأيت الأغنياء أذل منهم في مجلس سفيان الثوري، ولا الفقراء أعز منهم في مجلس سفيان الثوري.

عن خلف بن تميم. قال: سمعت سفيان الثوري بمكة - وقد كثر الناس عليه - فسمعته يقول: ضاعت الأمة حين احتيج إلي.

عن عبد الله بن داود. قال: سمعت الثوري يقول: ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه.

عن ابن بشر. قال: سمعت الثوري يقول: إن هذا الحديث عز، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان يقول: لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم.

عن محمد بن يوسف الفريابي. قال: سمعت الثوري يقول: ما من عمل أفضل من طلب الحديث، إذا صحت النية فيه، قال أحمد: قلت للفريابي: وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه الله والدار الآخرة.

عن أبي أسامة. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه.

عن الفضل بن موسى الشيباني. قال: سمعت الثوري يقول: تعلموا هذه الآثار، فمن قال برأيه فقل: رأيي مثل رأيك.

عن عبد الرزاق. قال: سمعت الثوري يقول لرجل من العرب: اطلبوا العلم ويحكم فإني أخاف أن يخرج منكم فيصير في غيركم، اطلبوه ويحكم فإنه عز وشرف في الدنيا والآخرة.

عن أبي مسلم المستملي، عن سفيان. قال: تعلموا العلم فإذا علمتموه فأكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب.

عن عبد الرزاق. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما نعد اليوم طلب العلم فضلاً، لأن الأشياء تنقص وهو يزيد، ولوددت أني أنجو من علمي كفافاً لا لي ولا علي!!

عن الخنيسي. قال: سمعت رجلاً قال لسفيان الثوري: لو أنك نشرت ما عندك من العلم، رجوت أن ينفع الله به بعض عباده، وتؤجر على ذلك؟ فقال سفيان: والله لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به إلا ما عند الله، لكنت أنا الذي آتيه في منزله، فأحدثه بما عندي مما أرجو أن ينفعه الله به.

عن وكيع. قال: رأيت سفيان الثوري أملى على رجل شيئاً فقال: هذا خير لك من ولايتك الري.

عن عبد الرزاق. قال: رأيت سفيان الثوري بصنعاء اليمن يملي على صبي ويستملي له.

عن أحمد بن يونس. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ليس طلب العلم فلان عن فلان، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: كنا نكون عند سفيان الثوري، فكأنه قد أوقف للحساب، فلا نجترئ أن نكلمه، فنعرض بذكر الحديث، فيذهب ذلك الخشوع فإنما هو حدثنا وحدثنا.

عن ضمرة. قال: نظر حماد بن زيد إلى سفيان الثوري مسجى بثوب على السرير، فقال: يا سفيان لست أغبطك اليوم بكثرة الحديث، إنما أغبطك بعمل صالح قدمت.

عن أبي داود. قال: مات سفيان بالبصرة، فدفن ليلاً ولم نشهد الصلاة عليه، وغدونا على قبره ومعنا جرير بن حازم وسلام بن مسكين، فتقدم جرير وصلى على قبره ثم بكى وقال:

إذا بكيت على ميت لمكرمة فابك الغداة على الثوري سفيانا

فظننت أنه كان هيأ أبياتاً يقولها فسكت فقال عبد الله بن الصباح:

أبكي عليه وقد ولي وسؤدده وفضله ناضر كالغصن ريانا

عن خلف بن تميم. قال: كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات:

أظريف إن العيش كدر صفوه ذكر المنية والقبور الهول
دنيا تداولها العباد ذميمة شيبت بأكره من نقيع الحنظل
وبنات دهر لا تزال ملمة ولها فجائع مثل وقع الجندل

عن محمد بن بشر. قال: سمعت سفيان يقول:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

عن محمد بن عبيد الطنافسي. قال: سمعت سفيان يقول:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا عرف الداء الذي هو قاتله

عن سالم الخواص. قال: قال رجل لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله إن فيك لعجباً، قال: يا ابن أخي ما الذي بان لك مني حتى عجبت؟ قال: تنقلك من بلد إلى بلد، إن للناس مأوى، وللسبع مأوى، ومالك مأوى تأوي إليه! فقال له سفيان: أي رجل كان المغيرة بن مقسم الضبي؟ قال: رجل صالح إن شاء الله، قال: وأي الرجال كان إبراهيم النخعي؟ قال: بخ بخ، قال: فأي الرجال كان علقمة؟ قال: لا تسأل، قال: فأي الرجال كان عبد الله بن مسعود؟ قال: الثقة الصدوق، فقال سفيان: حدثنا المغيرة بن مقسم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: اقتحم على أهل الجنة نور في قبابهم كاد أن يخطف نوره أبصار القوم، فإذا نور سن حوراء ضحكت في وجه وليها، فما كنت أدع هذا الخير أبداً لقولك، ثم أنشأ سفيان يقول:

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ... ماذا تجرع من بؤس وإقتار
تراه يمشي كئيباً خائفاً وجلاً ... إلى المساجد يمشي بين أطمار

ثم أقبل على نفسه فقال:

يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تقبلي من بعد إدبار

عن زكريا بن عدي، كان الثوري يتمثل:

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا ... وليس في عيشهم يرضون بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين

عن حفص بن عمرو - وهو ابن أخي سفيان الثوري -. قال: كتب سفيان إلى عباد بن عباد:

أما بعد، فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير، وفساد من الناس، وكدر من الدنيا.

فعليك بالأمر الأول والتمسك به.

وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول.

وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً.

وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم فيه.

وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله، أو يسمع من قوله، فإذا ترك ذاك منه عرف فيه.

وإياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام.

عن داود بن يمان، عن أبيه. قال: قال سفيان الثوري للمهدي: كم أنفقت في حجتك؟ قال: ما أدري، قال: لكن عمر بن الخطاب يدري، أنفق ستة عشر ديناراً فاستكثرها.

عن سفيان. قال: دخلت على المهدي فقلت: بلغني أن عمر بن الخطاب أنفق في حجته اثني عشر ديناراً، وأنت فيما أنت فيه! قال: فغضب وقال: تريد أن أكون مثل الذي أنت فيه؟ قال: فقلت: فإن لم

تكن في مثل ما أنا فيه، ففي دون ما أنت فيه، فقال لي: يا أبا عبد الله قد جاءتنا كتبك فأنفذتها، قال قلت له: ما كتبت إليك شيئاً قط.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قال لي المهدي: أبا عبد الله أصحبني حتى أسير فيكم سيرة العمرين، قال قلت: أما وهؤلاء جلساؤك فلا، قال: فإنك تكتب إلينا في حوائجك فنقضيها، قال سفيان: والله ما كتبت إليك كتاباً قط.

قال: وقال لي سفيان: إن اقتصرت على خبزك وبقلك لم يستعبدك هؤلاء.

عن أبي الحسن بن إبراهيم البياضي. قال: أخبرت أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لزبيدة: أتزوج عليك؟ قالت زبيدة: لا يحل لك أن تتزوج عليَّ، قال: بلى، قالت زبيدة: بيني وبينك من شئت، قال: ترضين بسفيان الثوري؟ قالت: نعم، قال: فوجه إلى سفيان الثوري فقال: إن زبيدة تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾، ثم سكت فقال سفيان: تمم الآية، يريد أن يقرأ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾[1] وأنت لا تعدل قال: فأمر لسفيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها[2].

عن عباد السماك. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، رضي الله تعالى عنهم. من قال غير هذا فقد اعتدى.

عن خلف بن تميم. قال: قيل لسفيان الثوري: ذهب الناس يا

---

(١) سورة النساء، الآية (٣).

(٢) توفي سفيان الثوري قبل تولي هارون الرشيد الخلافة!!

أبا عبد الله، وبقينا على حمر دبرة؟ فقال الثوري: ما أحسن حالها لو كانت على الطريق.

عن عبد الله بن المبارك. قال: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة! قال: إذا كانت عزماً أخذ بها.

عن ابن أبي الحواري. قال: سمعت وكيعاً بمكة يقول: سمعت سفيان - وسئل عن البناء الذي بنوه حول الكعبة - قال: لا تنظروا إليه، فإنهم إنما بنوه لينظر إليه.

عن يحيى بن المتوكل. قال: مررت مع سفيان برجل يبني بناء قد شيده فزوقه، فقال لي: لا تنظر إليه، قلت: لِمَ يا أبا عبد الله، قال: إن هذا إنما بناه لينظر إليه، ولو كان كل من يمر لم ينظر إليه لم يبن هذا البناء!!.

عن حذيفة بن قتادة المرعشي. قال لي سفيان الثوري: لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس.

عن داود بن الجراح. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن.

عن عبد الله بن محمد الباهلي. قال: جاء رجل إلى الثوري فقال: يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير؟ فقال: اسكت، لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك.

قال: وقال سفيان: من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه.

قال: وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الحج، قال: لا تصحب من يكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أضرَّ بك، وإن تفضل عليك استذلك.

عن سلام بن سليم. قال: قال لي سفيان الثوري: عليك بعمل الأبطال، الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال.

عن عطاء بن مسلم الخفاف. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قدمت البصرة فجلست إلى يوسف بن عبيد، فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير، فقلت: يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس، فرفع يونس رأسه إليهم فقال: قوموا فلا أعلمن أحداً منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه، فتفرقوا. قال سفيان: فوالله ما رأيتهم عنده بعده.

عن شعيب بن حرب. قال: قال لي الثوري: يا أبا صالح احفظ عني ثلاثاً؛ إن احتجت إلى شسع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

عن عبد الله بن عبد الرحمن. قال: كان الثوري يقول: الحلال لا يحتمل السرف.

عن عثمان، عن سفيان. قال: إنما سمي المال لأنه يميل القلوب.

عن عبد الله بن وهب. قال: سمعت سفيان الثوري - بمكة - يقول: رضى الناس غاية لا تدرك، وطلب الدنيا غاية لا تدرك.

عن وكيع. قال: قال سفيان: ليس الزهد في الدنيا بأكل الجشب[1] ولبس الخشن، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

عن بكر العابد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ازهد في الدنيا ونم.

عن أبي نعيم. قال: كان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع

(١) الجشب: أي الخشن والغليظ من الطعام.

به أياماً، فإذا سئل عن الشيء قال: لا أدري، لا أدري.

عن يوسف بن أسباط. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص، فإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرائي.

عن أحمد بن يونس. قال: سمعت الثوري يقول: إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذه إليهم - يعني السلطان -.

عن كردم بن عنبسة المصيصي. قال: قال سفيان: لو خيرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري!!

عن وهب بن إسماعيل. قال: كنا يوماً عند سفيان، فمر رجل من هؤلاء الجند، فجعل سفيان ينظر إليه وينظر إلينا، ثم قال: يمر بكم المبتلى والمكفوف والزمنى الذين يؤجرون على بلائهم فتسألون الله العافية، ويمر بكم هؤلاء فلا تسألون الله العافية؟!

عن بشر بن الحارث. قال: قيل لسفيان الثوري: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم! إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر.

عن إسماعيل بن عمرو البجلي، عن سفيان الثوري. قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمال فيه داء كثير، قيل: يا روح الله! ما داؤه؟ قال: لا يؤدي حقه، قالوا: فإن أدى حقه؟ قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء، قالوا: فإن سلم من الفخر والخيلاء؟ قال: يشغله استصلاحه عن ذكر الله.

عن عيسى بن حازم. قال: خرج إبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن طهمان، وسفيان الثوري إلى الطائف ومعهم سفرة فيها طعام، فوضعوها ليأكلوا، وإذا أعراب قريب منهم، فناداهم إبراهيم بن طهمان يا إخوتاه هلموا، فقال لهم سفيان: يا إخوتاه مكانكم، ثم قال سفيان

لإبراهيم: خذ من هذا الطعام ما طابت به أنفسنا فاذهب به إليهم، فإن شبعوا فالله أشبعهم، وإن لم يشبعوا فهم أعلم، أخاف أن يجيئوا فيأكلوا طعامنا كله فتتغير نياتنا ويذهب أجرنا.

عن يوسف بن أسباط. قال: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ورب هذه الكعبة لقد حلت العزلة.

عن ابن مهدي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: وددت أني أخذت نعلي هذه، ثم جلست حيث شئت لا يعرفني أحد، ثم رفع رأسه ثم قال بعد أن لا أستذل.

عن أبي مسلم المستملي، عن سفيان الثوري. قال: إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها.

عن يزيد بن توبة. قال: قال لي سفيان: إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس.

عن ابن المبارك. قال: كان سفيان الثوري يقول: إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.

عن عبد الرحمن بن عبد الله. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

عن شعيب بن حرب. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.

عن محمد بن مزاحم. قال: كان جعل على نفسه - يعني سفيان الثوري - ثلاثة أشياء أن لا يخدمه أحد، وأن لا تطوى له ثوب، وأن لا يضع لبنة على لبنة.

عن مصعب بن ماهان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: هذا زمان خاصة ليس زمان عامة، أقبل الرجل على خاصة نفسه وترك عوامهم.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما نفس تخرج أحب إليّ من نفسي، ولو كانت في يدي لأرسلتها.

عن عبد الله بن داود قال: قال سفيان ما أنفقت قط درهماً في بناء.

عن ضمرة. قال: قال سفيان: كان يقال يا حملة القرآن لا تتعجلوا منفعة القرآن، وإذا مشيتم إلى الطمع فامشوا رويداً.

عن عصام بن يزيد. قال: ربما كان يأخذ سفيان في التفكر، فينظر إليه الناظر فيقول مجنون.

عن الأشجعي عن سفيان. قال: قيل له في خلافة أبي جعفر: يا أبا عبد الله لو دعوت بدعوات؟ قال: ترك الذنوب هو الدعاء.

عن عبد الله بن داود الحرشي. قال: سمعت سفيان يقول: لا يحرز المؤمن إلا قبره.

عن أبي السري. قال: قيل لفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: من إمامك في هذا؟ قال سفيان الثوري.

عن ابن يمان. قال: ما رأيت مثل سفيان، ولا أبصر سفيان مثله، أقبلت الدنيا عليه فصرف وجهه عنها.

عن محمد بن يوسف الفريابي. قال: قال سفيان الثوري: إذا رأيتموني قد تغيرت عن الحال الذي أنا عليه اليوم فاعلموا أني قد بدلت.

عن أبي أحمد الزبيري. قال: كنت في مسجد الخيف مع سفيان الثوري، والمنادي ينادي من جاء بسفيان فله عشرة آلاف.

عن ابن مهدي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: طلبت في أيام المهدي فهربت فأتيت اليمن، فكنت أنزل في حي حي، وآوي إلى مسجدهم، فسرق في ذلك الحي، فاتهموني، فأتوا بي معن بن زائدة ـ وكان قد كتب إليه في طلبي ـ فقيل له: إن هذا قد سرق منا، فقال: لم سرقت متاعهم؟ فقلت: ما سرقت شيئاً، فقال لهم: تنحوا لأسائله، ثم أقبل علي فقال: ما اسمك؟ قلت: عبد الله بن عبد الرحمن، قال: يا عبد الله بن عبد الرحمن نشدتك بالله لما نسبت لي نسبك، قلت: أنا سفيان بن سعيد بن مسروق، قال الثوري؟ قلت: الثوري، قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟ قلت: أجل، فأطرق ساعة ثم قال: ما شئت فأقم، وارحل متى شئت، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها.

عن يحيى بن اليمان. قال: تسمعت إلى الثوري وهو يقول: سترك الجميل الذي لم يزل، سترك الجميل الذي لم يزل.

عن عبد الله؛ أن رجلاً كان يتبع سفيان الثوري، فيجده أبداً يخرج من لبنة رقعةً ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع في يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل.

عن أحمد الزبيري. قال: كتب رجل من إخوان سفيان الثوري إلى سفيان الثوري: أن عظني فأوجز، فكتب إليه: عافانا الله وإياك من السوء كله، يا أخي إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو، ولا تتوان فتعطب، والسلام.

عن خلف بن تميم. قال: سمعت الثوري يقول: لقيت أبا حبيب البدوي فقال لي: يا سفيان منع الله لك عطاء وذلك أنه يمنعك من غير بخل ولا عدم، ولكن نظراً لك واختباراً، ثم قال: يا سفيان إن فيك لأنساً، وإن عنك لشغلاً.

عن القاسم بن عثمان الدمشقي. قال: قلت ليمان بن معاوية الأسود العابد: رأيت إبراهيم بن أدهم؟ فضحك وقال: وأكبر من إبراهيم، قلت: من؟ قال: سفيان الثوري ثم قال: سمعت أخي سفيان الثوري يقول: ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة، ويحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه.

عن سعيد بن صدقة. قال: أخذ بيدي سفيان الثوري فأخرجني إلى الجبان، فاعتزلنا ناحية عن طريق الناس فبكى ثم قال: يا مهلهل: إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحداً فافعل، وليكن همك مَرَمَّة جهازك، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء، وارغب إلى الله في حوائجك لديهم، وافزع إليه فيما ينوبك، وعليك بالاستغناء عن جميع الناس، وارفع حوائجك إلى من لا تعظم الحوائج عنده، فوالله ما أعلم اليوم بالكوفة أحداً أفزع إليه في قرض عشرة دراهم أقرضني، ثم كتبها علي حتى يذهب ويجيء ويقول: جاءني سفيان فاستقرض مني فأقرضته.

عن عطاء بن مسلم الخفاف. قال: قال لي سفيان: يا عطاء احذر الناس واحذرني، فلو خالفت رجلاً في رمانة، فقال: حامضة وقلت: حلوة، أو قال: حلوة وقلت حامضة، لخشيت أن يشيط بدمي.

عن ابن يمان، عن سفيان الثوري. قال: اصحب من شئت ثم أغضبه ثم دسَّ إليه من يسأله عنك.

عن محمد بن يوسف الفريابي. قال: قلت لسفيان الثوري: أرى الناس يقولون سفيان الثوري، وأنت تنام بالليل؟ فقال لي: اسكت ملاك هذا الأمر التقوى.



عن محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان الثوري. قال: دخلت على بنت أم حسان الأسدية، وفي جبهتها مثل ركبة العنز أثر السجود، وليس به خفاء، فقلت لها: يا بنت أم حسان! ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله، فرفعتِ إليه رقعة لعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحالة التي أراها بك؟ فدعت بمعجر لها فاعتجرت به فقالت: يا سفيان لقد كان لك في قلبي رجحان كثير أو كبير، فقد ذهب الله برجحانك من قلبي، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟ وعزته وجلاله إني أستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها.

قال سفيان: وكان إذا جن عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلهي، خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار. !!

قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثر في وجهها، فقلت لها: يا بنت أم حسان إنك لن تؤتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام، إذ أتيا أهل القرية استطعما أهلها. فقالت: يا سفيان قل الحمد الله، فقلت: الحمد لله، فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكر، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً.

قال سفيان: فقصر والله علمي وفسد لساني، وما أقوم بشكر كلما اعترفت له بنعمة وجب عليّ بمعرفة النعمة شكر وبمعرفة الشكرين شكر فوليت وأنا أريد الخروج فقالت: يا سفيان كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها في الله هما واحداً. قال سفيان: فقصرت والله إلي نفسي.



عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على عليّ بن الحسن: يا أخي اطلب العلم لتعمل به، ولا تطلبه لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، وتأكل به الأغنياء، وتستخدم به الفقراء، فإن لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيعت منه، فقد بلغنا والله أعلم: أنه من طلب الخير صار غريباً في زماننا، ولا تستوحش واستقم على سبيل ربك، فإنك إن فعلت ذلك كان مولاكَ اللَّهُ تعالى وجبريل وصالح المؤمنين.

واشتغل بذكر عيوب نفسك عن ذكر عيوب غيرك، واحزن على ما قد مضى من عمرك في غير طلب آخرتك، وأكثر من البكاء على ما قد أوقرت به ظهرك لعلك تتخلص منها.

ولا تملَّ من الخير وأهله، ولا تباعد عنهم، فإنهم خير لك ممن سواهم، وملَّ الجهال وباطلهم وتباعد عنهم، فإنه لن ينجو من جاورهم إلا من عصم الله، وإن أردت اللحاق بالصالحين فاعمل بأعمال الصالحين، واكتف بما أصبت من الدنيا، ولا تنس من لا ينساك، ولا تغفل عمن قد وكل بك يحصي أثرك، ويكتب عملك.

راقب الله في سريرتك وعلانيتك، وهو رقيب عليك. واستح ممن هو معك وهو أقرب إليك من حبل الوريد، اعرف فاقة نفسك وحقارة منزلتها، فإنك حقير فقير إلى ربك، وابكِ على نفسك وارحمها، فإنك إن لم ترحمها لم ترحم، ولا تغشَّها ولا توردها، وخذ منها لك، فإنك بيومك، ولست بغدك، وكأن الموت قد نزل بك.

ولا تغفل غفلة الغافلين والجاهلين، وأكثر من البكاء على نفسك، فلست من الضحك بسبيل إن عقلت، فقد بلغنا، والله أعلم، أن الله تعالى عيَّر أقواماً في كتابه بالضحك وترك البكاء، فقال: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ

سَمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]؟ ومدح أقواماً في كتابه فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[2] وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط)[3] وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كم من نعمة لله في عرق ساكن)[4].

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن المبارك. قال: سئل سفيان الثوري: طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل؟ فقال: إنما يراد العلم للعمل، لاتدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: قدم سفيان الثوري البصرة والسلطان يطلبه، فصار في بعض البساتين فأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها، فمر به بعض العشارين فقال له: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أخبرني أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ قال: أما رطب البصرة فلم أذقه ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو، فقال: ما أكذبك من شيخ! الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه؟ فرجع إلى العامل فأخبره بما قال

---

(١) سورة النجم، الآية (١١).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦).

(٤) قال في مختصر المقاصد الحسنة: ضعيف.

ليعجبه، فقال: ثكلتك أمك، أدركه فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري فخذه لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدي، فرجع في طلبه فما قدر عليه.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال رجل لسفيان الثوري: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: تسألني كيف أصبحت؟ وقد والله تحيرت، اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشيداً تعز فيه وليك، وتذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، ثم تنفس سفيان وقال: كم من مؤمن رأيناه مات غيظاً.

عن يوسف بن أسباط. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله، ولا شيء يضاعف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله.

عن يعلى بن عبيدة. قال: سمعت سفيان يقول: الظن ظنان، فظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم، فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فالذي لا يتكلم به.

عن عبد الرحمن بن مصعب. قال: كان رجل ضرير يجالس سفيان الثوري، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا، فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة كان هذا جليسك أفلا نصحته؟.

عن مزاحم بن زفر. قال: صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ إياك نعبد وإياك نستعين، بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ الحمد لله.

عن وكيع عن سفيان. قال: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار فرحاً وحزناً شوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار.

عن ابن يمان. قال: قال سفيان: إذا بلغكم عن موضع رخص فارتحلوا إليه فإنه أسلم لدينكم، وأقل لتهمتكم.

عن يحيى بن يمان. قال: سئل سفيان الثوري عن رجل عليه دين أيأكل اللحم؟ قال: لا!

عن إسحاق بن خلف. قال: قال سفيان الثوري لشاب يجالسه: أتحب أن تخشى الله حق خشيته؟ قال: نعم! قال: أنت أحمق، لو خفته حق خوفه أديت الفرائض.

عن حماد بن دليل. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إني لأسأل الله أن يذهب عني من خوفه.

عن عبد العزيز القرشي. قال: سمعت سفيان يقول: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

عن أسامة. قال: كان من يرى سفيان الثوري، يراه كأنه في سفينة يخاف الغرق، أكثر ما تسمعه يقول: يا رب سلم سلم.

عن قبيصة قال: سمعت سفيان يقول: لا تصلح القراءة إلا بالزهد، واغبط الأحياء بما تغبط به الأموات، وأحب الناس على قدر أعمالهم وذلّ عند الطاعة واستعص عند المعصية.

عن إبراهيم بن سعد. قال: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام فكوم كومة من الحصا فاتكأ عليه، ثم قال: يا إبراهيم هذا خير من أسرتهم.

عن عبد الله بن السندي. قال: كتب مبارك إلى أخيه سفيان يشكو إليه ذهاب بصره، فكتب إليه: يا أخي فهمت كتابك تذكر فيه شكايتك ربك، اذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك. والسلام.

عن الحسين بن جعفر. قال: سمعت الثوري يقول: لأن تدخل يدك في فم التنين، خير لك من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر.

* * *

عن مبارك أبو حماد ـ مولى إبراهيم بن سام ـ. قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على علي بن الحسن السليمي:

يا أخي لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإن أمامهم يوماً تزل فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات.

اجعل كسبك فيما يكون لك، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك، فإن الذي يقدم ماله ويعطى حق الله منه فماله له، وأفضل منه، والذي يخلف ماله، ويضيع حق الله فيه، فماله وبال عليه يوم القيامة، اكسب حلالاً، واجلس مع من كسبه من حلال، وكل طعام من كسبه من حلال، وليكن أهل مشورتك من كسبه من حلال، فإن الورع ملاك الدين، واستكمال أمر الآخرة.

واعلم أنه يا أخي لا يمتنع أحد على الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه، فإنما دينك لحمك ودمك، فاجتنب الحرام ولا تجلس مع من يكسب الحرام. ولا تأكل مع من كسبه من حرام، ولا تدل أحداً على الحرام ولا تشيرن به إلى أحد فيأخذه، ولا تورثه إلى أحد.

وانصح لكل بروفاجر أن لا يأخذه، فإن فعلت من ذلك شيئاً فأنت عون له، والعون شريك، وإياك والظلم، وأن تكون عوناً

للظالم، وأن تصحبه أو تؤاكله أو تبتسم في وجهه، أو تنال منه شيئاً، فتكون عوناً له، والعون شريك.

لا تخالفن أهل التقوى ولا تخادن أهل الخطايا، ولا تجالس أهل المعاصي، واجتنب المحارم كلها [illegible] ق أهلها، وإياك والأهواء، فإن أولها وآخرها باطل، ولكل ذنب توبة، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة، وإن الله غفور رحيم لأهل المعاصي، رحيم للتوابين حليم ودود.

وإياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية، فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1] ثم قال للمؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[2] ثم أجملها فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾[3].

واعلم يا أخي أنه لم يرض لأنبيائه ولا للمؤمنين ولا للمشركين حراماً.

ولا تتهاون بالذنب الصغير، ولكن انظر من عصيت؟ عصيت رباً عظيماً يعاقب على الصغير، ويتجاوز عن الكبير، وإن أكيس الكيس من يدخل الجنة بذنب عمله فنصبه بين عينيه، ثم لم يزل حذراً على نفسه من تلك الخطيئة، حتى فارق الدنيا ودخل الجنة، وإن أحمق الحمق من دخل النار بحسنة واحدة نصبها بين عينيه، ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٦٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٦٨).

فكن ياأخي كيساً حذراً على ما زل منك ومضى، لا تدري ماذا يفعل بك ربك فيه وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيه، فإن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(١) وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢) وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾(٣) وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾(٤) فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

❁ ❁ ❁

عن الفريابي. قال: قدم سفيان الثوري ببيت المقدس فأقام ثلاثة أيام وصلى عند باب الرحمة، وعند محراب داود عليه السلام، ورابط بعسقلان أربعين يوماً، وصحبت سفيان من عسقلان إلى المدينة فكان يخرج النفقة ونخرج معه جميعاً فيدفعها إلى رجل لينفق علينا، فكنا إذا وضعنا سفرتنا لم يردَّ أحداً من السُّؤال إلا أعطاه، حتى لا يبقى شيء، فكان بعضنا إذا رآه يصنع ذلك يأخذ خبزه ويتنحى فيأكل.

عن عبد الله بن يونس. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما رأينا للإنسان شيئاً خيراً له من أن يدخل جحراً.

عن ابن يمان. قال: سمعت سفيان يقول: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠١).

(٣) سورة القصص، الآية (١٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٨٩).

عن عمرو بن حسان. قال: كان سفيان الثوري نعم المداوي، إذا دخل البصرة حدث بفضائل علي، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان.

عن عطاء بن مسلم. قال: قال لي سفيان: إذا كنت في الشام فاذكر مناقب علي، وإذا كنت بالكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر.

عن شعيب بن حرب. قال: ذكروا سفيان الثوري عند عاصم بن محمد، فذكروا مناقبه حتى عدوا خمس عشرة منقبة، فقال: فرغتم؟ إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها، سلامة صدره لأصحاب محمد ﷺ.

عن مؤمل بن إسماعيل. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: منعتنا الشيعة أن نذكر فضائل علي.

عن مبارك بن سعيد، عن أخيه سفيان. قال: قالوا: يا أبا عبد الله لا يزال قوم يسألون عن الإسلام ما الإسلام؟ قال له: إذا غدوت إلى السوق فانظر إلى أدنى حمال فاسأله عنه، فإذا أخبرك عنه فهو ذاك.

عن الفريابي. قال: قال سفيان الثوري: نسمع التشديد فنخشى، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة، ولا نقضي على الموتى ولا نحاسب الأحياء، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم.

عن عبد الصمد بن حسان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت، والصبيان في الكتاب، من الإقرار والعمل.

عن عبد الله بن المبارك. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: من زعم أن قل هو الله أحد مخلوق فقد كفر بالله عزوجل.

عن يحيى بن المتوكل. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا

أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء، قالوا لسفيان: كيف ذاك؟ قال: يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغير عليهم، ويلقاهم بوجه طلق.

عن الفريابي، عن سفيان. قال: كان يقال: من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن كانت سريرته شراً من علانيته فذلك الجور.

عن علي بن قادم. قال: سمعت سفيان يقول: ما قاتل علي أحداً إلا كان علي أولى بالحق منه.

عن حفص بن غياث. قال: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله إن الناس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه؟ قال: إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه.

عن أبي همام السكوني. قال: حدثني أبي. قال: سمعت سفيان يقول: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.

عن أبي بكر الحنفي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الصلاة والزكاة من الإيمان، والإيمان يزيد، والناس عندنا مؤمنون مسلمون، ولكن الإيمان متفاضل، وجبريل أفضل إيماناً منك.

* * *

عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على علي بن الحسن:

واعلم أن السنَّة سنتان، سنة أخذها هدي وتركها ضلالة، وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة، وأن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وأن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله

بالليل، وأنه يحاسب العبد يوم القيامة بالفرائض، فإن جاء بها تامة قبلت فرائضه ونوافله، وإن لم يؤدها وأضاعها لحقت النوافل بالفرائض، فإن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، وأولى الفرائض الانتهاء عن الحرام والمظالم، وأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1] الآية وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[3] وإنما عنى به التقوى عن المظالم أن تتناولوها فتنفقوها في أعمال البر.

يا أخي عليك بتقوى الله ولسان صادق ونية خالصة، وأعمال شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خدعة، فإن الله يراك وإن لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، لا تخدع الله فيخدعك، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان ونفسه لا تشعر.

ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيء، فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ولا تبغين على أحد من المسلمين فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[4] ولا تغش أحداً من المؤمنين، فقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من غش مؤمناً فقد برئ من المؤمنين).

ولا تخدعنّ أحداً من المؤمنين فيكون نفاقاً في قلبك، ولا تحسدن ولا تغتابن فتذهب حسناتك، وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة كما يتوضأ من الحدث.

وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك

---

(١) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٣).

وبين الله، يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

❁ ❁ ❁

عن أبي إسحاق الفزاري. قال: سمعت الأوزاعي يقول: إذا مات ابن عون وسفيان الثوري استوى الناس.

عن أبي أحمد الزبيري. قال: سمعت سفيان يقول: كان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال سفيان الثوري: كنت إذا رأيت الرجال يجتمعون إلى أحد غبطته، فلما ابتليت بها وددت أنى نجوت منهم كفافاً لا عليَّ ولا ليَ.

عن سليمان بن ناجية. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إني لأعرف حب الرجل للدنيا بتسليمه علي أهل الدنيا.

عن محمد بن يزيد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: بلغني أنه يأتي على الناس زمان تمتلئ قلوبهم في ذلك الزمان من حب الدنيا، فلا تدخله الخشية. قال سفيان: وأنت تعرف ذلك إذا ملأت جراباً من شيء حتى يمتلئ فأردت أن تدخل فيه غيره، لم تجد لذلك من خلاء.

عن ابن غزالة. قال: قال سفيان: الفاجر الراجي لرحمة الله أقرب إلى الله من العابد الذي يرى أنه لا ينال ما عند الله إلا بعمله.

❁ ❁ ❁

عن المفضل بن مهلهل. قال: خرجت حاجاً مع سفيان فلما

صرنا إلى مكة وافينا الأوزاعي بها، فاجتمعنا أنا والأوزاعي وسفيان في دار، وكان على الموسم عبد الصمد بن علي الهاشمي، فدق داق الباب، فقلنا: من هذا؟ قال: الأمير! فقام الثوري فدخل المخدع، وقام الأوزاعي فتلقاه، فقال له عبد الصمد بن علي: من أنت أيها الشيخ؟ قال: أبو عمرو الأوزاعي، قال: حياك الله بالسلام، أماإن كتبك كانت تأتينا فكنا نقضي حوائجك، ما فعل سفيان الثوري؟ قال: قلت: دخل المخدع.

فدخل الأوزاعي في إثره فقال: إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك، فخرج سفيان مغضباً، فقال: سلام عليكم، كيف أنتم؟ فقال له عبد الصمد: أتيتك أكتب هذه المناسك عنك. فقال له سفيان: أو لا أدلك على ما هو أنفع لك منها؟ قال: وما هو؟ قال: تدع ما أنت فيه. فقال: وكيف أصنع بأمير المؤمنين أبي جعفر؟ قال: إن أردت الله كفاك أبا جعفر.

فقال له الأوزاعي: يا أبا عبد الله إن هؤلاء ليس يرضون منك إلا بالإعظام لهم، فقال له: يا أبا عمرو إنا لسنا نقدر أن نضرَّ بهم، وإنا نؤذيهم بمثل هذا الذي ترى، قال مفضل: فالتفت إلى الأوزاعي فقال: قم بنا من ها هنا، فإني لا آمن هذا يبعث من يضع في رقابنا حبالاً، وإن هذا ما يبالي.

❁ ❁ ❁

عن عبد الرحمن بن عبد الله. قال: قال سفيان الثوي: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم، لئلا تحبط أعمالكم.

عن أبي خالد. قال: قال سفيان: ولا تنظروا إلى دورهم ولا إليهم إذا مروا على المراكب.

عن رسته. قال: سمعت خيراً يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: وذكروا له أمر السلطان وطلبهم إياه، فقال: أترون أني أخاف هوانهم، إنما أخاف كرامتهم.

عن يحيى بن سليم الطائفي. قال: بعث محمد بن إبراهيم الهاشمي إلى سفيان الثوري بمائتي دينار فأبى أن يقبلها، فقلت: يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالاً. قال: بلى، ما كان آبائي وأجدادي إلا في العطية ولكن أكره أن أذل لهم.

عن أبي شهاب. قال: كنت ليلة مع سفيان الثوري فرأى ناراً من بعيد فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة، فقال: اذهب بنا في طريق آخر لا نستضيء بنارهم أو قال: بنورهم.

عن عطاء بن مسلم. قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك. قال: فغضب من ذلك وهم به فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، فلما خرج حف به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟ قال: فاستصغر عقولهم، ثم خرج هارباً إلى البصرة.

عن داود، عن أبيه. قال: كنت مع سفيان الثوري فمررنا بشرطي نائم، وقد حان وقت الصلاة، فذهبت أحركه فصاح سفيان: مه، فقلت: يا أبا عبد الله يصلي، فقال: دعه لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا.

عن الأشجعي، عن سفيان. قال: إن استرشدك أحد من هؤلاء الطريق فلا ترشده.

عن خلف بن تميم الكوفي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إن الرجل ليستعير من السلاطين الدابة والسرج أو اللجام فيتغير قلبه لهم.

عن عبد الرزاق. قال: بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه، قال: فجاء النجارون فنصبوا الخشب ونودي سفيان، وإذا رأسه في حجر فضيل بن عياض، ورجلاه في حجر ابن عيينة، فقالوا له: يا أبا عبد الله اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء، قال: فتقدم إلى الأستار ثم دخله ثم أخذه وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، قال: فمات قبل أن يدخل مكة، فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما يريد مني أبو جعفر؟ فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له: قم من مقامك فغيرك أولى به منك.

عن حيان. قال: قال ابن المبارك: قيل لسفيان الثوري: لو دخلت عليهم؟ قال: إني أخشى أن يسألني الله عن مقامي ما قلت فيه، قيل له: تقول وتتحفظ، قال: تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟ قال: حيان: وبلغني أنه قال: ليس أخاف ضربهم، ولكني أخاف أن يميلوا علي بدنياهم، ثم لا أرى سيئتهم سيئة.

عن يزيد بن أبي حكيم. قال: كنا بالمسجد الحرام فأخذ الناس بالبيعة وعلى سفيان إزار ورداء جديدان، فجاء إلى رجل مسكين عليه ثوبان خلقان فقال سفيان: هل لك أن تأخذ ثوبي الجديدين وتعطني الخلقين، قال: فاغتنم وقال: نعم! فأعطاه الجديدين وأخذ الخلقين فلبسهما، ثم جاء إلى المسجد فأخذه الحراس فألقوه خارجاً من المسجد وقالوا له: يا ساسي أنت ما تصنع ها هنا؟.

عن الفريابي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: أدخلت على أبي جعفر بمنى فقلت له: اتق الله فإنما أنزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً. حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً، وكان ينزل تحت الشجر. فقال لي: أتريد أن أكون مثلك؟ قلت: لا تكون مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه. فقال لي: اخرج.

❃ ❃ ❃

عن عصام بن يزيد خير. قال: وجهني سفيان وكتب معي إلى المهدي وإلى وزيره أبي عبد الله يعقوب بن داود، وأدخلت عليه فجرأ كلامي فقال: لو جاءنا أبو عبد الله لوضعنا أيدينا في يده وارتدينا برداء واتزرنا بآخر وخرجنا إلى السوق فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فإذا توارى عنا مثل أبي عبد الله لقد جاء قراؤكم الذين هم قراؤكم فأمروني ونهوني ووعظوني، وبكوا والله لي وتبا كيت لهم، ثم لم يفجأني من أحدهم إلا أن أخرج من كمه رقعة: أن افعل بي كذا وافعل بي كذا، ففعلت ذلك بهم ومقتهم عليه، وإنما كتب إليه لأنه طال مهربه.

[قال: فطلبت منه] أن يعطيه الأمان فأمنه.

وقدمت عليه البصرة بالأمان، ثم قال: اخرج إلى أهلك فقد طالت غيبتك فألم بهم ثم الحق بي بالكوفة فإني منتظرك حتى تجيء، فمرض بعده بالبصرة ومات رحمه الله.

❃ ❃ ❃

عن محمد بن عصام بن يزيد. قال: قال أبي: لما أراد سفيان أن يوجهني إلى المهدي قلت له: إني غلام جبلي لعلي أسقط بشيء

فأفضحك، فقال لي: ترى هؤلاء الذين يجيئوني لو قلت لأحدهم لظن أني قد أسديت إليهم معروفاً، ولكن قد رضيت بك، قل ما تعلم. ولا تقل ما لا تعلم. قال محمد: قال أبي: فلما رجعت إلى سفيان قلت: لأي شيء تهرب من الرجل والرجل يقول: لو جاء لخرجت معه إلى السوق فأمرنا ونهينا فقال: يا ناعس حتى يعمل بما يعلم فإذا عمل بما يعلم لم يسعنا إلا أن نذهب فنعلمه ما لا يعلم.

عن رذاذ بن الجراح. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: هلاك هذه الأمة إذا ملك الخصيان.

عن عبد الله بن المبارك. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لم أر للسلطان إلا مثلاً ضرب على لسان الثعلب، قال: قال الثعلب: عرفت للكلب نيفاً وسبعين دستاناً ليس منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني، قال سفيان: ليس للسلطان خير من أن لا يراك ولا تراه.

عن محمد بن مسعود، عن سفيان الثوري. قال: أدخلت على المهدي بمنى فلما سلمت عليه بالإمرة قال لي: أيها الرجل طلبناك فأعجزتنا، فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك، فقلت: قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً فاتق الله وليكن منك في ذلك عبرة، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال: أرأيت إن لم أستطع رفعه، قلت. تخليه وغيرك، قال: فطأطأ رأسه ثم قال: ارفع إلينا حاجتك، قال: قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. قال: فطأطأ رأسه فقال أبو عبد الله: أيها الرجل ارفع إلينا حاجتك، فقلت: وما أرفع؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد. قال: حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر ديناراً، وأرى هنا أموراً لا تطيقها الجبال.

عن إبراهيم الفراء. قال: كتب سفيان الثوري إلى المهدي مع

جبر: طردتني وشردتني وخوفتني، والله بيني وبينك، وأرجو أن يخير الله لي قبل رجوع الكتاب. قال: فرجع الكتاب وقد مات.

عن المشرفي الزاهد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: والله ما يمنعني من إتيانهم أني لا أرى لهم طاعة، ولكني رجل أحب الطعام الطيب فأخاف أن يفسدوني.

عن أبي عبد الله العنبري. قال: قال أبو بكر الحنفي: العجب من أقوام يميلون بين مسعر وسفيان!! أرسل صاحب الشرطة إلى مسعر: إن لك في هذا المال شيئاً فذهب ثلاث فراسخ حتى أخذها، وسفيان تعرض عليه الدنيا فيفر منها.

عن وهب بن إسماعيل. قال: كنت بمكة مع سفيان الثوري والأوزاعي فمرض سفيان فأتاه محمد بن إبراهيم يعوده فلما قيل له: هذا محمد بن إبراهيم، قام فدخل الكنيف فما زال فيه حتى استحييت من طول ما قعد، ثم خرج فجاء فقال: سلام عليكم، كيف أنتم؟ وطرح نفسه ومحمد جالس، فحول وجهه إلى الحائط، فما كلمه حتى خرج من عنده، فلما كان من الغد بعث إليه يقرئه السلام ويقول: كيف تجدك؟ لولا أني أعلم أنه ليس بمكة أحد أبغض إليك مني لأتيتك.

عن يوسف بن أسباط. قال: قال سفيان الثوري: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يُعصى الله.

عن بكر العابد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لا خير في القارئ يعظم أهل الدنيا.

عن يحيى بن يمان، عن سفيان. قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، والتمسوا رضوانه بالتباعد منهم، قالوا: فمن نجالس؟ قال: من تذكركم بالله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة عمله، ويزيد في علمكم منطقه.

عن عبد الله بن الفرج ـ مولى معن بن زائدة ـ. قال: طلب الثوري فصار إلى اليمن، فأخبرت معن بن زائدة بقدومه، فأمنه وأمر له بألف دينار فأبى أن يقبلها، فلما كان في أوان الحج ترك عندي عباءة كان يتمسح بها للصلاة، فلم ألقه إلا بالموقف، فقال لي: يا عبد الله ما فعلت العباءة؟ قلت: هوذا، قال: هاتها، فأعطيته إياها، قال: فلما قضى حجه صار إلى البصرة فنزل على بقال في جوار يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، قال عبد الله فقال لي البقال: ما زال ليلة مات يقوم فيتمسح[1] للصلاة حتى عددت له خمسين مرة، ثم مات من آخر الليل رحمة الله تعالى عليه.

عن زيد بن أبي خداش. قال: لقي سفيان شريكاً بعد ما ولي قضاء الكوفة فقال: يا عبد الله! بعد الإسلام والفقه والخير تلي القضاء وصرت قاضياً؟ فقال له شريك: يا أبا عبد الله! لا بد للناس من قاض، فقال له سفيان يا أبا عبد الله لا بد للناس من شرطي.

❁ ❁ ❁

عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول لعلي ابن الحسن السليمي:

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا، وأهل الحرص، وإخوان الشياطين الذين ينفقون أموالهم في غير طاعة الله، وإياك وما يفسد عليك دينك. فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوي الألسن المكثرين للكلام.

وإياك وما يفسد عليك معيشتك، فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص وأهل الشهوات، وإياك ومجالسة أهل الجفاء، ولا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي، ولا تصحب الفاجر ولا

---

(١) التمسح: الوضوء دون أن يسبقه قضاء الحاجة.

تجالسه، ولا تجالس من يجالسه، ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله، ولا تحب من يحبه، ولا تفش إليه سرك، ولا تبسم في وجهه، ولا توسع له في مجلسك، فإن فعلت شيئاً من ذلك فقد قطعت عرى الإسلام، .

وإياك وأبواب السلطان، وأبواب من يأتي أبوابهم، وأبواب من يهوى هواهم، فإن فتنهم مثل فتن الدجال، فإن جاءك منهم أحد فانظر إليه بوجه مكفهر، ولا تبال منهم شيئاً، فيرون أنهم على الحق، فتكون من أعوانهم، فإنهم لا يخالطون أحداً إلا دنسوه.

وكن مثل الأترجة طيبة الريح طيبة الطعم، لا تنازع أهل الدنيا في دنياهم، تكن محبباً إلى الناس.

وإياك والمعصية فتستحق سخط الله، واعلم أنه لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام، جبل الله تربته بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بسجود ملائكته، وأسكنة جنته، فأخرجه منها بذنب واحد.

واعلم يا أخي أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة بالمعاصي، وأن داود عليه السلام خليفة الله في الأرض، نزل ما نزل به بخطيئة واحدة، ولو أنا عملنا مثلها لقلنا: ليست بخطيئة، فاتق الله يا أخي واجتنب المعاصي وأهلها، فإن أهل المعاصي استوجبوا من الله النقمة، .

وكن مبذولاً بمالك ونفسك لإخوانك، ولا تغشهم في السر والعلانية، وابغض الجهال ومجالستهم، والفجار وصحبتهم، فإنه لا ينجو من جاورهم إلا من عصم الله، وإذا كنت مع الناس فعليك بكثرة التبسم والبشاشة، وإذا خلوت بنفسك فعليك بكثرة البكاء والهم والحزن، فقد بلغنا والله أعلم، أن أكثر ما يجد المؤمن يوم القيامة في كتابه من الحسنات الهم والحزن، وإياك وخشوع النفاق، وأن تظهر على وجهك خشوعاً ليس في قلبك.

عن يحيى بن أيوب. قال: قال عبد الله بن نمير: لقيني سفيان الثوري بين الصفا والمروة، فأخذ بيدي وسلم عليَّ ثم انطلق إلى منزله فإذا عبد الصمد بن علي قاعد على باب منزله ينتظره ـ وكان والي مكة ـ فلما رآه قال: ما أعلم في المسلمين أحداً أغش لهم منك، فقال سفيان: كنت فيما هو أوجب عليَّ من إتيانك، إنه كان يتهيأ للصلاة، فأخبره عبد الصمد أنه كان قد جاءه قوم فأخبروه أنهم قد رأوا الهلال، هلال ذي الحجة، فأمره أن يأمر من يصعد الجبال ثم يؤذن الناس بذلك ويده في يده، وترك عبد الصمد قاعداً على الباب، فأخرج إلي سفرة فيها فضلة من طعام، خبز مكسر وجبن مقطع، فجعلنا نأكل جميعاً، قال: فأخذ بيده فذهب به إلى المهدي وهو بمنى، فلما رآه صاح بأعلى صوته: ما هذه الفساطيط؟ ما هذه السرادقات؟ حج عمر بن الخطاب فسأل: كم أنفقنا في حجتنا هذه؟ فقيل: كذا وكذا ديناراً، ذكر شيئاً يسيراً زاد سعد: لقد أسرفنا.

عن النضر بن أبي زرعة. قال: قال لي مبارك بن سعيد ـ بالموصل ـ قال: ائت سفيان وأخبره أن نفقتي قد نفدت، وثيابي قد تخرقت، وقل له: يكتب إلى والي الموصل لعله يصلني بشيء أكتسي به وأتجمل، فقدمت الكوفة، فأتيت سفيان فأخبرته بما قال لي مبارك، فدخل الدار فأخرج دورقاً فيه كسر يابسة، فنشرها على الأرض، فقال: لو رضي مبارك بمثل هذا لم يكن بالموصل، ماله عندنا كتاب.

عن مبارك بن سعيد. قال: كتب سفيان إليّ: أما بعد: فأحسن القيام على عيالك، وليكن الموت من بالك، والسلام.

عن محمد بن أبي منصور أو غيره. قال: عاتب سفيان رجلًا من إخوانه، كان همَّ أن يتلبس بشيء من أمر هؤلاء، فقال له: يا أبا عبد الله إن علي عيالاً، قال: لأن تجعل في عنقك مخلاة فتسأل على الأبواب، خير من أن تدخل في شيء من أمر هؤلاء.

عن وهب بن إسماعيل الأسدي. قال: كنا عند سفيان الثوري، فجاءه رجل فسأله عن مسألة، وعلى رأسه قلنسوة سوداء، فنظر إليه فأعرض عنه، ثم سأله الثانية فنظر إليه فأعرض عنه، فقال له: يا أبا عبد الله! يسألك الناس فتجيبهم، وأسألك فتنظر إليّ ثم تعرض عني؟ فقال: هذا الذي تسألني أي شيء تريد به؟ قال: السنة. قال؛ فهذا الذي على رأسك أي شيء هو من السنة؟ هذه سنة سنها رجل سوء يقال له: أبو مسلم، لا تستن بسنته، قال: فنزع الرجل قلنسوته، فوضعها، ثم لبث قليلاً ثم قام فذهب.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت الثوري يقول: أبغض ما يكون إليّ إذا رأيتهم قياماً يصلون. قال: ورأى سفيان على رجل قلنسوة سوداء وذكر له أمر الحج، فقال: وضعك هذه يعدل حجة.

عن محمد بن سابق. قال: كنت جالساً عند سفيان حين استقضي شريك فقال: أيما رجل أفسد. لكن منصور بن المعتمر أخذه داود بن علي فأقامه حتى ورمت قدماه، فدفع إليه العهد فوضعه في كوة بيته فلم يخرجه حتى مات.

عن يحيى بن يمان. قال: تقاوم سفيان وإبراهيم بن أدهم ليلة إلى الصبح، فكانا يتذاكران، فقيل: يا أبا نصر في أي شيء؟ قال: في أمور المسلمين.

عن يحيى بن يمان. قال: كثيراً ما كنت أرى سفيان مقنع الرأس يشتد في جنازة العبد والأمة.

عن أبي خالد. قال: سمعت سفيان يقول: ينبغي لأهل الميت أن يلقنوه الشهادة، فإن ملك الموت عليه السلام إذا غمز متينيه[1]

---

(١) متينيه: مثنى المتين، ومتينا الظهر: مكتنف الصلب عن يمين وشمال.

انقطع كلامه، وانقطعت معرفته، فيسقى سكرة الموت، فلو أن بيده سيفاً ضرب أباه إن قدر.

عن عطاء الخفاف. قال: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكياً، فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً.

عن عبد العزيز بن أبي خالد. قال: مر سفيان الثوري بالقاضي وهو يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له يا شيخ أما علمت أن لله يوماً يحشر فيه المبطلون، فما زالت تعرف في وجه القاضي حتى لقي الله عز وجل.

عن يزيد بن أبي الحكم. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: يا من إذا سئل رضي، وإذا لم يسأل غضب، ولا يكون هكذا أحد سواه.

عن حجاج بن محمد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إياكم وصحبة القراء، وعليكم بصحبة الفتيان.

عن المعافى بن عمران. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

عن بكر بن محمد العابد. قال: قلت لسفيان الثوري: دلني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالة لا توجد.

عن المعافى. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: من العجب أن يظن بأهل الشر الخير.

عن علي بن هشام القرشي. قال: جاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار، فأعطاه الدينار وكان معه آخر فسقط من سفيان، فطلبه فإذا إلى جانبه دينار آخر فقال له الصيرفي: خذ دينارك، قال: ما أعرفه، قال: خذ الناقص، قال: فلعله الزائد، قال: فتركه ومضى.

عن ابن خبيق. قال: قال لي يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري - وأنا وهو في المسجد - يا يوسف ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته، فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر، فنظرت إليه فإذا المطهرة في يده على حالها، فقلت: يا أبا عبد الله قد طلع الفجر، قال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة إلى هذه الساعة.

عن خلف بن تميم. قال: سمعت سفيان يقول: بصر العينين من الدنيا، وبصر القلب من الآخرة، وإن الرجل ليبصر بعينه فلا ينتفع ببصره وإذا أبصر بالقلب انتفع.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة.

عن يوسف بن أسباط. قال: كنت بالكوفة أطبع اللبن في بني الأحمر، فجاء سفيان فقعد إليّ فحدثني ثم قال: يا يوسف لا تشكر إلا من عرف موضع الشكر، قلت: وما موضع الشكر يا أبا عبد الله؟ فقال لي: إذا أوليتك معروفاً فكنت أنا أسرَّ به منك، وأنا منك أشدَّ استحياء فاشكر، وإلا فلا.

عن شعيب بن حرب. قال: جاءت امرأة إلى الثوري فقالت: إن ابني ضيعني وترك عمله، فقال: في أي شيء أخذ ابنك؟ قالت: في الحديث، قال: احتسبيه.

عن يوسف بن أسباط. قال: سئل سفيان الثوري عن مسألة وهو يشتري شيئاً فقال: دعني فإن قلبي مع درهمي.

عن عبد الله بن المبارك. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة.

عن الفريابي عن سفيان. قال: جاء راهب إلى راهب فقال:

كيف رأيت نشاطك؟ قال: ما شعرت أن أحداً يسمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعة من نهار أو ليل لا يصلي فيها، قال: كيف ذكرك للموت؟ قال: ما أرفع رجلاً ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت، ثم قال: إني لأصلي فأبكي حتى ينبت العشب من دموعي، قال: إنك إن تضحك وأنت معترف لله بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدل بعملك، فإن صلاة المدل لا تصعد فوقه، قال: أوصني، قال: ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها، وكن فيها كالنحلة إن وقعت على عود لم تكسره، وإن أكلت أكلت طيباً وإن وضعت وضعت طيباً، وانصح الله نصح الكلب لأهله، فإنهم يضربونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم.

عن عبد الرحمن بن عبد الله البصري. قال: قال رجل لسفيان: أوصني، قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام.

عن محمود الدمشقي. قال: جاء رجل إلى سفيان الثوري فشكى إليه مصيبة أصابته، فقال له سفيان: ما كان بها أحد أهون عليك مني؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: ما وجدت أحداً تشكو إليه غيري؟ قال: إنما أردت أن تدعو لي، فقال له سفيان: أمدبِر أنت أم مدبَّر؟ قال: بل مدبَّر قال: فارض بما يُدَبَّر لك.

عن علي بن فضيل. قال: رأيت سفيان الثوري ساجداً حول البيت فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه.

عن ابن وهب. قال: رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع رأسه حتى نودي بصلاة العشاء.

عن محمد بن حرب. قال: قال سفيان: حمد الله ذكر وشكر، وليس شيء ذكراً وشكرا غيره.

عن عبد الرزاق. قال: كنت إذا لقيت سفيان الثوري لم أستوحش إلى أحد.

عن عبد الرزاق. قال: سمعت سفيان يقول: سلوني عن التفسير والمناسك فإني بهما عالم.

عن يحيى بن يمان العجلي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قد كنت أشتهي أمرض فأموت، فأما اليوم فليتني مت فجأة.

عن قبيصة بن عقبة. قال: أهديت إلى سفيان الثوري شيئاً، فقبله مني، ثم صحبني بقصعة أرز يحملها.

عن يحيى بن يمان، عن سفيان. قال: ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذل له.

عن يحيى. قال: صعد سفيان الثوري يؤذن العصر وترك نعليه في المحراب، فأشرف يؤذن فرأى ابن عم له قد أخذ نعليه، فلما صلى أرسل إليه بعشرة دراهم.

عن يحيى بن يمان. قال: رأيت سفيان يخرج يدور بالليل، وينضح في عينيه الماء، حتى يذهب عنه النعاس.

عن محمد بن حسان. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما عاشرت في الناس رجلاً هو أرق من سفيان، قال: وقال ابن مهدي: وكنت أرامقه الليلة بعد الليلة، فما كان ينام إلا في أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي: النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، كأنه يخاطب رجلاً في البيت، ثم يدعو بماء إلى جانبه فيتوضأ، ثم يقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم بما أطلب، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، اللهم إن الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني، وكل هذا من نعمتك السابغة عليّ، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك، إلهي قد علمت أن لو

كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين، ثم يقبل على صلاته. وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إني كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، قال ابن مهدي: وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه.

عن إسحاق بن إبراهيم الحنيني. قال: كنا في مجلس الثوري، وهو يسأل رجلاً رجلاً عما يصنع في ليله، فيخبره حتى دار القوم، فقالوا: يا أبا عبد الله قد سألتنا فأخبرناك، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك؟ فقال: لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها، فإذا استيقظت فلا أقيلها والله.

عن ابن المبارك. قال: سألت سفيان الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته؟ قال: ينوي أن يناجي ربه.

❁ ❁ ❁

عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على ابن الحسن:

انظر ياأخي أن يكون أمرك ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، التفكر في يومك الذي مضى، فما كان من طاعة الله فاستقم عليها، وما كان من معصية الله فانزع عنها، ولا تُعِد فيها يديك، فإنك لا تدري أتستكمل يومك أم لا، وأن التوبة مبسوطة، وترك الذنب أيسر عليك من طلب التوبة، والتوبة النصوحة هي الندامة التي لا رجعة فيها.

واتق الله حيثما كنت، إذا عملت ذنباً في السر فتب إلى الله في السر، وإذا عملت في العلانية، فتب إلى الله في العلانية، ولا تدع ذنباً يركب ذنباً، وأكثر من البكاء ما استطعت، والضحك فلست منه بسبيل، فإنك لم تخلق عبثاً.

وصل رحمك وقرابتك وجيرانك وإخوانك، ثم إذا رحمت رحمت مسكيناً أو يتيماً أو ضعيفاً، وإذا هممت بصدقة أو ببر أو بعمل صالح فعجل مضيه من ساعته، من قبل أن يحول بينك وبينه الشيطان.

واعمل بنية، وكل بنية واشرب بنية، ولا تأكل وحدك، ولا تنامن وحدك، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا تأكل في ظلمة فإن الشيطان يأكل في الظلمة.

وإياك والشح فإن الشح يفسد عليك دينك، ولا تَعِدَن أحداً شيئاً فتخلفه فتستبدل بالمودة بغضاً، وإياك والشحناء فإنه لا تقبل توبة عبد يكون بينه وبين أخيه شحناء، وإياك والبغضاء فإنما هي الحالقة، وعليك بالسلام لكل مسلم يخرج الغل والغش من قلبك، وعليك بالمصافحة تكن محبوباً إلى الناس.

ولا تزل على وضوء تحبك الحفظة وإن مت مت شهيداً، وادن اليتيم منك وامسح برأسه يزد في عمرك، وتكن رفيق نبيك، ارحم الصغير ووقر الكبير تلحق بالصالحين، وأطعم طعامك الأتقياء الصالحين، وإن كان غنياً، يحبك الله ويلقي محبتك على الناس، وإذا لبست جديداً فألق خلقانك على عار يمح اسمك من البخلاء، ويزد في حسناتك وينقص من سيئاتك، ولا تحب إلا في الله، ولا تبغض إلا في الله، فإن لم تفعل كان سيماك سيما المنافقين.

❁ ❁ ❁

عن عمر بن مدرك. قال: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: دخلت على سفيان بن سعيد يوماً وبين يديه رغيف وكف زبيب - أو حفنة - فقال لي: ادن يا مكي، قلت: يا أبا عبد الله دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها، قال: اليوم حضرتني النية.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان لولا الحديث، كان يصلي ما بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء صلاة، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء.

عن سلمة بن خلف بن إسماعيل. قال: قلت لسفيان الثوري؛ إذا أخذت في الحديث نشطت وأنكرتك، وإذا كنت في غير الحديث كأنك ميت؟ قال سفيان: أما علمت أن الكلام فتنة؟.

عن يحيى بن سعيد. قال: سمعت الثوري يقول: ما أنكر نفسي إلا إذا جلست للحديث.

عن أحمد بن عاصم. قال: التقى سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة. قال له فضيل: ترجو لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي وتزينت لك به؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أحييتني أحياك الله.

عن عبد الرحمن الحارثي. قال: دفن سفيان بن سعيد كتبه وكنت أعينه عليها، فدفن منها كذا وكذا، فقلت: يا أبا عبد الله وفي الركاز الخمس، قال لي: خذ ما شئت، فعزلت منه شيئاً كان يحدثني منه.

عن فرقد إمام مسجد البصرة. قال: دخلوا على سفيان الثوري في مرضه الذي مات فيه، فحدثه رجل بحديث فأعجبه، وضرب يده إلى تحت فراشه فأخرج ألواحاً له فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟ فقال: إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسناً، وإن مت فقد كتبت حسناً.

عن أسباط. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال سفيان الثوري: لو أن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، ثم اهتممت بشيء من رزقي لظننت أني كافر.

عن إبراهيم بن سليمان الزيات العبدي ـ بمكة ـ. قال: كنت جالساً مع سفيان، فجعل رجل ينظر إلى ثوب كانت على سفيان، ثم قال: يا أبا عبد الله! أي شيء كان هذا الثوب؟ فقال سفيان: كانوا يكرهون فضول الكلام.

عن عبد الرحمن بن مهدي ـ أو يحيى بن سعيد القطان ـ. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لا تسأل أحداً في يوم واحد أكثر من حاجة واحدة.

عن عصام جبر. قال: حججنا مرة والمهدي معنا، وقد هرب سفيان، فخرجنا من منى على حمار، وأنا أسوقه، فلما حاذى بنا المهدي في خيله، مازَحته فقلت: أنادي فأقول: هذا سفيان؟ فقال: يا ناعس اسكت لا يسمع إنسان.

عن عبد الله بن داود الخريبي. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا اشتريت شيئاً لا تريد أن تنيل جارك منه فواره.

عن عبد الله بن السندي. قال: جاء رجل إلى الثوري فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته، كيف أنت وكيف حالك؟ فقال سفيان: عافانا الله وإياك، لسنا أصحاب تطويل.

عن أبي خالد الأحمر. قال: سمعت سفيان يقول: أفضل الذكر تلاوة القرآن في الصلاة، ثم تلاوة القرآن في غير الصلاة، ثم الصوم، ثم الذكر.

عن الواسطي. قال: قال أبو شهاب الحناط: جلست إلى سفيان الثوري وهو في دبر الكعبة مستلق فسلمت عليه فلم يرد علي كما ينبغي، فقلت: إن أختك قد بعثت إليك معي بشيء، فاستوى فقلت له: يا أبا عبد الله سلمت عليك فلم ترد عليَّ كما كنت أريد، فلما قلتُ لك: بعثت معي بشيء استويت؟ قال: تكتم عليّ؟ لم آكل شيئاً منذ ثلاث، فلما قلت: بعثت إليك أختك علمت أنه من ذا ـ وأشار بيده ـ أي بغزلها.

عن أبي نعيم. قال: سمعت سفيان وكتب إلى عبد الله بن أبي ذيب: من سفيان الثوري إلى محمد بن عبد الرحمن، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله، فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً، فعليك بتقوى الله أما بعد.

عن أبي محمد. قال: قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول الزهد في الناس زهدك في نفسك.

عن يعلى بن عبيد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قلنا: لا! قال: فإن معكم من يرفع الحديث.

عن ابن المبارك. قال: كتب إليَّ سفيان الثوري: بثَّ علمك واحذر الشهرة.

عن عبد الصمد. قال: سمعت وكيعاً يقول: قال سفيان الثوري: الزموا الصوامع في آخر الزمان، إن صوامعكم بيوتكم، قال وكيع ورؤي: سفيان الثوري يأكل الطباهج وقال: إني لم أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل، وارتحل وانظر على من تدخل، وتكلم وانظر كيف تتكلم، كيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول: ﴿خُذُوا

﴿زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[1].

عن علي بن هلال، عن أبيه. قال: قال سفيان لرجل رآه قريباً من المنبر: شغلتني يا فلان بقربك من المنبر، أما خفت أن يقولوا قولاً عجيباً فيجب عليك رده؟ فقال الرجل له: أليس يقال: ادن واستمع؟ قال: ذاك لأبي بكر وعمر والخلفاء، فأما هؤلاء فتباعد عنهم حتى لا تسمع كلامهم، ولا ترى وجوههم.

❁ ❁ ❁

عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن فيما يوصيه:

يا أخي، عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل علية لرجل وسفله ليس له، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله وتتهدم عليته، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي، إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك، وأكرمت بعض الناس، وأهنت بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإن الذي يعطيك شيئاً من ماله فإنما هو وسخه وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب، وإن أنت تناولت من الناس شيئاً إن دعوك إلى منكر أجبتهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم.

يا أخي، جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس، وكثير من العبادة. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (لو أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

أحدكم أخذ حبلاً ثم احتطب حتى يدبر ظهره كان خيراً له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه).

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه، وقال: يا معشر القراء ارفعوا رؤسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما في القلب، استبقوا في الخيرات ولا تكونوا عيالاً على الناس، فقد وضح الطريق.

وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره.

فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، وإياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً، أرأيت رجلاً أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره؟ كلا! إن القذر لا يطهر إلا بطيب، فكذلك لا تمحى السيئة إلا بالحسنة، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الحرام لا يقبل في شيء من الأعمال، أو هل عمل أحد ذنباً فمحاه بذنب؟.

❁ ❁ ❁

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت الثوري يقول: من بلغ سن النبي ﷺ فليرتَدِ لنفسه كفنا.

عن عبد الرزاق. قال: قال لي ابن المبارك: أقعد إلى سفيان الثوري فيحدث فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا سمعته، ثم أقعد عنده مجلساً آخر فيحدث فأقول ما سمعت من علمه شيئاً.

عن يحيى بن يمان. قال: خرجت إلى مكة فقال لي: سعيد بن سفيان: أقرئ أبي السلام وقل له: يقدم، فلقيت سفيان بمكة فقال: ما

فعل سعيد؟ فقلت: صالح، يقرئك السلام ويقول لك أقدم، فتجهز بالخروج وقال: إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء.

عن الحارث بن منصور. قال: قال سفيان: كان يقال: يأتي على الناس زمان تموت فيه القلوب وتحيى الأبدان.

عن زيد بن المبارك، عن سفيان. قال: كان يقال الصمت زين العالم وستر الجاهل.

❁ ❁ ❁

عن مبارك أبي حماد. قال: سمعت سفيان الثوري يقول فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي:

عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فإنها وزركله، وإياك يا أخي والرياء في القول والعمل فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب.

ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه، فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه، كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذي لا يشفق على دينه كيف يشفق على دينك؟

ويا أخي، إنما دينك لحمك ودمك، ابك على نفسك وارحمها، فإن أنت لم ترحمها لم ترحم، وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا، فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك.

وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك.

ثم عليك يا أخي بأدب حسن، وخلق حسن،ولا تخالفن الجماعة فإن الخير فيها، إلا من هو مكب على الدنيا، كالذي يعمر بيتاً ويخرب آخر.

وانصح لكل مؤمن إذا سألك في أمر دينه، ولا تكتمن أحداً من النصيحة شيئاً إذا شاورك فيما كان لله فيه رضى، وإياك أن تخون مؤمناً، فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله، وإذا أحببت أخاك في الله فابذل له نفسك ومالك.

وإياك والخصومات والجدال والمراء، فإنك تصير ظلوماً خوانا أثيما.

وعليك بالصبر في المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى البر والبر يجر إلى الجنة، وإياك والحدة والغضب، فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار.

ولا تمارين عالماً فيمقتك، وإن الاختلاف إلى العلماء رحمة، والانقطاع عنهم سخط الرحمن، وإن العلماء خزان الأنبياء وأصحاب مواريثهم.

وعليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك تكن سليماً، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله.

وابغض الفاسقين تطرد به الشياطين، وأقل الفرح والضحك بما تصيب من الدنيا تزدد قوة عند الله، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وابك على خطيئتك تكن من أهل الرفيق الأعلى، ولا تكن غافلاً فإنه ليس يغفل عنك، وإن لله

عليك حقوقاً وشروطاً كثيرة، وينبغي لك أن تؤديها، ولا تكونن غافلاً عنها، فإنه ليس يغفل عنك، وأنت محاسب بها يوم القيامة.

وإذا أردت أمراً من أمور الدنيا فعليك بالتؤدة، فإن رأيته موافقاً لأمر آخرتك فخذه، وإلا فقف عنه حتى ينظر إلى من أخذه كيف عمله فيها وكيف نجا منها؟ واسأل الله العافية، وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.

ولا تكونن أكولاً لا تعمل بقدر ما تأكل فإنه يكره ذلك، ولا تأكل بغير نية ولا بغير شهوة، ولا تحشون بطنك فتقع جيفة لا تذكر الله، وأكثر من الهم والحزن، فإن أكثر ما يجد المؤمن في كتابه من الحسنات الهم والحزن.

وإياك والطمع فيما في أيدي الناس، فإن الطمع هلاك الدين، وإياك والرغبة فإن الرغبة تقسي القلب، وإياك والحرص على الدنيا، فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة، وكن طاهر القلب نقي الجسد من الذنوب والخطايا، نقي اليدين من المظالم، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة، خالي البطن من الحرام، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت.

كف بصرك عن الناس، ولا تمشين بغير حاجة، ولا تكلمن بغير حكم، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك، وكن خائفاً حزيناً لما بقي من عمرك، لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك.

وإياك أن تلي نفسك من الأمانة شيئاً، وكيف تليها وقد سماك الله ظلوماً جهولاً؟ أبوك آدم لم يبق فيها ولم يستكمل يوم حملها حتى وقع في الخطيئة، أقل العثرة، واقبل المعذرة واغفر الذنب، كن ممن يرجى خيره ويؤمن شره.

لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، كن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك، وصل من قطعك وصل رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.

وأقلّ دخول السوق فإنهم ذئاب عليهم ثياب، وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس، وإذا دخلتها فقد لزمك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنك لا ترى فيها إلا منكراً، فقم على طرفها فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقد بلغنا أنه يكتب لقائلها بكل من في السوق عجمي أو فصيح عشر حسنات، ولا تجلس فيها، واقض حاجتك وأنت قائم، يسلم لك دينك.

وإياك أن يفارقك الدرهم فإنه أتم لعقلك، ولا تمنعن نفسك من الحلاوة فإنه يزيد في الحلم، وعليك باللحم ولا تدم عليه ولا تدعه أربعين يوماً فإنه يسيء خلقك ولا ترد الطيب فإنه يزيد في الدماغ، وعليك بالعدس فإنه يفرز الدموع ويرق القلب.

وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان، وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلين قلبك، وعليك بطول الصمت تملك الورع.

ولا تكونن حريصاً على الدنيا، ولا تكن حاسداً تكن سريع الفهم، ولا تكن طعاناً تنج من ألسن الناس، وكن رحيماً تكن محبباً إلى الناس، وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض، وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر.

اعمل بالعافية تأتك العافية من فوقك، كن عفواً تظفر بحاجتك، كن رحيماً يترحم عليك كل شيء.

يا أخي لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلاً، وقدم من نفسك لنفسك ليوم العطش، يا أخي فإنك لا تروى يوم القيامة إلا بالرضى من الرحمن، ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك، وأكثر من النوافل تقربك إلى الله، وعليك بالسخاء تستر العورات، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال، وعليك بكثرة المعروف يؤنسك الله في قبرك، واجتنب المحارم كلها، تجد حلاوة الإيمان.

جالس أهل الورع وأهل التقى يصلح الله أمر دينك، وشاور في أمر دينك الذين يخشون الله، وسارع في الخيرات يحول الله بينك وبين معصيتك، وعليك بكثرة ذكر الله يزهدك الله في الدنيا، وعليك بذكر الموت، يهون الله عليك أمر الدنيا، واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب.

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة، وأبغض أهل المعاصي يحبك الله، والمؤمنون شهود الله في الأرض، ولا تسبن أحداً من المؤمنين، ولا تحقرن شيئاً من المعروف ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم.

وانظر يا أخي، أن يكون أول أمرك تقوى الله في السر والعلانية، واخش الله خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث، ثم الحشر ثم الوقوف بين يدي الجبار عز وجل، وتحاسب بعملك، ثم المصير إلى إحدى الدارين: إما جنة ناعمة خالدة، وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه، وارج رجاء من علم أنه يعفو أو يعاقب، وبالله التوفيق لا رب غيره.



قال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه: كلام الثوري وأحواله وألفاظه ومواعظه تكثر وتتسع، وفي دون ما ذكرنا فوائد لمن رزق العمل به ووفق له.

للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد [illegible] مسانيد الحديث مالاَ يضبط كثرة سبق إلى جمع بعض حديثه الماضون من أسلافنا وعلمائهم.

٣٨٨ ـ شعبة بن الحجاج

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومنهم الإمام المشهور، والعلم المنشور في المناقب مذكور، له التقشف والتعبد، والتكشف عن الأخبار والتشدد، أمير المؤمنين في الرواية والتحديث، وزين المحدثين في القديم والحديث، أكثر عنايته بتصحيح الآثار، والتبري من تحمل الأوزار، المتثبت المحجاج أبو بسطام شعبة بن الحجاج[١]، كان للفقر عانقاً، وبضمان الله تعالى واثقاً.

عن أبي بكر البكراوي. قال: ما رأيت أعبد من شعبة، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه، ليس بينهما لحم.

عن حمزة بن زياد. قال: سمعت شعبة يقول: ـ وكان ألثغ وكان قد يبس جلده على عظمه من العبادة ـ لو حدثتكم عن ثقة ما حدثتكم عن ثلاثة.

عن علي بن الحسين الحامي البلخي. قال: قال عمر بن هارون: كان شعبة يصوم الدهر كله لا تُرى عليه، وكان سفيان الثوري يصوم ثلاثة أيام من الشهر ترى عليه.

---

(١) قال في صفة الصفوة: هو أكبر من الثوري بعشر سنين.
وقال أيضاً: توفي بالبصرة في أول سنة ستين ومائة، وهو ابن سبع وسبعين.

عن محمد بن رافع. قال: سمعت أبا قتيبة يقول: ربما قال شعبة في الحديث لأصحاب الحديث: اعلموا يا قوم أنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخرتم من القرآن.

عن أبي قطن. قال: ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي.

عن أبي الوليد. قال: سمعت شعبة يقول: إذا كان عندي دقيق وقصب فما أبالي ما فاتني من الدنيا.

عن قراد أبي نوح. قال: رأى عليٌّ شعبة قميصاً فقال: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دارهم، قال: ويحك أما تتقي الله؟ تلبس قميصاً بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة كان خيراً لك! قلت: يا أبا بسطام إنا مع قوم نتجمل لهم، قال شعبة: إيش نتجمل لهم.

عن يحيى بن سعيد: كان شعبة من أرق الناس، كان ربما مر به السائل فيدخل بيته فيعطيه ما أمكنه.

عن عفان. قال: سمعت شعبة يقول غير مرة كلما جلس: لولا حوائج لي إليكم ما جلست معكم، وكانت حوائجه أن يسأل لجيرانه الفقراء.

عن يحيى بن سعيد. قال: كنت أكون عند شعبة فيجيء السائل فلا يكون معه شيء فيقول لي: يحيى معك شيء؟ فأقول نعم! فأعطيه فيعطيه السائل ثم يرد عليّ فأقول: يا أبا بسطام إيش هذا؟ فيقول خذها.

عن أبي قطن. قال: كانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة كثير الصيام سخي النفس.

عن حجاج. قال: ركب شعبة حماراً له فلقيه سليمان بن المغيرة

فشكى إليه فقال له شعبة: والله ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نزل عنه ودفعه إليه.

عن أبي داود الطيالسي. قال: كنا عند شعبة فجاء سليمان بن المغيرة يبكي فقال له شعبة: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ قال: مات حماري وذهبت مني الجمعة وذهبت حوائجي، قال: فبكم أخذته؟ قال: بثلاثة دنانير، قال: فعندي ثلاثة دنانير والله ما أملك غيرها، يا غلام هات تلك الصرة، فإذا فيها ثلاثة دنانير فدفعها إليه وقال اشتر بها حماراً ولا تبك.

عن أبي النضر. قال: كان شعبة إذا قعد في زورق أعطى عن جميعهم.

عن النضر بن شميل. قال: ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة. إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يتغيب عن وجهه.

عن مسلم بن إبراهيم. قال: كان شعبة إذا وقف في مجلسه سائل لا يحدث حتى يعطى، فقام يوماً سائل ثم جلس، فقال: ما شأنه؟ قال: ضمن عبد الرحمن بن مهدي أن يعطيه درهماً.

عن عثمان. قال: قومنا حمار شعبة وسرجه ولجامه بضعة عشر درهماً.

عن محمد بن عروة. قال: سمعت أصحابنا يقولون: وهب المهدي لشعبة ثلاثين ألف درهم فقسمها، وأقطعه ألف جريب بالبصرة فقدم البصرة فلم يجد شيئاً يطيب له فتركها.

عن يزيد بن هارون. قال: كان شعبة يقول: لا تكتبوا عن فقير - وكان هو فقيراً - إنما كان في عيال ختنه وابن أخيه.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: كان سفيان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

عن يعقوب بن إسحاق حدثني من سمع الثوري - وذكر عنده شعبة - فقال: ذاك أمير المؤمنين الصغير.

عن شعيب بن حرب. قال: سمعت شعبة يقول: اختلفت إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة، وما سمعت منه إلا مائة حديث، في كل خمس مجالس حديثاً.

عن أبي الوليد. قال: سألت شعبة عن حديث فقال: والله لاحدثتك به، لم أسمعه إلا مرة.

عن سفيان بن عيينة. قال: لقيت شعبة في طريق مكة فقلت: أين تريد؟ فقال: أريد الأسود بن قيس أستفيد منه حديثاً.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: قال شعبة: قلت لأبي إسحاق حديث عقبة بن عامر «كنا نتناوب الرعية» ممن سمعته؟ قال: من عبد الله بن عطاء، فأتيت عبد الله بن عطاء فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من زياد بن مخراق، فأتيت زياد بن مخراق فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من شهر بن حوشب.

❀ ❀ ❀

عن نصر بن حماد البجلي. قال: سمعني شعبة أحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر. قال: (كنا نتناوب رعية الإبل، فتوضأت ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وإذا أصحابه حوله، فدنوت منه فسمعته يقول: من توضأ ثم دخل المسجد فصلى ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه). فقلت: بخ بخ فذكر الحديث.

قال: فلطمني شعبة فتنحيت في ناحية أبكى.

فقال: ماله يبكي؟.

فقال له ابن إدريس: إنك أسأت إليه.

فقال شعبة: انظر ما يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق، أنا قلت لأبي إسحاق من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: حدثني عبد الله بن عطاء عن عقبة، فقلت: سمع عبد الله بن عطاء من عقبة ومسعر حاضر؟ فقال مسعر عبد الله بن عطاء بمكة، فرحلت إليه بمكة ولم أرد الحج، أردت الحديث، فسألت عبد الله بن عطاء عن الحديث، فقال سعد بن إبراهيم: حدثني، فقال مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، فرحلت إلى المدينة فسألت عنه سعداً فقال: الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني، فقلت: أي شيء هذا الحديث؟ بينا هو كوفي إذ صار مكياً، إذ صار مدنياً، إذ صار بصرياً، فأتيت البصرة فسألت زياد بن مخراق فقال: ليس الحديث من بابتك، فقلت: لا بد من أن تخبرني، فقال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر، فلما ذكر شهراً قلت: دمر عليَّ هذا الحديث.

قال نصر بن حماد. قال شعبة: والله لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين، فذكرت هذا الحديث لمثنى بن معاذ فقال: حدثني بشر بن المفضل عن شعبة بهذه القصة، وزاد فيه محمد بن المنكدر.

عن أبي داود الطيالسي. قال: سمعت شعبة بن الحجاج يقول: كل حديث ليس فيه حدثنا وأخبرنا، فهو خل وبقل.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: لزمت شعبة عشرين سنة فما كنت أرجع من عنده إلا بثلاثة أحاديث وعشرة، أكثر ما كنت أسمع منه في كل يوم.

عن حماد بن يزيد. قال: لقيني شعبة بن الحجاج ومعه مدرة فقلت: يا أبا بسطام أين تريد؟ قال: إلى أبان بن أبي عياش أدعوه إلى القاضي، فإنه يكذب، فقلت له: فإني أخاف عليك عبد القيس، قال:

فكلمته فانصرف، قال حماد: ثم لقيني شعبة بعد ذلك فقال لي: يا أبا إسماعيل إني نظرت في ذلك فلم يسعني السكوت.

عن محمد بن إسحاق. قال: سمعت شعبة يقول: لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يطلب الإسناد.

عن المنهال بن بحر. قال: سمعت شعبة يقول: انظروا عن من تكتبون، اكتبوا عن قرة بن خالد، وسلمان بن المغيرة، والأسود بن شيبان، وابن عون، ولوددت أن آخذ كل يوم لابن عون بالركاب.

عن أبي النضر. قال: كان سليمان بن المغيرة إذا ذكر شعبة قال: سيد المحدثين، وكان شعبة إذا ذكر سليمان قال: سيد القراء.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: كنت عند شعية ورجل يسأله عن حديث فامتنع، فقلت: لم لا تحدثه؟ قال: هؤلاء قصاص يزيدون في الحديث.

٣٨٩ ـ مسعر بن كدام

[ت١٥٢هـ]

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى: ومنهم المعظم للمعالي العظام، المعتصم بمنهج الصحابة والأعلام. المسلم مدته. بمصاحبة الأعفة الكرام. المنظم نصائحه بترك المصاحبة والخصام أبو سلمة مسعر بن كدام[1] رضي الله تعالى عنه.

كان للحق ناصحاً ودوداً، وفي عبادة ربه كادحاً كدوداً.

عن سفيان بن عيينة عن مسعر. قال سفيان: وكان مسعر من معادن الصدق.

---

(١) توفي مسعر بن كدام بالكوفة سنة اثنتين وخمسين ومائة (الصفوة).

عن سفيان بن عينية، قال: ما رأيت أفضل من مسعر.

عن هشام. قال: ما رأيت بالكوفة أفضل من مسعر.

عن النعمان بن عبد السلام. قال: قال سفيان الثوري: لم يكن في زماني مثله - يعني مسعراً -.

عن الحسن بن عمارة: إن لم يدخل الجنة إلا مثل مسعر بن كدام إن أهل الجنة لقليل.

عن سفيان. قال: قال معن بن عبد الرحمن: ما رأيت مسعراً في يوم إلا قلت: هو أفضل منه قبل ذلك.

عن ابن عيينة. قال: لما مات مسعر بن كدام، رأيت كأن المصابيح والسرج قد طفئت قال سفيان: وهو موت العلماء.

عن سفيان. قال: كانوا يرون أن مسعراً لو أدرك أصحاب عبد الله لعدَّ فيهم.

عن حفص بن عبد الرحمن. قال: رأيت مسعر بن كدام وكأنه على شفير جهنم.

عن أحمد بن يونس. قال: رأيت مسعر بن كدام وله سجادة عظيمة.

عن يحيى بن آدم. قال: لما حضرت مسعراً الوفاة، دخل عليه سفيان الثوري، فوجده جزعاً، فقال له: لم تجزع؟ فوالله لوددت أني مت الساعة. فقال مسعر: أقعدوني فأعاد عليه سفيان الكلام فقال: إنك إذاً لواثق بعملك يا سفيان، لكني والله لكأني على شاهق جبل، لا أدري أين أهبط، فبكى سفيان فقال: أنت أخوف لله عز وجل مني.

عن أبي عبيدة الحذاء. قال: سألت شعبة عن مسعر فقال: ذاك عند الكوفيين مثل ابن عون عند البصريين.

عن سفيان. قال: قالوا للأعمش: إن مسعراً يشك في حديثه قال: شك مسعر كيقين غيره.

عن ابن المديني. قال: قلت ليحيى بن سعيد القطان: أيهما أثبت؟ هشام الدستوائي أو مسعر بن كدام؟ قال: كان مسعر بن كدام أثبت الناس.

عن عبد الله بن داود. قال: قال شعبة: كنا نسمي مسعراً المصحف.

عن يزيد بن هارون. قال: قدمت الكوفة فما رأيت بها أحداً لا يدلس إلا ما خلا مسعراً وشريكاً.

عن سفيان بن عيينة. قال: سمعت مسعراً يقول: التدليس دناءة.

عن سفيان الثوري. قال: كنا إذا اختلفنا في شيء أتينا مسعراً.

عن عبد الله بن داود. قال: كان أصحابنا يهابون مسعراً كهيبتهم الأعمش.

عن خالد بن عمرو: رأيت مسعر بن كدام كأن وجهه ركبة عنز من السجود، وكان إذا نظر إليك حسبت أنه ينظر إلى الحائط من شدة حؤولته.

عن مكي بن إبراهيم. قال: رأيت مسعر بن كدام أسود الرأس واللحية، وكان أحول، وكان لا يترك أحداً يكتب عنده الحديث.

عن ابن كناسة. قال: أثنى رجل على مسعر فقال: تثني عليّ وأنا أبني الآجر وأقبض جوائز السلطان؟.

عن جعفر بن عون ـ أو غيره ـ. قال: قال مسعر بن كدام:

العلم شرف الأحساب، يرفع الخسيس في نسبه، ومن قعد به حسبه نهض به أدبه.

عن سفيان بن عيينة، عن مسعر. قال: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقلت: نحن لك والد وأنت لنا ابن ـ وكانت أمه أم الفضل الهلالية ـ فقال لي: تقربت إليّ بأحب أمهاتي إليّ، لو كان الناس كلهم مثلك لمشيت معهم في الطريق.

عن الحكم بن هشام. حدثني معسر. قال: دعاني أبو جعفر ليوليني فقلت: أصلح الله الأمير، إن أهلي ليريدونني على أن أشتري الشيء بدرهمين فأقول أعطوني أشتري لكم فيقولون: لا والله ما نرضى اشتراءك، فأهلي لا يرضون أشتري الشيء بدرهمين، وأمير المؤمنين يوليني؟ أصلحك الله إن لنا قرابة وحقاً وقد قال الشاعر: ـ

تشاركنا قريش في تقاها ... وفي أحسابها شرك العنان

فما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان

قال: أيم الله، ما لنا في العرب قرابة أحب إلينا منها، فأعفاه.

عن محمد بن مسعر. قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لفّ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب، فكذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جداً.

عن ابن السماك عن مسعر. قال: من طلب العلم لنفسه فقد اكتفى، وإن طلبت للناس فأنت في شغل شاغل.

عن يحيى بن أيوب. قال: سمعت ابن السماك يقول: قال مسعر: من أراد الحديث للناس فليجتهد فإن بلاءهم شديد، ومن أراد لنفسه فقد اكتفى. قال: قال شعبة: لو كان هذا حديثاً كان ينبغي أن يكتب ـ وكان شعبة عنده ـ.

عن أبي أسامة. قال: سمعت مسعراً يقول: ما أعلم حلالاً لا شك فيه، إلا أن يرد رجل الفرات فيشرب بكفه، أو أخ لك صالح يهدي لك هدية.

عن سفيان. قال: قلت لمسعر: تحب أن يهدى إليك عيوبك؟ قال: أما من ناصح فنعم، وأما من موبخ فلا.

عن الأشجعي. قال: استسقت أم مسعر ماء منه في بعض الليل فذهب فجاء بقربة ماء فوجدها قد غلبها النوم فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح.

عن قبيصة. قال: كان مسعر لأن ينزع ضرسه، كان أحب إليه من أن يسأل عن حديث.

عن جعفر بن عون. قال: قال مسعر: الإيمان قول وعمل.

عن زيد بن الحباب. قال: كان مسعر يقول: الإيمان يزيد وينقص.

عن سفيان بن عيينة، عن مسعر: قال: إن الجنة والنار لقيتا السمع من بني آدم فإذا قال العبد: اللهم إني أسألك الجنة قالت: اللهم بلغه، وإذا قال اللهم إني أعوذ بك من النار قالت: اللهم أعذه، فإذا لم يذكرهما قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين.

عن أبي أسامة. قال: قال لي مسعر: يا أبا أسامة من رضي بالخل والبقل لم يستعبده الناس.

عن عبد العزيز. قال: سمعت مسعراً يقول:

وجدت الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفرات

وقِلُّ الطعم عون للمصلي ... وكثر الطعم عون للسبات

عن حماد بن داود التغلبي: عن مسعر بن كدام أنه خرج يوماً إلى الجبان فإذا هو بأعرابي يتشرق الشمس وهو يقول:

جاء الشتاء وليس عندي درهم ... ولقد يخص بمثل ذاك المسلم
قد قطع الناس الجباب وغيرها ... وكأنني بفناء مكة محرم

قال: فنزع مسعر جبته فأعطاه.

عن عبد العزيز. قال: سمعت مسعر بن كدام يقول:

اقبل من الدهر ما أتاك به ... واصبر لريب الزمان إن عثرا
ما لامرئ فوق ما يجري القضاء به ... فالهم فضل وخير الناس من صبراً
يا رب ساع له في سعيه أمل ... يفنى ولم يقض من تأميله وطراً
ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قنعاً ما عاش مفتقراً
والعرف ممن يأته يحمد عواقبه ... ما ضاع عرف وإن أوليته حجراً

عن جعفر بن عون. قال: سمعت مسعراً يقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وتتعب فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

عن عبد الله بن صالح. قال: قال مسعر بن كدام:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

عن أبي زيد القشيري، عن مسعر. قال: كان يكثر أن يتمثل بهذه الأبيات في جنازة:

ويحدث روعات لدى كل فزعة ... وتسرع نسياناً ولم يأتنا أمن
فإنا ولا كفران لله ربنا ... كما البدن لا تدري متى يومها البدن

عن جعفر بن عون. قال: قال مسعر بن كدام لابنه كدام:

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جار ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق

أسند مسعر عن غير واحد من أعلام التابعين.

٣٩٠ ـ سفيان بن عيينة

[١٠٧ ـ ١٩٨هـ]

ومنهم الإمام الأمين. ذو العقل الرصين. والرأى الراجح الركين. المستنبط للمعاني. والمرتبط للمباني. أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي[(١)].

كان عالماً ناقداً. وزاهداً عابداً. علمه مشهور. وزهده معمور.

عن محمد بن عمرو بن العباس. قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا جمعت هاتين كمل أمري إذا صبرت على البلاء ورضيت بالقضاء، قال سفيان: وقال عمر بن الخطاب: ما أبالي على ما أصبحت على ما أحب أو على ما أكره إني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره.

عن سليمان بن داود، عن سفيان بن عيينة. قال: كان رجل يقول: علمي بصالح نفسي علمي بفسادها، وبحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً لا يصلحها.

عن سفيان. قال: قال رجل من العلماء: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة، ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل.

عن صامت بن معاذ. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من تزين للناس بشيء يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله.

عن محمد بن ميمون الخياط. قال: سمعت سفيان بن عيينة

---

(١) ولد سفيان بن عيينة بالكوفة سنة سبع ومائة، وسكن مكة.
وتوفي ودفن بالحجون في مكة وهو ابن إحدى وتسعين سنة، سنة ثمان وتسعين ومائة رحمه الله.

يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟.

عن إبراهيم الجوهري. قال: سمعت سفيان بن عيينة قال: إنما أرباب العلم الذين هم أهله الذين يعملون به.

عن علي بن الجعد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من زيد في عقله نقص من رزقه.

عن علي بن الحسن. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر، وذاك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره.

عن سنيد بن داود، عن ابن عيينة. قال: من كانت معصيته في الشهوة فارج له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، وإذا كانت معصيته في الكبر فاخش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرا فلعن.

عن إبراهيم بن معمر وإسحاق بن إبراهيم. قالا: سمعنا سفيان بن عيينة يقول: ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله، لهم في الآخرة كالماء في الدنيا.

عن أحمد بن عبدة، عن سفيان بن عيينة. قال: الزهد في الدنيا الصبر وارتقاب الموت.

عن حرملة بن يحيى. قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية، وأخرج من كمه رغيف شعير وقال لي: دع يا حرملة ما يقول الناس، هذا طعامي منذ ستين سنة.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قلت لسفيان: يا أبا محمد أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال: من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها، وابتلي ببلية فصبر، فذلك الزهد. قلت له: يا أبا محمد فإن أنعم عليه بنعمة

فشكر، وابتلي فصبر وهو ممسك للنعمة، كيف يكون زاهداً؟ قال: اسكت فمن لم تمنعه البلوى من الصبر والنعمة من الشكر فذلك الزاهد.

عن النعمان. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه.

عن حامد بن يحيى البلخي. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كأنك بالدنيا ولم تكن، وكأنك بالآخرة ولم تزل، وكأنك بآخر من يموت وقد مات. قال سفيان: كان يقال: إن للدنيا أجلاً كأجل ابن آدم، إذا جاء أجلها ماتت.

عن أحمد بن حنبل. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كان عيسى عليه السلام لا يخبئ غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، ويقول: مع كل يوم وليلة رزقها، ليس له بيت يخرب، وقيل له: ألا تتزوج، قال: أتزوج امرأة تموت؟ وقيل له: ألا تبنى بيتاً؟ قال: إني على طريق السبيل.

عن أحمد بن حنبل، عن سفيان بن عيينة. قال: قال عيسى عليه السلام: إن للحكمة أهلاً فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي.

عن أحمد بن جنبل عن سفيان. قال: كان عيسى ويحيى عليهما السلام يأتيان القرية، فيسأل عيسى عن شرار أهلها، ويسأل يحيى عن خيار أهلها، فقال له يحيى: لم تنزل على شرار الناس؟ قال: إنما أنا طبيب أداوي المرضى.

عن أبي معمر، عن سفيان. قال: قال عيسى عليه السلام: إنما أعلمكم لتعلموا: ليس لتعجبوا، يا ملح الأرض لا تفسدوا، فإن الشيء إذا فسد إنما يصلح بالملح، فإن الملح إذا فسد لم يصلح بشيء، ولا تأخذوا الأجر ممن تعلِّمون إلا مثل الذي أخذت منكم.

عن أبي معمر. قال: قال سفيان قال عيسى عليه السلام: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم أن لا يكثر لكم.

عن أبي معمر، عن سفيان بن عيينة. قال: ليس العالم الذي يعرف الخير والشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه.

عن محمد بن بشر الحارثي. قال: سمعت ابن عيينة يقول: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

عن محمد بن عمرو الباهلي. قال: سمعت ابن عيينة يقول: كنت أخرج إلى المسجد فاتصفح الخلق، فإذا رأيت كهولاً ومشيخة، جلست إليهم، فأنا اليوم قد اكتنفتني هؤلاء الصبيان ثم ينشد:

خلت الديار فَسُدْتُ غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

عن محمد بن الصباح. قال: أنبأنا سفيان بن عيينة قال: إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله.

عن علي بن المديني قال: كان سفيان إذا سئل عن شيء يقول: لا أحسن، فيقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق.

عن عبد الرحمن بن سعد الجمحي. قال: رأيت سفيان بن عيينة وأتي بماء زمزم فشرب، وسقى الذي عن يمينه وقال: ماء زمزم بمنزلة الطيب لا يرد.

عن الحميدي. قال: سمعت سفيان يقول: لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده.

عن سعيد بن سليمان. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الغيبة أشد من الدَّين، الدين يقضي والغيبة لا تقضى.

عن محمد بن عمرو بن أبي مذعور. قال: سمعت ابن عيينة يقول: خلقت النار رحمة، يخوف بها عباده لينتهوا.

عن الأصمعي. قال: قال سفيان بن عيينة: رأيت أعرابياً جاء يطوف بالبيت، فتبعته فقلت: لعله لا يحسن فأعلمه ما يقول، قال: فجاء فتعلق بأستار الكعبة فقال: اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني، وإليك جئت وأنت جئت بي، وبفنائك أنخت وأنت حملتني، اللهم فقد عجت إليك الأصوات بصنوف اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني على طول البلا إذا نسيني أهل الدنيا.

عن يحيى بن عثمان. قال: أتى رجل خراساني سفيان بن عيينة في مجلسه، فرمى إليه بدرهمين فقال: حدثني بهما، فهمَّ به أصحاب الحديث، فقال: دعوه، ثم نكص وبكى ثم قال:

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

عن موسى بن بشير. قال: حكيم بن أبجر المكي سمعت ابن عيينة يتمثل:

إذا ما رأيت المرء يقتادُه الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمتَ الأعداء جهلاً بنفسه وقد وجدت فيه مقالاً عواذله
ولن ينزع النفس اللحوح عن الهوى من الناس إلا وافر العقل كامله

عن حبان بن نافع بن صخر بن جويرية. قال: كان سفيان بن عيينة بعد ما أسن يتمثل بهذا البيت:

يعمر واحد فيغر قوماً وينسى من يموت من الصغار

عن عبيد الله بن عائشة. قال: قال سفيان بن عيينة: لولا أن الله طأطأ من ابن آدم بثلاث، ما أطاقه شيء، وإنهن لفيه، الفقر، والمرض، والموت.

عن أبي معمر عن ابن عيينة. قال: العلم إن لم ينفعك ضرك.

عن سليمان بن داود عن ابن عيينة قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يزدد على الكثير منها إلا شراً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: لا تبلغوا ذروة هذا الأمر إلا حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله، ومن أحب القرآن فقد أحب الله، افقهوا ما يقال لكم.

عن أبي موسى الأنصاري، عن سفيان. قال: قال العلماء: من لم يصلح على تقدير الله، لم يصلح على تقديره لنفسه.

عن أبي عبد الله الرازي. قال: قال لي سفيان بن عيينة: يا أبا عبد الله! عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه، ألا لا تأنس بمراد هؤلاء، فلو نادى مناد من السماء إن الناس كلهم يدخلون الجنة وأنا وحدي أدخل النار لكنت بذلك راضياً.

عن أبي عبد الله الرازي. قال: قال لي سفيان بن عيينة: يا أبا عبد الله، إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته.

عن أحمد. قال: سمعت ابن عيينة في دار النساج وهو يقول: اسمعوا ما يقال لكم فإنه أنفع لكم من الحديث: لو أن رجلاً أصاب من مال رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته، فجاء به إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة له، ولو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه في حل ما كان في حل، فعرض المؤمن أشد من ماله، افقهوا ما يقال لكم.

عن علي بن خشرم. قال: سمعت ابن عيينة يقول: قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله وبأمر الله، فأما العالم بأمر الله، فهو الذي يعلم السنة ولا

يخاف الله، وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة، وأما العالم بالله وبأمر الله، فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله. فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات.

عن محمد بن عمرو بن أبي مذعور. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: لم أر فقيهاً قط يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمدَ الله، وإن ردت حمدَ الله.

عن عبيد الله بن عمر. قال: قال ابن عيينة: من طلب الحديث فقد بايع الله.

عن أبي معمر. قال: قال ابن عيينة: إن هذا العلم لا يخرج من وعاء قط، إلا صار في دونه.

عن أحمد بن محمد بن أيوب ـ صاحب المغازي ـ. قال: اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة فقال: من أحوج الناس إلى هذا العلم؟ فسكتوا، ثم قالوا: تكلم يا أبا محمد، قال: أحوج الناس إلى العلم العلماء، وذلك أن الجهل بهم أقبح، لأنهم غاية الناس وهم يسألون.

عن الدامغاني. قال: سمعت ابن عيينة يقول: أتدرون ما مثل العلم؟ مثل العلم مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد، جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالاً.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن جهضم، عن سفيان. قال: قيل لبعض الحكماء: ما الصبر؟ قال: الذي يكون في الحال الذي إذا نزل به ما يكره صبر، وكان مثل حاله الأول، إذا لم يكن أصابه البلاء.

وقال سفيان: أفضل العلم العلم بالله، والعلم بأمر الله، فإذا كان

العبد عالماً بالله وعالماً بأمر الله، فقد بلغ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعلم بأمر الله؛ ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله.

وقال سفيان: إذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا أعجبك الكلام فاسكت.

وقال سفيان: دعوا المراء لقلة خيره.

وقال سفيان كان يقال: أن يكون لك عدو صالح، خير من أن يكون لك صديق فاسد، لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره، والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك.

وقال سفيان: من قرأ القرآن يسأل عما يسأل عنه الأنبياء عليهم السلام إلا تبليغ الرسالة.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن جهضم، عن سفيان. قال: قالوا لبعض الحكماء: مالكم أحرص الناس على طلب العلم؟ قالوا: لأنا أعمل الناس به.

وقال سفيان: قوله السلام عليكم، يقول: أنت مني سالم، وأنا منك سالم، ثم يدعو له ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فلا ينبغي لهذين إذ سلم بعضهما على بعض، أن يذكره من خلفه بما لا ينبغي له من غيبة أو غيرها.

قال سفيان: وقلت لمسعر: أتحب أن يجيئك رجل فيخبرك بعيوبك؟ قال: إن كان ناصحاً فنعم، وإن كان يريد أن يؤذيني ويوبخني فلا.

وقال سفيان: يقال: لا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات، إنما يغبط الميت إذا قيل: مات فلان ولم يترك شيئاً.

عن أبي عبد الله الرازي. قال: قال سفيان بن عيينة: إذا أظهر العبد لباساً، وسريرته مثل ما أظهر من لباسه، كتبه الله عنده من أهل العدل، فإن زل فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه كتبه الله عنده من الجائرين، لأن ذنبه مخالف للباسه، فإذا أظهر العبد لباساً وسريرته أحسن من لباسه كتبه الله عنده من أهل الفضل، فإن زل فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه رده الله عن الفضل إلى العدل، ولم يكتبه من الجائرين، لأن ذنبه محتمل للباسه، فكم من جارين متجاورين هذا يظهر للناس التجارة يطلع الله من قلبه على أنه زاهد في الدنيا، وهذا يظهر للناس الزهد يطلع الله من قلبه على أنه محب للدنيا.

عن عمر بن السكن. قال: كنت عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر، أهو أحب إليك أم قول أخيه أبي العلاء: اللهم رضيت لنفسي ما رضيت لي؟ قال: فسكت سكتة ثم قال: قول مطرف أحب إليّ. فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟ فقال سفيان: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ فاستوت الصفتان، وهذا معافى وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر.

عن أحمد بن عبدة. قال: قال سفيان: كان يقال: دع الكبر والفخر، واذكر طول الثواء في القبر.

عن أحمد بن عبدة، عن سفيان، قال: قال بعضهم: قد ورد الأول، والآخر مساق متعب، وقد تقارب عطاء جزل، وسلب

فاحش، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه، فإن الحق للخالق، والشكر للمنعم، وإنما الحياة بعد الموت، وإنما البقاء بعد القيامة.

عن أحمد بن عبدة، عن سفيان. قال: كان رجل عالم وآخر عابد، فقال العالم للعابد: مالك لا تأتيني والناس يأتوني ويحتاجون إلى علمي؟ قال: أنا أحسن شيئاً قليلاً وأنا أعمل به، فإذا فني أتيتك.

عن حسين بن زياد. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: وسئل عن قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] قال: هو أن تعمل به، وتدعو إليه، وتعين فيه، وتدل عليه.

عن بشر بن الحارث. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى.

عن إسحاق بن منيب. قال: قال سفيان بن عيينة: لم يعرفوا حتى يحبوا أن لا يعرفوا.

عن محمد بن الصباح. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إني لأغضب على نفسي إذا رأيتكم تأتوني، أقول لم يأتني هؤلاء إلا من خير يظنون بي.

عن محمد بن حسان. قال: سمعت ابن عيينة يقول: عند ذكرالصالحين تنزل الرحمة.

عن أبي موسى الأنصاري. قال: قال سفيان: من أبر البر كتمان المصائب.

قال: وسمعت سفيان يقول: لا تكن مثل العبد السوء لا يأتي حتى يدعى، ائت الصلاة قبل النداء.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

قال: وسمعت سفيان يقول: قال رجل: من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: سمعت ابن عيينة يقول: ليس من عباد الله أحد إلا ولله الحجة عليه، إما في ذنب، وإما في نعمة مقصر في شكرها.

عن يونس بن عبد الرحمن. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: قال أيوب عليه السلام: اللهم إنك تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط، أحدهما لك فيه رضى والآخر لي فيه هوى، إلا آثرت الذي لك فيه رضى على الذي لي فيه هوى، قال: فنودي من غمامة من عشرة آلاف صوت: يا أيوب من فعل ذلك بك؟ قال: فوضع التراب على رأسه ثم قال: أنت أنت يا رب.

عن الفيض بن إسحاق. قال: قيل لسفيان: ألا ترى إلى الفضيل لا تكاد تجف له دمعة، قال سفيان: وكان يقال: إذا فرح القلب، نزفت العينان، ثم تنفس تنفساً منكراً.

عن ابن أبي إسرائيل. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: قال رجل: واحزناه على أن لا أحزن، قال: وأراه أراد نفسه.

عن سفيان بن عيينة. قال: كان يقال: الأيام ثلاثة: فأمس حكيم مودع، ترك حكمته وأبقاها عليك، واليوم صديق مودع كان يحبك، طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته، وهو عنك سريع الظعن، وغداً لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون.

عن إبراهيم بن سعيد. قال: سمعت ابن عيينة يقول: ما أخلص عبد لله أربعين يوماً إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتاً، وأنطق لسانه بها، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها.

قال: وسمعت ابن عيينة يقول: ما شيء أضر عليكم من ملوك السوء، وعلم لا يعمل به.

عن محمد بن جهضم. قال: قال سفيان بن عيينة: الشاكر: الذي يعلم أن النعمة من الله تعالى، أعطاه إياها لينظر كيف يشكر، وكيف يصير.

عن علي بن أبي علي. قال: التفت إلينا سفيان بن عيينة فقال: لشرار من مضى عام أول، خير من خياركم اليوم.

عن إبراهيم بن الأشعث، عن سفيان بن عيينة. قال: كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة، رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه، فعلمه غيره فانتفع به.

عن أحمد بن حنبل، عن سفيان. قال: لا يصيب رجل حقيقة التقوى حتى يحيل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه.

عن عبد الله بن محمد. قال: سمعت ابن عيينة يقول: كان مالك بن مغول يقول لي: يا سفيان إن الزمان الذي يحتاج إليك إن ذاك لزمان سوء.

عن محمد بن أيوب. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: قال لي بشر بن منصور الزاهد: يا سفيان أقلل من معرفة الناس، لعله أن يكون في القيامة غداً أقل لفضيحتك، إذا نودي عليك بسوء أعمالك.

عن يحيى بن يحيى. قال: كنت عند سفيان بن عيينة إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة ـ يعني امرأته ـ أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان ملياً ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزا فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدثه فقال:

كنا إخوة أربعة، محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسباً فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالاً فابتلاه الله بالفقر، أخذوا مافي يديه ولم يعطوه شيئاً.

فبقيت في أمرهما، فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي ﷺ: (تنكح المرأة على أربع، على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك). وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: (أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة) فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة نبي الله ﷺ، فجمع الله لي العز والمال مع الدين.

عن العباس الترفقي. قال: خرج علينا سفيان بن عيينة يوماً، فنظر إلى أصحاب الحديث فقال: أفيكم أحد من أهل مصر؟ فقالوا: نعم! فقال: ما فعل فيكم الليث بن سعد؟ فقالوا: توفي، فقال: أفيكم أحد من أهل الرملة؟ فقالوا: نعم! فقال: ما فعل ضمرة بن ربيعة الرملي؟ قالوا: توفي! قال: هل فيكم أحد من أهل حمص؟ قالوا: نعم! قال: ما فعل بقية بن الوليد؟ قالوا: توفي، قال: هل فيكم أحد من أهل دمشق؟ قالوا: نعم! قال: ما فعل الوليد بن مسلم؟ قالوا: توفي، فقال: هل فيكم أحد من أهل قيسارية؟ قالوا: نعم! فقال؛ ما فعل محمد بن يوسف الفريابي؟ قالوا: توفي! قال: فبكى طويلاً ثم أنشد يقول:

خلت الديار فَسُدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

❀ ❀ ❀

عن يحيى بن عبد الحميد الحماني. قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، وكان في مجلسه ألف رجل يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه فقال: قم فحدث الناس بحديث الحية.

فقال الرجل: اسندوني، فأسندناه وسال جفون عيينة ثم قال: ألا فاسمعوا وعوا.

حدثني أبي عن جدي؛ أن رجلاً كان يعرف بمحمد بن حمير، وكان رجلاً معه ورع، يصوم النهار ويقوم الليل، وكان مبتلى بالقنص، فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية فقالت له: يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله، قال لها محمد بن حمير: ممن؟ قالت: من عدوي قد طلبني، قال: وأين عدوك؟ قالت له: من ورائي وَلِهاً، قال: من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ، نشهد أن لا إله إلا الله، قال: ففتحت ردائي فقلت أدخلي فيه، فقالت: يراني عدوي، قال: فشلت طمري فقلت: ادخلي بين أطماري وبطني، قالت: يراني عدوي، قلت لها: فما الذي أصنع بك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف، فافتح لي فاك حتى أنساب فيه، قال: أخشى أن تقتليني، قالت: لا والله لا أقتلك، الله شاهد عليّ بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه، وسكان سماواته إن أنا قتلتك.

قال محمد: فاطمأننت إلى يمينها ففتحت فمي فانسابت فيه، ثم مضيت إذ عارضني رجل ومعه صمصامة فقال: يا محمد: قلت: ما تشاء؟ قال: لقيتَ عدوي؟ قلت: وما عدوك؟ قال: حية! قلت: اللهم لا، واستغفرت ربي من قولي؛ لا، مائة مرة، وقد علمت أين هي.

ثم مضيت أقول ذلك، إذ قد أخرجت رأسها من فمي، ثم قالت: انظر مضى هذا العدو؟ فالتفت فلم أر إنساناً، فقلت: ليس أرى إنساناً، إن أردت أن تخرجي فاخرجي، قالت: انظر ملياً، قال

محمد: فرميت حماليق عيني في الصحراء فلم أر شيئاً ولا شخصاً ولا إنساناً، فقلت: إن أردت أن تخرجي فاخرجي، فليس أرى إنساناً، قالت: الآن يا محمد اختر واحدة من اثنتين، قلت: وما هي؟ قالت: إما أن أنكت كبدك فأفتها في جوفك، أو أنكتك نكتة فأطرح جسدك بلا روح.

قال: قلت يا سبحان الله، أين العهد الذي عهدت إليّ؟ إين العهد الذي عاهدتينه، واليمين الذي حلفت لي؟ ما أسرع ما نسيتيه!! قالت له: يا محمد لم نسيت العدواة التي كانت بيني وبين أبيك آدم، حيث أضللته وأخرجته من الجنة؟ على أي شيء طلبت اصطناع المعروف؟ قال: فقلت لها: وليس بدًّ من أن تقتليني؟ قالت: والله إن كان بد من قتلك. قال: قلت لها: فأمهليني حتى أصير إلى تحت هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعاً. قالت: شأنك.

قال محمد: فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة، إذ رميت حماليق عيني نحو العرش، ثم قلت: يا لطيف الطف بلطفك الخفي، يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على عرشك، فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، إلا كفيتنيها.

ثم مشيت فعارضني رجل صالح صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن فقال لي: سلام عليكم، فقلت: وعليك السلام يا أخي، قال: ما لي أراك قد تغير لونك؟ فقلت: يا أخي من عدو قد ظلمني قال: وأين عدوك؟ قلت: في جوفي، قال لي: افتح فاك، ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء، ثم قال: امضغ وابلع، فمضغت وبلعت، قال محمد: فلم ألبث إلا يسيراً حتى مغصتني بطني فرميت بها من أسفل قطعة قطعة.

فتعلقت بالرجل، ثم قلت: يا أخي أحمد الله الذي منَّ عليّ بك، فضحك ثم قال: ألا تعرفني؟ قلت: اللهم لا. قال: يا

محمد بن حمير إنه لما كان بينك وبين الحية ما كان، ودعوت بذلك الدعاء، ضجت ملائكة السبع سموات إلى الله عز وجل، فقال الله: وعزتي وجلالي وجودي وارتفاعي في علو مكاني قد كان بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي، فأمرني الله ـ وأنا الذي يقال لي المعروف، مستقري في السماء الرابعة ـ أن أنطلق إلى الجنة فخذ طاقة خضراء فالحق بها عبدي محمد بن حمير، يا ابن حمير عليك باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وإنه إن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجل.

❁ ❁ ❁

عن مروان بن محمد. قال: سمعت سفيان بن عيينة، وسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له: يا أبا محمد إنها قد كانت، فقال له سفيان، فإذا قد كان: قد كانت، وأنا لا أدري فايش يعمل.

❁ ❁ ❁

عن عمرو بن عثمان الرقي. قال: كنت عند سفيان بن عيينة، فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، ما تقول: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى معك منه شيء، وعقد بثلاثة أصابع وحلق بالإبهام والسبابة، قال: فإن قوماً يقولون: الإيمان كلام، قال: قد كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده، بعث الله النبي ﷺ إلى الناس أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بأن يقيموا الصلاة، فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، فلما علم الله تعالى صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يهاجروا إلى المدينة، فأمرهم ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا

الصلاة، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يرجعوا إلى مكة فيقاتلوا آباءهم وأبناءهم، حتى يقروا بمثل إقرارهم، ويشهدوا بمثل شهادتهم، حتى أن الرجل ليجيء بالرأس فيقول: يا رسول الله هذا رأس الشيخ الضال، فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا الصلاة ولا الهجرة، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبداً ويحلقوا رؤوسهم تذللاً ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يؤتوا الزكاة، قليلها وكثيرها، فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا، ما نفعهم الإقرار الأول، ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة، ولا طوافهم بالبيت ولا حلقهم رؤوسهم.

فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض ومثولهم لها قال له: قل لهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1] فمن ترك شيئاً من ذلك كسلاً أو مجوناً أدبناه عليه، وكان عندنا ناقص الإيمان، ومن تركها عامداً كان بها كافراً، هذه السنة، أبلغ عني من سألك من المسلمين.

❁ ❁ ❁

عن المسيب بن واضح. قال: سئل ابن عيينة عن الزهد ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهاداً.

عن محمد بن عباد المكي، عن سفيان بن عيينة. قال: سمعت

---

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

مساوراً الوراق يقول: ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله، ثم أمنعه شيئاً من الدنيا.

عن عبد الرحمن بن عمر بن رسته. قال: أخبرني من سمع ابن عيينة وسئل عن الورع فقال: الورع طلب العلم الذي يعرف به الورع، وهو عند قوم طول الصمت، وقلة الكلام، وما هو كذلك إن المتكلم العالم أفضل عندي وأورع من الجاهل الصامت.

عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح. قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا ولم نجد شيئاً أفضل من ثلاثة: كلمة الحكمة في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية.

عن سفيان. قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

عن ابن جميل، عن ابن عيينة. قال: انتهى حكيم إلى قوم يتحدثون، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال: تحدثوا بكلام قوم يعلمون أن الله ليسمع كلامهم، والملائكة يكتبون.

عن سميع الفضية. قال: قال سفيان: لا تصلح عبادة إلا بزهد، ولا يصلح زهد إلا بفقه، ولا يصلح فقه إلا بصبر.

عن الجوهري، قال: سمعت سفيان يقول: قالت العلماء: المدح لا يغر من عرف نفسه.

عن منصور بن عمار. قال: تكلمت في مجلس فيه: سفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، فأما سفيان بن عيينة فتغرغرت عيناه ثم نشفتا من الدموع، وأما ابن المبارك فسالت دموعه، وأما الفضيل فانتحب، فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان: يا

أبا محمد ما منعك أن يجيء منك ما جاء من صاحبك؟ قال: هذا أكمد للحزن، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب.

عن محمد بن جعفر، قال: قال لي سفيان بن عيينة: قال رجل: أهلكني حب الشرف، فقال له رجل: إن اتقيت الله شرفت.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله، فمن أحب القرآن فقد أحب الله، افقهوا ما يقال لكم.

عن محمد بن النعمان. قال: كان سفيان بن عيينة يقول: أحب للرجل أن يعيش عيش الأغنياء، ويموت موت الفقراء، ثم قال سفيان: وقلَّ ما يكون هذا.

عن محمد بن القاسم العنبري، عن سفيان عن عيينة. قال: بينا أنا أطوف بالبيت، وإلى جانبي أعرابي يطوف وهو ساكت، فلما أتم طوافه جاء إلى المقام فصلى ركعتين، ثم جاء فقام بحذاء البيت فقال: إلهي من أولى بالزلل والتقصير مني، وقد خلقتني ضعيفاً، ومن أولى بالعفو منك، وعلمك فيَّ سابق وقضاؤك فيَّ محيط؟ أطعتك بإذنك والمنتهى لك، وعصيتك بعلمك والحجة لك، فأسألك بوجوب حجتك عليَّ، وانقطاع حجتي، وفقري إليك وغناك عني إلا ما غفرت لي.

قال سفيان: ففرحت فرحاً ما أعلم أني فرحت مثله حين سمعته يتكلم بهؤلاء الكلمات.

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الفكرة نور تدخله قلبك.

قال: وبلغني عن سفيان بن عيينة قال: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب؟.

عن سهل بن محمود. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كان يقال: اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

عن محمد بن قدامة. قال: سمعت سفيان يقول: ما تنعم متنعم بمثل ذكر الله، وقال داود عليه السلام: ما أحلى ذكرك في أفواه المتعبدين!!.

قال: وسمعت سفيان يقول: وصف رجل رجلاً فقال: كان والله ما علمت يخاف الله، ويستحي من الناس.

قال: وسمعت سفيان بن عيينة يقول: قال لقمان: خير الناس الحيي الغني، قيل؛ الغنى في المال؟ قال: لا! ولكن الذي إذا احتيج إليه نفع، وإذا استغني عنه نفع، قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

أسند سفيان بن عيينة عن الجماهير من التابعين. أدرك ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين وأركانهم، كعمرو بن دينار، والزهري ومحمد بن المنكدر، وعبد الله بن دينار، وزيد بن أسلم، وأبي حازم، ويحيى بن سعيد الأنصاري. ومن الكوفيين أبي إسحاق وعبد الملك بن عمير، والشيباني، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد.

ومن البصريين؛ أيوب، وسليمان التيمي، وداود بن أبي هند، وعلي بن زيد بن جدعان، وحميد الطويل.

وحدث عنه من الأئمة سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والأعمش، والأوزاعي.

٣٩١ ـ الليث بن سعد

[٩٣ ـ ١٧٥هـ]

ومنهم الثري السخي، الملي الوفي، لعلمه عقول، ولماله

بذول. أبو الحارث الليث بن سعد[1].

كان يعلم الأحكام ملياً، ويبذل الأموال سخياً.

عن عمر بن سلمة. قال: تكلم الليث بن سعد في مسألة فقال له رجل: يا أبا الحارث! في كتابك غير هذا، قال: في كتابي أوفي كتبنا، ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا.

عن حرملة بن يحيى. قال: سمعت الشافعي يقول: الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس.

عن أبي صالح. قال: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا فقلنا: ليس يشبه صاحبنا، قال: فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد، فقال: تشبهوني برجل كتبنا إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا ماصبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار؟.

عن محمد بن إسحاق. قال: سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول: قفلنا مع الليث بن سعد من الاسكندرية، وكان معه ثلاث سفائن، سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله، وسفينة فيها أضيافه.

عن منصور بن عمار. قال: كنت عند الليث بن سعد يوماً جالساً، فأتته امرأة ومعها قدح فقالت: يا أبا الحارث إن زوجي يشتكي وقد نعت له العسل، فقال: اذهبي إلى أبي قسيمة فقولي له: يعطيك مطراً من عسل، فذهبت فلم ألبث أن جاء أبو قسيمة فساره بشيء لا أدري ما قال له، فرفع رأسه إليه فقال: اذهب فأعطها مطراً، إنها سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا، والمطر، الفرق، والفرق عشرون ومائة رطل.

---

(١) ولد الليث سنة ثلاث وتسعين، وأصله فارسي أصبهاني، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة.

عن يحيى بن حماد. قال: جاءت امرأة إلى الليث بن سعد فقالت: إن لي أخاً نعت له العسل، فهب لي سكرجة فقال: يا غلام املأ سكرجتها عسلاً وأعطها زقاً من عسل، فقال: إنها سألت سكرجة، قال: سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا، وحق لي ذلك، إنني امرؤ من أهل أصبهان.

❊ ❊ ❊

عن منصور بن عمار. قال: كان الليث بن سعد إذا تكلم بمصر أحد قفاه، فتكلمت في مسجد الجامع يوماً فإذا رجلان قد دخلا من باب المسجد، فوقفا على الحلقة فقالا: من المتكلم؟ فأشاروا إليّ، فقالا: أجب أبا الحارث الليث، فقمت وأنا أقول: واسوأتاه، .

فلما دخلت على الليث سلمت فقال لي: أنت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم رحمك الله! فقال لي: اجلس وردّ عليّ الكلام الذي تكلمت به، فأخذت في ذلك المجلس بعينه، فرق الشيخ وبكى وسري عني، وأخذت في صفة الجنة والنار، فبكى الشيخ حتى رحمته، ثم قال لي بيده: اسكت.

فقال لي: ما اسمك؟ قلت: منصور. قال ابن من؟ قلت: ابن عمار. قال: أنت أبو السري؟ قلت: نعم، قال: الحمد الله الذي لم يمتني حتى رأيتك، ثم قال: يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه فقال لها: جيئيني بكيس كذا وكذا، فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقال: يا أبا السري خذ هذا إليك، وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك في كل سنة مثلها. قلت: رحمك الله، إن الله قد أنعم إليّ وأحسن، قال: لا ترد علي شيئاً أصلك به، فقبضتها وخرجت، قال: لا تبطئ عليّ.

فلما كان في الجمعة الثانية أتيته فقال لي: اذكر شيئاً فأخذت في مجلس لي فتكلمت فبكى الشيخ وكثر بكاؤه، فلما أردت أن أقوم قال: انظر ما في ثني الوسادة، فإذا خمسمائة دينار فقلت: رحمك الله، عهدي بصلتك بالأمس، قال: لا ترد علي شيئاً أصلك به، متى أراك؟ قلت: الجمعة الداخلة، قال: كأنك فتت عضواً من أعضائي.

فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعاً فقال لي: خذ في شيء أذكرك به، فتكلمت فبكى الشيخ وكثر بكاؤه، ثم قال لي: يا منصور انظر ما في الوسادة، فإذا ثلثمائة دينار، قال: أعدها للحج، ثم قال: يا جارية هاتي ثياب إحرام، إحرام منصور، فجاءت بازار فيه أربعون ثوباً، قلت: رحمك الله! أكتفي بثوبين، فقال لي: أنت رجل كريم، فيصبحك قوم فأعطهم، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه وهذه الجارية لك.

❁ ❁ ❁

عن أبي حاتم سليم بن منصور. قال: سمعت أبي يقول: دخلت على الليث بن سعد يوماً وعلى رأسه خادم فغمزه فخرج ثم ضرب الليث بيده إلى مصلاه فاستخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار ثم رمى بها إلي، ثم قال: يا أبا السري لا تعلم بها ابني فتهون عليه.

عن عبد الله بن صالح. قال: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى وحده إلا مع الناس، وكان لا يأكل اللحم إلا أن يمرض.

عن ابن زغبة. قال: سمعت الليث بن سعد يقول: نحن من أهل أصبهان فاستوصوا بهم خيراً.

عن عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد. قال: سمعت

أسد بن موسى يقول: كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم، فلما دخلت مصر دخلتها في هيئة رثة، فدخلت على الليث بن سعد، فلما فرغت من مجلسه خرجت فتبعني خادم له في دهليزه فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست فلما خرج إليَّ وأنا وحدي دفع إلي صرة فيها مائة دينار، فقال: يقول لك مولاي أصلح بهذه النفقة بعض أمرك، ولم مِنْ شعثك، وكان في حوزتي هميان فيه ألف دينار، فأخرجت الهميان فقلت: أنا عنها في غنى، استأذن لي على الشيخ، فاستأذن لي فدخلت فأخبرته بنسبي واعتذرت إليه من ردّها، وأخبرته بما مضى، فقال: هذه صلة وليست بصدقة، فقلت: أكره أن أعود نفسي عادة وأنا في غنى، فقال: ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقاً لها، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها على جماعة.

عن عبد الله بن صالح. قال: سمعت الليث بن سعد يقول: لما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل، وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي فقال: صدقت يا أبا الحارث.

عن ابن رميح. قال: كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله تعالى عليه درهماً بزكاة قط.

عن سليم بن منصور. قال: سمعت أبي يقول: كان الليث بن سعد يستغل في كل سنة خمسين ألف دينار فيحول عليه الحول وعليه دين.

عن يحيى بن بكير. قال: وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار، احترقت دار ابن لهيعة فبعث إليه بألف دينار، وحج فأهدى إليه مالك بن أنس رطباً على طبق فرد إليه على الطبق ألف دينار، ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار، وقال: لا تسمع

بهذا ابني فتهون عليه، فبلغ ذلك شعيب بن الليث فوصله بألف دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتك هذا الدينار لئلا أساوى الشيخ في عطيته.

❋ ❋ ❋

عن الحسن بن مليح الطرايفي - بمصر -. حدثنا لولو خادم الرشيد قال: جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعاً بهذه اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه.

فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجاً، ثم كتب إلى سائر البلدان من عمله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، وكنت واقفاً بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء وهارون يراعي الفقهاء واحداً واحداً.

فقال: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول لك مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟ فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس.

فقال: يخلي أمر المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلم! فقال: يدنيني أمير المؤمنين فقال: ليس بالحضرة إلا هذا

الغلام، وليس عليك منه عين، فقال يا أمير المؤمنين أتكلم على الأمان وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟ قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ فلما بلغ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قال: قف يا أمير المؤمنين ها هنا، فوقف فقال: يقول أمير المؤمنين والله، فاشتد على الرشيد وعلي ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه ـ وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب ـ ثم رفع هارون رأسه إليه فقال: والله! قال: الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله؟ قال هارون: إني أخاف مقام الله، فقال: يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة، كما ذكر الله تعالى في كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد.

ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تجب فيه، فقال: يا أمير المؤمنين هذا الخادم الواقف على رأسك فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إليّ لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعاً، فقال: يا أمير المؤمنين ما أريد من هذا شيئاً بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجري علي حيف العمال وأعز بذلك فقال: لك ذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه واستأذن في الرجوع إلى مصر فحمل مكرماً أو كما قال.

أسند الليث عن عدة من كبار التابعين عن عطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين رجلاً من التابعين، وأدرك من تابعي التابعين ومن دونهم مائة وخمسين نفساً.

وحدث عن الليث من الأعلام هشيم بن بشير وعلي بن غراب، وحيان بن علي العنزي، وعبد الله بن المبارك. ومن المصريين ابن لهيعة وهشام بن سعد وعبد الله بن وهب.

٣٩٢ ـ علي والحسن

[علي ١٠٠ ـ ١٥٤هـ الحسن ١٠٠ ـ ١٦٩هـ]

ومنهم الأخوان التوأمان الفقيهان العابدان علي والحسن ابنا صالح بن حي. رزقا علماً وعبادة. وقناعة وزهادة.

عن وكيع بن الجراح. قال: كان علي والحسن ابنا صالح بن حي وأمهما قد جزؤوا الليل ثلاثة أجزاء، فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام، وتقوم أمهم الثلث، ثم ماتت أمهما، فجزآ الليل بينهما فكانا يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي فقام الحسن به كله.

عن عبد القدوس بن بكر بن خنيس. قال: كان الحسن بن صالح وأخوه علي، وكان علي يفضل عليه، وكانا يقرآن القرآن وأمهما يتعاونون على العبادة، بالليل لا ينامون، وبالنهار لا يفطرون، فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام والصيام عنهما، وعن أمهما، فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما، وكان يقال للحسن حية الوادي ـ يعني لا ينام بالليل ـ وكان يقول: إني أستحي من الله تعالى أنا أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذي يصرعني، فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقد الله عيني، وكان لا يقبل من أحد شيئاً،

فيجيء إليه صبيه وهو في المسجد فيقول: أنا جائع فيعلله بشيء حتى يذهب الخادم إلى السوق فيبيع ما غزلت مولاته من الليل ويشتري قطناً، ويشتري شيئاً من الشعير فيجيء به فتطحنه، ثم تعجنه فتخبز ما يأكل الصبيان والخادم، وترفع له ولأهله لإفطارهما، فلم يزل على ذلك رحمه الله.

عن أبي سليمان الداراني. قال: ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع، من الحسن بن صالح بن حي، قام ليلة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ فغشي عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر.

عن سليمان بن إدريس المقري. قال: اشتهى الحسن بن صالح سمكة، فلما أتي بها ومد يده إلى سرة السمكة فاضطربت يده، فأمر به فرفع ولم يأكل منه شيئاً، فقيل له في ذلك فقال: إني ذكرت لما ضربت بيدي إلى بطنها أن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فلم أقدر أن أذوقه.

عن أبي نعيم: أن الحسن بن صالح انتهى إلى أصل حائط فأخذ مدرة فتمسح بها، فدق عليهم الباب فقال: إني أخذت من حائطكم مدرة، فتمسحت بها فاجعلوني في حل.

عن عباد أبي عتبة. قال: بعنا جارية للحسن بن صالح فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مرة دماً.

عن إسحاق بن خلف. قال: دخل الحسن بن صالح السوق وأنا معه، فرأى هذا يخيط، وهذا يصنع، فبكى ثم قال: انظر إليهم يعللون حتى يأتيهم الموت.

عن أبي نعيم، عن الحسن بن صالح. قال: فتشنا الورع فلم نجده في شيء أقل منه في اللسان.

عن حميد بن عبد الرحمن. قال: سمعت الحسن بن صالح

يقول: ربما أصبحت وما عندي درهم وكأن الدنيا كلها قد صيرت لي وهي في كفي.

عن يحيى بن يونس - وذكر عنده الحسن بن صالح -. فقال: ما أجيء في وقت صلاة إلا أنزل به مغشياً عليه، ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه.

عن علي بن المنذر. قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخي علي بن صالح رفع بصره ثم قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1] ثم خرجت نفسه، قال: فنظرنا إلى جنبه فإذا ثقب في جنبه وقد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد من أهله.

عن حميد الرواسي. قال: كنت عند علي والحسن ابني صالح ورجل يقرأ ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[2] فالتفت علي إلى الحسن، وقد اصفار واخضار، فقال: يا حسن إنها أفزاع فوق أفزاع، ورأيت الحسن أراد أن يصيح ثم جمع ثوبه فعض عليه، حتى سكن فسكن عنه وقد ذبل فمه، واخضار واصفار.

عن أبي غسان. قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: العمل بالحسنة قوة في البدن، ونور في القلب، وضوء في البصر، والعمل بالسيئة، وهن في البدن، وظلمة في القلب، وعمى في البصر.

عن أبي غسان. قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود ووعيد، ويقول النهار: ابن آدم اغتنمني فإنك لا تدري لعله لا يوم لك بعدي، ويقول له الليل مثل ذلك.

---

(١) سورة النساء، الآية (٦٩).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٣).

عن يحيى بن أبي بكير. قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: لا تفقه حتى لا تبالي في يد من كانت الدنيا.

عن أبي غسان النهدي. قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير، يريد به باباً من السوء.

أسند علي والحسن عن عدة من التابعين وتابعي التابعين، وأكثرهما حديثاً وأشهرهما الحسن.

٣٩٣ ـ داود بن نصير الطائي

[ت١٦٥هـ]

ومنهم الفقيه الواعي؛ البصير الراعي؛ العابد الطاوي. أبو سليمان داود بن نصير الطائي.

أبصر معتبراً. وسبق مبتدراً. تشمر منتصباً. وانتظر مرتقباً. أضناه الفرق وألهاه القلق.

عن عبد الله بن محمود بن سلمة بن سعيد. قال: لقي داود الطائي رجل فسأله عن حديث فقال: دعني فإني أبادر خروج نفسي، فكان سفيان إذا ذكر داود قال: أبصر الطائي أمره.

عن عبد الله بن المبارك. قال: وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي؟

عن أسود بن سالم؛ أن داود الطائي كان يقول: سبقني العابدون وقطع بي، والهفاه.

عن ظفر بن عبد الرحمن ـ عم يحيى الحماني ـ. قال: قلت لداود: يا أبا سليمان ما ترى في الرمي؟ فإني أحب أن أتعلمه؟ قال. إن الرمي لحسن، ولكن هي أيامك فانظر بم تقطعها.

عن سفيان بن عيينة: كان داود ممن فقه ثم علم ثم عمل، وكان يجالس أبا حنيفة، فحذف يوماً إنساناً، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان! طالت يدك وطال لسانك، قال: ثم كان يختلف ولا يتكلم، قال: فلما علم أنه بصير، عمد إلي كتبه ففرقها في الفرات وأقبل على العبادة وتخلى، وكان زائدة بن قدامة صديقاً له، قال: فأتاه يوماً فقال: يا أبا سليمان ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾، قال: وكان يجيب في هذه الآية فقال له: يا أبا الصلت انقطع الجواب، ودخل بيته.

❋ ❋ ❋

قال: ابن السماك في زهد داود الطائي حين مات:

يا أيها الناس إن أهل الدنيا تعجلوا غموم القلب وهموم النفس، وتعب الأبدان مع شدة الحساب، فالرغبة متعبة لأهلها في الدنيا والآخرة، والزهادة راحة لأهلها في الدنيا والآخرة، وإن داود نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأغشى بصرُ قلبه بصرَ العيون، فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون، وهو منكم يتعجب، فلما نظر إليكم راغبين مغرورين، قد ذهبت على الدنيا عقولكم، وماتت من حبها قلوبكم، وعشقتها أنفسكم، وامتدت إليها أبصاركم، استوحش الزاهد منكم، فكنتَ إذا نظرت إليه عرفت أنه من أهل الدنيا وَحِش، وذلك أنه كان حياً وسط موتى.

يا داود ما أعجب شأنك!! وقد يزيد في عجبك أنك من أهل زمانك، ألزمت نفسك الصمت حتى قومتها على العدل، وأهنتها وإنما تريد كرامتها، وأذللتها وإنما تريد إعزازها، ووضعتها وإنما تريد تشريفها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها. وأجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريّها، وخشنت الملبس وإنما تريد لينه، وجشبت

المطعم وإنما تريد طيبه، وأمت نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تقبر، وعذبتها قبل أن تعذب، وغيبتها عن الناس كي لا تذكر، ورغبت بنفسك عن الدنيا فلم تر لها قدراً ولا خطراً، ورغبت بنفسك عن الدنيا، عن أزواجها ومطاعمها وملابسها، إلى الآخرة وأزواجها ولباسها وسندسها وحريرها وإستبرقها، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت، وظفرت بما فيه رغبت، كان سيماك في عملك وسرك، ولم تكن سيماؤك في وجهك ولا إظهارك، فقهت في دينك ثم تركت الناس يفتون ويتفقهون، وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يتحدثون ويروون، وخرست عن القول وتركت الناس ينطقون، لا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الأمراء هدية، ولا تدنيك المطامع، ولا ترغب إلى الناس في الصنائع، آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً، وأوحش ما تكون إذا كنت مع الناس جالساً، فأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس، وآنس ما تكون أوحش ما يكون الناس، جاوزت حد المسافرين في أسفارهم، وجاوزت حد المسجونين في سجونهم، فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون، وأما أنت فإنما هي خبزة أو خبزتان في شهرك ترمي بها في دن عندك، فإذا أفطرت أخذت منها حاجتك، فجعلته في مطهرتك ثم صببت من الماء ما يكفيك، ثم اصطبغت به ملحاً، فهذا إدامك وحلواؤك وكل نومك، فمن سمع بمثلك، صبر صبرك أو عزم عزمك، وما أظنك إلا قد لحقت بالماضين، وما أظنك إلا قد فضلت الآخرين، ولا أحسبك إلا قد أتعبت العابدين.

داود، أنت كنت حياً في الآخرين، وقد لحقت بالأولين، وأنت في زمن الراغبين، ولقد أخذت بذروة الزاهدين.

وأما المسجون فيكون مع الناس محبوساً فيأنس بهم، لأن العدد كثير منهم معه، وأما أنت فسجنت نفسك في بيتك وحدك، فلا

محدث ولا جليس معك، فلا أدري أي الأمرين أشد عليك؟ الخلوة في بيتك تمر به الشهور والسنون؟ أم تركت المطاعم والمشارب لا تأكل منها ولا تريح إلى شيء منها، لاستر على بابك، ولا فراش تحتك، ولا قلة يبرد فيها ماؤك، ولا قصعة فيها غداؤك وعشاؤك، مطهرتك قلتك، وقصعتك تَوْرُك، وكل أمرك.

داود: عجباً! أما كنت تشتهي من الماء بارده؟ ولا من الطعام طيبه؟ ولا من اللباس لينه؟ بلى، ولكنك زهدت فيه لما بين يديك مما دعيت إليه، ورغبت فيه، فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر مافعلت في جنب ما أملت أو طلبت، أما أنت فقد ظفرت بروح العاجل، وسعيت إن شاء الله في الآجل، عزلت الشهوة عنك في حياتك لكيلاً يدخلك عجبها، ولا تلحقك فتنتها، فلما مت شهرك ربك بموتك وألبسك رداء عملك، فلم تنشر ما عملت في سرك فأظهر الله اليوم ذلك وأكثر نفعك، وخشيت الجماعة، فلو رأيت اليوم كثرة تبعك عرفت أن ربك قد أكرمك وشرفك فقل لعشيرتك: اليوم تتكلم بألسنتها فقد أوضح اليوم ربك فضلها أن كنت منها، فلو لم تسترح إلى خير تعمله إلا حسن هذا النشر، وجميل هذا المشهد، لكثرة هذا التبع، إن ربك لا يضيع مطيعاً، ولا ينسى صنيعاً، يشكر لخلقه ما صنع فيما أنعم عليهم، أكثر من شكرهم إياه، فسبحانه شاكراً مجازياً مثيباً.

❁ ❁ ❁

عن الوليد بن عتبة. قال: سمعت رجلاً قال لداود الطائي: يا أبا سليمان ألا تسرح لحيتك؟ قال: إني عنها مشغول.

عن إسحاق بن منصور ـ ببغداد سنة خمس ومائتين ـ. قال: لما مات داود الطائي شيع الناس جنازته، فلما دفن قام ابن السماك فقال:

يا داود كنت تسهر ليلك إذا الناس ينامون، فقال القوم جميعاً: صدقت، وكنت تربح إذا الناس يخسرون؟ فقال الناس جميعاً: صدقت، وكنت تسلم إذا الناس يخوضون، قال الناس جميعاً صدقت، حتى عدد فضائله كلها، فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي: فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله.

عن حفص بن عمر الجعفي. قال: اشتكى داود الطائي أياماً، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته فأصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة، ففتحوا باب الدار ودخل ناس من إخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك، فلما نظر إلى رأسه قال: يا داود فضحت القراء، فلما حملوه إلى قبره، خرج في جنازته خلق كثير، حتى خرجت ذوات الخدور، فقال ابن السماك: يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن، وحاسبت نفسك قبل أن تحاسب، فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو، وله كنت تنصب وتعمل، فقال أبو بكر بن عياش: وهو على شفير القبر: اللهم لا تكل داود إلى عمله، فأعجب الناس ما قال أبو بكر.

عن يونس بن عروة. قال: زحموني في جنازة داود الطائي حتى قطعوا نعلي فذهبت، وسلوا ردائي عن منكبي فذهب.

عن حفص بن حميد. قال: سألت داود الطائي عن مسألة فقال داود: أليس المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب، أليس يجمع له آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة، فمتى يحارب؟ إن العلم آلة العمل، فإذا أفنى عمره فيه فمتى يعمل؟!

عن أحمد بن أبي الحواري. حدثني بعض أصحابنا. قال: إنما كان سبب داود الطائي أنه كان يجالس أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان، أما الأداة فقد أحكمناها، فقال داود: فأي شيء بقي؟

قال: بقي العمل به، قال: فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة، فقلت لها: حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة، قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل، قال: فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب فيها من العطشان إلى الماء فلا أجيب فيها، قال: فاعتزلتهم بعد.

عن سعيد. قال: كان داود شديد الانقباض، يعالج نفسه بالصمت، وكان قبل ذلك كثير الكلام، وكانت معالجته نفسه في ترك الكلام. فأخرجته تلك المعالجة إلى التفكر، فبالتفكر ملك نفسه، ولقد جئته يوماً في وقت الصلاة فانتظرته حتى خرج فمشيت معه، والمسجد منه قريب، فسلك به غير طريقه، فقلت: أين تريد؟ فسلك بي سككاً خالية حتى خرج على المسجد، فقلت: الطريق ثمة أقرب عليك، فقال: يا سعيد فر من الناس فرارك من السبع، إنه ما خالط الناس أحد إلا نسي العهد.

عن أبي أسامة. قال: جئت أنا وابن عيينة داود الطائي فقال: جئتماني مرة فلا تعودا إليَّ.

عن الربيع الأعرج. قال: أتيت داود الطائي، وكان داود لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن: قامت الصلاة، فيخرج فيصلي، فإذا سلم الإمام أخذ نعله ودخل منزله، فلما طال ذلك علي أدركته يوماً فقلت له: يا أيا سليمان على رسلك، فوقف لي، فقلت: يا أبا سليمان أوصني، قال: اتق الله وإن كان لك والدان فبرهما، ثلاث مرات، ثم قال في الرابعة: ويحك صم الدنيا واجعل الفطر موتك، واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم.

عن عبد الله بن إدريس. قال: قلت لداود الطائي: أوصني، قال: أقلل معرفة الناس، قلت: زدني، قال: ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدينا بالدنيا مع فساد الدين، قلت: زدني، قال: اجعل الدنيا كيوم صمته ثم أفطر على الموت.

عن أحمد بن ضرار العجلي. قال: أتيت داود الطائي، وهو في دار واسعة خربة، ليس فيها إلا بيت وليس على بيته باب، فقال له بعض القوم: أنت في دار وحشة، فلو اتخذت لبيتك هذا باباً، أما تستوحش؟ فقال: حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا.

عن بكر العابد. قال: سمعت داود الطائي يقول: توحش من الدنيا كما تتوحش من السباع، قال: وكان داود يقول: كفى باليقين زهداً، وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلاً.

عن عمير بن صدقة. قال: كان داود الطائي لي صديقاً، وكنا نجلس جميعاً في حلقة أبي حنيفة، حتى اعتزل وتعبد، فأتيته فقلت: يا أبا سليمان جفوتنا، فقال: يا أبا محمد ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شيء، ثم قال: أستغفر الله، أستغفر الله ثم قام وتركني.

عن ابن السماك. قال: كلمت داود الطائي قلت: لو جالست الناس؟ قال: إنما أنت بين اثنين، بين صغير لا يوقرك، وبين كبير يحصي عليك عيوبك.

عن محمد بن يحيى، عن داود الطائي. قال: من علامة المريدين الزاهدين في الدنيا، ترك كل جليس لا يريد ما يريدون.

عن حفص بن عمر الجعفي. قال: جاء رجل من الأكياس يريد أن يلقى داود الطائي، فجعل لا يمكنه حتى يخرج متقنعاً بثوبه، كأنه خائف فإذا سلم الإمام جاء مسرعاً كأنه رجل هارب، حتى يدخل بيته.

عن إسحاق بن منصور السلولي. قال: دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي، وهو على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد، فقال داود: إنما الزاهد من قدَّر فترك.

عن بكر بن محمد العابد. قال: قال لي داود الطائي: فرَّ من الناس كفرارك من الأسد.

عن عبد الله بن الأعرج أو غيره. قال: أتيت داود فصليت معه المغرب، فكان لا يتطوع في المسجد، فتبعته فصعَّد في البصر، فقلت: أضيفك الليلة؟ فدخل ودخلت معه، فصلى ما شاء الله فأخرج رغيفين يابسين، فجلس فقال لي: ادن فكل، فأشفقت عليه أن آكل معه، فأكل ثم قام إلى شن في الدار في يوم صائف فأخذ يشرب منه، فقلت: يا أبا سليمان: لو أمرت من يبرد لك هذا الماء فقال لي: أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله؟ قلت: يا أبا سليمان أوصني، قال: صم الدنيا واجعل فطرك منها في الآخرة، فقلت: زدني، فقال: ليكن كاتباك محدثيك، فقلت: زدني قال: بر والديك، قلت: زدني، قال: فر من الناس فرارك من الأسد، غير مفارق لجماعتهم، ثم خرجت.

عن محمد بن إشكاب الصفار. حدثني رجل من أهل داود الطائي. قال: قلت له يوماً: يا أبا سليمان قد عرفت الرحم بيننا فأوصني، قال: فدمعت عيناه ثم قال لي: يا أخي إنما الليل والنهار مراحل، تنزل بالناس مرحلة مرحلة، حتى تنتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زاداً لما بين يديه فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك إني لأقول هذا وما أعلم أحداً أشد تضييعاً مني لذلك ثم قام.

عن صالح بن موسى. قال: قال رجل لداود الطائي: أوصني، فقال: اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤونة عليك، وأكثرهم لك معونة.

عن إبراهيم بن أدهم. قال: كان داود الطائي يقول: إن للخوف تحركات تعرف في الخائفين، ومقامات يعرفها المحبون، وإزعاجات يفوز بها المشتاقون، وأين أولئك؟ أولئك هم الفائزون.

وقال داود لسفيان: إذا كنت تشرب الماء المبرد، وتأكل اللذيذ المطيب، وتمشي في الظل الظليل، فمتى تحب الموت والقدوم على الله؟ فبكى سفيان.

عن حفص بن عمر الجعفي. قال: كان داود الطائي قد ورث عن أمه أربعمائة درهم، فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً، فلما نفدت، جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبواري واللبن، حتى بقي في نصف سقف، وكان حائط داره من هذا اللبن العرزمي الذي يجعل منه الكناسات، وباب خلاف مربوع قصير، لو أن غلاماً وثب سقط إلى الدار وجاء صديق له فقال: يا أبا سليمان، لو أعطيتني هذه فبعتها لك، لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً تنتفع به، فما زال به حتى دفعها إليه، ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال: اردها عليّ، قال: ولم يا أخي؟ قال: أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب فأخذها.

عن حفص بن غياث. قال: قلت لداود الطائي: كم بقي عندك من ثمن غلامك؟ قال: كذا وكذا ديناراً، قال أبو نعيم: أظنه اثني عشر ديناراً أو ثلاثة عشر ديناراً، قال: قلت: هاتها لعلنا نصرفها لك في بعض ما تنتفع به، قال: عافاك الله، إن الله لا يخدع، قال أبو نعيم: يقول: لا تأخذها أنت تجعلها في بيتك وتنفق عليّ.

عن عطاء بن مسلم الحلبي. قال: عاش داود الطائي عشرين سنة بثلاثمائة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: يا عم تكره التجارة قال: لا! قال: اعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً، قال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم، فقال: هذه

ربحها، قال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً، ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني قال: فرمى بها وقال: رد عليّ رأس مالي.

عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي. قال: دخلت على داود الطائي في مرضه الذي مات فيه، وليس في بيته إلا دن مقير يكون فيه خبز يابس، ومطهرة، ولبنة شاهنجانية كبيرة على التراب يجعلها وسادة، وهي مرفقته، وهي مخدته، وليس في بيته بوري ولا قليل ولا كثير.

عن عبد الرحمن بن مصعب. قال: ما شبهت فقار ظهر داود إلا جراباً فيه جوز، قد أبان من الجراب هكذا.

عن قبيصة. قال: حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن، ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها، وكان بينها وبينهم رضاع، قالت الجارية: فأتيته بالقصعة فوضعتها بين يديه في الحجرة، قال: فسعى ليأكل منها، فجاء سائل فوقف على الباب، فقام فقدمها إليه، وجلس معه على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القصعة، ثم عمد إلى تمر كان بين يديه ـ قالت: الجارية ظننت أنه كان أعده لعشائه ـ فوضعه في القصعة ودفعها إليّ، وقال: أقرئيها السلام، قالت الجارية: ودفع إلى السائل ما جئناه به، ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه، قالت: وأظنه ما بات إلا طاوياً، قال قبيصة: كنت أراه قد نحل جداً.

عن أبي سليمان الداراني. قال: كان داود الطائي يأكل خبزه على ثلاثة أصناف، أوله سخن، وأوسطه قد تكرج، وآخره يابس يبله في مطهرة له، قال: وكان له دنان: دن للماء ودن للخبز، فأما دن الماء فكان قد جعل في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد.

عن أبي سليمان. قال: أقام داود الطائي أربعاً وستين سنة أعزب، فقيل له: كيف صبرت عن النساء؟ قال: قاسيت شهوتهن عند إدراكي سنة، ثم ذهبت شهوتهن من قلبي، قال أبو سليمان: فنرى أنه من صبر عنهن عند إدراكه سنة لم يعرفهن حلالاً ولا حراماً، إنه يكفى مؤنتهن.

عن عامر بن إسماعيل الأحمسي. قال: قلت لداود الطائي: بلغني أنك تأكل هذا الخبز اليابس تطلب به الخشونة، فقال: سبحان الله! كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللين، فإذا هو قدر قراءة مائتي آية؟ ولكن ليس لي من يخبز فربما يبس عليّ.

عن حماد بن أبي حنيفة. قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسماً: قال: فافعلي، قال: فطبخت له شحماً ثم جاءته به، فقال لها: مافعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي به إليهم، فقالت له: فديتك، إنما تأكل هذا الخبز بالماء بالمطهرة، قال: إذا أكلته كان في الحش، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً.

❁ ❁ ❁

عن حفص بن عمر الجعفي. قال: دخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان، بعت كل شيء في الدار حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف، فكان يكنّك من الحر والمطر والبرد.

فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله اخرج عني فقد شغلت علي قلبي، إني أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة.

قال: يا أبا سليمان أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار ولا يجد ماء فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار لا جب ولا جرة، قال: اللهم غفراً، بل هناك ماء قال: فخرج

يلتمس فإذا دن من هذه الأصيص الذي يدفن في الطين وقطعة خرقة أسفل كوز، فأخذ تلك الخرقة يغرف بها فإذا ماء حار كأنه يغلي، لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان مثل هذا الحر، الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، ودن مدفون في الأرض، وكوز مكسور، فلو كانت جريرة وقلة؟.

فقال داود: جب حيري وجرة مدارية، وقلال منقشة وجارية حسناء، وأثاث وناض. قال أبو حاتم ـ يعني بالناض الدنانير والدراهم ـ وفضول، لو أردت. هذا الذي يشغل القلب، ما سجنت نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي عن هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة.

قال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟.

قال: إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا، حتى يكون مولاي هو الذي يريحني من الدنيا وأهلها.

قلت: فأوصني بوصية.

قال: صم الدنيا وأفطر على الموت، حتى إذا كان عند المعاينة أتاك رضوان الخازن بشربة من ماء الجنة فشربتها على فراشك، فتخرج من الدنيا وأنت ريان لا تحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى تدخل الجنة وأنت ريان.

قال حفص بن عمر: كان داود الطائي، ومحمد بن النضر الحارثي، من العمال لله بالطاعة المكدودين في العبادة، فلما مات رأى رجل من عباد أهل الكوفة يقال له محمد بن ميمون ـ وكان يذكر من فضله ـ فرأى منادياً ينادي: ألا إن داود الطائي ومحمد بن النضر الحارثي طلباً أمراً فأدركاه.



عن عبد الرحمن بن مصعب. قال: رؤي على داود الطائي جبة متخرقة، فقال له رجل: لو خيطتها؟ قال: أما علمت أنه نهي عن فضول النظر.

عن إسماعيل بن ريان. قال: حجم حجام داود الطائي، فأعطاه ديناراً ولا يملك غيره.

عن أبي سعيد السكري. قال: احتجم داود الطائي، فدفع ديناراً إلى الحجام فقيل له: هذا إسراف، فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

عن عبد الرحمن بن مصعب. قال: مرض داود الطائي فعادوه فقالوا: يا أبا سليمان لو خرجت إلى صحن الدار، كان أروح عليك، قال: إني أكره أن أخطو خطاً تكتب علي طلب راحة بدني.

عن عبد الله بن خبيق. قال: أتى فضيل بن عياض داود الطائي يعوده، فقال له: أقلل من زيارتي فإني قد قليت الناس.

عن محمد بن يحيى، عن داود الطائي. قال: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس.

عن إبراهيم بن عبيد. قال: عوتب داود الطائي في التزويج فقيل له: لو تزوجت، فقال: كيف بقلب ضعيف، ليس يقوم بهمِّه يجتمع عليه همان؟.

عن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي. قال: رأيت داود الطائي يوماً قائماً على شاطئ الفرات مبهوتاً، فقلت: ما يوقفك ها هنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر الى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى.

عن محمد بن جعفر بن عون. قال: قال داود الطائي: ما يعول إلا حسن الظن، فأما التفريط فهو المستولي على الأبدان.

عن بثين الطائي. قال: مر داود الطائي على زقاق عمرو، فرأى ذلك الرطب مصففاً، فكأن نفسه دعته إليه، فجاء إلى بائع منهم فقال: اعطني بدرهم، فقال: وأين الدرهم؟ فقال: غداً أعطيك، فقال له: انصرف.

فرآه بعض من يعرف داود فجاء إلى البائع فأخبره، فأخرج صرة فيها مائة درهم فقال له: الحقه فإن أخذ منك بدرهم فهذه لك، فلحقه وهو يقول: لم تسوين في هذه الدنيا درهماً، وأنت تريدين الجنة؟ فجهد به أن يرجع فيأخذ فأبى.

عن أبي محمد صدقة الزاهد. قال: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة، قال: فقعد داود ناحية وهي تدفن، فجاء الناس فقعدوا قريباً منه، فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور، إنما يفرحون بما يقدمون، ويندمون على ما يخلفون مما عليه أهل القبور ندموا، وعليه أهل الدنيا يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون.

عن ابن السماك. قال: أوصاني أخي داود بوصية: انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، واستح في قربه منك وقدرته عليك.

عن سندويه الفتال. قال: قيل لداود الطائي: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، قال: أخاف عليه السوط قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف؛ قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه الداء الدفين من العجب.

عن ابن السماك. قال: قال داود الطائي: تركتنا الذنوب، وإنا نستحي من كثير من مجالسة الناس.

عن محمد بن إشكاب الصفار. قال: قال داود الطائي: اليأس سبيل أعمالنا هذه، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء.

عن أبي نعيم. قال: رأيت داود الطائي تدور في وجهه نملة عرضاً وطولاً لا يفطن بها - يعني من الهم -.

عن سعيد الطحان قال؛ قال رجل لداود: يا أبا سليمان ألا ترى إلى نعليك عن يمينك؟ لو جعلتها بين يديك أو عن يسارك، قال: بارك الله لك في فقهك.

❁ ❁ ❁

أسند داود بن نصير الطائي عن جماعة من التابعين منهم: عبد الله بن عمير وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وحميد الطويل وأكثر روايته عن الأعمش، أروى الناس عن داود بن صعب بن المقدام، وروى عنه إسماعيل بن علية وزافر بن سليمان.

توفي داود سنة ست وقيل: خمس وستين ومائة.

٣٩٤ - إبراهيم بن أدهم

[ت١٦٢هـ]

ومنهم الحازم الأحزم، والعازم الألزم، أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم[١] أيد بالمعارف فوجد. وأمد بالملاطف فعبد، كان عن المقطوع والمرذول وبالمرفوع الموصول متشاغلاً. كان شرع الرسول نهجه. واختياره عليه السلام مرجعه ألف الميمون الموصول. وخالف المفتون المخذول.

---

(١) ولد إبراهيم بن أدهم في بلخ، وتوفي بالجزيرة فحمل إلى صور فدفن هنالك (الصفوة).

عن إبراهيم بن بشار، وهو خادم إبراهيم بن أدهم. قال: قلت: يا أبا إسحاق، كيف كان أوائل أمرك حتى صرت إلى ما صرت إليه؟ قال: غير ذا أولى بك، فقلت له: هو كما تقول رحمك الله ولكن أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يوماً، فسألته الثانية فقال: ويحك اشتغل بالله، فسألته الثالثة فقلت: يا أبا إسحاق إن رأيت.

قال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان، وكان من المياسر، وحبب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي وكلبي معي فبينما أنا كذلك، فثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحداً فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمينة ويسرة فلا أرى أحداً، فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي فأسمع نداء من قربوس سرجي يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت، فوقفت فقلت: أنبهت أنبهت جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي.

فرجعت إلى أهلي فخليت عن فرسي ثم جئت إلى رعاة لأبي فأخذت منه جبة وكساء وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق أرض ترفعني وأرض تضعني، حتى وصلت إلى العراق، فعملت بها أياماً، فلم يصفُ منها شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ عن الحلال، فقالوا لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام، فصرت إلى بلاد الشام فصرت إلى مدينة يقال لها: المنصورة - وهي المصيصة - فعملت بها أياماً، فلم يصف لي شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ فقالوا لي: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإن فيها المباحات والعمل الكثير.

فتوجهت إلى طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد

الحصاد، فبينا أنا قاعد على باب البحر إذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانه. فكنت في بساتين كثيرة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه ثم صاح يا ناظور، فقلت: هو ذا أنا، قال: اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة، فقال لي: يا ناظور أنت في بستاننا منذ كذا وكذا تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا، لا تعرف الحلو من الحامض؟ قال إبراهيم: قلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئاً وما أعرف الحلو من الحامض، فأشار الخادم إلى أصحابه فقال: أما تسمعون كلام هذا؟ ثم قال: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا فانصرف.

فلما كان الغد ذكر صفتي في المسجد فعرفني بعض الناس فجاء الخادم ومعه عنق من الناس فلما رأيته قد أقبل مع أصحابه اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.

فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرسوس إلى بلاد الرمال.

وروى يونس بن سليمان البلخي عن إبراهيم بن أدهم وزاد في هذه القصة: إذا هو على فرسه يركضه إذ سمع صوتاً من فوقه يا إبراهيم ما هذا العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[1] اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.



عن شقيق البلخي. قال: لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنيت بالعيش إلا في

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١١٥).

بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو حمال، ثم قال لي: يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من نبل، من كان يعقل ما يدخل جوفه - يعني الرغيفين - من حله، ثم قال: يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء، لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم، إنما يسأل هؤلاء المساكين - يعني الأغنياء -.

عن إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني، خادم إبراهيم بن أدهم. قال: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا بنا حيلة، فرآني مغتماً حزيناً فقال: يا إبراهيم بن بشار ماذا أنعم الله تعالى على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولاعن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة.

لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلنا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله عز وجل، ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي فما لبثنا إلا ساعة إذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله، قال: فسلم وقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فقال: أطعموني شيئاً، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر فدفعه إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين.

عن إبراهيم بن بشار. قال: بينا أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السخاوي، ونحن متوجهون نريد

الإسكندرية، فصرنا إلى نهر يقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح، فقرب أبو يوسف الغسولي كسيرات يابسات، فأكلنا وحمدنا الله تعالى، وقام أحدنا ليسقي إبراهيم، فسارعه فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه ثم قال: بسم الله فشرب، ثم قال: الحمد لله، ثم يبدأ ثانية فقال: بسم الله، ثم شرب، ثم قال: الحمد لله ثم خرج، فمد رجليه ثم قال: يا أبا يوسف: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم، إذاً لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم أيام الحياة، على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب.

زاد جعفر فقلت له: يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطؤوا الطريق المستقيم، فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟.

عن عباس بن الفضل المرعشي. قال: لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فتذاكرنا أمر إبراهيم بن أدهم فقال: عبد العزيز: رحم الله إبراهيم بن أدهم لقد رأيته بخراسان إذا ركب حضر بين يديه نحو من عشرين شاكري، ولكنه رحمه الله طلب بحبوحة الجنة.

عن إبراهيم بن شماس. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: كان أدهم رجلاً صالحاً فولد إبراهيم بمكة، فرفعه في خرقة وجعل يتتبع أولئك العباد والزهاد، ويقول: ادعو الله له، فيرى أنه قد استجيب لبعضهم فيه.

عن خلف بن تميم. قال لي إبراهيم بن أدهم: كنت في بعض السواحل، وكانوا يستخدموني ويبعثوني في حوائجهم، وربما يتبعني الصبيان حتى يضربوا ساقي بالحصا، إذ جاء قوم من أصحابي فأحدقوا بي فأكرموني، فلما رأوا أولئك إكرامهم لي أكرموني، فلو رأيتموني والصبيان يرموني بالحصا وذلك أحلى في قلبي منهم حيث أحدقوا بي.

عن داود بن الجراح. قال: كان إبراهيم بن أدهم ينظر كرماً في

كورة غزة، فجاءه صاحب الكرم ومعه أصحابه، فقال: إيتنا بعنب نأكل، فأتاه بعنب يقال له: الخافوني، فإذا هو حامض، فقال له صاحب الكرم: من هذا تأكل؟ قال: ما آكل من هذا ولا من غيره، قال: لم؟ قال: لأنك لم تحدَّ لي شيئاً من العنب. قال: فأتني برمان، فأتاه برمان فإذا هو حامض، فقال: من هذا تأكل؟ قال: لا آكل من هذا ولا من غيره، ولكن رأيته أحمر حسناً فظننت أنه حلو، فقال: لو كنت إبراهيم بن أدهم ما عدا، قال: فلما علم أنهم عرفوه هرب منهم وترك كراه.

عن سهل بن بشر. قال: مرَّ بي إبراهيم بن أدهم، وأنا أكسر عود حطب قد أعياني، فقال لي: يا محمد قد أعياك؟ قلت: نعم! قال: فتأمر لنا به؟ قلت: نعم! قال: وتعيرنا الفأس؟ قلت: نعم! قال: فأخذ العود ووضعه على رقبته وأخذ الفأس ومضى، فبينا أنا على ذلك إذا بالباب قد فتح، والحطب يطرح في الباب مكسراً، وألقى الفأس وأغلق الباب ومضى.

قال: وكان إبراهيم إذا صلى العشاء، وقف بين يدي الدور فنادى بأعلى صوته: من يريد يطحن؟ فكانت المرأة تخرج القفة والشيخ الكبير، فينصب الرحى بين رجليه فلا ينام حتى يطحن بلا كراء، ثم أتى أصحابه.

عن علي بن بكار. قال: كان الحصاد أحب إلى إبراهيم من اللقاط، وكان سليمان الخواص لا يرى باللقاط بأساً ويلقط، وكانت أسنانهما قريبة، وكان إبراهيم أفقه.

وكان يلبس في الشتاء فرواً ليس تحته قميص، ولم يكن يلبس خفين ولا عمامة، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم، يتزر بواحدة ويرتدي بأخرى، ويصوم في السفر والحضر، ولا ينام الليل، وكان يفكر، فإذا فرغ من الحصاد أرسل بعض أصحابه فحاسب صاحب

الزرع ويجيء بالدراهم، لا يمسها بيده فيقول لأصحابه: اذهبوا كلوا بها شهواتكم، فإن لم يكن حصاد أجر نفسه في حفظ البساتين والمزارع، وكان يجلس فيطحن بيد واحدة مدي قمح، قال إبراهيم: يعنى قفيزين.

عن خلف بن تميم. قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: مذكم نزلت بالشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما نزلتها لجهاد ولا لرباط، فقلت: لأي شيء نزلتها؟ قال: لأشبع من خبز حلال.

عن علي بن بكار عن إبراهيم بن أدهم. قال: حدثني رفيقه قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس، فنفد زادنا في الطريق، فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر، حتى خشنت حلوقنا وبلغ منا الجهد، فقلت: ندخل القرية عسى نطلب عملاً، فإذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه، فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطاً قد سقط أجره بأربعة دراهم، فقلت: قد تقبلت عملاً، فجعل يعمل عمل الرجال، وأعملُ عملاً ضعيفاً، فجاؤنا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام فقال لي: هذا في شرطك؟ بعد ما تعالى النهار، فقلت: لا؛ قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري.

قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا، فأصابنا في الطريق الجوع، فأتينا قرية من قرى حمص، فإذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم، فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا، فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل، قال: ما اسمه؟ قلت: فلان بن فلان، فأكل وأكلت.

ثم أتينا عمق إنطاكية وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين درهماً فقلت: آخذ نصف هذه وأرجع ما بي قوة على صحبته،

فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس، قال: ما أنت لي مصاحباً؟ فدخل إنطاكية واشترى ملاءتين من تلك الدراهم فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان بن فلان وادفع إليه الملاءتين، ودفع إلي بقية الدراهم، وبقي ليس معه شيء.

فدفعت الملاءتين إلى الرجل فقال: من بعث بها؟ قلت: إبراهيم بن أدهم، فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم؟ فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام، فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حينا فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي: مات وكفن في الملاءتين.

عن يعقوب بن المغيرة. قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في الحصاد في شهر رمضان، فقيل له: يا أبا إسحاق لو دخلت بنا إلى المدينة فنصوم العشر الأواخر بالمدينة، لعلنا ندرك ليلة القدر، فقال: أقيموا ها هنا وأجيدوا العمل، ولكم بكل ليلة ليلة القدر.

عن أحمد بن داود. قال: مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر كرماً، فقال: ناولنا من هذا العنب، فقال: ما أذن لي صاحبه، قال: فيقلب السوط، وأمسك بموضع الشيب، فجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأساً طال ما عصى الله، قال: فأعجز الرجل عنه.

عن بقية. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: عالجت العبادة، فما وجدت شيئاً أشد عليّ، من نزاع النفس إلى الوطن.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما قاسيت شيئاً من أمر الدنيا أشد عليّ من نفسي، مرة عليّ ومرة لي، وأما هوائي فقد والله استعنت بالله عليه فأعانني، واستكفيته سوء مغالبته فكفاني، فوالله ما آسى على ما أقبل من الدنيا، ولا ما أدبر منها.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما كانت لي مؤونة قط على أصحابي ولا على غيرهم، إلا في شيء واحد فقلت: فايش يا أبا إسحاق؟ قال: ما كنت أحسن أكري نفسي في الحصادين فيحتاجون أن يكروني ويأخذون لي الأجرة. فهذه كانت مؤونتي عليهم.

عن الأوزاعي: ليس في هؤلاء القراء أفضل من إبراهيم بن أدهم، فإنه أسخى القوم.

عن شقيق بن إبراهيم. قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم، إذ مر به رجل من الصناع، فقال إبراهيم: أليس هذا فلاناً؟ قيل: نعم! فقال لرجل: أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون، فرجعت إلى إبراهيم وقلت له: فقال: إنا لله غفلنا عن صاحبنا، حتى نزل به الأمر! فقال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق وأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلاناً، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي، قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم.

عن علي بن بكار. قال: كنا جلوساً عند الجامع بالمصيصة، وفينا إبراهيم بن أدهم، فقدم رجل من خراسان فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ فقال القوم: هذا، ـ أو قال: أنا هو ـ قال: إن إخوتك بعثوني إليك، فلما سمع ذكر إخوته قام فأخذ بيده فنحاه فقال: ما جاء بك؟ قال: أنا مملوكك مع فرس وبغلة وعشرة آلاف

درهم، بعث بها إليك إخوتك، قال: إن كنت صادقاً فأنت حرٌ وما معك فلك، اذهب فلا تخبر أحداً، قال. فذهب.

قال: وكان إبراهيم يطحن وإحدى رجليه مبسوطة، والأخرى قد كفها، فلا يكف تلك المبسوطة ولا يبسط تلك المكفوفة حتى يفرغ من مدين، فإذا فرغ من مدين بسط تلك، وكف هذه، فيطحن مدين آخرين.

عن خلف بن تميم. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فيقول: خذها، فأقول مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس قد ألجمه وأسرجه فيقول: قد حملتك عليها، فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني الرجل وأنا أعلم لعله قرشي أو عربي فيقول: هات أعينك، فلما رأى القوم أني لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إلي كأني دابة من الأرض، أو كأني آية عندهم، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول، فصار عند أهل ذا الزمان من ترك شيئاً من الدنيا فكأنما ترك شيئاً.

عن أحمد بن بكار. قال: غزا معنا إبراهيم بن أدهم غزاتين كل واحدة أشد من الأخرى، غزاة عباس الإنطاكي، وغزاة محكاف، فلم يأخذ سهماً ولا نفلاً، وكان لا يأكل من متاع الروم، نجيء بالطرائف والعسل والدجاج فلا يأكل منه ويقول: هو حلال ولكني أزهد فيه، كان يأكل مما حمل معه.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه، فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون، إلى مساكينكم.

قال: وسمعت إبراهيم يقول: قال لقمان لابنه: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن، لا يعرف الحليم، إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب إذا لقي الأقران، ولا أخاك، إلا عند حاجتك إليه.

عن مضاء بن عيسى. قال: ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء.

عن بشر بن المنذر. قال: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح، ولو نفخته الريح لوقع، قد اسود، متدرع بعباءة، فإذا خلا بأصحابه فمن أبسط الناس.

عن عيسى بن حازم. قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في بيت ومعه أصحاب له، فأتوا ببطيخ فجعلوا يأكلون ويمزحون ويترامون بينهم، فدق رجل الباب فقال لهم إبراهيم: لا يتحركن أحد، قالوا: يا أبا إسحاق تعلمنا الرياء؟ نفعل في السر شيئاً لا نفعله في العلانية؟ فقال: اسكتوا إني أكره أن يعصى الله في وفيكم[1].

عن الهيثم بن جميل، عن أصحابنا أن إبراهيم بن أدهم: كان إذا دعي إلى طعام وهو صائم أكل ولم يقل إني صائم.

عن يعلى بن عبيد. قال: دخل إبراهيم بن أدهم على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال. يا أمير المؤمنين:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

عن عبد الرحمن بن يعقوب. قال: جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يريد صحبته، فقال له إبراهيم: ما معك؟ فأخرج دراهم فأخذ

---

(١) لعله أراد: أن يظن القادم إليهم ظن السوء فيهم، عند رؤيتهم وهم يلعبون فيكون ذلك سبب معصيته لله تعالى بذلك الظن.

منها إبراهيم دراهم فقال: اذهب فاشتر لنا موزاً، فقال الرجل: موزاً بهذا كله؟ فقال إبراهيم: ضم دراهمك وامض، ليس تقوى على صحبتنا.

❁ ❁ ❁

عن إبراهيم بن بشار. قال: وقف رجل صوفي على إبراهيم بن أدهم فقال: يا أبا إسحاق لم حجبت القلوب عن الله؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول، ولا ينفد، خالداً مخلداً، في ملك سرمد لا نفاد له ولا انقطاع.

قال: وسمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إذا أردت أن تعرف الشيء بفضله فاقلبه بضده، فإذا أنت قد عرفت فضله، اقلب الأمانة إلى الخيانة، والصدق إلى الكذب، والإيمان إلى الكفر، فإذا أنت قد عرفت فضل ما أوتيت.

قال: وسمعت إبراهيم يقول: إن للموت كأساً لا يقوى على تجرعه إلا خائف وجل طائع كان يتوقعه، فمن كان مطيعاً فله الحياة والكرامة والنجاة من عذاب القبر، ومن كان عاصياً نزل بين الحسرة والندامة يوم الصاخة والطامة.

قال إبراهيم بن بشار: فقلت لإبراهيم بن أدهم: أمرُّ اليوم أعمل في الطين، فقال: يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما غاب عنك قد كشف لك وكأنك بما أنت فيه قد نقلت عنه، يا ابن بشار كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا ذا فاقة مرزوقاً.

ثم قال لي: مالك حيلة، قلت لي عند البقال دانق، قال: عزّ علي بك، تملك دانقاً وتطلب العمل؟

قال: وسمعت إبراهيم يقول يوماً لأبي ضمرة الصوفي ـ وقد رآه يضحك ـ: يا أبا ضمرة لا تطمعن فيما لا يكون، فقلت له: يا أبا إسحاق إيش معنى هذا؟ فقال: ما فهمته؟ قلت: لا! قال: لا تطمعن في بقائك وأنت تعلم أن مصيرك إلى الموت، فلم يضحك من يموت ولا يدري إلى أين يصير بعد موته، إلى جنة أم إلى نار؟ ولا تيأس مما يكون إنك لا تدري أي وقت يكون الموت، صباحاً أو مساء، بليل أو نهار؟ ثم قال: أوه، أوه، ثم سقط مغشياً عليه.

❁ ❁ ❁

عن أحمد بن يحيى: أن إبراهيم بن أدهم قال: إن الصائم القائم المصلي الحاج المعتمر الغازي، من أغنى نفسه عن الناس.

عن أبي صالح الجدي قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: المسألة مسألتان، مسألة على أبواب الناس، ومسألة يقول الرجل: ألزمُ المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله، فمن جاءني بشيء قبلته، فهذه شر المسألتين، وهذا قد ألحف في المسألة.

❁ ❁ ❁

عن أبي محمد البلخي. قال: قرأت كتاب إبراهيم بن أدهم إلى عبد الملك مولاه:

أما بعد: أوصيك بتقوى الله، إنه جاءني كتابك فوصلك الله، تذكر ما جرى بيننا، فمن رعى حق الله وفر حظه وسلم منه الناس، ومن ترك حظه ولم يراقب حقه ولع به الناس، وذلك إلى الله، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله، ثم إن القوم ناس مثلكم، يغضبون ويرضون، فكان الذي يقومهم إليه يرجعون، وبه يقنعون، وبه يأخذون، وبه يعطون، فأثنى عليهم أحسن الثناء فاقتدوا بآثارهم وأفعالهم، حتى أنتم على ملتهم، وتمنون منازلهم.

ثم إن الله تعالى أحسن إلينا وأبقانا بعد الجيران، فنعوذ بالله أن يكون إبقاؤنا لشر فإنه لا يؤمن مكره، والأعمال بالخواتيم، وإنه من خافه لم يصنع ما يحب ولم يتكلم بما يشتهي.

وينبغي لصاحب الدين أن يرجو في الكلام ما يرجو في الفعل، وأن يخاف منه ما يخاف من الفعل، وذلك إلى الله، فإن استطعت أن لا يكون عندك أحد هو آثر من الله فراقبه في الغضب والرضا، فإنه يعلم السر وأخفى، ويغفر ويعذب، ولا منجا منه إلا إليه، فإن استطعت أن تكفَ عما لا يعنيك، وأن تنظر لنفسك، فإنه لا يسعى لك غيرك.

إن الناس قد طلبوا الدنيا بالغضب والرضا، فلم ينالوا منها حاجتهم، وإنه من أراد الآخرة، كان الناس منه في راحة، لا يخدع من ذلها، ولا ينازعهم في عزها، هو من نفسه في شغل، والناس منه في راحة.

فاتق الله وعليك بالسداد، فإن من مضى إنما قدموا على أعمالهم، ولم يقدموا على الشرف والصوت والذكر، فإن الله تعالى أبى إلا عدلاً، أعاننا الله وإياكم على ما خلقنا له، وبارك لنا ولكم في بقية العمر، فما شاء الله.

وأما ما ذكرت من أمر القصر فلا تشقوا على أنفسكم، إن جاءكم أمر في عافية فلله الحمد، وإن كانت بلية فلا تعدلوا بالسلامة، فإنه من ترك من أمره ما لا ينبغي أحق بالجزع منكم، إنا قد أيقنا أن الناس لا يذهبون بحقوق الناس، والله معط كل ذي حق حقه، وسعي الناس لهم وعليهم، والجزاء غدا، فإن استطعتم أن لا تلقوا الله بمظالم، فأما ما ظُلِمتُم فلا تخافوا الغلبة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء، فمن علم أن الأمور هكذا فليكبر على نفسه وليقض ما عليها، فإن غدا أشده وأضره، حسبنا الله ونعم الوكيل، وأما من بقي من بقية الجيران فاقرئهم السلام فقد طال العهد.

عن علي بن بكار، عن إبراهيم بن أدهم. قال: الفقر مخزون عند الله في السماء بعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب.

عن شقيق بن إبراهيم. قال: مر إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1] ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا.

قال: فقال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

الثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

والثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها.

والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.

والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.

والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان، ومن وفى العمل وفي الأجر، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير.

---

(١) سورة غافر، الآية (٦٠).

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لا يقلُّ مع الحق فريد، ولا يقوى مع الباطل عديد.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سئل إبراهيم بن أدهم بم يتم الورع؟ قال: بتسوية كل الخلق من قلبك، واشتغالك عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل، من قلب ذليل لرب جليل، فكر في ذنبك وتب إلى ربك، يثبت الورع في قلبك، واحسم الطمع إلا من ربك.

عن مروان بن محمد. قال: قيل لإبراهيم بن أدهم: إن فلاناً يتعلم النحو، فقال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج.

عن أبي وهب؛ أن إبراهيم بن أدهم رأى رجلاً يحدث ـ يعني من كلام الدنيا ـ فوقف عليه فقال له: كلامك هذا ترجو فيه؟ قال: لا، قال: فتأمن عليه، قال: لا، قال: فما تصنع بشيء لا ترجو فيه ولا تأمن عليه؟.

عن يوسف بن سعيد بن مسلم. قال: قلت لعلي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم كثير الصلاة؟ قال: لا ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر.

❁ ❁ ❁

عن أحمد بن إبراهيم بن بشار. قال: سألت إبراهيم بن أدهم عن العبادة فقال: رأس العبادة التفكر والصمت إلا من ذكر الله، ولقد بلغني حرف ـ يعني عن لقمان ـ قال قيل له: يا لقمان ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما قد كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني.

ثم قال: يا ابن بشار إنما ينبغي للعبد أن يصمت أو يتكلم بما ينتفع به، أو ينفع به من موعظة أو تنبيه أو تخويف أو تحذير، واعلم أنه إذا كان للكلام مثل كان أوضح للمنطق، وأبين في المقياس، وأنقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

يا ابن بشار مثِّل لبصر قلبك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض

روحك، فانظر كيف تكون، ومثِّل له هول المطلع ومسائلة منكر ونكير، فانظر كيف تكون، ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها، والعرض والحساب والوقوف، فانظر كيف تكون، ثم صرخ صرخة وقع مغشياً عليه.

عن إبراهيم بن بشار. قال: كتب عمر بن المنهال القرشي إلى إبراهيم بن أدهم وهو بالرملة: أن عظني عظة أحفظها عنك، فكتب إليه: أما بعد: فإن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنفس منه في كل وقت نصيب، وللبلى في جسمه دبيب، فبادر بالعمل قبل أن تنادى بالرحيل، واجتهد في العمل في دار الممر، قبل أن ترحل إلى دار المقر.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً ومعافى من أذاها.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: الهوى يردي وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت، من تعلم أنه يراك.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: اذكر ما أنت صائر إليه حق ذكره، وتفكر فيما مضى من عمرك، هل تثق به وترجو النجاة من عذاب ربك، فإنك إذا كنت كذلك، شغلت قلبك بالاهتمام بطريق النجاة عن طريق اللاهين الآمنين المطمئنين الذين أتبعوا أنفسهم هواها، فأوقعتهم على طريق هلكاتهم، لا جرم سوف يعلمون، وسوف يتأسفون، وسوف يندمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(١) سورة الشعراء، الآية (٢٢٧).

عن إبراهيم بن بشار. قال سمعت إبراهيم يقول: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرهم ستر الله وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

عن محمد بن عبد الرحمن السروجي. قال: كتب إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه: أما بعد: فعليك بتقوى الله الذي لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، واتق الله، فإنه من اتقى الله عزّ وجلّ عزَّ وقوي، وشبع وروي، ورفع عقله عن الدنيا، فبدنه منظور بين ظهراني أهل الدنيا، وقلبه معاين للآخرة، فأطفأ بصرُ قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا، فقذر حرامها وجانب شهواتها، وأضر بالحلال الصافي منها، إلا ما لا بدّ له من كسرة يشد بها صلبه، أو ثوب يواري به عورته، من أغلظ ما يقدر عليه وأخشنه، ليس له ثقة ولا رجاء إلا الله، قد رفعت ثقته ورجاؤه من كل شيء مخلوق، ووقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجد وهَزُل وأنهكَ بدنه لله، حتى غارت العينان، وبدت الأضلاع، وأبدله الله تعالى بذلك زيادة في عقله، وقوة في قلبه، وما دخر له في الآخرة أكثر.

فارفض يا أخي الدنيا، فإن حب الدنيا يصم ويعمي، ويذل الرقاب، ولا تقل غداً وبعد غد، فإنما هلك من هلك بإقامتهم على الأماني، حتى جاءهم الحق بغتة وهم غافلون، فنقلوا على إصرارهم إلى القبور المظلمة الضيقة، وأسلمهم الأهلون والولد، فانقطع إلى الله بقلب منيب، وعزم ليس فيه شك والسلام.

عن فديك بن سليمان. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم من ترك الدنيا.

عن سهل بن هاشم. قال: قال لنا إبراهيم بن أدهم: أقلوا من الإخوان والأخلاء.

عن خالد بن الحارث. قال: بلغني أن إبراهيم بن أدهم قال: لم يصدق الله من أحب الشهرة.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: منَّ الله عليكم بالإسلام، فأخرجكم من الشقاء إلى السعادة، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الظلمات إلى الضياء، فشبتم نعمه عليكم بالكفران، ومررتم بالخطأ حلاوة الإيمان، ووهنتم بالذنوب عرى الإيمان، وهدمتم الطاعة بالعصيان، وإنما تمرون بمراصد الآفات، وتمضون على جسور الهلكات، وتبنون على قناطر الزلات، وتحصنون بمحاصن الشبهات، فبالله تغترون، وعليه تجترئون، ولأنفسكم تخدعون، ولله لا تراقبون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وسمعت إبراهيم يقول: أنعم الله عليك فلم تكن في وقت أنعمه شكوراً، لا يغررك حلمه، واذكر مصيرك إلى القبور، واعمل ليومك يا أخي قبل حشرجة الصدور.

عن بقية بن الوليد. قال: لقيت إبراهيم بن أدهم بالساحل فقلت: أكنيك أم أدعوك باسمك؟ فقال: إن كنيتي قبلت منك، وإن دعوتني باسمي فهو أحب إلي، فقال لي: يا بقية كن ذَنَباً ولا تكن رأساً، فإن الذنب ينجو والرأس يهلك، قال قلت له: ما شأنك لا تتزوج؟ قال: ما تقول في رجل غر امرأته وخدعها؟ قلت: ما ينبغي هذا، قال: فأتزوج امرأة تطلب ما يطلب النساء؟ لا حاجة لي في النساء، قال: فجعلت أثني عليه، قال: ففطن فقال: لك عيال؟ فقلت: نعم، قال روعة من روعة عيالك أفضل مما أنا فيه.

عن يوسف بن السحت. حدثنا أبي. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب.

عن عبد الرحمن بن الضحاك، عن إبراهيم بن أدهم. قال: مكتوب في بعض كتب الله: من أصبح حزيناً على الدنيا فقد أصبح ساخطاً على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به أصبح يشكو ربه، وأيما فقير جلس إلى غني فتضعضع له لدنياه ذهب ثلثا دينه، ومن قرأ القرآن فاتخذ آيات الله هزوا أدخل النار.

عن أبي عبد الرحمن الأعرج، عن إبراهيم بن أدهم. قال: أول ما كلم الله تعالى آدم عليه السلام قال: أوصيك بأربع: إن لقيتني بهن أدخلتك الجنة، ومن لقيني بهن من ولدك أدخلته الجنة، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بيني وبينك وبين الناس. فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فما عملت من عمل وفيتك إياه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الإجابة، وأما التي بيني وبينك وبين الناس فما كرهت لنفسك فلا تأته إلى غيرك.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك، ذمَّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهَّدنا فيها فآثرناها ورغبنا في طلبها، وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها، ونهيتم عن طلبها فطلبتموها، وأنذرتم الكنوز فكنزتموها.

دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها، فأجبتم مسرعين مناديها، خدعتكم بغرورها ومنتكم، فأنفذتم خاضعين لأمنيتها تتمرغون في زهواتها، وتتمتعون في لذاتها وتتقلبون في شهواتها، وتتلوثون بتباعتها، تنبشون بمخالب الحرص من خزائنها، وتحفرون بمعاول الطمع في معادنها، وتبنون بالغفلة في أماكنها، وتحصنون بالجهل في مساكنها.

تريدون أن تجاوروا الله في داره، وتحطوا رحالكم بقربه، بين

أوليائه وأصفيائه، وأهل ولايته، وأنتم غرقى في بحار الدنيا حيارى، ترتعون في زهواتها، وتتمتعون في لذاتها، وتتنافسون في غمراتها، فمِنْ جمعها ما تشبعون، ومن التنافس فيها ما تملون، كذبتم والله أنفسكم، وغرتكم ومنتكم الأماني، وعللتكم بالتواني، حتى لا تعطوا اليقين من قلوبكم، والصدق من نياتكم، وتتنصلون إليه من مساوي ذنوبكم، وتعصونه في بقية أعماركم.

أما سمعتم الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[1] لا تنال جنته إلا بطاعته، ولا تنال ولايته إلا بمحبته، ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته، فإن الله تعالى قد أعد المغفرة للأوابين، وأعد الرحمة للتوابين، وأعد الجنة للخائفين، وأعد الحور للمطيعين، وأعد رؤيته للمشتاقين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[2] من طريق العمى إلى طريق الهدى.

عن محمد بن أبي رجاء القرشي. قال: قال إبراهيم بن أدهم: إنك إذا أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك شين قبح المعصية.

عن المتوكل بن الحسين. قال: قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فالفرض الزهد في الحرام، والفضل الزهد في الحلال، والسلامة الزهد في الشبهات.

عن بقية بن الوليد، عن إبراهيم بن أدهم. قال: كان يقال: ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم.

---

(١) سورة ص، الآية (٢٨).

(٢) سورة طه، الآية (٨٢).

عن عيسى بن حازم. قال: قال إبراهيم بن أدهم: ما يمنعني من طلب العلم أني لا أعلم ما فيه من الفضل، ولكن أكره أن أطلبه مع من لا يعرف حقه.

عن داود بن الجراح. قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك، فقال له إبراهيم: على أن أكون بمالك أحق به منك، قال: لا، قال إبراهيم: قد صدقتني فنعم الصاحب أنت.

عن طالوت. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد أحب الشهرة.

عن خلف بن تميم. قال: قال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار.

عن أحمد بن أيوب عن إبراهيم بن أدهم. قال: نعم القوم السؤَّال يحملون زادنا إلى الآخرة، يجئ إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيء؟

عن أحمد بن أبي الحواري. حدثني بعض أصحابنا. قال: قيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم غلا، قال: فأرخصوه أي لا تشتروه.

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا، ولا نطلب كشفه من ربنا.

قال: ونظر إبراهيم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع ووقع الحريق في دكانه، فاشتد جزعه حتى خولط في عقله، فقال: يا عبد الله، إن المال مال الله، متعك به إذ شاء وأخذه منك إذ شاء، فاصبر لأمره ولا تجزع، فإن من تمام شكر الله على العافية، الصبر له على البلية، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم.

قال: سمعت إبراهيم يقول هكذا كثيراً: دارنا أمامنا، وحياتنا بعد موتنا، إما إلى جنة وإما إلى نار.

وقال: وكنت يوماً من الأيام ماراً مع إبراهيم في صحراء فأتينا على قبر مسنم، فترحم عليه وبكى، فقلت: قبر من هذا؟ قال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرقاً في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله منها واستنقذه، ولقد بلغني أنه سر ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه، وغروره وفتنته، قال: ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى رجلاً واقفاً على رأسه بيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك، وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك فإن الذي أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن ما بعده هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بعد، فسارع إلى أمر الله فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] قال فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة، فخرج من ملكه لا يعلم به أحد، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه فلما بلغني قصته وحدثت بأمره، قصدته فسألته فحدثني ببدء أمره، وحدثته بأمري، فما زلت أقصده حتى مات، ودفن ههنا، فهذا قبره رحمه الله.

عن عيسى بن حازم. قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: مالك لا تطلب الحديث؟ فقال: إني لا أدعه رغبة عنه، ولا زهادة فيه، ولكني سمعت منه شيئاً فأنا أريد العمل به.

عن إبراهيم بن بشار. قال: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضاري، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة.

عن عبد الله بن عبد الله الإنطاكي، عن إبراهيم بن أدهم: لا تجعل بينك وبين الله منعماً، وعدَّ نعمةً من غيره عليك مغرماً.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣٣).

عن أبي العباس بن أحمد الرملي، عن بعض أشياخه. قال: قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغطية. الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل. ودليل ذلك كله قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1].

❁ ❁ ❁

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: خالفتم الله فيما أنذر وحذر، وعصيتموه فيما نهى وأمر، وكذبتموه فيما وعد وبشر، وكفرتموه فيما أنعم وقدر، وإنما تحصدون ما تزرعون، وتجنون ما تغرسون وتكافَؤون بما تفعلون، وتجزون بما تعملون، فاعلموا إن كنتم تعقلون، وانتبهوا من وسن رقدتكم لعلكم تفلحون.

قال وسمعته يقول: الله الله في هذه الأرواح والأبدان الضعيفة، الحذرَ الحذرَ الجدَّ الجدَّ، كونوا على حياء من الله، فوالله لقد ستر وأمهل، وجاد فأحسن، حتى كأنه قد غفر كرماً منه لخلقه. قال: وسمعت إبراهيم يقول: قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث كثرة الغم والجزع.

❁ ❁ ❁

عن إبراهيم بن بشار. قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: بؤساً لأهل النار، لو نظروا إلى زوار الرحمن قد حملوا على النجائب، يزفون إلى الله زفاً، وحشروا وفداً وفداً، ونصبت لهم المنابر، ووضعت لهم الكراسي، وأقبل عليهم الجليل جلّ جلاله

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٣).

بوجهه، ليسرهم وهو يقول: إليَّ عبادي إليَّ عبادي، إليَّ أوليائي المطيعين، إليَّ أحبائي المشتاقين، إليَّ أصفيائي المحزونين، ها أنذا اعرفوني، من كان منكم مشتاقاً أو محباً أو متملقاً فليتمتع بالنظر إلى وجهي الكريم، فوعزتي وجلالي لأفرحنكم بجواري، ولأسرنكم بقَربي، ولأبيحنكم كرامتي، من الغرفات تشرفون، وتتكئون على الأسرة، فتتملكون، تقيمون في دار المقامة أبداً لا تظعنون، تأمنون فلا تحزنون، تصحون فلا تسقمون تتنعمون في رغد العيش لا تموتون، وتعانقون الحور الحسان فلا تملون ولا تسأمون، كلوا واشربو هنيئاً، وتنعموا كثيراً بما أنحلتم الأبدان، وأنهكتم الأجساد، ولزمتم الصيام وسهرتم بالليل والناس نيام.

عن حذيفة المرعشي. قال: دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم، فإذا شقيق البلخي قد حج في تلك السنة، فاجتمعنا في شق الطواف، فقال إبراهيم لشقيق: على أي شيء أصلتم أصلكم؟ قال: أصلنا أصلنا على أنا إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا، فقال إبراهيم: هكذا تفعل كلاب بلخ، فقال له شقيق: فعلى ماذا أصلتم؟ قال: أصلنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا شكرنا وحمدنا، فقام شقيق فجلس بين يدي إبراهيم فقال: يا أستاذ، أنت أستاذنا.

❁ ❁ ❁

عن إبراهيم بن بشار. قال: كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذ أمسى يقول مثل ذلك:

مرحباً بيوم المزيد، والصبح الجديد، والكاتب الشهيد، يومنا هذا يوم عيد، اكتب لنا فيه ما نقول: بسم الله الحميد المجيد، الرفيع الودود. الفعال في خلقه ما يريد. أصبحت بالله مؤمناً وبلقاء الله

مصدقاً، وبحجته معترفاً، ومن ذنبي مستغفراً، ولربوبية الله خاضعاً، ولسوى الله جاحداً، وإلى الله تعالى فقيراً، وعلى الله متوكلاً، وإلى الله منيباً.

أشهدُ الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه، ومن خلق ومن هو خالق: بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وأن الجنة حق والنار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، ومنكراً ونكيراً حق، ولقاءك حق، ووعدك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. على ذلك أحيىٰ وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله.

اللهم أنت ربي لا ربَّ لي إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر. اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت.

لبيك وسعديك والخير كله بيديك، وأنا لك أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب، صلى الله وسلم على محمد وعلى آله وسلم كثيراً، خاتم كلامي ومفتاحه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين.

اللهم أوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشرباً مرياً سائغاً هنياً لا نظمأ بعده أبداً، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكسين ولا مرتابين ولا مقبوحين ولا مغضوباً علينا ولا ضالين، اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب من العمل وترضى، وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تضلني وإن كنتُ ظالماً.

سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا باري يا رحيم، يا عزيز

يا جبار، سبحان من سبحت له السموات بأكنافها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراقها، وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن ومن عليهن، سبحانك سبحانك يا حي يا حليم، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك.

❀ ❀ ❀

عن إبراهيم بن بشار. قال: ما رأيت في جميع من لقيته من العباد والعلماء والصالحين والزهاد أحداً يبغض الدنيا ولا ينظر إليها مثل إبراهيم بن أدهم، ربما مررنا على قوم قد هدموا حائطاً، أو داراً أو حانوتاً فيحول وجهه ولا يملأ عينيه من النظر إليه.

وسمعته يقول: قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

وكان يقول: إياكم والكبر، إياكم والإعجاب بالأعمال، انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، من ذلل نفسه رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جازاه، فينبغي للعبد أن يزن نفسه قبل أن يوزن، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويتزين ويتهيأ للعرض على الله العلي الأكبر.

قال: وسمعت إبراهيم يقول: اشغلوا قلوبكم بالخوف من الله، وأبدانكم بالدأب في طاعة الله، ووجوهكم بالحياء من الله، وألسنتكم بذكر الله، وغضوا أبصاركم عن محارم الله، فإن الله تعالى أوحى إلى

نبيه محمد ﷺ: يا محمد كل ساعة تذكرني فيها فهي لك مذخورة، والساعة التي لا تذكرني فيها فليست لك، هي عليك لا لك.

* * *

روى إبراهيم بن أدهم عن جماعة من التابعين وتابعي التابعين مسنداً ومرسلاً، ولقي من الكوفيين والبصريين وغيرهم عدة، لم تكن الرواية من شأنه، فلذلك يقل حديثه، فمنهم روايته عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، رأى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وسمع من البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما.

٣٩٥ - شقيق البلخي

[ت١٩٤هـ]

ومنهم الرائد العقيق. الزاهد الحقيق أبو علي البلخي شقيق[(١)].

كان شقيق بن إبراهيم البلخي أحد الزهاد من المشرق، وكان يقول: تطرح المكاسب، والمطالب؛ في الأسباب والمذاهب. قدم للمعاد. وتنعم بالوداد وثق بكفالة الوكيل فتوكل. واجتهد فيما التزم فاحتمل.

وحقيقة الزهد الركون والسكون. وتحول الأعضاء والغصون. والتخلي من القرى والحصون.

عن علي بن محمد بن شقيق. قال: كان لجدي ثلثمائة قرية يوم قتل بواشكرد، ولم يكن له كفن يكفن فيه، قدمه كله بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق يتبركون به.

---

(١) استشهد رحمه الله في إحدى الغزوات سنة أربع وتسعين ومائة [شذرات الذهب ١/ ٣٤١].

قال: وقد كان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث، إلى قوم يقال لهم الخصوصية، وهم يعبدون الأصنام، فدخل إلى بيت أصنامهم وعالمهم فيه، حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراء أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء رازق كل شيء؛ فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف ذاك؟ قال: زعمت أن لك خالقاً رازقاً قادراً على كل شيء، وقد تعنيت إلى ههنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول فإن الذي رزقك ههنا هو الذي يرزقك ثمّ فتريح العناء، قال شقيق: وكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم.

عن أبي عبد الله. قال: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: كنت رجلاً شاعراً فرزقني الله عزّ وجلّ التوبة، وإني خرجت من ثلثمائة ألف درهم، وكنت مرابياً، ولبست الصوف عشرين سنة، وأنا لا أعلم حتى لقيت عبد العزيز بن رواد فقال: يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، الشأن المعرفة، أن تعرف الله عزّ وجلّ، تعبده ولا تشرك به شيئاً، والثانية الرضا عن الله عزّ وجلّ، والثالثة تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي المخلوقين. قال شقيق: فقلت له: فسّر لي هذا حتى أتعلمه، قال: أما تعبد الله لا تشرك به شيئاً: يكون جميع ما تعمله لله خالصاً من صوم أو صلاة أو حج أو غزو أو عبادة فرض، أو غير ذلك من أعمال، حتى يكون لله خالصاً، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

عن أحمد بن عبد الله الزاهد. قال: سمعت شقيق بن إبراهيم

---

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

البلخي يقول: سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد: الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور، بالرضا لا بالجزع، والصبر على العري بالفرح لا بالحزن، والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف، كأنه طاعم ناعم، والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالتكره، والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط، وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب، ويكسو به ظهره من أين، وكيف، ولعل، وعسى. فإذا كان في هذه الأبواب السبعة، فقد سلك صدراً من طريق الزهاد وذلك الفضل العظيم.

عن حاتم الأصم. قال: سمعت شقيقاً البلخي يقول: عملت في القرآن عشرين سنة، حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1].

عن حاتم الأصم. قال: قال شقيق: لو أن رجلاً أقام مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء لم ينج من النار إن شاء الله: أحدها معرفة الله، والثاني معرفة نفسه، والثالث معرفة أمر الله ونهيه، والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه.

وتفسير معرفة الله: أن تعرف بقلبك أنه لا يعطي غيره ولا مانع غيره، ولا ضار غيره، ولا نافع غيره.

وأما معرفة النفس: أن تعرف نفسك أنك لا تنفع ولا تضر، ولا تستطيع شيئاً من الأشياء، بخلاف النفس، وخلاف النفس أن تكون متضرعاً إليه.

وأما معرفة أمر الله تعالى ونهيه: أن تعلم أن أمر الله عليك وأن

---

(١) سورة القصص، الآية (٦٠).

رزقك على الله، وأن تكون واثقاً بالرزق، مخلصاً في العمل وعلامة الإخلاص أن لا يكون فيك خصلتان: الطمع والجزع.

وأما معرفة عدو الله: أن تعلم أن لك عدواً لا يقبل الله منك شيئاً إلا بالمحاربة والمحاربة في القلب أن تكون محارباً مجاهداً متعباً للعدو.

❃ ❃ ❃

عن حاتم الأصم. قال: قال شقيق البلخي: من عمل بثلاث خصال أعطاه الله الجنة: أولها: معرفة الله عزّ وجلّ بقلبه ولسانه وسمعه وجميع جوارحه، والثاني: أن يكون بما في يد الله أوثق مما في يديه، والثالث: يرضى بما قسم الله له وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه، ولا يحرك شيئاً من جوارحه إلا بإقامة الحجة عند الله، فذلك حق المعرفة.

وتفسير الثقة بالله: أن لا تسعى في طمع، ولا تتكلم في طمع ولا ترجو دون الله سواه، ولا تخاف دون الله سواه، ولا تخشى من شيء سواه، ولا يحرك من جوارحه شيئاً دون الله ـ يعني في طاعته واجتناب معصيته ـ.

قال: وتفسير الرضا على أربع خصال، أولها: أمن من الفقر، والثاني: حب القلة والثالث: خوف الضمان. قال: وتفسير الضمان أن لا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا أن يقيم حجته بين يدي الله في أخذه وإعطائه على أي الوجوه كان.

قال شقيق: التوكل أربعة: توكل على المال، وتوكل على النفس، وتوكل على الناس، وتوكل على الله. قال: وتفسير التوكل على المال أن تقول: ما دام هذا المال في يدي فلا أحتاج إلى أحد فذلك توكل على الناس، ومن كان على هذا فهو جاهل كائناً من كان، وتفسير التوكل

على الله أن تعرف أن الله تعالى خلقك، وهو الذي ضمن رزقك وتكفل برزقك، ولم يحوجك إلى أحد، وأنت تقول بلسانك، والذي يطعمني ويسقيني، فهذا التوكل على الله. وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3] وتفسير من لم يتوكل على الله يصير خارجاً من الإيمان، ومن لم يكن بذلك مؤمناً فهو جاهل كائناً من كان[4].

❀ ❀ ❀

عن أحمد بن عبد الله. قال: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: ثلاث خصال هي تاج الزاهد، الأولى: أن يميل على الهوى، ولا يميل مع الهوى، والثانية: ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه، والثالثة: أن يذكر كلما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره وكيف مخرجه، ويذكر الجوع والعطش والعري، وطول القيامة والحساب والصراط، وطول الحساب والفضيحة البادية، فإذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور، فإذا كان ذلك كان من محبي الزهاد، ومن أحبهم كان معهم.

عن حاتم الأصم. قال: كان لشقيق وصيتان: إذا جاءه رجل من العرب يوصه بالعربية، ويقول: توحد الله بقلبك ولسانك وشفتك، وأن تكون بالله أوثق مما في يديك، والثالث: أن ترضى عن الله.

وإذا جاءه أعجمي قال: احفظ مني ثلاث خصال، أول خصلة: أن تحفظ الحق، ولا يكون الحق إلا بالاجتماع، فإذا اجتمع الناس فقالوا: إن هذا الحق، يعمل ذلك الحق يريد الثواب مع الإياس من

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٢٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٤) كذا في الأصل، وواضح وجود سقط من النص في وسطه وآخره

الخلق، ولا يكون الباطل باطلاً إلا بالاجتماع، فإذا اجتمعوا وقالوا: إن هذا باطل تركت هذا الباطل خوفاً من الله تعالى، مع الإياس من المخلوقين، فإذا كنت لا تعلم هذا الشيء حق هو أم باطل فينبغي لك أن تقف حتى تعلم هذا الشيء حق هو أو باطل، فإنه حرام عليك أن تدخل في شيء من الأشياء إلا أن يكون معك بيان ذلك الشيء وعلمه.

عن حاتم الأصم. قال: كنا مع شقيق البلخي، ونحن مصافو الترك، في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطع، ورماحاً تقصر، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: كيف ترى نفسك يا حاتم؟ تراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قلت: لا والله! قال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي.

عن حاتم الأصم. قال: قال شقيق بن إبراهيم: استتمام صلاح عمل العبد بست خصال. تضرع دائم، وخوف من وعيده، والثاني: حسن ظنه بالمسلمين، والثالث: اشتغاله بعيبه لا يتفرغ لعيوب الناس، والرابع: يستر على أخيه عيبه، ولا يفشي في الناس عيبه رجاء رجوعه عن المعصية، واستصلاح ما أفسده من قبل، والخامس: ما اطلع عليه من خسة عملها استعظمها رجاء أن يرغب في الاستزادة منها، والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيب.

عن أحمد بن عبد الله الزاهد. قال: سمعت أبا علي شقيق بن إبراهيم البلخي يقول: عشرة أبواب من الزهد يسمى الرجل فيها زاهداً إذا فعلها، فإذا خالفها سمي متزهداً، والمتزهد الذي يتشبه بالزهاد في رؤيته وسمته وخشوعه وقوله، ومدخله ومخرجه، ومطعمه وملبسه، ومركبه، وفعله وحرصه، وحب الدنيا يشهد عليه بخلافه، ترى رضاه رضا الراغبين، وبساطه في كلامه وعجلته بساط الراغبين، وحسده

وبغيه وتطاوله وكبره وفخره، وسوء خلقه وجفاء لسانه، وطول خوضه فيما لا يعنيه، يدل على نفاق المتزهد، لا على خشوع الزاهد.

فاحذر من هذه الصفة، وإذا وجدت فيمن يزعم أنه زاهد هذه الخصال التي أصفها لك، فارج له أن يكون في بعض طريق الزهاد، إذا سرَّته حسنة وساءته سيئة، وكره أن يحمد بما لم يفعل من البر، فأما إذا لم يفعل، يكرهه كما يكره لحم الخنزير والميتة والدم، وإذا عرف هذه الخصال صرف فيها نهاره وساعاته وليلته وساعاتها، نقص أمله وطال غمه بما أمامه، فإذا شغل نفسه بغير ما خلق له طال حزنه، وعلم أنه مفتون وترك من شغله عن الطاعة في تلك الساعة.

فبهذا يجدون حلاوة الزهد، وبه يحترزون من حزب الشيطان، وإن ذكر الله عندهم أحلى من العسل، وأبرد من البرد وأشفى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف، وتكون مجالستهم مع من يصف لهم الزهاد، ويعظهم أحب إليهم وأشهى عندهم ممن يعطيهم الدنانير والدراهم عند الحاجة، وذلك بقلوبهم لا بألسنتهم.

وأن يخلو أحدهم بالبكاء على ذنوبه، وعلى الخوف الشديد أن لا يقبل منه ما يعمل، ويظهر للناس من التبسم والنشاط كأنه ذو رغبة لا ذو رهبة، وأن لا يحدث نفسه أنه خير من أحد من أهل قبلته، وأن يعرف ذنوبه ولا يعرف ذنوب غيره.

فإذا كانت فيه هذه الأبواب العشرة كان في طريق الزهاد، فأرجو أن يسلكه إن شاء الله، وسبعة أبواب تتلو هذه الأبواب، التواضع لله بالقلب لا بالتصنع، والخضوع للحق طوعاً لا بالاضطرار، وحسن المعاشرة مع من ابتلى بمعاشرتهم لا لرغبة فيما عندهم، والهرب من المنكبين على الدنيا، كهرب الحمار من البيطار والنفور عنها كنفور الحمار من زئير السبع، وطلب العافية من كل ما يخاف عقابه، ولا

يرجو ثوابه، ومجالسة البكائين على الذنوب، والرحمة لنفسه ولأنفسهم، ومخاطبة العالمين بظاهره لا بقلبه، ولا يتخوف من الكائن بعد الموت والأهوال والشدائد، فإذا فعل ذلك سلك طريق الزهاد ونال أفضل العبادة.

عن أحمد بن عبد الله الزاهد. قال: قال شقيق البلخي لأهل مجلسه: أرأيتم إن أماتكم الله اليوم يطالبكم بصلاة غد؟ قالوا: لا، يوم لا نعيش فيه، كيف يطالبنا بصلاته؟ قال شقيق: فكما لا يطالبكم بصلاة غد، فأنتم لا تطلبوا منه رزق غد عسى أن لا تصيرون إلى غد.

قال: وسمعت شقيقاً يقول: الدخول في العمل بالعلم، والثبات فيه بالصبر، والتسليم إليه بالإخلاص، فمن لم يدخل فيه بعلم فهو جاهل.

عن حاتم. قال: سمعت شقيقاً يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكاً، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكاً وهو يطمع أن يحصد تمراً، هيهات هيهات، كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً ولا تتنزل الأبرار منازل الفجار.

قال شقيق: ولو أن رجلاً كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون فعله التفكر والعبر، وقلبه فارغاً للتفكر وعينه فارغة للعبر، كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة. والمؤمن مشغول بخصلتين، والمنافق مشغول بخصلتين، المؤمن بالعبر والتفكر والمنافق مشغول بالحرص والأمل.

وقال شقيق: أربعة أشياء من طريق الاستقامة: لا يترك أمر الله لشدة تتنزل به، ولا يتركه لشيء يقع في يده من الدنيا، فلا يعمل بهوى أحد ولا يعمل بهوى نفسه، لأن الهوى مذموم، ليعمل بالكتاب والسنة.

وقال شقيق: متى أغفل العبد قلبه عن الله، والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصياً، لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبداً مع الله، يقول: يا رب أعطني الإيمان، وعافني من البلاء واستر لي من عيوبي، وارزقني واجعل نعمك متوالية علي، فهو أبداً متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في منّة الله شكر، والغفلة عنه سهو.

قال شقيق: ولا تكونن ممن يجمع بحرص ويحسبه بشك ويخلفه على الأعداء وينفقه في الرياء فيؤخذ في الحساب ويعاقب عليه إن لم يعف الله عزّ وجلّ.

٣٩٦ ـ حاتم الأصم

ومنهم الموثر للأدوم والأعم والآخذ بالألزم والأقوم أبو عبد الرحمن حاتم الأصم. توكل فسكن، وأيقن فركن.

عن أحمد بن عبد الله. قال: قيل لحاتم غلام شقيق: علامَ بنيت علمك؟ قال: على أربع: على فرض لا يؤديه غيري: فأنا به مشغول، وعلمت أن رزقي لا يجاوزني إلى غيري فقد وثقت به، وعلمت أني لا أخلو من عين الله طرفة عين فأنا منه مستحي، وعلمت أن لي أجلاً يبادرني فأبادره.

عن الرياشي. قال: قيل للرشيد إن حاتماً الأصم قد اعتزل الناس، في قبة له منذ ثلاثين سنة، لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لا بدّ له من الجواب، لعله لبس به، قد ورثته إياه الوحدة، وقيل إنه عاقل.

فقال: سأمتحنه فندب له أربعة: محمد بن الحسن والكسائي، وعمرو بن بحر، ورجلاً آخر أحسبه الأصمعي، فجاؤوا حتى وقفوا تحت قبته، ونادى أحدهم يا حاتم يا حاتم فلم يجبهم، حتى قيل بحق معبودك إلا أجبتنا، فأخرج رأسه وقال: يا أهل الحيرة هذه يمين مؤمن لكافر وكافر لمؤمن، لم خصصتموني بالمعبود دونكم؟ ولكن

الحق جرى على ألسنتكم، لأنكم اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله.

فقال أحدهم: ما علمك بأنا خدام الرشيد قال: من لم يرض من الدنيا إلا بمثل حالكم لا يزل عن مطلبه إلى قصد من لا يجبره، ولا يد عليَّ من الرشيد وأشباهه.

فقال له عمرو بن بحر: لم اعتزلت الناس وفيهم من تعلم، وفيهم من يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: صدقت ولكن بينهم سلاطين الجور يفتنونا عن ديننا، فالتخلي منهم أولى، قال: فعلام وطنت نفسك في العزلة، وثبت عليه أمرك؟ قال: علمت أن القليل من الرزق يكفيني، فأقللت الحركة في طلبه، وأن فرضي لا يقبل إلا مني فأنا مشغول بأدائه، وأن أجلي لا بدّ يأتيني فأنا منتظر له، وأنا لا أغيب عن عين من خلقني فأستحي منه أن يراني، وأنا مشغول بغير ما وجب له، ثم رد باب القبة وحلف أن لا يكلمهم فرجعوا إلى الرشيد وقد حكموا أنه أعقل أهل زمانه.

عن رباح بن الهروي. قال: مر عصام بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه، فقال: يا حاتم تحسن تصلي؟ قال نعم، قال: كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالسنة، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عزّ وجلّ، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت. قال: تكلم فأنت تحسن تصلي.

عن عبد الله بن سهل الرازي. قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

عن حامد اللفاف. قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: تعاهد نفسك في ثلاث مواضع، إذا عملت فاذكر نظر الله تعالى عليك، وإذا تكلمت فانظر سمع الله منك، وإذا سكت فانظر علم الله فيك.

عن حامد. قال: سمعت حاتماً يقول: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الله بغير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب.

❁ ❁ ❁

عن أبي تراب الزاهد. قال: جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال: يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط الزهد وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

قال حاتم: وأنا أدعو الناس إلى ثلاثة أشياء: إلى المعرفة وإلى الثقة وإلى التوكل.

فأما معرفة القضاء فأن تعلم أن القضاء عدل منه، فإذا علمت أن ذلك عدل منه فإنه لا ينبغي لك أن تشكو إلى الناس أو تهتم أو تسخط، ولكنه ينبغي لك أن ترضى وتصبر.

وأما الثقة فالإياس من المخلوقين، وعلامة الإياس أن ترفع القضاء من المخلوقين فإذا رفعت القضاء منهم استرحت منهم واستراحوا منك، وإذا لم ترفع القضاء منهم فإنه لا بدّ لك أن تتزين لهم وتتصنع لهم، فإذا فعلت ذلك فقد وقعت في أمر عظيم، وقد وقعوا في أمر عظيم وتصنع، فإذا وضعت عليهم الموت فقد رحمتهم وأيست منهم.

وأما التوكل: فطمأنة القلب بموعود الله تعالى، فإذا كنت مطمئناً بالموعود استغنيت غنى لا تفتقر أبداً.

قال حاتم: والزهد اسم والزاهد الرجل، وللزهد ثلاث شرايع، أولها الصبر بالمعرفة والاستقامة على التوكل والرضا بالعطاء.

فأما تفسير الصبر بالمعرفة فإذا أنزلت الشدة أن تعلم بقلبك أن الله عزّ وجلّ يراك على حالك، وتصبر وتحتسب، وتعرف ثواب ذلك الصبر، ومعرفة ثواب الصبر: أن تكون مستوطن النفس في ذلك الصبر، وتعلم أن لكل شيء وقتاً، والوقت على وجهين إما أن يجئ الفرج، وإما أن يجئ الموت، فإذا كان هذان الشيئان عندك، فأنت حينئذ عارف صابر.

وأما الاستقامة على التوكل: فالتوكل إقرار باللسان وتصديق بالقلب، فإذا كان مقراً مصدقاً أنه رازق لا شك فيه، فإنه يستقيم، والاستقامة على معنيين. أن تعلم أن شيئاً لك وشيئاً لغيرك، وأن كل شيء لك لا يفوتك، والذي لغيرك لا تناله، ولو احتلت بكل حيلة، فإذا كان مالك لا يفوتك، فينبغي لك أن تكون واثقاً ساكناً، فإذا علمت أنك لا تنال ما لغيرك، فينبغي لك أن لا تطمع فيه. وعلامة صدق هذين الشيئين أن تكون مشتغلاً بالمفروض.

وأما الرضا بالعطاء، فالعطاء ينزل على وجهين: عطاء تهوى أنت، فيجب عليك الشكر والحمد، وأما العطاء الذي لا تهوى فيجب عليك أن ترضى وتصبر.

❁ ❁ ❁

عن أبي تراب. قال: قال حاتم الأصم: الرياء على ثلاثة أوجه: وجه الباطن، ووجهان الظاهر. فأما الظاهر: فالإسراف والفساد، فإنه جوز لك أن تحكم أن هذا رياء لا شك فيه، فإنه لا يجوز في دين الله الإسراف والفساد، وأما الباطن فإذا رأيت الرجل يصوم ويتصدق فإنه لا يجوز لك أن تحكم عليه بالرياء، فإنه لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

وقال حاتم: لا أدري أيهما أشد على الناس، إتقاء العجب أو الرياء؟ العجب داخل فيك، والرياء يدخل عليك، العجب أشد عليك من الرياء، ومثلهما أن يكون معك في البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت فأيهما أشد عليك؟ الداخل معك أو الخارج، فالداخل العجب، والخارج الرياء.

عن حاتم الأصم. قال: قال لي شقيق البلخي: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك.

عن أبي تراب. قال: قال حاتم الأصم: الحزن على وجهين: حزن لك، وحزن عليك، فأما الذي عليك فكل شيء فاتك من الدنيا، فتحزن عليه فهذا عليك، وكل شيء فاتك من الآخرة وتحزن عليه فهو لك. تفسيره: إذا كان معك درهمان فسقطا منك وحزنت عليهما فهذا حزن للدنيا، وإذا خرجت منك زلة أو غيبة أو حسد أو شيء مما تحزن عليه وتندم فهو لك.

عن أبي تراب. قال: قال حاتم إذا رأيتم من الرجل ثلاث خصال، فاشهدوا له بالصدق، إذا كان لا يحب الدراهم، ويسكن قلبه بهذين الرغيفين، ويعزل قلبه من الناس.

وقال حاتم: إذا تصدقت بالدراهم فإنه ينبغي لك خمسة أشياء: أما واحد، فلا ينبغي لك أن تعطي وتطلب الزيادة، ولا ينبغي لك أن تعطي من ملامة الناس، ولا ينبغي لك أن تمن على صاحبه، ولا ينبغي لك إذا كان عندك درهمان فتعطي واحداً تأمن هذا الذي بقي عندك، ولا ينبغي لك أن تعطي تبتغي الثناء. وقال: مثلهما مثل رجل يكون له دار فيها غنم له، وللدار خمسة أبواب، وخارج الدار ذئب يدور حولها، فإن أخذت أربعة أبواب وبقي واحد دخل الذئب وقتل الغنم كلها، وهكذا إذا تصدقت وأردت من هذه الخمسة الأشياء شيئاً واحداً فقد أبطلت الصدقة.

عن أبي تراب. قال: قال حاتم الأصم: التوبة أن تنتبه من الغفلة، وتذكر الذنب، وتذكر لطف الله، وحكم الله، وستر الله، إذا أذنبت لم تأمن الأرض والسماء أن يأخذاك، فإذا رأيت حكمه رأيت أن ترجع من الذنوب مثل اللبن إذا خرج من الضرع لا يعود إليه، فلا تعد إلى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع.

وفعل التائب في أربعة أشياء: أن تحفظ اللسان من الغيبة والكذب والحسد واللغو، والثاني أن تفارق أصحاب السوء، والثالث إذا ذكر الذنب تستحي من الله، والرابع: تستعد للموت. وعلامة الاستعداد أن لا تكون في حال من الأحوال غير راض من الله.

فإذا كان التائب هكذا يعطيه الله أربعة أشياء: أولها: يحبه كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] ثم يخرج من الذنب كأنه لم يذنب قط، كما قال ﷺ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له). والثالث: يحفظه من الشيطان، لا يكون له عليه سبيل، والرابع: يؤمنه من النار قبل الموت، كما قال تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

ويجب على الخلق أربعة أشياء: ينبغي لهم أن يحبوا هذا التائب، كما يحبه الله تعالى، ويدعوا له بالحفظ، ويستغفروا له كما تستغفر له الملائكة، قال الله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[3] الخ ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم؛ والرابع: أن ينصحوا للتائب كما ينصحون لأنفسهم.



(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).
(٢) سورة فصلت، الآية (٣٠).
(٣) سورة غافر، الآية (٧).

عن أحمد بن سليمان الكفرسلاني. قال: وجدت في كتابي عن حاتم الأصم أنه قال: من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت؛ موتاً أبيض، وموتاً أسود، وموتاً أحمر، وموتاً أخضر، فالموت الأبيض: الجوع، والموت الأسود: احتمال أذى الناس، والموت الأحمر: مخالفة النفس، والموت الأخضر: طرح الرقاع بعضها على بعض.

وقال حاتم: كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.

❁ ❁ ❁

عن حامد. قال: سمعت حاتماً يقول: لكل قول صدق، ولكل صدق فعل، ولكل فعل صبر، ولكل حسنة إرادة، ولكل إرادة أثرة.

وقال حاتم: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحسب، وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والحسد.

وقال حاتم: المنافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك، وينفق بالرياء، والمؤمن يأخذ بالخوف، ويمسك بالشدة، وينفق لله خالصاً في الطاعة.

❁ ❁ ❁

عن أبي تراب. قال: سمعت حاتماً يقول: لي أربعة نسوة، وتسعة من الأولاد، ما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم.

عن أبي تراب، عن حاتم الأصم. قال: لا يغلب المؤمن عن خمسة أشياء: عن الله عزّ وجلّ، وعن القضاء، وعن الرزق، وعن الموت، وعن الشيطان.

عن أبي تراب. قال: قال شقيق لحاتم الأصم: مذ أنت صحبتني أي شيء تعلمت؟ قال: ست كلمات.

قال: أولهن؟ قال: رأيت كل الناس في شك من أمر الرزق وإني توكلت على الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1]، فعلمت أني من هذه الدواب واحد، فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفل لي به ربي.

قال: أحسنت فما الثانية؟ قال: رأيت لكل إنسان صديقاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره، فقلت: انظر من صديقي، فكل صديق وأخ رأيته قَبْلَ الموت، فأردت أن أتخذ صديقاً، يكون لي بعد الموت، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب، ويجوز معي إلى الصراط، ويثبتني بين يدي الله عزّ وجلّ.

قال: أصبت، فما الثالثة؟ قال: رأيت كل الناس لهم عدو، فقلت انظر من عدوي، فأما من أخذ مني شيئاً فليس هو عدوي، ولكن عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله أمرني بمعصية الله، فرأيت ذلك إبليس وجنوده، فاتخذتهم عدواً، فوضعت الحرب بيني وبينهم، ووترت قوسي، ووصلت سهمي فلا أدعه يقربني.

قال: أحسنت، فما الرابعة؟ قال: رأيت الناس لهم طالب، لكل واحد منهم واحداً، فرأيت ذلك ملك الموت ففرغت له نفسي حتى إذا جاء لا ينبغي أن أمسكه فأمضى معه.

قال: أحسنت، فما الخامسة؟ قال: نظرت في هذا الخلق، فأحببت واحداً، وأبغضت واحداً، فالذي أحببته لم يعطني، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أتيت هذا؟ فرأيت أني أتيت هذا من قبل الحسد، فطرحت الحسد من قلبي فأحببت الناس كلهم، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم.

قال: أحسنت، فما السادسة؟ قال: رأيت الناس كلهم لهم بيت

---

(١) سورة هود، الآية (٦١).

ومأوى، ورأيت مأواي القبر، فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي، حتى أعمر قبري، فإن القبر إذا لم يكن عامراً لم يستطع القيام فيه.

فقال شقيق: عليك بهذه الخصال الستة فإنك لا تحتاج إلى علم غيره.

❋ ❋ ❋

عن أبي عبد الله الخواص ـ وكان من أصحاب حاتم ـ. قال: دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الري، نريد الحج، فدخلنا على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين، فأضافنا تلك الليلة.

فلما كان من الغد قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن لك حاجة؟ فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل، فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضاً أجئ معك ـ وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري ـ فقال: سر بنا يا أبا عبد الرحمن.

فجاؤوا إلى الباب فإذا باب مشرف حسن، فبقي حاتم متفكراً: باب عالم على هذه الحال؟، ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء، وإذا أمتعة وستور وجمع، فبقي حاتم متفكراً، ثم دخل إلى المجلس الذي هو فيه، فإذا بفرش وطيئة، وإذا هو راقد عليها، وعند رأسه غلام ومذية، فقعد الرازي، وسأله به، وحاتم قائم، فأومى إليه ابن مقاتل اقعد، فقال: لا أقعد، فقال له ابن مقاتل: لعل لك حاجة، قال: نعم! قال وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها، قال: سلني! قال: نعم! فاستو حتى أسألكها، فأمر غلمانه فأسندوه.

فقال له حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ قال الثقات حدثوني به، قال: عن من؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال عن جبريل عليه السلام، قال حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله، وأداه إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأداه أصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات إليك، هل سمعت في العلم: من كان في داره إشراف وكانت سعتها

أكثر، كانت له المنزلة عند الله أكثر؟ قال: لا! قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر؟ قال حاتم: فأنت بمن اقتنعت؟ بالنبي ﷺ وأصحابه والصالحين؟ أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر.

يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها، فيقول: العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه، وخرج من عنده، فازداد ابن مقاتل مرضاً.

فبلغ ذلك أهل الري: ما جرى بينه وبين ابن مقاتل، فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن إن الطنافسي بقزوين أكثر شيء من هذا، قال فسار إليه متعمداً فدخل عليه فقال: رحمك الله، أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أول مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي، كيف أتوضأ للصلاة، قال: نعم وكرامة، يا غلام، إناء فيه ماء، فأتي بإناء فيه ماء، فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: يا هذا هكذا فتوضأ. قال حاتم: مكانك يرحمك الله حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي فقعد حاتم فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعاً فقال له الطنافسي: يا هذا أسرفت، قال له حاتم: فماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً، قال حاتم: يا سبحان الله!! أنا في كف من ماء أسرفت، وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف؟ فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك، لم يرد أن يتعلم منه شيئاً، فدخل إلى البيت فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً.

وكُتِبَ إلى تجار الري وقزوين بما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي.

فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته.

قال: معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي، قالوا: أي شيء هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أتجهل عليه.

فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا حتى نسير إليه، فلما دخلوا قالوا له: أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال حاتم: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال، قال: أي شيء هي يا أبا عبد الرحمن؟ قال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك عنهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيساً. فإذا كان هذا سلمت.

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال: يا قوم أي مدينة هذه؟ قالوا مدينة رسول الله ﷺ، قال: فأين قصر رسول الله ﷺ فأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطئ قال: فأين قصور أصحابه بعده؟ قالوا: ما كان لهم قصور، إنما كان لهم بيوت لاطئة.

قال حاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون وجنوده، فذهبوا به إلى السلطان فقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون وجنوده.

قال الوالي: ولم ذاك؟ قال حاتم: لا تعجل علي، أنا رجل عجمي غريب، دخلت المدينة فقلت: مدينة من هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ، قلت: فأين قصر رسول الله ﷺ فأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطئ، قلت فلأصحابه بعده، قالوا: ما كان لهم قصور، إنما كان لهم بيوت لاطية، وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] فأنتم بمن تأسيتم؟ برسول الله ﷺ وأصحابه؟ أو بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟ فخلوا عنه وعرفوه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

فكان حاتم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبي ﷺ يحدث ويدعو، فاجتمع علماء المدينة فقالوا: تعالوا حتى نخجله في مجلسه، فجاؤوه ومجلسه غاص بأهله، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! مسألة نسألك، قال: سلوا، قالوا: ما تقول في رجل يقول: اللهم ارزقني؟ قال حاتم: متى طلب هذا الرزق، في الوقت أم قبل الرزق؟ قالوا: ليس نفهم هذا يا أبا عبد الرحمن، قال: إن كان هذا العبد طلب الرزق من ربه في وقت الحاجة فنعم، وإلا فأنتم عندكم حرث ودراهم في أكياسكم، وطعام في منازلكم، وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا، قد رزقكم الله فكلوا وأطعموا إخوانكم، حتى قالها ثلاثاً، أنت عسى تموت غداً وتخلف هذا على الأعداء وأنت تسأله أن يرزقك زيادة، فقال علماء أهل المدينة: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن، إنما أردنا بالمسألة تعنتاً.

عن محمد بن الليث. قال: سمعت حاتماً يقول: اطلب نفسك في أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منة، والإمساك بغير بخل.

وقال رجل لحاتم: عظني! قال: إن كنت تريد أن تعصي مولاك فاعصه في موضع لا يراك.

وقال رجل لحاتم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى الليل، فقيل له أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه.

وقال حاتم: الشهوة في ثلاث: في الأكل والنظر واللسان، فاحفظ اللسان بالصدق والأكل بالثقة، والنظر بالعبرة.

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله: اختلف في اسم أبيه فقيل حاتم بن عنوان، وقيل حاتم بن يوسف، وقيل حاتم بن عنوان بن يوسف، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي قليل الحديث.

فهرس الجزء الثاني من كتاب تهذيب حلية الأولياء

الباب الثالث
ذكر قوم أيدوا بطرف من المعارف
بغير ترتيب لأيامهم وبلادهم

الفصل الأول: ذكر قوم من أهل البصرة

مسلسل	المترجم له	الصفحة



وَطبقات الأصفياءِ

لِلحَافِظِ أَبي نُعيْم الأَصبَهَاني

٣٣٦ - ٤٣٠هـ

إعداد

صالح أحمد الشامي

الجزء الثالث

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

تابع الفصل الثاني
في ذكر أئمة البلدان وتابعيهم

٣٩٧ ـ الفضيل بن عياض

[ت١٨٧هـ]

ومنهم الراحل من المفاوز والقفار إلى الحصون والحياض، والناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون والرياض. أبو علي الفضيل بن عياض[(١)].

كان من الخوف نحيفاً. وللطواف أليفاً.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وأخذه وإعطائه ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره ـ يعني الفضيل ـ.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة. حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

---

(١) الفضيل ولد بخراسان، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الحديث ثم تعبد، وانتقل إلى مكة فمات بها، سنة سبع وثمانين ومائة. (الصفوة)

عن محمد بن حاتم. قال: قال الفضيل: لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أبعث لا اخترت أن لا أبعث.

قلت لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء؟ قال: نعم! هذا من طريق الحياء من الله عزّ وجلّ.

عن أبي إسحاق. قال: قال الفضيل بن عياض: لو خيرت بين أن أعيش كلباً وأموت كلباً ولا أرى يوم القيامة، لاخترت أن أعيش كلباً وأموت كلباً ولا أرى يوم القيامة.

عن سفيان بن عيينة. قال: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه.

❁ ❁ ❁

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت فضيلاً يقول: والله لأن أكون هذا التراب أو هذا الحائط، أحب إلي من أن أكون في مسلخ أفضل أهل الأرض اليوم، وما يسرني أن أعرف الأمر حق معرفته إذاً لطاش عقلي، ولو أن أهل السماء وأهل الأرض طلبوا أن يكونوا تراباً فشفعوا كانوا قد أعطوا عظيماً، ولو أن جميع أهل الأرض من جن وإنس والطير الذي في الهواء، والوحش الذي في البر، والحيتان التي في البحر، علموا الذي تصير إليه، ثم حزنوا لك وبكوا كنت موضع ذلك، فأنت تخاف الموت أو تعرف الموت؟ لو أخبرتني أنك تخاف الموت ما قبلت منك، ولو خفت الموت ما نفعك طعام ولا شراب، ولا شيء في الدنيا.

وقال: سأل داود عليه السلام ربه أن يلقي الخوف في قلبه ففعل فلم يحتمله قلبه، وطاش عقله، حتى ما كان يفعل صلاة ولا ينتفع بشيء، فقال له: تحب أن ندعك كما أنت أو نردك إلى ما كنت عليه؟ قال: ردني، فرد الله إليه عقله.

عن إسحاق بن إبراهيم الطبري. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: أنت تخاف الموت؟ لو قلت إنك تخاف الموت ما قبلت منك، ولو خفت الموت ما نفعك طعام أو شراب ولا شيء من الدنيا، ولو عرفت الموت حق معرفته ما تزوجت ولا طلبت الولد.

وقال الفضيل: ما يسرني أن أعرف هذا الأمر حق معرفته، إذا لطاش عقلي، ولم أنتفع بشيء.

❋ ❋ ❋

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحت يا أبا علي؟ ـ فكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت ـ فقال: في عافية، فقال: كيف حالك؟ فقال: عن أي حال تسأل؟ عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا، فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة، فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضعف عمله وفني عمره، ولم يتزود لمعاده، ولم يتأهب للموت، ولم يخضع للموت، ولم يتشمر للموت، ولم يتزين للموت، وتزين للدنيا، هيه. وقعد يحدث ـ يعني نفسه ـ واجتمعوا حولك يكتبون عنك، بخ فقد تفرغت للحديث.

ثم قال: هاه ـ وتنفس طويلاً ـ ويحك أنت تحسن تحدث، أو أنت أهل أن يحمل عنك، استحي يا أحمق بين الحمقان، لولا قلة حيائك وسفاهة وجهك ما جلست تحدث وأنت أنت، أما تعرف نفسك؟ أما تذكر ما كنت، وكيف كنت؟ أما لو عرفوك ما جلسوا إليك، ولا كتبوا عنك، ولا سمعوا منك شيئاً أبداً.

فيأخذ في مثل هذا، ثم يقول: ويحك أما تذكر الموت؟ أما للموت في قلبك موضع؟ أما تدري متى تؤخذ فيرمى بك في الآخرة فتصير في القبر وضيقه ووحشته، أما رأيت قبراً قط؟ أما رأيت حين

دفنوه؟ أما رأيت كيف سلوه في حفرته وهالوا عليه التراب والحجارة.

ثم قال: ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله ـ يعني نفسه ـ تدري من تكلم بفقه كله، عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن، وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم، أعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفاً، فقيل له: ألا تزيد أخاك كما زدت هذا؟ قال: إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا.

❁ ❁ ❁

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل، كانت قراءته حزينة شهية، بطيئة مترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها، وسأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً، تلقى له حصير في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح، وكان دأبه إذا نعس أن ينام، ويقال: أشد العبادة ما يكون هكذا، وكان صحيح الحديث صدوق اللسان شديد الهيبة للحديث، إذا حدث، وكان يثقل عليه الحديث جداً، ربما قال لي: لو أنك تطلب مني الدراهم كان أحب إليَّ من أن تطلب مني الأحاديث.

وسمعته يقول: لو طلبت مني الدنانير كان أيسر علي من أن تطلب مني الحديث، فقلت له: لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي كان أحب إلي من أن تهب لي عددها دنانير، قال: إنك مفتون، أما والله لو عملت بما سمعت، سمعت سليمان بن مهران يقول: إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقمة فترمي بها خلف ظهرك، كلما أخذت لقمة رميت بها خلف ظهرك، متى تشبع؟

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لا تجعل الرجال أوصياءك، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك، وأنت قد ضيعتها في حياتك، وأنت بعد هذا تصير إلى بيت الوحشة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، ويكون زائرك فيها منكراً ونكيراً، وقبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ثم بكى الفضيل وقال: أعاذنا الله وإياكم من النار.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت فضيلاً يقول: لم تر أقر عيناً ممن خرج من شدة إلى رخاء، ويقدم على خير مقدم، وينزل على خير منزل، فإذا رأى ما يرى من الكرامة يقول: لو علمت ما سألتك إلا الموت، ولم تر يوم القيامة أقر عيناً ممن خرج من الضيق والشدة والجوع والعطش، ثم نزل على الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، ولم تر يومئذ أسخن عيناً ممن خرج من الروح والسعة والرخاء والنعمة، ثم نزل على النار يقول الله: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾[1].

عن عبد الله بن المبارك. قال: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: كان يقال: كن شاهداً لغائب ولا تكن غائباً لشاهد، قال كأنه يقول: إذا كنت في جماعة الناس فأخف شخصك وأحضر قلبك وسمعك، وع ما تسمع، فهذا شاهد لغائب، ولا تكن غائباً لشاهد قال كأنه يقول: تحضر المجالس ببدنك وسمعك وقلبك لاه ساه.

قال: وسمعت الفضيل يقول: عامة الزهد في الناس ـ يعني إذا لم يحب ثناء الناس عليه ولم يبال بمذمتهم ـ.

وسمعته يقول: إن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك إن لم

---

(١) سورة غافر، الآية (٧٦).

يثن عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً.

وسمعته يقول: من أحب أن يذكر لم يذكر ومن كره أن يذكر ذكر.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أحب الله عبداً أكثر غمه، وإذا أبغض الله عبداً أوسع عليه دنياه.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس من عبد أعطي شيئاً من الدنيا إلا كان نقصاناً له من الدرجات في الجنة، وإن كان على الله كريماً.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: عاملوا الله عزّ وجلّ بالصدق في السر، فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

عن إسحاق بن إبراهيم الطبري. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: من خاف الله تعالى لم يغره شيء، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

وسأله عبد الله بن مالك فقال: يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه؟ فقال له: أخبرني من أطاع الله عزّ وجلّ هل تضره معصية أحد؟ قال: لا! قال: فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا! قال فهو الخلاص إن أردت الخلاص.

عن إسحاق بن إبراهيم. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: وعزته لو أدخلني النار فصرت فيها ما أيست.

ووقفت مع الفضيل بعرفات فلم أسمع من دعائه شيئاً إلا أنه واضعاً يده اليمنى على خده وواضعاً رأسه يبكي بكاء خفياً، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام فرفع رأسه إلى السماء فقال: واسوأتاه والله منك وإن عفوت ثلاث مرات.

عن إسحاق. قال: سمعت الفضيل يقول: الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف، يقول: إذا كان في صحته محسناً عظم رجاؤه عند الموت، وحسن ظنه، وإذا كان في صحته مسيئاً ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجاؤه.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: أكذب الناس المدل بحسناته، وأعلم الناس به أخونهم له.

وسمعته يقول: إن رهبة العبد من الله عزّ وجلّ على قدر علمه بالله، وإن زهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالاً، لا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه.

عن شعيب بن حرب. قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل يمد ثوبي من خلفي فالتفت فإذا بفضيل بن عياض، فقال: لو شفع في وفيك أهل السماء كنا أهلاً أن لا يشفع فينا.

قال شعيب: ولم أكن رأيته قبل ذلك بسنة، قال: فكسرني وتمنيت أني لم أكن رأيته.

عن محمد بن عيسى الوانشي، عن فضيل بن عياض. قال: ما أغبط ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، يعاين القيامة وأهوالها، ما أغبط إلا من لم يكن شيئاً.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت فضيلاً يقول: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة، ألا ترى كيف يزويها عنه ويمرر عليه بالجوع مرة وبالعري مرة وبالحاجة مرة؟ كما تصنع الوالدة

الشفيقة بولدها، تسقيه مرة حضيضاً، ومرة صبراً، وإنما تريد بذلك ما هو خير له.

قال: وقال لي الفضيل: تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عزّ وجلّ، وأي قريب باعدته في الله، وأي بعيد قربته في الله.

قال: وسمعت فضيلاً يقول: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أحلى الطواف الليلة، أو يكون صائماً فيقول: ما أثقل السحور أو ما أشد العطش.

فإن استطعت أن لا تكون محدثاً ولا متكلماً ولا قارئاً. إن كنت بليغاً، قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغاً ولا حسن الصوت قالوا: ليس يحسن يحدث، وليس صوته بحسن، أحزنك وشق عليك، فتكون مرائياً، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمك ومن مدحك من الله فتكلم.

عن ابن زنبور. قال: قال الفضيل بن عياض: لا يسلم لك قلبك، حتى لا تبالي من كل الدنيا.

وقيل للفضيل: ما الزهد في الدنيا؟ قال: القنع وهو الغنى، وقيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم. وسئل ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. وسئل عن التواضع قال: أن تخضع للحق.

وقال: أشد الورع في اللسان، وقال: التعبير كله باللسان لا بالعمل.

وقال: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. وقال: قال الله عزّ وجلّ: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

عن إبراهيم. قال: سألت الفضيل ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه، وسألته ما الصبر على المصيبة؟ قال: أن لا تبث.

عن عبد الصمد بن يزيد البغدادي. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد، قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ فسر لنا هذا، قال: أما صلاح البلاد فإذا أمن الناس ظلم الإمام عمروا الخرابات ونزلوا الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار خمسين خمسين أقل أو أكثر، يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله عزّ وجلّ من فيهم مما يزكي الأرض فرده عليهم. قال: فكان صلاح العباد والبلاد.

فقبل ابن المبارك جبهته وقال: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك.

❀ ❀ ❀

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: إنما هما عالمان: عالم دنيا، وعالم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة واحذروا عالم الدنيا، لا يصدكم بسكره، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[1] الآية، تفسير الأحبار: العلماء، والرهبان: العباد، ثم قال الفضيل: إن كثيراً من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقيصر

(١) سورة التوبة، الآية (٢٤).

منه لمحمد ﷺ، إن محمداً لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، لكن رفع له علم فسعى إليه.

قال: وسمعت الفضيل يقول: العلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وقال: لو كان مع علمائنا صبر ما غدوا لأبواب هؤلاء، يعني الملوك.

وسمعت رجلاً يقول للفضيل: العلماء ورثة الأنبياء، فقال الفضيل: الحكماء ورثة الأنبياء.

وقال رجل للفضيل: العلماء كثير، فقال الفضيل: الحكماء قليل.

وسمعت الفضيل يقول: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن يكون حوايج الخلق إليه.

❁ ❁ ❁

عن هناد بن السري. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما من ليلة اختلط ظلامها، وأرخى الليل سربال سترها، إلا نادى الجليل جلّ جلاله: من أعظم مني جوداً، والخلائق لي عاصون، وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، من بيني وبينهم، أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم أسمع إليه؟ أو من ذا الذي سألني فلم أعطه؟ أم من ذا الذي أناخ ببابي ونحيته، أنا الفضل ومني الفضل، أنا الجود ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومن كرمي أن أغفر للعاصي بعد المعاصي، ومن كرمي أن أعطي التائب

كأنه لم يعصني، فأين عني تهرب الخلائق، وأين عن بابي يتنحى العاصون؟.

عن سلمة بن غفار. قال: شكا رجل إلى فضيل، فقال له فضيل: أمدبراً غير الله تريد؟

قال: فكان ربما نظر الفضيل في وجوههم وهم قعود - يعني أهله مع اله[illegible] فقال: أنظروا إلى وجوه موتى، وقال لهم الذي تريدون

أن تصنعوه إذا مت فاصنعوه الآن.

قال: وقدم عليه ابن أخيه فاتخذ له خبيصاً فقال لعمه: يا عم كل معي، قال: يا ابن أخي إن الثكلى لا تجد طعم ما تأكل.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت الفضيل يقول: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان، حتى يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وحتى لا يبالي من أكل الدنيا، وحتى لا يحب أن يحمد على عبادة الله عزّ وجلّ.

عن الحسين بن زياد المروزي. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: حرام على قلوبكم أن تصيبوا حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو قيل لك يامرائي لغضبت، وشق عليك وتشكو: قال لي يامرائي، وعسى قال حقاً من حبك للدنيا، تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا، ثم قال: اتق لا تكن مرائياً وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح فأكرموك، وقضوا لك الحوايج، ووسعوا لك في المجلس، وإنما عرفوك بالله. لولا ذلك لهنت عليهم كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه ولم يقضوه ولم يوسعوا له المجلس.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت فضيلاً يقول: إني لأسمع صوت حلقة الباب فأكره ذلك قريباً كان أم بعيداً، ولوددت أنه طار في الناس أني قدْ متُّ حتى لا أسمع له بذكر، ولا يسمع لي بذكر، وإني لأسمع صوت أصحاب الحديث، فيأخذني البول فرقاً منهم.

عن الحسين بن زياد. قال: سمعت فضيلاً يقول لأصحاب الحديث: لم تكرهوني على أمر تعلمون أني كاره له؟ لو كنت عبداً لكم فكرهتكم كان نولكم أن تبيعوني، لو أني أعلم إذا دفعت ردائي هذا لكم ذهبتم عني لدفعته إليكم.

❀ ❀ ❀

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط.

والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

قال: وسمعت الفضيل يقول: وعزته لو أدخلني النار فصرت فيها ما يئسته.

وسمعت فضيلاً يقول: كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار، الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم، والأناة وحظ من قيام الليل.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يعف عنك إذا كنت تزعم أنك تعرفه، وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: المتوكل الواثق بالله لا يتهم ربه ولا يستشير ولي الله، ولا يخاف خذلانه، ولا يشكوه.

وسمعته يقول: كان يقال لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله،

وإذا عمل عمل لله، سمعته يقول في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك.

وسمعته يقول: من وقي خمساً فقد وقي شر الدنيا والآخرة. العجب، والرياء، والكبر، والإزراء والشهوة.

❁ ❁ ❁

عن إسحاق بن إبراهيم الطبري. قال: سمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك.

عن خالد بن خداش. قال: قال لي الفضيل بن عياض: ممن أنت؟ قلت مهلبي، قال: إن كنت رجلاً صالحاً فأنت الشريف، وإن كنت رجل سوء فأنت الوضيع كل الوضيع. ثم قال: حدثني منصور عن مجاهد قال: إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحاً.

عن بشر بن الحارث. قال: قال فضيل بن عياض: أشتهي أن أمرض بلا عواد.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله، إنما مثلكم في ذلك الزمان، مثل شيء مطلي بالذهب والفضة، داخله خشب وخارجه حسن.

---

(١) سورة هود، الآية (٧).

عن عبد الصمد بن يزيد مردويه. قال: سمعت الفضيل يقول: المؤمن يهمه الهرب بذنبه إلى الله، يصبح مغموماً ويمسي مغموماً.

قال: وسمعت الفضيل يقول: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك، قيل: وكيف ذاك يا أبا علي؟ قال: إن صديقك إذا ذكرت بين يديه قال: عافاه الله، وعدوك إذا ذكرت بين يديه يغتابك الليل والنهار. وإنما يدفع المسكين حسناته إليك، فلا ترض إذا ذكر بين يديك أن تقول: اللهم أهلكه لا بل ادع الله: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، ويكون الله يعطيك أجر ما دعوت به، فإنه من قال لرجل: اللهم أهلكه فقد أعطى الشيطان سؤاله، لأن الشيطان إنما يدور على هلاك الخلق.

قال: وسمعت الفضيل بن عياض يقول: درجة الرضا عن الله عزّ وجلّ درجة المقربين ليس بينهم وبين الله تعالى إلا روح وريحان.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض فقلت له: أوصني بوصية ينفعني الله بها قال: يا عبد الله أخف مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك.

عن محمد بن عبد الله الحذاء. قال: وقفنا للفضيل بن عياض على باب المسجد الحرام، ونحن شبان علينا الصوف، فخرج علينا، فلما رآنا قال: وددت أني لم أركم ولم تروني، أتروني سلمت منكم أن أكون ترساً لكم، حيث رأيتكم وتراءيتم لي! لأن أحلف عشراً إني مرائي وإني مخادع، أحب إلي من أن أحلف واحدة أني لست كذلك.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت فضيل بن عياض، يقول: المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل، كلام المؤمن حكم، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة.

عن إبراهيم. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة، خير له من أن يدنو إلى هؤلاء ـ يعني السلطان ـ وسمعته يقول: رجل لا يخالط هؤلاء، ولا يزيد على المكتوبة، أفضل عندنا من رجل يقوم الليل، ويصوم النهار ويحج، ويعتمر ويجاهد في سبيل الله ويخالطهم.

عن إبراهيم. قال: قال الفضيل: لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحسن من أن يطلب بأحسن ما تطلب به الآخرة.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس في الأرض شيء أشد من ترك شهوة. ثم حدثنا، عن حصين، عن بكر بن عبد الله قال: الرجل عبد بطنه، عبد شهوته، عبد زوجته، لا بقليل يقنع، ولا من كثير يشبع، يجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يقدره.

قال: وسمعت الفضيل يقول: تزينت لهم بالصوف، ولم ترهم يرفعون لك رأساً، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً، تزينت لهم بشيء بعد شيء، كل ذلك إنما هو لحب الدنيا.

عن الحسين بن زياد. قال: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين، ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول الرب: من ادعى محبتي إذا جنّه الليل نام عني؟!! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه، ها أنذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم، فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري، غداً أقر أعين أحبائي في جناتي.

عن محمد بن طفيل. قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: حزن الدنيا يذهب بهمِّ الآخرة، وفرح الدنيا للدنيا، يذهب بحلاوة العبادة.

عن محمد بن الطفيل. قال: رأى فضيل بن عياض قوماً من

أصحاب الحديث، يمزحون ويضحكون، فناداهم: مهلاً يا ورثة الأنبياء، مهلاً ثلاثاً، إنكم أئمة يقتدى بكم.

عن أبي علي الرازي. قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله عزّ وجلّ أحب أمراً فأحببت ما أحب الله.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لن يتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض، الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل يقول: يا سفيه ما أجهلك، ألا ترضى أن تقول أنا مؤمن، حتى تقول أنا مستكمل الإيمان؟ لا والله لا يستكمل العبد الإيمان حتى يؤدي ما افترض الله تعالى عليه، ويجتنب ما حرم الله تعالى عليه، ويرضى بما قسم الله تعالى له، ثم يخاف مع ذلك أن لا يتقبل منه.

عن بشر بن الحارث. قال: قال الفضيل بن عياض: كما أن القصور لا تسكنها الملوك حتى تفرغ، كذلك القلب لا يسكنه الحزن من الخوف حتى يفرغ.

❁ ❁ ❁

عن علي بن الحسين بن مخلد. قال: قال الفيض بن إسحاق: اشتريت داراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً، فبلغ ذلك الفضيل بن عياض، فأرسل إلي يدعوني فلم أذهب، ثم أرسل إلي فمررت إليه، فلما رآني قال: يابن يزيد! بلغني أنك اشتريت داراً، وكتبت كتاباً، وأشهدت عدولاً، قلت: قد كان ذلك، قال: فإنه يأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، يسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير

مالك، أو ورثت مالاً من غير حله، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة.

ولو كنت حين اشتريت كتبت على هذه النسخة: هذا ما اشترى عبد ذليل، من ميت قد أزعج بالرحيل، اشترى منه داراً تعرف بدار الغرور، حد منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، ويجمع هذه الدار حدود أربعة: الحد الأول ينتهي منها إلى دواعي العاهات، والحد الثاني: ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث: ينتهي منها إلى دواعي الآفات، والحد الرابع: ينتهي إلى الهوى المردي، والشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار على الخروج من عز الطاعة إلى الدخول في ذل الطلب.

فما أدركك في هذه الدار، فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعنة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال فأكثر، واتخذ ونظر بزعمه الولد، ومن بنى وشيد وزخرف، وأشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عزّ وجلّ كرسيه لفصل القضاء، وخسر هنالك المبطلون.

يشهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، ونظر بالعينين إلى زوال الدنيا، وسمع صارخ الزهد عن عرصاتها، ما أبين الحق لذي عينين، إن الرحيل أحد اليومين، فبادروا بصالح الأعمال فقد دنا النقلة والزوال.

❁ ❁ ❁

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: مالكم وللملوك؟ ما أعظم منّتهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة، فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون، تبيعونهم بالدنيا ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يرضى هذا لنفسه.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مكر به.

وقال الفضيل: لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل يقول: من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: إذا رأيت مبتدعاً في طريق، فخذ في طريق آخر. وقال الفضيل: لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عزّ وجلّ عمل.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: من أعان صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام.

قال: وسمعت رجلاً قال للفضيل: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

قال: وسمعت فضيلاً يقول: نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمى.

قال: وسمعت الفضيل يقول: من أتاه رجل فشاوره فقصر عمله فدله على مبتدع فقد غش الإسلام.

وقال الفضيل: إني أحب من أحبهم الله، وهم الذين يسلم منهم أصحاب محمد ﷺ، وأبغض من أبغضه الله وهم أصحاب الأهواء والبدع.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل يقول: لأن آكل عند اليهودي والنصراني، أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة،

فإني إذا أكلت عندهما لا يقتدى بي، وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى بي الناس، أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، وعملٌ قليل في سنة، خير من عمل صاحب بدعة، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، ومن جلس إلى صاحب بدعة فاحذره، وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه فمن جلس إليه ورثه الله عزّ وجلّ العمى، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له، وإن قلّ عمله، فإني أرجو له، لأن صاحب السنة يعرض كل خير، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل، وإن كثر عمله.

قال: وسمعت الفضيل يقول: إن لله عزّ وجلّ ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله تعالى لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة. وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وهم ينهون عن أصحاب البدعة.

قال: وسمعت فضيلاً يقول: إن لله عباداً يحيي بهم العباد والبلاد، وهم أصحاب سنة، من كان يعقل ما يدخل جوفه من حله كان في حزب الله تعالى.

وقال الفضيل: أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله.

وقال الفضيل: من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله من مقته.

❁ ❁ ❁

عن حسين بن زياد. قال: سمعت فضيلاً يقول: ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال: إذا لم يكن صاحب هوى، ولا يشتم السلف، ولا يخالط السلطان.

عن الفيض بن إسحاق قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه.

عن يحيى بن يوسف. عن الفضيل بن عياض. قال: لما دخل على هارون أمير المؤمنين قال: أيكم هو؟ قال: فأشاروا إلى أمير المؤمنين، فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ لقد وليتَ أمراً عظيماً، إني ما رأيت أحداً هو أحسن وجهاً منك، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل، فقال لي: عظني، فقلت: ماذا أعظك، هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين، انظر ماذا عمل بمن أطاعه، وماذا عمل بمن عصاه.

وقال: إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً، ويطلبونها طلباً حثيثاً، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها، فقال: عد إلي، فقال: لو لم تبعث إلي لم آتك، وإن انتفعت بما سمعت مني عدت إليك.

❋ ❋ ❋

عن الفضل بن الربيع. قال: حج أمير المؤمنين، فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: ويحك، قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: خذ لما جئناك له، رحمك الله، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ فقال: نعم! قال: أبا عباس اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله قلت: ههنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعاً، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير

المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: خذ لما جئناك له، فحادثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم! قال: أبا عباس اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: ههنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية من القرآن يرددها، فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله، أما عليك طاعة؟.

فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف، ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عزّ وجلّ. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم الدنيا وليكن إفطارك منها الموت، وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المؤمنين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متْ إذا شئت.

وإني أقول لك فإني أخاف عليك أشد الخوف، يوماً تزل فيه

الأقدام، فهل معك رحمك الله مثل هذا؟ أو من يشير عليك بمثل هذا!

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه.

فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: يا ابن الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عزّ وجلّ.

قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة، قال له النبي ﷺ: (إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل).

فبكى هارون بكاء شديداً فقال له: زدني رحمك الله.

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عزّ وجلّ عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار، فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: (من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة).

فبكى هارون وقال له: عليك دين؟

قال: نعم! دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال جلّ وعزّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[1] فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك.

ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به؟! فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال.

فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله، فانصرفنا.



---

(١) سورة الذاريات، الآيات (٥٦ ـ ٥٨).

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: إني لأستحي من الله أن أشبع حتى أرى العدل قد بسط، وأرى الحق قد قام.

عن بشر بن الحارث. قال: قال فضيل لعلي ابنه: لعلك ترى أنك في شيء؟ الجعل أطوع لله منك.

عن إسحاق. قال: قال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه، وبكى على خطيئته. وقال الفضيل: إنما جعلت العلل ليؤدب بها العباد، ليس كل من مرض مات.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل، من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة.

قال: وسمعت الفضيل يقول: قيل لإبراهيم: إنك لتطيل الفكرة، قال الفكرة مخ العمل.

قال: وسمعت الفضيل يقول: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول في مرضه الذي مات فيه: ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إلي منك.

قال: وسمعته وهو يشتكي يقول: مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

قال: وسمعت الفضيل كثيراً يقول: ارحمني فإنك بي عالم. ولا تعذبني فإنك علي قادر.

وسمعته يقول: اللهم زهدنا في الدنيا فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجاتنا.

عن إبراهيم بن الأشعث. قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: الذاكر سالم من الإثم، ما دام يذكر الله، غانم من الأجر.

وسمعته يقول: من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء.

قال: وسمعت الفضيل يقول: إن من كان قبلكم، كانت الدنيا مقبلة عليهم، وهم يفرون منها، ولهم من القدم ما لهم، وهي اليوم عنكم مدبرة، وأنتم تسعون خلفها، ولكم من الأحداث مالكم، وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يؤتيه الله عزّ وجلّ علماً فلم يعمل به، فسمعه منه غيره فعمل به، فيرى منفعته يوم القيامة لغيره.

قال: وسمعت الفضيل يقول: لن يعمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

عن الفيض بن إسحاق. قال: سمعت الفضيل يقول: لا حج ولا جهاد ولا رباط أشد من حبس اللسان، لو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غم شديد، وسجن اللسان سجن المؤمن، وليس أحد أشد غماً ممن سجن لسانه.

قال: وسمعت الفضيل يقول: تكلمت فيما لا يعنيك، فشغلك عما يعنيك، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك.

عن محمد بن قطن. قال: قال الفضيل بن عياض: إنما يهابك الخلق، على قدر هيبتك لله.

عن بكر بن محمد العابد. قال فضيل بن عياض: أنت لا ترى خائفاً كيف تخاف؟!

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عزّ وجلّ، قل: فإن كنت تحسن تنتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

عن عبد الصمد. قال: سمعت الفضيل يقول: صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة، رحم الله عبداً أخمد ذكره، وبكى على خطيئته قبل أن يرتهن بعمله.

عن الحسن بن علي العابد. قال: قال فضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال الرجل: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل تعلم ما تفسيره؟ قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي، قال: قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف، فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: تستره قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

❀ ❀ ❀

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله. كلام الفضيل ومواعظه تكثر، اقتصرنا منها على ما أملينا، نفعنا الله وإياكم بها. كذلك له من المسانيد:

أسند الفضيل عن أعلام التابعين وعلمائهم، منهم سليمان الأعمش ومنصور بن المعتمر، أدركا أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهم، ومنهم عطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبي عياش وكلهم أدركوا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

وروى عن الفضيل الأعلام والأئمة، منهم سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وحسين بن علي وغيرهم.

٣٩٨ ـ وهيب بن الورد

[ت١٥٣هـ]

ومنهم الورع التقي. الضرع الحيي. وهيب بن الورد المكي[١].

ظفر بالحيا. ونعم بالحيا.

عن سفيان بن عيينة، عن وهيب. قال: بينا أنا واقف في بطن الوادي، إذ أنا برجل قد أخذ بمنكبي فقال: يا وهيب خف الله لقدرته عليك، واستحِ منه لقربه منك، قال: فالتفت فما رأيت أحداً.

عن بشر بن الحارث. قال: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم، وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص.

عن محمد بن يزيد الخنيسي. قال: سمعت سفيان الثوري إذا حدث الناس في المسجد الحرام، وفرغ من الحديث قال: قوموا إلى الطبيب ـ يعني وهيباً ـ.

---

(١) توفي وهيب سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمه الله تعالى.

عن ضمرة بن ربيعة. قال: قال وهيب المكي: الزهد في الدنيا: أن لا تأسى على ما فاتك منها، ولا تفرح بما أتاك منها.

عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب. قال: إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحد فافعل.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال وهيب بن الورد: لو أن علماءنا ـ عفا الله عنا وعنهم ـ نصحوا لله في عباده، فقالوا: يا عباد الله، اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفاسدة، كانوا قد نصحوا لله في عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه.

عن محمد بن يزيد. قال: حلف وهيب أن لا يراه الله ولا أحد من خلقه ضاحكاً، حتى يأتيه الرسل من قبل الله عند الموت، فيخبرونه بمنزله عند الله، قال: وكانوا يرون له الرؤيا أنه من أهل الجنة، فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه وقال: قد حسبت أن يكون هذا من الشيطان.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال وهيب بن الورد: عجباً للعالم كيف تجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك، وقد علم أن له في القيامة روعات، ووقفات وفزعات، قال ثم غشي عليه.

عن محمد بن يزيد، عن وهيب. قال: بلغنا أن عطاء قال: جاءني طاوس اليماني بكلام محبر، من القول فقال: يا عطاء إياك أن تطلب حوائجك إلى من غلق دونك أبوابه، وجعل دونها حجابه، وعليك بمن أمرك أن تسأله، ووعدك الإجابة.

عن محمد بن يزيد، عن وهيب. قال: بلغنا أن رجلاً قال: بينما أنا أمشي في أرض الروم، إذ سمعت هاتفاً على رأس الجبل

وهو يقول: يا رب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى غيرك، يا رب عجبت لمن عرفك كيف يطلب رضا غيرك بسخطك.

عن محمد بن يزيد، عن وهيب. قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن موسى عليه السلام قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بي، قال: فقالها ثلاثاً، كل ذلك يقول: أوصيك بي، حتى قال في الآخر: أوصيك بي أن لا يعرض لك أمر، إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكه.

عن الحسين بن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال وهيب بن الورد: قال حكيم من الحكماء: العبادة ـ أو قال الحكمة ـ عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحدة في العزلة، فأردت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه، فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة.

عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب بن الورد. قال: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للحق، من قراءة القرآن لمن تدبره.

عن زهير بن عباد. قال: كان فضيل بن عياض، ووهيب بن الورد، وعبد الله بن المبارك، جلوساً فذكروا الرطب، فقال وهيب: قد جاء الرطب؟ فقال عبد الله بن المبارك: يرحمك الله هذا آخره، أولم تأكله؟ قال. لا، قال: ولم؟ قال وهيب: بلغني أن عامة أجنة مكة من الصوافي والقطايع فكرهتها، فقال عبد الله بن المبارك: يرحمك الله أو ليس قد رخص في الشراء من السوق؟ إذا لم تعرف الصوافي والقطايع منه، وإلا ضاق على الناس خبزهم، أو ليس عامة ما يأتي من مصر إنما هو من الصوافي والقطايع؟ ولا أحسبك تستغني عن القمح، فسهل عليك، قال: فصعق فقال فضيل لعبد الله: ما صنعت بالرجل؟ فقال ابن المبارك: ما علمت أن كل هذا الخوف قد

أعطيه، فلما أفاق وهيب قال: يا ابن المبارك دعني من ترخيصك، لا جرم لا آكل من القمح، إلا كما يأكل المضطر من الميتة، فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلاً.

عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب. قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وقد حدثت نفسي أن لا أخالطهم، فقال: لا تفعل فإنه لا بدّ للناس منك، ولا بد لك من الناس، لهم إليك حوايج، ولك إليهم حوايج، ولكن كن فيهم أصم سميعاً، وأعمى بصيراً وسكوتاً نطوقاً.

عن عبد الله بن المبارك. قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من همَّ بمعصية.

عن الحسن بن رشيد، عن وهيب المكي. قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال قبل أن يرفع: يا معشر الحواريين! إني قد كببت لكم الدنيا، فلا تنعشوها بعدي، فإنه لا خير في دار قد عصي الله فيها، ولا خير في دار لا تدرك الآخرة إلا بتركها، فاعبروها ولا تعمروها، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة أورثت حزن أهلها طويلاً.

عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب. قال: بنى نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له: لو بنيت غير هذا، فقال: هذا لمن يموت كثير.

عن محمد بن يزيد. قال: سمعت وهيباً يقول: ضرب مثل لعلماء السوء فقيل: إنما مثل عالم السوء، كمثل الحجر في الساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا هو يخلي الماء إلى الشجرة فتحيى به.

عن عبد الرحمن العراقي. قال وهيب بن الورد: خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً، ولا وصلني إذا قطعته،

ولا ستر علي عورة، ولا ائتمنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.

عن محمد بن يزيد بن خنيس، عن وهيب بن الورد. قال: بلغنا أن عيسى عليه السلام، مر هو ورجل من بني إسرائيل من حواريه بلص في قلعة له، فلما رآهما اللص، ألقى الله في قلبه التوبة، قال فقال لنفسه: هذا عيسى بن مريم عليه السلام، روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريه، ومن أنت يا شقي، لص بني إسرائيل، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه، فلما لحقهما قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما؟ لست لذلك بأهل، امش خلفهما كما يمشي الخطاء المذنب مثلك، قال: فالتفت إليه الحواري فعرفه، فقال في نفسه: انظر هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا، قال: فاطلع الله على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته، ومن ازدراء الحواري إياه، وتفضيله نفسه عليه، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أن مر الحواري ولص بني إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً، أما اللص فقد غفرت له ما مضى لندامته وتوبته، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التائب.

عن عمارة، عن وهيب بن الورد المكي. قال: يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد آثر هواي على هواه، إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وعزتي وعظمتي وجلالي ما من عبد آثر هواه على هواي، إلا أكثرت همومه وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي واد من أوديتها هلك.

عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب بن الورد: أن ابن عمر باع

جملاً فقيل له: لو أمسكته، فقال: قد كان لنا موافقاً، ولكنه قد أذهب بشعبة من قلبي، فكرهت أن يشتغل قلبي بشيء.

عن محمد بن يزيد بن خنيس، عن وهيب بن الورد. قال: بلغنا أنه ما من ميت يموت، حتى يتراءى له ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا، فإن كان صحبهما بطاعة، قالا له: جزاك الله عنا من جليس خيراً، فربَّ مجلس صدق قد أجلستناه، وعمل صالح قد أحضرتناه، وكلام حسن قد أسمعتناه، فجزاك الله عنا من جليس خيراً، وإن كان صحبهما بغير ذلك، مما ليس لله برضى، قلبا عليه الثناء فقالا: لا جزاك الله عنا من جليس خيراً، فرب مجلس سوء قد أجلستناه، وعمل غير صالح قد أحضرتناه، وكلام قبيح قد أسمعتناه، فلا جزاك الله عنا من جليس خيراً. قال: فذاك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلى الدنيا أبداً.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال وهيب: لقي رجل فقيه رجلاً هو أفقه منه، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من عملي؟ قال: يا عبد الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن ابن المبارك، عن وهيب. قال: وجدت العزلة في اللسان.

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين. قال: سمعت وهيباً يقول: إن العبد ليصمت، فيجتمع له لبه، قال: وسمعته يقول: لا يسلم عبد على القوم حتى يخبر من عقله، وسمعته يقول: لا يكون همّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.

عن عبد الرزاق. قال: اجتمع سفيان الثوري، ووهيب بن الورد، فقال سفيان لوهيب: يا أبا أمية أتحب أن تموت؟ فقال: أحب أن

أعيش لعلي أتوب، فقال وهيب: فأنت؟ قال: ورب هذه البنية ثلاثاً، وددت أني مت الساعة.

عن ابن المبارك، عن وهيب. قال: لو أن المؤمن لا يبغض الدنيا، إلا أن الله يعصى فيها، لكان حقاً عليه أن يبغضها.

وقال وهيب: اتق الله أن لا تسب إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

عن عبد الله بن المبارك. قال: جاء رجل إلى وهيب، فجعل كأنه يذكر الزهد، قال: فأقبل عليه وهيب فقال: لا تحمل سعة الإسلام على ضيقة صدرك.

عن مؤمل. قال: سمعت وهيباً يقول: لو قمت قيام هذه السارية، ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أم حرام.

عن ابن المبارك. قال: كتب وهيب إلى أخ له: قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفاً، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع الأخرى.

❁ ❁ ❁

أدرك وهيب بن الورد المكي من التابعين جماعة، فممن روى عنهم من التابعين عطاء بن أبي رباح ومنصور بن زاذان، وأبان بن أبي عياش ومحمد بن زهير.

٣٩٩ ـ عبد الله بن المبارك

[١١٨ ـ ١٨١هـ]

ومنهم السخي الجواد. الممهد للمعاد. المتزود من الوداد. أليف القرآن والحج والجهاد. جادَ فسادَ. وروجع فزاد. ماله مشارك.

وفعله مبارك. وقوله مبارك. شاها نشاه. عبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه[١].

عن عبد الله بن المبارك شاها نشاه، أخبرني الحسن بن عمرو الفقيمي، عن بندر الثوري، عن محمد بن الحنفية. قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد من معاشرته بداً، حتى يجعل الله له فرجاً ـ أو قال مخرجاً ـ قال عبد الله بن المبارك: هذا مثلي ومثلكم.

عن عبد الله بن يزيد بن عثمان الحمصي. قال: قال لي الأوزاعي: رأيت عبد الله بن المبارك؟ قلت: لا، قال: لو رأيته لقرت عينك.

عن عبيد بن جناد أبو سعيد. قال: قال لي عطاء بن مسلم: يا عبيد رأيت عبد الله بن المبارك؟ قلت: نعم، قال: ما رأيت مثله ولا ترى مثله.

عن المسيب بن واضح. قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: ابن المبارك إمام المسلمين، قال ورأيته قاعداً بين يديه يسائله.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: ما رأت عيناي مثل سفيان، ولا أقدم على عبد الله بن المبارك أحداً.

عن المعتمر بن سليمان. قال: ما رأيت مثل ابن المبارك تصيب عنده الشيء الذي لا تصيبه عند أحد.

عن سفيان الثوري. قال: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر.

---

(١) عبد الله بن المبارك. يكنى أبا عبد الرحمن، كان أبوه تركياً، وكانت أمه تركية. ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل تسع عشرة.

توفي بهيت، منصرفاً من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان، سنة إحدى وثمانين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. (الصفوة).

عن خالد بن خداش. قال: سمعت ابن المبارك يقول: اللهم لا تمتني بهيت، فمات بهيت رحمه الله.

عن عبد الرحمن بن عبيد الله. قال: كنا عند الفضيل بن عياض فجاء فتى - في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين - فنعي إليه ابن المبارك فقال: رحمه الله، أما إنه ما خلف بعده مثله.

قال: وقال أبو إسحاق الفزاري: إني لأمقت نفسي على ما أرى بها من قلة الإكتراث لموت ابن المبارك.

عن شقيق بن إبراهيم البلخي. قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا، لم لا تجلس معنا؟ قال أذهب مع الصحابة والتابعين، قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كان سنة ثمانين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلم لك مجهودك.

عن رسته الطالقاني. قال: قام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن.

عن عبدان. قال: سمعت ابن المبارك يقول: ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر؛ وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث.

عن أبي أسامة. قال: مررت بعبد الله بن المبارك بطرسوس، وهو يحدث فقلت: يا أبا عبد الرحمن إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه، ما هكذا أدركنا المشيخة، قال: فأضرب عن الحديث نحواً من عشرين يوماً، ثم مررت به وقد احتوشوه، وهو يحدث فسلمت عليه، فقال: يا أبا أسامة شهوة الحديث.

عن أبي إسحاق الطالقاني. قال: سألت ابن المبارك عن الرجل يصلي عن أبويه؟ فقال: من يرويه؟ قلت: شهاب بن خراش، قال: ثقة، عمن؟ قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة، عمن؟ قلت: عن النبي ﷺ، قال: بين النبي ﷺ وبين الحجاج مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

عن بشر بن الحارث. قال: سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي، قال: ليس هذا من توقير العلم، قال بشر: فاستحسنته جداً.

عن معاذ بن خالد. قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضاً.

عن المسيب بن واضح. قال: سمعت ابن المبارك وقيل له: الرجل يطلب الحديث لله يشتد في سنده؟ قال: إذا كان يطلب الحديث لله، فهو أولى أن يشتد في سنده.

عن سعيد بن يعقوب الطالقاني. قال: قال رجل لابن المبارك: بقي من ينصح؟ قال: فهل بقي من يقبل؟

عن سفيان بن عبد الملك، عن عبد الله بن المبارك. قال: حب الدنيا في القلب، والذنوب احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟

عن الحسين بن الحسن المروزي. قال: سمعت ابن المبارك يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا، قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عزّ وجلّ.

عن عباس بن عبد الله. قال: قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلاً اتقى مائة شيء، ولم يتورع عن شيء واحد، لم يكن ورعاً، ومن كان فيه خلة من الجهل، كان من الجاهلين، أما سمعت الله

تعالى قال لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فقال الله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].

عن عباس بن عبد الله. قال: قيل لعبد الله بن المبارك: من أئمة الناس؟ قال سفيان وذووه، قيل له: من سفلة الناس؟ قال: من يأكل بدينه.

عن الحارث. قال: قال لي ابن المبارك: قد جمعت العلماء فليس فيما جمعت أحب إلي من علم الفضيل بن عياض، قال عبد الله: وما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله.

عن عبيد بن جناد. قال: ما رأيت أحداً مثل ابن المبارك، إذا ذكر أصحابه فخمهم، يقول: وأين مثل فلان، ثم يقول الرفيع من يرفعه الله بطاعته، والوضيع من وضعه.

عن أبي داود الطرسوسي. قال: قلت لعبد الله بن المبارك: إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال: إنما كره لكم منها، إنا أدركنا القراء وهم يؤتون تسمع قراءتهم، وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون.

عن أحمد بن أبي الحواري، حدثني بعض أصحابنا. قال: جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي ـ وكان والياً بمرو ـ إلى منزل عبد الله بن المبارك بالليل، ومعه كاتبه والدواة والقرطاس معه، قال: فسأله عن حديث، فأبى أن يحدثه، ثم سأله عن حديث، فأبى أن يحدثه ـ ثلاث مرار ـ فقال لكاتبه: اطو قرطاسك، ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا، فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار فقال له: يا أبا عبد الرحمن لم لم ترنا أهلاً أن تحدثنا، وتمشي معنا؟ فقال إني أحببت أن أذل لك بدني ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة هود، الآية (٤٦).

قال أحمد: فحدثت به محمد بن أبي شيبة ابن أخت ابن المبارك فقال: ما حفظ الذي حدثك، لم يمش معه، إنما قام ذلك ليركب وقام خالي إلى قاعة الدار يبول.

عن أبي روح المروزي. قال: قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك.

عن ابن أبي جميل، عن ابن المبارك أنه سأله رجل عن الرباط فقال: رابط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط.

٤٠٠ ـ عبد العزيز بن أبي رواد

[ت١٥٩هـ]

ومنهم العابد السجاد. والشاكر العواد، أبو عبد الرحمن عبد العزيز بن أبي رواد[1] كان للعبادة مغتنماً. وللمصائب والمحن متكتماً.

عن ابن عيينة. قال: مطرت مكة مطراً تهدمت منه البيوت، فأعتق ابن رواد جارية شكراً لله إذ عافاه الله من ذلك.

عن شقيق البلخي. قال: ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده، فتأمله ابنه ذات يوم فقال له: يا أبت ذهبت عينك؟ قال: نعم يا بني، الرضاء عن الله أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة.

عن يوسف بن أسباط. قال: مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة، لا يرفع طرفه إلى السماء، فبينما هو يطوف حول الكعبة

---

(١) توفي عبد العزيز بن أبي رواد بمكة سنة تسع وخمسين ومائة (الصفوة).

إذ طعنه المنصور أبو جعفر بأصبعه في خاصرته فالتفت إليه فقال: قد علمت أنها طعنة جبار.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال عبد العزيز بن أبي رواد لأخ له: أقرضنا خمسة آلاف درهم إلى الموسم، فشد التاجر وحملها إليه، فلما جن الليل وأوى التاجر إلى فراشه، قال: ما صنعت يا ابن أبي رواد؟ أنت شيخ كبير وأنا شيخ كبير، فلا أدري ما يحدث الله بي أو بك، فلا يعرف له ولدي ما أعرفه، لئن أصبحت سالماً لآتينه، فأجعله منها في حل.

فلما أصبح أتى عبد العزيز بن أبي رواد، فأصابه خلف المقام - وكان عبد العزيز عظم جلوسه خلف المقام في الحجر - فقال: يا أبا عبد الرحمن! رأيت البارحة في أمر فكرهت أن أقطعه حتى أشاورك فيه؟ قال: ما هو؟ قال: تفكرت في المال الذي حملته إليك، فإذا أنت شيخ كبير وأنا شيخ كبير، فلا أدري ما يحدث الله تعالى بي أو بك، فلا يعرف لك ولدي ما أعرف لك، ورأيت أن أجعلك منها في حل في الدنيا والآخرة، فقال: اللهم اغفر له، اللهم أعطه أفضل ما نوى، ثم دعا له بما حضره من الدعاء، فقال له: إن كنت إنما تشاور في هذا المال، فإنما استقرضناه على الله، فكلما اغتممنا به كفر الله به عنا، فإذا جعلتنا في حل كأنه سقط، قال: فكره التاجر أن يخالفه.

قال: فما أتى الموسم حتى مات التاجر فأتاه ولده في الموسم فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن مال أبينا، فقال لهم: لم أتهيأ ولكن الميعاد فيما بيننا وبينكم الموسم الذي يأتي، فقام القوم من عنده، فلما دار الموسم الآتي لم يتهيأ المال، فقال إني أهون عليك من الخشوع[1] وتذهب بأموال الناس؟

---

(١) الجملة غير واضحة المعنى. والمعنى العام: أنهم ذموه بعبادته مع انتقاصهم له بأكل أموال الناس.

قال: فرفع رأسه فقال: رحم الله أباكم مذ كان يخاف هذا وشبهه، ولكن الأجل بيننا وبينكم الموسم الذي يأتي، وإلا فأنتم في حل مما قلتم.

قال: فبينا هو ذات يوم خلف المقام، إذ ورد عليه غلام له، كان قد هرب منه إلى أرض السند أو الهند، بعشرة آلاف درهم، فقال: السلام عليك يا مولاي، أنا غلامك الذي هربت منك، وإني وقعت إلى أرض السند أو الهند فاتجرت ورزق الله بها عشرة آلاف درهم، ومعي من التجارات ما لا أحصيها.

قال سفيان: فسمعته يقول: لك الحمد سألناك خمسة آلاف فبعثت إلينا عشرة آلاف، يا عبد المجيد احمل هذه العشرة آلاف، فأعطهم إياها، واقرأهم السلام وقال هذه العشرة بعث بها أبي إليكم، فقالوا: إنما لنا خمسة آلاف فقال: صدقتم خمسة لكم، للإخاء الذي كان بينه وبين أبيكم.

قال: فأسقط القوم في أيديهم لما جاء منهم من اللوم، وما جاء به من الكرم.

فرجع إلى أبيه قال: فدفعها إليهم.

فقال العبد: عِدْهُ يقبض ما معي، فقال: يا بني إنما سألناه خمسة آلاف فبعث إلينا بعشرة آلاف، أنت حر لوجه الله وما معك فهو لك.

عن محمد بن يزيد بن خنيس. قال: قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت، مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي، راحل يسرع كل يوم في عمري، ومؤمل لست أدري على ما أهجم، ثم بكى.

عن سعيد بن سالم القداح، حدثني عبد العزيز بن أبي رواد

وسمعه. قال لرجل: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ، بالإسلام والقرآن والشيب.

عن عبد الله بن سلمة. قال: سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يقول: أعوذ بالله من الغرة بالله، ومن المقام على معاصي الله.

عن عبد الله بن رجاء، عن عبد العزيز بن أبي رواد. قال: دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه، فقلت: أوصني، فقال: اعمل لهذا المضجع.

عن عبد الله بن مرزوق. قال: قلت لعبد العزيز بن أبي رواد: ما أفضل العبادة؟ قال: طول الحزن في الليل والنهار.

عن أبي عبد الرحمن المقري. قال: ما رأيت أحداً أصبر على القيام من عبد العزيز بن أبي رواد.

❁ ❁ ❁

حدث عن عدة من كبار التابعين وأعلامهم منهم عطاء وعكرمة ونافع وصدقة بن يسار والضحاك ومزاحم وعلقمة بن مرثد وعطية بن سعد ومحمد بن واسع وعبد الله بن عبد بن عمر وغيرهم.

٤٠١ ـ محمد بن صبيح بن السماك

[ت١٨٣هـ]

ومنهم زايد النساك وصائد الفتاك وناصب الشباك أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك[(١)].

حدد الشأن وشدد العيان فأوضح البيان وأفصح اللسان.

---

(١) محمد بن صبيح السماك، كوفي قدم بغداد فمكث بها مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة.

عن علي الشعيبي، عن محمد بن السماك. قال: الأخذ بالأصول، وترك الفضول، من فعل ذوي العقول.

عن الأصمعي. قال: قال ابن السماك ليحيى بن خالد: إن الله ملأ الدنيا من اللذات، وحشاها بالآفات، ومزج حلالها بالمؤونات، وحرامها بالتبعات.

عن عبد الوهاب الوراق. قال: قال ابن السماك: الناس عندنا ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بما يؤتى منها، ولا يحزن على ما فاته منها، وللصابر القلب منها مثلان فهو في الظاهر زاهد، وفي الباطن صابر، ما أشبهه بالزاهد، وليس هو به، وأما الراغب: فأولئك في خوض يلعبون، مفصحون لا يشعرون.

عن الحسين بن علي العجلي. قال: قال محمد بن السماك: همة العاقل في النجاة والهرب، وهمة الأحمق في اللهو والطرب.

عن علي بن محمد البصري. قال: كان أبو العباس بن السماك يقول في كلامه: عجباً لعين تلذ بالرقاد، وملك الموت معه على وساد.

عن عبد الله بن صالح العجلي، عن ابن السماك. قال: كتبت إلى محمد بن الحسن حين ولي القضاء بالرقبة: أما بعد فلتكن التقوى في بالك على كل حال، وخف الله في كل نعمة عليك، لعلة الشكر عليها مع المعصية بها، فإن في النعمة حجة، وفيها تبعة، فأما الحجة فيها فالنسبة لها، وأما التبعة فيها فعلة الشكر عليها، فعفا الله عنك لما ضيعت من شكر، أو ركبت من ذنب، أو قصرت من حق.

عن محمد بن سعيد بن الأصبهاني: سمعت ابن السماك يقول في مجلس في آخر كلامه: حتى متى بلغ الواعظون أعلام الآخرة، حتى والله لكل نفس ما عليها واقفة، وكأن العيون إليها ناظرة، فلا

منتبه من نومته، ولا مستيقظ من غفلته، ولا مفيق من سكرته، ولا خائف من صرعته، الرجا للدنيا يجعل للآخرة منك حظاً، أقسم بالله لو رأيت القيامة تخفف نزلاً لهدأ أهوالها، وقد علت النار مشرفة على أهلها، وقد وضع الكتاب ونصب الميزان وجيء بالنبيين والشهداء، ويكون لك في ذلك الجمع منزل وزلفى، أبعد الدنيا إلى غير الآخرة تنتقل؟ هيهات هيهات، كلا والله، ولكن صمَّتِ الآذان عن المواعظ، وذهلت القلوب عن المنافع، فلا المواعظ تنفع، ولا الموعوظ ينتفع بما يسمع.

عن عباد بن كليب. قال: سمعت ابن السماك يقول: أما بعد فإني كنت حينذاك وأنا مسرور وأنا فيها مغرور، ذنب ستره عليَّ فقد طابت النفس به، كأنه مغفور، ونعمة أبلاها فأنا بها مسرور كأني فيها على تأدية الحقوق مشكور، فياليت شعري ما عواقب هذه الأمور.

عن إبراهيم بن سلمة الشعبي: سمعت ابن السماك يقول: من صبر على العسر قوي على العبادة، ومن أهمته نفسه لم يولٍ مسرتها إلى غيره، ومن أحب الخير وفق له، ومن كره الشرَّ جنبه، ومن رضي الدنيا من الآخرة حظاً فقد أخطأ حظ نفسه، ومن أراد الحظ الأكبر من الآخرة وسعى لها سعيها، وأعمل نفسه لها فهانت عليه الدنيا وأجمع ما فيها، والصبر عن المعاصي هو الكن لها، والصبر على طاعة الله فرع الخير وتمامه.

❋ ❋ ❋

عن عبد الله بن صالح: سمعت ابن السماك وكتب إلى أخ له: أما بعد: أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله في بالك على حالك في ليلك ونهارك، وحب الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، فاعلم أنك بعينه ليس تخرج

من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك.

واعلم أن الذنب من العاقل أعظم من الذنب من الأحمق، والذنب من العالم أعظم من الذنب من الجاهل، والذنب من الغني أعظم من الذنب من الفقير، وقد أصبحنا أذلاء رغماء، والذليل لا ينام في البحر.

وقد كان عيسى عليه السلام يقول: حتى متى تصفون الطريق للذاكرين وأنتم مقيمون في محلة المتجبرين، تضعون البعوض من شرابكم وتسترطون[١] الجمال بأحمالها.

وقال: إن الزق إذ نقب لم يصلح أن يكون فيه العسل، وإن قلوبكم قد نقبت فلا تصلح فيها الحكمة.

أي أخي: كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جرئ على الله، وكم من داع إلى الله فارٍ من الله، وكم من قارئ لكتاب الله ينسخ من آيات الله والسلام.

❀ ❀ ❀

عن محمد بن أبي الرجاء القرشي. قال: قال ابن السماك: أي أخي أسرَّ أعمالك على نفسك، ثم قبحها جهدك بعقلك، لعله يدعوك بقبحها إلى ترك مهاودتها، واعلم أنك ليس تبلغ غاية قبحها عند ربك، فسله أن يمن عليك بعفوه.

عن أبي بكر بن أبي هاشم. قال: قال محمد بن السماك: خرجت من العراق، أريد بعض الثغور، فبينا أنا أسير في جبل مظلم، إذ نظرت إلى عامل على رأس جبل، قد انفرد من المخلوقين،

---

(١) أي تبتلعون.

واستأنس برب العالمين جلّ جلاله، فسلمت عليه، فرد علي السلام ثم قال: من أين أقبلت؟ قلت: من العراق أريد بعض الثغور، فقال: إلى أمر توقنونه أو إلى أمر لا توقنونه؟ قلت: لا بل إلى أمر لا نوقنه، ثم قال: آه، قلت: مم يتأوه العابد؟ قال: ذكرت عيش المستريحين، وفرحة قلوب الواصلين. فقلت: إني رجل مهموم، قال: ومم همك؟ قلت: في ثلاث، قال: وما هذه؟ قلت: ما دليل الخوف؟ قال: الحزن، قلت: فما دليل الشوق؟ قال: الطلب، قلت: فما دليل الرجاء؟ قال: العمل. قلت: فمن أين ضعفنا؟ قال: لأنكم وثقتم بعفو الله عنكم، ولو عاجلكم بالعقوبة، لهويتم من معصيته إلى طاعته.

عن إبراهيم بن رجاء: سمعت ابن السماك يقول: أصبحت الخليقة على ثلاثة أصناف: صنف من أصحاب الذنوب، موطن نفسه على هجران ذنبه، لا يريد أن يرجع إلى شيء من سيئة، هذا المبرور، وصنف يذنب ثم يذنب ويذنب ويحزن ويذنب ويبكي، هذا يرجى له ويخاف عليه، وصنف يذنب ولا يندم ويندم ولا يحزن ويذنب ولا يبكي، فهذا الخائن الحائد عن طريق الجنة إلى النار.

عن زهير بن عباد: سمعت ابن السماك يقول: اعلم أن للموعظة غطاء، وكشف غطائها التفكر، ولحاجتك إلى العظة أكثر من حاجتك إلى الصلة، وأخاف أن لا تجد لها موضعاً في عقلك، مع ما فيها من هموم الدنيا.

عن ابن أبي الحواري. قال: عزى ابن السماك رجلاً فقال: إن المصيبة واحدة إن جزع أهلها أو صبروا، والمصيبة بالأجر، أعظم من المصيبة بالموت.

عن محمد بن بكار. قال: بعث هارون الرشيد إلى ابن السماك، فدخل وعنده يحيى بن خالد البرمكي فقال يحيى: إن أمير المؤمنين

أرسل إليك، لما بلغه من صلاح حالك في نفسك، وكثرة ذكرك لربك عزّ وجلّ، ودعائك للعامة، فقال ابن السماك: أما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا، فذلك بستر الله علينا، فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة، ولا جرى لسان لنا بمدحة، وإني لأخاف أن أكون بالستر مغروراً، وبمدح الناس مفتوناً، وإني لأخاف أن أهلك بهما، وبقلة الشكر عليهما، فدعا بدواة وقرطاس فكتبه إلى الرشيد.

عن عبد الله بن صالح العجلي. قال: كان رجل من ولد عبد الله بن مسعود يجلس في مجلس ابن السماك، فكان يطيل السكوت، فقال له ابن السماك ذات يوم: يا فتى ألا تخوض فيما يخوض فيه القوم من الحديث؟ فقال: إنما قعدت لأسمع، وأنصت لأفهم، وما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم، فقال: خرجت والله من معدن.

عن داود بن محمد بن يزيد. قال: كان ابن السماك يقول في آخر كلامه: ألا متأهب فيما يوصف له أمامه، مستعد ليوم فقره وفاقته، ألا شاب عادم مبادر لمنيته، ليس يغره شبابه ولا شدة قوته.

عن أبي جعفر الكندي. قال: دخل ابن السماك على داود الطائي، وهو في بيت خرب وعليه تراب فقال: داودُ، سجنت نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب، فاليوم ترى ثواب ما كنت له تعمل.

❀ ❀ ❀

أسند محمد بن صبيح بن السماك عن عدة من التابعين منهم إسماعيل بن أبي خالد والأعمش وهشام.

٤٠٢ ـ محمد الحارثي

ومنهم محمد بن النضر الحارثي، أبو عبد الرحمن، كان من أعبد أهل زمانه. وكان بالذكر أنيساً. وللحق جليساً.

عن أبي أسامة. قال: كان محمد بن النضر من عباد أهل الكوفة.

عن عبيد الله بن محمد الكرماني: دخلت على محمد بن النضر الحارثي فقلت له: كأنك تكره مجالسة الناس، قال: أجل قلت له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش، وهو يقول: أنا جليس من ذكرني؟

عن عباد بن كليب، عن محمد بن النضر الحارثي. قال: قرأت في بعض الكتب: أيها الصديقون بي فافرحوا، وبذكري فتنعموا.

عن عبد القدوس بن بكر، عن محمد بن النضر الحارثي: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به ثم بثه.

عن شهاب بن عباد. قال: صحبت محمد بن النضر الحارثي إلى عبادان، فلم يتكلم إلا بثلاث، إحداهن: قال لرجل: أحسن صلاتك.

عن خالد بن يزيد الطبيب. سمعت محمد بن النضر الحارثي يقول: شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا، فوالله ما رجعوا منها إلى سرور، بعد معرفتهم بكربه وغصصه.

عن ابن المبارك. قال: كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله حتى تتبين الرعدة فيها.

عن عباد بن كليب، عن محمد بن النضر الحارثي. قال: إن أصحاب الأهواء قد أخذوا في تأسيس الضلالة، وطمس الهدى، فاحذروهم.

عن مسلم. قال: كان علي دين فكتب إليَّ يعقوب بن داود أن

أقدم علي حتى أقضي دينك، قال: فقدم علينا محمد بن النضر الحارثي عبادان، فشاورته في ذلك فقال: يا مسلم يا مسلم مرتين، لأن تلقى الله وعليك دين، ومعك دِين، خير من أن تلقاه وليس عليك دين، وليس معك دِين.

عن إبراهيم بن عبيد. قال: قال محمد بن النضر الحارثي: غدا كل امرئ إلى سوقه، والتمس المتقون فضل الرباحات لديك يا أكرم المسؤولين، وكان لا يقوم من ورده حتى يتعالى النهار، فيقال له: للناس إليك حوائج، فيقول: وأنا أيضاً لي إلى الله حوائج.

عن يونس، عن محمد بن النضر. قال: ذكر رجل عند الربيع بن خيثم فقال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ منها إلى آدمي غيرها، إن العباد خافوا الله على ذنوب غيرهم، وأمنوه على ذنوب أنفسهم.

عن يوسف بن أسباط: سمعت محمد بن النضر الحارثي يقول: ما من عامل يعمل لله في الدنيا إلا وله من يعمل في الدرجات، فإذا أمسك أمسكوا، فيقال لهم: مالكم قصرتم؟ فيقولون صاحبنا.

عن يحيى بن الحارث بن كعب. قال: قال عبد الله بن إدريس لمحمد بن النضر الحارثي: يا أبا عبد الرحمن، مالي أراك ثائر الشعر؟ فقال: أبا محمد، أما بلغك أن أحدهم كان يطلب صلاح قلبه ولو في قلة جبل؟.

عن المعافى بن عمران. قال: قال رجل لمحمد بن النضر: أين أعبد الله؟ قال: أصلح سريرتك، واعبده حيث شئت.

عن عباد بن كليب. قال: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، فصنعنا طعاماً، فلم يخالفنا محمد بن النضر في شيء، فقال عبد الله: إنك لم تخالفنا، فقال محمد:

وإذا صاحبت فاصحب صاحباً ... ذا حياء وعفاف وكرم
قوله لك لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

عن أبي الأحوص، عن محمد بن النضر الحارثي. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام، يا موسى بن عمران: كن يقظان مرتاداً لنفسك أخداناً، فكل خدن لا يواتيك على مسرتي، فإنه لك عدو، وهو يقسي عليك قلبك، ولكن من الذاكرين، تستوجب الأجر، وتستكمل المزيد.

كان محمد بن النضر من المتمسكين بالآثار فعلًا. نقل الرواية نقلًا. حفظ عنه أحاديث لم يذكر إسنادها فذكرها إرسالاً.

وكان محمد بن النضر وضرباؤه من المتعبدين لم يكن من شأنهم الرواية كانوا إذا أوصوا إنساناً أو وعظوه ذكروا الحديث عن النبي ﷺ إرسالاً.

٤٠٣ ـ محمد بن يوسف الأصبهاني

[ت١٨٤هـ]

ومنهم ذو الجد والاجتهاد. والتشمر والارتياد في التبادر والتسابق إلى المعاد. محمد بن يوسف الأصبهاني[١]. عروس الزهاد.

عن يحيى بن سعيد القطان. قال: ما رأيت رجلًا أفضل من محمد بن يوسف الأصبهاني.

عن ابن مهدي. قال: ما رأيت مثل محمد بن يوسف الأصبهاني.

عن درهم بن مطاهر الأصبهاني: أخبرني عبد الله بن العلاء وأثنى عليه خيراً، سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان محمد بن يوسف عندي مقدماً على سفيان، فقلت له ـ أو قيل له ـ: تقدم محمد بن يوسف على سفيان؟ قال: إنك كنت إذا رأيته كأنه قد عاين.

---

(١) توفي سنة أربع وثمانين ومائة، ولم يكمل له أربعون سنة (الصفوة) وتكررت ترجمته برقم (٦٦٢).

قال درهم: وما أعلمني سمعت محمداً يذكر الدنيا قط.

قال درهم: ورأيت محمداً في طريق مكة على قعود له لحقاً بالأبواء فقال: اشتراه له فضيل بن عياض، وإذا عليه محمل وإذا أمتعته في شق وهو في شق.

عن يحيى بن سعيد: ما رأيت رجلاً قط خيراً من محمد بن يوسف، قال أحمد بن حنبل: يا أبا سعيد هذا الرجل الذي يكثر ذكره علماً وفضلاً؟ قال: علماً وفضلاً.

عن عطاء بن مسلم الحلبي. قال: كان محمد بن يوسف الأصبهاني يختلف إلي عشرين سنة لم أعرفه، يجئ إلى الباب فيقول: رجل غريب يسأل ثم يخرج، حتى رأيته يوماً في المسجد فقيل: هذا محمد بن يوسف الأصبهاني، فقلت: هذا يختلف إلي عشرين سنة لم أعرفه.

عن ابن المبارك. قال: قلت لابن إدريس: أريد البصرة، فدلني على أفضل رجل بها، فقال: عليك بمحمد بن يوسف الأصبهاني، قلت: فأين يسكن؟ قال: المصيصة ويأتي السواحل، فقدم عبد الله بن المبارك المصيصة فسأل عنه فلم يعرف، فقال عبد الله بن المبارك: من فضلك لا تعرف.

عن عمرو بن عاصم الكلابي. قال: كان محمد بن يوسف وأصحابه، إذا استراحوا قاموا إلى الصلاة.

عن صالح بن مهدي. قال: كنت مع محمد بن يوسف في طريق اليهودية، فتلقاه نصراني فسلم عليه وأكرمه في تسليمه إكراماً أنكرته عليه، فلما ولى قلت له: تصنع بهذا النصراني هذا الصنيع؟ قال: إنك لا تدري ما صنع هذا بأخي؟ قلت: وما صنع هذا بأخيك؟ قال: هذا رجل من أهل الرقة، نزل أخي ومعه تسعة من العباد قرية

لهم، فقال لغلامه: انظر من في القرية؟ فرجع إليه وقال: في القرية قوم في وجوههم سيما الخير، قال: فجاء فنظر إليهم، فتوسم فيهم الخير، فرجع إلى منزله فحمل إليهم مائة ألف درهم فوصلهم بها، وقال: استعينوا بها على ما أنتم فيه، فأبى واحد منهم أن يقبل منه شيئاً.

عن عبيد بن جناد. قال محمد بن يوسف الأصبهاني لخلف بن غنم: ما فعل مفضل بن مهلهل، ومحمد بن النضر، وعمار بن يوسف؟ قال: ماتوا، قال: وذكر رابعاً قال: ومات ابن المبارك؟ فقال له: قد بلغنا ذاك، قال ولم يخصه به قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى هؤلاء لسبيلهم وبقينا حشوش هذه الدنيا.

عن محمد بن أبي رجاء، ومحمد بن عيينة ـ أو أحدهما ـ أن محمد بن يوسف خرج في جنازة بالمصيصة، فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدفن بينهما، قال: فما أتت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها، حتى دفن في الموضع الذي أشار إليه.

عن عبيد. قال: قلت لمحمد بن يوسف الأصبهاني: إن عندنا رجلاً يقول: كنت وكنت، ـ وذكر أشياء مما تفسد الناس مقالتهم وعزوهم ـ قال: هلك المتنطعون، علم هذا ما جهل سفيان الثوري علمه؟ علم هذا ما جهل مكحول، علم هذا ما جهل سليمان بن موسى؟.

عن محمد بن الجنيد بن عمرو، مولى ابن المبارك. قال: ما علمت أن ابن المبارك أعجبه إنسان قط ممن كان يأتيه إعجابه بمحمد بن يوسف الأصبهاني، كان كالعاشق له.

عن أحمد بن عصام. قال: بلغني أن ابن المبارك أتاه قوم بمكة، فسألوه عن الحديث فامتنع، قال: نهاني عنه محمد بن يوسف.

عن كردم. قال: قال محمد بن يوسف ـ وذكر الإخوان ـ فقال: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرد بجدثك، يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض.

عن سعيد بن عبد الغفار. قال: قلت لمحمد بن يوسف: أوصني، قال: إن استطعت أن لا يكون شيء أهم إليك من ساعتك فافعل.

عن أبي سفيان: سمعت محمد بن يوسف يقول: لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا.

عن هارون بن سليمان. قال: كتب محمد بن يوسف إلى معدان بن حفص: سلام عليك فإني أحمد الله لي ولك، يا معدان، خذ من دنياك القوت الذي لا بد لك منه، وبادر الفوت، واستعد للموت، وسل الله العون، وفقنا الله وإياك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

عن سعيد بن عبد الغفار. قال: كنت أنا ومحمد بن يوسف، فجاء كتاب محمد بن العلاء بن المسيب من البصرة، إلى محمد بن يوسف فقرأه فقال لي محمد بن يوسف: ألا ترى إلى ما كتب به محمد بن العلاء وأعجب؟ فإذا فيه: يا أخي من أحب الله أحب أن لا يعرفه أحد.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: رأيت محمد بن يوسف في الشتاء والصيف، فلم يكن يضع جنبه، وأما ليالي الشتاء فإنه حين يطلع الفجر يتمدد من جلوس، ثم يقوم ويتمسح[1].

عن يوسف بن زكريا. قال: نظر محمد بن يوسف إلى رجل

---

(١) التمسح: الوضوء دون أن يسبقه قضاء حاجة.

يبيع المتاع بمكة فقال له: انظر أن لا يراك الله وأنت تخدع الناس في حرمه فيمقتك. قال: وبلغني أن يوسف بن محمد سأل محمد بن يوسف أن يقيم بمكة فقال له محمد: لأن يستاق إليها أحب إلي أن يستاق منها.

عن عبد الرحمن بن مهدي. قال: حج إبراهيم ابني، فلقي محمد بن يوسف بمكة، فقال له: أقرئ أباك السلام وقل له: هُنْ، قال: فرجع إبراهيم فأخبرني بقوله، قال: فصرت كذا شهراً أشبه رجل مريض، من مقالة محمد، فقلت: رجل مثله عسى أن يكون بلغه عني شيء، أو رأى علي رؤيا، حتى قدم علينا، قال: فأخذ بيدي وجعل يمشي حتى ظننت أنا لا ندرك صلاة المغرب، فجلسنا فقلت له: يا أبا عبد الله أخبرني إبراهيم ابني عنك بكذا، فقال محمد: بلغني أنك جلست تحدث الناس، فقلت له: إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبداً، فقال: حدث الناس وعلمهم، ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك، كيف يكون قلبك.

عن الحكم بن محمد. قال: كتب محمد بن يوسف إلى أبي الحسن الأشهب: اغتنم ساعتك لا تغفل عنها، فإنك إن اغتنمتها شغلت عن غيرها.

عن إبراهيم بن سعد الأصبهاني. قال: كتب محمد بن يوسف الأصبهاني إلى بعض إخوانه: أقرئ من أقرأنا منه السلام، وتزود لآخرتك، وتجاف عن دنياك، واستعد للموت، وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالاً وأفزاعاً، قد فزعت منها الأنبياء والرسل، والسلام.

❁ ❁ ❁

كان محمد بن يوسف. ممن عظمت عنايته. فقلت روايته: عمر أيامهِ وأوقاته بالإحسان والعيان. فحماه الحق عن المناظرة والبيان.

روى عن يونس بن عبيد والأعمش وهما من التابعين وعن، الحمادين والثوري وصالح المزني وعمر بن صبيح وغيرهم، ولم يسند عنهم ولم يوصل، بل أكثر ما رواه عنهم أرسله إرسالاً.

٤٠٤ ـ يوسف بن أسباط

[ت١٩٩هـ]

ومنهم ذو الجد والنشاط. والمستبق إلى الصراط، يوسف بن أسباط[١]، كان العلم والخوف شعاره. والتخلي من فضول الدنيا دثاره.

عن عبد الله بن خبيق. قال: دخل الطبيب على يوسف بن أسباط، وأنا عنده فنظر إليه وهو مريض، فقال: ليس عليك بأس، فقال: وددت الذي يخاف كان الساعة.

عن المسيب بن واضح. قال: سألت يوسف بن أسباط عن الزهد ما هو؟ قال: أن تزهد فيما أحل الله، فأما ما حرم الله فإن ارتكبته عذبك الله.

عن تميم بن سلمة. قال: قلت ليوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر، قلت: فما غاية التواضع؟ قال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت أنه خير منك.

عن سهل أبي الحسن. قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء، ما قلنا له زاهد، لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض، والحلال المحض لا يعرف اليوم.

---

(١) يوسف بن أسباط، من قرية يقال لها شيح، توفي قبل المائتين بسنة (الصفوة).

عن عبد الله بن خبيق: سمعت يوسف بن أسباط يقول لشعيب بن حرب: إن طلب الحلال فريضة، والصلاة في الجماعة سنة.

عن سعيد بن حرب: سمعت يوسف بن أسباط يقول: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال يوسف بن أسباط: والله لقد أدركت أقواماً فساقاً، كانوا أشد إبقاء على مروءاتهم، من قراء أهل هذا الزمان على أديانهم.

قال: وقال لي يوسف: إياك أن تكون من قراء السوء.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال يوسف بن أسباط: الأشياء ثلاثة، حلال بين، وحرام بين لا شك فيه، وشبهات بين ذلك، فالمؤمن من إذا لم يجد الحلال، يتناول من الشبهات ما يقيمه.

عن وهيب بن الهذيل، عن يوسف بن أسباط. قال: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

وسمعت يوسف بن أسباط يقول: مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وأربعين سنة لم يمزح.

قال: وقال الحسن: لقد أدركت أقواماً ما أنا عندهم إلا لص.

عن أبي توبة، عن يوسف بن أسباط. قال: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله.

عن عبد الله بن خبيق. قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من رياء، وقال يوسف: كانوا يستحبون

أن يسألوا الله العفو، وكان يوسف يقول: اللهم عرفني نفسي ولا تقطع رجاءك من قلبي.

عن جعفر الرقي. قال: كتبت إلى يوسف بن أسباط في مسائل فكتب إلي جوابها: أما ما ذكرت من أن يكون العبد عارفاً بالله، عارفاً بنفسه، فالعارف بالله: المطيع لله في جميع ما عرفه، والعارف بنفسه: الذي يخاف من حسناته أن لا تقبل، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1] قال: يعطون ما أعطوا، وهم يخافون أن لا يتقبل منهم.

عن أبي سهل الحسن. قال: كنت جالساً عند يوسف بن أسباط فقال: اكتبوا إلى حذيفة.

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علمك الله، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله، والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينتفع بالندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمر الساق فإن الدنيا ممر السابقين، فلا تكن ممن قد أظهر الشك، وتشاغل بالوصف، وترك العمل بالموصوف له، فإن لنا ولك من الله مقاماً، يسألنا فيه عن الرمق الخفي، وعن الخليل الجافي، ولست آمن أن يكون فيما يسألني ويسألك عنه وساوس الصدور، ولحاظ الأعين، وإصغاء الأسماع.

اعلم أن مما يوصف به منافقو هذه الأمة: أنهم خالطوا أهل الدين بأبدانهم، وفارقوهم بأهوائهم، وخففوا مما سعوا من الحق، ولم ينتهوا عن خبيث فعالهم، إذ ذهبوا إليه فنازعوا في ظاهر أعمال

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٦٠).

البر بالمحامل والرياء، وتركوا باطن أعمال البر مع السلامة والتقى، كثرت أعمالهم بلا تصحيح، فأحرمهم الله الثمن الربيح.

واعلم يا أخي أنه لا يجزينا من العمل القول، ولا من البذل العِدَة، ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله، فمن يكن كذلك فقد تعرض للمهالك.

وفقنا الله وإياك لما يحب، والسلام.

عن طاهر. قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لأن تقطع يدي ورجلي، أحب إلي من أن آكل من ذا المال شيئاً ـ يعني عطية الأمراء ـ.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال يوسف بن أسباط: إذا رأيت الرجل قال: حدثنا، فلا تعظه، فليس للموعظة فيه موضع.

عن ابن خبيق. قال: قال أبو جعفر الحذاء: كتبت إلى يوسف بن أسباط أشاوره في التحويل إلى الحجاز، فكتب إلي: أما ما ذكرت من تحويلك إلى الحجاز، فليكن همك خيرك، وما أرى موضعك إلا أضبط للخير من غيره، وما أحب أحداً يفر من شيء، إلا وقع في أشد منه، وإنما يطيب الموضع بأهله، وقد ذهب من يستراح إليه، وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع الله لك، وإن كان الصدق قد رفع من الأرض.

عن سهل أبي الحسن. قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: يجزي قليل الورع عن كثير العمل، ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد.

عن عبد الله بن خبيق. قال: كنت عند يوسف بن أسباط، إذ جاء الأمير وعليه قلنسوة شاشية، فسأله عن مسألة فقال: إن أستاذي سفيان، كان لا يفتي من على رأسه مثل هذا، قال: فوضعه على الأرض فأفتاه.

عن موسى بن طريف. قال: كنت بمكة مع شعيب بن حرب، فنعي إليه يوسف بن أسباط فقال: يا موسى، فمن أراد أن يكذب فليكذب، ما بقي أحد يستحيي منه بعد يوسف.

عن موسى بن طريف: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لي أربعون سنة، ما حاك في صدري شيء إلا تركته.

عن بشار. قال: قال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنين وعشرين سنة.

أدرك يوسف بن أسباط من الأعلام حبيب بن حيان ومحل بن خليفة والسري بن إسماعيل وعائذ بن شريح وسفيان الثوري وزائدة وغيرهم.

٤٠٥ ـ أبو إسحاق الفزاري

[ت١٨٨هـ]

ومنهم تارك القصور والجواري. ونازل الثغور والبراري. أبو إسحاق إبراهيم الفزاري[١]. كان لأهل الأثر والسنة إماماً. وعلى أهل الزيغ والبدعة زماماً.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال هارون الرشيد لأبي إسحاق الفزاري: أيها الشيخ، إنك في موضع من القرب، قال: إن ذاك لا يغني عني يوم القيامة من الله شيئاً.

عن محمد بن عبد الرحمن بن مهدي. قال: كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه، كان هؤلاء أئمة في السنة.

---

(١) أبو إسحاق الفزاري، كان صاحب سنَّة وغزوة، توفي بالمصيصة سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: خمس وثمانين. (الصفوة).

عن أبي إسحاق الفزاري. قال: قال الأوزاعي في الرجل يسأل أمؤمن أنت حقاً؟

قال: إن المسألة عما سئل من ذلك بدعة، والشهادة عليه تعمق، ولم نكلفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام إلا مثل القول فيه جدل، المنازعة فيه حدث وهزؤ، ما شهادتك لنفسك بذلك بالذي يوجب لك تلك الحقيقة إن لم تكن كذلك، ولا تركك الشهادة لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان، إن كنت كذلك، وإن الذي يسألك عن إيمانك ليس يشك في ذلك، ولكنه يريد أن ينازع الله علمه في ذلك، حتى يزعم أن علمه وعلم الله في ذلك سواء.

فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقد كان أهل الشام في غفلة من هذه البدع، حتى قذفها إليهم بعض أهل العراق، ممن دخلوا في تلك البدعة بعد ما ردها عليهم علماؤهم وفقهاؤهم، فأشربها قلوب طوائف من أهل الشام، فاستحلتها ألسنتهم، وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف فيهم، ولست بآيس أن يدفع الله سيء هذه البدعة.

ولو كان هذا خيراً ما خصصتم به دون أسلافكم، فإنه لم يدخر عنهم خيراً حق لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبيه محمد ﷺ، الذين اختارهم له، وبعثه فيهم، ووصفهم بما وصفهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[1] ويقول: إن فرائض الله ليس من الإيمان، وإن الإيمان قد يطلب بلا عمل، وإن الناس لا

---

(1) سورة الفتح، الآية (٢٩).

يتفاضلون في إيمانهم، وإن برهم وفاجرهم في الإيمان سواء.

وما هكذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فإنه بلغنا أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون جزءاً، أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[1]. وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[2] والدين هو التصديق وهو الإيمان والعمل، فوصف الله الدين قولاً وعملاً، فقال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[3] فالتوبة من الشرك قول، وهي من الإيمان، والصلاة والزكاة عمل.

عن أبي صالح: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: إن من الناس من يحب الثناء عليه، وما يساوي عند الله جناح بعوضة.

عن عبد الله الغنوي، عن أبي إسحاق الفزاري. قال: من قال الحمد لله على كل حال، فإن كانت نعمة، كانت لها شكراً، وإن كانت مصيبة كانت لها عزاء.

أسند الفزاري عن التابعين والأئمة، فمن التابعين عبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن أبي خالد، وعطاء بن السائب، والأعمش ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة، وهشام بن عروة، وسهل بن أبي صالح، ويونس بن عبيد، وسليمان التيمي وابن عون، وخالد الحذاء، وعبيد الطويل، وأبان بن أبي عياش وغيرهم.

وحدث عن الفزاري من الأئمة سفيان الثوري والأوزاعي.

---

(١) متفق عليه (خ٩، م٣٥).
(٢) سورة الشورى، الآية (١٣).
(٣) سورة التوبة، الآية (١١).

٤٠٦ ـ مخلد بن الحسين

[ت١٩١هـ]

ومنهم ذو القلب العقول. واللسان السؤول. مخلد بن الحسين[1]، الواعي للأصول. والمداري للجهول.

عن الوليد بن مسلم. قال: أفضل من بقي من علماء أهل المغرب أبو إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وعيسى بن يونس.

عن محمد بن بشير الدعاء. قال: ذكر عند مخلد بن الحسين خلق من أخلاق الصالحين، فقال:

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

عن عبدة بن عبد الله. قال: شكا رجل إلى مخلد بن الحسين رجلاً من أهل الكوفة، فقال: أين أنت عن المداراة، فإني أداري، حتى أداري هذه ـ جارية حبشية تغربل شعير الفرس له ـ.

ثم قال: ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة.

عن سعيد بن داود، عن مخلد بن الحسين. قال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلواً فيه، وإما تقصيراً عنه.

أسند مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان وأكثر عنه.

٤٠٧ ـ حذيفة بن قتادة المرعشي

[ت٢٠٧هـ]

ومنهم العابد المتواضع. الخاضع المتوادع. حذيفة بن قتادة

---

(١) توفي مخلد بالمصيصة سنة إحدى وتسعين ومائة (الصفوة).

المرعشي[1] صحب سفيان الثوري وسمع منه.

عن حذيفة المرعشي. قال: القلوب قلبان: قلب ملح في مسألة، وقلب يتوقع ساعته.

عن أبي يزيد الرقي. قال: قال حذيفة بن قتادة: قيل لرجل كيف تصنع في شهوتك؟ قال: ما في الأرض نفس أبغض إلي منها، فكيف أعطيها شهوتها؟.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال حذيفة المرعشي: لو جاءني رجل فقال لي: والله الذي لا إله إلا هو يا حذيفة ما عملك عمل من يؤمن بيوم الحساب، لقلت له: يا هذا لا تكفر عن يمينك فإنك لا تحنث.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال حذيفة: إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالك.

وقال لي حذيفة: لو نزل عليَّ ملك من السماء يخبرني أني لا أرى النار بعيني وأني أصير إلى الجنة، إلا أني أقف بين يدي ربي تعالى يسائلني، ثم أصير إلى الجنة لقلت: لا أريد الجنة، ولا أقف ذلك الموقف.

ثم قال: إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء، وإن عبداً يعمل على رجاء لعبد سوء، كلاهما عندي سواء.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال لي حذيفة: إنك ربما أصبت الحكمة فوق مزبلة، فإذا أصبتها فخذها.

عن يوسف بن أسباط. قال: قال لي حذيفة المرعشي: ما أصيب أحد بمصيبة، أعظم من قساوة قلبه.

---

(١) توفي حذيفة سنة سبع ومائتين.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال لي ابن أبي الدرداء: رأيت حذيفة المرعشي عند جعفر يقول له: يا عبد الله ليس ينبغي للمؤمن أن يشغله عن الله شيء، لا فقر ولا غنى، ولا صحة ولا مرض.

وقال حذيفة: إن من الكلام ما الصبر على استماعه، أشد عليَّ من ضرب السياط.

عن يوسف بن أسباط. قال: قال لي حذيفة المرعشي: كان يقال إذا رأيتم الرجل قد جلس وحده فانظروا إلى أي شيء جلس، فإن كان جلس ليجلس إليه فلا يجلس إليه.

وقال حذيفة: لأن أدع لله كذبة أحب إلي من أن أحج حجة.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال حذيفة المرعشي: إن لم تكن خائفاً أن يعذبك الله على فضول عملك، كنت هالكاً.

وقال حذيفة: إذا سمع الرجل كلاماً أو علماً فلم يعمل به فهو ذنب.

عن عبد الله بن عيسى الرقي. قال: قال لي حذيفة: هل لك أن تجمع لك الخير كله في حرفين، قلت: في نفسي: تراه فاعلاً، قال قلت: ومن لي بذلك؟ قال: مداراة الخير من حله، وإخلاص العمل لله حسبك.

عن موسى بن العلاء. قال: قال لي حذيفة: يا موسى، ثلاث خصال إن كن فيك لم ينزل من السماء خير إلا كان لك فيه نصيب: يكون عِملك لله، وتحب للناس ما تحب لنفسك، وهذه الكسرة تحرَّ فيها ما قدرت.

عن المعافى بن عمران. قال: كان عشرة ممن مضى من أهل الحلم، ينظرون في الحلال النظر الشديد، لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استفوا التراب، ثم عدَّ: إبراهيم بن أدهم،

وسليمان الخواص، وعلي بن الفضيل، ويمان أبو معاوية الأسود، ويوسف بن أسباط، ووهيب بن الورد، وداود الطائي، وحذيفة المرعشي.

٤٠٨ ـ أبو معاوية الأسود

ومنهم المعرض عن الأرذل. والباحث على الأفضل، اليمان أبو معاوية الأسود.

عن أحمد بن فضيل العكي. قال: غزا أبو معاوية الأسود، فحصر المسلمون حصناً فيه علج لا يرمي حجراً لإنسان إلا أصابه، فشكوا إلى أبي معاوية فقرأ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١]. استروني منه، فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير، فقال: أي رب سمعت ما سألوني فأعطني ما سألوني، بسم الله، ثم رمى المذاكير بإذن الله فمر السهم حتى إذا قرب من حائط الحرس ارتفع حتى إذا أخذ العلج في مذاكيره فوقع، وقال: شأنكم به.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قلت لأبي معاوية الأسود: يا أبا معاوية ما أعظم النعمة علينا في التوحيد، نسأل الله أن لا يسلبناه. قال: يحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه.

عن أحمد بن وديع. قال: قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل له: كيف ذاك يا أبا معاوية؟ قال: كلهم يرى الفضل لي على نفسه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني.

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عنان العوفي: سمعت أبا معاوية الأسود يقول في جوف الليل:

من كانت الدنيا أكبر همه، طال غداً في القبر غمه، ومن خاف

---

(١) سورة الأنفال، الآية (١٧).

ما بين يديه ضاق ذرعه، ومن خاف الوعيد لها في الدنيا عما يريد، يا مسكين. إن كنت تريد لنفسك فلا تنامن الليل إلا القليل، اقبل من الدين الناصح، إذا أتاك بأمر واضح، لا تهتم بأرزاق من تخلف، فليست أرزاقهم تكلف، وطن نفسك للمقال، إذا وقفت بين يدي رب العزة للسؤال، قدم صالح الأعمال عند كثرة الاستعمال، بادر ثم بادر قبل نزول ما تحاذر، إذا بلغت روحك التراقي وانقطع عنك من أحببت أن تلاقي، كأنا بها إذا بلغت الحلقوم، وأنت في سكرات الموت مغموم، إذا انقطعت حاجتك إلى أهلك، وأنت تراهم حولك، وقد بقيت مرتهناً بعملك، فالصبر ملاك الأمر، وفيه أعظم الأجر، فاجعل ذكر الله من أجل شأنك، واملك فيما سوى ذلك لسانك.

ثم بكى أبو معاوية بكاء شديداً ثم قال: أوه من يوم يتغير فيه لوني، ويتلجلج فيه لساني، ويقل فيه زادي. فقيل: يا أبا معاوية من قال هذا الكلام الحسن الجميل؟ قال: حكيم من الحكماء.

عن حسين بن عبد الرحمن. قال: قال أبو معاوية الأسود: الخلق كلهم برهم وفاجرهم، يسعون في أقل من جناح ذباب. فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟ قال: الدنيا.

عن هارون بن الحسن. قال: سمعت أبا معاوية الأسود يقول: القلب المعني بأمر الله في علو من الله.

٤٠٩ - سعيد بن عبد العزيز

ومنهم المتحصن بالحصن الحريز. والخوف والبكاء الأزيز. أبو محمد سعيد بن عبد العزيز[١].

عن أبي عبد الرحمن الأسدي. قال: قلت لسعيد بن عبد العزيز: يا أبا محمد ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟

---

(١) سعيد بن عبد العزيز، سبقت ترجمته برقم (٣٥٢).

فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: يا عم، لعل الله أن ينفعني، فقال سعيد: ما قمت في صلاتي إلا مثلت لي جهنم.

عن أبي مسهر. قال: قال رجل لسعيد بن عبد العزيز: أطال الله بقاءك، فغضب وقال: بل عجل الله بي إلى رحمته.

أسند عن عدة من التابعين، منهم الزهري وزيد بن أسلم وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ومكحول، وسليمان بن موسى في آخرين.

٤١٠ ـ سليمان الخواص

ومنهم الفطن الغواص. سليمان الخواص.

عن الفريابي. قال: كنت في مجلس فيه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد فقال الأوزاعي: ما نريد أن نرى في دهرنا مثل هؤلاء، فقال سعيد بن عبد العزيز: سليمان الخواص ما رأيت أزهد منه، وكان سليمان في المجلس ولا يعلم سعيد، فرفع سليمان رأسه وقام، فأقبل الأوزاعي فقال: ويحك لا تعقل ما يخرج من رأسك، تؤذي جليسنا؟ تزكيه في وجهه؟.

عن مضاء بن عيسى. قال: مر سليمان الخواص بإبراهيم بن أدهم، وهو عند قوم قد أضافوه وأكرموه، فقال: نعم الشيء هذا يا إبراهيم، إن لم تكن تكرمه على دين.

عن محمد بن كثير، عن سليمان الخواص. قال: مات ابن رجل فحضره عمر بن عبد العزيز فكان الرجل حسن العزاء، فقال رجل من القوم: هذا والله الرضا، فقال عمر بن عبد العزيز: أو الصبر، فقال سليمان: الصبر دون الرضا، الرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأي ذلك كان، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر.

٤١١ ـ سالم الخواص

ومنهم سالم بن ميمون الخواص.

عن عمرو بن أسلم الطرسوسي: سمعت سالماً الخواص يقول: الناس ثلاثة أصناف: صنف يشبه الملائكة، وصنف يشبه البهائم، وصنف يشبه الشياطين. فالذي يشبه الملائكة: فالمؤمنون في ليلهم ونهارهم طائعون بحب أهل الطاعة، وأما الذي يشبه الشياطين: فالذين في معاصي الله مساء وصباحاً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال سالم الخواص. أن ألجأ إلى ما شئت تلجأ إليه، ولو ألجأت أمرك إلى الله لكفاك.

عن أحمد بن ثعلبة العامل: سمعت سالماً الخواص يقول: كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتيه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتيه من جبريل عليه السلام حين يخبر به النبي ﷺ، قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتيه حين تكلم به. قال: فازدادت الحلاوة كلها.

عن عبد الله بن محمد بن عائشة، عن سالم الخواص، عن فرات بن السائب، عن زاذان: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، في صعيد واحد، ونزلت الملائكة وصاروا صفوفاً، فيقول الله تعالى: يا جبريل ائتني بجهنم، فأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام.

أسند سالم عن مالك بن أنس وابن عيينة والقاسم بن معن وأقرانهم.

٤١٢ ـ عباد بن عباد الخواص

ومنهم الباكي الوباص. الزاكي القناص. أبو عبدة عباد بن عباد الخواص. رضي الله تعالى عنه.

عن حماد بن واقد: سمعت أبا عبيدة يقول: الحزن جلاء القلوب، به لبستم مواضع الفكر. ثم بكى.

عن أبي سسلم الصوري. قال: كتب عباد بن عباد الخواص إلى إخوانه يعظهم:

اعقلوا والعقل نعمة، وإنه يوشك أن يكون غيره، فرب ذو عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر، حتى صار عن الحق ساهياً كأنه لا يعلمه، إخوانكم إن أرضوكم لم تناصحوهم، وإن أسخطوكم اغتبتموهم، فلا أنتم تورعتم في السخط، ولا أنتم ناصحتموهم في الرضا.

إنكم في زمان قد رق فيه الورع، وقل فيه الخشوع، وحملوا العلم ففسدوا به، أحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعة العمل فنطقوا فيه بالهوى، ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطأ، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به، كيف يهتدي السائل، إذا كان الدليل حائراً؟ أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها، فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول.

٤١٣ ـ عبد الله العمري

ومنهم العابد العدوي. والزاهد البدوي. عبد الله بن عبد العزيز العمري.

عن أبي جعفر الحذاء: سمعت العمري يقول: سمعت عبد الرحمن يقول: أكثر قراءتك القرآن، فإنه يقودك إلى الجنة.

عن محمد بن يحيى المروزي: بلغني عن العمري عبد الله بن عبد العزيز: أنه كان يلزم كتبه، وكان لا يخلو من كتاب يكون معه ينظر فيه، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس شيء أوعظ من قبر، ولا أسلم من وحدة، ولا آنس من كتاب.

عن أبي يحيى الزهري. قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: نعمة ربي أحدِّث: أني لم أصبح أملك على الناس إلا سبعة دراهم، ملكتها يدي ونعمة ربي أحدِّث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي، ما أزلتها.

عن عبيد بن جناد: سمعت العمري يقول: أي رب، توبة منك علينا، وتوبة منا إليك، في خواصنا وعوامنا، أي رب، اجعلنا لها صادقين ولا تجعلنا بها كاذبين، ثم يقول: وايم الله إن أرانا بها إلا كاذبين.

عن سفيان بن عيينة. قال: دخلت على العمري الرجل الصالح فقال: ما أحد يدخل علي أحب إلي منك، وفيك عيب، قلت: ما هو؟ قال: تحب الحديث أما إنه ليس من زاد الموت، أو من أنذر الموت.

عن إسماعيل بن عمر: سمعت أبا عبد الرحمن العمري الزاهد يقول: إن من غفلتك عن نفسك، إعراضك عن الله، بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه، ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، خوفاً ممن لا يملك لك ضراً ولا نفعاً.

عن أبي جعفر الحافظ ـ وكان من العباد ـ قال: دخلت على العمري في باديته فقلت له: لم نأيت عن الناس؟ فقال: ما استطعت أن تنأى عن الناس فافعل، قلت: احتمل؟ قال: احتمل بالبلغة، وانظر لمن تعمل.

عن محمد بن حرب المكي. قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري الزاهد، فاجتمعنا عليه، وأتاه وجوه أهل مكة، فرفع رأسه، فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التنعم والتلذذ، اذكروا الدود والصديد، وبلي الأجسام في التراب.

عن سليمان بن محمد بن عروة: سمعت عبد الله بن عبد العزيز العمري يقول: قال لي موسى بن عيسى: ينعي إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، أنك تشتمه وتدعو عليه، فبأي شيء استبحت ذلك يا عمري؟ قال: فقلت له: أما شتمه، فهو والله أكرم علي من نفسي، لقرابته من رسول الله ﷺ، وأما في الدعاء عليه، فوالله ما قلت: اللهم إنه قد أصبح عبئاً ثقيلاً على أكتافنا لا تطيقه أبداننا، وقذى في جفوننا لا تطرف عليه جفوننا، وشجى في أفواهنا تسفه حلوقنا بأكفنا، [اللهم] مَوِّتْهُ وفرق بيننا وبينه.

ولكن قلت: اللهم إن كان يسمى بالرشيد لرشد فأرشده، أو لغير ذلك فراجع به، اللهم إن له في الإسلام بالقياس على كل مؤمن حقاً، وله بنبيك قرابة ورحم، فقربه من كل خير، وباعده من كل سوء، وأسعدنا به وأصلحه لنفسه ولنا.

فقال موسى بن عيسى: يرحمك الله أبا عبد الرحمن كذلك يا عمري الظن بك.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن العمري: عظني، فأخذ حصاة من الأرض فقال: مثل هذا ورع يدخل في قلبك، خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني. قال: كما تحب أن يكون الله غداً فكن أنت اليوم.

أسند العمري عن جماعة وأدرك من التابعين أبا طوالة وروى عن إبراهيم بن سعد.

٤١٤ ـ أبو حبيب البدوي

ومنهم الغريب الشجوي أبو حبيب البدوي.

عن سفيان الثوري. قال: أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه، ولم أكن رأيته، فقال لي: أنت سفيان الثوري الذي يقال؟ قلت: نعم، نسأل الله بركة ما يقال، قال: فقال لي: يا سفيان، ما رأينا خيراً قط

إلا من ربنا، قلت: أجل، قال: فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه.

ثم قال: يا سفيان منع الله إياك عطاء منه لك، وذاك أنه لا يمنعك من بخل ولا عدم، وإنما منعه نظر منه واختبار، يا سفيان إن فيك لأنساً ومعك شغل.

قال: ثم أقبل على غنيمته وتركني.

٤١٥ ـ أحمد الموصلي

ومنهم أحمد الموصلي[١]: كان شاهداً حاضراً وسابقاً مبادراً.

عن جعفر بن محمد بن أحمد الميموني. قال: أتيت الموصلي، أحمد؛ فقلت له: إني قد أهديت لك حديثاً، قال: هيهات، فإما أن يأتيني المزيد من الله فأعمل عليه، وإما أن أشهق شهقة فأموت. فقلت: بلغني عن أبي العالية الرياحي أنه قال: قرأت في بعض الكتب حديثاً طرد عني النوم، وأذهب عني الشهوات؛ يا معشر الربانيين في أمة محمد ﷺ انتدبوا للدار؛ فلما قلت انتدبوا للدار، اصفر ثم احمر ثم اسود ثم غشي عليه، فقلت: انتدبوا لدار فيها زبرجد أحمر تجري عليها أنهار الجنة، فيها الدر والياقوت واللؤلؤ، وسورها زبرجد أصفر، متدلياً عليها أشجار الجنة بثمارها، فلما غشي عليه قمت وتركته.

٤١٦ ـ أبو مسعود الموصلي

[ت١٨٤هـ]

ومنهم المعافى بن عمران. أبو مسعود الموصلي[٢].

---

(١) أحمد الموصلي له ترجمة أخرى برقم (٤٨٠).

(٢) أبو مسعود الموصلي، لازم الثوري، وصنف كتاباً في السنن والزهد والأدب. توفي في سنة أربع وثمانين ومائة، وقيل خمس وثمانين، وقيل ست، رحمه الله (الصفوة).

كان ذا علم وضياء وبذل وعطاء.

عن بشر الحافي، قال له رجل: مالي أراك عاشقاً للمعافى بن عمران؟ فقال: ما لي لا أعشقه، وكان الثوري يسميه الياقوتة؟

قال: وحضرته يوماً فنعي إليه ابناه، فما حل حبوته، حتى قال: ظالمين أو مظلومين؟ فقيل: مظلومين، فحل حبوته وخر ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: كيف كان قصتهما؟

عن محمد بن مودود الموصلي: قيل للمعافى بن عمران: ما ترى في الرجل يقرض الشعر ويقوله؟ قال: هو عمرك فأفنه فيما شئت.

٤١٧ ـ سباع الموصلي

ومنهم أبو محمد سباع الموصلي[1]. أيس من الفضول. فأونس بالوصول.

عن أحمد بن أبي الحواري، عن سباع. قال: قال داود عليه السلام: إلهي أمرتني أن أطهر لك يدي ورجلي بالماء لصلاتي، فبما ذا أطهر لك قلبي؟ قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بالغموم والهموم.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت المضاء سأل سباعاً الموصلي فقال: يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الأنس به.

٤١٨ ـ فتح بن سعيد الموصلي

[ت٢٢٠هـ]

ومنهم فتح بن سعيد الموصلي[2]. المنتقى من اختياره. والمبتغى لاختباره.

---

(١) له ترجمة أخرى برقم (٤٨٥).

(٢) يكنى أبا نصر، توفي سنة عشرين ومائتين، رحمه الله (الصفوة).

عن إبراهيم بن عبد الله. قال: صدع فتح الموصلي ففرح، فقال: يا رب ابتليتني ببلاء الأنبياء، فشكر هذا أن أصلي الليلة أربعمائة ركعة.

عن بشر بن الحارث. قال: بلغني أن بنتاً لفتح الموصلي عريت، فقيل له: ألا تطلب من يكسوها؟ فقال: لا، أدعها حتى يرى الله عزّ وجلّ عريها وصبري عليها، قال: وكان إذا كان ليالي الشتاء جمع عياله وقام بكسائه عليهم، ثم قال: اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي، وجوعتني وجوعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي، بأي وسيلة توسلتها إليك، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك، فهل أنا منهم حتى أفرح؟

عن بشر بن الحارث. قال: قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه ورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه، ورعى حقه، وخافه بالغيب ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

عن عمران بن موسى الطرسوسي. قال: مر فتح الموصلي بصبيين مع أحدهما كسرة عليها عسل، ومع الآخر كسرة عليها كامخ، فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل: أطعمني من خبزك، قال: إن كنت كلباً لي أطعمتك، قال: نعم! فأطعمه من خبزه وجعل في فمه خيطاً وجعل يقوده.

فقال فتح: لو رضيت بخبزك، ما كنت كلباً لهذا.

قال أبو موسى: فهكذا الدنيا.

عن عثمان بن عمارة. قال: غبت غيبة فلما قدمت لقيت فتحاً الموصلي في حانوت سالم الدورقي فقال لي: يا بصري أي شيء رأيت في غيبتك؟ فقلت: رأيت عجائب كثيرة وأخباراً مختلفة، فصاح

صيحة فقلت: أنت تصيح من الخبر، فكيف لو شاهدت القيامة أو شاهدت صاحب القيامة؟ فشهق شهقة ووثب من الحانوت فخر مغشياً عليه، فحملناه فأدخلناه الحانوت، فما زال مغشياً عليه إلى العصر، فلما صلينا العصر تنفس، ثم فتح عينيه فقال لي: كيف قلت؟ فقلت له: اسكت، فقلت لعثمان: لم صحت به؟ قال: مخافة إن رددت عليه القول أن أقتله.

عن الحسين بن علي بن يزيد الصدائي. قال: قال رجل لفتح الموصلي: ادع الله فقال: اللهم هبنا عطاءك، ولا تكشف عنا غطاءك، وأرضنا بقضاءك.

عن رباح بن الجراح العبدي. قال: جاء فتح الموصلي إلى صديق له يقال له عيسى التمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: اخرجي إلي كيس أخي، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله، فأخبرته الجارية بمجيء فتح، وأخذه الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت.

عن محمد بن عبد الرحمن بن حبيب الطفاوي. قال: دخلت على فتح الموصلي وهو يوقد بالأجر، وكان فتح رجلاً من العرب وكان شريفاً زاهداً.

أدرك فتح الموصلي عيسى بن يونس وأقرانه وأسند عن عيسى.

٤١٩ ـ أسد البجلي

ومنهم العابد السجاد. المخلص الحماد. أسد بن عبيدة البجلي. كوفي عزيز الحديث والكلام.

عن محمد بن عبد الوهاب العبادي. قال: مر سفيان الثوري على أسد بن عبيدة فسلم عليه، فكأن أسد لم يرد عليه، فرجع سفيان إليه فقال: يا أسد أمر عليك فأسلم عليك فلا ترد علي؟ فاعتذر إليه

أنه كان في شغل وكأن سفيان لم يقنع منه بذلك، فقال له أسد: يا سفيان ما بلغ من قدرك أن أكون أعلم من الله غير ما تعلم.

٤٢٠ ـ بشر الآمي

ومنهم القانع الرضي. والصانع الخفي بشر الآمي.

عن خلف بن تميم. قال: قال بشر الآمي: أن أجر على الندى أحب إلي من أن أجر على اليبس.

٤٢١ ـ أبو الربيع السائح

ومنهم المبكر الرائح. أبو الربيع المعروف بالسائح.

بكر للحاق. وراح للتلاق. رضي الله تعالى عنه.

عن إدريس بن يحيى الخولاني. قال: قال لنا أبو الربيع السائح: متى يقام الحد على السكران؟ قلنا: إذا أفاق، قال: فإن سكر الدنيا ليس له إفاقة.

عن أبي الربيع الصوفي: حدثني جميل أبو علي قال: قال حبيب أبو محمد: إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه.

عن أبي الربيع الصوفي. قال: لما ذكر لي داود الطائي أحببت أن أرى أحواله، قال: فأتيته بعد عشاء الآخرة، فاستأذنت عليه فقال: من هذا؟ فقلت: غريب ليس يجد موضعاً، فقال: ادخل، الله المستعان، فدخلت فجعلت أسأله فقال لي: كانوا يكرهون فضول الكلام، فسكنت حتى أصبحت، فلما أصبحت قلت له: أوصني، قال: إن كانت لك والدة فبرها، وفر من الناس كما تفر من الأسد، غير تارك لجماعتهم.

٤٢٢ ـ علي بن الفضيل بن عياض

ومنهم الخائف الوجل. الذائب النحل، علي بن فضيل بن عياض.

عن عبد العزيز بن يزيد. قال: قال الفضيل بن عياض: بكى علي ابني يوماً، فقلت: يا بني مالك؟ قال: أخاف أن لا تجمعنا القيامة.

عن عبد الصمد بن يزيد. قال: سمعت الفضيل يقول: أشرفت ليلة على علي وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار.

عن إسماعيل الطوسي ـ أو غيره ـ قال: بينما نحن نصلي ذات يوم الغداة خلف الإمام، ومعنا علي بن فضيل، فقرأ الإمام ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾[1] فلما سلم الإمام قلت: يا علي أما سمعت ما قرأ الإمام؟ قال: ما هو قلت: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ و ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[2] قال: شغلني ما كان قبلها ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾[3].

عن محمد بن الحسين. قال: كان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلى فراشه، ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبت سبقني المتعبدون.

عن سفيان بن عيينة. قال: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه.

عن فضيل بن عياض. قال: قلت لعلي ـ يعني ابنه ـ لو أعنتنا على دهرنا؟ قال: فأخذ قفة ومضى إلى السوق ليحمل، فأتاني رجل فأعلمني فمضيت إليه فرددته وقلت: يا بني لست أريد هذا ـ أو لم أرد هذا كله ـ.

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٥٦).
(٢) سورة الرحمن، الآية (٧٢).
(٣) سورة الرحمن، الآية (٣٥).

عن فضيل: أن علياً كان يحمل على أباعر، كانت لفضيل، فنقص الطعام الذي حمله، فحبس عند المكارين، فأتى الفضيل إليهم فقال: أتفعلون هذا بعلي؟ لقد كانت لنا شاة بالكوفة، أكلت شيئاً يسيراً من علف لبعض الأمراء أو الملوك أو من يشبههم. فما شرب لها لبناً بعد ذلك. قالوا: لا نعلم هذا يا أبا علي أنه ابنك.

عن فضيل بن عياض: أنهم اشتروا شعيراً بدينار - وكان ذلك في غلاء من الشعير - فقالت أم علي للفضيل: قورته لكل إنسان قرصين، فكان علي يأخذ واحداً ويتصدق بالآخر، حتى كاد أن يصيبه الخواء أو أصابه بعض ذلك.

عن الفضيل بن عياض. قال: قال علي: يا أبت سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة، وقال لي علي: سل الذي جمعنا في الدنيا أن يجمعنا في الآخرة ثم بكى.

عن شهاب بن عباد. قال: كانوا يعودون علي بن الفضيل وهو بمنى فقال: لو ظننت أني أبقى إلى الظهر لشق علي.

عن أبي سليمان. قال: كان علي بن فضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تقرأ عليه.

أسند عن عبد العزيز بن أبي رواد وسفيان بن عيينة وغيرهما.

٤٢٣ - بشر بن السري

ومنهم الأفوه البصري. أبو عمرو بشر بن السري. سكن مكة وكان من عبادها.

عن محمود بن غيلان. قال: كان بشر بن السري أبو عمرو الأفوه البصري، سكن مكة.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت بشر بن السري يقول: ليس من أعلام الحب، أن تحب ما يبغض حبيبك.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قلت لأبي صفوان: أيما أحب إليك؟ أن يجوع الرجل فيجلس فيتفكر، أو يأكل فيقوم فيصلي؟ قال: يأكل فيقوم فيصلي ويتفكر في صلاته هو أحب إلي، فحدثت به أبا سليمان فقال: صدق، الفكر في الصلاة أفضل من الفكر في غير الصلاة، الفكر في الصلاة عملان، وعملان أفضل من عمل. قال: فحدثت به بشر بن السري فأخذ حصاة من المسجد الحرام قَدْرَ حبة فقال: لئن أتاك من الجوع الذي ذكرت مثل هذه، أحب إلي من طواف الطائفين وصلاة المصلين، وحج الحاجين.

أسند بشر عن الأئمة الثوري ومسعر والحمادين وغيرهم.

٤٢٤ ـ أبو بكر بن عياش

[ت١٩٣هـ]

ومنهم القارئ الهشاش. العابد البشاش. أبو بكر بن عياش[(١)] كان في العداد واحداً. وفي العبادة شاهداً.

عن بشر بن الحارث. قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: وهو يدعو: يا ملكي ادعوا الله لي، فإنكما أطوع لله مني.

عن سهل بن عاصم، عن أبي بكر بن عياش. قال: إن أحدهم لو سقط منه درهم، لظل يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، ولا يقول ذهب يومي ما عملت فيه؟

---

(١) توفي أبو بكر بن عياش بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقد جاوز التسعين بثلاث سنين رحمه الله (الصفوة).

عن أبي هاشم الرفاعي. قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: الخلق أربعة: معذور، ومخبور، ومجبور، ومثبور. فأما المعذور فالبهائم، وأما المخبور فابن آدم، وأما المجبور فالملائكة جبرت على الطاعة. وأما المثبور فإبليس.

عن أبي كريب. قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفي بالشهرة بلية.

عن سفيان بن عيينة. قال: قال لي أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوهة.

عن إبراهيم بن رستم الخياط، عن أبي بكر بن عياش. قال: قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً. قال أبو بكر: فما نسيتها أبداً.

عن محمد بن عبيد القرشي. قال: قال أبو بكر بن عياش: وددت أنه صفح لي عما كان مني في الشباب، وأن يدي قطعتا.

عن الحماني. قال: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة، بكت أخته فقال: لا تبك - وأشار إلى زاوية في البيت - فقد ختم أخوك في تلك الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

أسند عن الأئمة الكثيرين، منهم عاصم والأعمش وأبو حصين.

٤٢٥ - أبو الحكم سيار

ومنهم المتعبد الصبار. أبو الحكم سيار. كان رباصاً ذكاراً. ولباساً شكاراً.

عن هشيم. قال: دخلنا على سيار أبي الحكم وهو يبكي فقلنا: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي العابدين من قبلي.

عن خلف ـ يعني ابن خليفة ـ عن سيار. قال: الدنيا والآخرة. يجتمعان في قلب العبد، فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له.

عن عبد الله بن المبارك. قال: كان سيار أبو الحكم ومالك بن دينار يحبان أن يلتقيا، فقدم سيار البصرة، وكان له ثياب حسان، كان يلبسها أحياناً، فلبس يومئذ ثيابه الحسان، وتعمم بعمامة ثم دخل على مالك، وعليه وعلى أصحابه الصوف، فحدث مالك ووعظ أصحابه حتى تفرقوا، وبقي هو ومالك وهو لا يعرفه، فقال: أيها الشيخ إني لأرغب بك عن هذا اللباس، فقال مالك: أتضعني هذه عندك؟ قال: نعم، قال: فنعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس، قال: ولكن يوشك هذا، أن قد بلغا بك من الناس ما لم يبلغك من الله، فقام من محله، فجاء حتى جلس بين يديه فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: سيار أبو الحكم.

عن فضيل بن عياض. قال: دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار، وعليه ثياب جياد، فقال له مالك: مثلك يلبس هذا اللباس؟ فقال: يا مالك ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟ قال: بل تضعك، فقال: هذا التواضع، ثم قال له: يا مالك إني أخاف أن يكون قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

عن شعبة، عن سيار أبي الحكم. قال: قيل لعمي: ما حكمك؟ قال: لا أسأل عما لقيت ولا أتكلف ما لا يعنيني.

قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه: سيار هذا من التابعين واسطي الأصل، تأخر ذكره عن طبقته.

روى عن طارق بن شهاب، وقيل إن طارقاً من الصحابة، وأكثر الرواية عن الشعبي وأبي وائل وأبي حازم ويزيد الفقير وثابت البناني وغيرهم.

وروى عنه سعيد ومسعر وكان حقه أن يكون مقدماً على من دونه.

٤٢٦ ـ شيبان الراعي

ومنهم المنيب الواعي. شيبان أبو محمد الراعي.

كان في العبادة فائقاً. وبالتوكل على ربه عزّ وجلّ واثقاً.

عن محمد بن حمزة المرتضى. قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب، وليس عنده ماء، دعا ربه فجاءت سحابة فأظلت فاغتسل، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجئ فيجدها على حالتها لم تتحرك.

٤٢٧ ـ صالح بن عبد الجليل

ومنهم المستلذ بالطاعة. والمجتزي بالبلغة والقناعة. صالح بن عبد الجليل.

عن أبي سليمان. قال: سمعت صالح بن عبد الجليل يقول: ذهب المطيعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى لهم يوم القيامة: أصبتم بي في الدنيا على شهواتكم، فعندي اليوم فباشروها، وعزتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم.

عن أبي سليمان. قال: سمعت صالح بن عبد الجليل يقول: ينظر أهل البصائر إلى ملوك أهل الدنيا بالتصغير لهم، وينظر إليهم أهل الدنيا بالتعظيم لهم، والغبطة.

٤٢٨ ـ الحسين بن يحيى الحسني

ومنهم المجتهد المهني. الحسين بن يحيى الحسني.

عن أبي خالد القصاع. قال: سمعت الحسين وسئل: ما علامته في أوليائه قال: يوفقهم في دار الدنيا للأعمال التي يرضى بها عنهم.

عن أبي مسلم. قال: سمعت الحسني يقول: في قول الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1] لنرزقنه طاعة يجد لذتها في قلبه.

قال: وسمعت الحسني يقول: من أراد أن يغزر دمعه، ويرق قلبه، فليأكل وليشرب في نصف بطنه، فحدثت به أبا سليمان فقال لي: إنما جاء الحديث ثلث طعام، وثلث شراب، وأرى هؤلاء قد حاسبوا أنفسهم فربحوا سدساً.

عن أحمد بن أبي الحواري: حدثني طيب يحدث عن الحسني قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا قيد ولا غل ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليه مكتوب، فحدثت به أبا سليمان فقال لي: فكيف به إذا جمع هذا عليه كله، فجعل القيد في رجله، والغل في يده، السلسلة، ثم أدخل الدار ثم أدخل الغار؟

٤٢٩ ـ إدريس الخولاني

ومنهم العاقل الرباني. إدريس بن يحيى الخولاني.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: ما رأيت في الصوفية عاقلاً إلا إدريس الخولاني.

عن موسى بن هارون الحافظ. قال: سمعت ابن زنجويه ـ فيما أرى ـ يذكر: أن إدريس بن يحيى الخولاني كان بمصر، كبشر بن الحارث عندنا ببغداد.

---

(١) سورة النحل، الآية (٩٧).

قال موسى: ولا أظنهم كانوا يقدمون عليه أحداً.

٤٣٠ ـ المفضل بن فضالة

[ت١٨١هـ]

ومنهم الثابت العدالة. القليل الملالة. المفضل بن فضالة[(١)]. كانت له الدعوة المجابة وله الولاية والمهابة.

عن ابن رغبة. قال: حدثني من أثق به: أن المفضل بن فضالة دعا له الله عزّ وجلّ أن يذهب عنه الأمل، فذهب عنه، فلم يصبر عليه، فدعا الله أن يرده عليه.

عن ابن رغبة. قال: كان المفضل مع ضعفه طويل القيام.

٤٣١ ـ عبد الله بن وهب

[ت١٩٧هـ]

ومنهم قتيل الخوف والكرب. المحدث المصري. عبد الله بن وهب.

عن خالد بن خداش. قال: قرئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة، فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة، حتى مات بعد ثلاثة أيام، وذلك بمصر سنة سبع وتسعين ومائة.

عن أحمد بن سعيد الهمداني. قال: دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئاً يقرأ ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾[(٢)] سقط مغشياً عليه.

عن أبي الربيع الرشديني. قال: رأيت ابن وهب دخل مسجد

---

(١) قال في شذرات الذهب ١/٢٩٧: هو أبو معاوية، الفقيه، كان زاهداً ورعاً قانتاً، مجاب الدعوة، عاش أربعاً وسبعين سنة، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة.

(٢) سورة غافر، الآية (٤٧).

الفسطاط في يوم مطير فجعل يطلب إنساناً يجلس معه، فجاء إلى مؤخر المسجد فرأى سعيداً الأخرم، فقام إليه فاعتنقا جميعاً يبكيان، فسمعت ابن وهب يقول: يا أبا عثمان ذهب من كان إذا صدأت قلوبنا جلاها.

أسند عبد الله بن وهب عن الأئمة وصنف التصانيف، منهم الثوري، ومالك، وشعبة، وعمرو بن الحارث ويونس بن يزيد وهشام بن سعد وسليمان بن بلال ومخرمة بن بكير في آخرين.

٤٣٢ ـ يزيد بن عبد الملك

ومنهم الخائف الناحل الذاهب الذابل. يزيد بن عبد الملك بن موهب.

عن يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الملك بن موهب. قال: سمعت أبي يقول: كان أبي يزيد بن عبد الملك بن وهب يحسر عن ذراعيه، ثم يأخذ بجلدته فيمدها ـ ومد أبو خالد بيده اليمنى جلدة ذراعه من يده اليسرى ـ، ثم يقول: والله لأحرصن أن لا أدع لله فيك مقبلاً ـ ومد ابن قتيبة جلدة ذراعه فأرانا.

عن يزيد بن خالد. قال: سمعت مشيختنا يقولون: إن يزيد بن عبد الملك كان يأتي مسجد إبراهيم عليه السلام كل عشية جمعة على بغلته، فيرسلها تدور حوله، فإذا أراد الانصراف جاءته فركبها.

قال: وسمعت مشيخة من موالينا يقولون: إن يزيد بن عبد الملك كانت له إبل يكريها إلى مصر، فلما قدمت من مصر نزلت غزة لري الجمال في العصر: فمكث أياماً لم يقدم عليه، قال: قد بلغني قدومك منذ أيام، فما الذي أبطأ بك عنا؟ قال: أكريت في العصر، قال فخلطته مع كراء مصر، أو هو على حدته؟ قال: لا والله لقد خلطته، فأخذه فرمى به في الدار، فانتهبه الناس.

قال رجاء بن أبي سلمة: كان يزيد قلد القضاء بالشام كارهاً، وكان صلباً في الحكم، لا يأتي الولاة ولا يرفع لهم رأساً. وكانت له ضيعة تسمى ريتا، قال رجاء بن أبي سلمة: فكان إذا خوفوه بالعزل قال: أليس لي في ريتا خبز وزيت أرجع إليه.

عن سعيد بن عبد العزيز. قال: ما كان عندنا إنسان أعلم بالقضاء من يزيد بن أبي مالك، لا مكحولاً ولا غيره.

٤٣٣ ـ علي بن أبي الحر

ومنهم التارك للتافه المر. العابد الناصح علي بن أبي الحر.

عن أحمد بن أبي الحواري، عن علي بن أبي الحر. قال: شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام شبعة من خبز، فنام عن حزبه تلك الليلة، فأوحى الله تعالى إليه: هل وجدت داراً خيراً لك من داري؟ وهل وجدت جواراً خيراً لك من جواري؟ يا يحيى وعزتي لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك، ولزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المسوح.

٤٣٤ ـ عبد العزيز الدوري

ومنهم القائم المتهجد، الهائم المتعبد، عبد العزيز بن أبان الدوري.

عن ثابت مشرف بن أبان: حدثني عبد العزيز بن أبان الدوري ـ وكان من العابدين ـ قال: قمت ذات ليلة أصلي فإذا هاتف يهتف بي فيقول: يا عبد العزيز كم من حسن الصورة، نظيف الثياب يتقلب بين أطباق جهنم.

٤٣٥ ـ داود بن رشيد

ومنهم المروح بالهواتف.

عن علي بن الموفق. قال: سمعت داود بن رشيد يقول: قام أخ لي لبعض ما وهب الله له قال: وكانت ليلة شاتية شديدة البرد، وكان رث الثياب، فضربه البرد فبكى، فغلبته عيناه فإذا هو بهاتف يهتف به: أقمناك وأنمناهم ثم تبكي علينا؟.

٤٣٦ ـ عبد الله بن سعيد

ومنهم المؤدب بالعتاب. والمهذب بالخطاب.

عن أحمد بن أبي الحواري، عن عبد الله بن سعيد وكانت له عمة تبعث إليه بطعام: فأقامت ثلاثة أيام، لم تبعث إليه بشيء، فقال: يا رب، أرفعت رزقي؟ فألقي له من زاوية المسجد مزود من سويق، فقيل له: هاك يا قليل الصبر. فقال: وعزتك إذ بكتني لاذقته.

٤٣٧ ـ علي بن محمد

ومنهم المتوكل المتقاضي. المنسوب إلى الضعف. وفقد التراضي.

عن أحمد بن علي الوصافي. قال: سمعت أبا الحسين علي بن محمد يقول: كان رجل يسلك البادية على التوكل، وكان معوداً يأتيه رزقه في كل ثلاثة أيام فأبطأ عنه رزقه في اليوم الرابع والخامس، فأحس من نفسه بضعف فقال: يا رب إما قوة وإما رزق، فإذا بهاتف يهتف من وراء الجبل:

ويزعم أننا منه قريب ... وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القوي ضعفاً وعجزاً ... كأنا لا نراه ولا يرانا

٤٣٨ ـ بشر بن الحارث الحافي

[١٥٠ ـ ٢٢٧هـ]

ومنهم من حباه الحق بجزيل الفواتح. وحماه عن وبيل الفوادح. أبو نصر بشر بن الحارث الحافي[١]. المكتفي بكفاية الكافي. اكتفى فاشتفى.

عن محمد بن الصلت. قال: سمعت بشر بن الحارث ـ وسئل ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي ـ قال: هذا من فضل الله، وما أقول لكم: كنت رجلاً عياراً صاحب عصبة، فجزت يوماً فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان، ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان.

عن عبيد الوراق. قال: سمعت بشراً الحافي يقول: أدوا زكاة الحديث، فاستعملوا من كل مائتي حديث خمسة أحاديث.

عن محمد بن قدامة. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: سمعت عبد الله بن داود يقول: سمعت سفيان يقول: إنما فضل العلم على غيره ليتقى به.

عن علي بن خشرم. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: أدخل أحمد بن حنبل الكير، فخرج ذهباً أحمر.

---

(١) بشر بن الحارث الحافي، يكنى أبا نصر. ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائتين. رحل بشر في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة (الصفوة).

عن يحيى بن عثمان الحربي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، إلا من يصبر على الأذى.

عن يحيى بن عثمان الحربي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: ينبغي لهؤلاء القوم الذين يعتكفون على هذا المسكر، أن لا تقبل لهم شهادة.

عن إبراهيم بن يعقوب. قال: قال بشر بن الحارث: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله.

عن إبراهيم بن يعقوب. قال: قال بشر بن الحارث: من سأل الله تعالى الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف.

عن محمد بن يوسف. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: وقيل له مات فلان، قال: وجمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه، قيل له: إنه كان يفعل ويفعل، وذكر أبواباً من أبواب البر، فقال: ما ينفع هذا، وهو يجمع الدنيا.

عن الحسن بن سعيد. قال: كنا يوماً عند بشر بن الحارث، فجاء رجل من خراسان، فبرك قدامه فقال له: يا أبا نصر، أنا وفد خراسان، حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان، فلم يزل يتذلل له، وبشر يقول له: المحدثون كثير، فلم يزل يداريه ويجتهد به، فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له: يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: من علم وعمل وعلَّم فذلك الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء؟ قال له: كيف قلت؟ أعد علي، فأعاد عليه القول: من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء، قال له: صدقت، قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم.

عن السري. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه بالليل.

عن سري السقطي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: ما أنا بشيء من عملي أوثق به مني بحبي أصحاب محمد ﷺ، وقال: أوثق عملي في نفسي حب أصحاب محمد ﷺ.

عن حسين بن عبد الرحمن. قال: قال بشر بن الحارث: من هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ أن جعل بيته وعراً.

عن الحسن بن عمرو. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد، ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطي سراً لا يراه إلا الله عزّ وجلّ.

عن سليمان بن يعقوب. قال: قلت لبشر بن الحارث: عظني، قال: انظر خبزك من أين هو، ولا تعرض للنار.

عن أحمد بن محمد بن غزوان الهراثي. قال: قال لي بشر بن الحارث ـ سنة خمس وعشرين ومائتين ـ عليكم بالرفق والاقتصاد في النفقة، فلأن تبيتوا جياعاً ولكم مال، أحب إلي من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال.

وقال لي بشر: بلغني أنك لا تلزم السوق فالزم، فلما قمت أنصرف أعاد علي: الزم السوق.

عن محمد بن يوسف الجوهري. قال: سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال: قد ضاق علي الماء، فكيف أتكلم في النبيذ؟.

عن الفضل بن العباس الحلبي. قال: سمعت أبا نصر بشر بن الحارث ـ وذكر العلم وطلبه ـ فقال: إذا لم يعمل به فتركه أفضل، والعلم هو العمل، فإذا أطعت الله علمك، وإذا عصيته لم يعلمك، والعلم أداة الأنبياء إلى احتجابهم، فذكر أن النبي ﷺ أدى إلى أصحابه

فتمسكوا به وحفظوه وعملوا به، ثم أدوه إلى قوم فذكر من فضلهم، وأدوا أولئك إلى قوم آخرين، فذكر الطبقات الثلاث، ثم قال أبو نصر: وقد صار العلم إلى قوم يأكلون به.

عن محمد بن قدامة، عن بشر بن الحارث. قال: قال لي عيسى بن يونس حين أردت أن أفارقه: أو تحمل هذا العلم إلى تلك البلدة السوء؟.

عن القاسم بن منبه. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا تطلب علماً تهينه للناس، هذا هو الداء الأكبر.

قال: وسمعت بشراً يقول: ما خلف رجل في بيته أفضل أو خيراً من ركعتين يصليهما.

عن الحسن بن عمرو السبيعي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

عن علي بن خشرم. قال: كتب إلي بشر بن الحارث أبو نصر:

إلى أبي الحسن علي بن خشرم: السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني أسأل الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة، وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه، وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام، وأن يسلم لنا ولكم خلفاً من تلف، وعوضاً من كل رزية.

أوصيك بتقوى الله يا علي، ولزوم أمره والتمسك بكتابه، ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان، وسهلوا لنا السبل، فاجعلهم نصب عينيك، وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء، ويغنوك عن مشاهدة الملأ، فمثّل حالهم كأنك تشاهدهم، فمجالسة

أصحاب النبي ﷺ أوفق من مجالسة الموتى، ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها، فإن لم يقدر عليها جعل جليساً أن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك.

واعلم ـ علمك الله الخير وجعلك من أهله ـ أن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى، ومن يُرضَى حاله قد مضى، وأنت لاحق بهم، وأنت مطلوب ولا تعجز طالبك، وأنت أسير في يديه، وكل الخلق في كبريائه صغير، وكلهم إليه فقير، فلا يشغلنك كثرة من يحبك، وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني، وأسير لا يجد ملجأ ولا مفراً يفر إليه، وخائف مما قدمت يداه، غير واثق على ما يقدم، لا يقطع الرجاء، ولا يدع الدعاء، ولا يأمن من الفتن والبلاء، فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله، وأمدك بمعونته، وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته.

فافزع إليه في نوائبك، واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك، فإنك إذا فعلت ذلك قربك بخضوعك له، ووجدته أسرع إليك من أبويك، وأقرب إليك من نفسك. وبالله التوفيق، وإياه أسأل خير المواهب لنا ولك.

واعلم يا علي أنه من ابتلي بالشهرة، ومعرفة الناس فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها، فإنه تولى ذلك من أوليائه، ومن أراد توفيقه، وارجع إلى أقرب الأمرين بك، إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم، فإن من كان يتقى ذلك منه قد مات، وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك.

وإنما أنت في محل موتى ومقابر أحياء، ماتوا عن الآخرة، ودرست عن طرقها آثارهم، هؤلاء أهل زمانك، فتوار مما لا يستضاء

فيها بنور الله، ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله، ولا تبال من تركك منهم، ولا تأس على فقدهم.

واعلم أن حظك في بعدهم أوفر من حظك في قربهم، وحسبك الله فاتخذه أنيساً ففيه الخلف منهم، فاحذر أهل زمانك، وما العيش مع من يظن به في زمانك الخير، ولا مع من يسئ به الظن خير، وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل - تهمه نفسه - من طلعة إنسان في زمانك، لأنك منه على شرف فتنة إن جالسته، ولا تأمن البلاء إن جانبته، وللموت في العزلة خير من الحياة، وإن ظن رجل أن ينجو من الشر يأمن خوف فتنة فلا نجاة له، إن أمكنتهم من نفسك آثموك، وإن جانبتهم أشركوك فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم.

وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة، لأن السلامة فيها، وكفى بالسلامة فضلاً، اجعل أذنك عما يؤثمك صماء، وعينك عنه عمياء، احذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌۖ﴾[1] والسلام.

عن إبراهيم بن براد. قال: قال بشر بن الحارث: حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا.

عن الحسين بن عبد الرحمن. قال: قال بشر بن الحارث: لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح.

وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

عن محمد بن هارون. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إذا كان لك صديق فلا تدل عليه الفقراء لا يكسرونه عليك.

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٢).

قال: وسمعت بشر بن الحارث يقول: سكون النفس إلى المدح، وقبول المدح لها، أشد عليها من المعاصي.

عن الحسن بن عمران المروزي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول:

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور

عن أحمد بن الصلت. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا، سليماً في الآخرة: فلا يحد ولا يشهد ولا يؤم قوماً ولا يأكل لأحد طعاماً.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: رأيت بشر بن الحارث منصرفاً من جنازة مر علينا، فقمت لأنظر إليه، فرأيت عليه ثياباً متواضعة ـ أظن كان عليه فرو ـ وإذا رجل مهيب طويل الشعر، أبيض الرأس واللحية، وفي رأسه ولحيته شيء من سواد أحسب البياض أكثر من السواد، لا يخضب بشيء أحسب عليه أزير إلى هاهنا قصير.

عن يحيى بن عثمان. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: وددت أن رؤوسهم خضبت بدمائهم، وأنهم لم يجيبوا.

عن بشر بن الحارث. قال: سأل رجل ابن المبارك فقال: إن أمي لم تزل تقول: تزوج حتى تزوجت، فالآن قالت لي: طلقها، فقال: إن كنت عملت عمل البر كله وبقي هذا عليك فطلقها، وإن كنت تطلقها وتأخذ إلى مشاغبة أمك فتضرَّ بها فلا تطلقها.

عن محمد بن سهم. قال: قال أهل الحديث لبشر بن الحارث: حدثنا فأنشأ يقول:

صار أهل الحديث فيهم حديثاً إن شين الحديث أهل الحديث

عن عبد الله بن أحمد الساجي. قال: سمعت بشر بن الحارث ينشد:

أقسم بالله لرضخ النوى ... وشرب ماء القلب المالحة
أعز للإنسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن باليأس تكن ذا غنى ... مغتبطاً بالصفقة الرابحة
اليأس عز والتقى سؤدد ... ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برة ... فإنها يوماً له ذابحة

عن القاسم بن منبه. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا تعط شيئاً لمخافة ملامة الناس.

عن أبي الربيع. قال: سمعت بشراً يقول: اكتم حسناتك كما تكتم سيآتك.

عن أحمد بن الفتح. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله.

عن أحمد بن الفتح قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

عن أبي العباس السلمي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إذا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء.

قال: وسمعت بشر بن الحارث يقول: إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهواتها، وذهبت عنك شهوة الجماع عند ذكر الموت.

قال: ورأيت قدمي بشر ـ أي أسفل قدميه ـ قد اسودا من أثر التراب مما يمشي حافياً.

عن أحمد بن الفتح. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إنما

أنت متلذذ تسمع وتملي، إنما يراد من العلم العمل، استمع وتعلم واعمل وعلّم واهرب، ألم تر إلى سفيان الثوري كيف طلب العلم فعلم وعمل وعلم وهرب؟ وطلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا ليس على حبها.

عن القاسم بن منبه الحربي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إن لم تعمل فلا تعص.

عن محمد بن عبد الله. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

عن إبراهيم الحربي. قال: حملني أبي إلى بشر بن الحارث فقال: يا أبا نصر، ابني هذا مشتهر بكتابة الحديث والعلم، فقال لي: يا بني هذا العلم ينبغي أن يعمل به، فإن لم يعمل به كله فمن كل مائتين خمسة، مثل زكاة الدراهم.

وقال له أبي: أبا نصر، تدعو له؟ فقال دعاؤك له أبلغ، دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته.

قال إبراهيم: فاستحليت كلامه فاستحسنته فإذا أنا مار إلى صلاة الجمعة فإذا بشر يصلي في قبة الشعر، فقمت وراءه أركع إلى أن يؤذن بالأذان، فقام رجل رث الحال والهيئة، فقال: يا قوم احذروا أن أكون صادقاً، وليس مع الاضطرار اختيار، ولا يسع السكوت عند العدم، ولا السؤال مع الوجود، ولا فاقة رحمكم الله.

قال: فرأيت بشراً أعطاه قطعة دانق، قال إبراهيم: فقمت إليه فأعطيته درهماً فقلت: أعطني القطعة، قال: لا أفعل، فقلت: هذان درهمان، قال: ـ وكان معي عشرة دراهم صحاح ـ قلت: هذه عشرة دراهم، فقال لي: يا هذا وأي شيء رغبتك في دانق تبذل فيه عشرة صحاحاً؟ قال: قلت: هذا رجل صالح، قال: فقال لي: فأنا في

معروف هذا أرغب، ولست أستبدل بالنعم نقماً، وإلى أن آكل هذه فرح عاجل أو منية قاضية.

قال إبراهيم: فقلت: انظروا معروف من أخذ؟ فقلت يا شيخ دعوة. فقال لي: أحيا الله قلبك ولا أماته حتى يميت جسمك، وجعلك ممن يشتري نفسه بكل شيء ولا يبيعها بشيء.

عن محمد بن المثنى. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس أحد يحب الدنيا، إلا لم يحب الموت، وليس أحد يزهد في الدنيا إلا أحب الموت حتى يلقى مولاه.

عن محمد بن المثنى. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: العجب أن تستكثر عملك، وتستقل عمل الناس، أو عمل غيرك.

عن أبي بكر الباقلاني. قال: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة، فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

عن محمد بن المثنى. قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: لا ينبغي لأحد أن يذكر شيئاً من الحديث في موضع حاجة يكون له من حوائج الدنيا، يريد أن يتقرب به، ولا يذكر العلم في موضع ذكر الدنيا، وقد رأيت مشايخ طلبوا العلم للدنيا فافتضحوا، وآخرين طلبوه فوضعوه مواضعه، وعملوا به وقاموا به فأولئك سلموا فنفعهم الله تعالى.

وإذا أنت سمعت الشيء من معدن، وأخذت به، ثم سمعت غيرك يقول بخلافه فلا تماره، فإنك لا تنتفع بذلك، واعمل به لنفسك.

وقد رأيت أقواماً سمعوا من العلم اليسير فعملوا به، وآخرين

سمعوا الكثير فلم ينفعهم الله به، فكيف؟ واعلموا أنه يمنع الرزق طلب هذا الحديث.

وسمعت حفص بن غياث يقول: كنا نستغني بمجلس سفيان عن الدنيا.

قال: وسمعت حفص بن غياث يقول: كان الفقراء في مجلس سفيان هم الأمراء.

قال بشر: وكان سفيان يقول: من كان عنده شيء من معاش فليتمسك به فإنه سيأتي على الناس زمان أول ما يلقى الرجل يلقاه بدينه.

عن أبي جعفر المغازلي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس، لا تقع في ألسنة الناس، إذا سألت عن مسألة فاعمل، فإن لم تطق فاستعن بالله.

عن إبراهيم بن عبد الله. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال، ومن زهد في الدنيا على حقيقة، كانت مؤنته خفيفة، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات.

عن محمد بن حنيف. قال: وكان غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه، وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر، ولاة بغداد، ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر. فقال: آه يا آل بشر، لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم.

عن الحسن بن عمرو السبيعي. قال: سمعت بشر بن الحارث

يقول: لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، وكيف تكون خيّراً وصديقك لا يأمنك.

قال: وسمعت بشراً يقول: بي داء ما لم أعالج نفسي لا أتفرغ لغيري، فإذا عالجت نفسي تفرغت لغيري، بموضع الداء وموضع الدواء إن أعانني منه بمعونة.

ثم قال: أنتم الداء، أرى وجوه قوم لا يخافون الله متهاونين بأمر الآخرة.

عن الحسن بن عمرو السبيعي. قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا يجد العبد حلاوة العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد.

قال: وسمعت بشراً يقول: الدعاء كفارة الذنوب.

عن حسن المسوحي. قال: رآني بشر بن الحارث يوماً وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي فقال:

قطعُ الليالي مع الأيام في خَلِق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق
احرى واعذرني من أن يقال غداً ... إني التمست الغنى من كف مختلق
قالوا رضيت بذا قلت القنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري ... فلست أسلك إلا واضح الطرق

عن بشر بن الحارث. قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: سمعت منصوراً يقول: سمعت إبراهيم يقول: عليك بمجالسة القراء والتفقه في الدين، واحذر عصابة يأتونك في طلب الحديث فإنهم إن صدقوك شغلوك عن النوافل، وإن كذبوك شغلوا قلبك، فاحتجت تتصنع لهم، وتعيدهم لهواك، حتى يتركوك فتذهب الفرائض.

أسند بشر عن أعلام عن الرواة مع كراهيته للرواية ورغبته عنها.

٤٣٩ ـ معروف الكرخي

[ت٢٠٠هـ]

ومنهم الملهوف إلى المعروف، عن الفاني مصروف. وبالباقي مشغوف. وبالتحف محفوف، وللطف مألوف. الكرخي أبو محفوظ معروف.

عن محمد بن مسلمة اليامي. قال: معروف الكرخي لرجل: توكل على الله حتى يكون هو معلمك، وأنيسك وموضع شكواك، وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقنك، واعلم أن الشفاء من كل بلاء نزل بك كتمانُه، فإن الناس لا ينفعونك، ولا يضرونك، ولا يمنعونك، ولا يعطونك.

عن أبي بكر بن أبي طالب. قال: دخلت مسجد معروف ـ وكان في منزله ـ فخرج إلينا ونحن جماعة فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرددنا عليه السلام فقال: حياكم الله بالسلام، ونعَّمنا وإياكم في الدنيا بالأحزان، ثم أذن، فلما أخذ في الأذان اضطرب وارتعد حين قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقام شعر حاجبيه ولحيته، حتى خفت أن لا يتم أذانه، وانحنى حتى كاد أن يسقط.

عن إبراهيم بن الجنيد، عن شيخ ذكره. قال: كان من دعاء معروف: لا تجعلنا بين الناس مغرورين، ولا بالستر مفتونين، اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حق خشيتك.

عن محمد بن أبي القاسم مولى بني هاشم. قال: قال معروف الكرخي: إنما الدنيا قدر تغلي، وكنيف يرمي.

عن إبراهيم البكاء. قال: سمعت معروفاً الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح الله عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل،

وإذا أراد بعبد شراً، أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل.

عن يعقوب ابن أخي معروف. قال: سمعت عمي معروفاً يقول: كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان من الله تعالى.

عن الحسن بن منصور. قال: كان حجام يأخذ من شارب معروف، وكان معروف يسبح فقال الحجام: لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح، فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل؟.

عن أبي بكر الزجاج. قال: قيل لمعروف الكرخي في علته: أوص، فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلت إليها عرياناً.

عن عيسى أخي معروف الكرخي. قال: قلت لمعروف الكرخي: أخي لو قعدت على الدقيق، لأمضي في حاجة، فقال لي: بشرط أن لا أمنع سائلاً، قلت: نعم، وأنا أظن أنه يعطي الكف والأكثر والأقل، قال: فرجعت فإذا هو قد تصدق بشيء كثير، ما بين المكوك والزيادة. قال: فاحمرت وجنتاي، فلما نظر إلي قال: لست عائداً إلى هذا الموضع، فلما تقدمت إلى الصندوق فإذا المجرى بلا دراهم.

عن عبد الجبار بن عبد الله. قال: دعا معروفاً الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة، وكان قدامه بعض السياح، فأخذ معروف بيده، فلما رأى السائح تلك الألوان أنكرها، وقال: يا أبا محفوظ أما ترى ما هاهنا؟ قال: ما أمرتهم بشراه، فلما رأى الحلواء قال: سبحان الله يا أبا محفوظ، أما ترى ما هاهنا؟ قال: ما أمرتهم بصنعته، فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال: أما ترى ما هاهنا؟ قال معروف: قد أكثرت عليَّ، أنا عبد مدبَّر آكل ما يطعمني، وأنزل حيث ينزلني.

قال الشيخ: وقال ابن أخت معروف قلت له: يا خال أراك تجيب كل من دعاك، فقال: يا بني خالك ضيف ينزل حيث ينزَّل.

عن محمد بن منصور الطوسي. قال: رآني معروف الكرخي ومعي ثوب فقال لي: يا محمد ما تصنع بهذا؟ قلت: أقطعه قميصاً، فقال: اقطعه قصيراً تربح فيه ثلاث خصال: أولها اللحوق بالسنة، والثاني يكون ثوبك نظيفاً، والثالث تربح خرقة.

عن أحمد الدورقي. قال: قعد معروف الكرخي على شط الدجلة فتيمم، فقيل له: الماء قريب منك، فقال: لعلي لا أعيش حتى أبلغه.

عن محمد بن منصور الطوسي. قال: سمعت معروفاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من طول الأمل، فإن طول الأمل يمنع خير العمل.

عن أسود بن سالم. قال: سمعت معروفاً يقول: سمعت بكر بن خنيس يقول: اشتر وبع ولو برأس المال، فإنه ينمو كما ينمو الزرع.

عن سلمة بن غفار، عن معروف الكرخي: أنه كان يقول عند ذكر السلطان: اللهم لا ترنا وجه من لا تحب النظر إليهم.

عن موسى بن إبراهيم. قال: حضرت معروفاً وعنده رجل يذكر رجلاً وجعل يغتابه، وجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

عن عبيد بن محمد الوراق. قال: ربما كنا مع أبي محفوظ في المجلس، وهو قاعد يتفكر، ثم يفزع ويقول: أعوذ بالله.

قال: وكنا نجالسه وليس فيه فضل من التفكر.

قال: وما رأيته متنفلاً قط. إلا يوم جمعة ركعتين خفيفتين.

قال: ومرَّ معروف بسقاء يقول: رحم الله من شرب، فتقدم فشرب، فقيل له: أما كنت صائماً؟ قال: بلى، ولكني رجوت دعاءه.

عن أحمد بن إبراهيم: حدثني أبو محفوظ معروف قال: سمعت

بكراً ـ يعني ابن خنيس ـ يقول: كيف يكون تقياً من لا يدري من يتقي؟

ثم قال معروف: إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة لم تغض بصرك، وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك، وقد قال النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة: (إذا رأيت أمتي قد اختلفت فاعمد إلى سيفك فاضرب أُحداً).

ثم نظر معروف إلى جوف الدهليز الذي هو على بابه جالس، وقال: ينبغي لنا أن نتقيه.

ثم قال: وصحبتكم معي من السخاء إلى هاهنا، كان ينبغي لنا أن نتقيه، أليس جاء في الحديث (فتنة للمتبوع وذلة للتابع).

عن أبي محمد. قال: سمعت معروفاً يقول: ما أبالي امرأة رأيت أو حائطاً.

عن إسماعيل بن شداد ـ وكان من المصلين ـ قال: قال لنا ابن عيينة: من أين أنتم؟ قلنا من أهل بغداد، قال: فما فعل ذلك الحبر؟ قلنا من؟ قال: معروف، قال: لا تزالون بخير ما دام فيكم.

عن عبد الله بن محمد الأنصاري. قال: سمعت معروفاً الكرخي يقول: ودع رجل البيت فقال: اللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك.

ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتاً: ما أحصينا مذ قلتها عام أول.

❁ ❁ ❁

قرأت من خط والدي رحمة الله تعالى عليه:

سئل معروف الكرخي عن حقيقة الوفاء فقال: إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن فضول الآفات.

وقال معروف: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق.

وسئل معروف بم تخرج الدنيا من القلب؟ فقال: بصفاء الود، وحسن المعاملة، وللصفاء علامات ثلاث، وفاء بلا خلاف، وعطاء بلا سؤال، ومدح بلا جود، وعلامة الأولياء ثلاثة: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.

وقال معروف: ليس للعارف نعمة، وهو في كل نعمة.

وكان كثيراً ما يعاتب نفسه ويقول: يا مسكين كم تبكي وتندب؟ اخلص وتخلص.

وقال: السخاء إيثار ما يحتاج إليه عند الإعسار.

وقال رجل: ما شكرت معروفي، فقال له: كان معروفك من غير محتسب فوقع عند غير شاكر.

قال الشيخ رحمه الله: كان معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه وعى العلم الكثير، فشغلته الوعاية عن الرواية.

٤٤٠ ـ وكيع بن الجراح

[١٢٩ ـ ١٩٧هـ]

ومنهم النصاح. والمفهم المفصاح. أبو سفيان وكيع بن الجراح[١].

---

(١) كان مولد وكيع سنة تسع وعشرين ومائة، وتوفي بعد رجوعه من الحج، في محرم سنة سبع وتسعين ومائة، وهو ابن ست وستين سنة (الصفوة).

عن جرير. قال: جاءني ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عني ثم قال لي: رجل المقرئين ابن الجراح - يعني وكيعاً -.

عن أحمد بن حنبل. قال: حدثنا وكيع، ولو رأيت وكيعاً رأيت رجلاً لم تر بعينيك مثله قط.

عن يحيى بن معين. قال: سمعت وكيعاً يقول: ذهبت إلى أبي بكر بن عياش ومعي أحمد، فانتخبت عليه أحاديث، فلما حدثنا به وقمنا، قال أبو بكر لإنسان: تدري ما انتخب هذه الأحاديث؟ انتخبها رجل أي رجل.

عن يحيى بن يمان. قال: سمعت سفيان الثوري - ونظر إلى وكيع بن الجراح - إن هذا الرؤاسي لا يموت حتى يكون له شأن. قال فذهب سفيان وقعد وكيع مكانه.

عن سلم بن جنادة. قال: جالست وكيع بن الجراح سبع سنين، فما رأيته بزق، وما رأيته مس والله حصاة بيده، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

عن الحسين بن أبي زيد. قال: صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة، فما رأيته متكئاً، ولا رأيته نائماً في محمله.

عن محمد بن أبي الصباح. قال: كان وكيع بن الجراح إذا أراد أن يحدث احتبى، فإذا احتبى سأله أصحاب الحديث، فإذا نزع الحبوة لم يسألوه، وكان إذا حدث استقبل القبلة.

عن القعنبي. قال: كنا عند حماد بن زيد - لا أعلمه إلا سنة سبعين - وعنده وكيع، فلما قام قالوا: هذا راوية سفيان؛ فقال: هذا إن حدث أرجح من سفيان.

عن إبراهيم بن شماس. قال: سمعت وكيع بن الجراح يقول: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها، لم يكن وقَّرها. وقال وكيع: من تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه.

عن مروان. قال: ما وصف لي أحد إلا رأيته دون الصفة إلا وكيع، فإنه فوق ما وصف لي.

عن محمد بن البيهقي. قال: سمعت وكيعاً يقول ـ وقد جاءه رجل يناظره في شيء من أمر المعاش أو الورع ـ: فقال له وكيع: من أين تأكل؟ قال: ميراثاً ورثته عن أبي، قال: من أين هو لأبيك؟ قال: ورثه عن أبيه. قال: من أين هو كان لجدك؟ قال: لا أدري.

فقال له وكيع: لو أن رجلًا نذر لا يأكل إلا حلالاً، ولا يلبس إلا حلالاً، ولا يمشي إلا في حلال، لقلنا له: اخلع ثيابك وارم بنفسك في الفرات، ولكن لا تجد إلا السعة.

ثم قال وكيع: لو أن رجلًا بلغ في ترك الدنيا مثل سلمان وأبي ذر وأبي الدرداء ما قلنا له زاهداً، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض، والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا: حلال، وحرام، وشبهات، فالحلال: حساب، والحرام: عذاب، والشبهات: عتاب.

فأنزل الدنيا بمنزل الميتة، خذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حراماً كنت قد أخذت منها ما يقيمك، لأنه لا يحل لك من الميتة إلا قدر ما يقيمك، وإن كانت شبهات كان فيها عتاب يسير.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت وكيعاً يقول: إنما العاقل من عقل عن الله أمره، ليس من عقل أمر دنياه.

عن عبد الله بن خبيق. قال وكيع: هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق.

عن مليح بن وكيع. قال: لما نزل بأبي الموت، أخرج إلي يده فقال: يا بني ترى يدي، ما ضربت بها شيئاً قط.

عن يحيى بن معين. قال: والله ما رأيت أحداً يحدث لله غير وكيع، وما رأيت رجلاً أحفظ من وكيع، ووكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.

عن جرير الرازي. قال: قدم ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن من خلفت بالعراق؟ قال: وكيع، قلت: ثم من؟ قال: ثم وكيع.

أسند وكيع عن الأئمة والأعلام ما لا يحد له من الصفات ولا يعد.

٤٤١ ـ يحيى بن سعيد القطان

[ت١٩٨هـ]

ومنهم الإمامان. القرينان. الحافظان على الناس السنن والبيان. عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان[1]. رضي الله تعالى عنهما.

كانا للنسك كاتمين. وبحقائق الدين عارفين. ولصحاح السنن ناقدين. ولأهل الزيغ متباغضين. وللعباد والنساك متحابين. ولمحمد بن يوسف عروس الزهاد متواخيين.

عن يحيى بن سعيد. قال: ما كتبت عن سفيان الثوري عن الأعمش، أحب إلي مما سمعت عن الأعمش.

عن هشام بن عبد الملك. قال: قلت ليحيى بن سعيد: رأيت

(١) توفي يحيى بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة، رحمه الله (الصفوة).

أحداً أحسن حديثاً من شعبة؟ قال: لا، قلت: كم صحبته؟ قال: عشرين سنة.

عن عبيد الله بن سعيد. قال: سمعت يحيى بن سعيد أبا سعيد يقول: كان من أدركت من الأئمة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

عن علي بن عبد الله. قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: القدر، والعلم، والكتاب عندنا واحد، وسمعته - وسأله ابنه محمد - فقال: يا أبت المعاصي تقدر؟ فقال: المعاصي تقدر.

عن شاذي بن يحيى. قال: قال يحيى بن سعيد القطان: من زعم أن قل هو الله أحد مخلوق فهو زنديق، والله الذي لا إله إلا هو.

عن علي بن عبد الله. قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: مات موسى الصغير خلف المقام وهو ساجد، قلت: شهدته؟ قال: كنت بمكة فقالوا: مات وهو ساجد، قلت: شهدته؟ قال: كنت بمكة فقالوا: مات وهو ساجد.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: المثبت عندنا بالعراق ثلاثة، يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح.

عن عمرو بن علي. قال: كان هجير يحيى بن سعيد إذا سكت ثم تكلم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾[1] قال: فقلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه: يعافيك الله إن شاء الله، فقال: أحبه إلي أحبه إلى الله.

عن علي بن عبد الله. قال: كنا عند يحيى بن سعيد، فلما خرج

---

(١) سورة ق، الآية (٤٣).

من المسجد، خرجنا معه، فلما صار بباب داره قام وقمنا معه، فانتهى إلينا الروبي فقال يحيى لما رآه: ادخلوا، فدخلنا فقال للروبي: اقرأ واقرأ علي سورة على نحو ما، فقرأ حم الدخان فلما أخذ في القراءة، نظرت إلى يحيى بن سعيد، يتغير، حتى لما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾[1] صعق يحيى وغشي عليه، وارتفع صدره من الأرض، فتقوس، ورفع صدره وكان باب قريباً منه فانقلب فأصاب الباب، فغار صدره وسال الدم، فصرخ النساء وخرجنا إلى باب الدار، ووقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات رحمة الله تعالى عليه.

أسند يحيى بن سعيد عن العمد والأوتاد، الأئمة الذين هم سرج البلاد، وعن جماعة من التابعين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

٤٤٣[2] ـ عبد الرحمن بن مهدي

[١٣٥ ـ ١٩٨هـ]

ومنهم الإمام الرضي. والزمام القوي. ناقد الآثار. وحافظ الأخبار. عبد الرحمن بن مهدي[3]. كان للسنن والآثار تابعاً، وللآراء والأهواء دافعاً.

عن عبيد الله بن عمر القواريري. قال: أملى علي عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً.

---

(١) سورة الدخان، الآية (٤٠).

(٢) سقط من الأصل الرقم ٤٤٢.

(٣) عبد الرحمن بن مهدي، ويكنى أبا سعيد العنبري، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة (الصفوة).

عن أحمد بن حنبل. قال: كأن عبد الرحمن بن مهدي خلق للحديث.

عن الهناء بن يحيى. قال: سألت أحمد بن حنبل أيهما أفقه: عبد الرحمن، أو يحيى بن سعيد؟ فقال: عبد الرحمن بن مهدي.

عن عبيد الله بن سعيد. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ربما كنت أماشي عبد الله بن المبارك فأذاكره بالحديث، فيقول: لا تبرح حتى أكتبه.

عن عبيد الله بن سعيد قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: احفظ، لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: يحرم على الرجل أن يقول في أمر الدين إلا شيئاً سمعه من ثقة - يعني بذلك أصحاب الرأي -.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: كان يقال: إذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم، كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ: الإتقان.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: يحرم على الرجل أن يروي حديثاً في أمر الدين، حتى يتقنه ويحفظه، كالآية من القرآن، أو كاسم الرجل.

قال: وسمعت عبد الرحمن وسئل عن رجل محدث ثقة هو؟

قال: دعه لا تزيده، ولا تحدثني عنه، قال: لمه؟ قال: تولدت أحاديثه - يعني زادت -.

وسمعت أبا عبد الرحمن وذكر عنده المحدثون فقال: لهذا الأمر قوم، وقال: العلم كثير والعلماء قليل.

عن علي بن عبد الله. قال: سمعت ابن مهدي يقول: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الأكل والشرب.

عن علي بن المديني. قال: كان علم عبد الرحمن بن مهدي في الحديث كالسحر. وقال نعيم بن حماد: قلت لابن مهدي: كيف تعرف صحيح الحديث من سقيمه؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون.

عن أبي قدامة السرخسي. قال: سمعت ابن مهدي يقول: مسألة حديث، أحب إلي من أن أستفيد عشرة أحاديث.

عن عبد الله بن عمر. قال: سمعت ابن مهدي يقول: يحرم على الرجل أن يفتي إلا في شيء سمعه من ثقة.

عن عبيد الله بن عمر القواريري. قال: كان عبد الرحمن بن مهدي يعرف حديثه وحديث غيره، وكان يحيى بن سعيد يعرف حديثه.

عن زياد بن أيوب. قال: كنا في مجلس هشيم، فلما قام أخذ أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلف بن سالم، بيد فتى أمَّنا، فأدخلوه مسجداً، وكتبوا عنه وكتبنا. فإذا هو عبد الرحمن بن مهدي.

عن خالد بن خداش. قال: كنت عند حماد، أنا وخويل، فجاء عبد الرحمن بن مهدي فجلس، ثم قام، فقال حماد: هذا من الذين لو أدركهم أيوب لأكرمهم.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي

يقول: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن العنبري، وهو يومئذ قاضي البصرة، وموضعه في قومه، وقدره عند الناس، فتكلم في شيء فأخطأ، فقلت ـ وأنا يومئذ حدث ـ ليس هكذا، يا أبي عليك بالأثر، فتزايد علي الناس، فقال عبيد الله: دعوه، وكيف هو؟ فأخبرته فقال: صدقت يا غلام، إذاً أرجع إلى قولك وأنا صاغر.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ـ وضحك رجل في مجلسه وسمعه ـ فقال: من هذا الذي يضحك؟ فأعاد مراراً، فأشاروا إلى رجل، فأقبل عليه وهو يقول: تطلب العلم وأنت تضحك؟ مرتين، لاحدثتكم شهرين. فقام الناس فانصرفوا.

ولا أعلم أني رأيت عبد الرحمن ضاحكاً شديداً بقهقهة، إلا التبسم فإن خشي عليه أن يغلبه أمسك على فمه.

قال: وسمعت عبد الرحمن قال لرجل: لا أفعل، ثم سأله الرجل فقال: إني قد قلت لا أفعل، قال: إنك لم تحلف قال: هذا أشد، لو حلفت لكفرت.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: فتنة الحديث أشد من فتنة المال، وفتنة الولد تشبه فتنته، كم من رجل يظن به الخير، قد حمله فتنة الحديث على الكذب.

عن محمد بن المهاجر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: من قال القرآن مخلوق، فلا تصل خلفه، ولا تمش معه في طريق، ولا تناكحه.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان الهاشمي: مكانك. فقعد حتى تفرق الناس. ثم قال له: يا بني، تعرف ما في هذه الكورة من الأهواء والاختلاف، وكل ذلك يجري منك على بال رخي إلا أمرك،

وما بلغني فإن الأمر لا يزال هيناً ما لم يصل إليكم - يعني السلطان - فإذا صار إليكم جل وعظم.

قال: يا أبا سعيد وما ذاك؟ قال: بلغني أنك تتكلم في الرب وتصفه وتشبه.

قال الغلام: نعم يا أبا سعيد، نظرنا فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن ولا أولى من الإنسان، فأخذ يتكلم في الصفة.

فقال له عبد الرحمن: رويدك يا بني، حتى نتكلم أول شيء في المخلوق، فإن عجزنا عن المخلوق فنحن عن الخالق أعجز، أخبرني عن حديث حدثنيه شعبة عن الشيباني قال: سمعت سعيد بن[1] جبير قال: قال عبد الله في قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[2] قال: رأى جبريل له ستمائة جناح. فبقي الغلام ينظر، فقال له عبد الرحمن: يا بني فإني أهون عليك المسألة، وأضع عنك خمسمائة وسبعاً وتسعين جناحاً، صف لي خلقاً بثلاثة أجنحة، ركب الجناح الثالث منه موضعاً غير الموضعين الذين ركبهما الله عزّ وجلّ، حتى أعلم.

فقال: يا أبا سعيد قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفة الخالق أعجز، فأشهدك أني قد رجعت عن ذاك وأستغفر الله.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أجلس يوم الجمعة في مسجد الجامع فيجلس إلي الناس، فإذا كانوا كثيراً فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: هذا مجلس سوء لا تعد إليه. قال: فما عدت إليه.

قال: وسمعت عبد الرحمن يوماً وقام المجلس، وتبعه الناس،

---

(١) قال في حاشية الأصل: والصواب «سمعت ذراً» كما في شرح السنة.

(٢) سورة النجم، الآية (١٨).

فقال: يا قوم لا تطؤوا عقبي ولا تمشوا خلفي، ووقف فقال: حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: إن خفق النعال خلف الأحمق قلَّ ما يبقي من دينه.

قال: وسمعت عبد الرحمن وحضرته فذكر له رجل من أهل المسجد من خزاعة كأنه وقع فيه أو ذكر أنه قال: أستجير الله في الأعمش، فنال القوم منه، فإذا نحن بالرجل الذي ذكر قد أقبل، فلما سلم عليه، رحب به وقربه وأجلسه إلى جنبه وطلق إليه، وصرف الناس عنه، قلت له: أبا سعيد أما تعرف الرجل الذي أجلسته إلى جنبك، هو الذي وقع فيك ونال منك؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

عن يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي: أن أباه قام ليلة ـ وكان يحيي الليل كله ـ فلما طلع الفجر، رمى بنفسه على الفراش، فنام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فقال: هذا مما جنى علي هذا الفراش، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض وجلده شيئاً شهرين. فقرح فخذيه جميعاً.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، وسئل عن الرجل يتمنى الموت، قال: ما أرى بذلك بأساً، إذ يتمنى الموت الرجل مخافة الفتنة على دينه، ولكن لا يتمنى الموت من ضرٍّ به أو فاقة أو شيء مثل هذا.

ثم قال عبد الرحمن: تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما.

وسمعته ونحن مقبلون من جنازة عبد الوهاب فقال: إني لأشم ريح فتنة، إني لأدعو الله أن يسبقني بها.

---

(١) - سورة فصلت، الآية (٣٤).

وسمعته يقول: كان لي أخوان فماتوا ودفع عنهم شر ما نرى، وبقينا بعدهم، وما بقي لي أخ إلا هذا الرجل ـ يحيى بن سعيد ـ وما يغبط اليوم إلا مؤمن في قبره.

عن عبد الرحمن بن عمر. قال: كان عبد الرحمن يحج كل سنة، فمات أخوه وأوصى إليه وقبل وصيته، وقام على أيتامه وترك الحج.

أسند عبد الرحمن بن مهدي عن الأئمة والأعلام. وأدرك من التابعين عدة منهم المثنى وسعيد وأبو خلدة ويزيد بن أبي صالح وداود بن قيس وصالح بن درهم وجرير بن حازم. وحدث عنه الأئمة الذين حدث عنهم. وحدث عن شعبة والثوري وحدثا عنه وحدث عن مالك بن أنس وحماد بن زيد وحدث عنه من الأعلام ابن المبارك ويحيى القطان وأبو داود الطيالسي وعبد الله بن وهب الفريابي.

٤٤٤ ـ الإمام الشافعي

[١٥٠ ـ ٢٠٤هـ]

ومنهم الإمام الكامل. العالم العامل. ذو الشرف المنيف. والخلق الظريف له السخاء والكرم. وهو الضياء في الظلم. أوضح المشكلات، وأفصح عن المعضلات. المنتشر علمه شرقاً وغرباً. المستفيض مذهبه براً وبحراً. المتبع للسنن والآثار. والمقتدي بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار. اقتبس عن الأئمة الأخيار. فحدث عنه الأئمة الأحبار. الحجازي المطلبي. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

حاز المرتبة العالية، وفاز بالمنقبة السامية. إذ المناقب والمراتب، يستحقها من له الدين والحسب، وقد ظفر الشافعي رحمه الله تعالى بهما جميعاً، شرف العلم العمل به، وشرف الحسب قربه من رسول الله ﷺ، فشرفه في العلم ما خصه الله تعالى به من

تصرفه في وجوه العلم، وتبسطه في فنون الحكم، فاستنبط خفيات المعاني، وشرح بفهمه الأصول والمباني.

عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني. قال:

أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام عندنا سنتين ثم خرج إلى مكة ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين فأقام عندنا أشهراً ثم خرج.

وكان يخضب بالحناء، وكان خفيف العارضين.

عن الربيع. قال: مات الشافعي سنة أربع ومائتين.

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم. قال: قال لي الشافعي: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين.

عن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي يقول: أتيت مالكاً وقد حفظت الموطأ، فقال لي: اطلب من يقرأ، قلت: لا عليك أن تستمع قراءتي، فإن خفَّت عليك وإلا طلبت من يقرأ لي، فقال لي: اقرأ، فقرأت لنفسي فكان الشافعي يقول: أخبرنا مالك.

عن الربيع. قال: سمعت الشافعي يقول: أتيت مالكاً وأنا ابن ثنتي عشرة سنة لأقرأ عليه الموطأ، فاستصغرني، فذكر مثله.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: ما نظرت في موطأ مالك إلا ازددت فهماً.

عن هارون بن سعيد. قال: سمعت الشافعي يقول: ما كتاب بعد كتاب الله تعالى أنفع من كتاب مالك بن أنس.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: إذا جاء مالك، فمالك كالنجم.

عن أبي بكر بن إدريس - وراق الحميدي - عن الشافعي. قال: كنت يتيماً في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن، دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح، فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة.

عن الزبير بن سليمان القرشي يذكر، عن الشافعي. قال: طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد، كنت أجالس الناس وأتحفظ، ثم اشتهيت أن أدون، وكان منزلنا بمكة بقرب شعب الخيف، فكنت أجمع العظام والأكتاف، فأكتب فيها حتى امتلأ من دارنا من ذلك جباب.

عن عمرو بن سوادة. قال: قال الشافعي: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلي وكثيري، وحلي ابنتي وزوجتي، ولم أرهن قط.

قال: وكان أسخى الناس على الطعام والدينار والدرهم.

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرني بعض أصحابنا: أن الشافعي. قال: لم يكن لي مال، كنت أطلب العلم في الحداثة، فكنت أذهب إلى الديوان، أستوهب الظهور أكتب عليها.

عن عمرو بن سوادة. يقول: قال الشافعي: كانت نهمتي في شيئين، في الرمي وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من العشرة عشرة وسكت عن العلم فقلت: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي.

عن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي يقول: حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ليس عليه إلا سماعي.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه: ذكر الأئمة والعلماء له:

عن الحسن بن محمد الزعفراني. قال: قال محمد بن الحسن: إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعي ـ يعني لما وضع كتابه

عن أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي. قال: سمعت أبي وعمي يقولان: كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا يُسأل عنها، التفت إلى الشافعي فيقول: سلوا هذا.

عن إبراهيم بن محمد الشافعي. قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول في حديث النبي ﷺ: (إنما هي صفية) ما هذا من النبي ﷺ للتهمة، لو اتهماه لكفرا، هذا من النبي ﷺ على الأدب، يقول: إذا مر أحدكم على رجل يكلم امرأة وهي منه بنسب فليقل: إنها فلانة وهي مني بنسب. فقال ابن عيينة: جزاك الله خيراً أبا عبد الله.

عن أبي معين. قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: سأل رجل سفيان بن عيينة عن من نفخ في صلاته ما كفارته؟ قال: فسأل سفيان الشافعي ـ وكان في مجلسه ـ فقال الشافعي: نفخ ن ف خ ثلاثة أحرف. يكفره سبحان هو أربعة أحرف، لكل حرف من ذلك حرف من هذا وزيادة حرف. قال الله عزّ وجلّ: الحسنة بعشر أمثالها. فقال سفيان بن عيينة: وددت أني كنت أحسن مثلها.

عن يحيى بن سعيد. قال: أنا أدعو الله في صلاتي للشافعي منذ أربع سنين.

عن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي يقول: كان محمد بن الحسن يقرأ علي جزءاً، فإذا جاء أصحابه قرأ عليهم أوراقاً، فقالوا له: إذا جاء هذا الحجازي قرأت عليه جزءاً، وإذا جئنا قرأت علينا أوراقاً؟ قال: اسكتوا، إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد.

عن مسلم بن خالد قال للشافعي: افت يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي. وهو ابن خمس عشرة سنة.

عن أحمد بن محمد الشافعي. قال: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء ابن أبي رباح، وبعد عطاء لعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وبعد ابن جريج لمسلم بن خالد الزنجي، وبعد مسلم لسعيد بن سالم القداح، وبعد سعيد لمحمد بن إدريس الشافعي وهو شاب.

عن الحميدي. قال: سمعت سيد الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي.

عن أيوب بن سويد الرملي. قال: ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثل الشافعي.

عن سويد بن سعيد. قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فجاء محمد بن إدريس فجلس، فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً، فغشي على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان قد مات محمد بن إدريس، فقد مات أفضل أهل زمانه.

عن قتيبة بن سعيد. قال: مات الشافعي وماتت السنة.

عن الزعفراني. قال: حج بشر المريسي سنة إلى مكة ثم قدم فقال: لقد رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيباً ـ يعني الشافعي ـ.

عن الحسن بن علي الرازي. قال: سألت محمد بن عبد الله بن

نمير فقلت: أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا! ولا كتابه. قال فقلت: رأي من أكتب؟ قال: رأي مالك والأوزاعي والثوري، ورأي الشافعي.

عن الحميدي. قال: كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأي، فلم نحسن كيف نرد عليهم، حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا.

عن محمد بن مردويه. قال: سمعت الحميدي يقول: صحبت الشافعي إلى البصرة، فكان يستفيد مني الحديث، وأستفيد منه المسائل.

عن سعد بن عبد الله بن عبد الحكم. قال: سمعت أبي يقول: ما رأت عيناي مثل الشافعي.

عن أحمد بن روح الزعفراني. قال: كنت مع يحيى بن معين في جنازة، فقال له رجل: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ قال: دع هذا عنك، لو كان الكذب له مطلقاً، لكانت مروءته تمنعه أن يكذب.

عن محمد بن مسلم بن واره. قال: قدمت من مصر فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه، قال: كتبت كتب الشافعي؟ قلت: لا. قال: فرطت، ما علمنا المجمل من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه، حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك إلى أن رجعت إلى مصر، وكتبتها ثم قدمت.

عن ابن راهويه. قال: كنت مع أحمد بمكة فقال: تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله. فأراني الشافعي.

عن الفضيل بن زياد ينبئ عن أحمد بن حنبل. فقال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي.

عن محمد بن الليث. قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما صليت صلاة منذ كذا سنة إلا وأنا أدعو للشافعي.

عن محمد بن عبد الرحمن الدينوري. قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كانت أنفس أصحاب الحديث في أيدي أبي حنيفة ما تبرح، حتى رأينا الشافعي، وكان أفقه الناس في كتاب الله وفي سنة رسوله، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث.

قال: وسمعت ذئباً يقول: كنت مع أحمد بن حنبل في المسجد الجامع فمر حسين - يعني الكرابيسي - فقال: هذا - يعني الشافعي - رحمة من الله، لأنه من آل محمد ﷺ. ثم جئت إلى حسين فقلت: ما تقول في الشافعي؟ فقال: ما أقول في رجل أسدى إلى أفواه الناس الكتاب والسنة والاتفاق؟ ما كان ندري ما الكتاب والسنة نحن ولا الأولون حتى سمعت من الشافعي الكتاب والسنة والإجماع.

قال: وسمعت محمد بن الفضل البزار يقول: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت معه في مكان واحد، - أو في دار بمكة - وخرج أبو عبد الله باكراً وخرجت أنا بعده، فلما صليت الصبح درت في المسجد، فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، حتى وجدته عند شاب أعرابي، وعليه ثياب مصبوغة، حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: أبا عبد الله! تركت ابن عيينة، وعنده الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، ومن التابعين ما الله به عليم؟ قال: اسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا في فهمك، إن فاتك عقل هذا الفتى، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي. قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

❁ ❁ ❁

عن أبي توبة البغدادي. قال: رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام. فقلت يا أبا عبد الله! هذا سفيان بن عيينة في

ناحية المسجد يحدث. فقال: هذا يفوت ـ يعني الشافعي ـ وذاك لا يفوت ـ يعني ابن عيينة ـ.

عن محمد بن ماجه القزويني. قال: جاء يحيى بن معين يوماً إلى أحمد بن حنبل، فبينا هو عنده إذ مر الشافعي على بغلته، فوثب أحمد، فسلم عليه وتبعه، فأبطأ ويحيى جالس، فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبد الله! لمَ هذا؟ فقال أحمد: دع هذا عنك، إن أردت الفقه فالزم ذنب البغلة.

عن أبي العباس الساجي. قال: سمعت أحمد بن حنبل ما لا أحصيه في المناظرة تجري بيني وبينه وهو يقول: هكذا قال أبو عبد الله الشافعي. ومن ذلك أنه كان يقول: سجدتا السهو قبل السلام في الزيادة والنقصان.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي.

عن عبد الملك بن حبيب بن ميمون بن مهران. قال: قال لي أحمد بن حنبل: مالك لا تنظر في كتب الشافعي؟ فما من أحد وضع الكتب أتبع للسنة من الشافعي.

عن الحسن بن محمد الصباح. قال: قال لي أحمد بن حنبل: إذا رأيت أبا عبد الله الشافعي قد خلا فأعلمني. قال: فكان يجيئه ارتفاع النهار فيبقى معه.

عن حميد بن أحمد البصري. قال: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله! لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، وحجته أثبت شيء فيه. ثم قال: قلت للشافعي: ما تقول في مسألة كذا وكذا؟ فأجاب. قلت: من أين قلت، هل فيه حديث أو كتاب؟ قال: بلى! فرفع في ذلك حديثاً للنبي ﷺ وهو حديث نص.

عن الفضل بن زياد، عن أبي طالب. قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت أتبع للحديث من الشافعي.

عن إسحاق بن راهويه. قال: كتبت إلى أحمد بن حنبل، وسألته أن يوجه إلي من كتب الشافعي ما يدخل في حاجتي فوجه إلي كتاب الرسالة.

عن أبي ثور. قال: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي ـ وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي ـ فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه: فقم بنا نسخر به، فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة، فلم يزل الشافعي يقول: قال الله، وقال رسول الله، حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا واتبعناه.

عن أبي محمد ابن أخت الشافعي. قال: قالت أمي: ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي الشافعي، وكان يستلقي ويتفكر، ثم ينادي يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه. فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: قال محمد بن إدريس الشافعي:

الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ، وصح الإسناد عنه فهو سنة.

والإجماع أكثر من الخبر المنفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به.

وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أولاها. وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب.

ولا يقاس أصل على أصل. ولا يقال لأصل لم، ولا كيف، وإنما يقال للفرع: لم. فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت أبي يقول وذكر الشافعي - فقال: سمعته يقول: إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ فقولوا لي، حتى أذهب به في أي بلد كان.

عن الربيع بن سليمان. قال: سأل رجل الشافعي عن حديث النبي ﷺ فقال له الرجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ وقلت بغيره.

عن حرملة بن يحيى. قال: قال الشافعي: كلما قلت، وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى ولا تقلدوني.

عن الزعفراني عن الشافعي. قال: إذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه للآثار والسنن تابعاً، وفي استنباط الأحكام والأقضية رائعاً، وبالمقاييس المبنية على الأصول قائلاً، وعن الآراء الفاسدة المخالفة للأصول عادلاً.

عن أبي يعقوب البويطي. قال: سمعت الشافعي يقول: إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق.

عن الربيع. قال: سمعت الشافعي يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

عن حرملة. قال: سمعت محمد بن إدريس يقول: إياكم والنظر في الكلام، فإن رجلاً لو سئل عن مسألة من الفقه فأخطأ فيها، أو سئل عن رجل قتل رجلاً فقال: ديته بيضة كان أكبر شيء أن يضحك فيه. ولو سئل عن مسألة من الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة.

عن حرملة بن يحيى. قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم. واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: نعمت البدعة هي.

عن إسماعيل بن يحيى المزني. قال: سمعت الشافعي يقول: ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لا بدّ من ذلك، فليكن المرء مع أهل طاعة الله عزّ وجلّ.

عن أحمد بن خالد الخلال. قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة.

وسمعت أبا الوليد موسى بن أبي الجارود يقول: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ. وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه.

عن حرملة. قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس، أوجر عليه ولا يحمدوني.

عن الحميدي. قال: ربما ألقى الشافعي عليَّ وعلى ابنه عثمان المسألة فيقول: أيكم أصاب فله دينار.

عن حرملة. قال: سمعت الشافعي يقول: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعزّ النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد، وذلة النفس وخدمة العالم أفلح.

عن الحسين بن معاوية. قال: سمعت الشافعي يقول: إذا ثبت الأصل في القلب أخبر اللسان عن الفروع.

قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه: وكان الشافعي لطيف النظر، عجيب الحذر، حصيفاً في الفكر، نجيباً في العبر.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: قال لي الشافعي ذات يوم:

يا يونس إذا بُلغت عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وأحذر أن تسمى المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا تزيدن على ذلك شيئاً. وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً بعذر فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهاً لعذر، وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها. ثم أنت في ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم، لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾.

فإن نازعتك نفسك بالمكافأة، فاذكر فيما سبق له لديك، ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه. وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأني على إساءتي، من غير أن يزيد ولا يبخس حقاً لي.

يا يونس! إذا كان لك صديق فشدَّ يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل. وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجراً عظيماً فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال فهذه وصيتي لك. والسلام.

عن يونس بن عبد الأعلى الصدفي. قال: سمعت الشافعي يقول: يا يونس! الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

عن أحمد بن يحيى الوزير، عن محمد بن إدريس الشافعي. قال: قبول السعاية أضر من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء كمن قبل وأجاز. والساعي ممقوت إذا كان صادقاً لهتكه العورة، وإضاعته الحرمة. ومعاقب إن كان كاذباً لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور.

عن أحمد بن يحيى الوزير. قال: خرج الشافعي يوماً من سوق القناديل، متوجهاً إلى حجرته، فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت إلينا الشافعي فقال: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا، كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه، فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها، كما شقي بها قائلها.

عن الربيع. قال: سمعت الشافعي مراراً كثيرة يقول: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع.

عن الربيع بن سليمان. قال: قال الشافعي: يا ربيع، رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أن من تعلم القرآن جلَّ في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جلّ رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضرَّ نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

عن الربيع بن سليمان. قال: سمعت الشافعي يقول: اللبيب العاقل، هو الفطن المتغافل.

عن أبي الوليد الجارودي. قال: سمعت الشافعي يقول: لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته.

عن المزني. قال: سمعت الشافعي يقول: ليس من قوم لا يخرجون نساءهم إلى رجال غيرهم، إلا جاء أولادهم حمقى.

عن الربيع. قال: سمعت الشافعي يقول وذكر من يحمل العلم جزافاً، قال: هذا مثل حاطب، أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذين لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم وهو لا يدري على غير فهم، فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق، وعن المبتدع وغيره، فيحمل عن الكذاب والمبتدع الأباطيل، فيصير ذلك نقصاً لإيمانه وهو لا يدري.

عن إبراهيم بن محمد الشافعي. قال: حبس الشافعي مع قوم من الشيعة بسبب التشيع، فوجه إلي يوماً فقال: ادع فلاناً المعبر. فدعوته له فقال: رأيت البارحة كأني مصلوب على قناة مع علي بن أبي طالب. فقال: إن صدقت رؤياك شهرت وذكرت وانتشر أمرك. ثم حمل إلى الرشيد معهم فكلمه ببعض ما جلبه به فخلى عنه.

عن الحارث بن سريج. قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة، فاحترق دكان القصار والثياب، فجاء القصار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعي في تأخيره ليدفع إليه قيمة الثياب، فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئاً.

وقال الحارث بن سريج: دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد، وهو في بيت قد فرش بالديباج. فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصر الديباج فرجع ولم يدخل، فقال له الخادم: ادخل. فقال: لا يحل افتراش هذا. فقام الخادم متمشياً حتى دخل بيتاً قد

فرش بالأرميني، ثم دخل الشافعي فأقبل عليه وقال: هذا حلال وذاك حرام، وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمناً منه. فتبسم الخادم وسكت.

قال: وحدثني أبو ثور قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال فقلت له ـ وقلما كان يمسك الشيء من سماحته ـ: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لولدك من بعدك، فخرج ثم قدم علينا، فسألته عن ذلك المال ما فعل به؟ فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأهلها، أكثرها قد رفعت علي. ولكن قد بنيت بمكة بيتاً يكون لأصحابنا ينزلون فيه إذا حجوا.

❀ ❀ ❀

قال الشيخ رحمه الله: كان الشافعي لضمان الله وكفالته عقولاً، ولما يفيض عليه من المال لخلقه بذولاً.

عن الحميدي. قال: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه في موضع خارجاً من مكة، فكان الناس يأتونه فيه، فما برح حتى وهب كلها.

عن عبد الله بن محمد البلوي. قال: أمر الرشيد لمحمد بن إدريس الشافعي بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراجاً باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة، حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها. فأخبر سراج الرشيد بذاك فقال: لهذا فرغ همه وقوي متنه.

عن علي بن أحمد القصري. قال: حدثني بعض شيوخنا قال: لما أشخص الشافعي إلى سر من رأى دخلها وعليه أطمار رثة، وطال شعره، فتقدم إلى مزين، فاستقذره لما نظر إلى رثاثته، فقال له: تمضي إلى غيري. فاشتد على الشافعي أمره، فالتفت إلى غلام كان معه فقال: إيش معك من النفقة؟ قال: عشرة دنانير قال: ادفعها إلى المزين. فدفعها الغلام إليه. فولى الشافعي وهو يقول:

عـلـي ثـيـاب لـو يـبـاع جـمـيـعـهـا بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفـيـهـن نـفـس لـو يـقـاس بـمـثـلـهـا جميع الورى كانت أجل وأخطرا
فما ضر نصل السيف إخلاق غمده إذا كـان عـضـبـاً حـيـث أنـفـذتـه بـرا
فـإن تـكـن الأيـام أزرت بـبـزتـي فكم من حسام في غلاف تكسرا

عن الربيع بن سليمان، عن الشافعي. قال: خرج هرثمة فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار. قال: فحمل إليه المال، فدعا بحجام فأخذ من شعره، فأعطاه خمسين ديناراً، ثم أخذ رقاعاً وصر من تلك الدنانير صرراً ففرقها في القرشيين الذين هم بالحضرة، ومن هم بمكة، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار.

عن الربيع بن سليمان. قال: تزوجت فسألني الشافعي: كم أصدقتها؟ فقلت: ثلاثين ديناراً. قال: كم أعطيتها فقلت: ستة دنانير. فصعد داره وأرسل إلي بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً.

عن المزني. قال: ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد، وأنا أذاكره في مسألة، حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه وأدخله في كمه، فأتاه رجل من الحلقة فقال: يا أبا عبد الله! ولدت امرأتي الساعة ولا شيء عندي، فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء.

قال الشيخ رحمه الله: وكان رضي الله عنه له من العبادة الحظ الوافر، وفي الفكر العقل والقلب الحاضر.

عن الربيع بن سليمان. قال: كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة، ما منها شيء إلا في صلاة.

عن الربيع بن سليمان. قال: كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة

أجزاء، الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

عن سليمان بن داود. قال: كان الشافعي إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن، وكان فصيحاً، فمرض مرضاً شديداً فقال: اللهم إن كان هذا لك رضى فزد. فبلغ ذلك إدريس بن يحيى الخولاني، فبعث إليه يا أبا عبد الله! لست أنا ولا أنت من رجال البلاء، قال: فبعث إليه: يا أبا عمرو! ادع الله لي بالعافية.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: كان الشافعي يكلمنا بقدر ما نفهم عنه، ولو كلمنا بحسب فهمه ما عقلنا عنه.

عن ابن صاعد. قال: سمعت الشافعي يقول: أسس التصوف على الكسل.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما.

عن أسد بن عفير. قال: سمعت الشافعي يقول: كان حماد البربري والياً علينا بمكة، فزادوه اليمن فقلت لأمي: ما ندري وما أُملي لهذا الرجل، ولي مكة وزيد اليمن. فقالت: يا بني إن الحجر إذا سما كان أشد سقوطاً. فقلت: يا أمه! صدق رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تصير للكع بن لكع). فقالت: يا بني وأين لكع بن لكع؟ رحم الله لكع بن لكع منذ زمن طويل.

عن أبي عبد الله ابن أخي وهب. قال: سمعت الشافعي يقول:

وأنطقت الدراهم بعد صمت ... أناساً بعد ما كانوا سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل ... ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: لولا أن رجلاً عاقلاً تصوف لم يأت الظهر حتى يصير أحمق.

عن الربيع. قال: سمعت الشافعي يقول: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان.

عن الحميدي. قال: قال محمد بن إدريس الشافعي: خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافي مررت على رجل في الطريق وهو محتب بفناء داره، أزرق العين ناتئ الجبهة سناط، فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم. قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة، فأنزلني فرأيته أكرم ما يكون من رجل، بعث إلي بعشاء وطيب، وعلف لدابتي وفراش ولحاف، فجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب إذا رأيت النعت في هذا الرجل؟ فرأيت أكرم رجل فقلت: أرمي بهذه الكتب فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج، فأسرج فركبت ومررت عليه وقلت له: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن محمد بن إدريس الشافعي. فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قال قلت: لا! قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟ فقلت: لا. فقال: أين ما تكلفته لك البارحة؟ قلت: وما هو؟ قال: اشتريت لك طعاماً بدرهمين، وإداما بكذا وكذا، وعطراً بثلاثة دراهم، وعلفاً لدابتك بدرهمين. وكراء الفرش واللحاف درهمان. قال: قلت: يا غلام أعطه. فهل بقي من شيء؟ قال: كراء البيت فإني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي. قال الشافعي: فغبطت بتلك الكتب. فقلت له بعد ذلك: هل بقي لك من شيء قال: امض أخزاك الله: فما رأيت قط شراً منك.

عن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت الشافعي يقول: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شيناً أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

عن الحسن بن إدريس الحلواني. قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن. قيل له: ولم؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين، إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فيعقد الشحم.

عن كثير. قال: أدخل الشافعي يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله! هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهو مؤدبهم، فلو أوصيته بهم. فأقبل الشافعي على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته. علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

عن الربيع. قال: كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلمه بكلام، فأنشأ الشافعي يقول:

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيباً يداوي من جنون جنون

عن أبي بكر السبائي. قال: سمعت بعض مشايخنا يحكي أن الشافعي، عابه بعض الناس لفرط ميله إلى أهل البيت، وشدة محبته لهم، إلى أن نسبه إلى الرفض، فأنشأ الشافعي في ذلك يقول:

قف بالمحصب من منى فاهتف بها ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافض

عن أبي علي النيسابوري ـ ببغداد ـ. حدثني بعض أصحابنا: أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلة أصحاب مالك،

وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحاب مالك في مسائل، فتنكروا له وحصروه فأنشأ يقول:

أأنثر دراً وسط سارحة النعم ... أأنظم منثوراً لراعية الغنم
لعمري لئن ضُيعت في شر بلدة ... فلست مضيِّعاً بينهم غرر الحكم
فإن فرج الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيداً واستفدت وداده ... وإلا فمكنون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

قال: حدثنا الشيخ الحافظ أبو نعيم رحمه الله: كان الشافعي عامة حديثه عن الأئمة. عن مثل مالك وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وحدث عنه الأئمة والأعلام أحمد بن حنبل وأبو ثور والحميدي.

٤٤٥ ـ الإمام أحمد بن حنبل

[١٦٤ ـ ٢٤١هـ]

قال الشيخ رحمه الله. ومنهم الإمام المبجل والهمام المفضل. أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

لزم الاقتداء. وظفر بالاهتداء، علم الزهاد. وقلم النقاد. امتحن فكان في المحنة صبوراً. واحتبى فكان للنعمة شكوراً. كان للعلم والحلم واعياً. وللهم والفكر راعياً.

ذِكر نسبه ومولده ووفاته. رضي الله تعالى عنه.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن

هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيذار بن إسماعيل بن الخليل عليه السلام.

وعنه قال: وجدت في بعض كتب أبي رحمه الله نسبه أحمد بن محمد بن حنبل فذكر مثله.

عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت أبي يقول: ولدت سنة أربع وستين ومائة، في أولها في ربيع الأول، وجيء به حملاً من مرو، وتوفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة، فوليته أمه.

قال أبي: وكان قد بعث أدماً لي فكانت أمي رحمها الله تصبر فيها حبة لؤلؤ، فلما ترعرعت فكانت عندها، فدفعتها إلي فبعتها بنحو من ثلاثين درهماً.

قال أبو الفضل: وتوفي أبي رحمه الله ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، من سنة إحدى وأربعين ومائتين، فكانت سنه من يوم ولد إلى أن توفي سبعاً وسبعين سنة.

قال أبو الفضل: قال أبي: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة، وهي آخر قدمة قدمها، فذهبت إلى مجلسه فقالوا: قد خرج إلى طرسوس. وتوفي سنة إحدى وثمانين.

ذكر جلالته عند العلماء. ونبالته عند المحدثين والفقهاء.

عن ابن زنجويه. قال: رأيت يزيد بن هارون يصلي، فجاء إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فلما سلم يزيد من الصلاة التفت إلى أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبد الله! ما تقول في العارية؟ قال:

مؤداة. فقال له يزيد: أخبرنا حجاج، عن الحكم قال: ليست بمضمونة، فقال له أحمد بن حنبل: قد استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية أدرعاً فقال له: عارية مؤداة. فقال النبي ﷺ: العارية مؤداة. فسكت يزيد وصار إلى قول أحمد بن حنبل.

عن نوح بن حبيب النرسي. قال: رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل في مسجد الخيف في سنة ثمان وتسعين ومائة، مستنداً إلى المنارة، وجاءه أصحاب الحديث وهو مستند، فجعل يعلمهم الفقه والحديث، ويفتي لنا في المناسك.

عن أبي داود السجستاني. قال: لقيت مائتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس، من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

عن عبد الرحمن بن مهدي: أنه رأى أحمد بن حنبل أقبل إلينا، وقام إليه ومن عنده، فقال: هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثوري.

عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل. قال: قال أبي: جاء إنسان إلى باب ابن علية، ومعه كتب هشيم فجعل يلقيها علي وأنا أقول: هذا إسناده كذا، فجاء المعيطي وكان يحفظ فقلت له: أجبه فيها، فسها. وقال: إني لم أعرف من حديثه ما لم أسمع.

قال أبي: وكتبت عن هشيم سنة سبع وسبعين ولم أعقل بعض سماعي، ولزمته سنة ثمانين وإحدى وثمانين وثنتين وثلاث ومات في سنة ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف حديث، وبعض التفسير، وكتاب القضاء وكتباً صغاراً. قال قلت: يكون ثلاثة آلاف حديث؟ قال: أكثر.

عن أبي زرعة. قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به.

عن علي بن المديني. قال: ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، إنه لا يحدث إلا من كتابه، ولنا فيه أسوة حسنة.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. يقول: ما رأيت أبي حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث.

عن مهنا بن يحيى الشامي. قال: ما رأيت أحداً أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل، ورأيت سفيان بن عيينة، ووكيعاً وعبد الرزاق، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وكثيراً من العلماء فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، في علمه وفقهه وزهده وورعه.

عن محمد بن أحمد بن البراء. قال: سمعت علي بن المديني يقول: أحمد بن حنبل سيدنا.

عن عبيد الله بن عمر القواريري. قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: ما قدم علي مثل هذين الرجلين: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

عن إبراهيم بن إسحاق الحربي. قال: سعيد بن المسيب في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه، وأحمد بن حنبل في زمانه.

عن قتيبة بن سعيد. قال: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري ومالك والأوزاعي والليث بن سعد، لكان هو المقدم.

عن عبيد الله بن عمر الجشمي. قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: ما قدم علي مثل أحمد بن حنبل.

عن يحيى بن معين. قال: وذكروا أحمد بن حنبل فقال يحيى: أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل، ولا على طريقة أحمد.

عن أبي يحيى الناقد. قال: كنا عند إبراهيم بن عرعرة فذكروا علي بن عاصم فقال رجل: أحمد بن حنبل يضعفه. فقال رجل: وما يضره من ذلك، إذا كان ثقة؟ فقال إبراهيم بن عرعرة: أوالله لو تكلم أحمد بن حنبل في علقمة والأسود لضرهما.

عن علي بن شعيب. قال: حضرت يزيد بن هارون وهم يسألونه: متى سمعت من فلان؟ وأين سمعت من فلان؟ وهو يخبرهم. قلت له: من كان يسأله؟ قال: يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت أبي يقول: كنت مقيماً على يحيى بن سعيد القطان، ثم خرجت إلى واسط، فسأل يحيى بن سعيد عني فقالوا: خرج إلى واسط، فقال: أي شيء يصنع بواسط؟ قالوا: مقيم على يزيد بن هارون. قال: وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون؟ قال أبو عبد الرحمن: يعني هو أعلم منه.

عن خلف بن سالم. قال: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل ـ وكان في المجلس ـ فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب بيده على جبينه، وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح.

عن محمد بن الحسين الأنماطي. قال: كنا في مجلس فيه يحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وجماعة من كبار العلماء، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل، ويذكرون من فضائله. فقال رجل: لا تكثروا بعض هذا القول، فقال يحيى بن معين: وكثرة الثناء على أحمد بن حنبل يستكثر؟ لو جالسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت أبي يقول: قال محمد بن إدريس الشافعي: يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخبرونا به حتى نرجع إليه.

عن عبد الله بن أحمد. قال: سمعت أبي يقول: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: يا أبا عبد الله! أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً. قال عبد الله: جميع ما حدث به الشافعي في كتابه، فقال: حدثني الثقة أو أخبرني الثقة، فهو أبي رحمه الله، قال عبد الله: وكتابه الذي صنفه ببغداد هو أعدل من كتابه الذي صنفه بمصر، وذلك أنه حيث كان هاهنا يسأل، وسمعت أبي يقول: استفاد منا الشافعي ما لم نستفد منه.

عن زهير بن حرب. قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل أشد قلباً منه أن يكون قام ذلك المقام، ويرى ما يمر به من الضرب والقتل. قال: وما قام أحد مثل ما قام أحمد، امتحن كذا كذا سنة وطُلب فما ثبت أحد على ما ثبت عليه.

عن محمد بن إسحاق بن راهويه. قال: سمعت أبي يقول: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام.

عن إدريس بن عبد الكريم المقري الحداد. قال: رأيت علماءنا مثل: الهيثم بن خارجة، ومصعب الزبيري، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعثمان بن أبي شيبة، وعبد الأعلى بن حماد النرسي، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وعلي بن المديني، وعبيد الله بن عمر القواريري، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وأبي معمر القطيعي، ومحمد بن جعفر الوركاني، وأحمد بن محمد بن أيوب صاحب المغازي، ومحمد بن بكار بن الريان، وعمرو بن محمد الناقد، ويحيى بن أيوب المقابري العابد، وشريح بن يونس، وخلف بن هشام البزار، وأبي الربيع الزهراني، فيمن لا أحصيهم من أهل العلم والفقه، يعظمون أحمد بن حنبل ويجلونه، ويوقرونه، ويبجلونه ويقصدونه للسلام عليه.

عن شجاع بن مخلد. قال: كنت عند أبي الوليد الطيالسي فورد عليه كتاب أحمد بن حنبل فسمعته يقول: ما بالبصرتين - يعني بالبصرة والكوفة - أحد أحب إلي من أحمد بن حنبل، ولا أرفع قدراً في نفسي منه.

عن مهنا بن يحيى. قال: رأيت يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، حين أخرج أحمد بن حنبل من الحبس، وهو يقبل جبهة أحمد ووجهه، ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهة أحمد بن حنبل ورأسه.

عن علي بن المديني. قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملَّك أو تملني: قال: فلما ودعته قلت له: يا أبا عبد الله توصيني بشيء، قال: نعم. الزم التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك.

عن محمد بن مصعب العابد. قال: لسوط ضرب أحمد بن حنبل في الله، أكبر من أيام بشر بن الحارث.

قال الشيخ الحافظ أبو نعيم. رحمة الله تعالى عليه: وكان رحمه الله عالماً زاهداً. وعاملاً عابداً.

عن إسحاق بن راهويه. قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق، انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الحمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئاً.

عن عبد الرزاق. قال: قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا، فقام سنتين إلا شيئاً، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب، وأرانا عبد الرزاق كفه ومدها فيها دنانير. قال أحمد: أنا بخير ولم يقبل مني.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: حج أبي خمس حجج ماشياً، واثنتين راكباً، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً.

عن محمد بن موسى بن حماد اليزيدي. قال: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراث حلال فخذها واستعن بها على عيلتك، قال: لا حاجة لي بها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئاً.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: حدثني أبي قال: عرض علي يزيد بن هارون خمسمائة درهم أو أكثر أو أقل فلم أقبل منه، وأعطى يحيى بن معين وأبا مسلم المستملي فأخذا منه.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني علي بن الجهم بن بدر قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل. فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة، فقصدنا أحمد بن حنبل أياماً فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه، والباب مردود عليه، وإذا عليه خلقان. فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك لم نرك منذ أيام؟ فقال: سرقت ثيابي. فقلت له: معي دنانير، فإن شئت خذ قرضاً، وإن شئت صلة. فأبى أن يفعل، فقلت: تكتب لي بأخذه؟ قال: نعم، فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه، وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين، فأومى أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر. وقال: جئني ببقيته، ففعلت وجئت بورق وكاغد فكتب لي، فهذا خطه.

عن صالح بن أحمد بن حنبل. قال: دخلت على أبي في أيام الواثق ـ والله يعلم في أي حالة نحن ـ وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة، حتى قد بلي،

فإذا تحته كتاب كاغد، وإذا فيه بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي. فقرأت الكتاب ووضعته فلما دخل قلت: يا أبت ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه وقال: رفعته منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إلي ونحن في عافية، فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة والحمد لله. فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلاً في الدجلة كان مأجوراً، لأن هذا رجل لا يعرف له معروف، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً، ما ذاق إلا مقدار ربع سويق، كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت موقيه دخلتا في حدقتيه.

عن عبد الله بن أحمد بن حفصة. قال: نزلنا بمكة داراً، وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعة، وكان من أهل مكة، قال: نزل علينا أبو عبد الله في هذه الدار، وأنا غلام قال: فقالت لي أمي: الزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح، فكنت أخدمه، وكان يخرج يطلب الحديث، فسرق متاعه وقماشه، فجاء فقالت له أمي: دخل عليك السراق فسرقوا قماشك، فقال: ما فعلت بالألواح؟ فقالت له أمي: في الطاق. وما سأل عن شيء غيرها.

عن إبراهيم بن هاني. قال: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ثم قال: اطلب لي موضعاً حتى أتحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله، قال: إذا فعلت أفدتك، فطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحول، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدة.

عن يحيى بن معين. قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وكان قرب الثمانين.

عن إسحاق بن موسى الأنصاري. قال: دفع إليَّ المأمون مالاً أقسمه على أصحاب الحديث، فإن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى.

عن أبي حفص عمر بن صالح الطرسوسي. قال: ذهبت أنا ويحيى الجلاء إلى أبي عبد الله فسألته، وكان إلى جنبه بوران وزهير وهارون الجمال، فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فأبصر إلى أصحابه فغمزهم بعينه ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا بني بأكل الحلال.

فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له: يا أبا نصر بم تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]. قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله، فقال: هيه إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل.

فمررت إلى عبد الوهاب بن أبي الحسن فقلت: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ قلت: فإني

(١) سورة الرعد، الآية (٢٨).

جئت من عند أبي عبد الله. فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال لي: إيش قال أبو عبد الله؟ فقلت قال: بأكل الحلال. فقال جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كما قال، الأصل كما قال.

عن محمد بن عمرويه. قال: قال لي عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت أبي الوفاة، فجلست عنده وبيده الخرقة، وهو في النزع لأشد لحييه، فكان يغرق حتى نظن أن قد قضى، ثم يفيق ويقول: لا بعد، لا بعد، بيده، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبت إيش هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت؟ فقال لي: يا بنى ما تدري؟ فقلت: لا! فقال: إبليس لعنه الله، قام بحذائي عاضاً على أنامله يقول: يا أحمد فتني وأنا أقول: لا بعد. حتى أموت.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: رأيت أبي آخذاً شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه يقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء ثم يشربه ثم يستشفي بها.

ورأيته قد أخذ قصعة للنبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها.

ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه.

قال: وسمعت أبي وذكر عنده الفقر فقال: الفقر مع الخير.

وسمعته يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: كنت جالساً عند أبي رحمه الله يوماً، فنظر إلى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذان الرجلان، لم لا تمشي حافياً حتى تصير رجلين خشنتين.

قال عبد الله: وخرج إلى طرسوس ماشياً على قدميه.

قال عبد الله: وكان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق.

عن أحمد بن إبراهيم الدورقي. قال: لما قدم ابن حنبل مكة من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوباً وقد تبين عليه أثر النصب والتعب، فقلت: يا أبا عبد الله لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق. فقال: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق، كتبنا عنه حديث الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه، وحديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

عن عبد الله بن أحمد. قال: قال أبي رحمه الله. ما كتبنا عن عبد الرزاق من حفظه شيئاً إلا المجلس الأول، وذلك أنا دخلنا بالليل، فوجدناه في موضع جالساً، فأملى علينا سبعين حديثاً، ثم التفت إلى القوم فقال: لولا هذا ما حدثتكم ـ يعني أبي ـ وجالس عبد الرزاق معمراً تسع سنين فكان يكتب عنه كل شيء.

يقول: قال عبد الله، وكل من سمع من عبد الرزاق بعد الثمانين فسماعه ضعيف، وسمع منه أبي قديماً.

عن عبد بن حميد. قال: كنا في مسجد ـ أظنه ببغداد ـ وأصحاب الحديث يتذاكرون، وأحمد يومئذ شاب، إلا أنه المنظور إليه من بينهم، فجاء أبو سعيد ـ شيخ عندنا بلخي ـ فدنا من أبي عبد الله فسأله عن شيء فأجابه، فقلب الشيخ عليه الكلام وكان أحمد قليل الكلام، فلا يرد إلا أنه قال بيده اليمنى هكذا ـ أي تنح ـ ففطن بعض أصحابه أنه سأله عما لا يعنيه، فأقبل أحمد على أبي سعيد البلخي فقال: يا هذا إنما مجلسنا مجلس مذاكرة حديث رسول الله ﷺ، وحديث أصحابه، فأما الذي تريد أنت فعليك بابن أبي دؤاد.

عن إبراهيم بن محمد بن الحسن. يقول: أدخل أحمد بن حنبل على الخليفة ـ وكانوا هولوا عليه، وقد كان ضرب عنق رجلين ـ فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هو ذا يقدم لضرب عنقه، يناظر في الفقه.

عن أبي معمر القطيعي. قال: لما حضرنا في دار السلطان أيام المحنة، وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل قد أحضر فلما رأى الناس يجيؤون، انتفخت أوداجه واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي كان فيه، قلت: إنه قد غضب لله.

قال أبو معمر: فلما رأيت ما به قلت: يا أبا عبد الله أبشر.

وقد حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. قال: كان من أصحاب النبي ﷺ من إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون.

عن أبي عبد الله محمد بن نوح. قال: قلت لأبي عبد الله: إن رأيتني ضعفت أو خذلت فلا تضعف. فلست أنت كأنا. فقال لي: أبشر فإنك على إحدى ثلاث: إما أن لا تراه ولا يراك، وإما رأيته فكذبته فقتلك فكنت من أفضل الشهداء، وإما رأيته فصدقته فحال الله بينك وبينه.

❀ ❀ ❀

عن أحمد بن غسان. قال: حملت أنا وأحمد بن حنبل في محمل على جمل، يراد بنا المأمون، فلما صرنا قريب عانة، قال لي أحمد: قلبي يحس أن رجاء الحصار يأتي في هذه الليلة فإن أتى وأنا نائم فأيقظني، وإن أتى وأنت نائم أيقظتك.

فبينا نحن نسير، إذ قرع المحمل قارع، فأشرف أحمد فإذا برجل يعرفه بالصفة، وكان لا يأوي المدائن والقرى، وعليه عباءة قد شدها على شقه فقال: يا أبا عبد الله إن الله قد رضيك له وافداً، فانظر لا يكون وفودك على المسلمين وفوداً مشؤوماً، واعلم أن الناس إنما ينتظرونك لأن تقول فيقولوا، واعلم أنما هو الموت والجنة.

فلما أشرفنا على البذيذون قال لي: يا أحمد بن غسان إني موصيك بوصية فاحفظها عني، راقب الله في السراء والضراء، واشكره على الشدة والرخاء، وإن دعانا هذا الرجل أن نقول القرآن مخلوق فلا تقل، وإن أنا قلت فلا تركن إلي، وتأول قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1] فتعجبت من حداثة سنه وثبات قلبه.

فلم يكن بأسرع أن خرج خادم وهو يمسح عن وجهه بكمه وهو يقول: عزَّ عليَّ يا أبا عبد الله أن جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط، وبسط نطعاً لم يبسطه قط، ثم قال: وقرابتي من رسول الله ﷺ لارفعت عن أحمد وصاحبه حتى يقولا: القرآن مخلوق. قال: فنظرت إلى أحمد وقد برك على ركبتيه ولحظ السماء بعينيه ثم قال: سيدي غر هذا الفاجر حلمك حتى يتجرأ على أوليائك بالقتل والضرب، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته.

قال: فوالله ما مضى الثلث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة، وإذا رجاء الحصار قد أقبل علينا فقال: صدقت يا أبا عبد الله القرآن كلام الله غير مخلوق. قد مات والله أمير المؤمنين.

عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت أبي يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم، قرئ علينا كتابه الذي كان

(١) سورة هود، الآية (١١٣).

صار إلى طرسوس، فكان فيما قرئ علينا: ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، فقلت: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فقال بعض من حضر: سله ما أراد بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؟ فقال: أبي رحمه الله فقلت: كما قال الله تعالى.

قال صالح: ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة، أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري. والحسن بن حماد سجادة. ثم أجاب عبيد الله بن عمر والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أياماً في الحبس.

ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملنا فحمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين زميلين، وأخرجا من بغداد فسرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال: يا أبا عبد الله إن عرضت على السيف تجيب؟ فقال: لا! قال أبي: فانطلق بنا حتى نزلنا الرحبة، فلما رحلنا منها - وذلك في جوف الليل - وخرجنا من الرحبة عرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فسلم على أبي ثم قال له: يا هذا، ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا. ثم سلم وانصرف. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية يقال له جابر بن عامر، فلما صرنا إلى أذنة ورحلنا منها - وذلك في جوف الليل - فتح لنا بابها فلقينا رجل ونحن خارجون من الباب وهو داخل فقال: البشرى، قد مات الرجل.

قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه.

قال أبو الفضل صالح: فصار أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس وجاء - يعني المأمون - من البذيذون ورفدوا في أقيادهما إلى الرقة في سفينة مع قوم محتبسين، فلما صارا بعمان توفي محمد بن نوح رحمه الله، فتقدم أبي فصلى عليه ثم صار إلى بغداد وهو مقيد،

فمكث بالياسرية أياماً ثم صير إلى الحبس في دار اكتريت له عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية، فمكث في السجن منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً، قال أبي: فكنت أصلي بهم وأنا مقيد، وكنت أرى بوران يحمل له في زورق ماء بارد فيذهب به إلى السجن.

عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل. قال أبي: لما كان في شهر رمضان لليلة سبع عشرة خلت منه، حولت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم، وأنا مقيد بقيد واحد يوجه إلي في كل يوم رجلان سماهما أبي، قال أبو الفضل: وهما أحمد بن رباح، وأبو شعيب الحجاج، يكلماني ويناظراني، فإذا أرادا الإنصراف دعوا بقيد فقيدت به.

فمكثت على هذه الحال ثلاثة أيام، فصار في رجلي أربعة أقياد، فقال لي أحدهما في بعض الأيام في كلام دار بيننا وسألته عن علم الله فقال: علم الله مخلوق. فقلت له: يا كافر كفرت. فقال لي الرسول الذي كان يحضر معهم من قبل إسحاق: هذا رسول أمير المؤمنين. قال فقلت له: إن هذا زعم أن علم الله مخلوق، فنظر إليه كالمنكر عليه ما قال ثم انصرفا. قال أبي: وأسماء الله في القرآن والقرآن من علم الله، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر.

قال أبي رحمه الله: فلما كانت ليلة الرابعة بعد العشاء الآخرة وجه المعتصم بنا إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي يأمره بحملي، فأدخلت على إسحاق فقال لي: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه حلف أن لا يقتلك بالسيف وأن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس.

أليس قد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1] فيكون مجعولاً إلا مخلوق؟.

قال أبي: فقلت له قد قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾[2] أفخلقهم؟

فقال: اذهبوا به. قال أبي: فأنزلت إلى شاطئ دجلة فأحدرت إلى الموضع المعروف بباب البستان ومعي بغا الكبير ورسول من قبل إسحاق. قال: فقال بغا لمحمد المحاربي بالفارسية: ما تريدون من هذا الرجل؟ قال: يريدون منه أن يقول القرآن مخلوق. فقال: ما أعرف شيئاً من هذه الأقوال، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقرابة أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ.

قال أبي: فلما صرنا إلى الشط أخرجت من الزورق، فجعلت أكاد أخر على وجهي، حتى انتهي بي إلى الدار، فأدخلت ثم عرج بي إلى الحجرة فصيرت في بيت منها، وأغلق علي الباب، وأقعد عليه رجل، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فاحتجت إلى الوضوء، فمددت يدي أطلب شيئاً، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطشت، فتهيأت للصلاة وقمت أصلي، فلما أصبحت جاءني الرسول فأخذ بيدي فأدخلني الدار وإذا هو جالس، وابن أبي دؤاد حاضر، قد جمع أصحابه والدار غاصة بأهلها، فلما دنوت سلمت فقال لي: ادنه، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، ثم قال لي: اجلس، فجلست وقد أثقلتني الأقياد.

فلما مكثت هنيهة قلت: تأذن في الكلام؟ فقال: تكلم. فقلت: إلام دعا رسول الله ﷺ؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. قال: قلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قلت له: إن جدك ابن عباس يحكي أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم

---

(١) سورة الزخرف، الآية (٣).

(٢) سورة الفيل، الآية (٥).

بالإيمان بالله، قال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من الغنم.

قال أبو الفضل: حدثناه أبي ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: حدثني أبو حمزة قال: قال سمعت ابن عباس قال: (إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله) فذكر الحديث.

قال أبو الفضل: قال أبي: فقال لي عند ذلك: لولا أن وجدتك في يد من كان قبلي ما تعرضت لك ثم التفت إلى عبد الرحمن بن إسحاق فقال له: يا عبد الرحمن، ألم آمرك أن ترفع المحنة. قال أبي: فقلت في نفسي: الله أكبر، إن في هذا فرجاً للمسلمين.

قال ثم قال: ناظروه وكلموه، ثم قال: يا عبد الرحمن كلمه، فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ قال: قلت ما تقول في علم الله؟ فسكت. قال أبي: فجعل يكلمني هذا وهذا فأرد على هذا وأكلم هذا، ثم أقول يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله عزّ وجلّ أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام أقول به. أراه قال: فيقول ابن أبي دؤاد: فأنت ما تقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسوله. قال: فقلت: تأولت تأويلاً فأنت أعلم وما تأولت تحبسُ عليه وتقيد عليه. قال: فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم. فيقول: ما تقولون فيه؟ فيقولون يا أمير المؤمنين هو ضال مضل مبتدع. قال: ولا يزالون يكلموني قال: وجعل صوتي يعلو أصواتهم وقال إنسان منهم: قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[1] أفيكون محدثاً

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢).

إلا مخلوقاً؟ قال: فقلت له: قال الله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِی ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾[1] فالقرآن هو الذكر والذكر هو القرآن، ويلك ليس فيها ألف ولام، قال: فجعل ابن سماعة لا يفهم ما أقول، قال: فجعل يقول لهم ما يقول؟ قال: فقالوا إنه يقول كذا وكذا، قال: فقال لي إنسان منهم: حديث خباب (تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه) قال أبي: فقلت لهم: نعم هكذا هو. فجعل ابن أبي دؤاد ينظر إليه ويلحظه متغيظاً عليه.

قال أبي: وقال بعضهم: أليس قال: ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَیۡءࣲ﴾[2] قلت: قد قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَیۡءِۭ﴾[3] فدمرت إلا ما أراد الله؟!

قال: فقال بعضهم: فما تقول وذكر حديث عمران بن حصين (إن الله كتب الذكر) فقال: إن الله خلق الذكر. فقلت هذا خطأ حدثناه غير واحد (إن الله كتب الذكر).

قال أبي: فكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فتكلم. فلما قارب الزوال قال لهم: قوموا ثم حبس عبد الرحمن بن إسحاق فخلا بي وبعبد الرحمن فجعل يقول: أما تعرف صالحاً الرشيدي كان مؤدبي، وكان في هذا الموضع جالساً وأشار إلى ناحية من الدار قال: فتكلم وذكر القرآن فخالفني فأمرت به فسحب ووطئ ثم جعل يقول لي: ما أعرفك ألم تكن تأتينا.

فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والحج والجهاد معك، وهو ملازم لمنزله. قال: فجعل يقول والله إنه لفقيه وإنه لعالم وما يسوءني أن يكون معي يرد على

---

(١) سورة ص، الآية (١).
(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٢).
(٣) سورة الأحقاف، الآية (٢٥).

أهل الملك، ولئن أجابني إلى شيء له فيه أدنى فرج لأطلقن عنه بيدي، ولأطأن عقبه ولأركبن إليه بجندي.

قال: ثم يلتفت إلي فيقول: ويحك يا أحمد ما تقول قال: فأقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ.

فلما طال بنا المجلس ضجر فقام، فرددت إلى الموضع الذي كنت فيه ثم وجه إلي برجلين سماهما وهما: صاحب الشافعي وغسان من أصحاب ابن أبي دؤاد، يناظراني فيقيمان معي حتى إذا حضر الإفطار وجه إلينا بمائدة عليها طعام فجعلا يأكلان وجعلت أتعلل حتى ترفع المائدة، وأقاما إلى غدو في خلال ذلك يحيى بن أبي دؤاد، فيقول لي: يا أحمد يقول لك أمير المؤمنين ما تقول فأقول له: أعطوني شيئاً من كتاب الله عزّ وجلّ، أو سنة رسول الله ﷺ حتى أقول به.

فقال لي ابن أبي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في السبعة فمحوته، ولقد ساءني أخذهم إياك، وإنه والله ليس السيف إنه ضرب بعد ضرب. ثم يقول لي: ما تقول فأرد عليه نحواً مما رددت عليه. ثم يأتيني رسوله فيقول: أين أحمد بن عمار أجب الرجل الذي أنزلت في حجرته فيذهب ثم يعود فيقول: يقول لك أمير المؤمنين ما تقول؟ فأرد عليه نحواً مما رددت على ابن أبي دؤاد فلا تزال رسله تأتي أحمد بن عمار، وهو يختلف فيما بيني وبينه ويقول: يقول لك أمير المؤمنين أجبني حتى أجئ فأطلق عنك بيدي.

قال: فلما كان في اليوم الثاني أدخلت عليه فقال: ناظروه وكلموه. قال فجعلوا يتكلمون هذا من هاهنا وهذا من هاهنا فأرد على هذا وهذا فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في كتاب الله عزّ وجلّ ولا سنة رسول الله ﷺ ولا فيه خبر ولا أثر قلت: ما أدري ما هذا. قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين إذا توجهت له الحجة علينا

وثب وإذا كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هذا. قال: فيقول: ناظروه ثم يقول: يا أحمد إني عليك شفيق.

فقال رجل منهم: أراك تذكر الحديث وتنتحله فقال له: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[1] فقال: خص الله بها المؤمنين، قال فقلت له: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً أو يهودياً أو نصرانياً فسكت، قال أبي: وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون علي بظاهر القرآن، ولقوله: أراك تنتحل الحديث، وكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين والله لئن أجابك لهو أحب إلي من مائة ألف دينار ومائة ألف دينار فيعدد ما شاء الله من ذلك.

ثم أمرهم بعد ذلك بالقيام وخلا بي وبعبد الرحمن فيدور بيننا كلام كثير، وفي خلال ذلك يقول: ندعو أحمد بن أبي دؤاد؟ فأقول: ذلك إليك، فيوجه إليه فيجئ فيتكلم، فلما طال المجلس قام، ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه، وجاءني الرجلان اللذان كانا عندي بالأمس فجعلا يتكلمان، فدار بيننا كلام كثير، فلما كان وقت الإفطار جئ بطعام على نحو مما أتي به في أول ليلة، فأفطروا فتعللت، وجعلت رسله تأتي أحمد بن عمار، فيمضي إليه فيأتيني برسالة على نحو مما كان في أول ليلة، وجاء ابن أبي دؤاد فقال: إنه قد حلف أن يضربك ضرباً وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس، فقلت له: فما أصنع؟ حتى إذا كدت أن أصبح قلت لخليق أن يحدث في هذا اليوم من أمري شيء.

وقد كنت خرجت تكتي من سراويلي فشددت بها الأقياد أحملها بها، إذا توجهت إليه فقلت لبعض من كان معي الموكل بي: أريد لي

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

خيطاً، فجاءني بخيط فشددت به الأقياد وأعدت التكه في سراويلي ولبستها كراهية أن يحدث شيء من أمري فأتعرى.

فلما كان في اليوم الثالث أدخلت عليه والقوم حضور فجعلت أدخل من دار إلى دار وقوم معهم السيوف وقوم معهم السياط، وغير ذلك من الزي والسلاح، وقد حشيت الدار بالجند، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء، حتى إذا صرت إليه قال: ناظروه وكلموه فعادوا لمثل مناظرتهم فدار بيننا وبينهم كلام كثير، حتى إذا كان في الوقت الذي كان يخلو بي فيه فجاءني ثم اجتمعوا فشاورهم ثم نحاهم، ودعاني فخلا بي وبعبد الرحمن، فقال لي: ويحك يا أحمد، أنا والله عليك شفيق، وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون ابني، فأجبني. فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله عزّ وجلّ أو سنة رسوله ﷺ، فلما ضجر وطال المجلس قال: عليك لعنة الله لقد طمعت فيك، خذوه، اخلعوه اسحبوه.

قال: فأخذت فسحبت ثم خلعت ثم قال: العقابين والسياط، فجئ بعقابين والسياط. قال أبي: وقد كان صار إلي شعرتان من شعر النبي ﷺ فصررتهما في كم قميصي فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصرة في كم قميصي فوجه إلي: ما هذا المصرور في كمك؟ فقلت: شعر من شعر النبي ﷺ. فسعى بعض القوم إلى القميص ليحرقه في وقت ما أقمت بين العقابين، فقال لهم: لا تحرقوه، وانزعوه عنه، قال أبي: فظننت أنه بسبب الشعر الذي كان فيه. ثم صيرت بين العقابين وشدت يدي وجئ بكرسي فوضع له، وابن أبي دؤاد قائم على رأسه، والناس اجتمعوا وهم قيام ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شدني: خذ أي الخشبتين بيدك وشد عليها. فلم أفهم ما قال، قال: فتخلعت يدي لما شدت، ولم أمسك الخشبتين.

قال أبو الفضل: ولم يزل أبي رحمه الله يتوجع منها من الرسغ إلى أن توفي، ثم قال للجلادين: تقدموا فنظر إلى السياط فقالك ائتوا بغيرها، ثم قال لهم: تقدموا فقال لأحدهم: ادنه أوجع قطع الله يدك. فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى، فلم يزل يدعو واحداً بعد واحد فيضربني سوطين ويتنحى، ثم قام حتى جاءني وهم محدقون به فقال: ويحك يا أحمد تقتل نفسك؟ ويحك أجبني حتى أطلق عنك بيدي. قال: فجعل بعضهم يقول لي: ويحك إمامك على رأسك قائم، قال: وجعل يعجب وينخسني بقائم سيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول: ويلك الخليفة على رأسك قائم، قال: ثم يقول بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي.

قال: ثم رجع فجلس على الكرسي ثم قال للجلاد: ادنه شد ـ قطع الله يدك ـ ثم لم يزل يدعو بجلاد بعد جلاد فيضربني سوطين ويتنحى وهو يقول له: شد قطع الله يدك، ثم قام لي الثانية فجعل يقول: يا أحمد أجبني وجعل عبد الرحمن بن إسحاق يقول لي: من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت؟ هذا يحيى بن معين، وهذا أبو خيثمة وابن أبي (؟) وجعل يعدد علي من أجاب، وجعل هو يقول: ويحك أجبني. قال: فجعلت أقول نحواً مما كنت أقول لهم.

قال: فرجع فجلس ثم جعل يقول للجلاد: شد ـ قطع الله يدك ـ قال أبي: فذهب عقلي وما عقلت إلا وأنا في حجرة طلق عني الأقياد فقال إنسان ممن حضر: إنا كببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك سارية، ودسناك قال أبي: فقلت ما شعرت بذلك.

قال: فجاؤني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ فقلت: لا أفطر، ثم جئ بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، قال أبي: فنودي بصلاة الظهر، فصلينا الظهر، قال ابن سماعة: صليت والدم يسيل من ضربك؟ فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً، فسكت ثم خلى

عنه ووجه إليه برجل ممن يبصر الضرب والجراحات، ليعالج فيها، فنظر إليه فقال لنا: والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط ما رأيت ضرباً أشد من هذا، لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات وقال لم يثعب فجعل يأتيه ويعالجه، وقد كان أصاب وجهه غير ضربة، ثم مكث يعالجه ما شاء الله ثم قال: إن هاهنا شيئاً أريد أن أقطعه، فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه، وهو صابر لذلك يحمد الله في ذلك فيراه منه، ولم يزل يتوجع من مواضع منه، وكان أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن توفي رحمه الله.

قال أبو الفضل: سمعت أبي يقول: والله لقد أعطيت المجهود من نفسي، ولوددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي.

قال أبو الفضل: فأخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه وقد كان هذا الرجل - يعني صاحب الشافعي - صاحب حديث قد سمع ونظر، ثم جاءني بعد فقال لي: يا ابن أخي رحمة الله على أبي عبد الله، والله ما رأيت أحداً يشبهه، قد جعلت أقول له في وقت ما يوجه إلينا بالطعام: يا أبا عبد الله أنت صائم وأنت في موضع مسغبة، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب: ناولني فناوله قدحاً فيه ماء وثلج فأخذه فنظر إليه هنيهة ثم رده عليه، قال: فجعلت أعجب إليه من صبره على الجوع والعطش، وما هو فيه من الهول.

قال أبو الفضل: وكنت ألتمس وأحتال أن أوصل إليه طعاماً أو رغيفاً أو رغيفين في هذه الأيام فلم أقدر على ذلك، وأخبرني رجل حضره قال: تفقدته في هذه الأيام وهم يناظرونه ويكلمونه فما لحن في كلمة، وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه.

قال أبو الفضل: دخلت على أبي يوماً فقلت له: بلغني أن رجلاً جاء إلى فضل الأنماطي فقال له: اجعلني في حل إذ لم أقم بنصرتك فقال فضل: لاجعلت أحداً في حل، فتبسم أبي وسكت، فلما كان

بعد أيام قال: مررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني به هاشم بن القاسم ثنا المبارك قال: حدثني من سمع الحسن يقول: إذا جثت الأمم بين يدي رب العالمين يوم القيامة نودوا: ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا. قال أبي: فجعلت الميت في حل من ضربه إياي ثم جعل يقول: وما على رجل أن لا يعذب الله بسببه أحداً.

❁ ❁ ❁

قال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه:

ذكرنا أصح الروايات في المحنة وهو ما رواه أبو الفضل صالح ابنه. ونروي فيها أيضاً. ما حدثناه عبد الله بن جعفر بن أحمد، وحدثني عنه الحسين بن محمد ثنا أبي ثنا أحمد بن أبي عبيد الله، وليس بالوراق، قال: قال أحمد بن الفرج: كنت أتولى شيئاً من أعمال السلطان، فبينا أنا ذات يوم قاعد في مجلس، إذا أنا بالناس قد أغلقوا أبواب دكاكينهم، وأخذوا أسلحتهم فقلت: ما لي أرى الناس قد استعدوا للفتنة؟ فقالوا: إن أحمد بن حنبل يحمل ليمتحن في القرآن. فلبست ثيابي وأتيت حاجب الخليفة وكان لي صادقاً فقلت: أريد أن تدخلني حتى أنظر كيف يناظر أحمد الخليفة، فقال: أتطيب نفسك بذلك؟ فقلت: نعم فجمع جماعة وأشهدهم علي وتبرأ من إثمي، ثم قال لي: امض فإذا كان يوم الدخول بعثت إليك.

فلما كان اليوم الذي أدخل فيه أحمد على الخليفة أتاني رسوله فقال: البس ثيابك واستعد للدخول فلبست قباء فوقه قفطان وتمنطقت بمنطقة، وتقلدت سيفاً وأتيت الحاجب، فأخذ بيدي وأدخلني إلى الفوج الأول مما يلي أمير المؤمنين، وإذا أنا بابن الزيات، وإذا بكرسي من ذهب مرصع بالجوهر قد غشي أعلاه بالديباج، فخرج

الخليفة فقعد عليه ثم قال: أين هذا الذي يزعم أن الله عزّ وجلّ يتكلم بجارحتين؟ علي به.

فأدخل أحمد وعليه قميص هروي وطيلسان أزرق وقد وضع يداً على يد وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، حتى وقف بين يدي الخليفة فقال: أنت أحمد بن حنبل فقال: أنا أحمد بن محمد بن حنبل. فقال: أنت الذي بلغني عنك أنك تقول القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود؟ من أين قلت هذا؟ قال أحمد: من كتاب الله تعالى وخبر نبيه ﷺ. قال: وما قال النبي ﷺ؟ فقال: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (إن الله كلم موسى بمائة ألف كلمة وعشرين ألف كلمة وثلاثمائة كلمة وثلاث عشرة كلمة، فكان الكلام من الله والاستماع من موسى. فقال موسى: أي رب أنت الذي تكلمني أم غيرك؟ قال الله تعالى: يا موسى أنا أكلمك لا رسول بيني وبينك).

قال: كذبت على رسول الله ﷺ.

قال أحمد: فإن يك هذا كذباً مني على رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1] فإن يكن القول من غير الله فهو مخلوق، وإن كان مخلوقاً فقد ادعى حركة لا يطيق فعلها.

فالتفت إلى أحمد وابن الزيات فقال: ناظروه قالوا: يا أمير المؤمنين اقتله ودمه في أعناقنا. قال: فرفع يده فلطم حر وجهه فخر مغشياً عليه فتفرق وجوه قواد خراسان، وكان أبوه من أبناء قواد خراسان، فخاف الخليفة على نفسه منهم فدعا بكوز من ماء فجعل يرش على وجهه[2]. فلما أفاق رفع رأسه إلى عمه وهو واقف بين

---

(١) سورة السجدة، الآية (١٣).

(٢) هذه الفقرة غير واضحة المعنى!!

يدي الخليفة فقال: يا عم لعل هذا الماء الذي صب على وجهي غضب صاحبه عليه. فقال الخليفة: ويحكم ما ترون ما يهجم علي من هذا الحديث، وقرابتي من رسول الله ﷺ لارفعت عنه السوط حتى يقول القرآن مخلوق.

ثم دعا بجلاد يقال له أبو الدن فقال: في كم تقتله؟ قال: في خمسة أو عشرة، أو خمسة عشر أو عشرين، فقال: اقتله فكلما أسرعت كان أخفى للأمر.

ثم قال: جردوه قال: فنزعت ثيابه ووقف بين العقابين وتقدم أبو الدن قطع الله يده فضربه بضعة عشر سوطاً فأقبل الدم من أكتافه إلى الأرض وكان أحمد ضعيف الجسم، فقال إسحاق بن إبراهيم: يا أمير المؤمنين إنه إنسان ضعيف الجسم، فقال: قد سمعت قولي. وقرابتي من رسول الله ﷺ لارفعت السوط عنه حتى يقول كما أقول. فقال: يا أبا عبد الله البشرى، إن أمير المؤمنين قد تاب عن مقالته وهو يقول لا إله إلا الله. فقال أحمد: كلمة الإخلاص وأنا أقول لا إله إلا الله. فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد قال كما تقول. فقال: خل سبيله.

وارتفعت بالباب فقال: أخرج فانظر ما هذه الضجة؟ فخرج ثم دخل فقال: يا أمير المؤمنين إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج أحمد بن حنبل إني لك من الناصحين، فأخرج وقد وضع طيلسانه وقميصه على يده وكنت أول من وافى الباب.

فقال الناس: ما قلت يا أبا عبد الله حتى نقول قال: وما عسى أن أقول اكتبوا يا أصحاب الأخبار واشهدوا يا معشر العامة أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

قال أحمد بن الفرج: وكنت أنظر إلى أحمد بن حنبل والسوط قد أخذ كتفيه وعليه سراويل فيه خيط فانقطع الخيط ونزل السراويل فلحظته وقد حرك شفتيه فعاد السراويل كما كان فسألته عن ذلك

فقال: نعم: إنه لما انقطع الخيط قلت: اللهم إلهي وسيدي واقفتني هذا الموقف فلا تهتكني على رؤوس الخلائق فعاد السراويل كما كان.

عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل. قال: لما توفي إسحاق بن إبراهيم ومحمد ابنه، وولي عبد الله بن إسحاق، كتب المتوكل إليه: أن وجِّه إلى أحمد بن حنبل، إن عندك طلبة أمير المؤمنين. فوجه بحاجبه مظفر وحضر معه صاحب البريد وكان يعرف بابن الكلبي، وكتب إليه أيضاً فقال له مظفر: يقول لك الأمير قد كتب إلي أمير المؤمنين أن عندك طلبته. وقال له ابن الكلبي مثل ذلك، وكان قد نام الناس، فدفع الباب وكان على أبي إزار، ففتح لهم الباب وقعد على بابه ومعه النساء. فلما قرأ عليه الكتاب قال لهم: إني ما أعرف هذا وإني لأرى طاعته في العسر واليسر، والمنشط والمكره والأثرة، وإني أستأسف عن تأخري عن الصلاة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين. وقد كان إسحاق بن إبراهيم وجه إلى أبي رحمه الله: الزم بيتك ولا تخرج إلى جمعة ولا جماعة، وإلا نزل بك ما نزل بك في أيام أبي إسحاق.

ثم قال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته. فتحلف؟ قال: إن استحلفتني حلفت، فأحلفه بالله وبالطلاق ما عندك طلبة أمير المؤمنين، وكأنهم أومأوا إلي أن عنده علوياً ثم قال: أريد أن أفتش منزلك. قال أبو الفضل: وكنت حاضراً فقال: ومنزل ابنك. فقام مظفر وابن الكلبي وامرأتان معهما فدخلا ففتشا البيت ثم فتشت الامرأتان النساء والصبيان. قال أبو الفضل: ثم دخلوا منزلي ففتشوه وأدلوا شمعة في البئر فنظروا ووجهوا نسوة ففتشوا الحريم وخرجوا.

ولما كان بعد يومين ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قذفت به، وقد كان أهل البدع قد

مدوا أعناقهم، فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك، وقد وجه إليك أمير المؤمنين يعقوب المعروف بقوصرة ومعه جائزة ويأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفيني وترد الجائزة.

قال أبو الفضل: ثم ورد من الغد يعقوب، فدخل إلى أبي فقال له: يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد صح نقاء ساحتك، وقد أحببت أن آنس بقربك، وأتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك، وأخرج بدرة فيها صرة نحو مما ذكر مائتي دينار والباقي دراهم صحاح ينظر إليها ثم شدها يعقوب، وقال: أعود غداً حتى أنظر علام تعزم عليه؟ وقال له: يا أبا عبد الله، الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع وانصرف.

فجئت بإجانة خضراء كفأتها على البدرة، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح خذ هذه فصيرها عندك فصيرتها عند رأسي فوق البيت، فلما كان السحر إذا هو ينادي يا صالح فقمت إليه، فقال: يا صالح ما نمت ليلتي هذه، فقلت: لم؟ فجعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم، قد عرضت علي أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت. قلت: ذاك إليك.

فلما أصبح جاءه الحسين بن البزار والمشايخ فقال: جئني يا صالح بالميزان فقال: وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار، ثم قال: وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته، وإلى فلان فلم يزل حتى فرقها كلها، ونفض الكيس، ونحن في حالة الله بها عليم. فجاء بني له فقال: يا أبت أعطني درهماً فنظر إلي فأخرجت قطعة أعطيته، وكتب صاحبَ البريد أنه تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت له يا أمير المؤمنين: قد تصدق بها وقد علم الناس أنه قد قبل منك، ما يصنع أحمد بالمال، وإنما قوته رغيف، قال: فقال لي: صدقت يا علي.

عن صالح بن أحمد بن حنبل. قال: كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك كتاباً أسألك من أمر القرآن لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة.

فأملى عليه أبي رحمه الله: إلى عبيد الله بن يحيى ـ وحدي ما معنا أحد ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم: أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا برحمته، قد كتبت إليّ رضي الله تعالى عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن، بما حضرني، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين قد كان الناس في خوض من الباطل، واختلاف شديد يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس، فصرف الله ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً، ودعوا الله لأمير المؤمنين، وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين وأن يزيد في بيته، ويعينه على ما هو عليه.

فقد ذكر عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم.

وذكر عن عبد الله بن عمر: أن فقراء كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ قال: فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: (أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه).

وروى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (مراء في القرآن كفر).

وروي عن أبي جهم - رجل عن أصحاب النبي ﷺ - عن

فجعل عمر يسأل عن الناس فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فنهرني عمر وقال: مه. فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلا بي وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ فقلت؛ يا أمير المؤمنين متى ما يتسارعوا هذه المسارعة يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يختصموا ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: لله أبوك، والله إن كنت لاكتمها الناس حتى جئت بها.

وروي عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: (هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي).

كتاب الله وتدبرته كدت أن أيأس وينقطع رجائي. قال: فقال الحسن: إن القرآن كلام الله وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير فاعمل وابشر.

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جار الخباب ـ وهو من أصحاب النبي ﷺ ـ فخرجت معه يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هذا تقرب لله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

وقال رجل للحكم بن عتبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قرة ـ وكان أبوه ممن أتى النبي ﷺ ـ: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال.

وقال أبو قلابة ـ وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ ـ: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ـ أو قال أصحاب الخصومات ـ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ فقال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقوم عنكما. قال: فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرأا عليك آية من كتاب الله تعالى؟ فقال له ابن سيرين: إني خشيت أن يقرأا علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ فولى وهو يقول بيده ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل عن أهل البدع: يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك لا تسمع ما يقول. ثم قال: أشدد.

وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.

وكان الحسن رحمه الله يقول: شرٌ داء خالط قلباً. يعني الأهواء.

وقال حذيفة بن اليمان: ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً ـ أو قال: مبيناً ـ.

قال أبي رحمه الله: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[1] وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] فأخبر بالخلق ثم قال: والأمر، فأخبر أن الأمر غير المخلوق.

وقال عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ فأخبر تعالى أن القرآن من علمه وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾[3] وقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ

(١) سورة التوبة، الآية (٦).
(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).
(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾[2] فالقرآن من علم الله تعالى.

وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه ﷺ هو القرآن لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[3].

وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وهو الذي أذهب إليه لست بصاحب كلام ولا أدري الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين رحمهم الله، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

❁ ❁ ❁

قال أبو الفضل: وقدم المتوكل فنزل الشماسية يريد المدائن، فقال لي أبي: يا صالح أحب أن لا تذهب اليوم، ولا تنبه عليّ، فلما كان بعد يوم وأنا قاعد خارجاً، وكان يوم مطر، إذا يحيى بن خاقان قد جاء والمطر عليه في موكب عظيم فقال: سبحان الله لم تصل إلينا حتى نبلغ أمير المؤمنين السلام عن شيخك حتى وجه بي، ثم نزل خارج الزقاق فجهدت به أن يدخل على الدابة فلم يفعل، فجعل يخوض المطر، فلما صار إلى الباب نزع جرموقه وكان على خفه ودخل وأبي في الزاوية قاعد عليه كساء مربع وعمامة والستر الذي على الباب قطعة خيش، فسلم عليه وقبل جبهته، وسأله عن حاله،

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٥).
(٢) سورة الرعد، الآية (٣٧).
(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

وقال: أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: كيف أنت في نفسك وكيف حالك؟ وقد أنست بقربك ويسألك أن تدعو له. فقال: ما يأتي علي يوم إلا وأنا أدعو الله له. ثم قال: قد وجه معي ألف دينار تفرقها على أهل الحاجة، فقال له: يا أبا زكريا، أنا في البيت منقطع عن الناس، وقد أعفاني من كل ما أكرهه. فقال: يا أبا عبد الله الخلفاء لا يحتملون هذا. فقال: يا أبا زكريا تلطف في ذلك فدعا له، ثم قام فلما صار إلى الدار رجع وقال: أهكذا كنت لو وجه إليك بعض إخوانك تفعل؟ قال: نعم، فلما صرنا إلى الدهليز قال: قد أمرني أمير المؤمنين أن أدفعها إليك تفرقها، فقلت: تكون عندك إلى أن تمضى هذه الأيام.

قال أبو الفضل: وقد كان وجه محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أبي في وقت قدومه بالعسكر: أحب أن تصير إليّ وتعلمني الذي تعزم عليه، حتى لا يكون عندي أحد.

فوجَّه إليه أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره، وهذا مما أكره.

فجهد أن يصير إليه فأبى.

وكان قد أدمن الصوم لما قدم، وجعل لا يأكل الدسم، وكان قبل ذلك يُشترى له شحم بدرهم فيأكل منه شهراً، فترك أكل الشحم وأدام الصوم والعمل، وتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه أن يفعل ذلك إن سَلِم.

وكان حمل إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ثم مكث إلى سنة إحدى وأربعين، وكان قل يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه.

فلما كان أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، حُمَّ ليلة الأربعاء وكان في خريقته قطيعات فإذا أراد الشيء أعطينا من

يشتري له، وقال لي يوم الثلاثاء وأنا عنده: انظر في خريقتي شيء؟ فنظرت فإذا فيها دراهم، فقال: وجه اقتض بعض السكان، فوجهت، فأعطيت شيئاً فقال: وجه فاشتر تمراً وكفر عني كفارة يمين. فاشتريت وكفرت عن يمينه وبقي من ثمن التمر ثلاثة دراهم فأخبرته فقال: الحمد لله. وكنت أنام بالليل إلى جنبه، فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وجعل يحرك لسانه ولم يئن؛ إلا في الليلة التي توفي فيها؛ ولم يزل يصلي قائماً، أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه، واجتمعت عليه أوجاع الخصر وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتاً. فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي رحمة الله تعالى عليه.

عن أحمد بن يحيى ثعلب النحوي. قال: كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل، فدخلت عليه فقال لي: فيم تنظر؟ فقلت: في النحو والعربية والشعر، فأنشدني أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يخلف ما مضى	وأن الذي يخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت	ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن يغفر الله ما مضى	ويأذن لي في توبة فأتوب

قال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه:

وكان الإمام أحمد بن حنبل موضعه من الإمامة موضع الدعامة. لقدوته بالآثار. وملازمته للأخيار. لا يرى له عن الآثار معدلاً. ولا يرى للرأي معقلاً. كان في حفظ الآثار الجبل العظيم. وفي العلل والتعليل البحر العميم.

ذكرنا له من رواياته اليسير. وإن كان هو البحر الغزير.

أدرك من أتباع التابعين مالا يحصون كثرة.

٤٤٦ ـ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي

[ت٢٣٨هـ]

قال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى ورضوانه عليه.

ومنهم الإمام الهمام المشهور. بالحفظ والفقه مذكور. أعلامه في العالم منشور. إسحاق بن إبراهيم الحنظلي[(١)].

قرين الإمام المعظم المبجل. أحمد بن حنبل. وخدين الإمام المفضل محمد ابن إدريس الشافعي. كان إسحاق للآثار مثيراً. ولأهل الزيغ والبدع مبيراً.

٤٤٧ ـ محمد بن أسلم

[ت٢٤٢هـ]

ومنهم السليم الأسلم المذكور بالسواد الأعظم. الطوسي أبو الحسن محمد بن أسلم[(٢)].

أحواله مشتهرة مشهورة. وشمائله مسطرة مذكورة. كان بالآثار مقتدياً. وعن الآراء منتهياً. أعطي بياناً وبلاغة. وزهداً وقناعة. نقض على المخالفين بتبيانه. وأقبل على تصحيح حاله وشأنه.

عن أبي عبد الله محمد بن القاسم الطوسي، خادم ابن أسلم. قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: وذكر في حديث رفعه إلى النبي ﷺ قال: (إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم) فقال رجل: يا أبا يعقوب من السواد الأعظم؟ فقال محمد بن أسلم وأصحابه، ومن تبعه.

---

(١) إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أبو يعقوب، ويقال له: ابن راهويه، أحد أئمة الإسلام، رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، وعاد فاستوطن نيسابور. توفي بنيسابور ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الصفوة).

(٢) قال في شذرات الذهب ٢/١٠١: توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

ثم قال: سأل رجل ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن من السواد الأعظم؟ قال أبو حمزة السكوني. ثم قال إسحاق في ذلك الزمان: يعني أبا حمزة، وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه، ثم قال إسحاق: لو سألت الجهال من السواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ومن خالفه فيه ترك الجماعة ثم قال إسحاق: لم أسمع عالماً منذ خمسين سنة أعلم من محمد بن أسلم.

قال أبو عبد الله: وسمعت أبا يعقوب المروزي ببغداد، وقلت له: قد صحبت محمد بن أسلم وصحبت أحمد بن حنبل أي الرجلين كان عندك أرجح، أو أكبر، أو أبصر بالدين؟ فقال: يا أبا عبد الله لم تقول هذا؟ إذا ذكرت محمد بن أسلم في أربعة أشياء فلا نقرن معه أحداً: البصر بالدين، واتباع أثر النبي ﷺ في الدنيا، وفصاحة لسانه بالقرآن، والنحو. ثم قال لي: نظر أحمد بن حنبل في كتاب الرد على الجهمية الذي وضعه محمد بن أسلم فتعجب منه، ثم قال: يا أبا يعقوب رأت عيناك مثل محمد؟ فقلت: يا أبا عبد الله لا يغلظ رأي محمد من أستاذيه ورجاله مثله فتفكر ساعة ثم قال: لا قد رأيتهم وعرفتهم فلم أر فيهم على صفة محمد بن أسلم.

قال أبو عبد الله: وسألت يحيى بن يحيى عن ست مسائل فأفتى فيها، وقد كنت سمعت محمد بن أسلم أفتى فيها بغير ذلك، احتج فيها بحديث النبي ﷺ، فأخبرت يحيى بن يحيى بفتيا محمد بن أسلم فيها فقال: يا بني أطيعوا أمره، وخذوا بقوله، فإنه أبصر منا. ألا ترى أنه يحتج بحديث النبي ﷺ في كل مسألة وليس ذاك عندنا.

قال: سمعت شيخاً من أهل مرو يكنى بأبي عبد الله قال: صحبت ابن عيينة ووكيعاً، وكان صديقاً ليحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه، وكان صاحب علم، فأخبرني قال: كنت عند يحيى بن يحيى

فقال لي: يا أبا عبد الله قد رأيت محمد بن أسلم، وصحبت إسحاق بن راهويه، فأي الرجلين أبصر عندك وأرجح؟ فقلت: يا أبا زكريا مالك إذا ذكرت محمد بن أسلم تذكر معه إسحاق بن راهويه وغيره؟ قد صحبت وكيعاً سنتين وأشهراً وصحبت سفيان بن عيينة ولم أر يوماً واحداً لهم من الشمائل ما لمحمد بن أسلم، ثم قلت: إنما يعرف محمد بن أسلم رجل بصير بالعلم قد عرف الحديث ينظر في شمائل هذا الرجل، فيعلم بأي حديث يعمل به، هذا الرجل اليوم غريب في هذا الخلق، لأنه يعمل بما عمل به النبي ﷺ وأصحابه، وهو عند الناس منكر، لأنهم لم يروا أحداً يعمل به، فلا يعرفه إلا بصير، فقال يحيى بن يحيى: صدقت هو كما تقول: فمن مثله اليوم؟.

قال: وسمعت إسحاق بن راهويه ذات يوم روى في ترجيح الأذان أحاديث كثيرة، ثم روى حديث عبدالله بن زيد الأنصاري، وقد أمر محمد بن أسلم الناس بالترجيح، فقلتم: هذا مبتدع، عامة أهل هذه الكورة غوغاء، ثم قال: احذروا الغوغاء، فإن الأنبياء قتلتهم الغوغاء، فلما كان الليل دخلت عليه، فقلت له: يا أبا يعقوب حدثت هذه الأحاديث كلها في الترجيح، فما لك لا تأمن مؤذنك؟ قال: يا مغفل ألم تسمع ما قلت في الغوغاء، لأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء، فأما أمر محمد بن أسلم فإنه يتمادى كلما أخذ في شيء تم له، ونحن عنده نملأ بطوناً لا يتم لنا أمر، نأخذ فيه نحن عن محمد بن أسلم مثل السراق.

قال أبو عبد الله: وكتب إليّ أحمد بن نصر: أن اكتب إليَّ بحال محمد بن أسلم، فإنه ركن من أركان الإسلام.

قال: وأخبرني محمد بن مطرف، وكان رحل إلى صدقة الماوردي، قال: قلت لصدقة: ما تقول في رجل يقول القرآن

مخلوق؟ فقال: لا أدري؟ فقلت: إن محمد بن أسلم قد وضع فيه كتاباً، قال: هو معكم؟ قلت: نعم، قال: ائتني به، فأتيته به، فلما كان من الغد قال لنا: ويحكم كنا نظن أن صاحبكم هذا صبي، فلما نظرت إليه إذا هو قد فاق أصحابنا، قد كنت قبل اليوم لو ضربت سوطين لقلت: القرآن مخلوق فأما اليوم فلو ضرب عنقي لم أقله.

قال: وكنت جالساً عند أحمد بن نصر بنيسابور، بعد ما مات محمد بن أسلم بيوم، فدخلت عليه جماعة من الناس، فيهم أصحاب الحديث مشايخ وشباب، وقالوا: جئنا من عند أبي النضر وهو يقرئك السلام، ويقول: ينبغي لنا أن نجتمع فنعزي بعضنا بموت هذا الرجل، الذي لم نعرف من عهد عمر بن عبد العزيز رجلاً مثله. وقيل لأحمد بن نصر: يا أبا عبد الله صلى عليه ألف ألف من الناس، وقال بعضهم ألف ألف ومائة ألف من الناس، يقول صالحهم وطالحهم: لم نعرف لهذا الرجل نظيراً، فقال أحمد بن نصر: يا قوم أصلحوا سرائركم بينكم وبين الله، ألا ترون رجلاً دخل بيته بطوس فأصلح سره بينه وبين الله ثم نقله الله إلينا، فأصلح الله على يديه ألف ألف ومائة ألف من الناس.

قال أبو عبد الله: ودخلت على محمد بن أسلم، قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله: تعال، أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت وقد منَّ الله علي أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه، وقد علم الله ضعفي وأني لا أطيق الحساب، فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني به الله. ثم قال: اغلق الباب ولا تأذن لأحد عليّ حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كتبي وكسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ منه، وكتبي هذه فلا تكلفوا الناس مؤنة. وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال: هذا لابني أهداه إليه قريب له، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه،

لأن النبي ﷺ قال: (أنت ومالك لأبيك). وقال: (أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وولده من كسبه). فكفنوني فيها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي وغطوا على جنازتي كسائي، ولا تكلفوا أحداً ليأتي جنازتي، وتصدقوا بإنائي، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه، ثم مات في اليوم الرابع، فعجبت أن قال لي ذلك بيني وبينه.

فلما أخرجت جنازته جعل النساء يقلن من فوق السطوح: يا أيها الناس هذا العالم الذي خرج من الدنيا، وهذا ميراثه الذي على جنازته، ليس مثل علمائنا هؤلاء، الذين هم عبيد بطونهم، يجلس أحدهم للعلم سنتين أو ثلاثاً فيشتري الضياع ويستفيد المال.

وقال لي محمد: يا أبا عبد الله، أنا معك وقد علمت أن معي في قميصي من يشهد عليَّ، فكيف ينبغي لي أن آتي الذنوب؟ إنما يعمل الذنوب جاهل، ينظر فلا يرى أحداً، فيقول: ليس يراني أحد أذهب فأذنب. فأما أنا كيف يمكنني ذلك وقد علمت أن داخل قميصي من يشهد عليّ؟.

ثم قال: يا أبا عبد الله، مالي ولهذا الخلق، كنت في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت الدنيا وحدي ثم تقبض روحي وحدي، وأدخل في قبري وحدي، ويأتيني منكر ونكير فيسألاني في قبري وحدي، فإن صرت إلى خير، صرت وحدي، وإن صرت إلى شر، كنت وحدي، ثم أوقف بين يدي الله وحدي، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي، فمالي وللناس؟.

ثم تفكر ساعة، فوقعت عليه الرعدة، حتى خشيت أن يسقط، ثم رجعت إليه نفسه.

ثم قال: يا أبا عبد الله: إن هؤلاء قد كتبوا رأي أبي حنيفة،

وكتبت أنا الأثر، فأنا عندهم على غير طريق، وهم عندي على غير طريق.

وقال لي: يا أبا عبد الله، أصل الإسلام في هذه الفرائض، وهذه الفرائض في حرفين: ما قال الله ورسوله: افعل، فهو فريضة ينبغي أن يفعل، وما قال الله ورسوله: لا تفعل، فينبغي أن ينتهى عنه، فتركه فريضة، وهذا في القرآن، وفي فريضة النبي ﷺ، وهم يقرؤونه، ولكن لا يتفكرون فيه، قد غلب عليهم حب الدنيا.

حديث عبد الله بن مسعود (خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ (أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وأمتي تفترق على ثلاثة وسبعين، كلها في النار إلا واحدة). قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي). فرجع الحديث إلى واحد، والسبيل الذي قال في حديث ابن مسعود، والذي قال: ما أنا عليه وأصحابي، فدين الله في سبيل واحد، فكل عمل أعمله أعرضه على هذين الحديثين) فما وافقهما عملته وما خالفهما تركته.

ولو أن أهل العلم فعلوا لكانوا على أثر النبى ﷺ، ولكنهم فتنهم حب الدنيا، وشهوة المال، ولو كان في حديث عبد الله بن عمرو الذي قال: (كلها في النار إلا واحدة) قال: كلها في الجنة إلا واحدة، لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

وجميع أمورنا خوفاً أن نكون من تلك الواحدة؟ فكيف وقد قال: (كلها في النار إلا واحدة).

قال عبد الله: صحبت محمد بن أسلم نيفا وعشرين سنة، لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، ولا يسبح ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلم بسره، وعلانيته مني. وسمعته يحلف كذا كذا مرة: أن لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاني لفعلت، ولكن لا أستطيع ذلك خوفاً من الرياء، لأن النبي ﷺ قال: (اليسير من الرياء شرك) ثم أخذ حجراً صغيراً فوضعه على كفه فقال: أليس هذا حجر؟ قلت: بلى! قال: أو ليس هذا الجبل حجراً؟ قلت: بلى قال: فالاسم يقع على الكبير والصغير أنه حجر، فكذلك الرياء، قليله وكثيره شرك.

وكان محمد يدخل بيتاً ويغلق بابه ويدخل معه كوزاً من ماء، فلم أدر ما يصنع حتى سمعت ابناً له صغيراً يبكي بكاءه فنهته أمه فقلت لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن ويبكي فيسمعه الصبي فيحكيه. فكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل، فلا يرى عليه أثر البكاء.

وكان محمد يصل قوماً ويعطيهم ويكسوهم، فيبعث إليهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه إليهم، فيأتيهم هو بالليل، فيذهب به إليهم، ويخفي نفسه فربما بلى ثيابهم ونفد ما عندهم ولايدرون من الذي أعطاهم، ولا أعلم منذ صحبته وصل أحداً بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك.

وأكلت عند محمد ذات يوم ثريداً في بريدا فقلت له: يا أبا الحسن مالك تأتيني بثريد بارد هكذا تأكله؟ قال: يا أبا عبد الله، إني إنما طلبت العلم لأعمل به، وقد روي عن النبي ﷺ: (ليس في الحار بركة).

وكنت أخبز له فما نخلت له دقيقاً قط إلا أن أغضبه، وكان

يقول: اشتر لي شعيراً أسود قد تركه الناس، فإنه يصير إلى الكنيف، ولا تشتر لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم.

وأردت أن أخرج إلى بعض القرى، ولا أرجع نحواً من أربعة أشهر، فاشتريت له عدل شعير أبيض جيداً، فنقيته وطحنته، ثم أتيته به فقلت: إني أريد أن أخرج إلى بعض القرى فأغيب فيه، واشتريت لك هذا الطعام لتأكل منه حتى أرجع. فقال لي: نقيته لي وجودته لي؟ قلت: نعم. فتغير لونه وقال: إن كنت تقيدت فيه ونقيته، فأطعمه نفسك، فلعل لك عند الله أعمالاً تحتمل أن تطعم نفسك النقي، فأما أنا فقد سرت في الأرض ودرت فيها، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلي إلى القبلة شرا عندي من نفسي، فبم أحتج عند الله أن أطعمها النقي؟ خذ هذا الطعام واشتر لي بدله شعيراً أسود ردياً، فإنه إنما يصير إلى الكنيف.

ثم قال: ويحكم أنتم لا تعرفون الكنيف، لا أعلم فيكم من يبصر بقلبه، لو أن إنساناً كان يبيع بيعاً فجاءه رجل بدراهم فقال: أحب أن تعطيني من جيد بيعك فإنه أريده للكنيف، تضحكون منه وتقولون: هذا مجنون، فكيف لا تضحكون من أنفسكم، احفروا حفراً واجعلوا فيها ماء وطعاماً وانظروا هل ينتن في شهر، وأنتم تجعلونه في بطونكم فينتن في يوم وليلة، فالكنيف هو البطن.

ثم قال: اخرج واشتر لي رحى فجئني بها واشتر لي شعيراً ردياً لا يحتاج إليه الناس حتى أطحنه بيدي فآكله لعلي أبلغ ما كان فيه علي وفاطمة، فإنه كان يطحن بيده.

وولد له ابن، فدفع إليَّ دراهم وقال: اشتر كبشين عظيمين، وغال بهما فإنه كلما كان أعظم كان أفضل. فاشتريت له وأعطاني عشرة دراهم فقال: اشتر به دقيقاً واخبزه، فنخلت الدقيق وخبزته ثم جئت به فقال: نخلت هذا؟ فأعطاني عشرة دراهم أخر وقال: اشتر به

دقيقاً ولا تنخله واخبزه. فخبزته وحملته إليه فقال لي: يا أبا عبد الله إن العقيقة سنة ونخل الدقيق بدعة، ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة، فلم أحب أن يكون ذلك الخبز في بيتي بعد أن يكون بدعة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى.

وأما كلامه في النقض على المخالفين من الجهمية والمرجئة فشائع ذائع، وقد كان رحمه الله من المثبتة لصفات الله أنها أزلية غير محدثة في كتابه المترجم بالرد على الجهمية.

وأما نقضه رحمه الله على المرجئة الكرامية التي زعمت أن الإيمان هو القول باللسان من دون عقد القلب الذي هو التصديق، فقد صنف في الإيمان وفي الأعمال الدالة على تصديق القلب وأماراته كتاباً جامعاً كبيراً.

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله:

أدرك محمد بن أسلم من التابعين جماعة، فإن الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد تابعيان، وهو قد سمع من محمد ويعلى ابني عبيد، ومحاضر وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبي نعيم وجعفر بن عوف.

وأدرك من أصحاب الثوري والأوزاعي جماعة منهم قبيصة، والحسين بن جعفر، ويزيد بن هارون، وعبد العزيز بن أبان، ومحمد بن كثير، ووهب بن جرير، وخلاد بن يحيى، ومؤمل، والحميدي، والعلاء بن عبد الجبار.

ومن أهل المشرق: النضر بن شميل، ويحيى بن يحيى، والحسين بن الوليد، وجعفر بن يحيى ممن لا يعد.

الفصل الثالث
ذكر المشتهرين بالنسك

قال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه.

اقتصرنا على من ذكرناهم من الأئمة الذين هم أوتاد الأرض، لاشتهارهم مع وفور علمهم بالنسك والعبادة، ولو ذكرنا من نحا نحوهم في التعبد والنسك من رواة الآثار والفقهاء لطال الكتاب.

وعدنا إلى ذكر المشتهرين بالنسك والمغتنمين لحظوظهم من الأوقات والساعات، الذين ليس لغيرهم فيهم مرتع، ولاعنهم مقتبس.

٤٤٨ ـ أبو سليمان الداراني

[ت٢٠٥هـ]

فمنهم: أبو سليمان، عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني. وداريا قرية من قرى دمشق. كان سبر الأحوال ليعتبر الأهوال. فطهر من الإعلال لمداومته على الدؤوب والكلال.

عن هارون بن ملول المصري. قال: سمعت ذا النون المصري يقول: تسمعوا ليلاً على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول: يا رب إن طالبتني بسريرتي، طالبتك بتوحيدك، وإن طالبتني بذنوبي، طالبتك بكرمك، وإن جعلتني من أهل النار، أخبرت أهل النار بحبي إياك.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: سمعت صالح بن عبد الجليل يقول: ذهب الميطعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى لهم يوم القيامة: رضيتم بي

بدلاً دون خلقي، وآثرتموني على شهواتكم في الدنيا، فعندي اليوم فباشروها، فلكم اليوم عندي تحياتي وكرامتي، فبي فافرحوا، وبقربي فتنعموا، فوعزتي وجلالي ما خلقت الجنات إلا من أجلكم.

عن القاسم بن عثمان الجرعي. قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: قرأت في بعض الكتب يقول الله عز وجل: بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، ويكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف بهم وقد صاروا في جواري، وتبحبحوا في رياض خلدي، فهنالك فليبشر المصغون إلى أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب، ترون أن أضيع لهم عملاً، وأنا أجودُ على المولين عني، فكيف بالمقبلين عليّ؟ ما غضبت على أحد كغضبي على من أذنب ذنباً فأستعظمه في جنب عفوي، فلو كنت معجلاً أحداً وكانت العجلة من شأني لعاجلت القانطين من رحمتي، فأنا الديان الذي لا تحل معصيتي ولا أطاع إلا بفضل رحمتي، ولو لم أشكر عبادي إلا على خوفهم من المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك، وجعلت ثوابهم الأمن مما خافوا، فكيف بعبادي لو قد رفعت قصوراً تحار لرؤيتها الأبصار، فيقولون: ربنا لمن هذه القصور؟ فأقول: لمن أذنب ذنباً ولم يستعظمه في جنب عفوي، ألا وإني مكافئ على المدح فامدحوني.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: من أحسن في نهاره كفي في ليله، ومن أحسن في ليله كفي في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤنتها، وكان الله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: لا يصف أحد درجة هو فيها حتى يدعها أو يجوزها.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إذا بلغ العبد غاية من الزهد أخرجه ذلك إلى التوكل.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس، وهمتهم غير همة الناس.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لو شك الناس كلهم في الحق، ما شككت فيه وحدي.

قال أحمد: كان قلبه في هذا مثل قلب أبي بكر الصديق يوم الردة.

عن ابن أبي الحواري. قال: قال أبو سليمان: كل قلب فيه شك فهو ساقط.

عن أحمد ابن أبي الحواري. قال: قال أبو سليمان: لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط، ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص.

وسأله رجل: عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل فبكى، وقال: مثلك يسأل عن هذا؟ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله، أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: من وثق بالله في رزقه. زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: كلما ارتفعت منزلة القلب، كانت العقوبة إليه أسرع.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا أصاب الشهوة فندم، ارتفعت عنه العقوبة، وإن اغتبط وحدث نفسه أن يعاودها دامت عليه العقوبة.

عن أحمد. قال: قال أبو سليمان. إذا استحيى العبد من ربه عز وجل فقد استكمل الخير.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لا تجيء الوساوس إلا إلى كل قلب عامر، رأيت لصاً يأتي الخرابة ينقبها وهو يدخل من أي الأبواب شاء؟ إنما يجيء إلى بيت فيه رزم، وقد أقفل ينقبه ليستل الرزمة.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: قد أسكنهم الغرف قبل أن يطيعوه، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه، وقد كان عمر بن الخطاب يحمل الطعام إلى الأصنام والله تعالى يحبه ما ضره ذلك عند الله طرفة عين.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: دع الخبز أبداً وأنت تشتهيه، فهو أحرى أن تعود إليه.

قال: وقال لي أبو سليمان: جوع قليل، وسهر قليل، وبرد قليل، يقطع عنك الدنيا.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: القناعة أول الرضا، والورع أول الزهد.

عن ابن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لا تعاتب أحداً من الخلق في زماننا، فإنك إن عاتبته أعقبك بأشد مما عاتبته، دعه بالأمر الأول فهو خير له.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع. وكلامهم قريب بعضه من بعض، وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله.

عن موسى بن عمران. قال: سمعت أبا سليمان يقول: الدنيا تطلب الهارب منها، فإن أدركته جرحته، وإن أدركها الطالب لها قتلته.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: واحزناه على الحزن في دار الدنيا.

عن القاسم بن عثمان الجرعي. قال: قال لي أبو سليمان: يا قاسم إذا سماك الله باسم فكن عند ما سماك وإلا هلكت.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني يقول: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشبع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله تعالى.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: العيال يضعفون يقين الرجل، إنه إذا كان وحده فجاع قنع، وإذا كان له عيال طلب لهم، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا جاءت الدنيا إلى القلب، ترحلت الآخرة منه، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجئ الآخرة تزحمها، لأن الدنيا لئيمة والآخرة عزيزة.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف، وشهوته في قلبه خمسة دراهم، أفما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه،. قال أبو سليمان: وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء، جاز له أن يتدرع عباءة، ويلزم الطريق، لأن العباءة علم من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال لي أبو سليمان: يا

أحمد، كن كوكباً فإن لم تكن كوكباً فكن قمراً، فإن لم تكن قمراً فكن شمساً، فقلت: يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكوكب، والشمس أضوأ من القمر. قال: يا أحمد، كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر، فقم أول الليل إلى آخره، فإن لم تقوَ على قيام الليل، فكن مثل الشمس، تطلع أول النهار إلى آخره، فإن لم تقدر على قيام الليل، فلا تعص الله بالنهار.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا فاتك شيء من التطوع فاقض، فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: أمثل لي رأسي بين جبلين من نار، وربما رأيتني أهوي فيها حتى أبلغ قرارها، فكيف تهنأ الدنيا من كانت هذه صفته؟.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: إنما هانوا عليه فعصوه، ولو كرموا عليه لمنعهم منها.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول لمحمود بن خالد: احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبيره.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا قال الرجل لأخيه: بيني وبينك الصراط، فإنه ليس يعرف الصراط، لو عرف الصراط لأحب أن لا يتعلق بأحد، ولا يتعلق به أحد.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لما حج أويس دخل المدينة، فلما وقف على باب المسجد، قيل له: هذا قبر النبي ﷺ، قال: فغشي عليه، فلما أفاق قال: أخرجوني فليس بلادي بلداً محمد ﷺ فيه مدفون.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أني بعد أدع الفكر فيها ما جزتها أبداً، وربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل، فسبحان الذي رده إليهم بعد.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: الرضا عن الله عز وجل، والرحمة للخلق درجة المرسلين.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة، إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها، كيف صبر عنها.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: من عرف الدنيا عرف الآخرة، ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة. قال أحمد: يعني الزهد.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قلت لأبي سليمان: أليس قد جاء الحديث: إن المؤمن ينظر بنور الله؟ قال: صدقت، ولكن أين الذي ينظر بنور الله؟ قال: وقلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي. قال: ولا على قلبي ولكن لعلنا إنما أتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحب الصالحين.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان ليحيى بن زكريا قدح يشرب فيه ويتوضأ، فمر برجل يشرب بيده فقال: أرى هذا قد اجتزى بيده، فطرح القدح فقال: هذا مع ما تركته من الدنيا.

وقلت لأبي سليمان: تبيت عندنا؟ قال: ما أحبكم تشغلوني بالنهار، وتريدون أن تشغلوني بالليل.

وقلت لأبي سليمان: إني قد غبطت بني إسرائيل، قال: بأي شيء ويحك؟ قلت: بثمان مائة سنة وبأربعمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية، والحنايا، وكالأوتار. قال: ما ظننت إلا أنك قد جئت بشيء!! لا والله ما يريد الله منا أن تيبس جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده، هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذاك في عمره.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ما عمل داود عليه السلام عملاً قط، كان أنفع له من خطيئته، ما زال منها خائفاً هارباً حتى لحق بربه عز وجل.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل فبأي شيء يعجب؟.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: أرجو أن أكون قد رزقت من الرضا طريقاً، لو أدخلني النار لكنت بذاك راضياً.

قال: ورأيت أبا سليمان أراد أن يلبي فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا أحمد بلغني أن الرجل إذا حج من غير حله فقال: لبيك اللهم لبيك، قال له الرب: لا لبيك ولا سعديك، حتى ترد ما في يديك، فما يؤمنني أن يقال لي هذا، ثم لبى.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ليس اتخاذ الحج من بضاعة أهل الورع، لا يقضى منه دين، ولا يشترى منه مصحف، وما فضل يرد إلى الورثة.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال لي أبو سليمان: كيف يترك الدنيا من تأمرونه بترك الدينار والدرهم، وهم إذا ألقوها أخذتموها أنتم.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان (٢٢ ـ ٢٣).

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: أي شيء أراد أهل المعرفة؟ والله ما أرادوا إلا ما سأل موسى عليه السلام.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال أبو سليمان: قال لقمان لابنه: يا بني لا تدخل في الدنيا دخولاً يضر بآخرتك، ولا تتركها تركاً تكون كلًا على الناس.

وقال لي أبو سليمان: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يفت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد.

قال أبو سليمان: ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب، يتوقع إنساناً يجيء يعطيه شيئاً.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إذا ذكرت الخطيئة لم أشته أن أموت، قلت: أبقى لعلي أن أتوب.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: أي شيء يزيد الفاسقون عليكم إذا اشتهيتم شيئاً أكلتموه.

❀ ❀ ❀

عن أحمد. قال: قلت لأبي سليمان: يجوز للرجل أن يقول: اللهم اجعلني صديقاً؟ قال: إن عرف في نفسه من خصالهم شيئاً وإلا فلا يتعد فإن من الدعاء تعدياً.

قال أبو سليمان: وما رأيت صوفياً فيه خير، إلا واحداً عبد الله بن مرزوق. قال: وأنا أرق لهم.

قال: وقال صبح لأبي سليمان: طوبى للزاهدين. فقال أبو سليمان: طوبى للعارفين.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول في الرجل يتعبد ثم يترك العبادة ثم يرجع إليها، قال: ليس يبلغ ما كان فيه أبداً، لأنه دخلها أولاً

ومعه آلة من الخوف، فلما رجع إليها عاد إليها وليست تلك الآلة معه فليس يبلغها أبداً.

قال: وقلت لأبي سليمان: يكون الرجل يصيب الشهوات، وهو يجد حلاوة العبادة. قال: ما أعرفه بوجه من الوجوه، وإن الله تعالى ليفعل بعد في خلقه ما يشاء.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: كل من أكل ليسرَّ أخاه لم يضر أكله، إن العامل لله لا يخيب، إنما يضره إذا أكله شهوة نفسه - يعني الشهوات -.

قال: وقلت لأبي سليمان: يأتي على القلب ساعة لا يرتاح. قال: لا أعرفه إلا من حدة فكره.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إن استطعت أن لا تعرف بشيء ولا يسار إليك فافعل.

قال: وسمعته يقول في قوله عز وجل: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[1] قال: أبصار قلوبهم.

قال: وقلت لأبي سليمان: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح. قال: فتغير وجهه وغضب علي فقال: ويحك؛ أما استحييت منه يراك ساهراً في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إذا لذَّت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد، وإذا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ، الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان. قال: وفسره قال: كان أمس في شيء ينوي الزيادة فلما

---

(١) سورة الشورى، الآية (٤٥).

أصبح اليوم إلى تلك الزيادة فلم ينو الزيادة، فترت نيته، فليس يثبت على هذه الحال. قال: ولو أراد الوصف أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه. وفسره فقال: لا يصف درجة هو فيها حتى يجوزها ويفتر عنها.

❀ ❀ ❀

عن أبي عمران موسى بن عيسى الجصاص. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ينبغي للعبد المعني بنفسه، أن يميت العاجلة الزائلة المتعقبة بالآفات من قلبه بذكر الموت، وما وراء الموت من الأهوال والحساب، ووقوفه بين يدي الجبار.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: الزاهد حقاً، لا يذم الدنيا ولا يمدحها ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت.

قال: وسمعته يقول: إذا جاع القلب وعطش صفا ورق، وإذا شبع وروي عمي وبار.

قال: سمعت أبا سليمان يقول: استجلب الزهد بقصر الأمل، وادفع أسباب الطمع بالإياس والقنوع، وتخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصال باقية: الكرم والحلم والعلم، والحكمة، والرحمة والرأفة والفضل والصفح والإحسان، والعطف والبر واللطف.

وقال أبو سليمان: رُدَّ سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى إجماع القلب بقلة الخطأ، وتعرَّض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات.

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ضحك العارف التبسم.

عن أحمد. قال: قلت له: يا أبا سليمان إنما رجع إلى الكسب ـ يعني ابنه سليمان ـ وطلب الحلال والسنة، فقال لي: ليس يفلح قلب يهتم بجمع القراريط.

قال: وسمعت أبا سليمان وذكر له رجل فقال: قد وقع على قلبي مقته، ولكن صف لي حالته، فقلت: إنه نشأ في الصوف والقرآن، وأكل الملون، فقال: قد كنت أحب أن يكون ممن وجد طعم الدنيا ثم تركها، لأنه إذا وجد طعمها ثم تركها لم يغتر بها، فإذا كان ممن لا يجد طعمها لم آمن عليه إذا وجد طعمها أن يرجع إليها.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ربما وصف لي الرجلان لم أرهما يقع أحدهما على قلبي ولا يقع الآخر.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: خرجت مع أبي سليمان، فمررنا على زرع، وإذا طائران يلتقطان الحب، فلما شبعا أراد الذكر الأنثى، فقال: يا أحمد انظر فيما كان، لما شبعا دعته بطنه إلى ما ترى.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: قد وجدت لكل شيء حيلة، إلا هذا الذهب والفضة، فإني لم أجد لإخراجه من القلب حيلة.

عن أحمد. قال: قال لي أبو سليمان: إن استطعت أن لا تعرف بشيء فافعل.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام يتماشيان، فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى: يا ابن خالة لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أن يغفر لك أبداً

قال: وما هي يا ابن خالة؟ قال: امرأة صدمتها، قال: والله ما شعرت بها. قال: سبحان الله! بدنك معي، فأين روحك؟ قال: معلق بالعرش، ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل، لظننت أني ما عرفت الله طرفة عين.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: يكون في الطاعة يلذّ بها، فتخطر الدنيا على قلبه، فتنغص عليه أو تنكد عليه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: لو مر المطيعون بالمعاصي مطروحة في السكك ما التفتوا إليها.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: كل من كان في شيء من التطوع يلذُّ به فجاء وقت فريضة فلم يقطع وقتها لذة التطوع فهو في تطوعه مخدوع.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله عز وجل على ما وفق من قلبه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: يعرض الله عز وجل يوم القيامة على ابن آدم عمره، من أوله إلى آخره ساعة ساعة يقول: ابن آدم أتت عليك ساعة كنت تطيعني، وساعة كنت تذكرني، وساعة كنت غافلاً. قال: فقلت لأبي سليمان: يكون في القلب من يثاب على الطاعة قبل أن يدخل فيها؟ قال: ويحك، وأين القلب الذي يثاب قبل أن يطيع؟ ذاك يعاقب قبل أن يعصي.

عن أبي عمران موسى بن عيسى. قال: سمعت أبا سليمان يقول: تحذَّر من إبليس بمخالفة هواك، وتزين له بالإخلاص والصدق، وتعرَّض للعفو بالحياء منه والمراقبة، واستجلب زيادة النعم

بالشكر، واستدم النعمة بخوف زوالها، ولا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كرد الغضب، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغار الدنيا، ولا معرفة كمعرفة النفس، ولا نعمة كالعافية من الذنوب، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدي كالجور، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا تقوى كاجتناب المحارم، ولا عدم كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلة اليقين، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة النفس، ولا ذل كالطمع، ولا ثواب كالعفو، ولا جزاء كالجنة.

❁ ❁ ❁

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: من عمل شيئاً من أنواع الخير بلا نية، أجزأته النية الأولى، حين اختار الإسلام على الأديان كلها، لأن هذا العمل من سنن الإسلام، ومن شعائر الإسلام.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ما أتى من أتى إبليس وقارون وبلعام، إلا أن أصل نياتهم على غش، فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم، والله أكرم من أن يمنَّ على عبد بصدق ثم يسلبه إياه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول في القدرية: ويحك! أما رضوا والله أن يشركوا أنفسهم والشيطان معهم حتى جعلوا أنفسهم والشيطان أقوى منه، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لطاعته فجاء إبليس فقلبهم إلى المعصية، ويزعمون أنهم إذا أرادوا شيئاً كان، وأن الله إذا أراد شيئاً لم يكن. ثم قال: سبحان من لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما أراد.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إنما آتي أنا وأنت مأتى من

التخليط، نقوم ليلة وننام ليلة، ونصوم يوماً ونفطر يوماً، وليس يستنير القلب على هذا. قال أبو سليمان: وللدوام ثواب.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: لترك الشهوات ثواب، وللمداومة ثواب، وإنما أنا وأنت ممن يقوم ليلة وينام ليلتين، ويصوم يوماً ويفطر يومين، وليس تستنير القلوب على هذا.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: كم بين من هو في صلاته لا يحس ـ أو قال: لا يشعر ـ من مر به، وبين آخر يتوقع خفق النعال حتى يجيء من ينطر إليه.

❁ ❁ ❁

عن إبراهيم. قال: سمعت أبا سليمان يقول: سمعت أبا جعفر يبكي في خطبة، قال: فأشغلني الغضب وحضرني نية في أن أقوم إليه فأكلمه بما سمعت من كلامه، وبما أعرف من فعله، إذا نزل. قال: ثم تفكرت في أن أريد أقوم إلى خليفة فأعظه، والناس جلوس فيرمقوني بأبصارهم، فيداخلني التزين فيأمر بي فيقتلني، فأقتل على غير تصحيح. قال: فجلست وسكنت.

عن أحمد. قال: كنت إذا شكوت إلى أبي سليمان قساوة قلبي أو شيئاً قد نمت عنه من حزبي أو غير ذلك، قال: بما كسبت يداك. وما الله بظلام للعبيد، شهوة أصبتها.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] قال: ليس من الله شيء يحدث إنما هو في تنفيذ ما قدر أن يكون في ذلك اليوم.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٩).

واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته.

عن أحمد. قال: قلت لأبي سليمان: سألت الله تعالى بين الركن والباب أن يذهب عني شهوة الطعام والشراب واللباس والطيب والنساء. قال: ويحك! أي شيء يعدد عليه؟ قل: اللهم ما أزراني عندك فأذهبه عني.

قال: وسأل محمود بن خالد أبا سليمان وأنا حاضر فقال: يا أبا سليمان ما أتقرب به إليه؟ فبكى أبو سليمان ثم قال: مثلي يسأل عن هذا؟ أقرب ما يتقرب به إليه: أن يطلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

قال: وقلت لأبي سليمان: يكون الرجل بإفريقية والآخر بسمرقند، وهما أخوان؟ قال: نعم! قلت: وكيف ذلك؟ قال: تكون نيته متى لقيه واساه، فإذا كانت نيته كذلك فهو أخوه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: عودوا أعينكم البكاء، وقلوبكم التفكر.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: الورع من الزهد بمنزلة القناعة من الرضا، هذا أوله، وهذا أوله.

❁ ❁ ❁

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: أهل الزهد في الدنيا على طبقتين: منهم من يزهد في الدنيا، فلا يفتح له فيها روح الآخرة، ومنهم من إذا زهد في الدنيا فتح له فيها روح الآخرة. فليس شيء أحب إليه من البقاء ليطيع.

وقال لي أبو سليمان: لو لم يكن في ترك الأكل شيء إلا علة دخول الخلاء.

وقال لي أبو سليمان: لأن أترك لقمة واحدة من عشائي، أحب إليّ من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: ما على ظهر الأرض شيء أشتهيه.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: الثياب ثلاثة: ثوب لله، وثوب لنفسك، وثوب للناس، وهو شر الثلاثة. فما كان لله فهو أن تجد بثلاثين وتشترى بعشرين وتقدم عشرة. وما كان لنفسك فهو أن تريد لينة على جسدك. وما كان للناس فهو أن تريد حسنة. وقد تجمع في الثواب الواحد لله ولنفسك.

❁ ❁ ❁

عن أحمد. قال: سمعت أبا سليمان يقول: لأهل الطاعة بالهمّ ألذُّ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى، كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت. قلت له: فليس يبكي على لذة ما مضى إلا من وجد لذة ما بقي؟ فقال: ليس العجب ممن يجد لذة الطاعة، إنما العجب ممن وجد لذتها، ثم تركها كيف صبر عنها.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: صاحب العيال أعظم أجراً، لأن ركعتين منه تعدل سبعين من العزب. والمتفرغ يجد من لذة العبادة ما لا يجدها صاحب العيال، لأنه ليس في شيء يشغله عن شيء.

❁ ❁ ❁

عن أبي عمران موسى بن عيسى. قال أبو سليمان: أنجى الأسباب من الشر الاعتزال في البلد الذي يعرف فيه. والتخلص إلى

خمول الذكر أين كنت، وطول الصمت، وقلة المخالطة، والاعتصام بالرب، والعض على فلق الكسر، وما دَنُوَّ من اللباس ما لم يكن مشهوراً، والتمسك بعنان الصبر، والانتظار للفرج، وترقب الموت، والاستعداد لحسن النظر مع شدة الخوف.

ومن دواعي الموت ذم الدنيا في العلانية واعتناقها في السر، ما لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلكة.

من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره.

لا ينفع الهالك نجاة المعصوم، ولا يضر الناجي تلف الهالك.

يجمع الناس موقف واحد جميعاً، وهم فرادى، كل شخص منهم بنفسه مشغول، وعنها وحده مسؤول، فهو بصالح عمله مسرور، ومن شر عمله مستوحش محزون.

ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم.

والأعمى من عمي بعد البصر.

والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل.

والخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

❁ ❁ ❁

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قال لي أبو سليمان: إن استطعت أن لا تلبس إلا لباساً يطلع الله عز وجل من قلبك أنك تريد دونه فافعل.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: ما خلق الله خلقاً أهون عليّ من إبليس، لولا أن الله تعالى أمرني أن أتعوذ منه، ما تعوذت منه أبداً. وقال: شيطان الجن أهون عليّ من

شيطان الإنس، شيطان الإنس يتعلق بي فيدخلني في المعصية، وشيطان الجن إذا تعوذت منه خنس عني.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: دخلنا على سفيان الثوري، وهو في بيت بمكة جالس في الزاوية على جلد، فقال: ما جاء بكم؟ فوالله لأنا إذا لم أركم خير مني إذا رأيتكم، قال أبو سليمان: ثم لم نبرح حتى تبسم. قال أحمد: لما جاءه الناس جاءته الغفلة.

قال: وسمعت أبا سليمان يقول: من سره أن يشهد يوم القيامة فليقرأ آخر الزمر.

عن أبي عمران موسى بن علي الجصاص. قال: قال أبو سليمان:

طوبى لمن حذر سكرات الهوى، وسورة الغضب والفرح بشيء من الدنيا، فصبر على مرارة التقوى.

وطوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع الكَلِب.

طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد، واعتقد الخير للمعاد، وجعل الدنيا مزرعة، وتنوق[1] في البذر ليفرح غداً بالحصاد.

طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور، ولم يسع لها سعيها.

من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد، ومقامع من حديد، وشراب الصديد، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد، ونعيم الأبد، في ظل ممدود، وماء مسكوب، وأنهار تجري بغير أخدود.

---

(١) تنوق: أي اختار الأحسن وبالغ في طلب الجيد.

وكيف يكون حكيماً من هو لها يهوى ركون؟ وكيف يكون راهباً من يذكر ما أسلفت يداه ولا يذوب.

الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولاية، والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب.

ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها.

ومن تمت معرفته اجتمع همه في أمر الله وكان أمر الله شغله.

٤٤٩ ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي

ومنهم القاصم الهاشم، اللائم الناقم، الأنطاكي أحمد بن عاصم رحمه الله.

كان للهوى قاصماً، ولشرور النفس هاشماً، يديم القيام، وينقم على اللوام.

عن أحمد بن عبد العزيز بن محمد الدمشقي، عن أحمد بن عاصم الأنطاكي. قال: كل نفس مسؤولة فمرتهنة أو مخلصة، وفكاك الرهون بعد قضاء الديون، فإذا أغلقت الرهون أكدت الديون وإذا أكدت الديون استوجبوا السجون.

وقال: ارجع إلى الاستعانة بالله على شرور هذه الأنفس، ومخالفة هذه الأهواء، ومجاهدة هذا العدو، واشتغل به مضطراً إليه خائفاً من عقابه، راجياً لثوابه، واعلم أن بينك وبين درجة الصدق أن تنالها عقبة الكذب أن تقطعها، فاستعن على قطعها بالخوف الحاجز، وبصدق المناجاة للاضطرار، بقلب موجع، مع ذلك يصفو القلب ويكثر تيقظه، وتتسور عليه طوارق الأحزان، وتقل فيه الغفلة، والعين الذي يتفجر منه الخوف: الشكر، ومخرج الشكر من اليقين عزيز غير موجود.

وقال: تلذذت الجوارح بذكرها، وهشت الأبدان لاستماعها، ووضحت العقول حقائقها، وهان على المسامع وعيها، مستأنسة إليها أرواح الموقنين، مطمئنة إليها أنفس المتقين، والهة عليها أبصار المتفكرين، قنعة بها قلوب المستبصرين، متناهية إليها أوهام المتوهمين، ساكنة إليها فِكَر الناظرين، مستبشرة بها إخلاص الصديقين، كلمة خف على القلوب محملها، ولان على الجوارح ملفظها، وسلس على الألسن ترددها، وعذب على اللهوات مقالتها وبرد على الأكباد لذاذتها.

* * *

عن عبد العزيز بن محمد بن المختار الدمشقي، عن أحمد بن عاصم أنه قال: احذر هذا الوعيد، وخذ في المحاسبة، واعقل درجتك، ولا تزهو عند الخلائق بكثرة تقياتك، وجوهرك جوهر الفضائح، وسيماك سيما الأبرار، واستح من الله عز وجل في تضييعك، من قبل أن لا تستحييك الخزنة من المبالغة في عذابك، فإن خزنة جهنم تغضب لله عز وجل عليك، مالا تغضب أنت لله على نفسك في معصيتك إياه، فاستح من قبولك من نفسك دعواها الصدق، وقد افتضحت عندك، وبان جوهرها من خالص ضميرها بإيثارها محجة الكذب على محجة الصدق، وليصح عداوتك إياها، وليكن لك في الحق حظ ونصيب كامل، بإقرارك لله عليها بكذبها، وكن سخين العين على ما ظهر لك منها، ولتكن عندك في عداد المستدرجين، وأجرها في ميزان الكذابين. فإنه حكى عن عزير أنه قال: إله البرية! إني لأعد نفسي مع أنفس الكذابين الظالمين، وروحي مع أرواح الهلكى، وبدني مع أبدان المعذبين.



عن أحمد بن أبي الحواري، عن أحمد بن عاصم. قال: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح.

وقال: هذه غنيمة باردة، أصلح فيما بقي، يغفر لك فيما مضى،

وقال: ما أغبط أحداً إلا من عرف مولاه، وأشتهي أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين. الذين يستحيونه، لا معرفة التصديق.

وقال: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي. وقال لي: يا أبا أحمد: ليس المعرفة الإقرار به، ولكن المعرفة التي إذا عرفت استحييت.

وقال: الخير كله في حرفين. قلت: وما هما؟ قال: تزوي عنك الدنيا، ويمنّ عليك بالقنوع، ويصرف عنك وجوه الناس، ويمنّ عليك بالرضى.

وقال: ليس شيء خيراً من أن لا تمتحن بالدنيا ـ أي لا تتعرض لها ـ.

❋ ❋ ❋

عن محمد بن يوسف. قال: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أنفع اليقين ما عظَّم في عينك ما به قد أيقنت، وصغَّر في عينك ما دون ذلك، وأثبت الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما قد فات، وألزمك الفكر في بقية عمرك وخاتمة أمرك. وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل لإدراك ما ترجو، وألزم الحق إنصافك الناس من نفسك، وقبولك الحق ممن هو دونك. وأنفعُ الصدق أن تقر لله بعيوب نفسك، وأنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتزين، وأنفع الحياء أن تستحي أن تسأله ما تحب، وتأتي ما يكره. وأنفع الشكر أن تعرف منه ما ستر عليك من مساويك، فلم يطلع أحداً من المخلوقين عليك.

عن محمد بن يوسف. قال: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أنفع الصدق ما نفى عنك الكذب في مواطن الصدق.

وأنفع التوكل ما وثقت بضمانه وأحسنت طلبته.

وأنفع الغنى ما نفى عنك الفقر وخوف الفقر.

وأنفع الفقر ما كنت فيه متجملاً وبه راضياً.

وأنفع الحزم ما طرحت به التسويف للعمل عند إمكان الفرصة، وانتهاز البغية في أيام المهلة، وعند غفلة أهل الغرة.

وأنفع الصبر ما قواك على خلاف هواك، ولم يجد الجزع فيك مساغاً.

وأنفع الأعمال ما سلمت من آفاتها وكانت منك مقبولة.

وأنفع الإناءة والتؤدة حسن التدبير، والفكر والنظر أمام العمل فإنهما يفيدان المعرفة بثواب العمل، فيحتمل للثواب مؤنة العمل ويغبط يوم المجازاة.

وأنفع العلم ما ضرَّ جهله، وازداد بمعرفته وجعاً، وكنت به عاملاً.

وأنفع التواضع ما ذهب عنك الكبر، وأمتَّ عنك الغضب.

وأنفع الكلام ما وافق الحق.

وأنفع الصمت ما صمت عما إذا نطقت به عظمت فعشت، وأضر الكلام ما كان الصمت خيراً لك منه.

وألزم الحق أن تلزم نفسك بأداء ما ألزمها الله تعالى من حقه، وإن كان في ذلك خلاف هواك. وتلزم والديك وولدك ثم الأقرب فالأقرب، فألزمهم من الحق وإن كان في ذلك خلاف هواك وخلاف أهوائهم.

وأنفع العلم ما رد عنك الجهل والسفه.

وأنفع الإياس ما أمات عنك الطمع من المخلوقين. فإنه مفتاح الذل واختلاس العقل؛ وإخلاق المروءات. وتدنيس العرض، وذهاب العلم، وردك إلى الاعتصام بربك والتوكل عليه.

وأفضل الجهاد مجاهدتك نفسك لتردها إلى قبول الحق. وأوجب الأعداء مجاهدة أقربهم منك دنواً، وأخفاهم عنك شخصاً، وأعظمهم لك عداوة، مع دنوه منك، ومن يحرض جميع أعدائك عليك. وهو إبليس، الموكل بوسواس القلوب، فله فلتشتد عداوتك، ولا تكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك على مجاهدته ليخافك، فإنه أضعف منك ركناً في قوته، وأقل ضرراً في كثرة شره، إذا أنت اعتصمت بالله.

وأضر المعاصي عليك إعمالك الطاعات بالجهل، لأن إعمالك المعاصي لا ترجو لها ثواباً، بل تخاف عليها عقاباً، وإعمالك الطاعات بالجهل فاسدة تلتمس لها، وقد استوجبت لها عقاباً، فكم بين ذنب يخاف فيه العقوبة والخوف طاعة، وبين ذنب أنت فيه آمن من العقوبة؟ والأمن من ـ العقوبة ـ معصية.

قلت: فما تقول في المشاورة؟ قال: لا تثقن فيها بغير الأمين.

قلت: فما تقول في المشورة؟ قال: انظر فيها لنفسك بدءاً كيف تسلم من كلامك، فإذا كنت كذلك ألهمت رشدك فتتقي وتوثق.

قلت: فما ترى في الأنس بالناس؟ قال: إن وجدت عاقلاً مأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع.

قلت: فما أفضل ما أتقرب به إلى الله عز وجل؟ قال: ترك معاصيه الباطنة. قلت: فما بال الباطنة أولى من الظاهرة؟ قال: لأنك إذا اجتنبت الباطنة بطلت الظاهرة والباطنة.

قلت: فما أضر المعاصي؟ قال: ما لا تعلم أنها معصية، وأضر منها ما ظننت أنها طاعة وهي لله معصية.

قلت: فأي المعاصي أنفع لي؟ قال: ما جعلتها نصب عينيك، فأطلت البكاء عليها، إلى مفارقتك الدنيا ثم لم تعد في مثلها، وذلك التوبة النصوح.

قلت: فما أضر الطاعات لي؟ قال: ما نسيت بها مساويك، وجعلتها نصب عينيك إدلالاً بها وأمناً، واغتراراً منك من خوف ما قد جنيت، وذلك للعجب.

قلت: فأي المواضع أخفى لشخصي؟ قال: صومعتك وداخل بيتك. قلت: فإن لم أسلم في بيتي؟ قال: ففي المواضع التي لم تلحق بك شهوة، وتحيط بك فتنة.

قلت: فما أنفع لطف الله لي؟ قال: إذا عصمك من معاصيه، ووفقك لطاعته.

قلت: هذا مجمل،أعطني تفسيراً أوضح منه. قال: نعم! إذا أعانك بثلاث: عقل يكفيك مؤنة هواك، وعلم يكفيك جهلك، وغنى يذهب عنك خوف الفقر.

❃ ❃ ❃

عن عبد العزيز بن محمد. قال: سمعت الأنطاكي يقول: أما بعد: فإن أهل الطاعة قد قدموا بين يدي الأعمال لطيف المعرفة بالأسباب، التي يستديمون بها صالح الأعمال، ويسهل عليهم مأخذه، وصيروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة واحدة. كلما مضت استأنفوا النية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم. فكلما مضى عنهم يوم وليلة، راقبوا أنفسهم فيها على جميل الطاعة، كان عندهم غنماً، وذكروا اليوم الماضي فسروا به، وصبروا أنفسهم فيها

على المستقبل لانقضاء الأجل، فيه أو في ليلته، فاطرحوا شغل القلب بانقضاء تذكر غد، واعملوا أبدانهم وجوارحهم، وفرغوا له قلوبهم.

فقصرت عندهم الآمال، وقربت منهم الآجال، وتباعدت أسباب وساوس الدنيا من قلوبهم، وعظم شغل الآخرة في صدورهم، ونظروا إلى الآخرة بعين بصيرة، وتقربوا إلى الله عز وجل بأعمال زاكية، واستقامت لهم السيرة، حتى وجدوا حلاوة الطاعة في الدنيا، حين ساعدتهم الزيادة في التقوى.

فقرت بالخوف أعينهم، وتنعموا بالحزن في عبادتهم، حتى نحلت أجسامهم، وبليت أجسادهم، ويبست على عظامهم جلودهم، وقلَّ مع المخلوقين كلامهم.

وتلذذوا بمناجاة خالقهم. فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة، وذكرهم بأهوال القيامة مقبلة مدبرة، أبدانهم بين المخلوقين عارية، فعموا عن الدنيا، وصموا عنها وعن أهلها وما فيها، وضح لهم أمر الآخرة حتى كأنهم ينظرون إليها.

فتخلص إلى ذلك قوم من طريق الاجتهاد لتذل لهم الأنفس، وتخضع لهم الجوارح. فاجتهد قوم في الصلاة لدوام الخشوع عليهم. واجتهد قوم في الصوم لِهُدُوِّ الجوارح عنهم. واجتهد قوم في ترك الشهوات وطلب الفوز، وذلك من رياضة الأنفس حتى أفضوا بالأنفس إلى الجوع ونحول الجسم.

وقال: إن الحكماء نظروا إلى الدنيا بعين القلا، إذ صح عندهم أن شهوات الدنيا تفسد عليهم حكمتهم، ونظروا إلى الآخرة بأعين قلوبهم، فصيروا الدنيا عندهم معبراً. يجوزون عليها، لا حاجة لهم في الإقامة فيها، والآخرة منزلاً لا يريدون بها بدلاً، ولا عنها حولاً. فسرحت أحوالهم في ملكوت السماء، واتخذوا للمكروه في جنب الله تعالى جنة، همومهم في قلوبهم، وقلوبهم عند ربهم نظروا بأعين

القلوب واستربحوا دلالات العقول على جلب الهدى، نظروا بأعين قلوبهم إلى الآخرة فأيقنوا واستبصروا. ونظروا بأعين الوجوه إلى الدنيا فاعتبروا وانزجروا، فاستصغروا ما أحاطت به أعين الوجوه من الدنيا. واستعظموا ما أحاطت به عين القلوب من ملك الآخرة.

❁ ❁ ❁

عن عبد العزيز بن محمد بن الدمشقي، عن أحمد بن عاصم الأنطاكي. قال:

إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن نزعت فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بالدنيا، يحب التعظيم والرياسة، وإن نزعت إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته، مجذوعاً صريع عدوه إبليس، قد صعد به إلى أعلى سطح في العبادة، وهو جاهل بأدناها، فكيف له بأعلاها؟ وسائر ذلك من الرعاع، فقبيح أعوج، وذئاب مختلسة، وسباع ضارية، وثعالب جارية. هذا وصف عيون مثلك في زمانك من حملة العلم والقرآن، ودعاة الحكمة.

وذلك أني لست أرى عالماً إلا مغلوباً على عقله، بعيداً غور فطنته لمضرته لأمور دنياه متبعاً هواه، معجباً برأيه، شحيحاً على دنياه، سمحا بدينه، متعزماً بمذموم القضاء، معانقاً لهواه فيما يرضى، غير منتقل عما يكره الله تعالى منه، بل مستزيداً من أنواع الفتنة والبلاء، محتملاً شقاء الدنيا بالشهوة. قاسياً قلبه، عظيماً غفلته عما خلق له، مستبطئاً لما يدعى مما قد ضمن له، غير واثق بالله، مفقود منه خوف ما قد استوجب به النار، معترض للموت فيما يستقبل، مشغوف بدنياه، غافل عن آخرته، عاشق للذهب والفضة، زاهد فيما ندب إليه من الشوق.

فكما أنه ضعف يقينه فيما يتشوق إليه، كذلك كان أمنه عند الوعيد، فعندها كان ناسياً لذنوبه ذاكراً محاسنه، قد صيرها نصب عينيه، وآثامه تحت قدميه، داخلاً فيما لا يعنيه، مشغوفاً بالدنيا لا يقنعه قليلها ولا يشبعه كثيرها، ولا يسعى ولا يكدح إلا لها، ولا يفرح ولا يتزين إلا لها، ولا يرضى ويسخط إلا لها، راض بحظه بقليل حظه المتروك المنتقل عنه، من كثير حظه من آخرته، بل راض بحظه من المخلوقين من حظه من خالقه. خائف من فقر بدأ به، آمن من معاص قد قدمها، وعقوبات قد استحقها، متزين للخلائق بما يسقطه عند خالقه، مؤيس منه غير موثوق به.

متحرزون يتزينون بالكلام في المجالس، يتكبرون في مواطن الغضب، عند خلاف الهوى ذئاب، أقران عند ممارسة الدنيا، فالطمع الكاذب يستميله، والهوى المردي يُخلِق مروءته، ويسلبه نور إسلامه، ولم يكن على حقيقة خوف، فنزع به الامتحان إلى جوهره وطباعه، والله المستعان.

فتعقل الآن وصف من هذا؟ وصف عيون ملتك في زمانك، فاعتبروا يا أولي الأبصار. واتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا ولهم أوجب الثواب.

❋ ❋ ❋

عن أبي محمد بن يوسف. قال: قال أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي: استكثر من الله عز وجل لنفسك قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك لله كثير الطاعة ازدراء على النفس، وتعرضاً للعفو، وارفع عنك حاضراً ليس بحاضر العلم بخالص العمل، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بشدة الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياء، واتق مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبته عليك

لاسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء، وانزل بساحة القناعة باتقاء الحرص، وارفع عظيم الحرص بإيثار القناعة.

واستجلب حلاوة الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة الإياس، وتخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض، وأطفئ نار الطمع ببرد الإياس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، واطلب راحة البدن بإجمام القلب، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخلطاء وترك الطلب، وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول.

واستجلب نور القلب بدوام الحزن، واستفتح باب الحزن بطول الفكر، والتمس وجود الفكر في مواطن الخلوات.

وتحرز من إبليس بالخوف الصادق بمخالفة هواك، وإياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الكاذب، وامزج الرجا الصادق بالخوف الصادق، وتزين لله بالصدق في الأعمال، وتحبب إليه بتعجيل الانتقال.

وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة فمنها سواد القلب، وإياك والتواني فيما لا عذر فيه، فإليه ملجأ النادمين، واسترجع بسالف الذنوب، شدة الندم وكثرة الاستغفار، وتعرض لعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة، بخالص الدعاء والمناجاة.

وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق، واستقلال كثير الطاعة، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم، واطلب بها العز بإماتة الطمع، وادفع ذل الطمع بعز الإياس، واستجلب عز الإياس ببعد الهمة، واستعن على بعد الهمة بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة بخوف فوات الإمكان، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان.

وأحذرك «سوف» فإن دونه ما يقطع بك عن بغيتك، وإياك والثقة بغير المأمون، فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء ولا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا عز كعز اليأس، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك الدنيا، ولا معرفة كمعرفة نفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف ولا تعدي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى.

ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلة اليقين، ولا قلة يقين كفقدك الخوف، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقدك الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بذنبك ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا مشاهدة كاليقين، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة هذه النفس، ولا غلبة كغلبة الهوى، ولا قوة كرد الغضب، ولا معصية كحب البقاء، وإن حب الدنيا لمن حب البقاء، ولا ذل كالطمع.

وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنه ميدان يجري لأهله بالحسرات، والعقول معادن للرأي، والعلم دلالة على اختيار عواقب الأمور بإقبال مواردها وتصرف مصادرها.

والتزين اسم لمعان ثلاثة: فمتزين بعلم، ومتزين بجهل، ومتزين بترك التزين وهو أعمقها، وأحبها إلى إبليس من العالم.



عن أحمد بن عبد العزيز بن محمد الأنطاكي. قال: سمعت أبا عبد الله الأنطاكي يقول:

إني تبحرت العلوم، وجربت الأصول وأدمت الفكر، وألهمت الاعتبار، وعنيت بالأذكار، وطالعت الحكمة ودارست الموعظة، وتدبرت القول بالمعقول، وصرفت المعاني بالذهن، فلم أجد من العلم علماً ولا للصدر أشفى، ولا للهم أتقى، ولا للقلب أحيى، ولا للخير أجلب، ولا للشر أذهب، ولا على القلب أغلب، ولا بالعبد أولى: من علم معرفة المعبود وتوحيده، والإيمان واليقين بآخرته، ليصح الخوف من عقابه والرجاء لثوابه، والشكر على نعمه.

والفِكَر ليست لها غاية، والإلهام لا نهاية له، وبدلالات العقول علمت العزم، وبقوة العزم يقهر الهوى، وإنما يوصل إلى حقائق الأخبار بالعناية والتفهم والتدبر، فعند ذلك يصح الإيقان، وتصح الأعمال، وإلا كانت أعمال الارتياب.

ليس الملك من تابع هواه ونال ملك الدنيا، بل الملك من ملك هواه، واستصغر ملك الدنيا.

❋ ❋ ❋

عن عبد العزيز بن محمد. قال: قال أبو عبد الله الأنطاكي: عرض للخلائق عارض من الهوى، أقعد المريد وألهى العاقل، فلا العاقل عرف داءه، ولا المريد طلب دواءه. ومن استعصم بالله عصم، ومن عصم حجب عن المعاصي. ومن توقى وقي، ومن التمس العافية عوفي، ومن استسلم إلى نفسه حجب عن الطاعة، وغلبه الهوى، فسلك به سبيل الردى، واستحوذ عليه الشيطان فكان من الغاوين. والمحروم من حرم السؤال، والسؤال مفتاح الإجابة، والكريم يعطي قبل السؤال، وأكثر مِنن الله على عبده قبل السؤال.

استغن عمن عدل عنك بوجهه، وخل الطريق لمن لا يفيق، ولا تحجب النصح عن مستفيق، واقصد لقلبك قصد الطريق، واحبس

لسانك حبس المضيق، والق الصديق بوجه طليق، وعامل الله بقلب سليم، وحاسب النفس بالحساب الدقيق.

أول درجات العلم الخوف من فوات الآمال، ومن أعجب بعمل حرص أن يتمه، ومن رأى ثوابه أحب أن يتقنه، ومن تآخى الحكمة شغل عما سواها، ومن قرَّ عيناً بشيء لهج بذكره، والأقاويل محفوظة إلى يوم تلقاها، وكل نفس رهينة بما قدمت يداها.

والناس منقوصون مدخولون، فالمستمع غائب، والسائل متغيب، والمجيب متكلف، أدنى الرضى يزيل أعمالهم، وأدنى السخط يزيل كل إحسان عندهم، والعجب يمحق العبادة ويزري من العقل، وما وجدت فقراً أضر من الجهل، ولا مالاً أعدم من العقل، والخوف يكسب الورع، واليقين يكسب الخوف، وصحة التركيب من ذوي الألباب يكسب اليقين، والمشاورة تجتلب المظاهرة، والتدبر دليل على عقل العاقل، وصحة الورع من علامات الخوف، وحسن الخلق يجتلب كرم الحسب، وسوء الخلق من شأن ذوي الأحساب.

ومن عقل أيقن، ومن أيقن خاف، ومن خاف صبر، ومن صبر ورع، ومن ورع أمسك عن الشبهات ونفى الحرص. فعند ذلك دارت رحى العبد بأعمال الطاعات لله.

ومن سحق عقله ضعف يقينه، ومن ضعف يقينه فقد منه خوفه، وظهر منه أمنه، ومن ظهر منه أمنه، كثرت غفلته، ومن كثرت منه غفلته قسا منه قلبه، ومن قسا منه قلبه لم ينجح فيه موعظة، وغلب عليه حب دنياه وكثرت فيه أعمال آخرته بلا حقيقة خوف والله المستعان.

❁ ❁ ❁

عن عبد العزيز بن محمد عن الأنطاكي. قال: اعلم أن الجاهل من قل صبره على علاج عدوه لنجاته، بل ساعد عدوه على

مجاهدته، فذلك أهل أن يضحك به الضاحكون، والكلام كثير موجود، وجوهره عزيز مفقود، فإن العلم الكثير الذي يحتاج منه القليل، والأعمال كثيرة والصدق في الأعمال قليل. والأشجار كثيرة وطيب ثمرتها قليل، والبشر كثير وأهل العقول قليل، فاستدرك ما قد فات بما بقي، واستصلح ما قد فسد فيما بقي أو وضح، وبادر في مهلتك قبل الأخذ بالكظم، وأعد الجواب قبل المسألة، فقد وجدتك تعد الجوابات لحكام الدنيا قبل مسألتهم إياك، فماذا أعددت من الجوابات لحكم السماء من صدق الجوابات، وتقدم في الاجتهاد لتدفع به خطر الاعتذار، فإنك عسيت لا يقبل منك المعذرة مع إحاطة الحجج بك، وشهادات العلم عليك، واعتراف العقول بالاستهانة لمن لا بد لك من لقائه، فاحذر من قبل أن يجافيك الأمر على عظم غفلتك، فيفوتك إصلاح ما قد فات، مع هموم الدنيا ما هو آت من قبل الإياس منك، عند انقطاع الأجل، والأخذ بالكظم مع زوال النعم، حين لا يوصل إلا إلى الندامة، فيا لها من حسرة إن عقلت الحسرة، ويا لها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة، وأنا موصيك ونفسي من بعد بوصية إن قبلت عشت في الدنيا حكيماً مؤدباً فيها سليماً، وخرجت من الدنيا فقيراً مغتبطاً فيها مغبوطاً وفي الآخرة متوجاً ملكاً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا عبد الله الأنطاكي يقول: كفى بالعبد عاراً أن يدعي دعوة، ثم لا يحققها بفعله، أو يجعل لغير ربه من قلبه نصيباً، أو يستوحش مع ذكره حتى يريد به بدلاً، ينبغي للعبد أن يشتغل بتصحيح ضميره، ويعلم مع معاملته، وما يطلب، وممن يهرب، فإنه إذا عرف ذلك طلب من نفسه الحقائق، ولم يلق ربه كالعبد الآبق.

عن محمد بن أحمد البغدادي. قال: أنشدني عبد الله بن القاسم القرشي قال: أنشدني أحمد بن عاصم الأنطاكي لنفسه:

ألم تر أن النفس يرديك شرها | وأنك مأخوذ بما كنت ساعياً
فمن ذا يريد اليوم للنفس حكمة | وعلماً يزيد العقل للصدر شافياً
هلم إليَّ الآن إن كنت طالباً | سبيل هدى أو كنت للحق باغياً
فعندي من الأنباء علم مجرب | فمنه بإلهام ومنه سماعياً
أخبر أخباراً تقادم عهدها | وكيف بدا الإسلام إذ كان بادياً
وكيف نمى حتى استتم كماله | وكيف ذوى إذ صار كالثوب بالياً
ومن بعد ذا عندي من العلم جوهر | يفيدك علماً إن وعيت كلامياً

٤٥٠ ـ محمد بن المبارك

ومنهم: ذو العقل الوافي. والورع الصافي. والبيان الشافي. أبو عبد الله محمد بن المبارك الصوري. رحمه الله.

عن عبد الله بن محمد الدمشقي. قال: سمعت محمد بن المبارك الصوري يقول: أعمال الصادقين لله بالقلوب، وأعمال المرائين بالجوارح للناس، فمن صدق فليقف موقف العمل لله لعلم الله به، لا لعلم الناس لمكان عمله.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن محمد. قال: سمعت محمد بن المبارك يقول: تخاف أن يفوتك عند البقال من قطعتك، تبادر إليه وتبكر عليه، ولا تخاف أن يفوتك من الله ما تؤمل بكثرة القعود عنه والتشاغل عن المبادرة إليه، مهلاً رحمك الله، فإن في قلبك وجعاً لا يبريه إلا حبه، ولا يستنطقه إلا الأنس به، وجوعاً لا يشبعك إلا ما طعمت من ذكره، وعطشاً لا يرويه إلا ما وردت عليه لذته للذاذة مناجاته.

قال: وسمعت محمد بن المبارك يقول: ما نرى إلا متغيراً بشهوة من نفسه، ومأخوذاً ببواقي دنيا غيره، كذب مؤمن ادعى المعرفة بالله ويداه ترعى في قصاع المستكثرين، ومن وضع يده في

قصعة غيره ذلت رقبته، وما أثبت لأحد ادعى محبة الله وهو يلف الثريد بثلاثة أصابع.

قال: وسمعت محمد بن المبارك يقول: ليس من المعرفة بالله أن تجعلها ـ يعني النفس ـ مطية لهوى غيرك، وطريقاً لطلب دنيا مخلوق غيرك.

قال: وسمعت محمد بن المبارك يقول: ما آمن بالله من رجا مخلوقاً فيما ضمن الله له.

قال: وسمعت محمد بن المبارك يقول: يزهدون في التجارة لأنفسهم، ويجعلون انقطاع النفوس إلى غيرهم.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن أصبغ بن الفرج. قال: سمعت محمد بن المبارك الصوري يقول: بينما أنا أجول في بعض جبال بيت المقدس، إذا أنا بشخص منحدر من جبل فقابلت الشخص فإذا امرأة عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف، فلما دنت مني سلمت عليّ فرددت عليها السلام، فقالت: يا هذا من أين أنت؟ قلت لها: رجل غريب. قالت: سبحان الله فهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الغرباء ومحدث الفقراء؟ قال: فبكيت فقالت: أولا يبكي العليل إذا وجد طعم العافية؟ قلت: فلم؟ قالت: لأنه ما خدم القلب خادم هو أحب إليه من البكاء، ولا خدم البكاء خادم هو أحب إليه من الزفير والشهيق في البكاء. قلت لها: علميني رحمك الله فإني أراك حكيمة.

فقالت: سبحان الله أو ما كان في موقفنا هذا ما أغناك من الفوائد عن طلب الزوائد؟ قال: قلت: لا غنى بي عن طلب الزوائد قالت: حبَّ ربك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه.

٤٥١ ـ سعيد بن يزيد

ومنهم العجاج الناجي. أبو عبد الله الساجي[1] سعيد بن يزيد ـ رحمه الله تعالى. كان يعج من نفسه إلى ربه عجيجاً. ويشتاق إليه شاكياً أنيناً وضجيجاً ـ.

عن أحمد بن محمد بن بكر القرشي. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: خمس خصال ينبغي للمؤمن أن يعرفها.

إحداهن: معرفة الله تعالى.

والثانية: معرفة الحق.

والثالثة: إخلاص العمل لله.

والرابعة: العمل بالسنة.

والخامسة: أكل الحلال.

فإن عرف الله ولم يعرف الحق لم ينتفع بالمعرفة، وإن عرف ولم يخلص العمل لله، لم ينتفع بمعرفة الله، وإن عرف ولم يكن على السنة لم ينفعه، وإن عرف ولم يكن المأكل من حلال، لم ينتفع بالخمس، وإذا كان من حلال صفا له القلب، فأبصر به أمر الدنيا والآخرة، وإن كان من شبهة، اشتبهت عليه الأمور بقدر المأكل، وإذا كان من حرام أظلم عليه أمر الدنيا والآخرة، وإن وصفه الناس بالبصر فهو أعمى حتى يتوب.

عن أحمد بن محمد بن بكر. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي، يقول: من وثق بالله فقد أحرز قوته، ومن حيي قلبه فقد لقي الله ولا يشك في نظره.

(١) أبوعبد الله الساجي، سعيد بن زيد. الذي في «صفة الصفوة»: أبو عبد الله النباجي.

عن سهل بن عاصم. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي سعيد بن يزيد يقول: سمعت أبا خزيمة يقول: القصد إلى الله بالقلوب، أبلغ من حركات الأعمال: الصلاة والصيام ونحوهما.

عن أحمد بن محمد بن بكر. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول عن بعض أهل العلم: احذروا أن لا يغضب الله عليكم فيعطيكم الدنيا، فإنه غضب على عبد من عبيده إبليس فأعطاه الدنيا وقسم له منها.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: قال موسى عليه السلام: أين رب أين أجدك؟ قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إذا انقطعت إليّ فقد وصلت. والله أعلم.

عن أحمد. قال: سمعت الساجي يقول: ينبغي لنا أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف أن نكون في أعمالنا مقصرين، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين، فإن من أصفى العمل فأنت منه على ربح.

عن أبي عبد الله الصوري، عن أبي عبد الله الساجي. قال: إن في خلق الله خلقاً، يستحيون من الصبر لو يعلمون مواقع أقداره يتلقفونها تلقفاً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت الساجي يقول: أتدري أي شيء أراد عبيد الدنيا من مواليهم؟ أرادوا أن يرضوا عنهم، وتدري أي شيء أراد الله من عبيده؟ أراد أن يرضوا عنه، وما كان رضاهم عنه إلا بعد رضاه عنهم.

عن سهل بن عاصم. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: وقف أعرابي على أخ له حضري فقال الحضري: كيف تجدك أبا كثير؟ قال: أحمد الله، أي أخي ما بقاء عمر تقطعه الساعات، وسلامة

بدن معرض للآفات، ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت، وهو سبيله إلى الثواب، وما أرانا إلا سيدركنا الموت ونحن أبق.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: أصل العبادة عندي في ثلاثة: لا ترد من أحكامه شيئاً، ولا تدخر عنه شيئاً، ولا تسأل غيره حاجة.

عن أحمد بن محمد بن بكر القرشي. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: خصال لا يعبد الله بمثلها: لا تسال إلا الله، ولا ترد شيئاً على الله، ولا تبخل على الله - يعني تمسك لله وتعطي لله - فإنه من عرف الله فقد بلغ الله.

عن أحمد بن محمد. قال: سمعت أبا عبد الله الساجي يقول: الذي جعل الله المعرفة عنده، يتنعم مع الله في كل أحواله.

قال: وسمعت الساجي يقول: لو لم يكن لله ثواب يرجى، ولا عقاب يخشى، لكان أهلاً أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، بلا رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، ولكن لحبه وهي أعلى الدرجات.

٤٥٢ - علي بن بكار المصري

[ت١٩٩هـ]

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى:

ومنهم المرابط الصبار. المجاهد الكرار. علي بن بكار[١] -

---

(١) جاء في صفة الصفوة: أنه توفي بالمصيصة، سنة تسع وتسعين ومائة، والخبر الأول في ترجمته هنا، يشير إلى أنه كان على قيد الحياة سنة ست ومائتين، فالله أعلم.

رحمه الله تعالى ـ سكن المصيصة مرابطاً، صحبة إبراهيم بن أدهم وأبا إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين.

عن عبد الله بن خبيق. قال: قال لي علي بن بكار سنة ست ومائتين: أين تسكن؟ قلت: بإنطاكية. قال: الزم بيتك، فإذا كانت لك حاجة فاقصد قضاء حاجتك، فما دمت تخرج من بيتك إلى سوقك، لا يلقاك من يلطم عينك، فليس لحالك بأس.

عن أبي الحسن بن أبي الورد. قال: قال رجل: أتينا علي بن بكار فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام. فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة، ولأن ألقى الشيطان عياناً، أحب إليّ من أن يلقاني وألقاه. قلت له في ذلك فقال: أخاف أن أتصنع له، فأتزين لغير الله فأسقط من عين الله ـ.

٤٥٣ ـ القاسم بن عثمان

قال الشيخ أبو نعيم. رحمة الله تعالى عليه.

ومنهم القاسم بن عثمان الجوعي. رحمه الله تعالى.

كانت له الرعاية الوافية. فأيد بالقوة الكافية.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت القاسم الجوعي الكبير يقول: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات، ولذات الدنيا، لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، فقطعتهم عن كل لذة، أتدري لم سميت قاسماً الجوعي؟ لأني لو تركت ما تركت ولم أوت بالطعام لم أبال، رضيت نفسي حتى لو تركت شهراً وما زاد فلم تأكل ولم تشرب لم تبال، أنا عنها راض أسوقها حيث شئت، فأنا أسحبها حيث شئت، اللهم أنت فعلت ذلك بي فأتمه عليّ.

كان القاسم يقول: أصل المحبة المعرفة، وأصل الطاعة التصديق، وأصل الخوف المراقبة، وأصل المعاصي طول الأمل، وحب الرئاسة أصل كل موقعة.

وكان يقول: قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة.

وقال: تعرف وضع رأسك فما عبد الله بشيء أفضل من المعرفة.

وكان يقول: رأس الأعمال الرضا عن الله، والورع عمود الدين، والجوع مخ العبادة، والحصن ضبط اللسان، ومن شكر الله جلس في ميدان الزيادة، ومن حمده عدّ المصائب نعماً، وشكر الله على ذلك ولو زويت عنه الدنيا.

قال القاسم: نزلت على سلم الخواص، فقدم إليّ بطيخة ونصف رغيف، وقال لي: يا قاسم كل، فإني نزلت على أخ لي فقدم إليّ خيارة ونصف رغيف، وقال: كل فإن الحلال لا يحتمل السرف، ومن درى من أين مكسبه درى كيف ينفق.

٤٥٤ ـ مضاء بن عيسى

ومنهم مضاء بن عيسى الشامي. رحمه الله تعالى، كان من العاملين اجتذبه الحب. واستلبه الخوف.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت مضاء بن عيسى يقول: خف الله يلهمك، واعمل له لا يلجئك إلى ذليل.

قال: وسمعت مضاء بن عيسى يقول: عمل النهار يستخرجه الليل، وعمل الليل يستخرجه النهار.

قال: وسمعت مضاء وأبا صفوان بن عوانة يقولان: من أحب

رجلاً لله، وقصَّر في حقه، فهو كاذب في حبه، وإذا أراد الله بالشاب خيراً، وفق له رجلاً صالحاً.

قال: وسمعت مضاء يقول: قال حذيفة المرعشي: القلوب قلبان، فقلب ملح يسأله، وقلب يتوقع شيئاً يجيئه.

عن القاسم بن عثمان. قال: اتفق سليمان، ومضاء بن عيسى، وعبد الجبار، ومسلم بن زياد الواسطي على أن ترك لقمة، خير من قيام ليلة.

٤٥٥ ـ منصور بن عمار

قال الشيخ أبو نعيم. رحمه الله تعالى:

ومنهم منصور بن عمار[١] رحمه الله تعالى كان لآلاء الله واصفاً، وعلى بابه عاكفاً. يحوش العباد إليه، ويلح في المسألة عليه.

عن يوسف بن عبد الله الحراني، عن منصور بن عمار. قال: كتب إليّ بشر المريسي: أعلمني ما قولكم في القرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فكتبت إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد عافانا الله وإياك من كل فتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإن لم يفعل فهو الهلكة. كتبت إليّ أن أعلمك القرآن مخلوق أو غير مخلوق، فاعلم أن الكلام في القرآن بدعة، يشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له بتكلف، والمجيب ما ليس عليه، والله تعالى الخالق وما دون الله مخلوق، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فانته بنفسك وبالمختلفين في القرآن إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين، ولا تبتدع في القرآن من قلبك اسماً فتكون من الضالين، وذر الذين يلحدون في

---

(١) قال في صفة الصفوة: قال أبو عبد الرحمن السلمي: هو من أهل مرو. وقيل هو من أهل بوشنج. وقيل من البصرة، سكن البصرة توفي ببغداد.

أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، جعلنا الله وإياكم ممن يخشونه بالغيب، وهم من الساعة مشفقون.

عن سليم بن منصور بن عمار. قال: سمعت أبي يقول: دخلت على سفيان بن عيينة فحدثني ووعظته، فلما أثارت الأحزان دموعه، رفع رأسه إلى السماء فرددها في عينيه فأنشأت أقول: رحمك الله يا أبا محمد: هلا أسبلتها إسبالاً؟ وتركتها تجري على خديك سجالاً؟ فقال لي: يا منصور إن الدمعة إذ بقيت في الجفون كان أبقى للحزن في الجوف، لقد رأى سفيان أن يعمر قلبه بالأحزان، وأن يجعل أيام الحياة عليه أشجاناً، ولولا ذلك لاستراح إلى إسبال الدموع ومشاركة ما أرى من الجوع.

عن محمد بن الحسين بن موسى. قال: قال منصور بن عمار: قلوب العباد كلها روحانية، فإذا دخلها الشك والخبث امتنع منها روحها.

وقال: إن الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير، ومن جزع من مصائب الدنيا، تحولت مصيبته في دينه.

وقال: سبحان من جعل قلوب العارفين أوعية الذكر، وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل، وقلوب الفقراء أوعية القناعة، وقلوب المتوكلين أوعية الرضا،.

وقال: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(١) وقال منصور: سلامة النفس في مخالفاتها، وبلاؤها في متابعاتها.

عن أحمد بن موسى الأنصاري. قال: قال منصور بن عمار:

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٢٦).

حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت، وأعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخي عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وحالفتك بجهلي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك، واشباباه، واشباباه.

قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا﴾[1] الآية فسمعت دكدكة لم أسمع بعدها حساً، فمضيت فلما كان من الغد رجعت في مدرجتي فإذا أنا بجنازة قد أخرجت، وإذا أنا بعجوز قد ذهب متنها - يعني قوتها - فسألتها عن أمر الميت - ولم تكن عرفتني - فقالت: هذا رجل لا جزاه إلا جزاءه مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلاً آية من كتاب الله تعالى فتفطرت مرارته فوقع ميتاً، رحمه الله تعالى.

٤٥٦ - ذو النون المصري

[ت٢٤٦هـ]

ومنهم العلم المضيء. والحكم المرضي الناطق بالحقائق، الفائق للطرائق. له العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة. نظر فعبر، وذكر فازدجر، أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري[2] رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢) ذو النون، أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر، يقال لها: إخميم، نزل مصر، ويقال: اسمه الفيض، ويقال: ثوبان، وذو النون لقب، أبوه إبراهيم مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري.
توفي بالجيزة، وحمل إلى الفسطاط وذلك سنة ست وأربعين ومائتين (الصفوة).

عن علي بن الهيثم المصري. قال: سمعت ذا النون المصري العابد أبا الفيض يقول: اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص، واستقوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، ولججوا في بحر النجاة، ورسوا بشط الإخلاص.

اللم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلا، وحطت هِمم قلوبهم في عاريات التقى، حتى أناخوا في رياض النعيم، وجنوا من رياض ثمار التسنيم، وخاضوا لجة السرور، وشربوا بكأس العيش. واستظلوا تحت العرش في الكرامة.

اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر، وردموا خنادق الجزع، وجازوا شديد العقاب، وعبروا جسر الهوى، فإنه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1] اللهم اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية، ووضحت لهم طريق النجاة، وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

❁ ❁ ❁

عن عبد القدوس بن عبد الرحمن. قال: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصري يقول:

إلهي، وسيلتي إليك نعمك عليَّ، وشفيعي إليك إحسانك إليّ، إلهي أدعوك في الملأ كما تدعى الأرباب، وأدعوك في الخلا كما تدعى الأحباب، أقول في الملأ: يا إلهي، وأقول في الخلا: يا حبيبي، أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقراً بأنك ربي، وإليك مردي، ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من تراب.

---

(١) سورة النازعات، الآيتان (٤٠ ـ ٤١).

إلهي أشهد لك بما شهد لك باطني وظاهري وأركاني، إلهي إني لا أطيق إحصاء نعمك، فكيف أطيق شكرك عليها؟ وقد قلت وقولك الحق: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1] أم كيف يستغرق شكري نعمك، وشكرك من أعظم النعم عندي، وأنت المنعم به عليّ، كما قلت سيدي: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[2] وقد صدقت قولك.

إلهي وسيدي بلغت رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك، غير أني أقول بجهدي ومنتهى علمي ومجهود وسعي ومبلغ طاقتي: الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين.

❁ ❁ ❁

عن سعيد بن عبد الحكم. قال: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المناجاة، فإذا أنا بصوت فعدلت إليه، فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وخرج على ساحل الكمه، وهو يقول في دعائه: أنت تعلم أني لأعلم أن الاستغفار مع الإصرار لؤم، وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز، إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص، وأنت الذي سلمت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس، وأنت آنست الآنسين من أوليائك، وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك، تكلؤهم في مضاجعهم، وتطلع على سرائرهم، وسري عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف.

قال: ثم سكنت صرخته فلم أسمع له صوتاً.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٤).

(٢) سورة النحل، الآية (٥٣).

عن إبراهيم بن يحيى الزبدي. قال: لما حمل ذو النون بن إبراهيم إلى جعفر المتوكل، أنزله في بعض الدور وأوصى به زرافة. وقال: أنا إذا رجعت غداً من ركوبي، فاخرج إليّ هذا الرجل.

فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك.

فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر بأن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام، فلما أخرجه إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين.

فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر، إنما جاءنا في الخبر أن الراكب يسلم على الراجل.

قال: فتبسم أمير المؤمنين وبدأه بالسلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر؟ قال: كذا يقولون.

فقال له زرافة: فإن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد.

قال: فأطرق ملياً ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الجهل علق بنكتة أهل الفهم.

يا أمير المؤمنين إن لله عباداً عبدوه بخالص من السر، فشرَّفَهم بخالص من شكره، فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فرغا، حتى إذا صارت إليه ملأها من سر ما أسروا إليه، أبدانهم دنياوية، وقلوبهم سماوية، قد احتوت قلوبهم من المعرفة، كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج وأطباق السموات، لم يخبتوا في ربيع الباطل، ولم يرتعوا في مصيف الآثام، ونزهوا الله أن يراهم يثبون على حبائل مكره، هيبة منهم له وإجلالاً، أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم، وبلذة من العيش مزهودة.

فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أطباق أهل المعرفة بالأدواء، والنظر في منابت الدواء، فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر، فقال

لهم: إن أتاكم عليل من فقدي فداووه، أو مريض من تذكري فأدنوه، أو ناسٍ لنعمتي فذكروه، أو مبارز لي بالمعاصي فنابذوه، أو محب لي فواصلوه.

يا أوليائي فلكم عاتبت، ولكم خاطبت، ومنكم الوفاء طلبت، لا أحب استخدام الجبارين، ولا تولي المتكبرين، ولا مصافاة المترفين.

يا أوليائي وأحبابي، جزائي لكم أفضل الجزاء، وإعطائي لكم أفضل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أوفر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد مطالبة، وأنا مقدس القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا عالم بمجال الفكر، ووسواس الصدور، من أرادكم قصمته، ومن عاداكم أهلكته.

ثم قال ذون النون: بحبك وردت قلوبهم على بحر محبته، فاغترفت منه ريا من الشراب، فشربت منه بمخاطر القلوب، فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب، فواصلت الأعضاء المبادرة، وألفت الجوارج تلك الراحة، فهم رهائن أشغال الأعمال، قد اقتلعتهم الراحة بما كلفوا أخذه عن الانبساط بما لا يضرهم تركه، قد سكنت لهم النفوس، ورضوا بالفقر والبوس، واطمأنت جوارحهم على الدؤوب، على طاعة الله عز وجل بالحركات، وظعنت أنفسهم عن المطاعم والشهوات فتوالهوا بالفكرة، واعتقدوا بالصبر، وأخذوا بالرضا، ولهوا عن الدنيا، وأقروا بالعبودية للملك الديان، ورضوا به دون كل قريب وحميم، فخشعوا لهيبته، وأقروا له بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة، ولم يبالوا بالقلة، إذا خلوا فأهل بكاء وإذا عوملوا فإخوان حياء، وإذا كلموا فحكماء، وإذا سئلوا فعلماء، وإذا جهل عليهم فحلماء، فلو قد رأيتهم لقلت عذارى في الخدور، وقد تحركت لهم المحبة في الصدور، بحسن تلك الصور التي قد علاها النور.

إذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً لينة منكسرة، وبالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة، لا يشغلون قلوبهم بغيره، ولا يميلون إلى ما دونه، قد ملأت محبة الله صدورهم، فليس يجدون لكلام المخلوقين شهوة، ولا بغير الأنيس ومحادثة الله لذة، إخوان صدق وأصحاب حياء، ووفاء وتقى وورع وإيمان، ومعرفة ودين، قطعوا الأودية بغير مفاوز، واستقلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق، واستعانوا بالحق على الباطل، فأوضح لهم الحجة، ودلهم على المحجة، فرفضوا طريق المهالك، وسلكوا خير المسالك فرحمة الله علينا وعليهم.

عن يوسف بن الحسين. قال: سمعت ذا النون المصري يقول: تنال المعرفة بثلاثة: بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي المقادير كيف قدرها، وفي الخلائق كيف خلقها؟.

عن محمد بن أحمد الشمشاطي. قال: سمعت ذا النون المصري يقول: إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته، وهيج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوق إليه أنفسهم، وأدنى منه هممهم، وصَفَتْ له صدورهم، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة، انبسطت أيديهم ما طيبت به عيشهم، وأدمت به نعيمهم، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك، ففتحت لهم أبواب سماواتك، وأتحت لهم الجواز في ملكوتك.

بك أنست محبة المحبين. وعليك معول شوق المشتاقين، وإليك حنت قلوب العارفين، وبك أنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين، قد بسطت الراحة من فتورهم، وقل طمع الغفلة فيهم، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم، ولا يفترون عن التعب والسهر يناجونه

بألسنتهم، ويتضرعون إليه بمسكنتهم، يسألونه العفو عن زلاتهم، والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم.

فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان، وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم ببره، وعاملوه بخالص من سره، حتى خفيت أعمالهم عن الحفظة، فوقع بهم ما أملوا من عفوه، ووصلوا بها إلى ما أرادوا من محبته، فهم والله الزهاد والسادة من العباد، الذين حملوا أثقال الزمان، فلم يألموا بحملها، وقفوا في مواطن الامتحان، فلم تزل أقدامهم عن مواضعها، حتى مال بهم الدهر، وهانت عليهم المصائب، وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا.

إلهي فبك نالوا ما أملوا، كنت لهم سيدي مؤيداً، ولعقولهم مؤدياً، حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك، وإلى منازل المخلصين في معرفتك، فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون، وإلى ما عنده من وعيده ناظرون، ذهبت الآلام عن أبدانهم، لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده، فيا حسنهم والليل قد أقبل بجنادس ظلمته، وهدأت عنهم أصوات خليقته، وقدموا إلى سيدهم الذي له يأملون، فلو رأيت أيها البطال أحدهم، وقد قام إلى صلاته وقراءته، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فانخلع قلبه، وذهل عقله، فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة، وأبدانهم بين أيدي الخلائق عارية، وهمومهم بالفكر دائمة، فما ظنك بأقوام أخيار أبرار، وقد خرجوا من رق الغفلة، واستراحوا من وثائق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة، بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة.

عن سعيد بن عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول: كم من مطيع مستأنس، وكم عاص مستوحش، وكم محب ذليل، وكل راج طالب.

قال: وسمعته يقول: اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه، ويحس بذنب غيره، ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره، ويكف أذاه، ويحتمل الأذى عن غيره، والكريم يعطي قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال؟ ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعد الاعتذار؟ ويعفُّ قبل الامتناع، فكيف يطمع في الازدياد.

قال: وسمعته يقول: ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا في المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختيار في المحذور.

وثلاثة من أعلام الصواب: الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال.

وثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وثلاثة من أعمال الثقة بالله: السخاء بالموجود، وترك الطلب للمفقود، والاستنابة إلى فضل الموجود.

وثلاثة من أعمال الشكر: المقاربة من الإخوان في النعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر لملاحظة المنة.

وثلاثة من أعلام الرضى: ترك الاختيار قبل القضا، وفقدان المرارة بعد القضا، وهيجان الحب في حشو البلا.

وثلاثة من أعمال الأنس بالله: استلذاذ الخلوة واستيحاش من الصحبة، واستحلاء الوحدة.

وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله: قوة القلب، وفسحة الرجا في الزلة، ونفي الإياس بحسن الإنابة.

وثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدعة، ودوام الحزن مع الكفاية.

عن إسرافيل. قال: سمعت ذا النون يقول: سمعت بعض المتعبدين بساحل بحر الشام يقول: إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته، فشمروا قصداً إليه، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بذكره لهجت ألسنتهم في رضى سيدهم، نصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم رأيت قوماً ذبلاً شفاههم، خمصاً بطونهم، حزينة قلوبهم، ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم. لم يصحبوا العلل والتسويف. وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفاراً خالية، هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الإخوان، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب، خمص لطول السرى، شعث لفقد الكرا، قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال.

عن محمد بن أحمد الشمشاطي. قال: سمعت ذا النون المصري يقول: إن لله عباداً أسكنهم دار السلام فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام، وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام، وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام، وطووا الفرش وقاموا جوف الظلام، وطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام. فلم يزالوا في نهارهم صياماً، وفي ليلهم قياماً، حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام.

عن محمد بن ريان. قال: سمعت ذا النون يقول: ـ وجاءه أصحاب الحديث ليسألوه عن الخطرات والوسواس ـ فقال: أنا أتكلم

في شيء من هذا! فإن هذا يحدث، سلوني عن شيء من الصلاة والحديث.

قال: ورأى ذو النون عليَّ خفاً أحمر، فقال: انزع هذا يا بني، فإنه شهوة، ما لبسه النبي ﷺ، إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين.

عن أبي بكر بن أحمد. قال: سمعت ذا النون يقول: إن لله عباداً علموا الطريق إليه، والوقوف غداً بين يديه، فثارت القلوب إلى محجوب الغيوب، فجرعوا مرارة مذاق خوف، واستعملوا الظلام في رضى صاحب السموات، فسقاهم من أعين العلم والزيادات، وغوصهم في بحار السلامات، فهم غداً يسلمون من هؤلاء الزلازل والسطوات، ويسكنون الغرفات.

عن أبي بكر بن أبي الدنيا. قال: قال بعض المتعبدين: كنت مع ذي النون المصري بمكة فقلت له: رحمك الله لِمَ صار الوقوف بالجبل ولم يصر بالكعبة؟ قال: لأن الكعبة بيت الله والجبل باب الله، فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون.

فقيل له: يرحمك الله فالوقوف بالمشعر الحرام كيف صار بالحرم؟ قال: لما أذن لهم بالدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثاني، وهي المزدلفة، فلما طال تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فتطهروا بها من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونه، وأذن بالزيارة إليه على طهارة.

قيل له: فلم كره الصوم أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زاروا الله، وهم في ضيافته، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أضافه.

قيل له: يرحمك الله، فتعلق الرجل بأستار الكعبة لأي معنى؟

قال: هو مثل الرجل تكون بينه وبين أخيه جناية فيتعلق بثوبه ويستجدي له، ويتضرع إليه ليهب له جرمه وجنايته.

عن يوسف بن الحسين، عن بعض الصوفية. قال: سمعت ذا النون يقول: رأيت سعدون في مقبرة البصرة في يوم حار، وهو يناجي ربه ويقول بصوت عال: أحد أحد، فسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت: بحق من ناجيته إلا وقفت. فوقف ثم قال لي: قل وأوجز. قلت: توصيني بوصية أحفظها منك وتدعو لي بدعوة. فأنشأ يقول:

يا طالب العلم هنا وهنا ... ومعدن العلم من جنبيكا

إن كنت تبغي الجنان تسكنها ... فاذرف الدمع فوق خديكا

وقم إذا قام كل مجتهد ... تدعوه كي ما يقول لبيكا

ثم مضى وقال: يا غياث المستغيثين أغثني. فقلت له: ارفق بنفسك فلعله يلحظك لحظة فيغفر لك. فصرف يده من يدي وعدا وهو يقول:

أنست به فلا أبغي سواه ... مخافة أن أضل فلا أراه

فحسبك حسرة وضنا وسقماً ... بطردك من مجالس أولياه

عن الفتح بن شخرف. قال: كان سعدون صاحب محبة لله، لهج بالقول، صام ستين سنة حتى خف دماغه، فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة.

قال الفتح: فغاب عنا زماناً. وكنت إلى لقائه مشتاقاً، لما كان وصف لي من حكمة قوله، فبينا أنا بفسطاط مصر قائماً على حلقة ذي النون، فرأيته عليه جبة صوف، على ظهره مكتوب: لا تباع ولا توهب، وذو النون يتكلم في علم الباطن، فناداه سعدون: متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً؟ فقال ذو النون: إذا اطلع الخبير على الضمير، فلم يرَ في الضمير إلا حبه، لأنه الجليل العزيز.

قال: فصرخ صرخة، خر مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته وهو يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال: أستغفر الله غلب عليّ حبيبي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال: يا أبا الفيض إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذنب؟.

قال: نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع.

قال: يا أبا الفيض اشرح لي ذلك. قال: يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين، فهم قد فطموا النفوس من روح الشهوات. فهم رهبان من الرهابين، وملوك في العباد وأمراء في الزهاد، للغيث الذي مطر في قلوبهم المولهة بالقدوم إلى الله شوقاً، فليس فيهم من أنس بمخلوق، ولا مسترزق من مرزوق. فهو بين الملأ حقير ذليل، وعند الله خطير جليل.

قال: يا ذا النون فمتى نصل إليه؟ فقال: يا سعدون صحح العزم بطرح الأذى، وسل الذي بسياسته تولى.

قال الفتح: فأدخل سعدون رأسه فيما بين الحلقة فما رأيته بعد.

عن سعيد بن عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنان إلا برؤيته.

عن أبي عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول: إن الله تعالى لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً، ولكن صان أولياءه الذين أطاعوه، أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

عن ابن ميمون. قال: سئل ذو النون عن السفلة من هو؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى الله ولم يتعرفه.

قال: وسمعت ذا النون يقول: قل لمن أظهر حب الله: احذر أن تذل لغير الله، ومن علامة المحب لله، أن لا يكون له حاجة إلى غير الله.

وقال: سألت ذا النون عن كمال العقل وكمال المعرفة فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت به، تاركاً لتكلف ما كفيت، فأنت كامل العقل، وإذا كنت متعلقاً بالله في أحوالك لا بأعمالك، غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة.

قال: وسمعت ذا النون يقول: طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يعمِ بصر قلبه الطمع، وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

❁ ❁ ❁

عن أحمد. قال: سمعت ذا النون يقول: إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، وذو الأهل والولد عند الفاقة والبلاء، والإخوان عند نوائب القضاء.

عن أحمد بن عبيد الله. قال: سمعت ذا النون يقول: الذي اجتمع عليه أهل الحقائق في حقائقهم: أن الله غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك، فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور، وإنما الموجود عندنا: معرفة وكشف عُلِمَ بالأعمال.

عن ابن الفرضي. قال: سمعت ذا النون يقول: البلاء ملح المؤمن، إذا عدم البلاء فسد حاله.

عن محمد بن يزيد. قال: سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار

الكعبة، وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه: كتمت بلائي من غيرك، وبحت بسري إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك! ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك؟ ثم أنشأ يقول.

ذوقتني طيب الوصال فزدتني شوقاً إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحيت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت.

ثم قال: عزيزي مالي إذا قمت بين يديك. ألقيت عليّ النعاس، ومنعتني حلاوة قرة عيني له، ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد شيئاً أمرَّ من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا وأطال ما قد كنت منه مودعا

قال: فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفياً فلما أحسَّ، تجلل بخمار كان عليه ثم قال: يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام، فعلمت أنها امرأة. فقلت: يا أمة الله، مم يحوي الهموم قلب المحب؟ فقالت: إذا كانت للتذكار محاورة، وللشوق محاضرة، يا ذا النون أما علمت أن الشوق يورث السقام، وتجديد التذكار يورث الأحزان! ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى زال عني محبتي للأنام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد وصله وعلت محبته بعقب وصال

فقالت: أوجعتني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه.

عن أبي الحسن. قال: كتب الوليد بن عتبة الدمشقي إلى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه:

كتبت إليّ تسألني عن حالي، فما عسيت أن أخبرك به من

حالي، وأنا بين خلال موجعات، أبكاني منهن أربع: حب عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرياسة، وإجابتي إبليس لعنه الله، فيما يكرهه الله.

وأقلقني منها: عين لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول العظة، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل.

وأضناني منها: أني عدمت خير خصال الإيمان: الحياء، وعدمت خير زاد الآخرة: التقوى، وفنيت أيامي بمحبتي للدنيا، وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً.

عن إسحاق بن إبراهيم الخواص. قال: سمعت ذا النون يقول: لم أر شيئاً أبعث للإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا: لم ير غير الله، فإذا لم ير غير الله: لم تحركه إلا خشية الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

عن يوسف بن الحسين. قال: سمعت ذا النون يقول: الحب لله عام، والود لله خاص، لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه، وليس كل مؤمن ينال وده.

عن عبد الله بن محمد البرقعي. قال: سمعت ذا النون يقول: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالناس غم واقع. قيل لذى النون: ما الأنس بالله! قال: العلم والقرآن.

عن يوسف بن الحسين. قال: قال ذو النون: صدور الأحرار قبور الأسرار.

قال: وسئل ذو النون: لم أحب الناس الدنيا؟ قال: لأن الله تعالى جعلها خزانة أرزاقهم، فمدوا أعينهم إليها.

وقيل له: ما إسناد الحكمة! قال: وجودها.

وسئل يوماً فيم يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تخلص.

فقيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك صحبة المخلوقين، ولا مخافة ذمهم، فأنت مخلص إن شاء الله تعالى.

عن محمد بن عبد الملك بن هاشم. قال: قلت لذي النون: كم الأبواب إلى الفطنة؟ قال: أربعة أبواب: أولها الخوف، ثم الرجاء، ثم المحبة، ثم الشوق.

ولها أربعة مفاتيح: فالفرض مفتاح باب الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء، وحب العبادة والشوق مفتاح باب المحبة، وذكر الله الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق، وهي درجة الولاية.

فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة، فتناول مفتاح باب الخوف، فإذا فتحته اتصلت إلى باب الفطنة مفتوحاً لا غلق عليه، فإذا دخلته فما أظنك تطيق ما ترى فيه، حينئذ يجوز شرفك الأشراف، ويعلو ملكك مُلْكَ الملوك.

واعلم أي أخي: أنه ليس بالخوف ينال الفرض، ولكن بالفرض ينال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة. ولكن بالنافلة ينال الرجاء، كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح، ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب.

واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء، ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وهذا سر الملكوت، فاعلمه واحفظه، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يناوله من يشاء من عباده.

عن سعيد. قال ذو النون، وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرباب وقطع الأسباب. فقال له: زدني فيه حالة أخرى. فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية.

قال: وسمعت ذا النون يقول: طوبى لمن تطهر ولزم الباب، طوبى لمن تضمر للسباق، طوبى لما أطاع الله أيام حياته.

قال: وسمعته يقول: من وثق بالمقادير استراح، ومن صحح استراح، ومن تقرَّب قُرِّب، ومن صفى صفي له، ومن توكل وفق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.

عن سعيد بن عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول: إلهي إن كان صغر في جنب طاعتك عملي، فقد كبر في جنب رجائك أملي، إلهي كيف انقلب من عندك محروماً، وقد كان حسن ظني بك منوطاً، إلهي فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآدميين، إلهي سمع العابدون بذكرك فخضعوا، وسمع المذنبون بحسن عفوك فطمعوا، إلهي إن كانت أسقطتني الخطايا من مكارم لطفك فقد آنسني اليقين إلى مكارم عطفك، إلهي إن أمنتني الغفلة من الاستعداد للقائك، فقد نبهتني المعرفة لكرم آلائك. إلهي إن دعاني إلى النار أليم عقابك، فقد دعاني إلى الجنة جزيل ثوابك.

عن سعيد بن عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول: المستأنس بالله في وقت استئناسه يستأنس بجميع ما يرى ويسمع ويحس به في ملكوت ربه، والمهيب له: يهاب جميع ما يرى ويسمع ويحس به في ملك ربه، ويستأنس بالذر فما دونه ويهابه.

قال: وقال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإسلام: النظر لأهل الملة، وكفّ الأذى عنهم، والعفو عند القدرة لمسيئهم.

وثلاثة من أعلام الإيمان: إسباغ الطهارات في المكاره،

وارتعاش القلب عند الفرايض حتى يؤديها، والتوبة عند كل ذنب خوفاً من الإصرار.

وثلاثة من أعلام التوفيق: الوقوع في الأعمال بلا استعداد له، والسلامة من الذنب مع الميل وقلة الهرب منه، واستخراج الدعاء والابتهال.

وثلاثة من أعلام الخمول؛ ترك الكلام لمن يكفيه الكلام، وترك الحرص في إظهار العلم عند القرناء، ووجدان الألم لكراهة الكلام عند المحاورة والموعظة.

وثلاثة من أعلام الحلم: قلة الغضب عند مخالفة الرأي، والاحتمال عن الورى إخباتاً للرب، ونسيان إساءة المسيء عفواً عنه واتساعاً عليه.

وثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

وثلاثة من أعلام الاتعاظ بالله: الهرب إليه من كل شيء، وسؤال كل شيء منه، والدلال في كل وقت عليه.

وثلاثة من أعلام الرجاء: العبادة بحلاوة القلب، والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب، والمثابرة على فضائل الأعمال بخالص التنافس.

وثلاثة من أعلام الحب في الله، بذل الشيء لصفاء الود، وتعطيل الإرادة لإرادة الله، والسخاء بالنفس، والمشاركة في محبوبه ومكروهه بصفة العقد.

وثلاثة من أعلام الحياء: وزن الكلام قبل التفوه به، ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه، وترك إجابة السفيه حلماً عنه. فأما الحياء

من الله تعالى فهو ما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «أن لا تنسى المقابر والبلا. وأن تحفظ الرأس وما حوى، وأن تترك زينة الحياة الدنيا».

وثلاثة من أعلام الأفضال: صلة القاطع، وإعطاء المانع، والعفو عن الظالم.

وثلاثة من أعلام السعادة: الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي.

عن محمد بن سعيد الخوارزمي. قال: سمعت ذا النون وسئل عن المحبة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين، والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله ﷺ في الدين.

عن يوسف بن الحسين. قال: سمعت ذا النون يقول: يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق: فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

أسند ذو النون رحمه الله غير حديث عن الأئمة رحمهم الله تعالى عن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وابن لهيعة.

٤٥٧ ـ أحمد بن أبي الحواري

[ت٢٣٠هـ]

ومنهم: الزاهد في السراري. النابذ للجواري. العابد في القفار والبراري أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري[١].

(١) اسم أبي الحواري: ميمون، توفي أحمد سنة ثلاثين ومائتين (الصفوة).

كان لفضول الدنيا قالياً. وعن الملاذ سالياً. وفي مكين الأحوال عالياً، ولصحيح الآثار حاوياً.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: قلت لراهب في دير حرملة، وأشرف علي من صومعته، فقلت: يا راهب ما اسمك؟ قال: جريج. قلت: ما يحبسك في هذه الصومعة؟ قال: حبست فيها عن شهوات الدنيا قلت: أما كان يستقيم أن تذهب معنا ها هنا في الأرض وتجيء، وتمنع نفسك الشهوات؟ قال: هيهات، هذا الذي تصف، أنت في قوة وأنا في ضعف، فحلت بين نفسي وبينها. قلت: ولم تفعل ذلك قال: نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خلق من الأرض، وروحه خلق من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وسقاه ونومه وأراحه أخلد البدن إلى الموضع الذي خرج منه، فلم يكن شيء أحب إليه من الدنيا. قلت له: فإذا فعل هذا تعجل له في الدنيا الثواب؟ قال: نعم نورا يواريه، قال أحمد: فحدثت به أبا سليمان فقال: قاتله الله ما أعجبه إنهم لَيَصْفُون.

عن سعيد بن عبد العزيز الحلبي. قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

عن يوسف بن الحسين. قال: طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة، فلما بلغ الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها، وقال: يا علم لم أفعل هذا بك تهاوناً بك ولا استخفافاً بحقك، ولكن كنت أطلبك لأهتدي بك إلى ربي، فلما اهتديت بك إلى ربي استغنيت عنك.

عن إبراهيم بن شيبان يحكي، عن أحمد بن أبي الحواري. قال: لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة.

عن أبي عمرو البيكندي. قال: لما فرغ أحمد بن أبي الحواري من التعليم، جلس للناس، فخطر بقلبه ذات يوم خاطر من قبل الحق، فحمل كتبه إلى شط الفرات، فجلس يبكي ساعة طويلة ثم قال: نعم الدليل كنت لي على ربي، ولكن لما ظفرت بالمدلول، كان الاشتغال بالدليل محال، فغسل كتبه بالفرات.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت بشر بن السري يقول: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك.

قال أحمد: وعلامة حب الله، حب طاعة الله، وقيل: حب ذكر الله، فإذا أحب الله العبد أحبه، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء منه بالحب له، وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته.

قال أحمد: ومن عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور.

وقال أحمد: إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة، وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك.

عن أبي علي بن الحسين بن عبد الله بن شاكر السمرقندي: حدثنا أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري، وسمعته يقول: كن عابداً زاهداً، صادقاً متوكلاً، مستقيماً عارفاً ذاكراً مؤنساً، مستحياً خائفاً راجياً راضياً، وعلامة الرضا أن لا يختار شيئاً إلا ما يختاره له مولاه، فإذا كان ذلك كذلك، كان له من الله عوناً حتى يرده إلى طاعته ظاهراً وباطناً، ولا يكون العبد تائباً حتى يندم بالقلب، ويستغفر باللسان، ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس، ويجتهد في العبادة، ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد، ثم يتشعب له من الزهد الصدق، ثم يتشعب له من الصدق التوكل، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة، ثم

يتشعب له من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ، ثم بعد التلذذ الأنس، ثم بعد الأنس بالله الحياء، ثم بعد الحياء الخوف، وعلامة الخوف الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال. لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه.

عن أحمد. قال: ناظرت أبا سليمان في الحديث الذي جاء أول زمرة يحشر إلى الجنة الحمادون الله على كل حال فقال لي: ويحك ليس هو أن تحمده على المصيبة وقلبك معتصر عليها، فإذا كنت كذلك فارج أن تكون من الصابرين، ولكن أن تحمده وقلبك مسلّم راض.

عن عمر بن بحر الأسدي. قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: بينا أنا ذات يوم في بلاد الشام، في قبة من قباب المقابر، ليس عليها باب إلا كساء قد أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدق عليّ الحائط فقلت: من هذا؟ قالت: امرأة ضالة دلني على الطريق رحمك الله. قلت: رحمك الله، على أي طريق تسألين؟ فبكت ثم قالت: يا أحمد على طريق النجاة. قلت: هيهات إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة قال: فبكت بكاء شديداً ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع، ثم خرت مغشياً عليها، فقلت لبعض النساء: انظري أي شيء حال هذه الجارية؟ قال أحمد: فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها كفنوني في أثوابي هذه فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي. قلت: ما هي؟ فحركوها فإذا هي ميتة. فقلت للخدم: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية مصابة وكان الذي معها يمنعها من الطعام، وكانت

تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكنا نصفها لمتطببي الشام، فكانت تقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب ـ تعنى أحمد ـ أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي لعله أن يكون عنده شفائي.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت له: مم تبكي؟فقال لي: ويحك يا أحمد، كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون، وخلا كل خليل بخليله، واستنارت قلوب العارفين، وتلذذت بذكر ربهم، وارتفعت هممهم إلى ذي العرش، وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته، ورددوا كلامه بأصوات محزونة، جرت دموعهم على خدودهم، وتقطرت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً، فأشرف عليهم الجليل جلَّ جلاله فنظر إليهم، فأمدهم محابة وسروراً، فقال لهم: أحبابي والعارفين بي، اشتغلوا بي وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربة يوم تلقوني.

فينادي الله جبريل: يا جبريل، بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إليّ وأناخ بفنائي، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع، وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيباً يعذب أحباءه؟ أو ما علمتم أني كريم فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أرد قوماً قصدوني؟ أم كيف أذل قوماً تعززوا بي! أم كيف أحجب غداً أقواماً آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعموا بذكري؟ أم كيف يشبه رحمتي أو كيف يمكن أن أبيت قوماً تملقوا لي وقوفاً على أقدامهم، وعند البيات أخزوهم؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوماً إذا جنهم الليل تملقوني، وكيفما كانوا انقطعوا إليّ واستراحوا إلى ذكري، وخافوا عذابي وطلبوا القربة عندي فبي حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم، ولأكونن أنيسهم إلى

أن يلقوني، فإذا قدموا عليّ يوم القيامة فإن أول هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي، حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري.

يا أحمد! إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دماً بعد الدموع.

قال أحمد: فأخذت معه بالبكاء، ثم خرجت من عنده وتركته بالباب، فكنت أرى أثر ذلك عليه حتى الممات.

عن يوسف بن الحسن. قال: قال أحمد: ـ يعني ابن أبي الحواري ـ يوماً: لله لعبده في أوان معاصيه وإعراضه عن ربه أشد نظراً إليه وحباً من العبد في أوان تتابع نعمه وكمال كرامته، وعظيم ستره وإحسانه. ثم قال: وهل يليق إلا ذلك؟.

عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري. فقال: أظن أهل الشام يعقبهم الله تعالى الغيث به.

عن محمود بن خالد ـ وذكر أحمد بن أبي الحواري ـ فقال: ما أظنه بقي على وجه الأرض مثله.

❁ ❁ ❁

عن العباس بن حمزة. قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول في الرباط والغزو: ونعم المستراح، إذا مل العبد من العبادة استراح إلى غير معصية.

قال: وسمعت أحمد يقول: إن الله إذا أحب قوماً أفادهم في اليقظة والمنام.

وقال أحمد: الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب، وأقل من الكلاب من عكف عليها، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف، والمحب لها لا يزايلها بحال.

وقال أحمد: من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به، فقد أشرك في عبادته، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه.

وقال أحمد: إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها، وأعجب من حفاظ القرآن، كيف يهنيهم النوم ويسيغهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتكلمون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا ووفقوا.

❁ ❁ ❁

أسند أحمد بن أبي الحواري عن الأعلام والمشاهير مالا يعد كثرة.

٤٥٨ ـ أبو يزيد البسطامي

[ت٢٦١هـ]

قال الشيخ الحافظ أبو نعيم رحمه الله: ومنهم التائه الوحيد الهائم الفريد البسطامي أبو يزيد[1]، تاه فغاب. وهام فآب. غاب عن المحدودات. إلى موجد المحسوسات والمعدومات. فارق الخلق، وافق الحق.

عن أبي موسى، عن أبي يزيد البسطامي. قال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

عن إبراهيم الهروي. قال: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول:

---

(١) أبو يزيد البسطامي، واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان سروشان مجوسياً فأسلم. وكان لعيسى ثلاثة أولاد، أوسطهم أبو يزيد، وكانوا كلهم عباداً زهاداً.

توفي أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة (الصفوة).

غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته سبقت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبه لي أولاً حتى طلبته.

عن أبي موسى، عن أبي يزيد. قال: إن لله خواصاً من عباده، لو حجبهم في الجنة عن رؤيته، لاستغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.

عن عبيد بن عبد القاهر: جلس قوم إلى أبي يزيد، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه إليهم فقال: منذ أجلستم إليّ، هو ذا أجيل فكري ألتمس حبة عفنة أخرجها إليكم تطيقون حملها فلم أجد.

عن أبي موسى. قال: قال أبو يزيد: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله، أتمضمض واغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره.

عن منصور. قال: جاء رجل إلى أبي يزيد فقال: أوصني. فقال له: انظر إلى السماء، فنظر صاحبه إلى السماء، فقال له أبو يزيد: أتدري من خلق هذا؟ قال: الله. قال أبو يزيد: إن من خلقها لمطلع عليك حيث كنت فاحذره.

عن أبي موسى، عن أبي يزيد. قال: إن في الطاعات من الآفات، مالا تحتاجون إلى أن تطلبوا المعاصي.

عن أبي موسى. قال: قال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه، فهو متكبر.

عن موسى بن عيسى. قال: سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لتعبت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقال أبو يزيد: لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

وقال أبو يزيد: الجنة لا خطر لها عند المحبين، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

عن أبي الحسن المروزي. قال: سمعت امرأة أبي يزيد تقول: سمعت أبا يزيد يقول: دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت، فتركتها ومضيت إلى الله.

عن أبي موسى، عن أبي يزيد. قال: أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة.

فأولهم: الزاهد بزهده.

والثاني: العابد بعبادته.

والثالث: العالم بعلمه.

ثم قال: مسكين الزاهد قد ألبس زهده وجرى به في ميدان الزهاد، ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله: «قليلاً» فكم ملك من القليل، وفي كم زهد مما ملك؟ ثم قال: إن الزاهد هو الذي يلحظ إليه بلحظة فيبقى عنده ثم لا ترجع نظرته إلى غيره ولا إلى نفسه.

وأما العابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة، حتى تعرف عبادته في المنة.

وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر وكم عمل فيما علم؟

عن الحسن بن علي. قال: قال أبو يزيد: المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة جناية، والإشارة من المشير شرك في الإشارة.

وقال: العارف همه ما يأمله والزاهد همه ما يأكله.

وقال: طوبى لمن كان همه هماً واحداً، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، وسمعت أذناه. ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه.

عن سعيد بن إسماعيل. قال: قال أبو يزيد: من سمع الكلام، ليتكلم مع الناس، رزقه الله فهماً يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله، رزقه الله فهماً يناجي به ربه.

عن إبراهيم الهروي. قال: سمعت أبا يزيد يقول: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمنتك.

قال: وسمعت أبا يزيد يقول: رب أفهمني عنك، فإني لا أفهم عنك إلا بك.

وقال: اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً، فشغلهم بالعبادة.

عن إبراهيم الهروي. قال: سمعت أبا يزيد البسطامي وسئل ما علامة العارف؟ قال: ألا يفتر من ذكره، ولا يملَّ من حقه، ولا يستأنس بغيره.

وقال: إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم، فأطاعوه فخلع عليهم خلعة من خلعه، فاشتغلوا بالخلع عنه وإني لا أريد من الله إلا الله.

عن عمر البسطامي. قال: سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد: انظر أن يأتي عليك ساعة لا ترى في السماء غيره ولا في الأرض غيرك.

قال: وسمعت أبا يزيد يقول: لأن يقال لي: لم لا تفعل، أحب إليّ من أن يقال لي: لم فعلت.

وقال: الذي يمشي على الماء ليس بعجب، لله خلق كثير يمشون على الماء ليس لهم عند الله قيمة.

عن أبي يزيد. قال: لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

عن موسى بن عيسى. قال: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات، حتى يرفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

أهل المشرق

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله! أما شموس أهل المشرق وأعلامهم فقد عني بذكرهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري في كتابه المترجم بطبقات الصوفية وأحببت إيداع أسماء جماعة من مشهوريهم كتابي على الاختصار دون الإكثار.

٤٥٩ ـ أحمد بن الخضر

[ت٢٤٠هـ]

فمنهم: أحمد بن الخضر[١]، المعروف بابن خضرويه البلخي، شيخ خراسان له الفتوة المشهورة، والتجريد الحميد.

عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن أحمد. قال: من أحب أن يكون الله معه في جميع الأحوال، فليلزم الصدق فإن الله مع الصادقين.

عن محمد بن حامد. قال: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة، هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح لي بالسعادة أو بالشقاوة، أنى لي أوان الجواب؟.

---

(١) أحمد بن الخضر، يكنى أبا حامد، صحب أبا تراب النخشبي وحاتما الأصم. توفي سنة أربعين ومائتين (الصفوة).

وكان ركبه من الدين سبعمائة دينار، وحضره غرماؤه، فنظر إليهم فقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم، فأدِّ عني، قال: فدق داق الباب وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ قال: فخرجوا فقضى عنه، ثم خرجت روحه.

٤٦٠ ـ إبراهيم الهروي

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الهروي يعرف بستنبه.

صحب إبراهيم بن أدهم، من أقران أبي يزيد، من المذكورين بالتوكل والتجريد، توفي بقزوين، وكان أهل هراة يعظمونه، فحج متجرداً، فقيل: إنه كان من دعائه في تلك الحجة أن قال: اللهم اقطع رزقي عن أموال أهل هراة وزهدهم فيّ. فكان بعد ذلك تأتي عليه الأيام الكثيرة لا يطعم فيها شيئاً، فإذا مر بسوق هراة قالوا: هذا الفاعل ينفق في كل يوم وليلة كذا وكذا درهماً.

عن إبراهيم بن شيبان. قال: بقي إبراهيم بن بستنبه في البادية ما أكل وما شرب وما اشتهى شيئاً، فقال: عارضتني نفسي أن لي مع الله رتبة، فلم أشعر أن كلمني رجل عن يميني، فقال: يا إبراهيم ترائي الله في سرك؟ فنظرت إليه فقلت: قد كان ذلك قال: تدري كم لي ها هنا لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئاً وأنا زمن مطروح؟ قلت: الله أعلم قال: ثمانين يوماً وأنا استحي من الله أن يقع لي خاطرك، ولو أقسمت على الله أن يجعل هذا الشجر ذهباً لجعله، فكانت بركة رؤيته تنبيهاً لي ورجوعاً إلى حالتي الأولى.

عن محمد بن إبراهيم الهروي. قال: قال أبي: من أراد ألا يحجب دعاؤه من السماء فليتعاهد من نفسه خمسة أشياء: أولا أن يكون أكله غلبة لا يأكل إلا مالا بد منه، ولباسه غلبة لا يلبس إلا ما

لا بد منه، ونومه غلبة لا ينام إلا ما لا بد منه، وكلامه غلبة لا يتكلم إلا مالا بد منه. والخامس أن يكون متضرعاً حافظاً لإرادته دائماً حافظاً لأعضائه كلها.

قال: وطريق الجنة على ثلاثة أشياء: أولها أن يسكن قلبك بموعود الله، والثاني الرضا بقضاء الله، والثالث إخلاص العمل في جميع النوافل.

قال: ومن أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف، فليختر سبعاً على سبع، فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا أسنام الخير: أولها أن يختار الفقر على الغنى، والجوع على الشبع، والدون على المرتفع، والذل على العز، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة.

وقال: كّل من أصاب هذه الثلاثة، فقد أصاب الشرف في الدنيا والآخرة: أولها فتح القلب ـ يعني يفتح الله قلبه فيجعله مأوى الذكر والمناجاة ـ والثاني غنمه البر فكل بر يرزقه الله يراه أنه غنيمة له، فيتقبله بالمنة، ويحفظه بالخوف، ويتممه بالخشية، ويسلمه بالإخلاص، ويحفظه بالصبر، والثالث يجد الظفر على عدوه ليستقيم على طاعة الله حتى يرزقه الله الظفر على عدوه.

٤٦١ ـ داود البلخي

قال الشيخ رحمه الله: ومن متقدمي شيوخ المشرق داود البلخي، وإبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي، وحاتم الأصم، وقد تقدم ذكرهم، غير داود البلخي فإنه لم ينشر عنه كانتشار إبراهيم وشقيق وحاتم، ولم أر له ذكراً فيما وقع إلينا إلا ما يحكي عنه إبراهيم بن أدهم أنه قال:

صحبت رجلاً بين الكوفة ومكة، فإذا صلى ركعتين، تجوز فيهما

وتكلم بكلام خفي بينه وبين نفسه، فإذا عن يمينه جفنة ثريد وكوز ماء فأكل وأطعمني، فذكرت ذلك لبعض المشايخ ممن له آيات وكرامات، فقال لي: يا بني ذاك أخي داود ـ ووصف من حاله ما أبكى من حوله ـ ومسكنه من وراء نهر بلخ، بقرية يقال لها: الصادر تفخر على البقاع بكينونة داود فيها.

ثم قال: يا بني ماذا علمك وقال لك؟.

قلت: علمني اسم الله الأعظم.

٤٦٢ ـ أبو تراب النخشبي[١]

[ت٢٤٥هـ]

ومنهم: أبو تراب النخشبي[٢]، كان أحد أعلام المتوكلين، وإمام المتجردين، تأدب بحاتم الأصم، وعلي الرازي المذبوح، له الرياضيات المشهورة، والسياحات المذكورة، دخل أصبهان وسمع من عبد الله بن محمد بن زكريا، ومحمد بن عبد الله بن مصعب، وصحبه جدي محمد بن يوسف بمكة وبالحجاز مدة مديدة، وكذلك صحبه أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل بالبادية.

عن إسماعيل بن عبيد. قال: كان أبو تراب إذا سمع من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده، ويجدد ثوبه، ويقول: بشرى، دفعوا إلى ما دفعوا، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣].

---

(١) وستأتي له ترجمة أخرى برقم (٥٥٠).

(٢) أبو تراب، واسمه عسكر بن الحصين. توفي بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين (الصفوة).

(٣) سورة الرعد، الآية (١١).

وكان يقول لأصحابه: من لبس منكم مرقعة فقد سأل، ومن قعد في الخانقاه، أو في المسجد فقد سأل، ومن قرأ القرآن في المصحف أو كيما يسمع الناس فقد سأل.

عن أبي عبد الله بن الجلاء. قال: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة: أولهم أبو تراب.

وحكى ابن الجلاء عن أبي تراب أنه قال: لا بد للأستاذ من أربعة أشياء: تمييز فعل الله عن فعل الخلق، ومعرفة مقامات العمال، ومعرفة الطبائع والنفوس، وتمييز الخلاف من الاختلاف.

عن يوسف بن الحسين. قال: سمعت أبا تراب يقول: ما تمنت علي نفسي قط إلا مرة، تمنت عليّ خبزاً وبيضاً وأنا في سفر، فعدلت من الطريق إلى قرية فلما دخلتها وثب إليّ رجل فتعلق بي، وقال: إن هذا كان مع اللصوص، فبطحوني وضربوني سبعين جلدة فوقف علينا رجل فصرخ هذا أبو تراب. فأقاموني واعتذروا إلي وأدخلني الرجل منزله وقدم إليّ خبزاً وبيضاً فقلت: كلها بعد سبعين جلدة.

عن إسماعيل بن نجيد. قال: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله عهد ألا أمد يدي إلا حرام، إلا قصرت يدي عنه.

عن ابن الجلاء. قال: كان أبو تراب يقول: لا أعلم شيئاً أضر من المريدين من أسفارهم على متابعة قلوبهم ونفوسهم، وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة.

عن ابن الفرحي. قال: رأيت حول أبي تراب من أصحابه مائة وعشرين ركوة، قعوداً حول الأساطين ما مات أحد منهم على الفقر إلا ابن الجلاء، وأبو عبيدة السري.

عن إبراهيم الخواص. قال: حدثني أخ لي كان يصحب أبا تراب: أن أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشور البطيخ، فقال: إنك لا يصلح لك التصوف، الزم السوق.

عن ابن الجلاء. قال: سمعت أبا تراب النخشبي يقول: إذا ألفت القلوب الأعراض، صحبتها الوقيعة في الأولياء.

عن أبي عبد الله بن الجلاء. قال: دخل أبو تراب مكة، فرأيته طيب النفس، فقلت له: أين أكلت أيها الأستاذ؟ فقال: جئت بفضولك، أكلت أكلة بالبصرة، وأكلة بالنباج، وأكلة ها هنا.

عن إبراهيم الخواص. قال: مات أبو تراب بين مكة والمدينة نهشته السباع.

عن يعقوب بن الوليد. قال: سمعت أبا تراب يقول: يا أيها الناس، أنتم تحبون ثلاثة وليس هي لكم: تحبون النفس وهي لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما: الفرح والراحة وهما في الجنة.

عن علي بن حسن التميمي. قال: سمعت أبا تراب وقال له رجل: ألك حاجة؟ فقال: يوم يكون لي إليك وإلى أمثالك حاجة، لا يكون لي إلى الله حاجة.

وقال أبو تراب: حقيقة الغنى: أن تستغني عمن هو مثلك؛ وحقيقة الفقر: أن تفتقر إلى من هو مثلك، وإذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته قبل مباشرته العمل.

وقال: من شغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت من ساعته.

٤٦٣ ـ يحيى بن معاذ

[ت٢٥٨هـ]

ومنهم: المادح الشكار القانع الصبار، الراجي الجآر، يحيى بن

معاذ[1] الواعظ الذكار، لزم الحداد، توقيا من العباد، واستلذ السهاد، تحرياً للوداد، واحتمل الشداد، توصلا إلى الفناد.

عن الحسن. قال: سمعت يحيى يقول: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت.

قال: وسمعت يحيى يقول: كيف أمتنع بالذنب من رجائك، ولا أراك تمتنع للذنب من عطائك.

قال: وسمعت يحيى يقول: إلهي ذنبي إلى نفسي، فأنا معناه، وحبي لك هو لك فأنت معناه، والحب أعتقده لك طائعاً، والذنب آتيه كارهاً، فهب كراهة ذنبي لطواعية حبي، إنك أرحم الراحمين.

قال: وسمعت يحيى يقول: إلهي إن لم ترحمني رحمة الكرامة عليك، فارحمني رحمة الإيقاع إليك. إلهي بكرمك غداً أصل إليك، كما بنعمتك دللت اليوم عليك.

قال: وسمعت يحيى يقول: إن وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة، وإن أنالهم فضله لم تبق لهم سيئة.

❀ ❀ ❀

عن عبد الله بن سهل الرازي. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

قال: وسمعته يقول: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام القلب بحب الدنيا متعلقاً.

قال: وسمعته يقول: ما ركن إلى الدنيا أحد إلا لزمه عيب

---

(١) يحيى بن معاد بن جعفر الرازي، يكنى أبا زكريا، نزيل الري. ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها وبها مات سنة ثمان وخمسين ومائتين (الصفوة).

القلوب، ولا مكن الدنيا من نفسه أحد إلا وقع في بحر الذنوب.

وسمعته يقول: ورأى رجلاً يوماً يقلع الجبل في يوم حار وهو يغني فقال: مسكين ابن آدم قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

قال: وسمعته يقول: من لم يرض عن الله في الممنوع، لم يسلم من الممنوع.

قال: وسمعته يقول: طلبوا الزهد في بطن الكتب، وإنما هو في بطن التوكل لو كانوا يعلمون.

قال: ونظر يوماً إلى إنسان، وهو يقبل ولداً له صغيراً فقال: أتحبه؟ قال: نعم. قال: هذا حبك له إذ ولدته فكيف بحب الله له إذ خلقه؟.

قال: وسمعته يقول: سبحوا في بحار البلايا حتى جاوزوها إلى العطايا، ثم سبحوا في بحار العطايا حتى جاوزوها إلى رب البرايا.

وسمعته يقول: من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه.

* * *

عن الحسن بن علوية الدامغاني. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: قد غرق في بلائه وهو يريد أن ينجو من ربه بصفائه.

وقال يحيى: الأبدان في سجن النيات والناس ثلاثة: رجل تشاغل بالدنيا عن الله مذموماً. ورجل تشاغل بالآخرة محموداً. ورجل تشاغل بالله عما دونه مقرباً مرفوعاً.

قال: وسمعته يقول: لا يفلح من شمت منه رائحة الرياسة.

وسمعته يقول: جماع الأمر كله في شيئين: سكون القلب على رزق هذه الناحية، والاجتهاد في طلب رزق تلك الناحية.

وسمعته يقول: إن لقيني القضاء بكيد من البلاء لقيت القضاء بكيد من الدعاء.

❁ ❁ ❁

عن أبي العباس بن حكوية الرازي. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقاتها بالذنوب.

قال: وسمعت يحيى يقول: اترك الدنيا قبل أن تترك. واسترض ربك قبل ملاقاته، واعمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه ـ يعني القبر ـ.

قال: وسمعت يحيى يقول: إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه.

وسمعت يحيى يقول: من كان قلبه مع الحسنات لم تضره السيئات، ومن كان مع السيئات لم تنفعه الحسنات.

قال: وسمعت يحيى يقول: لو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقاً، ولو أدركت القلوب كنه هذه المحبة لخالقها لانخلعت مفاصلها إليه ولها عليه، ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشاً، فسبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأشياء.

قال: وسمعت يحيى يقول: لا تطلب العلم رياء، ولا تتركه حياء.

قال: وسمعت يحيى يقول: أعظم المصيبة على الحكيم في اليوم أن يمضي عنه، لا يأتيه فيه هدية من ربه ـ يعني حكمة جديدة ـ.



عن الحسن بن محمد الرازي المذكر. قال: سمعت أبي يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلبها رفضته ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، الدنيا عروس وطالبها ماشطتها، وبالزهد ينتف شعرها ويسود وجهها ويمزق ثيابها. ومن طلق الدنيا فالآخرة زوجته. فالدنيا مطلقة الأكياس لا تنقضي عدتها أبداً، فخل الدنيا ولا تذكرها، واذكر الآخرة ولا تنسها، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأحذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة.

عن الحسن. قال: سمعت أبي يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: تمام المغفرة في ثلاث: حسن القبول، وتقليد العلم، وبذل الفضل وتفسير حسن القبول: أن تسمع بنية الاستفادة، وتنظر الإرادة، لا تهز رأسك كأنك عالم بما تسمعه، فهذا يدخله في الكبر ويفسد العمل.

قال: وسمعت يحيى يقول: علامة من اتقى الله ثلاثة خصال: من آثر رضاه، وقارن تقاه، وخالف هواه - يعني رضي الله على رضى نفسه، وقارن تقاه يعني جعل التقى قرينه فلا يزايله في حال عسره ويسره وسروره ورضاه وغضبه. وخالف هواه يعني فيما يبعده عن الله وينقصه حظ الجزاء.

❀ ❀ ❀

عن الحسن بن علوية. قال: سمعت يحيى يقول: إن أعرضت عنا بوجهك الكريم استعطفناك بقول لا إله إلا الله.

قال: وسمعت يحيى يقول: إن تلقاني بمكر منه اقتداراً تلقيته بذل مني افتقاراً.

قال: وسمعت يحيى يقول: التائب يبكيه ذنبه، والزاهد يبكيه غربته، والصديق يبكيه خوف زوال الإيمان.

قال: وسمعت يحيى يقول: فكرتك في الدنيا تلهيك عن ربك وعن دينك فكيف إذا باشرتها بجميع جوارحك.

قال: وسمعت يحيى يقول: اتق على جراب إيمانك لا يقرضه الفأر.

قال: وسمعت يحيى يقول: تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله العارفين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون من آثار صنعه فيها ويعاينون من بدائع خلقه معها، فلهم في كل شيء معتبر، وعند كل شيء مذكر.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله بن سهل الرازي. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: أيها المريدون طريق الآخرة والصدق، والطالبون أسباب العبادة والزهد اعلموا أنه من لم يحسن عقله لم يحسن تعبد ربه، ومن لم يعرف آفة العمل لم يحسن يحترز منه، ومن لم تصح عنايته في طلب الشيء لم ينتفع به إذا وجده.

واعلموا أنكم خلقتم لأمر عظيم وخطر جسيم، وأن العلم لم يرد ليعلم، إنما أريد ليعلم ويعمل به، لأن الثواب على العمل بالعلم يقع، لا على العلم، ألا ترى أن العلم إذا لم يعمل به عاد وبالاً وحجة، وانظروا ألا تكونوا معشر المريدين ممن قد تركوا لذة الدنيا ونعيمها ثم لا يصدق طلبكم الآخرة، فلا دنيا ولا آخرة، وفكروا فيما تطلبون، فإن من لم يعرف خطر ما يطلب، لم يسهل عليه الجهل في جنب طلبه.

واعلموا أنه من لم يهن عليه الخلق لم يعظم عليه الرب، ومن

لم يكن طلبه في طريق الرغبة والرهبة والشوق والمحبة، كان متحيراً في طلبه مخلطاً في عمله، لا يجد لذة العبادة ولا يقطع طريق الزهادة.

فاتقوا الله الذي إليه معادكم، وانظروا ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة، وحالكم عند الله على خلاف ذلك، فإن الله إنما يجزيكم على ما يعرف منكم، لا على ما يعرفه الناس، ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي إنما هو للخلق، ولا ثواب له بل عليه العقاب، ويدع الباطن الذي هو لله وله الثواب ولا عقاب عليه.

عن محمد بن قارن الرازي. قال: سمعت ابن معاذ يقول: من الدنيا لا ندرك آمالنا، وللآخرة لا نقدم أعمالنا، وفي القيامة غداً لا ندري ما حالنا؟.

عن محمد بن الحسن بن العلاء البلخي. قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: الناس ثلاثة: فرجل شغله معاده عن معاشه، فتلك درجة الصالحين، ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك درجة الفائزين، ورجل شغله معاشه عن معاده فتلك درجة الهالكين.

❀ ❀ ❀

عن أبي العباس. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: يا جهول يا غفول، لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمتَّ طرباً.

قال: وسمعت يحي يقول: استشعرت الفقر فاتهمته، ووثقت بعبد مثلك فقير فائتمنته. ثم صرخ وقال: واسوأتاه منك إذا شاهدتني وهمتي تسبق إلى سواك، أم كيف لا أضنى في طلب رضاك.

قال: وسمعت يحيى يقول: قلب المحب يهيم بالطيران، وتكلمه لدغات الشوق والخفقان.

قال: وسمعته يقول: إلهي إن كانت ذنوبي عظمت في جنب نهيك فإنها قد صغرت في جنب عفوك. إلهي لا أقول: لا أعود لما أعرف من خلقي وضعفي. إلهي إنك إن أحببتني غفرت سيئآتي، وإن مقتني لم تقبل حسناتي. ثم قال: أواه قبل استحقاق قول أواه.

قال: وسمعت يحيى يقول: لو سمع الخلق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزناً، ولو سمعت الخليقة دمدمة النار على الخليقة لتصدعت القلوب فرقا.

❀ ❀ ❀

عن عبد الله بن سهل الرازي. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: لا تجعل الزهد حرفتك لتكتسب بها الدنيا، ولكن اجعلها عبادتك لتنال بها الآخرة، وإذا شكرك أبناء الدنيا ومدحوك، فاصرف أمرهم على الخرافات.

وقال: ترى الخلق متعلقين بالأسباب، والعارف متعلق بولي الأسباب، إنما حديثه عن عظمة الله وقدرته وكرمه ورحمته، يحترف بهذا دهره، ويدخل به قبره.

وسمعته يقول: من كانت الحياة قيده كان طلاقه منها موته.

وسمعته يقول: الدنيا لا قدر لها عند ربها، وهي له فما ينبغي أن يكون قدرها عندك وليست لك.

قال: وسئل يحيى عن الوسوسة فقال: إن كانت الدنيا سجنك كان جسدك لها سجناً، وإن كانت الدنيا روضتك كان جسدك لها بستاناً.

وقل ليحيى: كيف يتعبد الرجل من غير بضاعة تعينه على العبادة؟ قال: أولئك بضاعتهم مولاهم، وزادهم تقواهم، وشغلهم ذكراهم، ومن اهتم بعشائه لم يتهن بغدائه، ومن أراد تسكين قلبه بشيء دون مولاه لم يزد استكثاره من ذلك إلا اضطراباً.

❀ ❀ ❀

عن أحمد بن محمد بن مسعود. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته، والفقر منيته، والعزلة شهوته، والآخرة همته، وطلب العيش بلغته، وجعل الموت فكرته، وشغل بالزهد نيته، وأمات بالذل عزته، وجعل إلى الرب حاجته، يذكر في الخلوات خطيئته، وأرسل على الوجنة عبرته، وشكى إلى الله غربته، وسأله بالتوبة رحمته. طوبى لمن كان ذلك صفته، وعلى الذنوب ندامته، جأر الليل والنهار، وبكّاء إلى الله بالأسحار، يناجي الرحمن ويطلب الجنان ويخاف النيران.

❀ ❀ ❀

عن محمد بن أحمد بن مسعود البدشي. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الكيس من فيه ثلاثة خصال: من بادر بعمله، وتسوف بأمله، واستعد لأجله.

قال: وسمعت يحيى يقول: المغبون يوم القيامة من فيه ثلاثة خصال: من قرض أيامه بالبطالات، وبسط جوارحه على الحسرات، ومات قبل إفاقته من السكرات.

قال: وسمعت يحيى يقول: سبحان الله فلعل لا إله إلا الله تستوهبه من أهل لا إله إلا الله، فليس ما أتى به من الذنب عصياناً أكثر مما أتى به من التوحيد إيماناً.

عن عبد الله بن سهل. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه.

قال: وسمعت يحيى يقول: إنما صار الفقراء أسعد على الذكر من الأغنياء، لأنهم في حبس الله، ولو أطلقوا من حصار الفقر لوجدت من ثبت منهم على الذكر قليلاً.

قال: وسمعت يحيى يقول: من يستفتح أبواب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين.

قال: وسمعت يحيى يقول: الق حسن الظن على الخلق، وسوء الظن على نفسك، لتكون من الأول في سلامة، ومن الآخر على الزيادة.

قال: وسمعت يحيى يقول: أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام، وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني.

❁ ❁ ❁

عن علي بن جعفر بن أحمد الكاتب. قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: الدرجات التي يسعى إليها أبناء الآخرة سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضا، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

فبالتوبة: تطهروا من الذنوب.

وبالزهد: خرجوا من الدنيا.

وبالرضا: ألبسوا قراطن العبودية.

وبالخوف: جازوا قناطر النار.

وبالشوق إلى الجنة: استوجبوها.

وبالمحبة: عقلوا النعيم.

وبالمعرفة: وصلوا إلى الله.

ولا يزالون فيه أبد الآبدين في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

عن إسماعيل بن معاذ، عن أخيه يحيى بن معاذ. قال: قسم الدنيا على البلوى، والجنة على التقوى، وجوع التوابين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصديقين تكرمة، والجوع طعام يشبع الله منه أبدان الصديقين، وإذا امتلأت المعدة خرست الحكمة، وأشرف الجوع حالة ينظر إليك فيها العدو فيرحمك، وامقت الشبع حالة ينظر إليك معها الصديق فيستثقلك، فالحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي على أداء الفرائض، وذكر الموت يزهد في الشيء، وفي لقاء الإخوان مدافعة ما فضل من النهار. وصلاح الأمر في ذلك كله أن يكون على نية.

عن الحسن بن علوية. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: تولد الخوف في القلب من ثلاث خصال: إدامة الفكر معتبراً، والشوق إلى الجنة مشفقاً، وذكر النار متخوفاً.

والورع من ثلاث خصال: من عز النفس، وصحة اليقين، وتوقع الموت.

وتمام المعرفة من ثلاث خصال: حسن القبول، وتقليد العلم، وبذل النصح.

وقال: عدم التواضع من فاتته ثلاث خصال: علمه بما خلق منه وما يعود إليه، والمتواضع من ظن أنه من أذنب أهل الأرض. ومن آثر صحبة المساكين.

وقال: لا تتخذوا من القرناء إلا ما فيه ثلاث خصال: من حذرك غوائل الذنوب، وعرفك مدانس العيوب، وسايرك إلى علام الغيوب.

وقال: شرف المعاد من ثلاث: احتمال الشدائد، وإذلال النفس، وكراهة المعرفة. ومعنى كراهة المعرفة: يكره أن يعرف في الناس، لا يبتغي معرفة الناس، إنما استئناسه بذكر الله في الخلوة ومع الناس.

عن الحسن بن علوية. قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: من لم يكن ظاهره مع العوام فضة، ومع المريدين ذهباً، ومع العارفين المقربين دراً وياقوتاً، فليس من حكماء الله المريدين.

قال: وسمعت يحيى يقول: أحسن شيء كلام صحيح، من لسان فصيح، في وجه صبيح، كلام دقيق مستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق.

وقال يحيى: ثلاثة من الأموال: الدراهم والدنانير والدر والياقوت، فكلامي في العظات الدراهم، وفي الصفات الدنانير، وفي المعرفة وكرم الله الدر والياقوت.

قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: كلام يحيى بن معاذ يكثر ويطول اقتصرنا منه على ما أملينا.

٤٦٤ ـ سعيد بن العباس الرازي

ومنهم الواثق بالوصول، الناطق بالأصول، التارك للفضول، له البيان الشافي، والكلام الكافي، نبذ الآراء، وعدد الآلاء، عمل على تصفية الباطن، فركن إلى لطف الضامن، أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي.

عن محمود بن الفرج، عن أبي عثمان سعيد بن العباس الرازي. قال: أحذرك يا أخي شياطين الإنس والجن، كما حذر رسول الله ﷺ

أبا ذر، واعلم أن قائدهم إبليس، واعرف بقلبك من يدعوك إلى الهلكة، ومن يدعوك إلى النجاة، واستعن بالله فإن جميع الشر حب الدنيا، هل رأيت رجلاً عصى الله في التهاون، والزهد في الدنيا والرضى بالقليل؟.

واحذر الدنيا وأهلها ومن يدعوك إليها، فإن المحب للدنيا زعم بلسانه أنه يعبد ربه، وهو يعبد هواه، ودنياه بقلبه ونيته، وغدوه ورواحه، وطواعيته وغضبه ورضاه.

واعلم أن العلماء هم أمناء الرسول عليه الصلاة والسلام، وورثة الأنبياء عليهم السلام، أما علمت أن النبي ﷺ في زمانه دعا إلى الزهد في فضول الدنيا والتهاون بها، ومن معه من العلماء كانوا يحذرون حلال الدنيا، ويشفقون منها أشد من حذر الجهال من حرامها، لأنه لا يسلم من الدنيا من ينالها، ولا يسلم من شرها من أحبها وأمن مكرها، هي حتف أهلها دون الحتف.

واعلم أن العالم بالله الخائف من الله يهدم بحق الله باطل أهل الرغبة في الدنيا، وأن العالم المغتر يطفيء نور الحق بظلمة الباطل.

واعلم أن الله إذا أراد أن يغني فقيراً، أو يفقر غنياً، أو يرفع وضيعاً، أو يضع رفيعاً، فعل ما أراد من ذلك، فلا تغالب الله على أمره، ولا تلتمس شيئاً من ذلك بغير طاعة الله، فإن الذين التمسوا الأمور بغير طاعة الله خسروا خسراناً مبيناً، فيما أصابوا بما طالبوا، وفيما أخطأهم مما أرادوا.

فانظر إذا كنت إماماً أي إمام تكون، فربما نجت الأمة بالإمام الواحد، وربما هلكت بالإمام الواحد، وإنما هما إمامان: إمام هدى، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[1]

(١) سورة السجدة، الآية (٢٤).

يعني على الدنيا. وإنما صاروا أئمة حين صبروا عن الدنيا، ولا يكون إمام هدى حجة لأهل الباطل فإنه قال: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر أنفسهم، ولا بأمور الناس، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾[1] فهذا إمام هدى فهو ومن أجابه شريكان. وإمام آخر قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾[2] ولا تجد أحداً يدعو إلى النار، ولكن الدعاة إلى معصية الله، فهذان إمامان هما مثل من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين.

واعلم أن باب الآخرة مفتوح فادخله تصل إلى رحمة الله، ولتكن في كنف الله وحفظه وولايته وستره وأجره ورزقه وكفايته، فإن الله لا يخلف الميعاد.

واعلم أنه ليس بين الله وبين العباد وسيلة إلا طاعته، فإنها وسيلة العباد إليه، فلا تتوسلوا إلى الله بغير الوسيلة التي جعلها الله سبيلاً وسبباً إليه، فإن ديان الدين إنما يدين العباد غداً بأعمالهم، ولا يدينهم بمنازلهم في الدنيا.

واعلم أنك قد كفيت مؤنة من بعدك، فلا تتكلف مؤنة من قد كفيت بإفساد نفسك.

واعلم أن الناس قبلك قد جمعوا لأولادهم فلم يبق ما جمعوا لهم، ولا من جمعوا له.

واعلم أن لك في الدنيا ولباسها ونعيمها وشهوتها رغبة، وإنك والله لئن طلبت النعيم بالتنعم في الدنيا والرغبة فيها ما أحسنت طلبه، فازهد فيها تجد لليقين نوراً، وترى للترك فضلاً وسروراً، انظر إليها

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٧٣).

(٢) سورة القصص، الآية (٤١).

بالتصغير إذ كان قصيراً فانياً، التمس استصغار الدنيا بالتقلل منها، واستجلب حلاوة الترك بقصر الأمل فيها، قد استدبرت أموراً لك فيها معتبر ومنظر ومتعظ ومزدجر، وانظر ما صدر قوم عن معصية الله إلى غير عذاب الله عاجلاً أو آجلاً إلا من عصمه الله بالتوبة.

كن عالماً عاملاً، فقد علم أقوام ولم يعملوا، ولم يكن علمهم إلا عليهم، والعلم والعمل قرينان، لا ينفع أحدهما إلا بصاحبه.

اختر القلة وارتع في رياض المقلين تدرك ثمرة قلبك، أما علمت أن النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكاره، اختر ما اختاره الرسول ﷺ، وادع إلى ما دعا إليه، تكن لله ولياً وللرسول أميناً، وللمتقين إماماً.

واعلم أن العبد المؤمن ليس بالذي يشكر في السراء، فإذا أصابه شيء مما يكره ترك دينه، ومن لا خير له فيما يكره، فليس له خير فيما يحب، فقد جعل الله في الكره خيراً لمن صبر على البلاء، واحتسب المصيبة، وأحسن الظن بالله، وصدق التوكل عليه، وآمن بما وعد الله الصابرين.

كن داعياً إلى الله بما دعا به رسول الله ﷺ، والتمس الرفعة بالتواضع، والتمس الشرف بالدين، وليكن ذلك في ترك دنياك لآخرتك، تدرك شرف الدنيا والآخرة، فإن أكمل إيمان العبد إذا آثر الآخرة على الدنيا، واطلب حقيقة الإيمان بردك نفسك عن الدنيا، وأجهد نفسك على طلب الآخرة، فإن الكيس من دان نفسه وعمل لآخرته، والعاجز من تمنى على الله الأماني.

قال الشيخ أبو نعيم: لأبي عثمان الكلام المبسوط في مصنفاته، وله من كثرة الأحاديث مسانيد وتفسير ما يقارب الأئمة في الكثرة، حدث عن الأعلام: عن أبي نعيم، وحسين المروزي، والقعنبي، وأحمد بن شبيب، والحميدي، وسلمة بن شبيب، ومكي، وقتيبة،

وعلي الطنافسي، وأبي مسعود والحماني وسهل بن عثمان وابن كاسب وإبراهيم بن موسى.

٤٦٥ ـ الحارث بن أسد المحاسبي

[ت٢٤٣هـ]

ومنهم المشاهد المراقبي والمساعد المصاحبي أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي.

كان لألوان الحق مشاهداً ومراقباً، ولآثار الرسول عليه السلام مساعداً ومصاحباً، تصانيفه مدونة مسطورة، وأقواله مبوبة مشهورة، وأحواله مصححة مذكورة، كان في علم الأصول راسخاً وراجحاً، وعن الخوض في الفضول جافياً وجانحاً، وللمخالفين الزائغين قامعاً وناطحاً، وللمريدين والمنيبين قابلاً وناصحاً.

عن الجنيد بن محمد. قال: كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا فيقول: اخرج معي نصحر[1] فأقول له: تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي، إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات؟ فيقول: اخرج معي ولا خوف عليك، فأخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء، لا نرى شيئاً نكرهه فإذا حصلت معه في المكان الذي يجلس فيه قال لي: سلني، فأقول له: ما عندي سؤال أسألك، فيقول لي: سلني عما يقع في نفسك، فتنثال علي السؤالات، فأسأله عنها فيجيبني عليها للوقت، ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً.

عن الجنيد. قال: كنت كثيراً أقول للحارث: عزلتي أنسي وتخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات؟ فيقول لي: كم تقول لي أنسي في عزلتي؟ لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت بهم أنساً، ولو أن النصف الآخر نأى عني، ما استوحشت لبعدهم.

---

(١) نصحر: أي نخرج إلى الصحراء.

عن الجنيد. قال: كان الحارث كثير الضر، فاجتاز بي يوماً وأنا جالس على بابنا، فرأيت في وجهه زيادة الضر من الجوع، فقلت له: يا عم لو دخلت إلينا نلت من شيء عندنا، فقال: أو تفعل؟ قلت: نعم، وتسرني بذلك وتبرني، فدخلت بين يديه، ودخل معي، وعمدت إلى بيت عمي - وكان أوسع من بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعاً - فجئت بأنواع كثيرة من الطعام، فوضعته بين يديه، فمد يده وأخذ لقمة فرفعها إلى فيه، فرأيته يلوكها ولا يزدردها فخرج وما كلمني، فلما كان الغد لقيته، فقلت: يا عم سررتني ثم نغصت عليّ، فقال: يا بني أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت أن أنال من الطعام الذي قدمته إليّ، ولكن بيني وبين الله علامة، إذا لم يكن الطعام عند الله مرضياً، ارتفع إلى أنفي منه زفورة فلم تقبله نفسي، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم وخرجت.

عن الجنيد. قال: مات أبو الحارث المحاسبي، وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة، وخلف أبوه مالاً كثيراً وما أخذ منه حبة واحدة. وقال: أهل ملتين لا يتوارثان، وكان أبوه واقفياً.

عن أبي العباس بن مسروق، والجنيد بن محمد. قالا: سمعنا الحارث المحاسبي يقول: فقدنا ثلاثة أشياء لا نكاد نجدها إلى الممات: حسن الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة.

عن أبي عثمان البلدي. قال: بلغني عن الحارث المحاسبي أنه قال: العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة.

قال: وقال الحارث: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة لقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١).

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

عن الجنيد بن محمد. قال: قال الحارث: لا ينبغي للعبد أن يطلب الورع بتضييع الواجب.

وقال: قال الحارث: إذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب داعي الله؟ ومن استغنى بشيء دون الله فقد جهل قدر الله.

وقال: الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس. والقانع غني وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك.

❃ ❃ ❃

عن الجنيد بن محمد. قال: قال الحارث بن أسد: أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوى، وأصل التقوى محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء، وأصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد، ومعرفة أصل معرفة الوعد والوعيد عظم الجزاء، وأصل ذلك الفكرة والعبرة. وأصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت حيث يقول.

ما حملت من ناقة فوق رحلها أعف وأوفى ذمة من محمد

عن أحمد بن عبد الله بن ميمون. قال: سمعت الحارث بن أسد يقول: إن أول المحبة الطاعة، وهي منتزعة من حب السيد عز وجل، إذ كان هو المبتدئ بها، وذلك أنه عرفهم نفسه، ودلهم على طاعته، وتحبب إليهم، على غناه عنهم، فجعل المحبة له ودائع في قلوب محبيه، ثم ألبسهم النور الساطع في ألفاظهم من شدة نور محبته في قلوبهم، فلما فعل ذلك بهم، عرضهم سروراً بهم على ملائكته، حتى أحبهم الذين ارتضاهم لسكنى أطباق سماواته، نشر لهم الذكر الرفيع عند خليقته، قبل أن يخلقهم مدحهم، وقبل أن يحمدوه شكرهم، لعلمه السابق فيهم: أنه يبلغهم ما كتب لهم، وأخبر به عنهم، ثم أخرجهم إلى خليقته وقد استأثر بقلوبهم عليهم، ثم رد أبدان العلماء

إلى الخليقة، وقد أودع قلوبهم خزائن الغيوب، فهي معلقة بمواصلة المحبوب.

فلما أراد أن يحييهم ويحيي الخليقة بهم، أسلم لهم هممهم، ثم أجلسهم على كرسي أهل المعرفة، فاستخرجوا من المعرفة المعرفة بالأدواء، ونظروا بنور معرفته إلى منابت الدواء، ثم عرفهم من أين يهيج الداء، وبما تستعينون على علاج قلوبهم، ثم أمرهم بإصلاح الأوجاع، وأوعز إليهم في الرفق عند المطالبات، وضمن لهم إجابة دعائهم عند طلب الحاجات.

نادى بخطرات التلبية من عقولهم في أسماع قلوبهم، أنه تبارك وتعالى يقول: يا معشر الأدلاء من أتاكم عليلاً من فقدي فداووه، وفاراً من خدمتي فردوه، وناسياً لأيادي ونعمائي فذكروه.

لكم خاطبت لأني حليم، والحليم لا يستخدم إلا الحلماء، ولا يبيح المحبة للبطالين، ضناً بما استأثر منها، إذ كانت منه وبه تكون، فالحب لله هو الحب المحكم الرصين، وهو دوام الذكر بالقلب واللسان لله، وشدة الأنس بالله، وقطع كل شاغل شغل عن الله، وتذكار النعم والأيادي.

وذلك أن من عرف الله بالجود والكرم والإحسان، اعتقد الحب له إذ عرفه بذلك أنه عرفه بنفسه، وهداه لدينه، ولم يخلق في الأرض شيئاً إلا وهو مسخر له، وهو أكرم عليه منه، فإذا عظمت المعرفة واستقرت هاج الخوف من الله، وثبت الرجاء.

قلت: خوفاً لماذا؟ ورجاء لماذا؟.

قال: خوفاً لما ضيعوا في سالف الأيام لازماً لقلوبهم، ثم خوفاً ثابتاً لا يفارق قلوب المحبين، خوفاً أن يسلبوا النعم إذا ضيعوا الشكر على ما أفادهم، فإذا تمكن الخوف من قلوبهم، وأشرفت نفوسهم

على حمل القنوط عنهم، هاج الرجاء بذكر سعة الرحمة من الله، فرجاء المحبين تحقيق، وقربانهم الوسائل، فهم لا يسأمون من خدمته، ولا ينزلون في جميع أمورهم إلا عند أمره، لمعرفتهم به أنه قد تكفل لهم بحسن النظر.

ألم تسمع إلى قول الله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1] فدخلت النعم كلها في اللطف، واللطف ظاهر على محبته خاصة دون الخليقة، وذلك أن الحب إذا ثبت في قلب عبد لم يكن فيه فضل لذكر أنس ولا جان، ولا جنة ولا نار، ولا شيء إلا ذكر الحبيب وذكر أياديه وكرمه، وذكر ما دفع عن المحبين له من شر المقادير، كما دفع عن إبراهيم الخليل عليه السلام وقد أججت النار، وتوعده المعاند بلهب الحريق، فأراه جل وعز آثار القدرة في مقامه، ونصرته لمن قصده، ولا يريد به بدلاً. وذكر ما وعد أولياؤه من زيارتهم إياه وكشف الحجب لهم، وأنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر في يوم فزعهم، إلى معونته على شدائد الأخطار، والوقوف بين الجنة والنار.

فالحب لله في نفسه استنارة القلب بالفرح لقربه من حبيبه، فإذا استنار القلب بالفرح، استلذ الخلوة بذكر حبيبه، فالحب هائج غالب، والخوف لقلبه لازم لا هائج، إلا أنه قد ماتت منه شهوة كل معصية، وهدي لأركان شدة الخوف، وحل الأنس بقلبه لله، فعلامة الأنس استثقال كل أحد سوى الله، فإذا ألف الخلوة بمناجاته حبيبه، استغرقت حلاوة المناجاة العقل كله، حتى لا يقدر أن يعقل الدنيا وما فيها، ومن ذلك قول ضيغم العابد: عجباً للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر غيرك؟.

عن أبي العباس بن مسروق. قال: سمعت الحارث بن أسد

---

(١) سورة الشورى، الآية (١٩).

يقول: من عدم الفهم عن الله فيما وعظ، لم يحسن أن يستجلب وعظ حكيم، ومن خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة، فكشفت عنه ستر العدالة، وفضحته شواهد العزة، فلا يرى جميلاً يرغب فيه، ولا قبيحاً يأنف عنه، فتبسط نفسه إلى ريِّ الشهوات، ولا تميل إلى لذيذ الراحات، فيستولي عليه الهوى فينقص قدره عند سيده، ويشين إيمانه ويضعف يقينه.

عن أبي العباس بن مسروق. قال: سئل الحارث بن أسد عن الزهد في الدنيا قال: هو عندي العزوف عن الدنيا ولذاذتها وشهواتها؛ فتنصرف النفس ويتعزز الهمّ، وانصراف النفس ميلها إلى ما دعا الله إليها بنسيان ما وقع به من طباعها، واعتزاز الهم الانقطاع إلى خدمة المولى، يضن بنفسه عن خدمة الدنيا مستحياً من الله أن يراه خادماً لغيره، فانقطع إلى خدمة سيده، وتعزز بملك ربه، فترحل الدنيا عن قلبه، ويعلم أن في خدمة الله شغلاً عن خدمة غيره، فيلبسه الله رداء عمله، ويعتقه من عبوديتها، واعتز أن يكون خادماً للدنيا لعزة العزيز الذي أعزه بالاعتزاز عنها، فصار غنياً من غير مال، وعزيزاً من غير عشيرة، ودرت ينابيع الحكمة من قلبه، ونفدت بصيرته، وسمت همته، ووصل بالوهم إلى منتهى أمنيته، فترقى وارتفع ووصل إلى روح الفرج من هموم الأطماع، وعذاب الحرص.

وقيل له: كيف تفاوت الناس في الزهد؟

قال: على قدر صحة العقول، وطهارة القلوب، فأفضلهم أعقلهم، وأعقلهم أفهمهم عن الله، وأفهمهم عن الله أحسنهم قبولاً عن الله، وأحسنهم قبولاً عن الله أسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل، وأسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل أزهدهم في الدنيا، وأزهدهم في الدنيا أرغبهم في الآخرة. فبهذا تفاوتوا في العقول، فكل زاهد زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر قوة إيمانه.

عن أبي عثمان البلدي. قال: بلغني عن الحارث بن أسد أنه قال: العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة، وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم، ومن صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة، ومن اجتهد في باطنه، ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته في ظاهره مع جهد باطنه، ورثه الله الهداية إليه، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1].

عن الجنيد بن محمد. قال: سمعت الحارث بن أسد يقول: اعلم بأنك لست بشيء إلا بالله، وليس لك شيء إلا ما نلت من رضوان الله، وأنك إن اتقيته في حقه وقاك شر من دونه، ولا يصلح عبد إلا أصلح الله بصلاحه سواه، ولا يفسد عبد إلا أفسد الله بفساده غيره، فأعداؤك من نفسك طبائعك السيئة، وأولياؤك من نفسك طبائعك الحسنة، فقاتل ما فيك من ذلك ببعض، وقاتل أعداءك بأوليائك، وغضبك بحلمك، وغفلتك بتفكرك، وسهوك بتنبهك، فإنك قد منيت وابتليت من معاني طبائعك، ومكابدة هواك.

وعليك بالتواضع فالزمه، واعلم أن لك من العون عليه أن تذكر الذي أنت فيه، والذي تعود إليه، والتواضع له وجوه شيء، فأشرفها وأفضلها أن لا ترى لك على أحد فضلاً، وكل من رأيت كن له بالضمير والقلب مفضلاً، ومن رأيت من أهل الخير رجوت بركته والتمست دعوته، وظننت أنه إنما يدفع عنك به، فهذا التواضع الأكبر.

والتواضع الذي يليه: أن يكون العبد متواضعاً بقلبه، متحبباً إلى

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

من عرفه، غير محتقر لمن خالفه، ولا مستطيلاً على من هو بحضرته، وليس بقريب منه.

وأما التواضع الثالث: فهو اللازم للعباد، الواجب عليهم، الذي لو تركوه كفروا، فالسجود لله.

أبلغنا الله وإياكم التواضع الأكبر.

عن الجنيد بن محمد. قال: سمعت أبا عبد الله الحارث بن أسد يقول: ـ وسأله سائل ـ إن النعم من الله تعالى علي لا تحصى، ظاهرة وباطنة، وعامة وخاصة، صغيرة وكبيرة، في كل أحوالي ومع كل أسبابي، ومع كل شيء من بدني وجوارحي وعقلي، وطبعي وحياتي وعيشي، وكل ما أتقلب فيه، وكل منفعة تحدث في ديني ودنياي، وكل ليل ونهار يختلف علي، وشمس وقمر وسائر الأشياء نعم عليّ، إلا أني أجدني في أكثرها غافلاً عن شكره عليها، إلا النعمة العظيمة، كالكرب ينزل بي فيفرج الله عني كربي، وينفس عني غمي، وكالمال الكثير يرزقني، فإن عظمت النعمة انتبهت لعظيم قدرها، وموقع منفعتها لي، فانتبهت للشكر، وذكرت أنها من الله تفضل، وحمدته عليها، وسائر النعم لقلة قدرها أنسى أنها نعمة، فإن ذكرت أنها نعمة ذكرتها ذكراً بغير تعظيم لها، ولم تهج شدة الشكر عليها، حتى لقد نسيت الشكر عند أكثر النعم، إلا عند الفرج من الكرب، أو النعمة العظيمة في المنفعة.

فقال الحارث: هذا فعل عامة العباد من الجاهلين، يعاملون الله على قدر عظيم إحسانه وقلته، وإن أكثر ما قل من النعم لربما كان أكثر منفعة من عظيمها، وربما كان عظيمها يعقب ضرراً في الدين أو في الدنيا، ولربما كان إحسان الله في النعمة الصغيرة أكثر من النعمة في كبيرها، لعاقبة منفعتها، ولربما عظمت النعمة من سعة الدنيا، فيطغى صاحبها وتشغله حتى يعصي الله فيدخل النار، ولو كانت النعمة

أقل من ذلك لما أطغته، ولا ألزمته كثرة الفرائض فيها فلا يقوم بها، كمن كثرت الحقوق عليه لله في السعة، فلم يقم بحقه من أداء الزكاة في مواضعها بغير مكافأة ليد الفقير عنده، ولا اجتلاب حمد ولا ثناء، ولا مخافة ذم، وكذلك صلة القرابة والجار المحتاج البين حاجته وغير ذلك. وربما ضرته السعة في الدنيا دون الدين، وربما قتله كثرة ماله من لصوص يقتلونه عليه، وغير ذلك طيب الطعام كثرته قد تضره حتى تورثه الأوجاع والسقم. وكذلك يوهب له الولد الذكر فيعصي الله فيه، وربما ضره في الدنيا وغمه بما يصيبه من الأسقام، وربما كبر حتى يلجئه إلى الاختلاف إلى السجون ومخاصمة الجيران فيه، أو عداوتهم، وكذلك يكون في الكرب الشديد من المرض، أو بمن يعنيه أمره من ولد وأهل، فيكثر دعاؤه وتضرعه، ويتصدق ويخشع قلبه، فإذا فرج عنه وعاد إلى العافية، رجع إلى اللهو والشهوة والعصيان، وقل تضرعه إلى الله، فكان المرض أصلح لقلبه وأوفر لدينه، وكانت العافية إن استعملها فيما يضره في دينه أضر عليه من المرض، وكفاك بعلم الله تعالى في ابن آدم، ووصفه له إذ يقول: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾[1] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[2] ومثل ذلك في كتاب الله كثير.

فإنما أُتيت أنك نظرت إلى قدر النعم عند ورودها عليك، ولم تنظر في عواقبها في دينك ودنياك، ما تكون في العاقبة أتضر أم تنفع؟ ألم تسمع قول الله: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ والله ما تدري إذا وردت النعم عليك أيها أنفع لك؟ أقليلها أم كثيرها؟.

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥١).

(٢) سورة يونس، الآية (١٢).

فإذا وردت عليك النعمة، فاحمد الله الذي منَّ بها، وكن مشفقاً من أدنى السلامة منها في دينك ودنياك، فإن كانت صغيرة فاستصغرها قلبك فاذكر عاقبتها وخيرة الله فيها، فلعل الله أن يكون قد خار لك فيها ونظر لك بأن قللها، ولم يجعلها أعظم مما هي، لعله قد علم أنها لو عظمت وزادك منها أنك تعصي بها فيغضب عليك، أو يعطيك في دنياك أو تورثك ضرراً في دينك.

ألا ترى أنك تعمل بظاهر النعم وتنسى عواقبها، وقد تبينت عواقبها بالتجارب فيك وفي غيرك، من كثير الضرر في عظيمها، وكثرة السلامة في أكثر ما صغر منها، والله لقد بين لك مولاك أن كثيراً منها كان زوالها نعمة عظيمة من الله على من زالت عنه، وأن بقاءها بلية عليه، من ذلك أن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام قد كان نعمة في الظاهر عظيمة غلام ذكر.

وقد قال مجاهد: قد علمنا أن أبويه قد فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، وكان في بقائه هلكتهما.

عن الجنيد بن محمد. قال: سئل الحارث بن أسد وقيل له: رحمك الله، ما علامة الأنس بالله؟ قال: التوحش من الخلق. قيل له: فما علامة التوحش من الخلق؟ قال: الفرار إلى مواطن الخلوات، والتفرد بعذوبة الذكر، فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: قد أتينا على طرف من كلام الحارث بن أسد مجتزياً من فنون تصانيفه وأنواع أقواله وأحواله بما ذكرنا إذ هو البحر العميق ورواياته عن المحدثين المشهورين في تصانيفه مدونة.

٤٦٦ ـ علي الجرجاني

ومنهم المتخلي من الشهوات. والمتحلي بالخلوات، تخلى من

الجزع والهلع واستحلى الفزع والضرع. علي الجرجاني. من قدماء المتعبدين.

عن سري السقطي. قال: خرجت من بغداد أريد الرباط إلى عبادان لأصوم بها رجباً وشعبان ورمضان، فلقيت في طريقي علياً الجرجاني، وكان من الزهاد الكبار، فدنا وقت إفطاري، وكان معي ملح مدقوق وأقراص، فقلت: هلم رحمك الله، فقال: ملحك مدقوق، ومعك من ألوان الطعام. لن تفلح، ولن تدخل بستان المحبين. فنظرت إلى مزود كان معه فيه سويق الشعير فيسف منها. فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة.

فلما دخلنا عبادان قلت: موعظة أحفظها عنك، قال: نعم إن شاء الله، احفظ عني خمس خصال، إنك إن حفظتها لا تبالي ما أضعت بعدها، قلت: نعم. قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في جميع أمورك. قلت: فإذا كنتُ كذلك؟ قال: يهب الله لك خمساً: الزهد ومع الزهد القنوع ومع القنوع الرضا، ومع الرضا المعرفة، ومع المعرفة الشوق. ثم يهب لك خمساً: السباق، والبدار، والتخفف، وحسن البشارة، وحسن المنقلب إلى الله. أولئك أحباء الله. قلت: فأين ترى لي أن أسكن؟ قال: ارحل نحو لكام. قلت: فهل شيء أعيش به؟ قال: فمقت في وجهي وقال: تفر إلى الله من ذنبك، وتستبطئه في رزقك؟ فلا والله ما أدري دخل البحر أم لا.

٤٦٧ ـ فديم

قال الشيخ: وممن عرف من متقدمي البغداديين بالنسك والتحقيق بالتصوف أبو هاشم فديم.

جلس إليه سفيان الثوري فحمد طريقته وملازمته للصفاء والوفاء.

لا نحفظ من كلامه شيئاً إلا ما حكاه عنه الثوري أنه قال: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر إلى أن جالست أبا هاشم، فأخذت منه ترك الرياء.

وبلغني أنه رأى شريك بن عبد الله القاضي خارجاً من دار يحيى البرمكي يطرق بين يديه فقال: أعوذ بالله من علم يورث هذا، ويفضي بصاحبه إلى ما أرى.

٤٦٨ ـ شريح بن يونس

[ت٢٣٥هـ]

قال الشيخ: ومن المشهورين بتحقيق العبادة والعبودية. والانقياد لتعظيم الإلهية والربوبية. المأخوذ عنه الآداب الشريفة، والمقتبس منه الكثير من آثار الشريعة. أبو الحارث شريح بن يونس.

نقل عنه الأحوال السنية، وله الآيات البديعة. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل. قال: سمعت شريح بن يونس يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا شريح سل حاجتك. فقلت: رحماك سرٌّ بسرّ.

عن حامد بن شعيب. قال: سمعت شريح بن يونس يقول: كنت ليلة نائماً فوق المشرعة، فسمعت صوت ضفدع فإذا ضفدعة في فم حية فقلت: سألتك بالله إلا خليتها. فخلاها.

٤٦٩ ـ السري السقطي

[ت٢٥٣هـ]

ومنهم العلم المنشور. والحكم المذكور. شديد الهدى، حميد السعي. ذو القلب التقي. والورع الخفي. عن نفسه راحل. ولحكم ربه نازل. أبو الحسن السري بن المغلس السقطي. خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه.

عن الجنيد بن محمد. قال: سمعت السري بن المغلس يقول: لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليّ، فقلت: بلحيتي كذا ـ وأمر يده على لحيته. كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل ـ لخفت أن يعذبني الله على ذلك بالنار.

قال: وسمعت السري يقول: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مراراً مخافة أن يكون وجهي قد اسود.

قال: وسمعت السري يقول: ما أحب أن أموت حيث أعرف. فقيل له: ولِمَ ذلك يا أبا الحسن؟ قال: أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضح.

قال: وسمعت السري يقول: إن نفسي تنازعني أن أغمس جزرة في دبس منذ ثلاثين سنة فما يمكنني

قال: وسمعت السري يقول: إني أحب أن آكل أكلة ليس لله عليّ فيها تبعة، ولا لمخلوق فيها منة. فما أجد إلى ذلك سبيلاً.

قال: وسمعت السري يقول: خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواضع، فلما أصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقل، فمددت يدي فأخذتها وقلت: الحمد لله، ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منة. فقال لي بعض من رآني وقد أخذتها: يا أبا الحسن التفت، فالتفت فإذا مثل تلك الطاقة. فقال لي: خذ هذا من نائبك. فقلت له: الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منة وهذا بدلالتك تريد لك علي فيه منة. إنما أريد ما ليس لمخلوق فيه منة ولا لله فيه تبعة.

قال: وسمعت السري يقول: كان أهل الورع في وقت من الأوقات أربعة: حذيفة المرعشي، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسليمان الخواص، فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل.

قال: وسمعت السري يقول: كنت بطرسوس وكان معي في الدار فتيان متعبدون، وكان في الدار تنور يخبزون فيه، فانكسر التنور فعملت لهم بدله من مالي، فتورعوا أن يختبزوا فيه.

قال: وسمعت السري وذكر أن أبا يوسف الغسولي كان يلزم الثغر ويغزو، وكان إذا غزا ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من طعام الروم وفواكههم، فيقول أبو يوسف: لا آكل، فيقال له: تشك أنه حلال، فيقول: لا أشك، هو حلال، فيقال له: فكل من الحلال. فيقول: إنما الزهد في الحلال.

قال: وسمعت السري يذم من يأكل بدينه ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه.

❀ ❀ ❀

عن علي بن الحسين بن حرب. قال: بعث بي أبي إلى السري بشيء من حب السعال ـ لسعال كان به ـ فقال لي: كم ثمنه؟ قلت له: لم يخبرني بشيء. فقال: اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة: أن لا يأكلوا بأديانهم، ترانا اليوم نأكل بأدياننا.

عن إسماعيل بن عبد الله الشامي. قال: قال سري السقطي: خمس من كن فيه فهو شجاع بطل: استقامة على أمر الله ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، وتيقظ ليس معه غفلة، ومراقبة الله في السر والجهر ليس معه رياء، ومراقبة الموت بالتأهب.

عن إسماعيل. قال: قال السري السقطي: للمريد عشر مقامات، التحبب إلى الله بالنافلة، والتزين عنده بنصيحة الأمة، والأنس بكلام الله، والصبر على أحكامه، والأثرة لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والرضاء بالقلة، والقناعة بالخمول.

عن إسماعيل بن عبد الله الشامي. قال: قال سري السقطي: للخائف عشر مقامات: الحزن اللازم. والهم الغالب، والخشية المقلقة، وكثرة البكاء، والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة، وكثرة الوله، ووجل القلب، وتنغص العيش، ومراقبة الكمد.

عن القاسم بن عبد الله البزاز. قال: سمعت سريا السقطي يقول: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار، عليها جميع ما خلق الله من الأطيار، فخاطبه كل طير منها بلغته، وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان في يديها أسيراً.

عن ابن السري. قال: سمعت أبي يقول: لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها، شفقتها على أولادها، للاقت السرور في معادها.

عن الجنيد بن محمد. قال: سمعت السري بن المغلس يقول: وددت أن حزن الخلق كلهم ألقي عليّ.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: إن في النفس لشغلاً عن الناس.

عن محمد بن إسحاق الأسلمي. قال: سمعت السري يقول: المغبون من فنيت أيامه بالتسويف، والمغبون من تمنى الصالحون مقامه.

❁ ❁ ❁

عن الجنيد بن محمد. قال: بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه، فلما جئت قال لي: إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه.

قال: وسمعت السري يقول: احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً.

وسمعته يقول: سمعت أبا جعفر السماك ـ وكان شيخاً شديد العزلة ـ فرأى عندي جماعة قد اجتمعوا حولي، فوقف ولم يقعد، ثم نظر إليّ فقال لي: أبا الحسن، صرت مناخاً للبطالين، فرجع ولم يقعد، وكره إليّ اجتماعهم حولي.

قال: وسمعت السري يقول: إني أعرف طريقاً يؤدي إلى الجنة قصداً، فقيل له: ما هو يا أبا الحسن؟ فقال: أن تشتغل بالعبادة، وتقبل عليها وحدها، حتى لا يكون فيك فضل.

قال: وسمعت السري يقول: أعرف طريقاً مختصراً يؤديكم إلى الجنة. فقلت: ما هو؟ قال: لا تأخذ من أحد شيئاً، ولا تسل أحداً شيئاً، ولا يكن معك ما تعطي منه أحداً شيئاً.

قال: وسمعت السري يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل. قال: وكان إذا أراد أن يفيدني سألني، فقال لي يوماً: ما الشكر؟ فقلت: أن لا يعصى في نعمة. فقال: ما أحسن ما أجبت ما أحسن ما تقول. قال الجنيد: وهذا هو فرض الشكر أن لا يعصى في نعمة.

❃ ❃ ❃

عن عبدوس بن القاسم. قال: سمعت السري يقول: كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه. وماء يرويه. وثوب يستره. وبيت يكنه. وعلم يستعمله.

وقال: التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: أربع خصال ترفع العبد: العلم والأدب، والعفة، والأمانة.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: اللهم ما عذبتني بشيء، فلا تعذبني بذل الحجاب.

عن أحمد بن محمد الصوفي. قال: سمعت السري بن المغلس يقول: انقطع من انقطع عن الله بخصلتين، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال: فأما من انقطع عن الله بخصلتين فيتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب. وأما الذي اتصل به المتصلون فلزوم الباب، والتشمير في الخدمة والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

عن عبد الله بن شاكر. قال: قال سري السقطي: صليت ليلة وردي ومددت رجلي في المحراب فنوديت: يا سري، كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً.

عن علي بن عبد الحميد الحلبي. قال: سمعت سريا السقطي يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط.

عن علي بن عبد الحميد. قال: سمعت السري يقول: ينبغي للعبد أن يكون أخوف ما يكون من الله، آمن ما يكون من ربه.

عن محمد بن المفضل. قال: سمعت سريا السقطي يقول: لا تركن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك، ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قليل قبرك.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: قال بعض الأنبياء لقومه: ألا تستحيون من كثرة ما لا تستحيون.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: قلوب المقربين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون: بماذا يختم لنا، وأولئك يقولون: ماذا سبق من الله لنا.

عن سعيد بن عثمان. قال: سمعت السري يقول: تصفية العمل من الآفات أشد من العمل.

عن أبي عثمان الخياط. قال: سمعت السري يقول: من اشتغل بمناجاة الله، أورثته حلاوة ذكر الله تعالى مرارة ما يلقي إليه الشيطان.

عن أبي بكر النساج. قال: سمعت السري يقول: لو علمت أن جلوسي في البيت، أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت، ولو علمت أن جلوسي معكم، أفضل من جلوسي في البيت ما جلست، ولكني إن دخلت اقتضاني العلم لكم، وإن خرجت ناقدتني الحقيقة، فأنا عند مناقدتي مستحي، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

عن أبي بكر العطشي. قال: قلت لسري السقطي: ماذا أراد أهل الجوع بالجوع؟ فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع؟ إن الجوع أورثهم الحكم، وإن الشبع أورثهم التخم.

عن إسماعيل بن عبد الله الشامي. قال: قال سري السقطي: ثلاث من أخلاق الأبرار: القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، وترك الغفلة.

وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجناح، وكثرة الصدقات.

وثلاث من أبواب سخط الله: اللعب، والمزاح، والغيبة.

والعاشر من هذه الثلاث عمود الدين وذروته وسنامه: حسن الظن بالله.

❁ ❁ ❁

عن علي بن عبد الحميد الغضائري. قال: سمعت السري يقول: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

قال: وسمعته يقول: اجعل فقرك إلى الله تستغن به عمن سواه.

قال: وسمعته يقول: الأدب ترجمان العقل، ولسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

وقال: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها، وقلب كالريشة يميل مع الريح يميناً وشمالاً.

وقال: أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه، كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه.

وقال: لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون استعتاب.

ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس. ومن قلة الصدق كثرة الخطأ.

وخير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام في الاكتساب، والمذلة في الخضوع في السؤال، والغش في الصناعة، وإثبات آلة المعاصي، ومعاملة الظلمة.

وأحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين عن القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوب.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء من الله وحده، والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده.

عن الجنيد بن محمد. قال: كنت أعود السري في كل ثلاثة أيام عيادة السنَّة، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلست عند رأسه، فبكيت وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إليّ فقلت له: أوصني، فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

عن الجنيد. قال: سمعت السري يقول: خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك. فشق ذلك عليَّ، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه.

عن الجنيد بن محمد. قال: سمعت السري يقول: إني إذا نزلت أريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس إليّ فأقول: اللهم هب لهم عبادة يجدون لذتها تشغلهم بها عني.

قال: وسمعت السري وقد ذكر الناس قال: لا تعمل لهم شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً، ولا تكشف لهم عن شيء. يريد بهذا القول أن تكون أعمالك كلها لله عز وجل.

قال: وسمعته يقول: كل من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجل تعمدني بشيء هو يعلم مني خلافة.

قال: وسمعت الحسن البزاز يقول: كان أحمد بن حنبل ها هنا، وكان بشر بن الحارث ها هنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما، ثم إنهما ماتا وبقي السري، وإني أرجو أن يحفظنا الله بالسري.

أسند وسمع من الأعلام والمشاهير، وامتنع من التحديث، ولم يخرج له كثير حديث. روى عن هشيم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية ومحمد بن فضيل بن غزوان في آخرين.

الذين ذكرهم ابن الأعرابي

قال الشيخ: إيراد ذكر من أخلصهم الله تعالى بخالص ذكره، وأمدهم بمواد بره، فأطلعهم على مكنون سره، يكثر ويطول، لأن للحق تبارك وتعالى في كل قرن وعصر سباقاً مشمرين للسباق لما أسمعهم من لذيذ خطابه إذ يقول تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ وقد تقدم في استيعاب أسامي بعضهم: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي في كتابه المترجم «بطبقات النساك» فكفى من بعده ممن يعتني بذكرهم وتسميتهم.

وسئلت إيراد تسمية بعضهم بأساميهم مجرداً من ذكر أحوالهم وأقوالهم، مقتصراً عليه فاستعنت بالله سبحانه وتعالى. ذاكراً أسامي بعضهم ليجمع كتابي ذكرهم وهو خير المعين وبه الحول والقوة.

٤٧٠ ـ إبراهيم بن شماس

فممن لم يذكر إبراهيم بن شماس السمرقندي سكن بغداد، بالتعبد الدائم مشهور، وفي المحبة هائم مذكور.

٤٧١ ـ محمد بن عمرو المغربي

ومنهم محمد بن عمرو المغربي[١]: كان في التعبد بمشاهدة معبوده طاعماً وعن مشاركة المتطعمين غائباً.

---

(١) محمد بن عمرو المغربي ذكره في «صفة الصفوة» باسم محمد بن عمرو الغزي. وذكر الخبرين نفسهما.

عن أبي زرعة. قال: كان يأتي على محمد بن عمرو المغربي ثمانية عشر يوماً لا يذوق فيها ذواقاً، لا طعاماً ولا شراباً، ما رأيت بمصر أصلح منه.

عن إبراهيم بن أبي أيوب، عن محمد بن عمرو المغربي. وكان يأكل في شهر رمضان أكلتين، من غير تكلف يأكل في كل خمسة عشر يوماً.

٤٧٢ - بشير الطبري

ومنهم بشير الطبري. سكن الشام. كان محفوظاً فيما امتحن به، مستسلماً فيما ابتلي به.

عن أبي عمرو الكندي. قال: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري، نحواً من أربعمائة جاموس، فركبت معه أنا وابن له، فلقينا عبيده الذين كانت معهم الجواميس، معهم عصيهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس. فقال: وأنتم أيضاً فاذهبوا معهم فأنتم أحرار لوجه الله. فقال له ابنه: يا أبت أفقرتنا. قال: اسكت يا بني، إن ربي اختبرني فأحببت أن أزيده.

٤٧٣ - خزيمة العابد

ومنهم خزيمة أبو محمد العابد[1]، بصري، كان الغالب عليه من الأحوال ترك اختياره، ولزوم عجزه وافتقاره.

عن الحسين بن يحيى بن كثير العنبري، عن خزيمة بن محمد العابد. قال: مر نبي من الأنبياء برجل قد نبذه أهله من البلاء، فقال: يا رب هذا عبدك لو نقلته من حاله. فأوحى الله تعالى إليه: أن سله أيحب أن أنقله؟ قال: يا هذا ما تحب أن ينقلك من حالك هذه إلى غيرها؟ فقال الرجل: أتخير على الله؟ ذلك إليه.

---

(١) سبقت ترجمة خزيمة برقم (٣٨٠).

٤٧٤ ـ قادم الديلمي

ومنهم قادم الديلمي. صحب الفضيل بن عياض وأقرانه، سلك مسلكه في الخضوع والخشوع.

عن محمد بن الحسين: حدثني قادم الديلمي العابد. قال: قلت للفضيل بن عياض: من الراضي عن الله؟ قال: الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جعل فيها.

عن محمد بن الحسين: حدثني قادم الديلمي. قال: حدثني عابد قدم علينا بخارى يكنى أبا الحسن، قال: قال لي راهب يوماً: بحق ما انقطعت أوصال العاملين المريدين لله على قدر معرفتهم بنكاله، وبحق ما خف عليهم الدؤوب والكلال على ما أملوا من الدخول في مهيمنته، والرجاء لبلوغ رضوانه. قال: قلت: عظني. قال: المواعظ فينا وفيكم مجتمعة وإن اتعظنا. قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: ضعف الأبدان بعد القوة، ووهن الأركان بعد الشدة. قال: قلت: وما هذا مما سألتك؟ قال: فبكى ثم قال: انتقال الحالات لممر الساعات، فعند ذلك فناء الآجال، ومنقطع الأعمال.

٤٧٥ ـ أحمد بن الغمر

ومنهم أحمد بن الغمر، المحفوظ من اللهو والزمر، المؤيد بالثبات والصبر.

٤٧٦ ـ بشر بن بشار

ومنهم بشر بن بشار المجاشعي: كان من السائحين، مذكور في طبقة القائمين.

عن عمار بن عثمان: حدثني بشر بن بشار المجاشعي ـ وكان من العابدين ـ قال: لقيت عباداً مع ثلاثة ببيت المقدس فقلت لأحدهم: أوصني. قال: ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك، فهو أحرى

أن يفرغ قلبك، وأن يقل همك، وإياك أن تسخط ذلك، فيحل بك السخط، وأنت عنه في غفلة لا تشعر به.

فقلت للآخر: أوصني. قال: ما أنا بمستوص فأوصيك. قلت: ذلك عسى الله أن ينفع بوصيتك. قال: أما إذا أبيت إلا الوصية فاحفظ عني: التمس رضوانه في ترك مناهيه فهو أوصل لك إلى الزلفى لديه.

وقلت للآخر: أوصني قال: يا ابن أخي لا تبتغ في أمرك تدبيراً غير تدبيره فتهلك فيمن هلك، وتضل فيمن ضل.

٤٧٧ ـ مجاهد الصوفي

ومنهم مجاهد الصوفي، كان من المستأنسين بذكره، المستوحشين من غيره.

عن أبي تراب الزاهد. قال: قال مجاهد الصوفي: اتخذ الله صاحباً، ودع الناس جانباً، وعانق الفقر. فمن كان القرآن محدثه، والدعاء رسوله، والملائكة جلساؤه، والله أنيسه فلا تخف عليه الضيعة.

٤٧٨ ـ أبو الأبيض

ومنهم المكنى بأبي الأبيض[1]، الوحيد عن الخلق أعرض، ومالَه قدَّم وأقرض، وألزم ما الحق عليه أوجب وفرض.

٤٧٩ ـ أحمد الميموني

٤٨٠ ـ وأحمد الموصلي

ومنهم أحمد الميموني، وأحمد الموصلي[2]. كانا من عباد الشاميين، كانا متواخيين، شربا شراب المشتاقين.

---

(١) أبو الأبيض، سبقت ترجمته برقم ٢٢٣، وهو ممن كرر ذكرهم المؤلف.

(٢) أحمد الموصلي، سبقت ترجمته برقم ٤١٥، وهو ممن كرر ذكرهم المؤلف.

٤٨١ ـ عريف اليماني

ومنهم عريف اليماني، فارق الأشقاص والأشخاص، احترازاً من الأعراض والانتقاص.

عن علي بن بكار. قال: سمعت عريفاً اليماني يقول: إن من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه.

٤٨٢ ـ عرفجة الكوفي

ومنهم عرفجة الكوفي، مشهور في القانتين، معروف في العابدين.

عن خلف بن تميم. قال: كان فتى من أهل الكوفة متعبد، يقال له: عرفجة، وكان يحيي الليل صلاة، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له، قالت العجوز: فلما كان من الليل وأنا في منامي، فإذا أنا برجال قد وقفوا عليَّ فقالوا: يا أم عرفجة لِمَ أذنت لإمامنا الليلة؟.

٤٨٣ ـ عمرو البجلي

ومنهم عمرو بن جرير البجلي، كان مجذوباً، ثم صار محبوباً.

عن رجاء بن عيسى. قال: قال لي عمرو بن جرير: تدري أي شيء كان سبب توبتي؟ خرجت مع أحداث بالكوفة، فلما أردت أن آتي المعصية هتف بي هاتف: كل نفس بما كسبت رهينة.

٤٨٤ ـ محمد بن أبي القاسم

ومنهم محمد بن أبي القاسم الهاشمي مولاهم، كان من المؤانسين بذكره، والمشهورين بالإجابة في دعوته.

عن عبد الله بن محمد بن سفيان. قال: حدثني محمد بن أبي

القاسم مولى ابن هاشم ـ وكان قد قارب المائة ـ قال: وعظ عابد جباراً فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، وحمل إلى متعبده، فجاء إخوانه يعزونه، فقال: لا تعزوني ولكن هنئوني بما ساق الله إلي. ثم قال: إلهي أصبحت في منزلة الرغائب، أنظر إلى العجائب. إلهي أنت تتودد بنعمك إلى من يؤذيك، فكيف توددك إلى من يؤذى فيك.

٤٨٥ ـ سباع الموصلي[١]

ومنهم سباع الموصلي، له الحظ النفيس في التمتع برياض التأنيس.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت المضاء يقول لسباع الموصلي: يا أبا محمد، إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الأنس بالله.

٤٨٦ ـ محمد النميري

ومنهم محمد بن سباع النميري، كان من المشتهرين بذكره، والمستأنسين بروحه.

عن المثنى بن معاذ العنبري. قال: حدثني محمد بن سباع النميري قال: بينما عيسى ابن مريم عليهما السلام يسيح في بعض بلاد الشام، إذ اشتد به المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد، فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل، فأتاه فإذا في الكهف أسد، فوضع يده عليه ثم قال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولا تجعل لي مأوى. فأجابه الجليل جل جلاله: مأواك عندي في مستقر من رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتهن بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام، كل

---

(١) سبقت ترجمته برقم (٤١٧).

يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في دار الدنيا: زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم.

٤٨٧ ـ مسكين الصوفي[١]

ومنهم مسكين بن عبيد الصوفي، صحب أصحاب إبراهيم بن أدهم، فسلك مسلكه في التوحيد والزهد.

٤٨٨ ـ أبو أيوب

ومنهم أبو أيوب مولى بني هاشم، صحب الحكماء من العباد، وأخذ عنهم عدة المنقلب والمعاد.

عن أبي بكر بن عبيد، عن أبي أيوب مولى بني هاشم، كان يقول: احذر إيثار الدعة والميل إلى الهوينا. وقد كان من بذلهم في طلب ما عند ربهم: أنهم بذلوا أنفسهم بالدؤوب في التفكير المؤلم، وباشروا بأبدانهم الأعمال الشاقة على الجوراح، فإن ابتغيت سبيلهم فاجمع إليك همك، ليحضر عقلك فيجول في ملكوت السموات والأرض. واعلم أن بنية القلب بنية لا امتناع بها عن محاربة عدوها، ولا عجز بعدوها عن محاربتها.

٤٨٩ ـ أبو عبد الله البراثي[٢]

ومنهم أبو عبد الله البراني[٣]، من مشاهير المتعبدين، معدود في جماهير المعتبرين.

عن حكيم بن جعفر. قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول:

---

(١) وانظر ترجمته أيضاً برقم ٥٢٧.

(٢) أبو عبد الله البراثي. ستأتي ترجمته مرة أخرى برقم (٥٩٢).

(٣) «البراني» هكذا وردت في الكتاب في العنوان، ووردت في الشرح «البرائي» وفي (صفة الصفوة): البراثي.

لن يرد يوم القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات، ومن زهد عن حقيقة كانت مؤنته خفيفة، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه جميع الأحوال.

٤٩٠ ـ أحمد بن موسى الثقفي

ومنهم أحمد بن موسى الثقفي، كان شاعراً أديباً، فصار صابراً أريباً، رغب عن الدنيا بعد أن كان لها وامقاً، وأقبل على المعاد وصار للتزود عاشقاً. له الأبيات في ذم الدنيا والمغرورين بها.

٤٩١ ـ أبو محرز الطفاوي

ومنهم أبو محرز الطفاوي، تشمر في العبادة، ولحق المتقدمين في الوفادة.

عن عون بن عمارة. قال: قال أبو محرز الطفاوي: لما بان للأكياس أعلى الدارين منزلة، طلبوا العلو بالعلو من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه، فبذلوا أكثر ما عندهم، بذلوا والله لله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يوم لا يخيب فيه الطالب.

وقال أبو محرز: كلف الناس بالدنيا ولم ينالوا منها فوق قسمتهم، وأعرضوا عن الآخرة وببغيتها يرجو العباد نجاة أنفسهم.

٤٩٢ ـ خيثم العجلي

ومنهم خيثم بن جحشة العجلي العابد، نبه على خدع العاجلة فرغب عنها، وجلى له حقيقة الآجلة فبادر إليها، فوعظ خطاب الدنيا وذمها

عن شريح العابد. قال: سمعت خيثم بن جحشة العابد أبا بكر العجلي يقول:

يا خاطب الدنيا على نفسها إن لها في كل يوم حليل
ما أقتل الدنيا لخطابها تقتلهم قدما قتيلاً قتيل

٤٩٣ ـ الحسن الحفري

ومنهم المتعبد المقري الحسن بن أبي جعفر الحفري، أيد في الدؤب والاجتهاد، وأمد بموانسة مؤمني الجن من العباد.

٤٩٤ ـ حازم الحنفي

ومنهم حازم الحنفي، كان عند الذكر مغلوباً، وكان رأسه من الشجاج معصوباً.

٤٩٥ ـ قيس بن السكن

ومنهم قيس بن السكن. حبس نفسه، ولسانه سجن.

عن منصور بن حوشب. قال: قيل لقيس بن السكن: ألا تتكلم؟ قال: لساني سبع من السباع، أخاف أن أدعه فيعقرني.

٤٩٦ ـ الحكم بن أبان

ومنهم الحكم بن أبان، كان في سؤدده مجتهداً، ومع السابحين مسبحاً.

عن إسحاق بن الضيف. قال: سمعت مشيخة من أهل عوف يقولون: كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلي الليل، فإذا غلبه النوم ألقى نفسه في البحر وقال: أسبح الله مع الحيتان.

٤٩٧ ـ أبو إسحاق التيمي

ومنهم أبو إسحاق التيمي القرشي، كان بغرور الدنيا عارفاً، وعنها راحلاً وعازفاً، ولها ذاماً وواصفاً.

عن عبد الله بن عبيد. قال: أنشدني أبو إسحاق القرشي التيمي:

ننافس في الدنيا ونحن نعيبها ... وقد حذرتناها لعمري خطوبها
وما نحسب الأيام تنقص مدة ... على أنها فينا سريع دبيبها
كأني برهط يحملون جنازتي ... إلى حفرة يحثى على كثيبها
وكم ثم من مسترجع متوجع ... ونائحة يعلو علي نحيبها
وباكية تبكي علي وإنني ... لفي غفلة من صوتها ما أجيبها
أيا هادم اللذات ما منك مهرب ... تحاذر نفسي منك ما سيصيبها
وإني لممن يكره الموت والبلا ... ويعجبه روح الحياة وطيبها
فحتى متى حتى متى وإلى متى ... يدوم طلوع الشمس بي وغروبها
رأيت المنايا قسمت بين أنفس ... ونفسي سيأتي بعدهن نصيبها

٤٩٨ ـ أبو كريمة العبدي

ومنهم أبو كريمة العبدي، كان بأوقاته ضنيناً، ويجد لفوتها منه حنيناً.

عن عيسى بن الهذيل. قال: سمعت أبا كريمة ـ وكان من عباد أهل الشام ـ يقول: ابن آدم، ليس لما بقي من عمرك ثمن.

٤٩٩ ـ علي بن ثابت

ومنهم علي بن ثابت، كان من العمال، وكان يحث المريدين على رفض الأثقال، ونبذ الأشغال.

عن محمد بن معاوية الأزرق. قال: قال علي بن ثابت الزيات ـ وكان من العاملين لله ـ: إن استطعت أن لا تكون في كلا العمرين بمنزلة واحدة فافعل.

٥٠٠ ـ سليمان بن حيان الأحمر

ومنهم الراوي الأنور، الموصي أصفياءه بالحظ الأوفر، أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر.

٥٠١ ـ محمد بن معاوية

ومنهم محمد بن معاوية الصوفي، التزم نصيحة الحكيم فصفي وعوفي.

عن محمد بن العباس بن محمد، عن محمد بن معاوية الصوفي. قال: مر حكيم من الحكماء بفتية من الحلماء، وهم قعود على روضة معشبة فقال: يا معشر الأحياء ما يوقفكم بمدرجة الموتى؟ قالوا: قعدنا نعتبر، قال: فإني أعيذكم بالذي أنالكم الحياة في زمن الموتى، ألا تركنوا إلى ما رفضه من أنالكم الحياة.

٥٠٢ ـ مغيث الأسود

ومنهم مغيث الأسود: الواعظ بالأجود، والمذكر بالأوكد.

عن عبد الله بن محمد القرشي. قال: حدثني شيخ من قريش. قال: كان مغيث الأسود يقول: زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهموا جوامع الخير كل يوم في الجنة بعقولكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم، ذكر النار ومقامعها وأطباقها.

٥٠٣ ـ محمد بن صالح التيمي

ومنهم محمد بن صالح التيمي، ذو القلب الحاضر، واللب الوافر.

عن أبي بكر بن عبيد. قال: حدثني محمد بن صالح التيمي، قال: كان بعض العلماء إذا تلا: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ قال: أشهد أن السموات والأرض وما فيهما آيات تدل عليك، وتشهد لك بما وصفت به نفسك، وكل يؤدي عنك الحجة، ويقر لك بالربوبية، موسوماً بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، كالذي تجليت به

لخلقك، فوسمت القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، وكفاها رجم الاحتجاب، فهي على اعترافها بك شاهدة أنك لا تحيط بك الصفات، ولا تدركك الأوهام. وأن حظ المتفكر فيك الاعتراف بك والتوحيد لك.

٥٠٤ ـ علي بن الحسن

ومنهم علي بن الحسن بن موسى، كان للحكم واعياً، وعن العمال راوياً.

عن أبي بكر بن عبيد. قال: حدثني علي بن الحسن قال: سئل بعض العلماء: ما الذي يفتح الفكر؟ قال: اجتماع الهم، لأن العبد إذا اجتمع همه فكر، فإذا فكر نظر، فإذا نظر أبصر، فإذا أبصر عمل، فهو متنقل في العمل. قيل له: كيف التنقل؟ قال: تنقله الرغبة في الفضائل، حتى يبلغ منها غاية يذيقه الله لطفه به، ويردِّيه باللطف. فقيل: وما رداء اللطف؟ قال: الخشوع والوقار والسكينة والبر والتواضع، فإذا كان العبد كذلك، أوصله ذلك إلى التعظيم له به، فإذا كان لله معظماً سقاه الله من حبه شربة فنقله في الأسباب، ثم أتبعه بالعمل له، فهو الذي يعطي ثواب سنة بفكر ليلة، وثواب ليلة بفكر سنة.

٥٠٥ ـ خطاب العابد

ومنهم خطاب العابد، عن الخطايا شارد. وللراحات طارد.

عن مخلد، عن خطاب العابد. قال: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه.

٥٠٦ ـ أبو جعفر المحولي

ومنهم أبو جعفر المحولي الباكي الشاكي المعولي، كان من

قدماء العارفين من أهل بغداد، سكن باب المحول فنسب إليه، كان له الحال الرفيع والقول الصحيح.

عن عبد الله بن أبي حبيب. قال: سمعت أبا جعفر المحولي يقول: إليك أشكو بدناً غذي بنعمتك، ثم توثب على معاصيك.

٥٠٧ ـ عمر الصوفي

ومنهم عمر الصوفي، قطع البوادي خالياً، واعتذر إلى مولاه باكياً.

عن إسحاق بن عباد. قال: لقيت عمر الصوفي بمكة فقلت له: راكباً جئت أم راجلاً؟ فبكى ثم قال: أما يرضى العاصي أن يجيء إلى مولاه راكباً.

٥٠٨ ـ العباس المجنون

ومنهم العباس المعروف بالمجنون. في الشوق مضنون، وعن الخلق مخزون، كان لمحبوبه ساهراً، وعن بني جنسه سائراً.

عن ابن المبارك. قال: صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جبة صوف مفتقة الأكمام، عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى. قد اتزر بمئزر الخشوع، واتشح برداء القنوع، وتعمم بعمامة التوكل. فلما رآني اختفى وراء شجرة فناشدته بالله فظهر، فقلت: إنكم معاشر العباد تصبرون على الوحدة، وتقاسون في هذه القفار الوحشة. فضحك ووضع كمه على رأسه وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواكا ... ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا
أنت سؤلي وبغيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا مناي وسيدي واعتمادي ... طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سؤلي من الجنان نعيم ... غير أني أريدها لأراكا

قال: ثم غاب عني فتعاهدت ذلك الموضع سنة لأقع عليه فلم أره. فلقيني غلام أبي سليمان الداراني فسألته عنه وأعطيته صفته، فبكى وقال: واشوقاه إلى نظرة أخرى منه. فقلت: من هو؟ فقال: ذاك عباس المجنون، يأكل في شهر أكلتين من ثمار الشجر أو نبات الأرض، يتعبد منذ ستين سنة.

٥٠٩ ـ شداد المجذوم

ومنهم العابد المجذوم شداد، مشهور ومذكور في الراضين من العباد.

عن مخلد بن الحسين. قال: كان بالبصرة رجل يقال له شداد أصابه الجذام، فانقطع فدخل عليه عواده من أصحاب الحسن. فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بخير، ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت، وما بي إلا أني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة.

٥١٠ ـ أبو سعيد البراقعي

ومنهم أبو سعيد البراقعي. من كبار العارفين بالشام.

عن أبي سعيد البراقعي، عن عبيد الله بن زحر الحداد، عن صالح المري، عن حوشب، عن الحسن. قال: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.

٥١١ ـ الكريم أبو هاشم

ومنهم الكريم أبو هاشم للمال قاسم. وللبخل قاصم. وللغيظ كاظم.

عن محمد بن معاوية الأزرق. قال: قال أبو هاشم: لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم، وله عباد ينفقون على حسن الظن به، فأولئك أولئك.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا هاشم يقول: نظرنا في هذا الأمر، فإذا الذين بلغوا منه الغايات المنفردون.

٥١٢ ـ مسعود الجهمي

ومنهم مسعود بن الحارث الجهمي، العابد المجتهد المرضي.

٥١٣ ـ زهير البابي

ومنهم الداعي المحابي، أبو عبد الرحمن زهير بن نعيم البابي، كان أغلب أحواله عليه الصبر واليقين. فأيد بالنصر والتمكين.

عن أحمد بن عاصم. قال: قال زهير بن نعيم: إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال: مثل اليقين والصبر مثل فدادين يحفران الأرض، فإذا جلس واحد جلس الآخر.

عن عبد العزيز بن يوسف. قال: أردت الخروج من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد فودعته، ثم ودعت عبد الرحمن بن مهدي، ثم ودعت زهيراً فقلت: هل من حاجة؟ قال: نعم إلا أنها مهمة مهمة: اتق الله فوالله لأن يتقيه رجل ـ أو قال عبد ـ أحب إليّ من أن تتحول لي هذه السواري كلها ذهباً، فلما وليت ردني فقال: وحاجة أخرى: لا تدخل على قاض ولا على من يدخل على القاضي، فإني في هذا المصر منذ خمسين سنة ما نظرت إلى وجه قاض ولا والٍ.

عن أحمد بن عاصم. قال: كان يدي في يد زهير أمشي معه، فانتهينا إلى رجل مكفوف يقرأ، فلما سمع قراءته وقف ونظر وقال: لا تغرنك قراءته، والله والله إنه شر من الغناء وضرب العود ـ وكان مهيباً ولم أسأله يومئذ ـ فلما كان بعد أيام ارتفع إلى بني قشير، فقمت

وسلمت عليه فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنك قلت لي يومئذ كذا وكذا. فكأنه نصيب عينه فقال لي: يا أخي نعم، لأن يطلب الرجل هذه الدنيا بالزمر والغناء والعود خير من أن يطلبها بالدين.

عن إبراهيم. قال: سمعت رجلاً يقول لزهير بن نعيم: ممن أنت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام. قال: إنما أريد النسب. قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

عن سهل بن عاصم. قال: قلت لزهير بن نعيم: يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: تتقي الله، فوالله لأن تتقي الله أحب إليّ من أن يصير هذا الحائط ذهباً.

عن إبراهيم بن سعيد بن أنس. قال: سمعت زهير بن نعيم يقول: لأن يتوب رجل أحب إليّ من أن يرد الله إلي بصري. ولأن يتوب رجل أحب إليّ من أن يتحول سواري المسجد لي ذهباً.

وقال: جالست الناس منذ خمسين سنة، فما رأيت أحداً إلا وهو يتبع هواه، حتى إنه ليخطئ فيحب أن الناس قد أخطؤوا.

٥١٤ ـ محمد بن إسحاق

ومنهم المتشمر للحاق، المتحرز من الفراق، المتجرد للسباق الكوفي أبو عبد الله محمد بن إسحاق.

كان على فوت الساعات ضنيناً، ويجد من فوت وقته أنيناً وحسرة وحنيناً.

عن عبد الله بن محمد الأموي. قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: قال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويستخدمك بلياليه وأيامه، حتى يستغرق جميع

أجزائك، فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي منك، لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلت ممر الساعات، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وإنها لأمرّ من العلقم إذا عجمها الحكيم، وأقل من كل شيء يسمى القليل، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب مما يحيط به الواعظ نستوهب الله رشداً إلى الصواب.

قال: وحدثني محمد بن إسحاق قال: قيل لبعض الحكماء: صف لنا الدنيا ومدة البقاء. فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك به يوم مقبل تنعاه ليلته، وتطويه ساعته، وأحداثه تتناضل في الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات، وانخرام الشمل، وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير، وإلى الله الأمور تصير.

قال محمد بن إسحاق: وقال رجل من عبد القيس: أين تذهبون؟ بل أين يراد بكم وحادي الموت في أثر الأنفاس حثيث موضع، وعلى اجتياح الأرواح من منزل الفناء إلى دار البقاء مجمع، وفي خراب الأجساد المتفكهة بالنعيم مسرع.

٥١٥ ـ القاسم بن محمد

ومنهم القاسم بن محمد بن سلمة الصوفي، كان لنفسه حافظاً، وبحكم الرهبانية لافظاً.

٥١٦ ـ يزيد بن يزيد

ومنهم الساجد الحميد الحامد الشديد. يزيد بن يزيد.

عن الخليل البصري. قال: سمعت يزيد بن يزيد يقول في سجوده: خبَّثنا أنفسنا بالذنوب فطيبنا بالمغفرة.

٥١٧ ـ الخادم

ومنهم الخادم المخدوم. الحائد عن المعلوم. المكتفي بمن يوجد الموجود من المعدوم.

عن آدم بن أبي إياس. قال: كان شاب يكتب عني قال: فأخذ مني دفتراً ينسخه فنسخه، فظننت عليه ظن سوء، ثم جاء به وعليه ثياب رثة فرفقت به، ثم أمرت له بدراهم فلم يقبلها، فجهدت فلم يفعل، ثم أخذ بيدي فمر بي إلى البحر ثم أخرج من كمه قدحاً فغرف من ماء البحر ثم قال: اشرب. فشربت أحلى من العسل، ثم قال: من كان في خدمة من هذه قدرته أي شيء يصنع بدراهمك؟ ثم غاب عني فلم أره.

٥١٨ ـ الفرار

ومنهم الفرار الجآر الذي لا يقر له قرار. خوفاً من الغفلة والاغترار.

عن عبد الله بن محمد. قال: سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول: لقيت رجلاً فيما بين قرى مصر يدور فقلت له: ما لي أراك لا تقر في مكان واحد؟ فقال لي: وكيف يقر في مكان واحد من هو مطلوب؟ فقلت له: أوَ لست في قبضته في كل مكان؟ قال: بلى ولكني أخاف أن أستوطن الأوطان فيأخذني على غرة الاستيطان مع المغرورين.

٥١٩ ـ الديلمي

ومنهم الديلمي المأسور المصلوب، المحبوس المحبوب، الوصيف المكروب.

عن الوليد بن مسلم. يقول: غزا المسلمون غزوة فيهم الديلمي فأسرته الروم فصلبوه على الدقل، فلما رآه المسلمون مصلوباً حملوا على الروم حملة فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدقل، فقال لهم: أعطوني ماء أصب علي، فقالوا: لم تصب عليك قال: إني جنب لأنهم لما صلبوني تجلت لي نعسة فرأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف فمددت يدي إلى واحدة منهن فافترعتها فأصابتني جنابة.

٥٢٠ ـ أمية بن الصامت

ومنهم أمية بن الصامت. العابد القانت. في العوارض ثابت. ولنفسه عاتب ولشيطانه شامت.

٥٢١ ـ هلال بن الوزير

ومنهم هلال بن الوزير. المعتدل المستجير، إلى مولاه العليم الخبير.

عن خير النساج. قال: كنت مع هلال بن الوزير فقال: اللهم أنت الشهيد على أفعالنا، والحفيظ لأعمالنا، والبصير بأمورنا، والسميع لنجوانا، وأنت على كل شيء حفيظ. قد علمت ما أخفاه الناظرون في جوانح صدورهم من أسرار كامنة، وشهوات باطنة، وأنت المميز بين الحق والباطل، وقد علمت أنه لا يجوز عليك ما خطر على القلوب، وما اشتملت عليه الضلوع من إعلان وكتمان، وأنت العليم بذات الصدور، فاغفر لهلال ما كدح على نفسه من سوء نظره.

٥٢٢ ـ محارب بن حسان

ومنهم محارب بن حسان. فتى الفتيان. المحفوظ عن النقص والخسران. المتحصن بحصن اليقين والإيمان.

عن خير النساج، عن محارب. قال: قد منعني عن الوقوع في شرك إبليس ثلاث؟ قلت: وما هن رحمك الله؟ قال: ستر الإيمان، وعفة الإسلام، وأعظمها عندي وأجلها في صدري وأكبرها في نفسي حسن الحياء من الله أن يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهاني ربي عنه.

٥٢٣ ـ أبو عمرو المروزي

ومنهم أبو عمرو المروزي الحكيم. المفوض أمره إلى السميع العليم.

عن أبي العباس الثقفي. قال: سمعت أبا عمرو المروزي يقول: من صفات الأولياء ثلاث: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة بالله في كل شيء.

٥٢٤ ـ إبراهيم بن سعد

ومنهم المعروف بالآيات. الموصوف بالكرامات. إبراهيم بن سعد العلوي له الوصاية النبوية.

عن أبي الحارث الأولاس: أن إبراهيم كتب إليه هذه الرسالة، فإذا فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم، يا أخي إذا نزل بك أمر من فقر أو سقم أو أذى، فاستعن بالله، واستعمل عن الله الرضا، فإن الله مطلع عليك يعلم ضميرك وما أنت عليه، ولا بد لك من أن ينفذ فيك حكمه، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل، والأمن من الهول الشديد، وأنت في رضاك وسخطك لست تقدر أن تتعدى المقدور، ولا تزداد في الرزق المقسوم، والأثر المكتوب، والأجل المعلوم، ففي أي هذه الأفعال تريد أن تحتال في نقضها بهمك، أو بأي قوة تريد أن تدفعها

عنك عند حلولها أو تجتلبها من قبل أوانها؟ كلا والله لا بد لأمر الله أن ينفذ فيك، طوعاً منك أو كرهاً، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً، فعليك بالتحمل، ولا تشْكُ من ليس بأهل أن يشكى، ومن هو أهل الشكر والثناء القديم، ما أولى من نعمته علينا فما أعطى وعافى أكثر مما زوى وأبلى، وهو مع ذلك أعرف بموضع الخيرة لنا منا، وإذا اضطرتك الأمور، وكلَّ صبرك، فالجأ إليه بهمك، واشكُ إليه بثَّك، وليكن طمعك فيه، واحذر أن تستبطئه أو تسيء به ظناً، فإن لكل شيء سبباً، ولكل سبب أجل، ولكل همّ في الله ولله فرج عاجل أو آجل.

ومن علم أنه بعين الله استحى أن يراه الله يأمل سواه. ومن أيقن بنظر الله له أسقط الاختيار لنفسه في الأمور. ومن علم أن الله هو الضار النافع، أسقط مخاوف المخلوقين عن قلبه، وراقب الله في قربه، وطلب الأشياء من معادنها، فاحذر أن تعلق قلبك بمخلوق تعليق خوف أو رجاء، أو تفشي إلى أحد اليوم سرك، أو تشكو إليه بثك، أو تعتمد على إخائه، أو تستريح إليه استراحة تكون فيها موضع شكوى بث، فإن غنيهم فقير في غناه، وفقيرهم ذليل في فقره، وعالمهم جاهل في علمه، فاجرٌ في فعله، إلا القليل ممن عصم الله تعالى.

٥٢٥ ـ أبو محرز[1]

ومنهم من سلك مسلك الأكياس، أبو محرز الحارس للخواطر والأنفاس.

٥٢٦ ـ داود بن هلال

ومنهم النصيبي داود بن هلال. المنقطع إلى الجبال والتلال، كان من المقبلين رافعاً، ومن فضول الدنيا واضعاً.

---

(١) أبو محرز، سبقت ترجمته برقم ٤٩١.

عن زهير بن عباد، عن داود بن هلال النصيبي. قال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار، الذين تصبحت لهم وتزينت لهم، إني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك، ما خلقت خلقاً أهون علي منك. كل شأنك صغير، وإلى الفناء تصيرين. قضيت عليك من يوم خلقتك أن لا تدومين لأحد، ولا يدوم لك أحد، وإن بخل صاحبك وشح عليك. طوبى للأبرار الذين أطاعوني من خلقي، أطلعوني من قلوبهم على الرضا، وأطلعوني من ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم، ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم، النور يسعى أمامهم، والملائكة حافون بهم، حتى أبلغ بهم ما يرجون من رحمتي.

٥٢٧ ـ مسكين الصوفي[١]

ومنهم مسكين بن عبيد الصوفي، حليف الأحزان، الناقل كلام الأئمة والإخوان.

عن مسكين بن عبيد الصوفي. قال: حدثني المتوكل بن الحسين العابد. قال: قال إبراهيم بن أدهم: الحزن حزنان: فحزن لك وحزن عليك. فالحزن الذي هو لك، حزنك على الآخرة وخيرها. والحزن الذي هو عليك فحزنك على الدنيا وزينتها.

٥٢٨ ـ العباس بن المؤمل

ومنهم أبو الوليد العباس بن المؤمل الصوفي. امتحن فصبر في محنته فعوفي، راحته في البكاء والأحزان. ومفزعه إلى المقابر والجبان.

عن زيد الخبري. قال: حدثني أبو الوليد العباس بن المؤمل

---

(١) مسكين الصوفي، سبقت ترجمته برقم ٤٨٧.

الصوفي ـ وكان أمر هارون بالمعروف فحبسه دهراً ـ قال: أتاني آت في منامي فقال: كم للحزين غداً في القيامة من فرحة تستوعب طول حزنه في دار الدنيا. قال: فاستيقظت فزعاً، فلم ألبث أن فرج الله وأخرجني مما كنت فيه من ذلك الحبس، ففرح بذلك أصحابنا وأهلونا.

قال: ورأيت في المنام كأن ذلك الآتي أتاني فقال: بشر المحزونين بطول الفرح غداً عند مليكهم. فعلمت والله أن الحزن إنما هو على خير الآخرة، لا على الدنيا.

قال زيد: فكان أبو الوليد بما هو دهره باكي العين، إنما يتبع جنازة أو يعود مريضاً، أو يلزم الجبان وكان محزوناً جداً.

٥٢٩ ـ مغيث الأسود[١]

ومنهم مغيث الأسود، آثر الأدوم والأجود، وحبب إليه الأحمد والأعود.

٥٣٠ ـ القلانسي

ومنهم المؤانسي، أبو عبد الله القلانسي، كان بالعهد وافياً، فكان الحق له في المعاطب ناجياً.

٥٣١ ـ شبل المدري[٢]

ومنهم شبل المدري لوحظ باللطف فبري.

٥٣٢ ـ عبد الله بن دينار[٣]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن دينار. صان الأسرار. وحفظ بالأنوار.

(١) سبقت ترجمته برقم ٥٠٢.
(٢) وفي إحدى النسخ: المروزي.
(٣) عبد الله بن دينار، له ترجمة أخرى مثل هذه برقم (٦٣٥).

عن أبي حمزة. قال: قلت لابن دينار الجعفي: أوصني. قال: اتق الله في خلواتك، وحافظ على أوقات صلواتك، وغض طرفك عن لحظاتك، تكن عند الله مقرباً في حالاتك.

٥٣٣ ـ مساور المغربي

ومنهم مساور المغربي. مستوطن الفيافي الأبي.

عن كرد بن عنبسة. قال: قال مساور بن لبيب المغربي: وقفت على راهب ذكروا لي أنه لم يكلم أحداً منذ أربعين سنة، ولم ينزل فيها من صومعته. فلم أزل به حتى أشرف علي، فراودته على الكلام فأبى أن يتكلم. فقلت له: بجلال من تركت له الكلام لما كلمتني. قال: فمال قليلاً كهيئة المغمى عليه ثم انتبه كهيئة الفزع ثم قال: سل وأوجز. قلت: منذ متى أنت في هذا الأمر؟ قال: يوم واحد. قلت: وكيف ذاك؟ قال: سمعت الناس يقولون: غداً واليوم، وبعد غد، فنظرت في أمري فإذا أنا لم أعط ما أعطوا، فنظرت فإذا أمس قد فاتني، واليوم هو لي، وغداً لا أدري أدركه أم لا. ثم أدخل رأسه.

٥٣٤ ـ الفرج بن سعيد

ومنهم أبو روح الفرج بن سعيد الصوفي: لزم طريق الأئمة والأوتا، ونقل عنهم ما يتعالج به العباد

عن أبي روح الفرج بن سعيد الصوفي. قال: حدثني عثمان بن عمار قال: سمعت حماد بن زيد يقول: اجتمع أيوب السختياني، ويونس بن عبيد، وابن عون، وثابت البناني، في بيت فقال ثابت: يا هؤلاء كيف يكون العبد إذا دعا الله فاستجاب له دعاءه.

قال ابن عون: يكون البلاء في نفسه.

قال ثابت: فإنه يعترضها العجب بما صنع الله به.

فقال يونس بن عبيد: لا يكون العبد يعجب بصنع الله له، إلا وهو مستدرج.

فقال أيوب: وما علامة المستدرج؟

فقال: إن العبد إذا كان له عند الله منزلة فحفظها، وأبقى عليها، ثم شكر الله أعطاه الله أشرف من المنزلة الأولى، وإذا هو ضيع الشكر، استدرجه الله، فكان تضييعه للشكر استدراجاً من الله له، فغلبه عن شكر العجب معرفة الاستدراج. وإن العبد المستدرج إذا ألقى في قلبه شيء من الشكر حمله شكره على التفقد من أين أتى، فإذا عرف بصدق خضع، فإذا خضع أقال الله عثرته.

قال حماد: إن ابن عمر سئل عن الاستدراج فقال: ذلك مكْرُه بالعباد المضيعين.

قال: فبكوا جميعاً، ثم رفع أيوب من بينهم يده، وقال: يا عالم الغيب والشهادة لا توفيق لنا إن لم توفقنا، ولا قوة لنا إن لم تقونا.

فقال يونس: به وجدنا طعم القوة من دعائك يا أبا بكر.

قال: وكان أيوب يعرف أصحابه أن له دعوة مستجابة.

٥٣٥ ـ أبو اليمان

ومنهم أبو اليمان، قرين الخير، الحبر ابن سليمان.

عن أحمد بن أبي الحواري. قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان عندنا شيخ يزعمون أنه يعرف اسم الله الأعظم. فأتيته فقلت: يا عم بلغنا أنك تعرف اسم الله الأعظم، فقال: يابن أخي تعرف قلبك؟ فقلت: نعم. قال: فإذا رأيته رق وأقبل فسل الله حاجتك، فذلك اسم الله الأعظم.

٥٣٦ ـ حيان الأسود

ومنهم حيان الأسود.

عن جعفر بن محمد، عن حيان الأسود. قال: كان عندنا رجل مكث ثلاث عشرة سنة، يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، حتى أقعد من رجليه، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة، ثم قال: عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلاً. بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك. بل عجبت للخليقة كيف أنست بسواك. ثم يسكت إلى المغرب.

٥٣٧ ـ أبو الفضل الهاشمي

ومنهم أبو الفضل الهاشمي.

عن زكريا بن دلوية. قال: دخل أبو العباس بن مسروق الطوسي على أبي الفضل الهاشمي، وهو عليل ـ وكان ذا عيال ولم يعرف له سبباً ـ قال: فلما قمت، قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح: يا أبا العباس، ردَّ هذه الهمة الردية فإن لله ألطافاً خفية.

٥٣٨ ـ إبراهيم المغربي

ومنهم إبراهيم المغربي.

عن إبراهيم بن الوليد. قال: دخلت على إبراهيم المغربي، وقد رفسته بغلة فكسرت رجله فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس.

٥٣٩ ـ أبو تراب الرملي

ومنهم أبو تراب الرملي.

٥٤٠ ـ سعيد الشهيد

ومنهم سعيد الشهيد، المقنع في الحديد، المشتاق إلى رؤية المنعم المجيد.

عن عباس بن يوسف. قال: قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتى إلى جانبي، وإذا هو مقنع في الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثناها، وحمل على الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناها. ثم أنشأ يقول:

أحسن بمولاك سعيد ظنا ... هذا الذي كنت له تمنى

تنح يا حور الجنان عنا ... مالك قاتلنا ولا قتلنا

لكن إلى سيدكن اشتقنا ... قد علم السر وما أعلنا

قال: فحمل فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى.

٥٤١ ـ سيار النباجي

ومنهم سيار النباجي، الباكي النائح المناجي.

عن أحمد بن مسروق. قال: قال سيار النباجي: نمت عن وردي ذات ليلة، فبينا أنا كذلك، رأيت كأني دخلت الجنة وإذا نهر يجري على الدر والجوهر، حافتاه من المسك الأذفر، وعلى شاطئ النهر قباب اللؤلؤ، وقضبان الذهب والجوهر، وإذا بجوار على الساحل وهنَّ يقلن: سبحان المسبح في كل مكان. سبحانه سبحانه سبحانه. فقلت: من أنتن؟ فقلن: نحن من خلق الرحمن. فقلت: لمن أنتن؟ فقلن:

برأنا إله الناس رب محمد ... لقوم على الأقدام بالليل قوم

يناجون رب العالمين إلٓههم ... وتسري هموم القوم والناس نوم

٥٤٢ ـ أحمد بن روح

ومنهم أحمد بن روح المستغيث بالمولى من حلول البلوى.

عن الحسين بن عبد الرحمن القاضي. قال: حدثني أبي قال: سمعت أحمد بن روح ينشد:

إذا حلت البلوى صرخت لسيد ... به تدفع البلوى وينكشف الضر
أؤمل مولى لا يخيِّب عبدَه ... له العز والآلاء والخلق والأمر

٥٤٣ ـ جابر الرحبي

ومنهم جابر الرحبي، له الأحوال الرفيعة، والألطاف البديعة.

٥٤٤ ـ المستأنس بالحق

ومنهم المستأنس بالحق، المستوحش من الخلق، اسمه خفي، وحاله علوي.

عن عبيد البسري. قال: سألت رجلاً بالكام: ما الذي أجلسك في هذا الموضع؟ قال: وما سؤالك عن شيء إن طلبته لم تدركه، وإن لحقته لم تقع عليه؟ قلت: تخبرني ما هو؟ قال: علمي بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان كلها. قلت: بِمَ؟ قال: أواه، قد كنت أظن أن نفسي ظفرت، ومن الخلق هربت، فإذا أنا كذاب في مقامي، لو كنت محباً لله صادقاً ما اطلع علي أحد.

٥٤٥ ـ عبد الله بن خُبَيق

ومنهم الصادق الواثق، المشمر اللاحق، عبد الله بن خبيق. تذوق بالصفاء، وتحقق بالوفاء، تخرج على يوسف بن أسباط، فأعرض عن الشبهات وأماط. سكن من الثغور أنطاكية.

عن محمد، عن عبد الله. قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لا تغضب على الحمقى فيكثر غمك.

قال: وكان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني، فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي.

عن محمد بن جعفر بن سوار. قال: سمعت عبد الله بن خبيق يقول: لا يستغني حال من الأحوال عن الصدق، والصدق مستغن عن الأحوال كلها. ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق، لاطلع على خزائن من خزائن الغيب، ولكان أميناً في السموات والأرض.

قال عبد الله: وحشة العباد عن الحق أوحش منهم القلوب، ولو أنسوا بربهم ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد.

وسئل عبد الله بماذا ألزم الحق في أحوالي؟ قال: بإنصاف الناس من نفسك، وقبول الحق ممن هو دونك.

وقال عبد الله: طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب، ومن أراد أن يعيش حياً في حياته فليزل الطمع عن قلبه.

عن عمر بن عبد الله الهجري. قال: سمعت عبد الله بن خبيق يقول: لا تغتم إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح بشيء لا يسرك غداً. وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك.



مَجهُولونَ

قال الشيخ رحمه الله:

وفي الخدم أولياء، غيبهم الحق فيه عن الأعيان، ومحا أسماءهم وأنسابهم عن الاشتهار والادكار. جعلهم أماناً لسكان الممالك، وبإقسامهم عليه يدفع عنهم المهالك[1].

عن ابن زيد بن أسلم. قال: قال محمد بن المنكدر: إني لليلة مواجه هذا المنبر أدعو في جوف الليل، إذا إنسان عند أسطوانة مقنع رأسه فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني أقسم عليك يا رب إلا سقيتهم. قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله.

وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل هذا الخير، فقال: هذا بالمدينة وأنا لا أعرفه؟ فلما سلم الإمام تقنع وانصرف، واتبعه ولم يجلس للقاص، حتى أتى دار أنس فأخرج مفتاحاً ففتح ثم دخل.

قال: ورجعت فلما سبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجراً في بيته. فسلمت ثم قلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها. قال فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها واستعظمها

(١) أورد المصنف هنا جملة من الأخبار، آثرت أن أحذفها لمخالفتها المنهج الإسلامي. ومنها السفر في الصحراء بغير زاد ولا راحلة، باسم التوكل على الله.

مني. فلما رأيت ذلك قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله يا أخي، هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من أمر الآخرة؟ قال: لا، ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتني شهرتني للناس.

قلت: إني أحب أن ألقاك. قال؛ القني في المسجد ـ وكان فارسياً ـ قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر حتى مات الرجل.

قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار فلم ير، ولم يدر أين ذهب. فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح.

❁ ❁ ❁

عن مالك بن دينار. قال: احتبس عنا المطر بالبصرة، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي فلم نر أثر الإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمي، وثابت البناني ويحيى البكاء، ومحمد بن واسع، وأبو محمد السختياني، وحبيب أبو محمد الفارسي، وحسان بن أبي سنان، وعتبة الغلام، وصالح المري، حتى صرنا إلى مصلى بالبصرة، وخرج الصبيان من المكاتب واستسقينا فلم نر أثر الإجابة، وانتصف النهار، وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني في المصلى.

فلما أظلم الليل إذا بأسود صبيح الوجه دقيق الساقين، عظيم البطن، عليه مئزران من صوف، فقومت جميع ما كان عليه بدرهمين، فجاء إلى ماء فتمسح، ثم دنا من المحراب فصلى ركعتين كان قيامه وركوعه وسجوده سواء خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم تردد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفد ما عندك؟ أم نفدت خزائن قدرتك؟ سيدي أقسمت عليك بحبك لي إلا سقيتنا غيثك الساعة الساعة.

قال مالك: فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب، وما خرجنا من المصلى حتى خضنا الماء إلى ركبنا.

قال: فبقيت أنا وثابت متعجبين من الأسود. ثم انصرف فتبعناه. قال: فتعرضت له فقلت له: يا أسود أما تستحي مما قلت؟ قال فقال: وماذا قلت؟ قال: فقلت له: قولك بحبك لي. وما يدريك أنه يحبك؟ قال: تنح عن همم لا تعرفها، يا من اشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني بالتوحيد وبمعرفته! أفتراه بدأني بذلك إلا بمحبته لي على قدره، ومحبتي له على قدري.

قال: ثم بادر يسعى. فقلت له: رحمك الله ارفق بنا. قال: أنا مملوك علي فرض من طاعة مالكي الصغير. قال: فجعلنا نتبعه من البعد حتى دخل دار نخاس، وقد مضى من الليل نصفه، فطال علينا النصف الباقي.

فلما أصبحنا أتيت النخاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة! قال: نعم عندي مائة غلام كلهم لذلك. قال: فجعل يخرج إلي واحداً بعد آخر وأنا أقول غير هذا، حتى عرض علي تسعين غلاماً، ثم قال: ما بقي عندي غيرها ولا واحد، قال: فلما أردنا الخروج دخلت أنا حجرة خربة في خلف داره فإذا أنا بالأسود نائم، فكان وقت القيلولة. فقلت: هو هو ورب الكعبة، فخرجت إلى عند النخاس فقلت له: بعني ذلك الأسود. فقال لي: يا أبا يحيى ذاك غلام مشؤوم نكد، ليست له بالليل همة إلا البكاء، وبالنهار إلا الصلاة والنوم. فقلت له: ولذلك أريده. قال: فدعا به وإذا هو قد خرج ناعساً، فقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبريني من عيوبه كلها، فاشريته بعشرين ديناراً بالبراءة من كل عيب. فقلت: ما اسمه؟ قال: ميمون.

قال فأخذت بيده فأتيت به إلى المنزل، فبينا هو يمشي معي إذ

قال لي: يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين؟

قال مالك: فقلت له: حبيبي، إنما اشتريناك لنخدمك نحن بأنفسنا وعلى رؤوسنا. فقال: ولِمَ ذاك؟ فقلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟ فقال: وقد اطلعتما على ذلك؟ فقلت: أنا الذي اعترضت عليك في الكلام.

قال: فجعل يمشي حتى صار إلى مسجد فدخله وصف قدميه فصلى ركعتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيدي، سراً كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين، وفضحتني فيه، فكيف يطيب لي الآن عيش وقد وقف على ما كان بيني وبينك غيرك؟ أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة الساعة. ثم سجد، فدنوت منه فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فحركته فإذا هو ميت.

عن علي بن محمد الناقد. قال: قال لي بعض شيوخنا: كنت ببعض سواحل الشام، فرأيت شاباً عليه طمران فأدمت النظر إليه فقال لي: شدة الشوق والهوى، صيرتني كما ترى، فقلت له: زدني فقال:

ما قر لي جنب على مضجع ... كم يلبث الجنب على الجمر
والله لا زلت له عاشقاً ... وإن أمت أذكره في القبر

فمضى وتركني.

❀ ❀ ❀

عن أبي عمرو بن العلاء. قال: من عرف فضل من فوقه عرف فضله من دونه فإن جحد جحده، وذكر أن السري بن جابر دخل بلاد الزنج قال: فرأيت زنجية تدق الأرز وتبكي، وأنشأت تقول بكلامها ما لا أقف عليه. فقلت: ليتني أقف على ترجمتها. فلقيت شيخاً فسألته عنها فقال: هي تقول:

رمقت بعيني يمنة ثم يسرة	فلم أر غير الله يأمله قلبي
فجئت بإدلال إلى من عرفته	فبالفضل والإحسان يغفر لي ذنبي
أياديك لا تحصى وإن طال عهدها	وإحسانك المبذول في الشرق والغرب

❋ ❋ ❋

عن وهيب بن الورد. قال رجل: بينا أنا أسير في أرض الروم ذات يوم، إذ سمعت هاتفاً فوق رأس الجبل، وهو يقول: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك، ثم عاد الثانية فقال: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمره أحداً غيرك، ثم عاد الثالثة فقال: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يتعرض لشيء من غضبك برضاء غيرك. قال: فناديته فقلت: أجني أم إنسي؟ قال: بل إنسي، اشتغل بنفسك بما يعنيك عما لا يعنيك.

عن ابن فارس. قال: أخبرني أعرابي بنجد قال: كان لي جار فمرض فعدته، فقلت: يا أبا نجيد كيف تجدك؟ قال: أجدني أسمع حادي الموت قد غرد، وهاتف النقلة قد ردد، ولي نفس تواقة تشره إلى الدنيا، فهي تشغلني عن سماع النداء، وتثبطني بتطويل الأمل عن إجابة الداعي، ونذيراي شيبي وسقمي يؤيساني، وخادعاي حرصي وأملي يطمعاني، وأنا كذا نفسي نفس تكره الحمام، وتحب المقام، ونفس متوطنة بالارتحال، ولهة بالانتقال، على أن الحق يغلب الباطل، كما يغلب حلم الحليم سفه الجاهل.

❋ ❋ ❋

عن محمد بن أحمد الشمشاطي. قال: قال أبو عامر: كنت جالساً في مسجد النبي ﷺ، فإذا أنا بغلام أسود قد جاءني برقعة، فنظرت فيها فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم. متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة أفردك بحب الخلوة، أنا رجل من إخوانك،

بلغني قدومك المدينة، فسررت بذلك، فأحببت زيارتك، فحجبت عن ذلك، فالتمست مخرج العذر من كتاب الله، فوجدت الله قد منحني ثلاث خصال: أذهب عني حرج أهلها، وبي من الشوق إلى مجالستك، والاستماع لمحادثتك، ما لو كان فوقي لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني، فأسألك إلا ألحقتني جناح المتفضل علي بزيارتك والسلام.

قال أبو عامر: فقمت مع الغلام حتى أتى بي منزلاً رحباً خرباً، فقال لي: قف حتى أستأذن لك. فوقفت حتى خرج فقال لي: لج، فدخلت فإذا أنا ببيت له باب من جريد النخل، فإذا أنا بكهل مستقبل القبلة، تخاله من الورع مكروباً، ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت في وجهه أحزانه، وقد قرحت من البكاء عيناه، ومرضت أجفانه، فسلمت عليه فرد علي السلام، ثم تخلخل فلم يطق القيام، فإذا هو أعرج أعمى مسقام.

فقال لي: متع الله بالأحزان لبك، وغسل من ران الذنوب قلبك، لم تزل نفسي إليك مشتاقة، وقلبي إليك تواقاً، وبي جرح قد أعيا الناس دواؤه، والمتطببين شفاؤه، فلاقِ له أجود الترياق وإن كان مر المذاق، فإني ممن أصبر على مضض الدواء، مخافة ما يتوقع من عظيم البلاء.

قال: فسمعت كلاماً حسناً، ورأيت منظراً أفظعني، فأطرقت طويلاً ثم تأتى من كلامي ما تأتى، فقلت: يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء فتمثل بحقيقة إيمانك جنة المأوى، فسترى ما أعد الله فيه للأولياء. ثم أشرف بقلبك ناراً تتلظى، فسترى ما أعد فيها للأشقياء، شتان ما بين المنزلتين والدارين شتان، أليس الفريقان في الموت سواء.

قال: فأن أنة وزفر زفرة والتوى ثم قال: قد وقع دواؤك على دائي، وقد علمتُ أن عندك شفائي. زدني يرحمك الله.

فقلت: إنه عالم بخفياتك، مطلع على سرائرك.

قال: فصرخ صرخة خر ميتاً. فإذا أنا بجارية قد رفعت العباءة عليها، جبة من صوف قد أقرح السجود حاجبيها وأنفها، فلما نظرت إلي قالت: أحسنت يا هادي قلوب العارفين، ومثير أحزان المحزونين، لا أنسى لك هذا الموقف رب العالمين، هذا أبي مبتلى منذ عشرين سنة، صلى حتى انحنى، وصام حتى أقعد، وبكى حتى عمي، وكان يتمناك على ربه عز وجل، ويقول: سمعت كلام أبي عامر مرة فأحيى الله موات قلبي، فإن سمعته ثانياً قتلني.

❁ ❁ ❁

عن أبي قرة. قال: كان بعض التابعين يقول: اللهم أنت تعطيني من غير أن أسألك، فكيف تحرمني وأنا أسألك. اللهم إني أسألك أن تسكن عظمتك قلبي، وأن تسقيني شربة من كأس حبك.

عن أحمد بن نصر. قال: قال إبراهيم بن الجنيد: كان بعض العباد يقول: أحيوا قلوبكم بذكر الله، وأميتوها بالخشية، ونوروها بحب الله، وفرحوها بالشوق إليه، واعلموا أنكم بالمحبة ترتفعون، وبالمغفرة ترهبون، وبالشوق ترغبون، وبحسن النية تقهرون الهوى، وبترك الشهوات تصفو أعمالكم، حتى يورثكم ملكوت السموات في عليين، فمن أراد منكم الراحة فليعمل في منازل أهل المحبة. وإن من أخلاق أهل محبة الله كثرة الذكر في ساعات الليل والنهار، بالقلب واللسان، فإن أمسك اللسان فالقلب، فإن ذكر القلب أبلغ وأنفع.

قال إبراهيم بن الجنيد: قال بعض العباد: وجدت الله غيوراً يمنعني من كل من أرجوه، وإذا سبح قلبي في مودته أجرى ذكره على لساني، فواشوقاه ثم واشوقاه.



عن سعيد بن عبد الرحمن. قال: كنت في مجلس يزيد بن هارون، وقد نفذ بعض نفقتي في بعض الأسفار، فقال بعض أصحاب الحديث: من تؤمل لما نزل بك؟ قلت: يزيد بن هارون.

قال: إذاً لا تقضى حاجتك، ولا تنجح طلبتك.

قال: وما علمك؟

قال: لأني قرأت أن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي في مكاني، لأقطعن أمل كل مؤمل يؤمل غيري بالإياس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من وصلي، أيؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفقر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب، وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أملني لنوائبه فقطعت به دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه؟ ومن ذا الذي دعاني فلم أفتح له؟ جعلتُ آمال عبادي متصلة بي، فقطعت من غيري، وجعلت رجاءهم مدخراً عندي فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يملون من تسبيحي، وأمرتهم ألا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد إلا بأذني؟ فمالي أراه بآماله معرضاً عني؟ ومالي أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته منه ولم يسألني رده وسأل غيري.

أنا أبدأ بالعطية قبل أن أسأل، ثم أسأل فلا أخيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبادي؟ أو ليس الدنيا والآخرة لي؟ أو ليس الفضل والرحمة بيدي؟ أو ليس الجود والكرم لي؟ أو ليس أنا محل الآمال، فمن يقطعها دوني؟ أو ما يحسن المؤملون أن يؤملوني. ولو جمعت أهل سماواتي وأرضي فأعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع فقلت لهم: أملوني فأملوني، فأعطيت كل واحد منهم

مسألته لم ينقص مما عندي عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي، ويا سوأة من عصاني فلم يراقبني.



عن أحمد بن موسى الأنصاري. قال: قال منصور بن عمار: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة طخياء مطلخمة مستحلكة، فإذا أنا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بناكل جاهل. ولكن خطيئتي عرضت وأعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخى علي، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، فإلى من أحتمي، ومن من عذابك يستنقذني، وبحبل من أتصل إذا أنت قطعت حبلك عني؟ واشباباه واشباباه.



الفصل الرابع
ذكر جماعة ممن يقتدى بهم

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: قد ذكرنا طرفاً من أحوال من أخفاهم الحق عن الخلق، وخصهم بالأنس به، ولم ينصبهم أعلاماً يقتدى بهم.

ونعود إلى ذكر بعض من نصبهم الحق للقدوة والتعليم، والدعوة والتفهيم، وجعلهم خلفاء الأنبياء، وأئمة الأصفياء. مقتصرين على ذكر جماعة منهم. والله خير معين وموفق له إن شاء الله تعالى.

عدنا مستعينين بالله عز وجل مقتصرين على ذكر جماعة نصبوا وشهروا للقدوة، وطهروا من الأكدار، وجردوا من الأغيار، وهذبوا بصحبة السادة والأخيار، واقتبسوا عن الأئمة من اتباع الآثار وأيدوا بالأنوار، وحفظوا من تلوين الأسرار، وخصوا بصافي الأذكار، وعصموا من مسامرة الأشرار وملاحظة الأوزار.

٥٤٦ ـ سهل بن عبد الله التستري

[ت٢٨٣هـ]

فمنهم الشيخ المسكين، الناصح الأمين، الناطق بالفضل الرصين، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، تخرج عن خاله محمد بن سوار، ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم، عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال عن المعايب والإعلال.

عن أبي بكر الجوربي. قال: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ، لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يجول في قلبه سوى ما أحب الله ورسوله ﷺ.

وسئل هل للمقتدي اختيار بالاستحسان؟

قال: لا، إنما جعل السنة واعتقادها بالاسم ولا تخلو من أربعة: الاستخارة والاستشارة، والاستعانة، والتوكل، فتكون له الأرض قدوة والسماء له علماً وعبرة، وعيشته في حاله، لأن حاله المزيد وهو الشكر.

وقال: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه، فعمل به وتمسك به، فاجتنب ما نهى الله تعالى عنه عند فساد الأمور، وعند تشويش الزمان، واختلاف الناس في الرأي والتفريق، إلا جعله الله إماماً يقتدى به، هادياً مهدياً قد أقام الدين في زمانه وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الغريب في زمانه، الذي قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ) وما من عبد دخل في شيء من السنة وكان نيته متقدمة في دخوله لله، إلا خرج الجهل من سره شاء أو أبى بتقديمه النية، ولا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم.

وسئل كيف يتخلص العبد من خدعه نفسه وعدوه؟

قال: يعرف حاله فيما بينه وبين الله، وبعد عرفان حاله فيما بينه وبين الله، يعرض نفسه على الكتاب والأثر، ويقتدى في الأشياء بالسنة.

وقال: على هذا الخلق من الله أن يلزموا أنفسهم سبعة أشياء: فأولها الأمر والنهي وهو الفرض، ثم السنة، ثم الأدب، ثم الترهيب، ثم الترغيب، ثم السعة. فمن لم يلزم نفسه هذه السبعة ولم يعمل بها لم يكمل إيمانه ولم يتم عقله ولم يتهنأ بحياته ولم يجد لذة طاعة ربه.

قال: وسمعت سهلاً يقول: اعلموا إخواني أن العباد عبدوا الله عل ثلاثة وجوه: على الخوف والرجاء والقرب. ولكل علامة يعرف بها، وشهادة تشهد له بها بماله وعليه:

فعلامة الخائف الاشتغال بالتخلص مما يخاف، فلا يزال خائفاً حتى يتخلص، فإذا تخلص مما يخاف اطمأن وسكن، فهذه علامة الخائفين.

وأما الراجي فإنه رجى الجنة وطلب نعيمها وملكها، فأعطى القليل في طلب الكثير، فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد إليها فجدّ في البذل وتحرز من الدنيا ألا يقف غداً في الحساب فيسبق، فهذه علامة الراجي.

وأما العارف الذي طلب معرفة الله وقربه، فإنه بذل ماله فأخرجه ثم نفسه فباعه ثم روحه، فأباحه، فلو لم تكن جنة ولا نار لما مال ولا زال، ولا فتر. فهذه علامة العارف.

فانظروا الآن أيها العقلاء من أي القوم أنتم، أموتى لا حياة فيكم أم لا موتى ولا أحياء؟ أم أحياء حيوا بحياة الخلد؟ ويحك إن الخائف حيي بحياة واحدة، وللراجي حياتان، وللعارف ثلاث حياآت: وهي الحياة التي لا موت فيها، فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حيي بحياة ثم يتم بحياة ثانية ويدخل الجنة بغير حساب، والراجي أمن من العذاب، ومن الحساب، فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب، فصار له أمانان. وأما العارف فصار له أمان من النار والأمان الثاني

صار إلى الرحمن وصار الراجي إلى الجنة فسبق هو إلى الرحمن فصار له ثلاث حياآت.

فانظروا من أي القوم أنتم، واسلكوا طريق العارفين ولا ترضوا لربكم بهدية الدون. فبقدر ما تهدون تكرمون وتقربون، وبقدر ما تقربون تنعمون. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال: أول ما ينبغي للعبد أن يتخلق به ثلاثة أخلاق وفيها اكتساب للعقل: احتمال المؤونة، والرفق في كل شيء، والحذر أن لا يميل في الهوى ولا مع الهوى ولا إلى الهوى، ثم لا بد له من ثلاث أحوال أخر، وفيها اكتساب العلم العالي، والحلم والتواضع. ثم لا بد له من ثلاثة أخر، وفيها اكتساب المعرفة وأخلاق أهلها السكينة والوقار والصيانة والإنصاف. ومن أخلاق الإسلام والإيمان: الحياء وكف الأذى وبذل المعروف، والنصيحة، وفيها أحكام التعبد.

وقال: أركان الدين أربعة: الصدق، واليقين، والرضا، والحب. فعلامة الصدق الصبر، وعلامة اليقين النصيحة، وعلامة الرضا ترك الخلاف، وعلامة الإيثار والصبر يشهد للصدق

وقال: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر ندمان.

عن عثمان بن محمد العثماني. قال: قال سهل بن عبد الله: لا تفتش عن مساوي الناس، ورداءة أخلاقهم، ولكن فتش وابحث في أخلاق الإسلام ما حالك فيه، حتى تسلم ويعظم قدره في نفسك وعندك.

عن محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري. قال: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله يقول: قال الله لآدم:

يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني.

يا آدم إن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي أعزهم بعزي، وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي،فبهم أمطر السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء. هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة. صحت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإني إليهم لأشد شوقاً.

يا آدم، من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني. فطوبى يا آدم لهم، ثم طوبى لهم، ثم طوبى لهم وحسن مآب.

يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان علي غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم علي.

قلت: يا أبا محمد زدنا من هذا الضرب رحمك الله، فإنها ترتاح القلوب وتتحرك.

فقال: نعم، إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. فكان داود يقول في مزاميره: واهاً لهم يا ليتني عاينتهم، يا ليت خدي نعل موطئهم. ثم احمرّت بعد أدمته أو اصفر لونه وجعل يقول: جعل الله نبيه وخليفته خادماً لمن طلبه.

لو عقلت ـ وما أظنك تعقل ـ قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنمت قربهم ومجالستهم وبرهم وخدمتهم وتعاهدهم.

قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: إذا خلا العبد من الدنيا، وهرب من نفسه إلى الله، وسقط من قلبه أثر الخلائق، لم يعجبه شيء ولم يسكن إلى شيء غير الله قط. فالله مؤنسه ومؤدبه وكالئه وحافظه، وجليسه وأنيسه؛ إياه يناجي، وله ينادي، وبه يستأنس، وإليه يرغب، وإليه يستريح. قال الله جل ذكره: طوبى لمن خلقته فعرفني، ودعوته فأجابني، وأمرته فأطاعني، ورزقته فحمدني، وأعطيته فشكرني، وابتليته فصبر لي، وعافيته فذكرني ومدحني.

* * *

عن أبي بكر بن المنذر الهجيمي. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: من ظن أنه يشبع من الخبز جاع.

قال: وسمعت سهلاً يقول: البطنة أصل الغفلة.

قال: وسمعت سهلاً يقول: لا يكون العبد مقيماً على معصية إلا وجميع حسناته ممزوجة بالهوى، لا تخلص له حسناته وهو مقيم على سيئة واحدة، ولا يتخلص من هواه حتى يخرج من جميع ما يعرف من نفسه مما يكرهه الله.

قال: وسمعت سهلاً يقول: وسئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾[1] قال: لسانا ينطق عنك لا ينطق عن غيرك.

قال: وسمعت سهلاً يقول: ما أعطي أحد شيئاً أفضل من علم يستزيد به افتقاراً إلى الله.

قال: وسمعت سهلاً يقول: إذا جنك الليل فلا تأمل النهار،

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٠).

حتى تسلم ليلتك لك، وتؤدي حق الله فيها، وتنصح فيها لنفسك، فإذا أصبحت فكذلك.

قال: وسمعت سهلاً يقول: الصبر في الدنيا صنفان: أهل الدنيا يصبرون للدنيا حتى ينالوا منها. وأهل الآخرة يصبرون على آخرتهم حتى ينالوا منها.

قال: وسمعت سهلاً يقول: لا يكمل للعبد شيء حتى يصل علمه بالخشية، وفعله بالورع وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، والمشاهدة بالتبري مما سواه.

❁ ❁ ❁

عن أبي بكر. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: البلوى من الله على جهتين: فبلوى رحمة وبلوى عقوبة. فبلوى رحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره وفاقته إلى الله، وترك تدبيره. وبلوى عقوبة يترك صاحبه على اختياره وتدبيره.

وقيل مثل الابتلاء مثل المرض والسقم، يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت فيه، ويمرض آخر ساعة واحدة فيموت فيه، كذلك يعصي الله عبد مائة سنة فيختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم بكلمة معصية في ساعة فيجره إلى الكفر فيهلك. فمن ذلك عظم الخطر ودام الجد واشتد البلاء.

وقال: الغضب أشد في البدن من المرض: إذا غضب دخل عليه من الإثم أكثر مما يدخل عليه في المرض.

قال: وسمعت سهلاً يقول: قال الله تعالى: كل نعمة مني عليكم إذا عرفتموها صيرتها لكم شكراً، وكل ذنب كان منكم إذا عرفتموه صيرته غفراناً.

وقال: ليس في خزائن الله أكبر من التوحيد.

وقال: تربة المعاصي الأمل، وبذرها الحرص، وماؤها الجهل، وصاحبها الإصرار. وتربة الطاعة المعرفة، وبذرها اليقين، وماؤها العلم، وصاحبها السعيد المفوض أموره إلى الله تعالى.

وقال: من ظن ظن السوء حرم اليقين. ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. ومن اشتغل بالفضول حرم الورع. فإذا حرم هذه الثلاثة هلك، وهو مثبت في ديوان الأعداء.

وقال: لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا ملعون.

وقال: من خدم خدم، ومعناه من ترك التدبير والاختيار وفق، ومن لم يوفق لم يترك التدبير، فإن الفرج كله في تدبير الله لنا برضاه. والشقاء كله في تدبيرنا، ولا نجد السلام حتى نكون في التدبير كاهل القبور.

وقال: لسان الإيمان التوحيد، وفصاحته العلم، وصحة بصره اليقين مع العقل.

وقال: النية اسم الأسامي والطاعات أسامي. والنية الإخلاص. وكما يثبت حكم الظاهر بالفعل كذلك يثبت حكم السر بالنية. ومن لا يعرف نيته لا يعرف دينه. ومن ضيع نيته فهو حيران، ولا يبلغ العبد حقيقة علم النية حتى يدخله الله في ديوان أهل الصدق، ويكون عالماً بعلم الكتاب وعلم الآثار، وعلم الاقتداء.

وقال: المؤمن من راقب ربه، وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

وقال: الهجرة فرض إلى يوم القيامة: من الجهل إلى العلم،

ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

وقال: من اشتغل بما لا يعنيه نال العدو منه حاجته في يقظته ومنامه.

وقال: ألم أقل لك دع دنياك عند أعدائك وضع سرك عند أحبائك؟.

وقال: ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله. ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب. وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر.

❁ ❁ ❁

عن عباس بن عصام. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وقال سهل: العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس عالماً كان أو جاهلاً زاهداً كان أو عابداً في الأكل والشرب.

وقال سهل: الضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم والآيات والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء. والمعونات للمريدين. والتمكين لأهل الخصوص. ومن خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان.

عن أبي بكر الجوني. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: معرفة النفس أخفى من معرفة العدو، ومعرفة العدو أجلى من معرفة

الدنيا. وقال: إذا عرف العدو عرف ربه، وإذا عرف نفسه عرف مقامه من ربه، وإذا عرف عقله عرف حاله فيما بينه وبين ربه، وإذا عرف العلم عرف وصوله، وإذا عرف الدنيا عرف الآخرة.

وقال: هي نعمة ومصيبة، فالنعمة ما دعا الله الخلق إليه من معرفته، والمصيبة ما ابتلاهم في أنفسهم ومخالفتها.

وقال: لله ثلاثة أشياء في خلقه: المعرفة، والإحسان، والحكم. وثلاثة. للعبد مع الله: تضعيف الحسنات، والعفو عن السيئات، ولا تضعف عليهم. وفتح باب التوبة إلى الممات.

وقال: ليس لأهل المعرفة همة غير هذه الثلاثة إذا أصلحوا: الاقتداء بالنبي ﷺ، والاستعانة بالله سبحانه وتعالى، ـ والاقتداء هو الافتقار ـ والصبر على ذلك إلى الممات.

وقال: الأصل الذي أنا أدعو إليه قوله: اتقوا يوماً لا ليلة بعده، وموتاً لا حياة بعده، والسلام.

عن أبي محمد بن صهيب. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يذنب المؤمن ذنباً حتى يكتسب معه مائة حسنة.

فقيل: يا أبا محمد، وكيف هذا؟

قال: نعم، إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً، وخوفه العقاب عليها حسنة، ويرجو غفران الله لها، ولو لم يكن هكذا لم يكن مؤمناً، ورجاؤه لغفرانها حسنة، وهو يرى التوبة منها، ولو لم يرها لم يكن مؤمناً، ورؤيته التوبة منها حسنة، ويكره الدلالة عليها، ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمناً، وكراهة الدلالة عليها حسنة. ويكره الموت عليها ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمناً، وكراهته

للموت عليها حسنة، فهذه خمس حسنات، وهي بخمسين حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] فهذه تصير مائة حسنة فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2] وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه.

ثم بكى سهل وقال: لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلوا ويغتروا، فإن هذه السيئة هي شيء عليه، وحسناته هي أشياء له، وما عليه فلله أن يأخذه به، ويكون عادلاً بعقوبته عليه، وماله لا يظلمه الله عز وجل، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة؟ ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة حتى تأمنوا العقوبة، وتصيروا أحباب الله، فإن الله يحب التوابين.

قال: وسمعت سهل بن عبد الله يقول: إن الأمراض والأسقام والأحزان والمصائب إنما هي كفارات للصغائر، وأما الكبائر فلا يسقطها إلا التوبة، ومثله كمثل حبر يصيب الثوب فلا يقلعه إلا الصابون الحاد، والمعالجات بالخل والأشنان وغيره. ومثل الصغائر كمثل قليل دبس يصيب الثوب فيذهبه الريق وقليل من الماء.

فقيل: يا أبا محمد، أليس قد روي أن المصائب كفارات وأجر؟ فضحك وقال: إن المصائب إذا ضم إليها الصبر والاحتساب تكون كفارة وأجراً كلاهما، فأما إذا لم يصبر عليها ولم يحتسبها تكون كفارات وحططاً لا أجر فيها ولا ثواب. وبيان ذلك أن المصائب فعل غيرك ولا تثاب على فعل غيرك، وصبرك واحتسابك فعل لك فتؤجر وتثاب.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٦٠).

(٢) سورة هود، الآية (١١٤).

عن عثمان بن محمد العثماني. قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: أصل الدنيا الجهل، وفرعها الأكل والشرب واللباس والطيب والنساء والمال والتفاخر والتكاثر، وثمرتها المعاصي، وعقوبة المعاصي الإصرار، وثمرة الإصرار الغفلة، وثمرة الغفلة الاستجراء على الله.

وقال: أيما عبد لم يتورع، ولم يستعمل الورع في عمله، انتشرت جوارحه في المعاصي، وصار قلبه بيد الشيطان وملكه، فإذا عمل بالعلم دله على الورع، فإذا تورع صار القلب مع الله.

وقال: العلم دليل، والعقل ناصح، والنفس بينهما أسير، والدنيا مدبرة، والآخرة مقبلة، والعدو في ذلك منهزم، فيصير العبد عند الله خالصاً.

وإنما سموا ملوكاً لأنهم ملكوا أنفسهم فقهروها، واقتدروا عليها فغلبوها، وظفروا بها فأسروها. فالعارفون مالكون لأنفسهم مستظهرون عليها. والغافلون قد ملكتهم أنفسهم واستظهرت عليهم؛ بتلوين أهوائهم، وبلوغ محابها ومناها، في الأقوال والأحوال وسائر الأفعال. ولا يفلت من أسر نفسه وخدعتها وسلطانها وغلبة هواها إلا من عرف نفسه، فإذا عرف نفسه على حقيقة معرفتها، عرف باريه جل جلاله فإذا عرف نفسه ألزمته معرفتها شريطة العبودية بحق الربوبية، وإعطاء الوحدانية حقها.

٥٤٧ ـ سهل بن عبد الله بن الفرحان

[ت٢٧٦هـ]

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومنهم الطاهر المطهر، أبو طاهر سهل بن عبد الله الفرحان الأسفهر ديري ـ قرية من ربض المدينة، مدينة أصبهان ـ رحمة الله تعالى عليه، كان مجاب الدعوة.

لقي أحمد بن عصام الأنطاكي وأحمد بن أبي الحواري، وأبا

يوسف الغسولي، وعبد الله بن خبيق، ونظراءهم بالشام، فأقام بالثغر مدة وكتب بمصر والشام الحديث الكثير. كان أهل بلدنا مفزعهم إلى دعائه عند النوائب والمحن.

فأما رفيع حاله من إدمان الذكر والمشاهدة والحضور والمسامرة والتعري من حظوظ النفس والموافقة، والتبري من رؤية الناس والمخالطة، فشائع ذائع. حكى ذلك عنه مشايخنا من إخوانه وزواره.

ولقي من الجهال فيما نقل من مذهب الشافعي ـ فإنه أول من حمل من علم الشافعي ـ مختصر حرملة بن يحيى عن الشافعي، فاستعظم ذلك الجهال الذين كانوا على مذهب أهل العراق، فصبر على أذاهم ولم يعارضهم بشيء، محتسباً في ذلك، إلى أن مضى حميداً رشيداً رحمه الله، توفي سنة ست وسبعين ومائتين، تقدم موته على موت أبي محمد سهل بن عبد الله التستري.

٥٤٨ ـ أحمد بن مسروق

[ت٢٩٨هـ]

قال الشيخ: ومنهم المستأنس بالحق، المستوحش من الخلق، أبو العباس الطوسي أحمد بن محمد بن مسروق. من ساكني بغداد. صحب الحارث بن أسد المحاسبي، ومحمد بن منصور الطوسي، والسري بن المغلس السقطي، ومحمد بن الحسين البرجلاني.

عن عبد الله بن محمد الرازي. قال: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: من ترك التدبير عاش في راحة.

عن الحسين بن يحيى الفقيه. قال: سئل ابن مسروق عن التوكل فقال: اشتغالك عمالك بما عليك، وخروجك مما عليك لمن ذاك له وإليه. قال: وسئل عن التصوف فقال: خلو الأسرار مما منه بد، وتعلقها بما ليس منه بد.

عن جعفر. قال: سألت أبا العباس بن مسروق مسألة في العقل فقال لي: يا أبا أحمد، من لم يحترز بعقله من عقله لعقله هلك بعقله.

عن أبي بكر الرازي. قال: قال أبو العباس بن مسروق: شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الإنفاق والموافقة والإيثار. ومتى طمعت في المعرفة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرداة فأنت في جهل، ومتى ما طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة. مما تطلبه.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: أسند الكثير ولقينا جماعة من الرواة عنه.

٥٤٩ ـ محمد بن منصور

ومنهم الطوسي محمد بن منصور رضي الله تعالى عنه، كان قلبه باليقين معموراً، وفي محبته بمأموله مسروراً، وعن كل من سواه مأخوذاً ومأسوراً.

عن الحسن بن علوية. قال: قال محمد بن منصور: ست خصال يعرف بها الجاهل، الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

عن الحسين بن عبد الرحمن قال: أنشدني محمد بن منصور.

كفلت لطالب الدنيا بهمٍّ ... طويل لا يؤول إلى انقطاع
وذل في الحياة بغير عز ... وفقر لا يدل على انتفاع
وشغل ليس يعقبه فراغ ... وسعي دائم مع كل ساعي
وحرص لا يزال عليه عبداً ... وعبد الحرص ليس بذي اقتناع

عن الحسين بن محمد. قال: أنشدني محمد بن منصور.

إنــمــا الــدنــيــا وإن ســرت ... قــلــيــل مــن قــلــيــل

لــيــس تــعــدو أن تــبــدي ... لــك فــي زي جــمــيــل

ثــم تــرمــيــك مــن الــمــأ ... مــن بــالــخــطــب الــجــلــيــل

قال الشيخ رضي الله عنه: أسند محمد بن منصور الكثير.

٥٥٠ ـ أبو تراب النخشبي

[ت٢٤٥هـ]

ومنهم أبو تراب[١] عسكر بن الحصين وقيل ابن محمد بن الحصيني النخشبي صاحب حاتم الأصم ولقي أبا حمزة العطار البصري. معروف بالتوكل والسباحة والفتوة. توفي بالبادية ونهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين. صحبه أبو بكر بن أبي عاصم النبيل، وأبو عبد الله بن الجلاء وأبو عبيدة البسري.

عن أحمد بن محمد. قال: قال أبو تراب النخشبي: وقفت ستاً وخمسين وقفة، فلما كان من قابل، رأيت الناس بعرفات ما رأيت قط أكثر منهم، ولا أكثر خشوعاً وتضرعاً ودعاء فأعجبني ذلك، وقلت: اللهم من لم تتقبل حجته من هذا الخلق فاجعل ثواب حجتي له. فأفضنا وبتنا بجمع فرأيت في منامي هاتفاً يهتف بي: تتسخى عليّ وأنا أسخى الأسخياء؟ وعزتي وجلالي ما وقف هذا الموقف أحد قط إلا غفرت له. فانتبهت فرحاً بهذه الرؤيا فرأيت يحيى بن معاذ الرازي فقصصت عليه الرؤيا فقال: إن صدقت رؤياك فإنك تعيش أربعين يوماً فلما كان يوم أحد وأربعين يوماً جاؤوا إلى يحيى بن معاذ فقالوا: إن أبا تراب قد مات فقمنا فغدونا رحمه الله.

---

(١) أبو تراب النخشبي سبقت ترجمته برقم ٤٦٢.

الفصل الخامس
ذكر جماعة من العارفين العراقيين

قال الشيخ: ذكر جماعة من جماهير العارفين من العراقيين اقتصرنا على ذكرهم من دون كلامهم وأخبارهم. منهم من تنسب إليه الكتب المصنفة كأبي سعيد الخزاز وطبقته، ومنهم من رفع الله رايته بما انتشر عنه من كثرة أصحابه وتلامذته رحمة الله علينا وعليهم أجمعين.

٥٥١ ـ أبو إسحاق الآجري

فمنهم أبو إسحاق الآجري إبراهيم بغدادي، له الآيات العجيبة، والكرامات اللطيفة.

عن أبي العباس بن مسروق، وأبي محمد الحريري، وأبي أحمد المغازلي وغيرهم، عن إبراهيم الآجري. قالوا: جاء يهودي يقتضيه شيئاً من ثمن قصب، فكلمه فقال له: أرني شيئاً أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسلم. قال: فقال له: وتفعل؟ قال: نعم. فقال له: هات رداءك. قال: فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار ـ نار تنور الآجر ـ ودخل في أثره فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداء نفسه وهو صحيح وأخرج رداء اليهودي حراقاً أسود من جوف رداء نفسه فأسلم اليهودي.

عن عبدون الزجاج. قال: قال لي إبراهيم الآجري: يا غلام لأن ترد إلى الله عز وجل من همك ذرة، خير لك مما طلعت عليه الشمس.

٥٥٢ - القاسم الجريري

ومنهم القاسم الجريري، كان في حاله مسدداً، ومن أسباب الدنيا مجرداً.

كان بشر بن الحارث يزوره، فيما أخبرت عن عبد الله بن مسلم قال: دخل بشر بن الحارث على القاسم الجريري عائداً في مرضه، فوجد تحت رأسه لبنة طارحاً نفسه على قطعة بازية خلقة، فلما خرج عن عنده قال جيرانه: قد جاورنا ثلاثين سنة فما سألنا حاجة قط.

٥٥٣ - أبو يعقوب الزيات[1]

ومن أقرانه أبو يعقوب الزيات: كان مغتنماً لوقته، مشتغلاً بنفسه، يراعي خطراته، ويشتغل بخلواته. كان جماعة النساك يعظمون حاله.

عن الجنيد بن محمد. قال: دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا فقال: ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إليّ؟ قال الجنيد: فقلت: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لا ننقطع عنه. ففتح الباب فسألته عن مسألة في التوكل، فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابني، فأعطى التوكل حقه، ثم قال: استحييت من الله عز وجل أن أجيبك وعندي شيء. فقلت له: ما قولك في رجل له في كل علم من العلوم حظ، ويحسن القيام بصفات الحق وصفات الخلق؟ ترى مجالسة الناس؟ فقال: إن كنت أنت وإلا فلا.

وذكر يوماً لبعض المريدين: تحفظ القرآن؟ فقال: لا. فقال: واغوثاً بالله. مريد لا يحفظ القرآن كأترجة لا ريح لها. فبما يتنعم فبما

---

(١) أبو يعقوب الزيات له ترجمة أخرى برقم (٦٠٩) كرر فيها ما جاء هنا، فاكتفيت بهذه الترجمة.

يترنم، فبما يناجي ربه، أما تعلم أن عيش العارفين سماع النغم من أنفسهم وغيرهم.

٥٥٤ ـ أبو جعفر بن الكوفي

ومنهم أبو جعفر بن الكوفي رحمه الله تعالى.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يرفع منه جداً، وأنه فاق أقرانه في الاجتهاد وكثرة الأوراد، أكثر نساك بغداد تأدبوا به، وتوارثوا منه شريف الآداب وحميد الأخلاق.

وحدثني عنه جعفر بن محمد بن نصير قال: ذهب إليه يوماً الجنيد بن محمد بصرة دراهم عرضها عليه، فأبى أن يأخذها منه، وذكر غناه عنها. فقال له الجنيد: إن وجدت غنى عنها ففي أخذها سرور رجل مسلم، فأخذها.

ثم سألته فقلت: يرحمك الله الرجل يتكلم في العلم الذي لم يبلغ استعمال كل عمله. كلامه أحب إليك أم سكوته؟ فسكت ساعة مطرقاً رأسه ثم رفع رأسه إليّ فقال: إن كنت هو فتكلم.

قال الشيخ: وكان أبو جعفر بن الكوفي ممن تخرج بأبي عبد الله البراثي الزاهد ومن تلامذته.

عن حكيم بن جعفر. قال: كنا نأتي أبا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد، وكان يسكن براثا، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها: جوهرة، وكان أبو عبد الله يجلس على جلة خوص نجرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبل القبلة في بيت واحد. قال: فأتيناه يوماً، وهو جالس على الأرض ليس تحته الجلة. فقلنا: يا أبا عبد الله ما فعلت الجلة التي كنت تقعد عليها؟. قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني؟ قال: قلت: نعم.

قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها. قال: فقمت والله فأخرجتها.

٥٥٥ ـ أبو هاشم الزاهد

ومنهم أبو هاشم الزاهد، كان إلى الحق وافداً، وعن الخلق حائداً، وفيما سوى الحق زاهداً. من أقران أبي عبد الله بن أبي جعفر البراثي.

عن محمد بن الحسين. قال: حدثني بعض أصحابنا. قال: قال أبو هاشم الزاهد: إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة، ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون إليه بالإعراض عنها. فأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون.

عن حكيم بن جعفر. قال: نظر أبو هاشم إلى شريك ـ يعني القاضي ـ يخرج من دار يحيى بن خالد، فبكى وقال: أعوذ بك من علم لا ينفع.

قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد بن صبيح المؤدب قال: قال أبو هاشم: لفلح الجبال بالأبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب.

وقال أبو هاشم: لو أن الدنيا قصور وبساتين والآخرة أكواخ، لكانت الآخرة أهلاً أن تؤثر على الدنيا، لبقاء تلك ونفاذ هذه.

٥٥٦ ـ العباس بن مساحق

ومنهم العباس بن مساحق المخزومي.

كان في المحبة محمولاً، وإلى المحبوب مرتحلاً ومنقولاً.

عن الوضاح بن حكيم. قال: رأيت على العباس بن مساحق المخزومي عباءة شديدة البلا، فقلت: رحمك الله ما هذه العباءة التي أراها عليك؟ قال: وما أنكرت منها؟ قلت: شدة بلاها. قال: يا ابن حكيم! أولا يمكن في هذه التبلغ إلى الله عز وجل؟ بلى والله، لقد

خرج محبو الله من الدنيا في أشد من هذه الحالة، وما على رجل أن يكون لله محباً وأن عليه مدارع الحديد، والله يا ابن حكيم لقد ذاقوا من حلاوة طاعته والشوق إليه ما سلى قلوبهم عن الدنيا، فلم ينظروا إليها إلا بعين المقت لها، ولم يرجعوا منها إلى طمع بعد معرفتهم بغرورها، إذ سمعوا الله يقول: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] فجفوا والله مضاجعهم، وخربوا من العمارة فروشهم، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم، وعمروا بالأبدان محاريبهم، وبالقلوب درجاتهم.

٥٥٧ ـ عبيد الله العمري

ومنهم المتخلي من الدنيا، المتزود فيها للعقبى، عبيد الله بن عبد الله العمري.

عن عمر بن عبد الله العمري. قال: قرأت على باب دار عبيد الله بن عبد الله مكتوب:

اعمل فأنت من الدنيا على حذر   واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل   محصى عليك وما جمعت موروث

عن أبي جعفر الحذاء. قال: قال العمري: كما أحسنتم الظن بما لم يضمن، فأحسنوا الظن بما قد ضمن.

٥٥٨ ـ علي بن معبد

ومنهم المعاتب بالعتاب، لاستهانته بالتراب. علي بن معبد المنبه بالصواب.

عن هارون بن كامل. قال: سمعت علي بن معبد يقول: كتبت كتاباً فأخذت طيناً من حائط، فوقع في نفسي منه شيء، فقلت:

---

(١) سورة محمد، الآية (٣٦).

تراب، وما تراب، فرأيت فيما يرى النائم كأني يقال لي: سيعلم الذي يقول: وما تراب.

٥٥٩ ـ عابد مجهول

ومنهم النازح عن الأناس والأشخاص، المادح لمؤنسه بما أولاه من المحبة والإخلاص.

عن ذي النون المصري. قال: بينا أنا أسير في جبال لكام، إذ مررت على واد كثير الأشجار والنبات، فبينا أنا واقف أتعجب من حسن زهراته، وخضرة العشب في جنباته، ومن تناغي الأطيار بحنين في أفنيته، ومن خرخرة الماء على رضراضه، ومن جولان الوحش في أنديته، ومن صوت عواصف الرياح الذارية في أغصان شجراته، إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي، وهيج لما نطق به بلابل حزني.

قال ذو النون: فاتبعت الصوت، حتى أوقعني بباب مغارة في سفح ذلك الوادي، فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة، فاطلعت فيه، فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد، وذوي العزلة والانفراد، فسمعته وهو يقول: سبحان من أمرح قلوب المشتاقين في زهرة رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة، فهي لا تحن إلا إليه. ثم أمسك. قال ذو النون: فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان، وقرين الأشجان، ويا من ألف السكن وطول الظعن عن مفارقة الصبر والعزاء. قال: فأجابني وهو يقول: وعليك السلام أيها الرجل، ما الذي أوصلك إلى مكان من قد أفرده خوف المسألة عن الأنام، ومن هو مشتغل بما فيه من محاسبته لنفسه عن التصنع في الكلام؟ فقلت: أوصلني إليك الآثار، والرغبة في الصفح والاعتبار، فقال لي: يا فتى إن لله عباداً قدح في قلوبهم زند الشغف بنار الرمق، فأرواحهم بشدة الاشتياق إلى الله تسرح في

الملكوت، وبأبصار أحداق القلوب ينظرون إلى ما ذخر لهم في حجب الجبروت.

قلت: يرحمك الله صفهم لي. فقال: أولئك أقوام أووا إلى كنف رحمته.

ثم قال: سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم فوفقني، فقد نالوا ما أرادوا لأنك كنت لهم مؤدباً، ولعقولهم مؤبداً.

فقلت: يرحمك الله ألا توصني بوصية أحفظها عنك؟ قال: أحب الله شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه. ثم أنشأ يقول:

قد كان لي دمع فأفنيته وكان لي جفن فأدميته
وكان لي جسم فأبليته وكان لي قلب فأضنيته
وكان لي يا سيدي ناظر أرى به الحق فأعميته
عبدك أضحى سيدي مدنفاً لو شئت قبل اليوم داويته

٥٦٠ ـ علي بن رزين

[ت٢٢٥هـ]

ومنهم الممكن المكين، أبو الحسن علي بن رزين.

كان عن الأطعمة والأشربة معدولاً، وفي المشاهدة مقبولاً ومحمولاً، تخرج به أبو عبد الرحمن المغربي أستاذ إبراهيم بن شيبان.

٥٦١ ـ عمرو النيسابوري

[ت٢٦٧هـ]

ومنهم أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابوري. وقيل عمر.

كان أحد المتحققين له الفتوة الكاملة، والمروءة الشاملة، تخرج به عامة الأعلام النيسابوريون. منهم أبو عثمان النيسابوري. وشاه

الكرماني. صحب عبيد الله الأباوردي. وكان من رفقاء أحمد بن خضروية المروزي. توفي سنة سبع، وقيل: أربع وستين ومائتين.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبي يقول: قال أبو حفص: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

قال: وكان لا يذكر الله إلا على الحضور وتعظيم الحرمة، فإذا ذكر الله عز وجل تغير عليه حاله، فإذا رجع قال: ما أبعد ذكرنا عن ذكر المحققين، فما أظن أن من ذكر الله عز وجل حاضراً من غير غفلة يبقى بعد ذكره حياً إلا الأنبياء، فإنهم مؤيدون بقوة النبوة. وخواص الأولياء مؤيدون بقوة الولاية.

سمعت أبا بكر بن حمدان يقول: كان أبو حفص حداداً، فكان غلامه يوماً ينفخ عليه الكير فأدخل يده في النار وأخرج الحديد من النار، فغشي على غلامه. وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا حفص يقول: تركت العمل فرجعت إليه، وتركني العمل فلم أرجع إليه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال، وكان يقول: من نعت الفقير الصادق أن يكون في كل وقت بحكمه، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت عبد الرحمن بن الحسين يقول: اجتمع مشايخ بغداد عند أبي حفص وسألوه عن الفتوة فقال: تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان. فقال

الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف. وترك مطالبة الإنصاف فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته. قال: وكان أبو حفص يقول: من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسي، لاحتقارها واحتقار نفسي عندي.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت أبا حفص يقول: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.

وقال أبو حفص الحداد: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي ﷺ قال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه)[١].

وسئل أبو حفص: من الرجال؟ فقال: القائمون مع الله بوفاء العهود. قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٢].

وسئل أبو حفص عن العبودية فقال: ترك ما لك والتزام ما أمرت به.

٥٦٢ ـ حمدون بن أحمد

[ت٢٧١هـ]

قال الشيخ: ومن أقران أبي حفص من شيوخ نيسابور الشيخ الصالح أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة.

صحب أبا تراب النخشبي، وكان فقيهاً على مذهب الثوري. وهو شيخ الملامتيين.

عن عبد الله بن محمد بن منازل. قال: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام،

---

(١) أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف. كما قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

ونجاة النفوس، ورضاء الرحمن. ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق.

قال عبد الله: وسأله يوماً أبو القاسم المنادي عن مسألة فقال له: أرى في سؤالك قوة وعزة نفس، تظن أنك قد بلغت بهذا السؤال الحال الذي تخبر عنه، أين طريقة الضعف والفقر والتضرع والالتجاء؟ وعندي أن من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبر.

وقال له عبد الله بن منازل يوماً: أوصني. قال: إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل.

وقال: من أصبح وليس له همّ طلب قوت من حلال، وهمّ ما جرى عليه في سابق العلم له وعليه، فإنه يتفرغ إلى كل شيء.

وقال: كفايتك تساق إليك ميسراً من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول.

❋ ❋ ❋

عن محمد بن أحد التميمي. قال: سمعت أحمد بن حمدون يقول: سمعت أبي يقول: ـ وسئل عن طريق الملازمة ـ فقال: خوف القدرية، ورجاء المرجئة.

وقال: لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه.

وقال: لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية، ويتحمد إلى من لا يملك ضره ولا نفعه.

عن عبد الله بن منازل. قال: سئل حمدون: من العلماء؟ قال: المستعملون لعلمهم، والمتهمون آراءهم، والمقتدون بسير السلف، والمتبعون لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، لباسهم الخشوع، وزينتهم الورع، وحليتهم الخشية، وكلامهم ذكر الله، أو أمر بمعروف أو نهي

عن منكر، وصمتهم تفكر في آلاء الله ونعمه. نصيحتهم للخلق مبذولة، وعيوبهم عندهم مستورة، يزهدون الخلق في الدنيا بالإعراض عنها، ويرغبونهم في الآخرة بالحرص على طلبها.

قال: وتسفه عليه رجل فسكت حمدون، وقال: يا أخي لو نقصتني كل نقص لم تنقصني كنقصي عندي. ثم قال؛ تسفه رجل على إسحاق الحنظلي فاحتمله وقال: لأي شيء تعلمنا العلم؟.

وقال: أنت عبد ما لم تطلب من يخدمك، فإذا طلبت خادماً خرجت من العبودية.

وقال: للخلق في يوسف عليه السلام آيات، وليوسف في نفسه آية وهي أعظم الآيات: معرفته بمكر النفس وخدعها حين قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1] وقال: قد أخبر الله تعالى عن حقيقة طباع الخلق فقال: لو ملكتم ما أملكه من فنون الرحمة وخزائن الخير لغلب عليكم سوء طباعكم في الشح والبخل. وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾[2].

٥٦٣ ـ محمد بن الفضل

قال الشيخ: ومن حكماء المشرق من المتأخرين جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن الفضيل بن العباس. بلخي الأصل، سكن سمرقند. صحب أحمد بن خضروية المروزي. وسمع الحديث الكثير من قتيبة بن سعيد ومن في طبقته.

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي ـ بنيسابور ـ يقول:

---

(١) سورة يوسف، الآية (٥٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١٠٠).

سمعت محمد بن الفضل يقول: الرحمن هو المحسن إلى البر والفاجر.

وقال: ذهاب الإسلام من أربعة: أولها لا يعملون بما يعلمون. والثاني يعملون بما لا يعلمون. والثالث لا يتعلمون ما لا يعلمون. والرابع يمنعون الناس من التعلم.

وقال: الدنيا بطنك، فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا.

وقال: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا ينقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه؟.

❋ ❋ ❋

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال محمد بن الفضل: أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها، ولا بدَّ له منها، فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته نفسه ذل.

وقال محمد بن الفضل: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

وقال: العارف يدافع عيشه يوماً بيوم، ويأخذ عيشه يوماً بيوم.

٥٦٤ ـ محمد بن علي الترمذي

ومنهم أبو عبد الله الترمذي محمد بن علي بن الحسن.

صحب أبا تراب النخشبي، ولقي يحيى بن الجلاء. له التصانيف المشهورة. كتب الحديث، مستقيم الطريقة. يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين. تابع للآثار.

عن أحمد بن محمد بن عيسى. قال: حدثني أبو عبد الله محمد ابن علي الترمذي قال: نور المعرفة في القلب، وإشراقه في عيني الفؤاد في الصدر، فبذكر الله يرطب القلب ويلين. وبذكر الشهوات واللذات يقسو القلب وييبس. فإذا شغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات كان بمنزلة شجرة إنما رطوبتها ولينها من الماء، فإذا منعت الماء يبست عروقها وذبلت أغصانها، وإذا منعت السقي وأصابها حر القيظ يبست الأغصان، فإذا مددت غصناً منها انكسر، فلا يصلح إلا للقطع فيصير وقود النار. فكذلك القلب إذا يبس وخلا من ذكر الله، فأصابته حرارة النفس، ونار الشهوة، وامتنعت الأركان من الطاعة، فإذا مددتها انكسرت، فلا تصلح إلا أن تكون حطباً للنار. وإنما يرطب القلب بالرحمة، وما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك. فهذا هو الأصل.

والعبد ما دام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر، فإذا قحط فالصدر في ذلك الوقت كالسنة الجدباء اليابسة وحريق الشهوات فيها كالسمائم، والأركان معطلة عن أعمال البر، فدعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس، رحمة منه عليهم، وهيأ لهم فيها ألوان العبادة، لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه، والأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة، فهي عرس الموحدين، هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات، حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار.

فإن الله اختار الموحدين ليباهي بهم يوم الجمع الأكبر في تلك العرصات الملائكة، لأن آدم وولده ظهر خلقهم من يده بالمحبة والملائكة ظهر خلقهم من القدرة، لقوله: كن فكان. فمن محبته للآدميين يفرح بتوبتهم.

خلقهم والشهوات والشياطين في دار الابتلاء، ليباهي بهم في

ذلك الجمع ويقول: يا معشر ملائكتي إن محاسنكم خرجت منكم، ومن النور خلقتكم، وأنتم في أعالي المملكة تعاينون عظمتي وحجتي وسلطاني، وقد عريتم من الشهوات والشياطين، والآدميون خرجت منهم هذه المحاسن من نفوسهم الشهوانية ـ والشياطين قد أحاطت بهم في أداني المملكة ـ ومن التراب خلقتهم، فلذلك استوجبوا مني داري وجواري.

عن منصور بن عبد الله. قال: قال محمد بن علي الترمذي: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره.

وقال محمد: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر، لأن من برَّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك.

عن الحسن بن علي. قال: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل.

وقال: الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد، أما الملوك فتجملوا بها، وأما الزهاد فنظروا إليها وأبصروا آفتها فتركوها.

قال: وسئل محمد بن علي عن الخلق فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة.

وقال: اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

٥٦٥ ـ أبو بكر الوراق

ومنهم الحكيم أبو بكر محمد بن عمر الوراق البلخي. له الكتب في المعاملات.

عن أبي بكر بن أحمد بن سعيد. قال: سمعت أبا بكر الوراق يقول: شكر النعمة مشاهدة المنة.

عن أحمد بن مزاحم. قال: سمعت أبا بكر الوراق يقول: للقلب ستة أشياء: حياة، وموت، وصحة، وسقم، ويقظة، ونوم. فحياته الهدى، وموته الضلالة، وصحته الطهارة والصفاء، وعلته الكدورة والعلاقة، ويقظته الذكر، ونومه الغفلة. ولكل واحد من ذلك علامة، فعلامة الحياة الرغبة والرهبة والعمل بها، . والميت بخلاف ذلك. وعلامة الصحة اللذة، والسقم بخلاف ذلك. وعلامة اليقظة السمع والبصر، والنائم بخلاف ذلك.

عن غيلان السمرقندي. قال: سمعت أبا بكر الوراق يقول: من اكتفى بالكلام دون الزهد تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الكلام والفقه ابتدع. ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق. ومن تفنن في هذه الأمور كلها تخلص.

قال: ودخل على أبي بكر الوراق رجل فقال: إني أخاف من فلان. فقال: لا تخف منه، فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه.

عن أبي بكر بن أحمد البلخي. قال: سمعت أبا بكر الوراق يقول: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل. ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان.

وقال أبو بكر: العبد لا يستحق اليقين، حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله مراده لا غيره، ويؤثر الله على ما سواه. واليقين نور يستضيء به العبد في أحواله فيبلغه إلى درجات المتقين.

٥٦٦ ـ شاه الكرماني

[ت بعد ٢٧٠هـ]

ومنهم أبو الفوارس الكرماني شاه بن شجاع.

تعرى من الأغراض، تحرزا من الأعراض، كان من أبناء الملوك، وتشمر للسلوك، تخفف للاستباق متحققاً بالاشتياق.

صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري. كان ظريفاً في الفتوة، عريفاً في المروءة.

عن أبي عمرو بن نجيد. قال: قال شاه الكرماني: شغل العارف بثلاثة أشياء: بالنظر إلى معبوده، مستأنساً به ملاحظاً لمننه وفوائده، شاكراً له معترفاً به، ومنيباً تائباً إليه.

عن أبي علي الأنصاري. قال: قال شاه الكرماني: من عرف ربه طمع في عفوه ورجا فضله.

وقال: الفتوة من طباع الأحرار، واللؤم من شيم الأنذال. وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون، لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله.

عن أبي عمرو بن نجيد. قال: كان شاه الكرماني بن شجاع حاد الفراسة، وقلما أخطأت فراسته.

وكان يقول: من شخص بصره عن المحارم، وأمسك عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، لم تخطئ فراسته.

قال: وكان يقول: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم.

عن محفوظ. قال: كان شاه يأمر أصحابه أن يظهروا له ما يجري على سرهم، ثم كان يداوي كل واحد منهم بدوائه، ويقول: ليس بعاقل من كتم الطبيب علته.

عن ابن النجيد. قال: قال شاه الكرماني: من صحبك ووافقك على ما تحب، وخالفك فيما يكره، فإنما يصحب هواه. ومن صحب هواه فهو يطلب راحة الدنيا.

عن ابن نجيد. قال: قال شاه الكرماني: علامة الركون إلى الباطل، التقرب إلى المبطلين.

عن أبي علي الأنصاري. قال: سمعت شاه بن شجاع يقول: الفضل لأهل الفضل ما لم يَرَوْه، فإذا رأوه فلا فضل لهم. والولاية لأهل الولاية ما لم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم.

وقال: المعجب بنفسه محجوب عن ربه.

٥٦٧ ـ يوسف الرازي

ومنهم المتخلي من رؤية الناس، المتحلي بالإخلاص خيفة رب الناس، تارك للتزين والتصنع، مفارق للتلون والتمتع، أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي.

كان وحيداً فريداً، وعلى المتنطعين شديداً. صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشبي، وأبا سعيد الخزاز.

عن أبي جعفر الرازي. قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: علم القوم بأن الله يراهم فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه، ومن ذكر الله بحقيقة ذكره نسي ذكر غيره، ومن نسي ذكر كل شيء في ذكره حفظ عليه كل شيء. إذ كان الله له عوضاً من كل شيء.

قال: وقال رجل ليوسف: دلني على طريق المعرفة. فقال: أرِ الله الصدق منك في جميع أحوالك، بعد أن تكون موافقاً للحق، ولا ترقَ إلى حيث لم يرق بك، فتزل قدمك، فإنك إذا رقيت سقطت، وإذا رُقيَ بك لم تسقط. وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظناً.

عن أبي بكر الرازي. قال: قال يوسف بن الحسين: عارضني بعض الناس في كلام وقال لي: لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب. فقلت مجيباً له: لو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أني أنجو بها من ربي. ولو أن الصدق والإخلاص كانا لي عبدين لبعتهما، زهداً مني فيهما، لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيداً مقبولاً، لم أتخلف باقتراف الذنوب والمأثم، وإن كنت عنده شقياً مخذولاً لم تسعدني توبتي وإخلاصي وصدقي، وإن الله تعالى خلقني إنساناً بلا عمل ولا شفيع كان لي إليه، وهداني لدينه الذي ارتضاه ومن ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] الآية ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[2] الآية. فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي - إن كنت حراً عاقلاً - من اعتمادي على أفعالي المدخولة، وصفاتي المعلولة، لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل.

سمعت أبا بكر الرازي بنيسابور يقول: قال يوسف بن الحسين: في الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال. والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه.

وقال: بالأدب يفهم العلم، وبالعلم يصح العمل، وبالعمل تنالك الحكمة، وبالحكمة يفهم الزهد ويوفق له، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا يرغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة ينال رضا الله عز وجل.

سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال يوسف بن الحسين: إذا رأيت الله قد أقامك لطلب شيء وهو يمنعك ذلك، فاعلم أنك معذب. وقال: يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجري الله لك من الطاعات.

---

(١) سورة النساء، الآية (١١٥) وأولها (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع..).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

عن أبي بكر الرازي. قال: قال يوسف بن الحسين: نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أوتوا. ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وإرفاق النسوان.

عن يوسف بن الحسين. قال: سألت ذا النون: من أجالس؟ قال: جالس من الناس من تقهرك هيبته وتخوفك في السر والعلانية رؤيته، ويخبرك عن نفسك بالذي هو أعلم به منك. ونحو هذا. إلا أن كلامه دلني على مجالسة من تقع علي هيبته.

قال يوسف: وقيل لذي النون: أين مجلس الآمنين؟ فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال يوسف: وسألت ذا النون يوماً من الأيام: من أصحب؟ قال: لا تصحب من ينخدع بغيرك. قال يوسف: فعرضت هذه الكلمة على طاهر المقدسي فقال: نهاك عن صحبة الخلائق بأسرها.

قال: وسمت يوسف يقول: زار ذو النون أخاً له في شقة بعيدة، فقال ذو النون: ما بعد طريق أدى إلى صديق، ولا ضاق مكان من حبيب.

قال: وسمعت ذا النون وقيل له: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهون علي المصنوع.

٥٦٨ ـ سعيد بن إسماعيل

[ت٢٩٨هـ]

ومنهم العارف الفاصح. والعابد الناصح. كان بالحكم منطقياً فصيحاً للمريدين شفيقاً نصيحاً، علمهم الآداب الرفيعة، ونبههم على ملازمة الشريعة. كان إلى موافقة الحق مجذوباً وعن حظوظ النفس مطهراً مسلوباً، أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري.

رازي المولد، خرج زائراً إلى أبي حفص النيسابوري مع شيخه شاه الكرماني، فقبله أبو حفص وحبسه عنده، وصار له سكناً، وعلى ابنته ختنا. كان حميد الأخلاق بمديد الإرفاق. بقيت بركته وآثاره على أهل نيسابور. وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين، فيما ذكره لي أبو عمرو بن حمدان، وأنه حضر الصلاة عليه ودفن بمقبرة الحيرة عند قبر أستاذه أبي حفص النيسابوري، وزرت قبريهما سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[1].

عن محمد بن الفضل البلخي. قال: إن الله تعالى زين أبا عثمان بفنون عبوديته، وأبرزه للناس ليعلمهم آداب العبودية.

عن ابن نجيد. قال: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

سمعت محمد بن أحمد بن عثمان يقول: سمعت أبا عثمان يقول: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم.

عن أبي أحمد بن حمدان. قال: سمعت أبا عثمان يقول: صلاح القلب من أربع خصال: التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله والرجاء لله.

قال: وسمعت أبا عثمان يقول: لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء: في المنع، والعطاء، والعز، والذل.

---

(١) سورة النور، الآية (٥٤).

قال: وسمعت أبا عثمان يقول: أهل العداوة من ثلاثة أشياء: من الطمع في المال، والطمع في إكرام الناس، والطمع في قبول الناس.

قال: وسمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى.

وقال أبو عثمان: سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله عن قلبك. وخوفك من غير الله أذهب خوفك من الله عن قلبك. ورجاؤك ممن دونك أذهب رجاءك له عن قلبك.

وقال أبو عثمان: حق لمن أعزه الله بالمعرفة، أن لا يذل نفسه بالمعصية.

وقال أبو عثمان: أصل التعلق بالخيرات قصور الأمل.

وقال أبو عثمان: أنت مسجون ما تبعت مرادك وشهوتك. فإذا فوضت وسلمت استرحت.

❁ ❁ ❁

عن عبد الله الرازي. قال: لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر، رياء باطن في القلب.

❁ ❁ ❁

عن الحسين الوراق. قال: سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال:

الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة.

والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم.

والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة.

والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق.

والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثماً.

والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم. ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به.

❁ ❁ ❁

عن محمد بن أحمد بن يوسف. قال: سمعت أبا عثمان يقول: تعززوا بعز الله كي لا تذلوا.

وقال أبو عثمان: العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها. والتفويض ردُّ ما جهلت علمه إلى عالمه. والتفويض مقدمة للرضا، والرضا باب الله الأعظم. الذكر الكثير أن تذكره في ذكرك له، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.

عن محفوظ. قال: سئل أبو عثمان: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً. وعلامة الشقاوة أن تعصي الله وترجو أن تكون مقبولاً.

٥٦٩ ـ أحمد بن عيسى

[ت٢٧٧هـ]

ومنهم العارف المعروف الكامل. بالبيان موصوف. له الكتب المذكورة والأجوبة المشهورة. أبو سعيد الخزاز أحمد بن عيسى[(١)].

صحب ذا النون ونظراءه. انتشرت بركاته على أصحابه ومتبعيه. سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء.

---

(١) الذي في صفة الصفوة: الخرّاز، وهي هنا: الخزاز. وقال في الصفوة: توفي سنة سبع وسبعين وقيل ست وثمانين ومائتين.

عن العباس بن أحمد الرملي. قال: قال أبو سعيد الخزاز: المعرفة تأتي القلب من وجهين: من عين الجود، ومن بذل المجهود.

عن أبي بكر الدقاق. قال: سمعت أحمد بن عيسى يقول: فارقوا الأشياء على الأحكام والوداع، تفرغ قلوبكم لما تستقبلون، فإنه من فارق شيئاً ولم يحكمه فإنه راجع إليه وقتاً لا محالة، لما بقي عليه منه. وفيما تستقبلون شغل عما تخلفون.

عن ابن الكاتب. قال: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن، فعيش أبدانهم عيش الجانين وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان، لسان في الباطن يعرفهم صنع الصانع في المصنوع. ولسان في الظاهر يعلمهم علم المخلوقين. فلسان الظاهر يكلم أجسامهم. ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

عن أبي بكر الدقاق. قال: انتبه يوماً أبو سعيد الخزاز من غفوته وقال: اكتبوا ما وقع لي في هذه الغفوة: إن الله جعل العلم دليلاً عليه ليعرف. وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف. فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات. والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف. فالمعرفة تقع بتعريف الحق. والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجري الفوائد بعد ذلك.

عن أبي سعيد السكري. قال: سمعت أبا سعيد الخزاز، يقول: كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

عن محمد بن علي الكتاني. قال: سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة، وأنباء عجيبة، يتكلمون بها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

عن أبي العباس الطحان. قال: قال أبو سعيد الخزاز: المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء، ولا يتسلى عنه بشيء، ويتبع آثاره ولا يدع استخباره وأنشدنا:

أسائلكم عنها فهل من مخبِّر ... فمالي بنعم مذنأت دارها علم
فلو كنت أدري أين خيَّم أهلها ... وأيَّ بلاد الله إذ ظعنوا أموا
إذاً لسلكنا مسلك الريح خلفها ... ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

عن أبي بكر الكتاني، وأبي الحسن الرملي. قالا: سألنا أبا سعيد الخزاز فقلنا: أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله.

فقال: التوبة وذكر شرائطها، ثم ينقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف. ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين. ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين، ومن مقام المحبين إلى مقام المشتاقين، ومن مقام المشتاقين إلى مقام الأولياء، ومن مقام الأولياء إلى مقام المقربين. وذكروا لكل مقام عشر شرائط، إذا عاناها وأحكمها، وحلَّت القلوب هذه المحلة، أدمنت النظر في النعمة، وفكرت في الأيادي والإحسان، فانفردت النفوس بالذكر، وجالت الأرواح في ملكوت عزه بخالص العلم به، واردة على حياض المعرفة، إليه صادرة، ولبابه قارعة، إليه في محبته ناظرة. أما سمعت قول الحكيم وهو يقول:

أراعي سواد الليل أنساً بذكره ... وشوقاً إليه غير مستكره الصبر
ولكن سروراً دائماً وتعرضاً ... وقرعاً لباب الرب ذي العز والفخر

فحالهم أنهم قربوا فلم يتباعدوا، ورفعت لهم منازل فلم يخفضوا، ونورت قلوبهم لكي ينظروا إلى مُلْكِ عدن بها ينزلون، فتاهوا بمن يعبدون، وتعززوا بمن به يكتفون، حلوا فلم يظعنوا، واستوطنوا محلته فلم يرحلوا، فهم الأولياء وهم العاملون، وهم

الأصفياء وهم المقربون، أين يذهبون عن مقام قرب هم به آمنون؟ وعزوا في غرف هم بها ساكنون، جزاء بما كانوا يعملون، فلمثل هذا فليعمل العاملون.

عن أبي الحسن الرازي. قال: قال أبو سعيد الخزاز: كل ما فاتك من الله سوى الله يسير، وكل حظ لك سوى الله قليل.

وقال: الناس في الفرح بالله على أربع طبقات: إنما هو المعطي والمعطى والإعطاء والعطاء، فمن الناس من فرح بالمعطي، ومنهم من فرح بالمعطى ـ وهو نفسه ـ ومنهم من فرح بالإعطاء، ومنهم من فرح بالعطاء. فينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطي، ولذتك في اللذات بخالق اللذات، وتنعمك في النعم بالمنعم دون النعم، لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب، ورؤية النعمة عند رؤية المنعم حجاب.

٥٧٠ ـ أحمد النوري

ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد المعروف بالنوري أحد الأئمة، له اللسان الجاري بالبيان الشافي عن أسرار المتوجهين إلى الباري، لقي أحمد بن أبي الحواري وصحب سرياً السقطي. يعرف بابن البغوي.

سمعت عبد المنعم بن حيان يحكي عن أبي سعيد الأعرابي محنته وغيبته عن إخوانه في أيام محنة غلام الخليل، وأنه أقام بالرقة سنين متخلياً عن الإيناس، ثم عاد بعد المدة المديدة إلى بغداد، وفقد أناسه وجلاسه وأشكاله، وانقبض عن الكلام لضعف في بصره وانحلال في جسمه وقوته.

سمعت عمر البناء ـ البغدادي بمكة ـ يحكي: لما كانت محنة غلام الخليل ونسب الصوفية إلا الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم،

فأخذ في جملة من أخذ النوري في جماعة، فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فتقدم النوري مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه، فقال له السياف: ما دعاك إلى الابتدار إلى القتل من بين أصحابك؟ فقال: آثرت حياتهم على حياتي هذه اللحظة فتوقف السياف والحاضرون عن قتله، ورفع أمره إلى الخليفة. فرد أمرهم إلى قاضي القضاة ـ وكان يلي القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق ـ فقدم إليه النوري فسأله عن مسائل في العبادات والطهارة والصلاة. فأجابه ثم قال له: وبعد هذا لله عباد يسمعون بالله وينظرون بالله ويصدرون بالله، ويردون بالله، ويأكلون بالله، ويلبسون بالله. فلما سمع إسماعيل كلامه بكى بكاء طويلاً ثم دخل على الخليفة فقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فليس في الأرض موحد فأمر بتخليتهم. وسأله السلطان يومئذ من أين يأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التي يستجلب بها الأرزاق، نحن قوم مدبَّرون.

وقال: من وصل إلى وده أنس بقربه، ومن توصل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.

عن جعفر بن الزبير الهاشمي: أن أبا الحسين النوري دخل يوماً الماء فجاء لص فأخذ ثيابه. فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلاً حتى رجع إليه اللص معه ثيابه، فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه. فرد الله عليه يده ومضى.

عن فارس الجمال، عن النوري. قال: كانت المراقع غطاء على الدر، فصارت مزابل على جيف.

عن أبي محمد المرتعش. قال: سمعت أبا الحسن النوري يقول ويوصي بعض أصحابه ـ: عشرة وأي عشرة، احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك:

فأولى ذلك: من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنَّ منه.

والثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربنَّ منه.

والثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربن منه، ولا ترتفق به، وإن أرفقك، ولا ترج له فلاحاً.

والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا، إن مت جوعاً فلا تقربنَّ منه ولا ترتفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحاً.

والخامسة: من رأيته مستغنياً بعلمه فلا تأمن جهله.

والسادسة: من رأيته مدعياً حالة باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره، فاتهمه على دينه.

والسابعة: من رأيته يرضى عن نفسه، ويسكن إلى وقته، فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر.

والثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجونَّ خيره.

والتاسعة: فقير لا تراه عند السماع حاضراً فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه.

والعاشرة: من رأيته مطمئناً إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه، مدعياً لكمال الخلق بذلك، فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته.

٥٧١ ـ الجنيد بن محمد الجنيد

[ت٢٩٨هـ]

ومنهم المربي بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص

الإيقان، وثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب، والعامل بحلم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب، أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، كان كلامه بالنصوص مربوطاً، وبيانه بالأدلة مبسوطاً. فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج الكافي، ولزومه للعمل الوافي.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد، وأبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقولان: سمعنا أبا القاسم الجنيد بن محمد غير مرة يقول: علمُنا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور، فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي، وخاله السري بن مغلس فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله.

قرأت على أبي الحسن محمد بن علي بن حبيش الناقد الصوفي صاحب أبي العباس بن عطاء ببغداد ـ سنة تسع وخمسين وثلثمائة من كتابه فأقر به. قلت: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول:

إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان أحدثه، وكيف كان أوله، وكيف أحدث بعد موته، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، فيعرف المربوب ربه، والمصنوع صانعه، والعبد الضعيف سيده، فيعبده ويوحده، ويعظمه ويدل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه، ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليه.

والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته، لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله، وأفعاله التي أخلصها لنفسه أن يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يسقم ولا يبري، ولا يرفع ولا يضع، ولا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي، ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله.

فقد سئل بعض العلماء فقيل له: بين التوحيد وعلمنا ما هو. فقال: هو اليقين. فقيل له: بين لنا، فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونها فعل الله وحده لا شريك له، فإذا فعلت ذلك فقد وحدته. وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحداً في أفعاله، إذا كان ليس شيء يفعل أفعاله، وإنما اليقين اسم للتوحيد إذا تم وخلص. وإن التوحيد إذا تم، تمت المحبة والتوكل وسمي يقيناً.

فالتوكل عمل القلب، والتوحيد قول العبد، فإذا عرف القلب التوحيد، وفعل ما عرف فقد تم.

وقد قال بعض العلماء: إن التوكل نظام التوحيد.

فإذا فعل ما عرف فقد جاء بالمحبة واليقين والتوكل، وتم إيمانه، وخلص فرضه، لأنك إذا عرفت أن فعل الله لا يفعله شيء غير الله ثم تخاف غيره وترجو غيره، لم تأت بالأمر الذي ينبغي، فلو عملت ما عرفت لرجوت الله وحده حين عرفت أنه لا يفعل فعله غيره، فالقول فيمن يقصر علم قلبه أنه ناقص التوحيد، لأن القلب مشتغل بالفتنة التي هي آفة التوحيد.

قلت: ما هو؟ قال: ظنك أن شيئاً يفعل فعل الله، فاسم ذلك الظن فتنة. والفتنة هي الشرك اللطيف.

قلت: أو ليس الفتنة من أعمال القلب؟ قال: لا، ولكنها داخلة عليه ومفسدة له.

قلت: وما هي؟ قال: ظنك بالله، إذ ظننت أن من يشاء يفعل فعله، والكلام في هذا يطول، ولكن من يفهم يقنع باليسير.

❁ ❁ ❁

عن عبد الواحد بن علوان. قال: سمعت الجنيد يقول فيما

يعظني به: يا فتى الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد، ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفد، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1].

عن محمد بن إبراهيم. قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار.

عن الحسين بن يحيى الفقيه الأسفيعاني. قال: سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

❁ ❁ ❁

وقرأت على محمد بن علي بن حبيش فقلت: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: سألت عن المعرفة وأسبابها، فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة، لأن المعروف بها واحد، ولكن لها أول وأعلى.

فالخاصة في أعلاها، وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية، إذ لا غاية للمعروف عند العارفين، وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة، ولا تحيط به العقول، ولا تتوهمه الأذهان، ولا تكيفه الرؤية. وأعلمُ خلقه به أشدهم إقراراً بالعجز عن إدارك عظمته، أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله، إذ هو القديم وما سواه محدث، وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ، وإذ هو الإله وما سواه مألوه، وإذ هو القوي من غير مقو، وكل قوي فبقوته قوي، وإذ هو

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧).

العالم من غير معلم، ولا فائدة استفادها من غيره، وكل عالم فبعلمه علم. سبحانه الأول بغير بداية، والباقي إلى غير نهاية، ولا يستحق هذا الوصف غيره، ولا يليق بسواه، فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية.

والعامة من المؤمنين في أولها ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها، وعلى أدناها. فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله، وخلع الأنداد من دونه، والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه. والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه واتقاؤه في كل وقت، وإيثاره في جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق، واجتناب ما لا يقرب منه.

فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال، والقدرة النافذة والعلم المحيط، والجود والكرم والآلاء، فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته، ونفاذ قدرته، وأليم عذابه وشدة بطشه، وجزيل ثوابة وكرمه وجوده بجنته وتحننه، وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه، ورأفته ورحمته. فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم، فأجلوه وهابوه وأحبوه، واستحيوا منه وخافوه ورجوه، فقاموا بحقه واجتنبوا كل ما نهى عنه، وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم، أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره وقدر ثوابه وعقابه، فهم أهل الخاصة من أوليائه.

فلذلك قيل: فلان بالله عارف، وفلان بالله عالم، لما رأوه مجلا هائبا راهباً راجياً طالباً مشتاقاً ورعاً متقياً باكياً حزيناً خاضعا متذللاً فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من عوام المسلمين.

وكذلك وصفهم الله فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1] وقال داود عليه السلام: إلهي ما علم من لم يخشك.

فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة، فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب، صارت يقيناً قوياً، فكملت حينئذ أخلاق العبد، وتطهر من الأدناس، فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال، والتذكر والتفكر في الخلق كيف خلقهم، وأتقن صنعتهم، وفي المقادير كيف قدرها فاتسقت على الهيئات التي هيأها، والأوقات التي وقتها، وفي الأمور كيف دبرها على إرادته ومشيئته، فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته، والاتساق على مشيئته.

وقد قال بعض أهل العلم: إن النظر في القدرة يفتح باب التعظيم لله في القلب. ومر بعض الحكماء بمالك بن دينار فقال له مالك: عظنا رحمك الله. فقال: بم أعظك؟ إنك لو عرفت الله أغناك ذلك عن كل كلام، لكن عرفوه على دلالة أنهم لما نظروا في اختلاف الليل والنهار، ودوران هذا الفلك، وارتفاع هذا السقف بلا عمد ومجاري هذه الأنهار والبحار، علموا أن لذلك صانعاً ومدبراً لا يعزب عنه مثقال ذرة من أعمال خلقه فعبدوه بدلائله على نفسه، حتى كأنهم عاينوه، ففي ذلك دليل أنهم بعظيم قدره أعرف وأعلم، إذ هم له أجل وأهيب.



سمعت علي بن هارون يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: ـ وقرأه علينا في كتاب كتب به إلى بعض إخوانه ـ: اعلم رضي الله عنك أن أقرب ما استدعي به قلوب المريدين، ونبه به قلوب الغافلين، وزجرت عنه نفوس المتخلفين، ما صدقته من الأقوال جميعُ ما اتبع به من الأفعال، فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلى أمر لا

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨).

يكون عليه شعاره،ولا تظهر منه زينته وآثاره. وألا يكون قائله عاملاً فيه بالتحقيق، وبكل فعل بذلك القول يليق، وأفِكَ من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين، وأمر بالترك وكان من الآخذين، وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين، وحث على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين، إلا قلَّ قبول المستمعين لقيله، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله، وكان حجة لمن جعل التأويل سبباً إلى اتباع هواه، ومسهلاً لسبيل من آثر آخرته على دنياه.

أما سمعت الله تعالى يقول: وقد صف نبيه شعيباً وهو شيخ الأنبياء، وعظيم من عظماء الرسل والأولياء، وهو يقول: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾[1] وقول الله جل ذكره لمحمد المصطفى ﷺ ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾[2] وأمر الله له بالدعاء إليه بقوله عز من قائل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[3] فهذه سيرة الأنبياء والرسل والأولياء.

والذي يجب يا أخي على من فضَّله الله بالعلم به، والمعرفة له، أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال، وأن يصدق القولَ منه الفعلُ بذلك أولاً عند الله ويحظى به من اتبعه آخراً.

واعلم يا أخي أن لله ضنائن من خلقه أودع قلوبهم المصون من سره، وكشف لهم من عظيم أثرهم به من أمره، فهم بما استودعهم من ذلك حافظون، وبجليل قدر ما أمنهم عليه علماء عارفون، قد فتح لما اختصهم به من ذلك أذهانهم، وقرب من لطيف الفهم عنه لما أراده أفهامهم، ورفع إلى ملكوت عزه همومهم، وقرب من المحل

(١) سورة هود، الآية (٨٨).
(٢) سورة سبأ، الآية (٤٧).
(٣) سورة النحل، الآية (١٢٥).

الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء بحبهم، وأفرد بخالص ذكره قلوبهم، فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه، وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه، أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون، وإذا سكتوا فبوقار العلم به يصمتون. وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون. جعلنا الله يا أخي ممن فضّله بالعلم. ومكنه بالمعرفة، وخصه بالرفعة، واستعمله بأكمل الطاعة، وجمع له خيري الدنيا والآخرة.



حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: إن لله عباداً صحبوا الدنيا بأبدانهم، وفارقوها بعقود إيمانهم، أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون، وفيه مقيمون وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتبعة للهوى، والمغموسة في البلاء، والمتمكنة بأكناف الأسواء، إلى قبول داعي التنزيل المحكم، الذي لا يحتمل التأويل، إذ سمعوه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] فقرع أسماع فهومهم حلاوة الدعوة لتصفح التمييز. وتنسموا بروح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور.

فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها، وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال، وتجرعوا مرارة المكابدة، وصدقوا الله في معاملته، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، وعرفوا قدر ما يطلبون. واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح، وأماتوا شهوات النفوس، وسجنوا همومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم، وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

الغفلة، وأقاموا عليها رقيباً من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر، ومن أحاط بكل شيء علماً، وأحاط به خبراً، فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها، واستبقت منافسة لأبناء جنسها، نفوس ساسها وليها وحفظها بارئها، وكلأها كافيها.

فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم، وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم، ترى أرواحاً تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية، وذللتها الخدمة، وتسربلها الحياء، وجمعها القرب، وأسكتها الوقار، وأنطقها الحذار. أنيسها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر. شغلها بالله متصل، وعن غيره منفصل. لا تتلقى قادماً، ولا تشيع ظاعناً. غذاؤها الجوع والظمأ، وراحتها التوكل، وكنزها الثقة بالله، ومعولها الاعتماد، ودواؤها الصبر وقرينها الرضا. نفوس قدمت لتأدية الحقوق، ورقيت لنفيس العلم المخزون، وكفيت ثقل المحن ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[2].

❁ ❁ ❁

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت الجنيد يقول: ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم.
قال: وسمعت الجنيد يقول: فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود.

عن أحمد بن عطاء. قال: قال الجنيد: لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٣).
(٢) سورة فصلت، الآيتان (٣١ ـ ٣٢).

حدثنا أبو الحسن علي بن هارون قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة، ومن أين زادَ عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً؟ فأجابه فقال:

وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه، وختم لنا ولكم بخير.

فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره، فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر، مما لا تحرك به الألسنة والجوارح، وهو مثل الهيبة لله، والتعظيم لله، والإجلال لله، واعتقاد الخوف من الله، وذلك كله فيما بين العبد وربه، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب. والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1] وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده جل ثناؤه.

وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به، وهو قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[2] وقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[3]. فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون، ما لفظ به وبدا من لسانه، وما يعلنون ويفعلون: هو ما ظهر به السعي.

وما أضمرته القلوب، مما لم يظهر على الجوارح، وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جل ثناؤه، وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك والله أعلم.

وما روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية،

---

(١) سورة القصص، الآية (٦٩).

(٢) سورة قَ، الآية (١٨).

(٣) سورة الانفطار، الآيتان (١١ ـ ١٢).

وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفاً، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره، فقد أحب أن ينفرد الله عز وجل بعلم ذلك العمل منه، ومعناه أن يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه، ولم يعرج على من دونه، فإذا علم جل ذكره بصدق قصد العبد إليه وحده، وسقط عن ذكره من دونه، أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين الله على من سواه، وجازاه الله بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفاً على ما عمل من لا يحل محله والله أعلم.

❁ ❁ ❁

عن أبي القاسم المطرز. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول لرجل وهو يكلمه في شيء: لا تيأس من نفسك، وأنت تشفق من ذنبك، وتندم عليه بعد فعلك.

عن أبي الحسن المحلى. قال: سمعت الجنيد يقول: كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول: حضرت الجنيد يوماً فسأله أصحابه فقالوا: يا أستاذ متى يكون الله عز وجل مقبلاً على عبده؟ فلهى عنهم ولم يجبهم، فألحوا عليه ـ وكان ظريفاً لا يحب أن يتبشع جوابه على أحد ـ فالتفت إليهم فقال: واعجباه يقف بين يدي ربه بلا حضور، ويقتضي بهذه الوقفة إقبالاً.

عن محمد بن سعيد. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول ـ وسئل عن حقيقة الشكر ـ فقال: ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه.

عن أبي بكر بن سعيد، وأبي بكر ختن الجنيد. قالا: سمعنا الجنيد يقول: الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب.

عن أبي القاسم النقاشي الصوفي. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: متى أردت أن تشرف بالعلم، وتنسب إليه، وتكون من أهله، قبل أن تعطي العلم ماله عليك، احتجب عنك نوره، وبقي عليك وسمه وظهوره. ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

عن أبي القاسم النقاشي. قال: سمعت الجنيد يقول: الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.

أخبرنا جعفر بن محمد ـ فيما كتب إليّ ـ قال: سمعت الجنيد يقول: المريد الصادق غني عن علوم العلماء، يعمل على بيان، يرى وجه الحق من وجوه الحق، ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر.

عن جعفر الدئلي. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: البلاء على ثلاثة أوجه: على المخلطين عقوبات، وعلى الصادقين تمحيص جنايات، وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات.

❁ ❁ ❁

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد قال: سمعت أبا القاسم الجنيد يقول: ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن: موطن يعرف فيه حاله أمزاد أم منتقص، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها ويتقصى فيه على معرفتها. وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه وكيف تقلب فيه الأحكام في أناء الليل وأطراف النهار.

ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين.

فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله، أمزاد هو أم منتقص، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه مشغل،

فيفسد ما يريد إصلاحه، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض، ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده يريد أن يؤدي إليه ما أمر بتأديته، فحينئذ تكشف له خفايا النفوس الموارية، فيعلم أهو ممن أدى ما وجب عليه أم لم يؤد، ثم لا يبرح من مقامه ذلك، حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم، فإن رأى خللاً أقام على إصلاحه، ولم يجاوزه إلى عمل سواه، وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه، ويتقصى فيه حال معرفتها، فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء، لا يقف على حد ذلك إلا من تصفح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف، فإن النفس إذا ألفت فعل الخير، صار خلقاً من أخلاقها، وسكنت إلى أنها موضع لما أهلت له، وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل، ويرصدها العدو المقيم بفنائها المجعول له السبيل على مجاري الدم فيها، فيرى هو بكيده خفي غفلتها، فيختلس منها بمساءلة الهوى، ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال، فإن تألم لوكزته منه، وعرف طعنته أسرع بالأمانة إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به، فاستقصى من نفسه علم الحال التي منها وصل عدوه إليه، فحرسها بلياذة اللجأ، وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام، كما قال النبي ابن النبي ابن النبي، الكريم ابن الكريم ابن الكريم، كذا قال النبي ﷺ: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣).

(٢) سورة الحج، الآية (٤٠).

الرحمن عليهم السلام): ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1] وعلمَ يوسفُ عليه السلام: أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام، وكيف يقلبه التدبير، فهو أفضل الأماكن، وأعلى المواطن، فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته، ولا يسأموا خدمته. فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[3]. فألزمهم دوام عبادته، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية، وفي الأخرى جزيل الثواب. فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[4] وهذه كلها تلزم كل الخلق. ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام، وقد عرض لرفيع العلم والمعرفة ألا يعلم أنه قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[5] ـ يعني شأن الخلق ـ. وأنت أيها الواقف أترى أنك من الخلق الذي هو في شأنهم، أو ترى شأنك مرضياً عنده؟

ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه، وخروجها من قلبه، فإذا انقضت الدنيا، وبادت وباد أهلها، وانصرفت عن القلب، خلا بمسامرة رؤية التصرف، واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام، ولن يرجع قلبٌ منْ هذا وصفهُ إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خرج، ولها ترك، ومنها هرب، ألا

---

(١) سورة يوسف، الآية (٣٣).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٤).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٤) سورة الحج، الآية (٧٧).

(٥) سورة الرحمن، الآية (٢٩).

ترى إلى حارثة حين يقول: عزفت نفسي عن الدنيا. ثم يقول: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة يتزاورون، وكأني وكأني. وهذه بعض أحوال القوم.

* * *

عن محمد بن إبراهيم. قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول: دخلت يوماً على سري السقطي، فرأيت عليه هماً فقلت: أيها الشيخ أرى عليك هماً.

فقال: الساعة دق عليّ داق الباب فقلت: ادخل، فدخل عليّ شاب في حدود الإرادة، فسألني عن معنى التوبة، فأخبرته، وسألني عن شرط التوبة، فأنبأته، فقال: هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها؟ فقلت: حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كانت التوبة.

فقال: ليس هو كذلك عندنا.

فقلت له: فما حقيقة التوبة عندكم؟ فقال: حقيقة التوبة ألا تذكر ما من أجله كانت التوبة. وأنا أفكر في كلامه.

قال الجنيد: فقلت: ما أحسن ما قال.

قال: فقال لي: يا جنيد وما معنى هذا الكلام؟

فقال: يا أستاذ، إذا كنت معك في حال الجفاء، ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء، فذكري للجفاء في حال الصفاء غفلة.

قال: ودخلت عليه يوماً آخر فرأيت عليه هماً فقلت: أيها الشيخ أراك مشغول القلب.

فقال: أمس كنت في الجامع فوقف علي شاب، وقال لي: أيها الشيخ، يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله؟ فقلت: لا يعلم. فقال: بلى

يعلم، وقال لي ثانياً: بلى يعلم. فقلت له: فمن أين يعلم؟ قال: إذا رأيتُ الله عز وجل قد عصمني من كل معصية، ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني.

❃ ❃ ❃

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول: سألت أبا القاسم الجنيد بن محمد قلت: متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل؟.

قال: إذا كان للأمور مميزاً، ولها متصفحاً، وعما يوجبه عليه العقل باحثاً: يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به ويؤثره على ما سواه، فإذا كان كذلك، فَمَنْ صفتُه ركوب الفضل في كل أحواله، بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه، ـ وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى، ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير ـ فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله، ترك التشاغل بما يزول، وترك العمل بما يفنى وينقضي، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا، وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل، يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها، ويتصل بقاؤها. وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه، وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث، يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه، ومحاسبة الله عليه. فكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله، والأخذ منها بأوفره. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1] كذلك وصفهم الله، وذوو الألباب هم ذوو العقول. وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به،

---

(١) سورة الزمر، الآية (١٨).

للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها، وأحسن الأمور هو أفضلها، وأبقاها على أهلها نفعاً في العاجل والآجل، وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه.

* * *

عن أبي محمد الجريري. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، ، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

عن أبي محمد الجريري. قال: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال الرجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله.

فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي.

عن يوسف بن محمد القواس. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره، حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك.

عن محمد بن عبد الله. قال: سمعت الجنيد يقول: يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه، ويا بادئ العارفين بما به عرفوه، ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟ ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك؟.

عن علي بن هارون بن محمد قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: وكتب إلى بعض إخوانه: الحمد لله الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه، وخصهم بالعلم والمعرفة به، فاستعملهم بأحب الأعمال إليه، وأقربها من الزلفى لديه، وبلغهم من ذلك الغاية القصوى، والذروة المتناهية العليا.

وبعد: فإني أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال ماضية، فإن الالتفات إلى ما مضى شغل عما يأتي من الحالة الكائنة، وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة، وبترك المنازلة لها، بجولان الهمة لملتقى المستقبل من الوقت، الوارد بذكر مورده ونسق ذكر موجوده، فإنك إذا كنت هكذا تذكر من هو أولى، ولا تضرك رؤية الأشياء.

وأوصيك بتجريد الهمِّ وتفريد الذكر، ومخالصة الرب بذلك كله، واعمل على تخليص همك من همك لهمك، واطلب الخالص من ذكر الله جل ثناؤه بقلبك، وكن حيث يراك لما يراد لك، ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك. واعمل على محو شاهدك من شاهدك حتى يكون الشاهد عليك شاهداً لك، بما يخلص من شاهدك.

واعلم أنه إن كنت كلك له، كان لك بكل الكل فيما تحبه منه، فكن مؤثراً له بكل من انبسط له منك، ومنه بدا لك، ومنه به يبسط عليك ما لا يحيط به علمك، ولا تبلغ إليه أمانيك وآمالك، وإذا بليت بمعاشرة طائفة من الناس، فعاشرهم على مقادير أماكنهم وكن مشرفاً عليهم بجميل ما آتاك الله وفضلك به. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت الجنيد بن محمد، وسئل عن الرضا فقال: سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين.

من كان عن الله راضياً، قال بعض أهل العلم: أهنأ العيش عيش الراضين عن الله. فالرضا استقبال ما نزل من البلاء بالطاقة والبشر، وانتظار ما لم ينزل منه بالتفكر والاعتبار، وذلك أن ربه عنده أحسن صنعاً به وأرحم به، وأعلم بما يصلحه، فإذا نزل القضاء لم يكرهه، وكان ذلك إرادته، مستحسناً ذلك الفعل من ربه، فإذا عدَّ ما نزل به إحساناً من الله عز وجل، فقد رضي، فالرضى هو الإرادة مع الاستحسان: أن يكون مريداً لما صنع، محبا راضياً عن الله بقلبه.

❁ ❁ ❁

سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول وكتب إلى بعض إخوانه كتاباً يقول فيه: إن الله جل ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه، ولا يعريها من أحبائه، ليحفظ بهم من جعلهم سبباً لحفظه، ويحفظ بهم من جعلهم سبباً لكونه، وأنا أسأل المنان بفضله وطَوْله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره، تجميلاً منه لنا بأعظم الرتب،، وإشرافاً بنا على كل ظاهر ومحتجب. وقد رأيت الله تعالى وتقدست أسماؤه، زين بسيط أرضه، وفسيح سعة ملكه، بأوليائه وأولي العلم به، وجعلهم أبهج لامع سطع نوره، وعنَّ لقلوب العارفين ظهوره، وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها، ونور شمسها وقمرها، أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته، ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته، وهم أبين في منافع الخليقة أثراً، وأوضح في دفاع المضار عن البرية خيراً من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يهتدى، وبآثارها عند ملتبس المسالك يقتدى. لأن دلالات النجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان، وشتان ما بين من يفوز بسلامة دينه وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه.

عن محمد بن أحمد البغدادي. قال: سئل الجنيد بن محمد عن المحبة: أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟ فقال: إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بيّن، فالمحبة نفسها من صفات الذات، ولم يزل الله تعالى محباً لأوليائه وأصفيائه. فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه فإن ذلك من صفات الأفعال. فاعلم أرشدك الله للصواب.

عن عثمان بن محمد. قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله، وامتلأ من ذلك قلبك، وانشرح بالانقطاع إليه صدرك، وصفا لذكره فؤادك، واتصل بالله فهمك، ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك. فعند ذلك يبدو لك علم الحق.

عن أبي بكر العطار. قال: حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا، قال: وكان قاعداً يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقلت عليه حركتها، فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت، يقال له: البسامي، وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعم الله، الله أكبر. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت. فقال: يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله.

سمعت أبا الحسن علي بن هارون يقول: سمعت الجنيد بن محمد يقول: اعلم أن المناصحة منك للخلق، والإقبال على ما هو أولى بك فيك وفيهم، أفضل الأعمال لك في حياتك، وأقربها إلى أوليائك في وقتك. واعلم أن أفضل الخلق عند الله منزلة وأعظمهم درجة في كل وقت وزمن، وفي كل محل ووطن، أحسنهم إحكاماً لما عليه في نفسه، وأسبقهم بالمسارعة إلى الله فيما يحبه، وأنفعهم بعد ذلك لعباده، فخذ بالحظ الموفر لنفسك، وكن عاطفاً بالمنافع

على غيرك، واعلم أنك لن تجد سبيلاً تسلكه إلى غيرك وعليك بقية مفترضة من حالك، واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية، والمرادين لمنافع الخليقة، والمرتبين للنذارة والبشارة، أيدوا بالتمكين وأسعدوا براسخ علم اليقين، وكشف لهم عن غوامض معالم الدين، وفتح لهم في فهم الكتاب المستبين، فبلغوا ما أنعم به عليهم من فضله، وجاد به من عظيم أمره إحكام ما به أمروا، والمسارعة إلى ما إليه ندبوا، والدعاية إلى الله بما به مكنوا. وهذه سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم فيمن بعثوا إليهم من الأمم، وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم، وسيرة المتبعين لآثارهم من الأولياء والصديقين، وسائر الدعاة إلى الله من صالحي المؤمنين.

٥٧٢ ـ محمد بن يعقوب

ومنهم العارف بالأصول العازف عن الفضول، له القلب الخاشع والأذن السامع، أحكم علم الآثار وأتقنها وألف في المعاملات والأحوال وأوضحها: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن الفرجي.

صحب الحارث بن أسد المحاسبي وطبقته، له مصنفات في معاني الصوفية: كتاب الورع، وكتاب صفات المريدين. كان من الأئمة في علوم النساك، يرفع من الفقراء وينصرهم ويضع من المدعين ويزري عليهم.

عن المرتعش. قال: قال أبو جعفر بن الفرجي: مكثت عشرين سنة لا أسأل عن مسألة إلا ومنازلتي فيها قبل قولي.

وقال: إذا صح الود سقطت شروط الأدب.

وحكى عبد المنعم بن عمر عن أبي سعيد بن الأعرابي: أنه قيل لأبي جعفر بن الفرجي: إنك تنكر الزعقة والصيحة فقال: إنما أنكرها على الكذابين. وقال: ما زعقت من عمري إلا ثلاث زعقات؛ فإني

انتهيت ببغداد يوماً إلى الجسر، وأخرج رجل من الشطاحين من السجن يضرب، ثم رد إلى السجن والناس يتعجبون من صبره على الجلد، فجئت إليه فقلت: مسألة فقال: أوسعوا له. ما مسألتك؟ قلت: أسهل ما يكون الضرب عليكم أي وقت؟ قال: إذا كان من ضربنا له يرانا. قال: فصحت ولم أملك السكوت.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أخبرني عمي يحيى بن أحمد قال: أخبرني ابن المرزبان الصيقل قال: أردت الخروج إلى مكة فرافق الجمَّال بيني وبين إنسان لا أعرفه فقلت له بعد أن رافقني: تحتاج من الزاد كذا وكذا ومن الزيت كذا وكذا فقال: قد اشتريت جميع ذلكم فلا تشتر شيئاً، وظننت أنه يحاسبني عليه كما يفعل الرفقاء، وكان في الطريق يسرف ويوسع النفقة، فأقول في نفسي كل هذا يحاسبني به، فكنت احتشمه أن أقول له أقصر واحتمله، فلما صرت بمكة عزم على المقام بمكة، فقلت له: الحساب، فقال: سبحان الله تذكر مثل هذا؟ وأقبل ينكر عليّ ذلك، فقلت: لا بد منه فأبى ذلك وقال: من يفعل ذلك؟ فسألت عنه فإذا هو الفرجي.

٥٧٣ ـ عمرو بن عثمان المكي

[ت٢٩٦هـ]

ومنهم العارف البصير والعالم الخبير، له اللسان الشافي، والبيان الكافي، معدود في الأولياء، محمود في الأطباء، أحكم الأصول وأخلص في الوصول أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي[1].

ساح في البلاد وباح بالوداد، وصحب الأصفياء من العباد.

---

(١) توفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين، وقيل سبع وتسعين. وقيل إحدى وتسعين، ويقال مات بمكة، والأول أصح، رحمه الله (الصفوة).

سمعت أبا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا عبد الله عمرو بن عثمان المكي وأملى علي في جواب مسألة سئل عنها يخاطب السائل:

أقم على نفسك الموازنة بعقلك، في تفقد حالك ومقامك هذا، إن كل ما عارضك من الأشغال من كل شيء أعني من حق أو باطل، أزالك عن مقامك هذا بانصراف اليسير من عقلك، فذلك كله عذر، فاهرب وافزع إلى الله عند اعتراض الخواطر وسورة العوارض وحيرة الهوى، إلى مولاك وسيدك، ومن بين يديه ضرك ونفعك، الذي خلصت في نفسك وحدانيته وقدرته، وتفريد سلطانه وتفريد فعل ربوبيته، إذ لا قابض ولا باسط ولا نافع ولا ضار ولا معين ولا ناصر ولا عاصم ولا عاضد إلا الله وحده لا شريك له في سمائه وأرضه.

وهذا أول مقام قامه أهل الإيمان من تصحيح القدرة في إخلاص تفريد أفعال الربوبية، وهو أول مقام قامه المؤمنون وأول مقام قامه المخلصون، وأول مقام قامه المتوكلون في تصحيح العلم المعقود بشرط التوكل في الأعمال قبل الأعمال.

واعلم رحمك الله، أن كل ما توهمه قلبك، أو رسخ في مجاري فكرتك، أو خطر في معارضات قلبك. من حسن أو بهاء أو إشراف أو ضياء أو جمال، أو شبح ماثل أو شخص متمثل، فالله بخلاف ذلك كله، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكمل، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2] أي لا شبه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل.

وقف عند خبره عن نفسه مسلما مستسلما مذعناً مصدقاً، بلا

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الإخلاص، الآية (٤).

مباحثة التنفير ولا مفاتشة التفكير، جل الله وعلا الذي ليس له نظير، ولا يبلغ كنه معرفته خالص التفكير، ولا تحويه صفة التقدير، السموات مطويات بيمينه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، الظاهر على كل شيء سلطاناً وقدرة، والباطن لكن شيء علماً وخبرة، خلق الأشياء على غير مثال ولا عبرة، ولا تردد ولا فكرة، تعالى وتقدس.

أقام لقلوب الموقنين مداً يمسكه التسليم عن التيه في بحور الغيوب المضروبة دون ذي الجلال والكبرياء، فشكر لهم تسليمهم واعترافهم بالجهل، بما لا علم لهم به، وسمى ذلك منهم رسوخاً وربانية أو إيماناً لقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] وما خبر عن ملائكته إذ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[2] عجزت الملائكة المقربون أن تحد أحسن الخالقين، أو تكيف صفة رب العالمين، فهم خشوع خضوع خنوع في حجرات سرادقات العرش محبوسون، أن يتأملوا ساطع النور الأوهج، فهم يضجون حول عرشه بالتقديس ضجيجاً، ويعجون بالتسبيح عجيجاً، باهتون راهبون خائفون مشفقون وجلون لما بدا لهم من عظيم القدرة، ولما أيقنوا به وسلموا له من شموخ الرفعة، فكيف تطمع يا أخي نفسك أو تطلق فكرك في شيء من الاحتواء على صفة مَنْ هذا وصفه، وقانا الله تعالى وإياك اعتراض الشكوك، وعصمنا وإياك في كنف تأييده من التخطي بالأفهام إلى اكتناه من لا تهجم عليه الظنون، ولا تلحقه في العاجلة العيون، جل وتعالى عن خطرات الهفوات، وعن ظنون الشبهات علواً كبيراً.

فبهذا فاعرف ربك ومولاك، ومن لا تأخذه سنة ولا نوم، فيكون سلاحك وعظم عدتك ومجاهدتك وجنتك من عدوك عند من

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٢).

يلقى إليك في خالقك. فهذا الذي وصفت لك فإليه فالتجئ وبه فاستمسك، ثم عد إليه بملق اللوذان، واستكانة الخضوع أن يعصمك الله ويثبتك، فهو المثبت لقلوب أوليائه بصحة اليقين من الزوال، كما أمسك أرضه بالجبال من الزلزال والسلام.

❁ ❁ ❁

سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان يقول: إن الله جعل الاختبار موصولاً بالاختيار، والإجابة مؤداة إلى الأبرار، بتوفيق هدايته وابتداء رأفته، وجعل رحمته مفتاحاً لكل خير في أرضه وسمائه. فكان مما اختار لنفسه عباداً اتخذهم لنفسه، ورضيهم لعبادته، واصطنعهم لخدمته واجتباهم لمحبته، ونصبهم لدعوته، وأبرزهم لإجابته، واستعملهم بمرضاته، فألطف لهم في الدعوة باختصاص المنة، فأظهر دعوته في قلوبهم بإظهار صنعه وصنعائه، وما غذاهم به من لطفه وألطافه، وبره ونعمائه، فوطأ لهم الطريق، وكشف عن قلوبهم، فسارعت قلوبهم بإجابة التحقيق، وذلك لما عرفوا واستبانوا مما به لله دانوا، مما تعرَّف به إليهم، من البر والتحف والكرامات والطرف، والفوائد السنية والمواهب الهنية، فسارعت لإجابته بخالص موافقته والإعراض عن مخالفته، والعطف على كل ما عطف به عليها، والإقبال على كل ما دعاها إليه، بلا تثبط في مسير، ولا التفات في جد ولا تشمير، فوصلوا الغدو بالتبكير، وقطعوا فيها العلائق وانفردوا به دون الخلائق، فساروا سير متقدمين، وجدوا جد معتزمين، وحثوا حث مبادرين، وداوموا مداومة ملازمين، وانتصبوا انتصاب خائفين للفوت والحرمان، وخوف السلب لما تقدم إليهم من الإحسان، فعبدوه بأبدان خفاف، وعاملوه بفطن لطاف، وقصدوه بإرادات صادقة، وهمم خالصة، ورغبات طامحة، وقلوب صافية، فابتدؤوا من معاملة الله فيما به ابتدأهم حين دعاهم إذ

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] فطلبوا طيب الحياة بإخلاص الإجابة، وعملوا في الظفر بالحياة إذ دعاهم الله إليها، ونبههم بلطفه عليها، فجعلوا إقامتهم وإرادتهم وأملهم ومناهم الظفر بالحياة، فعملوا في تحقيق موجباتها في الأحوال الواردة بهم عليها.



سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن جعفر يقول: سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول في وصف سياسة النفوس قال: يبتدئ بعد الإجابة بتوفيق النفوس لما كان منها من مخالفة الملك ومعصيته الجبار، فألزمها التوبة والتنصل والاعتذار، وتكرير الاستغفار، والاجتهاد في حل الإصرار باللجأ والاستئجار والاعتصام بمليكهم الجبار، فوافقوها موافقة على موازنة، وعاتبوها معاتبة على محاضرة، ووبخوها بما فرط منها من الجهل، والتضييع والشرور، والتمادي والتمرد في ركوب المعاصي، فوبخوها بين يديه، وعاتبوها معاتبة من قد عرض عليه، وقرروها تقرير مناقشة الحساب، وجرعوها ما توعده الله من أليم العذاب وشديد العقاب، ثم أقاموها مقام الخزي فأبدلوها بحال الرفاهات، القشف والتقشف والضر والتخفف. فأبدلوها بالشبع جوعاً، وبالنوم سهراً، وبالراحة تعباً، وبالقعود تصباً، وبطيب المطاعم الخبيث الخشن، وبلين الملابس الخشن الجافي، وبأمن الوطن خوف البيات. ثم أزعجوها عن توطن ما به ألزموها فمنعوها استواء الأوقات في بذل الاجتهاد، وأخذوها بدائم الازدياد على سبيل الموازنة، وأقاموها مقام التصفح والتفتيش والمحاسبة والتوقيف، على كل لحظة وخطرة، وهمة ولفظة وفكرة وأمنية وشهوة وإرادة ومحبة.

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

فهكذا أبداً دأبهم، وفي هذه أبداً حالهم، على هذه السياسة بشرط هذه المجاهدة، وانتصاب هذه المكابدة، وإحاطة هذه المراوضة، ومع هذا فالهرب إلى الله فيها، والاعتضاد بالله عليها، والتأوي إلى الله منها، والاستعاذة بالله من شرها. والاستعانة بالله على كيدها، والصراخ إلى الله عند شرودها.

واستغث بالملك الأعلى، الذي هو صريخ الأخيار، ومنجا الأبرار، وملتجأ المتقين، وناصر الصالحين، لأن الله تعالى إذا شكر لوليه عظيم ما جاهد، وجسيم ما كابد، ومشقة ما احتمل، وجهد ما انتصب، تولاه بالنصرة والتأييد والعز والتأييد. ومن نصره لم يخذل، ومن أعزه لم يقهر، ومن تولاه لم يذل. فروَّحها ررح اليقين، وأضاء لها علامات التصديق، من الله بالقبول، وأنارت لها علامات التحقيق، وتوالت عليها مداومة المزيد، وعادت عليها تكرار التحف والبر والكرامات، وعطفت عليها عواطف الفضل بالرحمة والبذل، لأن الله تعالى المبتدئ عبده بما ابتدأ به العبد من بذل في قربة، أو من اجتهاد في وسيلة، أو من منافسة في فضيلة، أو من مسارعة إلى خدمة، أو من إخلاص في نية، أو من تكامل في رغبة، أو من تحقيق في محبة. فالله المبتدئ لها بذلك بما به أقامها، وبما به إليها دعاها. فهذه كلها صفة الحياة ومشاربها، وانبجاس أحوالها وتشعب مذاقاتها، بكل ما وصفناه من غم وسرور، وراحة وجهد، ورفاهة وتعب، وموافقة ونصب، وبكاء وحزن، وخوف وكمد فذلك كله من صفة الحياة التي دعا الله إليها، ونبه قلوبهم عليها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].



(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد يقول: سمعت عمرو بن عثمان يقول:

المخلصون من الورعين هم الذين تفقدوا قلوبهم بالأعمال والنيات، في كل أحوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكونهم، مواظبين للاستقامة المفترضة على طاعة الله، وله محافظين، ومن دخول الفساد عليهم مشفقين، فأورثهم الله مراقبته، فهنالك تنتصب قلوبهم بمداومة المحافظة، لنظر الله إليهم ونظره إلى سرائرهم، وعلمه بحركاتهم وسكونهم.

فهنالك، تقف القلوب بعلم الله فلا تنبعث بخطرة ولا همة. ولا إرادة ولا محبة ولا شهوة إلا حفظوا علم الله بهم في ذلك، فلم تبرز حركات الضمير إلى تحريك الجوارح إلا بالتحصيل والتمييز، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]. ولقوله سبحانه ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2] فإذا انتصبت المراقبة بدوام انتصاب القلوب بها، فهنالك يكون تمام الإخلاص، والحيطة في العمل، وهنالك يورثهم الله الحياء، فداوم المراقبة يفشي الحياء ويمده ويزيد فيه. والحياء يعمر القلوب بدوام الطهارة، ويخرج من القلوب حلاوة الماء، ثم حلاوة الشهوات، ودوام الحياء يوجب على القلوب إعظام حرمات الله، بإعظام مقام الله، حياء من جلال الله، لأن إجلال حرمات الله في القلوب، غاسل للقلوب بماء الحياة، الوارد عليها من فوائد الله، فتخْلَق الدنيا في قلوبهم، وتصغر الأشياء فيها، وتقوى حركات اليقين بصفاء النظر إلى الموعود، فيوصلها بالمعروف ويرجع عليها اليقين بالتوبيخ في إعظام الدنيا والسعي لها ولجمعها.

---

(١) سورة النساء، الآية (١).

(٢) سورة يونس، الآية (٦١).

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: كان عمرو بن عثمان رحمه الله تعالى حظوظه في فنون العلم غزيرة، وتصانيفه بالمسانيد والروايات شهيرة.

٥٧٤ ـ رويم بن أحمد

[ت٣٠٣هـ]

ومنهم الفطن المكين، له البيان والتبيين، والرأي المتين، رويم بن أحمد أبو الحسن الأمين[١]. كان بالقرآن عالما، وبالمعاني عارفاً وعلى الحقائق عاكفاً، قلد بفصل الخطاب، ولم تؤثر فيه العلل والأسباب. كان سمي جده رويم بن يزيد المقرئ الراوي عن ليث بن سعد وإسماعيل بن يحيى التميمي.

عن الحسين بن يحيى الفقيه. قال: سمعت رويماً يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار منهم.

عن أحمد بن فارس. قال: حضرت رويماً وسأله أبو جعفر الحداد: أيهما أفضل الصحو أو السكر؟ فانزعج رويم كالمغضب فقال: لا والله، أو تهدأ هدو الصخر في قعور البحار، فإن هدأت استودعك، وإن انزعجت طالبك، أما سمعته يقول: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

وسأله بعض الناس أن يوصيه بوصية فقال: ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية فإن أمرها هذا مبني على الأصول.

سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن حبيش يقول: كان رويم يقول: السكون إلى الأحوال اغترار. وكان يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

---

(١) توفي رويم ببغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، رحمه الله (الصفوة).

عن أبي عمرو العثماني. قال: سمعت رويم بن أحمد المقرئ يقول: لما رأيت الطالبين قد تحيروا، والمريدين قد فتروا، والمتعبدين والعلماء بما غلب عليهم من سلطان الهوى قد سكروا، لما رأوا المنتسبين إلى علم المعرفة على طبقات مختلفة، ومقامات متفاوتة، من استصغار الأحوال وأهلها، والتراخي عن الأعمال والإعراض عنها، تسوروا على ذرى قصرت عنها مقاماتهم عجزاً عن بلوغها، واغتراراً بما سمعوه من علوها، احتجتُ أن أعلم السبب الذي أوقعهم في هذه الشبهة، وأوقعهم في هذه المنزلة قبل أوانها، والاستحقار للنزول فيها قبل حينها، فرأيته سببين كل سبب منهما على أصلين.

أحدهما، استعجال المنزلة قبل وقتها، عجزاً عما عمل فيه الصادقون، وبذله المحققون.

والآخر الجهل بطريق السالكين إليها، وإغفال التقوى عما لها وعليها. رضىً منهم باسم لا حقيقة تحته تأويهم، ولا مكاناً منه يغنيهم.

عن محمد بن إبراهيم. قال: سمعت رويما يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضاء استلذاذ البلوى، واليقين المشاهدة، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى الوثائق، والأنس أن تستوحش من سوى محبوبك.

وسئل عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال. وأنشد:

ولو قلت لي مت مت سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من دينه هواه، وهمته شقاؤه، ليس بصالح نقي ولا عارف تقي.

٥٧٥ ـ أحمد بن محمد بن عطاء

[ت٣٠٩هـ]

ومنهم العامل الظريف والكامل النظيف، كان مودع القرآن شعاره، وطاهر البيان دثاره، له اللسان المبسوط والبيان بالحق مربوط، أوقف على مراتب المأسورين، ومقامات أهل البلاء من المأخوذين، فتمنى ما خصوا به من الصفاء والاعتلاء، فعومل بما تمنى من المحن والابتلاء، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء.

سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن حبيش ـ صاحب الجنيد بن محمد ـ يقول: صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدباً بآدابه، وكان له كل يوم ختمة، وفي كل شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وبقي في ختمة يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة يستروح إلى معاني مودعها، فمات قبل أن يختمها.

سمعت أبا سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير الرازي ـ بنيسابور صاحب يوسف بن الحسين ـ يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً ونية وعقداً.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: قرن ثلاثة أشياء بثلاث: قرنت الفتنة بالمنية، وقرنت المحنة بالاختبار، وقرنت البلوى بالدعاوي.

وسئل إلى ما تسكن قلوب العارفين؟ قال إلى قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن في بسم الله هيبته، وفي اسمه الرحمن عونه ونصرته، وفي اسمه الرحيم مودته ومحبته، ثم قال: سبحان من فرق بين هذه المعاني في لطافتها في هذه الأسامي في غوامضها.

سمعت أبي يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبك فأدبها بمجالسة الحكماء، فمن أراد أن يستضيء بنور الحكمة فليلاق بها أهل الفهم والعقل.

وسمعته يقول: القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة، وهي المكروه لأن المكاره هدايا الجنة إلى أبدان الصادقين، ومن فر بنفسه إلى حصن المكروه رحلت شهوات الطمع عن قلبه.

وقال: من علامة الصدق رضى القلب بحلول المكروه.

سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن مقسم يقول: قال أبو العباس بن عطاء: من تأدب بآداب الصالحين، فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الأنبياء، فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط.

وسمعته يقول: قال أبو العباس بن عطاء: لم تزل الشفقة بالمؤمن حتى أوفدته على خير أحواله، ولم تزل الغفلة بالفاجر حتى أوفدته على شر أحواله.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: ادن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه من غفلته، وأقم شخصك في خدمة الصالحين لعله يتعود ببركتها طاعة رب العالمين.

قال: وسئل أبو العباس وأنا حاضر عن أقرب شيء إلى مقت الله والعياذ بالله، فقال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالبة الأعواض عن أفعالها.

قال: وسمعته يقول: من علامات الأولياء أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله، ومداراته مع الخلق على تفاوت عقولهم.

سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من شاهد الحق بالحق انقطعت عنه الأسباب كلها، وما دام ملاحظاً لشيء فهو غير مشاهد لحقيقة الحق، وهذا مقام من صفت له الولاية فلم يحجب عنه المنتهى والغاية.



الفصل السادس
ذكر جماعة من أعلام البغداديين

قال الشيخ: ذكر جماعة من أعلام البغداديين كان المفزع إلى أدعيتهم عند المحن والنوازل لصفاء أحوالهم، ووفاء أقوالهم، فكانت آثارهم في الإجابة مشهورة، وأوقاتهم بالمشاهد والمسامرة معمورة، صحبوا بشر بن الحارث الحافي وأصحاب معروف الكرخي. حماهم الحق عن التبدل، وحلاهم بخلوة الذكر والاشتهار. لقينا أصحابهم وكانوا على سمتهم مشتهرين بالذكر شاهدين مغتنمين، للوقت مجاهدين: منهم إبراهيم بن السري السقطي. وبدر بن المنذر المغازلي، وأبو أحمد القلانسي، وخير النساج، وأبو بكر بن مسلم بن حمزة البصري، عداده في البغداديين.

٥٧٦ - إبراهيم بن السري

عن إبراهيم بن السري السقطي. قال: سمعت أبي يقول: عجبت لمن غدا أو راح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه نواح لا يربح أبداً.

عن إبراهيم بن السري. قال: سمعت أبي يقول: لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

٥٧٧ - بدر المغازلي

وأما بدر المغازلي فأطبقت الألسنة من الحنبلية وأصحاب الحديث أنه كان يعد من البدلاء، عرف له أحوال عجيبة.

٥٧٨ ـ القلانسي[1]

قال الشيخ: وأما أبو أحمد القلانسي، فمخصوص بالتواضع والفتوة والاحتمال وطيبة القلب والابتذال. صحب أبا حمزة وتخرج عليه.

عن منية البصري. قال: سافرت مع أبي أحمد القلانسي فجعنا جوعاً شديداً، ففتح علينا بشيء من طعام فآثرني به، وكان معنا سويق، فقال لي كالمازح: تكون جملي؟ فقلت: نعم. فكان يوجرني ذلك السويق يحتال بذلك أن يؤثرني على نفسه.

وكان قد صحب أبا محمد الرباطي المروزي وسلك معه البادية، وورث عنه هذه الأخلاق الحميدة، وذلك أن أبا محمد اشترط عليه أن يكون هو الأمير في سفرهما. فحكى عنه أنه كان يطعمه ويجوع، ويسقيه ويعطش ويؤثره بأسباب الرفق. وذكر أن مطراً أصابهما في رياح وظلمة شديدة بالبادية، فقال: يا أحمد اطلب الميل، فلما صرنا إلى الميل أقعدني في أصله ووضع يده عليه وهو قائم، وجللني بكساء كان معه فوق ظهره وعلى رأسه، حتى صرت كأني في بيت لا يصيبني المطر ولا الرياح، فكلما قلت له قال: لا تعترض عليّ وأنا الأمير.

وكان أبو حمزة وابن وهب وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: ولقد صحبته إلى أن مات فما رأيته قط يبيت ذهباً ولا فضة كان يخرجه من الليل ويذهب مذهب شقيق في التوكل.

---

(١) أبو أحمد القلانسي ستأتي ترجمة أخرى له برقم (٦٠٧).

وكان يقول: بناء مذهبنا على شرائط ثلاث: لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأتي به.

٥٧٩ ـ خير النساج

[ت٣٢٢هـ]

وأما أبو الحسن خير النساج. كان من أهل سامرا، سكن بغداد وصحب أبا حمزة والسري السقطي. له الحظ الجسيم في الكرامات.

سمعت علي بن هارون ـ صاحب الجنيد ـ يحكي عن غير واحد من أصحابه ممن حضر موته قال: غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق فنظر إلى ناحية من باب البيت فقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور، ما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتني، فدعني أمضي لما أمرت به ثم امض أنت لما أمرت به. فدعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات رحمه الله، فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة.

أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال: سألت خيراً النساح: أكان النسج حرفتك؟ قال: لا. قلت: فمن أين سميت به؟.

قال: كنت عاهدت الله واعتقدت أن لا آكل الرطب أبداً، فغلبتني نفسي يوماً فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليّ وقال: يا خير يا آبق هربت مني؟ ـ وكان له غلام هرب اسمه خير ـ فوقع على شبهه وصورته، فخنقني فاجتمع الناس فقالوا: هذا والله غلامك خير. فبقيت متحيراً وعلمت بماذا أخذت، وعرفت جنايتي.

فحملني إلى حانوته الذي فيه كان ينسج غلمانه وقالوا: يا عبد

السوء تهرب من مولاك؟ ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل. وأمرني بنسج الكرباس، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته، فكأني كنت أعمل من سنين.

فبقيت معه شهراً أنسج له، فقمت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغداة، فسجدت وقلت في سجودي: إلهي لا أعود إلى ما فعلت.

فأصبحت وإذا الشبه ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت فثبت على هذا الاسم، فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله عز وجل أن لا آكلها، فعاقبني الله بما سمعت.

وكان يقول: لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم تنفعه في وقت جريان القضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس فلم ينجه ذلك من أن صار إلى ما سبق له من الله تعالى.

٥٨٠ ـ أبو بكر بن مسلم

وأما أبو بكر بن مسلم فمن المستأنسين بالله، بلا ينفك عن مشاهدته ومذاكرته. كان الجنيد من تلامذته.

أخبرني جعفر بن محمد بن نصير ـ في كتابه ـ قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: عبرت يوماً إلى أبي بكر بن مسلم في نصف النهار فقال لي: ما كان لك في هذا الوقت عمل يشغلك عن المجيء إليّ؟ قلت: إذا كان مجيئي إليك العمل فما أعمل.

عن الحسن بن علي بن خلف البربهاري. قال: مرض أبو بكر بن مسلم فعاده المروزي في خلق من الناس، فكأن أبا بكر بن مسلم كره ذلك لأجل الجماعة الذين جاؤا معه، فكتب إليه يعاتبه على ذلك. وكتب في آخر الرقعة:

من ذا يريد مع الحبيب مؤانساً ... مـن ذا يـريـد بـغـيـره أشـغـالاً؟
لا تـأنـسـنَّ مـع الـحـيـاة بـغـيـره ... وابـذل قـواك وقـطِّـع الأوصـالا
فلئن سلمت لأنت أكرم من يشا ... ولئن هلكت فما ظلمت خلالا
من ذاق كأس الخوف ضاق بذرعه ... حـتـى يـنـال مـراده إن نـالا
حاشا مؤمل سيدي من بخسه ... جـلَّ الـجـواد إلـهـنـا وتـعـالـى

٥٨١ ـ سمنون بن حمزة

قال الشيخ: ومنهم سمنون بن حمزة أبو الحسن الخواص. وقيل أبو بكر بصري سكن بغداد ومات قبل الجنيد، سمى نفسه سمنوناً الكذاب وكان سبب ذلك أبياته التي قال فيها:

فـلـيـس لـي فـي سـواك حـظ ... فـكـيـف مـا شـئـت فـامـتـحـنـي

فحصر بوله من ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب.

عن أبي بكر الواسطي. قال: قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه عليّ. فاحتبس بوله أربعة عشر يوماً، فكان يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل يتقلب يميناً وشمالاً، فلما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك وأنشدت عن جعفر عن سمنون:

أنـا راض بـطـول صـدك عـنـي ... لـيـس إلا لأن ذاك هـواكـا
فـامـتـحـن بـالـجـفـا صـبـري عـلـى ... الـود ودعـنـي مـعـلـقـاً بـرجـاكـا

عن أبي جعفر الفرغاني. قال: أنشدنا سمنون البصري:

أحـن بـأطـراف الـنـهـار صـبـابـة ... وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
وأيـامـنـا تـفـنـي وشـوقـي زائـد ... كـأن زمـان الـشـوق لـيـس يـغـيـب

عن أبي بكر العجان. قال: سمعت سمنوناً يقول: إذا بسط الجليل غداً بساط المجد، دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه، وإذا أبدى عيناً من عيون الجود ألحق المسيء بالمحسن.

عن أبي أحمد القلانسي. قال: سمعت سمنوناً يقول: أول وصل العبد هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحق تعالى مواصلته لنفسه.

وكان يقول: مضى الوقت فصار الوقت مقتاً، وقتك خراب وقلبك في المحراب، ومن كانت عبادته عناء كانت ثمرته ضناء.

المشهورون بالنسك

ومنهم المشهورون بالنسك والتعبد، السالكون مسلك أوليائهم من المتعبدين، الذين تخرجوا على المتحققين، وراضوا أنفسهم رياضة العلماء المتقين، كعلي بن الموفق، وأبي عثمان الوراق، وأيوب الحمال، وأبي عبد الله الجلاء رحمهم الله.

كانت بواطنهم بالمشاهدة عامرة، وظواهرهم عن المناظرة والمذاكرة شاغلة، فلم ينقل عنهم غير الأحوال المكنية اللطيفة:

٥٨٢ ـ علي بن الموفق

عن أبي القاسم البزاز. قال: قال لي علي بن الموفق: حججت نيفاً وخمسين حجة، فجعلت ثوابها للنبي ﷺ، ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولأبوي. وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم، فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء أحد لم تقبل منه حجته فقد وهبت له هذه الحجة، ليكون ثوابها له. قال: فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عز وجل في المنام فقال لي: يا علي بن الموفق علي تتسخى؟ قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك، وشفعت كل رجل منهم في أهل بيته وخاصته وجيرانه، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

٥٨٣ ـ أبو عثمان الوراق

وأما أبو عثمان الوراق فله العبادة المشهورة. كان الإمام

أحمد بن حنبل يحمد سيرته. كان للفقر معتنقاً ولا يرى الإمساك والادخار. يتبع آثار ما درج عليه الصدر الأول من صفوة الصحابة وأهل الصفة، ويقول بالإيثار والمواساة. أكثر نجوم البغداديين به تخرجوا، وعنه أخذوا التجرد وسياسة النفوس ورياضتها.

كان يجمع المتعبدين في مسجده يقرئهم القرآن ويعلمهم الأحكام، ويحثهم على الورع والتقلل، ويواخي بين أصحابه فيضيف الضعيف إلى القوي، ويواخي بين المتكسب ومن لا حرفة له، وبين البصير والضرير وبين القارئ وبين من لا يقرأ ليعلمه ويلقنه. لا يمنع المكتسب من الكسب. فإذا كان الليل اجتمع، أمرهم واحد، فأكلوا موضعاً واحداً، وهو كأحدهم، إن كان عنده شيء أحضره، كان لا يبيت شيئاً.

كان إذا سافر وغزا هو وأصحابه ينزلون المساجد لا يحضرون الدعوات والاجتماع، إن فتح عليهم في المسجد قبلوه وبذلوه، وكان يصون أصحابه عن التعرض والمسألة، فإن جاءه من تسكن إليه نفسه قبله لهم. كانت طريقته طريقة السلف المرضية.

٥٨٤ ـ أيوب الحمال

وأما أيوب الحمال[١]، فمن المجتهدين ومن الأسخياء، له كرامات عجيبة.

عن محمد بن وهب، عن بعض أصحابه: أنه حج مع أيوب الحمال. قال: فلما دخلنا البادية، وسرنا منازل إذا بعصفور تحوم حولنا، فرفع أيوب رأسه إليه وقال له: قد جئت إلى ها هنا؟ فأخذ

---

(١) أيوب الجمال، وفي بعض النسخ: أبو أيوب الحمال.

قال في صفة الصفوة: يكنى أبا سليمان.

كسرة خبز ففتته في كفه فانحط العصفور وقعد على كفه يأكل منها، ثم صب له ماء فشربه، ثم قال: اذهب الآن. فطار العصفور، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل أيوب مثل فعله في اليوم الأول. فلم يزل كل يوم يفعل به ذلك إلى آخر السفر، ثم قال أيوب: تدري ما قصة هذا العصفور؟ كان يجيئني في منزلي كل يوم فكنت أفعل به ما رأيته فلما خرجنا تبعنا يقتضي مني ما كنت أفعل به في المنزل.

وحكى جعفر بن محمد عن محمد بن خالد قال: سمعت أيوب يقول: عقدت على نفسي أن لا أمشي غافلاً ولا أمشي إلا ذاكراً، فمشيت مشية غفلة فأخذتني عرجة فعلمت من أين أتيت، فبكيت واستغثت، فتبت فزالت العلة والعرجة، فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه فرجعت إلى الذكر فمشيت سليماً.

٥٨٥ ـ أبو عبد الله الجلاء

[ت٣٠٦هـ]

وأما أبو عبد الله الجلاء أحمد بن يحيى[١]، فهو بغدادي سكن الرملة. صحب ذا النون، وأبا تراب، وأباه يحيى الجلاء. له النكت اللطيفة. أحد أئمة القوم. لم يكن بالشام في حاله له شبيه مذكور. تخرج به جماعة من المذكورين.

سمعت والدي يذكر عن بعض أصحابه أنه كان يقول: يحتاج العبد أن يكون له شيء يعرف به كل شيء.

وكان يقول: من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد.

(١) أحمد بن يحيى، من أهل بغداد، لكنه انتقل فسكن الشام، توفي سنة ست وثلاثمائة رحمه الله (الصفوة).

وقال: سمت همم المريدين إلى طلب الطريق إليه، فأفنوا نفوسهم في الطلب. وسمت همم العارفين إلى مولاهم فلم تعطف على شيء سواه.

وكان يقول: من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بُلِغَ به ثبت عليها.

وكان إذا سئل عن المحبة قال: مالي وللمحبة، أنا أريد أن أتعلم التوبة.

وسئل كيف تكون ليالي الأحباب فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده   لم يدر كيف تفتت الأكباد

عن أبي عمرو الدمشقي. قال: سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي وأمي: أحب أن تهباني لله، قالا: قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة فرجعت من غيبتي ـ وكانت ليلة مطيرة ـ فدققت عليهما الباب، فقالا: من؟ قلت: ولدكما. قالا: كان لنا ولد فوهبناه لله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا. وما فتحا لي الباب.

٥٨٦ ـ ابن أبي الورد

وأما محمد بن محمد بن أبي الورد، وقيل أحمد، فمن جلة المشايخ وكبارهم. صحب بشراً الحافي والحارث بن أسد المحاسبي، وسريا السقطي. محله في الورع محل شيوخه وأئمته.

عن محمد بن إبراهيم. قال: قال ابن أبي الورد: بساط المجد بسط للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة. وبساط الهيبة بسط للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، ولا يشاهدوا ما يستريحون إليه في المشهد الأعلى.

وقال أحمد بن أبي الورد: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب،

وترك الخلاف، والنفاذ في الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

وقال: إن ولي الله إذا أراد ثلاثة أشياء زاد منها ثلاثة أشياء، إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

وكان يقول: طرح الدنيا إلى المقبلين عليها والإعراض عنها وعن المقبلين عليها من عمل الأكياس، لأن من عزفت نفسه عن محبة الدنيا، أحبه أهل الأرض، ومن أعرض بقلبه عن محبة الدنيا أحبه أهل السماء.

عن علي بن عبد الحميد. قال: سمعت ابن أبي الورد يقول: آفة الخَلْقِ في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل جوارح بلا مواطأة القلب، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول.

أسند الكثير عن بشر بن الحارث وغيره.

٥٨٧ ـ صدقة المقابري

وأما صدقة المقابري فمن أقران المتقدمين، كبشر بن الحارث وطبقته وكان من التحقق والتحفظ بالمحل العالي.

عن سعدان. قال: قال صدقة المقابري لرجل كان يواخيه ويصحبه: كيف تجدك؟ فقال: إن الذي بي من البلاء أقل مما أصبت من لذة الهوى، ولو أصابني من البلاء بقدر ما نلت من لذة الهوى إذاً لاجتمع عليّ جميع البلاء.

وكان كثيراً ينشد أبياتاً للثقفي:

أما ترى الموت ما ينفك مختطفاً ... من كل ناحية نفساً فيرديها
قد نغصت أملا كانت تؤمله ... وقام في الحي ناعيها وباكيها

وأسكنوا الترب تبلى فيه أعظمهم	بعد النضارة ثم الله يحييها
وصار ما جمعوا منها وما دخروا	من الأقارب يحويه أدانيها
فامهد لنفسك في أيام مدتها	واستغفر الله مما أسلفته فيها

٥٨٨ ـ طاهر المقدسي

ومنهم طاهر المقدسي: صحب ذا النون، وأعلام النساك من الشاميين وغيرهم.

عن أبي القاسم الدمشقي. قال: سمعت طاهراً المقدسي يقول: ـ وسئل لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟ ـ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد.

وكان يقول: حد المعرفة التجرد من النفوس، وتدبيرها في ما يجل أو يصغر.

عن علي بن الحسين بن حمدان. قال: سمعت أبي يقول: قال طاهر المقدسي: لو عرفت الناس قدر أنوار العارفين لاحترقوا في أنوارهم.

عن أحمد بن جعفر. قال: قال طاهر: إن الانقطاع إلى الله لا يكون بمشاركة الدنيا، ومن ألجأ نفسه إلا الانقطاع إليه اتخذ أنس الناس وحشة عند ما أنس بالانقطاع إلى نفسه.

٥٨٩ ـ نصر الصامت

ومنهم المبالغ في الرياضة المتابع في السياسة، قمع هواه وكفى عناه، العابد القانت المعروف بنصر الصامت.

عن إسحاق بن سفيان، عن نصر بن الحريش الصامت. قال: حججت أربعين حجة ما كلمت فيها أحداً. فسمي الصامت.

أسند الحديث الكثير.

٥٩٠ ـ محمد بن إبراهيم البغدادي

ومنهم المتوكل السابح، والمتجرد الرائح، كان لفنون العلم جامعاً، وكلامه للقلوب نافعاً، شيخ القوم ولسانهم في المحبة والشوق، والأنس والقرب وموارد القلوب، ومعاني الخطوب، وصفاء الذكر، ونقاء السر، يحث على تصحيح الأعمال والتخفف عن الأثقال. جالس الإمام أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث.

وكان يقول: لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا يسمع له صوت، ولا يوطأ له عقب، ولا تكون له رئاسة.

أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي. كان مولى عيسى بن أبان القاضي، عرف له آيات وكرامات، تقدم له ذكر.

عن أبي حمزة أنه كان يقول: اللهم إنك تعلم أني من أفقر خلقك إليك، فإن كنت تعلم أن فقري إليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري.

وكان يقول: إذا صاح المحب للدنيا فإنما ذاك شيطان يصيح في جوفه.

عن أبي بكر الكتاني. قال: سمعت أبا حمزة يقول: لولا الغفلة لمات الصديقون من روح ذكر الله.

وسئل عن الأنس فقال: ضيق الصدر من معاشرة الخلق.

وكان يقول: من استشعر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فانٍ. ومن استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه.

وقال لبعض أصحابه: خَفْ سطوة العدل، وارجُ دقة الفضل، ولا تأمن مكره وإن أنزلك الجنان، ففي الجنة وقع لأبيك آدم عليه السلام ما وقع.

وكان يقول: من نصح لنفسه كرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه، ومن خصه الله بنظر شفقة، فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة، وتزينه بالصدق ظاهراً وباطناً، والعارف يخاف زوال ما أعطي، والخائف يخاف نزول ما وعد، والعارف يدافع عيشه يوماً بيوم ويأخذ عيشه ليوم.

٥٩١ ـ حسن المسوحي

ومنهم حسن المسوحي، كان من العاملين بالتحقيق، والقائمين بالتصديق، أحكم علم الأصول، وسهل له سبيل الوصول.

سمعت أبا عمرو العثماني وذكر أنه كان يتكلم على الناس ولم يكن يجاوز علم الأصول في العبادات والأحوال. وحكى عن الجنيد بن محمد بن مسروق أنه لم يكن له منزل يأوى إليه. وكان يأوى باب الكناس في مسجد يكنه من الحر والبرد.

٥٩٢ ـ أبو عبد الله البراثي[1]

ومنهم أبو عبد الله البراثي، صاحب النكت المرضية، والأحوال الزكية، من كبار المشايخ ومتقدميهم.

عن البرجلاني. قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع، نذل لمن لا يقدر لنا على ضر ولا نفع، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف أزعم أني أعرف ربي حق معرفته، هيهات هيهات، للمعرفة تحقيق، ولكن المؤمن على جملة معرفة التوحيد. وأهل التحقيق للمعرفة هم المجتهدون المجدون لله في طاعته.

---

(١) أبو عبد الله البراثي، سبقت ترجمته برقم (٤٨٩).

عن حكيم بن جعفر. قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: بالمعرفة هانت على العاملين عبادتهم، وبالرضا عن تدبيره زهدوا في الدنيا، ورضوا لأنفسهم بتدبيره.

وكان يقول: كرمك سيدي أطمعنا في عفوك، وجودك أطمعنا في فضلك، وذنوبنا تؤيسنا من ذلك، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها منك، فتفضل بها يا كريم، وجد بعفوك يا رحيم.

وكان يقول: ما بينك وبين ملاقاة السرور ومجالسة الأبرار في كل لذة وحبور إلا أن تخرج نفسك من بين جنبيك والمولى عنك راض. ثم يبكي ويقول: وأنى لنا بالرضا ونحن نعلم ما عندنا من الخطايا والآثام ثم يبكي.

٥٩٣ ـ أبو شعيب البراثي

ومنهم أبو شعيب البراثي ذو الأحوال العالية، من متقدمي شيوخ بغداد.

عن الجنيد بن محمد. قال: كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثى[1] في كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا، كانت ربيت في قصور الملوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسيرة له فعزمت على التجرد عن الدنيا، والاتصال بأبي شعيب، فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون لك خادماً. فقال لها: إن أردت ذلك فغيري من هيئتك، وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحين لما أردت. فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك وحضرته، فتزوجها.

فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

---

(١) براثى: هي محلة في أطراف بغداد.

٥٩٤ - بنان البغدادي

ومنهم بنان البغدادي[1]، وقيل واسطي، سكن مصر، كان بالمعروف أماراً وللأديان ذكاراً.

أمر أمير مصر ابن طولون بمعروف فَوَجَدَ عليه فأغراه أبو عبيد الله القاضي عليه حتى ضربه سبع درر، وألقاه إلى السبع فدعا على أبي عبيد الله فحبسه ابن طولون بدل كل درة سنة.

عن أبي علي الروذباري. قال: كان سبب دخولي مصر، حكاية بنان، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يلقى بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها.

واحتال عليه أبو عبيد الله القاضي حتى ضرب سبع درر فقال: حبسك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين.

عن الزبير بن عبد الواحد. قال: سمعت بناناً يقول: الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع.

عن الحسين بن عبد الله القرشي. قال: سمعت بناناً يقول: من كان يسره ما يضره متى يفلح؟.

عن الرقي. قال: سمعت بناناً يقول: إن أفردته بالعبودية، أفردك بالعناية، والأمر بيدك إن نصحت صافوك، وإن خلطت خلوك. وإن كان رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة تؤدي بصاحبه إلى ركوب الفواضل.

(١) الذي في صفة الصفوة: بنان بن محمد بن حمدان الحمال، يكنى أبا الحسن، أصله من واسط، لكنه ببغداد نشأ وأقام. وانتقل إلى مصر ومات بها. توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة. رحمه الله.

٥٩٥ - إبراهيم الخواص

[ت٢٩١هـ]

ومنهم المتبتل المتوكل، تبتل عن الخلق، وتوكل على الحق، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، له في التوكل الحال المشهور والذكر المنشور.

عن محمد بن عبد الله الأنصاري. قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: من لم يصبر لم يظفر، وإن لإبليس وثاقين ما أوثق بنو آدم بأوثق منهما: خوف الفقر، والطمع.

عن محمد. قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: من صفة الفقير أن تكون أوقاته مستوية في الانبساط لفقره، صائناً له محتاطاً، لا تظهر عليه فاقة، ولا تبدو منه حاجة، أقل أخلاقه الصبر والقناعة، راحته في القلة، وتعذيبه في الكثرة، مستوحش من الرفاهات، متنعم بالخشونات، فهو بضد ما فيه الخليقة، يرى ما هو عليه معتمده، وإليه مستراحه، ليس له وقت معلوم، ولا سبب معروف، فلا تراه إلا مسروراً بفقره فرحاً بضرِّه، مؤنته على نفسه ثقيلة، وعلى غيره خفيفة، يعز الفقر ويعظمه، ويخفيه بجهده ويكتمه، حتى عن أشكاله يستره. قد عظمت من الله تعالى عليه فيه المنة، وجل قدرها في قلبه من نعمة، فليس يريد بما اختار الله له بدلاً، ولا يبغي عنه حولاً، فمن نعوتهم اثنتي عشرة خصلة:

أولها: كانوا بوعد الله مطمئنين.

والثانية: من الخلق آيسين.

والثالثة: عداوتهم للشياطين.

والرابعة: كانوا من حيث الحق في الأشياء خارجين.

والخامسة: كانوا على الخلق مشفقين.

والسادسة: كانوا لأذى الناس محتملين.

والسابعة: كانوا لمواضع العداوة لا يدعون النصيحة لجميع المسلمين.

والثامنة: كانوا في مواطن الحق متواضعين.

والتاسعة: كانوا بمعرفة الله مشتغلين.

والعاشرة: كانوا الدهر على طهارة.

والحادية عشر: كان الفقر رأس مالهم.

والثانية عشر: كانوا في الرضا فيما قل أو كثر وأحبوا أو كرهوا عن الله واحداً.

فهذه جملة من صفاتهم، يقصر وصف الواصفين عن أسبابهم.

وكان يقول: أربع خصال عزيزة: عالم مستعمل لعلمه. وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد ذاهب عن الطمع.

وقال: الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة: الركون إلى الدنيا، وهمُّ غد، وحبُّ الفضول، وحسد أخ.

قال: ولا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان: إحداهما الثقة بالله، والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا.

ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء. وعلامة صدقه في ذلك: أن يجد للمنع من الحلاوة مالا يجد للعطاء، لا يعرفه غير بارئه الذي خصه بمعرفته وأياديه، فهو لا يرى سوى مليكه، ولا يملك إلا ما كان من تمليكه، فكل شيء له تابع، وكل شيء له خاضع.

قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: من أراد الله بَذَل له نفسه وأدناه من قربه، ومن أراده لنفسه أشبعه من جنانه وأرواه من رضوانه. وقال:

عليل ليس يبرئه الدواء طويل الضر يفنيه الشفاء
سرائره بواد ليس تبدو خفيات إذا برح الخفاء

عن أبي بكر الأنصاري. قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: علم العبد بقرب قيام الله على العبد، يوحشه من الخلق، ويقيم له شاهد الأنس بالله. وعلم العبد بأن الخلق مسلطين مأمورين، يزيل عنه خوفهم، ويقيم في قلبه خوف المسلط لهم.

عن الأزدي. قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقال إبراهيم: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال إبراهيم: عقوبة القلب أشد العقوبات، ومقامها أعلى المقامات، وكرامتها أفضل الكرامات، وذكرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار، عليها وقع الخطاب، هي المخصوصة بالتنبيه والعتاب.

عن محمد بن عبيد الله الأنصاري. قال: سمعت إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: الفقير يعمل على الإخلاص، وجلاء القلب، وحضوره للعمل، والغني يعمل على كثرة الوساوس وتفرقة القلب، في مواضع الأعمال.

---

(١) سورة المنافقون، الآية (٨).

والفقير ضعّف بدنَه، في العمل قوةُ معرفته وصحة توكله، والفقير يعمل على إدراك حقيقة الإيمان وبلوغ ذروته، والغني يعمل على نقصان في إيمانه وضعف من معرفته.

والفقير يفتخر بالله عز وجل، ويصول به، والغني يفتخر بالمال ويصول بالدنيا.

والفقير يذهب حيث شاء والغني مقيد مع ماله.

والفقير يكره إقبال الدنيا، والغني يحب إقبالها.

والفقير فوق ما يقول، والغني دون ما يقول.

والناس رجلان: رجل وعبد، فالرجل مهموم بتدبير نفسه، متعوب بالسعي في مصلحته، والعبد طرح نفسه في ظل الربوبية، وكان من حيث العبودية، وعلى قدر حسن قبول العبد عن الله تكون معونة الله له.

والمتوكلون الواثقون بضمانه غابوا عن الأوهام، وعيون الناظرين، فعظم خطر ما أوصلهم إليه، وجلَّ قدر ما حملهم عليه، وعظمت منزلتهم لديه. فيا طيب عيش لو عقل، ويا لذة وصل لو كشف ويا رفعة قدر لو وصف.

قال: والعارف بالله يحمله الله بمعرفته، وسائر الناس تحملهم بطونهم، ومن نظر الأشياء بعين الفناء كانت راحته في مفارقتها، ولم يأخذ منها إلا لوقته.

قال: والرزق ليس فيه توكل، إنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد، وإنما يقوى صبر العبد على قدر معرفته بما صبر له، أو لمن صبر، والصبر ينال بالمعرفة، وعلى الصابر حمل مؤونة الصبر حتى يستحق ثواب الصابرين، لأن الله تعالى جعل الجزاء بعد الصبر قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ

﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1] فالجزاء إنما وقع له عليه السلام بعد ما أتم حمل البلوى.

قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: الحركة للمريدين طهارة، ولسائر الناس إباحة، وللمخصوصين عقوبة لهم إذا مالوا إلى ما فيه الحظ لأنفسهم، لأن الأسباب إنما تبطئ على العارفين، وتمتنع عن الحركة إليهم، لما فيهم من الحركة إليها، فإذا فنيت آثارها تحركت إليهم، وأقبل الملك بكليته عليهم. وكفى بالثقة بالله مع صدق الانقطاع إليه حياطة من العبد لنفسه وأهله وولده. وكل مريد يتوجه إلى الله وهموم الأرزاق قائمة في قلبه فإنه لا يفلح ولا ينفذ في توجهه.

قال: وسمعت أبا إسحاق يقول: علامة حقيقة المعرفة بالقلب: خلع الحول والقوة، وترك التملك مع الله في شيء من ملكه، ودوام حضور القلب بالحياء من الله، وشدة انكسار القلب من هيبة الله، فهذه الأحوال دلائل المعارف والحقيقة، فمن لم يكن على هذه الأحوال، فإنما هو على الأسماء والصفات.

قال: وسمعته يقول: التوكل على ثلاث درجات: على الصبر والرضى والمحبة، لأنه إذا توكل وجب عليه أن يصبر على توكله بتوكله، لمن توكل عليه، وإذا صبر وجب عليه أن يرضى بجميع ما حكم عليه، وإذا رضي وجب عليه أن يكون محباً لكل ما فعل به موافقة له.

قال الشيخ: كان أبو إسحاق من المحققين في التوكل، المنخلعين من حظوظهم، التاركين لأحكام نفوسهم. فكان الحق يحملهم ويلطفهم بلطائف لطفه.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

عن محمد بن عبد الله. قال: سمعت إبراهيم الخواص وقد سأله بعض أصحابنا وهو يتأوه: ما هذا التأوه؟ فقال: أوه، كيف يفلح من يسرُّه ما يضره؟ ثم أنشأ يقول:

تعودت مس الضر حتى ألفته   وأحوجني طول البلاء إلى الصبر
وقطعت أيامي من الناس آيساً   لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

٥٩٦ ـ أبو عبد الله خاقان

ومنهم من يسبى بسره الفتيان، ويجذب بدعوته من الخسران إلى الرجحان، وكان ذا بيان وبرهان، أبو عبد الله خاقان.

سمعت والدي قال: سمعت جعفر الشيرازي يقول: ـ وذكر خاقان ـ فقال: إنه كان صاحب آيات وكرامات.

وذكر أن ابن فضلان الرازي قال: كان أبي أحد الباعة ببغداد، وكنت على سرير حانوته جالساً فمر إنسان فظننت أنه من الفقراء البغداديين ـ وأنا حينئذ لم أبلغ الحلم ـ فجذب قلبي وقمت إليه وسلمت عليه، ومعي دينار فدفعته إليه، فتناوله ومضى ولم يقبل عليّ، فقلت في نفسي: ضيعت الدينار فإنه مهوس، فتبعته حتى انتهى إلى مسجد الشونيزية، فرأى فيه ثلاثة من الفقراء فدفع الدينار إلى أحدهم واستقبل هو القبلة يصلي، فخرج الذي أخذ الدينار وأنا أتبعه وراءه أراقبه، فاشترى طعاماً وحمله، فأكله الثلاثة، والشيخ مقبل على صلاته يصلي. فلما فرغوا أقبل عليهم فقال: أتدرون ما حبسني عنكم؟ قالوا: لا يا أستاذ. قال شاب: ناولني الدينار فكنت أسأل الله أن يعتقه من رق الدنيا، وقد فعل، فلم أتمالك أن قعدت بين يديه وقلت: صدقت يا أستاذ. فلم أرجع إلى والدي إلا بعد حجتين، وكان هذا الشيخ خاقان.

٥٩٧ ـ إبراهيم المارستاني

ومنهم المعلم المفهم، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارستاني.

كان الجنيد له مواخياً، وعليه حامياً وحانياً. وذلك أن الجنيد بلغه أن بعض المتأولين زين له تأويلاً فمال إليه فكتب إليه الجنيد رسالة:

أخبرنا بها أبو بكر محمد بن أحمد بن المفيد، وحدثنا بها عنه أبو عمرو العثماني، ثنا عبد الصمد بن محمد الجبلي قال: كتب الجنيد إلى إبراهيم بن أحمد المارستاني رسالة فيها:

يا أبا إسحاق لا ضيع الله ميلي إليك، ولا إقبالي عليك، أنا عليك عاتب واجد، ولما تقدم من فعلك غير حامد، أرضيت أن تكون لبعض عبيد الدنيا عبداً؟ أو يكون بطاعتك له عليك مهيمناً وربا، يتخولك ببعض ما يعطيك، ويمتهنك بيسير ما يزريك مبتذلاً لك، ثم يدنسك بأوساخ وضره، ويجتذبك بمأثور ضرره؟ فسبحان من بسط إليك به رحمته ورأفته، فاستنقذك بذلك من وبال ما اخترته لنفسك وملت إليه، لقد كدت أن تغرق في خلجان بحرها، أو تهلك في بعض مفاوزها.

ولقد أوجب عليَّ من الشكر لما جدد من النعمة عليك، ووهب لي من السلامة فيك، مالا أقوم به عجزاً عن واجب حقه، إلا أن يقوم به لي عني، وأنا أسأل المنان المتطول بفضله المبتدي بكرمه وامتنانه، أن يقوم لي عني بما قصر له به شكري، بادئاً في ذلك بالحمد والجود كما هو أهله، بل ما لا أحصيه من نعمه.

فليت شعري أبا إسحاق، كيف معرفتك بما جدد لك من نعمه وآلائه، وزوى عنك من عطب فرط بلائك، وكيف علمك بعد معرفتك فيما ألزمك المنعم عليك والمنان بفضله وإحسانه فيما أسدى إليك. ألك ليل ترقده، أم نهار تمهده، أم مستراح عن الجد تجده، أم طعام تعهده، أم سبب من الأسباب دون ذلك تقصده؟ على أن ذلك غير نائب عنك في وجوب حق النعمة عليك فيما جدد به من

عتيد البر لديك، لكنه الغاية الممكنة من فعلك، والاجتهاد في بلوغ الأجر من عملك.

فكن له بأفضل ما هيأ لك عاملاً، وعليه به في سائر أوقاتك مقبلاً، ثم كن له بعد ذلك خاضعاً مذعناً ضارعاً معترفاً، فإن ذلك يسير من كثير وجب له عليك.

وبعد يا أخي، فاحذر ميل التأويل عن الحقائق، وخذ لنفسك بأحكم الوثائق، فإن التأويل كالصفاء الزلال الذي لا تثبت عليه الأقدام، وإنما هلك من هلك من المنسوبين إلى العلم، والمشار إليهم بالفضل، بالميل إلى خطأ التأويل، واستيلاء ذلك على عقولهم، وهم في ذلك على وجوه شتى، وإني أعيذك بالله وأستعينه لك، وأعيذك به من ذلك كله، وأسأله أن يجعل عليك جنة من جنته، وواقية من واقيته وإحسانه.

وبعد يا أخي، كيف أنت في ترك مواصلة من عرضك للتقصير، ودعاك إلى النقص والفتور؟ وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك، وكيف إعراض سرك ونبو قلبك وعزوف ضميرك عنه؟ وحقيق عليك، ما وهبه الله لك وخصك به من العلم الجليل والمنزل الشريف، أن تكون عن المقبلين على الدنيا معرضاً، وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعاً، فذلك بعض حقك لك.

وحري بك أن تكون للمذنبين ذائداً، وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائداً، وفي استنقاذهم وافداً، فتلك حقائق العلماء، وأماكن الحكماء. وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده، وأعمهم نفعاً لجملة خلقه. جعلنا الله وإياك من أخص من أخلصه بالإخلاص إليه، وأقربهم في محل الزلفى لديه.

٥٩٨ ـ أبو جعفر المجذوم

ومن الأتقياء الأبرياء، والضعفاء الأقوياء، الأخفياء الأولياء

المجذوم أبو جعفر[١]. كان مسكيناً خاضعاً، فكان الحق له معيناً صانعاً.

عن أبي الحسين الدراج. قال: كان يصحبني كل سنة حججت جماعة من المشاة من الفقراء وغيرهم ـ لمعرفتي بالطرق والمياه ـ فكنت أتولى القيام بأمرهم، فعزمت سنة من السنين أن أحج منفرداً، لا يصحبني أحد ولا أصحب أحداً فخرجت فدخلت مسجد القادسية، فرأيت رجلاً مجذوماً مبتلى في المحراب، فسلم عليّ وقال: يا أبا الحسين عزمت الحج؟ فأجبته مغتاظاً عليه، فقلت: نعم. فقال لي: فالصحبة، فقلت في نفسي: هربت من الأصحاء الأقوياء أبتلي بمجذوم مبتلى، فقلت: لا. فقال لي: افعل، فقلت: والله لا فعلت. فقال لي: يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوي. فقلت: نعم ـ كالمنكر عليه ـ.

فتركته فصليت العصر ومشيت نحو المغيثة[٢] فبلغتها من الغد ضحوة، فدخلت مسجدها فإذا الشيخ جالس في المحراب، فسلم عليّ وقال لي: يا أبا الحسين، يصنع الله بالضعيف حتى يتعجب القوي. فاعترضني الوسواس في أمره، ولم أجلس وغدوت ماشياً حتى بلغت القرعاء مع الصبح، فدخلت المسجد فإذا بالشيخ قاعد فقال لي: يا أبا الحسين يصنع الله بالضعيف حتى يتعجب القوي. قال: فبادرت إليه ووقعت على وجهي بين يديه، وقلت: المعذرة إلى الله وإليك. فقال لي: مالك؟ قلت: أخطأت. قال: وما هو؟ قلت: الصحبة قال: قد حلفت وأكره أن أحنثك. قلت: فأراك في كل منزل؟ قال: هذا نعم.

قال: فطار عني ما كان من التعجب والجزع، وما كان بي إلا أن يجمعني وإياه المنازل، فكنت ألقاه في المنازل إلى أن بلغت المدينة، فغاب عني فلم أره.

---

(١) أبو جعفر المجذوم، بغدادي من أقران أبي العباس بن عطاء.

(٢) المغيثة: موضع على طريق مكة.

فلما قدمت مكة ذكرت ذلك لمشايخنا أبي بكر الكتاني وأبي الحسن المزين وغيرهما، فاستحمقوني وقالوا: ذاك أبو جعفر المجذوم ما منا أحد إلا ويسأل الله رؤيته ولقاءه منذ كذا. فقلت: قد كان ذاك، فقالوا: إن لقيته فتلطف له وأعلمنا لعلنا نراه. فقلت: نعم.

فطلبته بمنى وعرفات فلم أره، فلما كان يوم النحر وأنا أرمي الجمرة جذبني إنسان وقال: السلام عليك أبا الحسين. فنظرت فإذا هو، فلحقني من رؤيته أن صحت وغشي عليَّ وسقطت فذهب، فقصدت مسجد الخيف وأخبرت أصحابي فعاتبوني. فكنت أصلي يوم الوداع خلف المقام ركعتين رافعاً يدي فجذبني إنسان من خلفي فالتفت فقال: يا أبا الحسين عزمت عليك أن لا تصيح. فقلت: نعم، لكن أسألك الدعاء لي. فقال: سل ما شئت. فسألت الله ثلاثاً فأمن على دعائي وغاب عني فلم أره.

قال منصور: فسألت أبا الحسين الدراج عن سؤالاته قال: أحدها قلت: رب حبب إليّ الفقر. فليس شيء أحب إليّ منه، والثاني قلت: اللهم لا تجعلني أبيت عندي ما أدخره لغد، فأنا من تلك السنة أبيت وليس لي شيء أدخره. والثالثة قلت: اللهم إذا أذنت لأوليائك في النظر إليك فارزقني ذلك واجعلني منهم. فأنا أرجو أن يمن الله عليّ بالثالثة إن شاء الله.

٥٩٩ ـ أبو عبد الله المغربي

[ت٢٩٩هـ]

ومنهم أبو عبد الله المغربي[١]. كان من المعمرين. صحب

---

(١) أبو عبد الله المغربي، واسمه محمد بن إسماعيل، وكان أستاذ إبراهيم الخواص، توفي على جبل الطور سنة تسع وتسعين، وقيل: تسع وسبعين ومائتين وأوصى أن يدفن إلى جانب أستاذه علي بن رزين، وعاش كل واحد منهما عشرين ومائة سنة (الصفوة).

علي بن رزين، قيل: إنه توفي عن مائة وعشرين سنة، وقبره بجبل طور سينا، عند قبر أستاذه علي بن رزين. كان من المحققين له النكت الوثيقة والاستغاثة على الطريقة.

عن إبراهيم بن شيبان. قال: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: أهل الخصوص مع الله ثلاث منازل: قوم ضن بهم عن البلاء لكيلا يستغرق البلاء صبرهم، فيكرهوا حكمه، ويكون في صدورهم حرج من قضائه. وقوم ضن بهم عن مجاورة العصاة، لتسلم صدورهم للعالم فيستريحون ولا يغتمون. وقوم صب عليهم البلاء صبا، فصبرهم ورضاهم، فازدادوا بذلك له حباً ورضى بحكمه.

وله عباد منحهم نعماً تجدد عليهم، وأسبغ عليهم باطن العلم وظاهره، وأخمل ذكرهم.

وكان يقول: أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات.

وكان يقول: الفقير الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره، ليغنيه بالاستغناء به كما عزه بالافتقار إليه

وقال: أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً أو تواضع له. وأعظم الخلق عزاً غني تذلل لفقير أو حفظ حرمته.

وقال: الراضون بالفقر هم أمناء الله في أرضه، وحجته على عباده، بهم يدفع البلاء عن الخلق.

٦٠٠ ـ عبد الرحيم بن عبد الملك

ومنهم: عبد الرحيم بن عبد الملك: كان من المتحققين الواثقين. صحب المتقدمين من أصحاب السري وبشر.

عن إبراهيم الخواص. قال: دخلت مسجد التوبة، فرأيت عبد الرحيم مستنداً إلى سارية، فقلت للقيم: متى قعد هذا الرجل

هاهنا؟ فقال: اليوم ثلاثة أيام قاعداً على ما تراه، لم يخرج ولم يتكلم. فقعدت بحذائه، فلما أمسينا قلت له: أي شيء تريد حتى أحمله ونأكل؟ فسكت عني فكررت عليه فقال: أريد مصلية معقدة وخبزاً حاراً.

فخرجت إلى باب الشام فطلبت ذلك فلم أجده، فعاتبت نفسي، وقلت: يا فضول من دعاك إلى أن تستدعي شهوته؟ لو اشتريت خبزاً وإداماً وحملت استغنيت عن ذلك.

ورجعت مغتماً إلى المسجد، فإذا رجل يدق باب المسجد فقلت: من؟ فقال: افتح، ففتحت فإذا على رأسه زنبيل فحطه وقال لي: أسألك أن يأكل أهل المسجد من هذا الطعام. فأخرج منه خبزاً حاراً ومصلية معقدة في قدر، فبهت وقلت: لا نمسه حتى تخبرني به. فقال: أنا رجل صانع واشتهيت مصلية معقدة وخبزاً حاراً فاشتريت اللحم وما يصلحه، وأمرتهم بطبخه وأن يخبزوا خبزاً حاراً وجئت العتمة من الدكان. وبعد ما فرغ منه ما كان خبز الخبز. فحلفت بالطلاق أن لا يأكل من هذا الخبز أو المصلية أحد إلا من في مسجد التوبة، فأحب أن تأكلوه.

٦٠١ ـ محمد السمين

ومنهم الفاتك الأمين، القوي المكين، المعروف بمحمد السمين.

عن الجنيد بن محمد. قال: قال محمد السمين: كنت في وقت من أيامي محمولاً، أعمل على الشوق، وأنا أجد من ذلك شيئاً وأنا به مشتغل، فخرج الناس في غزاة وخرجت معهم، فاشتدت شوكة الروم على المسلمين والتقوا، ولحق المسلمين من ذلك خوف لكثرتهم، فرأيت نفسي مروعاً تضطرب، فكبر ذلك علي، فوبخت نفسي ألومها وأقول لها: أين ما كنت تدعينه من الشوق؟ وأعاتبها أقول لها: لما ظفرت بما كنت تؤملين تغيرت واضطربت؟.

فبينا أنا في عتابي وتوبيخي لها، وقع لي أن أنزل إلى هذا البحر وأغتسل وبحضرتنا نهر من أنهار الروم، فخلعت ثيابي واتزرت ودخلت البحر، فاغتسلت فأعطيت قوة، وذهب عني الروع والاضطراب بتلك القوة، واشتدت بي العزيمة فخرجت ولبست ثيابي وأخذت سلاحي وأتيت الصف فحملت حملة لا أحس من نفسي شيئاً، فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم وصرت من وراء صفوف الروم، فكبرت تكبيرة فسمع العدو تكبيرتي وقدروا أن كميناً للمسلمين قد خرج عليهم من ورائهم فولوا منهزمين، وحمل عليهم المسلمون فقتل منهم نحو أربعة آلاف رجل، وجعل الله ذلك التكبير سبباً للفتح والنصر.

عن مؤمل المغازلي. قال: كنت أصحب محمد السمين فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينا نحن في برية نسير، إذ زأر السبع من قريب، فجزعت وتغيرت، وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر، فضبطني محمد وقال: يا مؤمل، التوكل ها هنا ليس في مسجد الجامع.

٦٠٢ ـ محمد بن سعيد القرشي

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد القرشي. ذو البيان الشافي واللسان الموافي.

سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد العثماني يقول: قال أبو عبد الله القرشي ـ في كتابه شرح التوحيد في نعت المتحقق بالله في وجده به ـ: إن لله عباداً اختارهم من خلقه، واصطفاهم لنفسه، وانتخبهم لسره، وأطلعهم على غامض وحيه ولطيف حكمته، ومخزون علمه، أبانهم عن أوصافهم المنتشئة عن طبائعهم، ولم يردَّهم إلى علومهم المردودة إلى استخراجهم بحكم عقولهم، ولم يخرجهم إلى المرسوم من حكمة حكمائهم، بل كان هو لسانهم الذي به ينطقون، وبصرهم الذي به يبصرون وأسماعهم التي بها يسمعون، وأيديهم التي

بها يبشطون، وقلوبهم التي بها يفكرون، وبه في جميع أوصافهم يتصرفون. بائن عن الحلول في ذواتهم، وأبدأ الأشياء فيما بينه وبينهم، قهر كل موجود، وغمر كل محدود، وأفنى كل معهود. ظهر لأهل صفوته فلم يعترضهم الشك في ظهوره، وحققهم به فلم يطلبوا الإدراك في تحصيله، ألبس حقائقهم لبسة البقاء، وأشهدهم نفسه بعد الفناء. فلم يجعل للعمل إلى كيفيته سبيلاً، ولا إلى نعت ذلك تمثيلاً، بل جعل في الأصول وحكم العقول على صحة ذلك علماً ودليلاً.

٦٠٣ ـ علي السامري

ومنهم القارئ التالي الساري إلى المعالي الموافق للباري، علي بن الحسين السامري: ثابت في قصده، واف بعهده.

٦٠٤ ـ أبو جعفر الحداد

ومنهم أبو جعفر الحداد المتشمر في التزود والاجتهاد، صحب أبا تراب وأكابر العباد.

عن أبي عبد الله الحضرمي، عن أبي جعفر كان يقول: الفراسة هي أول خاطر فلا معارض، فإن اعترض فيها معارض بشيء يزيل المعنى فليست بفراسة، فإن ذلك خاطر أو محادثة النفس.

وحكى عنه أبو الحسين العلوي، قال: قال أبو جعفر: إذا رأيت ضر الفقير على ثوبه فلا ترج خيره.

٦٠٥ ـ أبو جعفر المزين الكبير

ومنهم المعروفان بالمزينين: الكبير أبو جعفر، والصغير أبو الحسن. جاورا الحرم سنين عدة، وماتا بمكة، كانا جميعاً من الاجتهاد متمتعين، وبالعبادة متنعمين.

سمعت والدي يقول: سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول: سمعت أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن يرفعهم بقدر

عظمته، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن بقدر جوده وكرمه، ولم يُفْرِح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته.

سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني ـ بمكة ـ يقول: سمعت أبا جعفر المزين يقول: محنتنا وبلاؤنا صفاتنا، فمتى فنيت حركات صفاتنا، أقبلت القلوب منقادة للحق منصرفة لحالها.

٦٠٦ ـ أبو الحسن المزين الصغير(١)

[ت٣٢٨هـ]

عن المرتعش. قال: قال أبو الحسن المزين: إن الذي عليه أهل الحق في وحدانيته: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك. فمن أدرك موجوداً معلوماً فهو بالموجود مغرور، والموجود عندنا معرفة حال وكشف علم بلا حال، لأن الحق باق بصفة الوحدانية التي هي نعت ذاته، ليس كمثله شيء وهو شيء ليس كالأشياء. والتوحيد هو أن تفرده بالأولية والأزلية دون الأشياء، جل ربنا عن الأكفاء والأمثال.

٦٠٧ ـ أبو أحمد القلانسي(٢)

ومنهم الحفي المؤانسي أبو أحمد القلانسي. كان ذا فتوة كاملة ومروءة شاملة.

وكان من دعائه لإخوانه: لا جعلنا الله وإياكم ممن يكون حظه الأسى والأسف على مفارقة الدنيا، وجعل أحب الأوقات إلينا وإليكم يوم اللقاء الذي يكون فيه دوام البقاء.

---

(١) أبو الحسن المزين الصغير، أصله من بغداد، ولكنه أقام بمكة وتوفي مجاوراً بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. (الصفوة).

(٢) أبو أحمد القلانسي سبقت ترجمته برقم (٥٧٨).

وكان يقول: العبد مأخوذ عليه أن يراعي ظاهر أعماله وباطنها، فظاهرها بذل المجهود وخلع الراحة واحتمال مكاره النفس، والزهد في فضول الدنيا. وباطن الأعمال التقوى والورع الصادق، والصدق والصبر والرضا والتوكل والمحبة له وفيه، والإيثار له وإجلال مقامه، والحياء منه وحسن موافقته وإعزاز أمره. فهذه الأعمال الظاهرة والباطنة مطايا العابدين ونجائبهم وعليها يسيرون إلى الله، ويسابقون بها إلى ثوابه وينزلون بها في قربه.

٦٠٨ ـ أبو سعيد القرشي

ومنهم أبو سعيد القرشي. كان بالعلل والآفات عارفاً، وعنها ناهياً وواقفاً.

عن همام بن الحارث. قال: سمعت أبا سعيد القرشي يقول: قلوب أهل الهوى سجون أهل البلاء، فإذا أراد الله أن يعذب البلاء حبسه في قلوب أهل الهوى فيضج إلى الله بالاستغاثة والخروج منها، من حر أجواف أهل الهوى.

قال: وسمعت أبا سعيد يقول: الحرص موصول بالطمع، والطمع موصول بالأمل، والأمل موصول بالشهوة، والشهوة موصولة بالشبهة، والشبهة موصولة بالحرام والحرام موصول بالنار. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[١].

٦٠٩ ـ أبو يعقوب الزيات[٢]

ومنهم أبو يعقوب الزيات، خلع الراحة والسبات، احترازاً من الفجيعة بالبيات.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣١).

(٢) أبو يعقوب الزيات سبقت ترجمته برقم (٥٥٣).

٦١٠ ـ أبو جعفر الكتاني

ومنهم أبو جعفر الكتاني. كان بذكره متنعماً، ولساعاته مغتنماً، جاور الحرم سنين. ومكن من الخدمة للمقام المكين.

كان له كل يوم ختمة يختمها مع الزوال والمؤذنون يؤذنون للظهر إذا ختم، فصعد غرفته يوماً للتطهر ـ وكان قد كف بصره ـ فوقع في المستحم وانكسرت رجله، ولم يكن بالقوي فيصيح فتأخر رجوعه إلى المسجد، حتى كادت الصلاة يفوت وقتها، فتعرف المؤذنون والمجاورون حاله فصعدوا غرفته فوجدوه قد انكسرت رجله، فأصلحوا من شأنه ونظفوه ونزلوا به حتى صلى.

٦١١ ـ أبو بكر الزقاق

ومنهم أبو بكر الزقاق كان مؤيداً بالألطاف والإرفاق.

عن محمد بن داود الرقي. قال: سمعت أبا بكر الزقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أني خرجت في وسط السنة أريد مكة وفي وسطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل، فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وقرحتي، وأنا من سكر إراداتي لم أحس به، وإذا أثرت الشمس في يدي قلبتها ووضعتها على عيني، رضاء مني بالبلاء، وكنت في التيه وحدي، فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة فهتف بي هاتف: يا أبا بكر! كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر.

وكان يقول: ليس السخاء عطية الواجد للمعدوم، إنما السخاء عطية المعدوم للواجد.

وكان يقول: منذ ثلاثين سنة ما عقدت عقدة واحدة مع الله خوف أن لا أفي به فيكذبني على لساني.

٦١٢ ـ أبو عبد الله الحضرمي

ومنهم أبو عبد الله الحضرمي. كان للعلائق مفارقاً، وبالحقائق ناطقاً.

عن المرتعش. قال: سألت أبا عبد الله الحضرمي عن التصوف ـ وكان منذ عشرين سنة صمت عن الكلام ـ فأجابني من القرآن فقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١) فقلت: فكيف صفتهم؟ فقال: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٢). قلت: فأين محلهم من الأحوال؟ قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾(٣) قلت: زدني. قال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٤).

٦١٣ ـ عبد الله الحداد

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي يعرف بالحداد. كان عن حظه حائداً، ولمشهوده شاهداً.

عن محمد بن داود الدينوري. قال: قال عبد الله بن الحداد: العبودية ظاهراً والحرية باطناً من أخلاق الكرام.

وقال: العبادة يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها السادة من النبلاء.

وكان يقول: علامة الصبر ترك الشكوى، وكتمان الضر والبلوى. ومن علامة الإقبال على الله صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار، وأحسن العبيد حالاً من رأى نعم الله عليه بأن أهَّله لمعرفته، وأذن له

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤٣).

(٣) سورة القمر، الآية (٥٥).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

في قربه، وأباح له سبيل مناجاته، وخاطبه على لسان أعز السفراء محمد ﷺ، وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره، إذ شكره يستوجب شكراً إلى مالا نهاية. وأحسن العبيد من عد تسبيحه وصلاته ويرى أنه لا يستحق به على ربه شيئاً. فلولا فضله ورحمته لعاينت الأنبياء عليهم السلام في مقام الإفلاس، كيف وأجلهم حالاً وأرفعهم منزلة، والقائم بمقام الصدق كيف عجز عنه الرسل، كلهم يقول: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) فمن رأى لنفسه بعد هذا حالاً أو مقاماً، فهو لبعده عن طرقات المعارف.

٦١٤ ـ أبو عمرو الدمشقي

ومنهم أبو عمرو الدمشقي. مكن في الولاية، واتصلت له الرعاية.

كان للمكارم فاعلاً، وعليها حافظاً، أعرض عن المستروحين إلى الأرواح، ونظر إلى صنع مالك الأجسام والأشباح.

عن منصور بن عبد الله. قال: قال أبو عمرو الدمشقي: التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص.

وكان يقول: الأشخاص بظلمتها كائنة، والأرواح بأنوارها مشرقة، فمن لاحظ الأشخاص بظلمتها أظلم عليه وقته، ومن شاهد الأرواح بأنوارها دلته على منورها.

عن عبد السلام بن محمد المخزومي. قال: سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول: خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة، والرياضة، والحراسة، والرعاية. فالسياسة والرياضة ظاهران، والحراسة والرعاية باطنان، فبالسياسة الوصول إلى التطهير، وبالرياضة الوصول إلى التحقيق، والسياسة حفظ النفس ومعرفتها والرياضة مخالفة النفس ومعاداتها، والحراسة معاينة برِّ الله في الضمائر. والرعاية مراعاة حقوق

المولى بالسرائر. وميراث السياسة القيام على وفاء العبودية. وميراث الرياضة الرضاء عند الحكم. وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة. وميراث الرعاية المحبة والهيبة. ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، عَلِمَه مَنْ علمه وجهله من جهله.

عن محمد بن عبد الله الرازي. قال: سمعت أبا عمرو الدمشقي يقول: كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتنوا بها.

٦١٥ ـ أبو نصر المحب

ومنهم أبو نصر المحب ـ بغدادي ـ كان للعروض بذولاً، وعن العوائق محمولاً.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: كان أبو نصر المحب ذا فتوة وسخاء، ومروءة وحياء.

عن أبي العباس بن مسروق. قال: اجتزت أنا وأبو نصر المحب بالكرخ، وعلى أبي نصر إزار له قيمة، فإذا نحن بسائل يسأل ويقول: شفيعي إليكم محمد ﷺ. فشق أبو نصر إزاره وأعطاه النصف، فمشى خطوتين فانصرف وأعطاه النصف الآخر وقال: هذا ند له.

٦١٦ ـ أبو سالم الدباغ

ومنهم أبو سالم الدباغ، كان من المتحققين والمجتهدين. صحب الكبار وكان يعد من الأبرار.

٦١٧ ـ أبو محمد الجريري

ومنهم أبو محمد الجريري، كان للأثقال حمولاً، وعن القواطع ذبولاً. وكان للحكمة عن غير أهلها صائناً، وللمدعين والمكتسبين بها شائناً.

وكان يقول: أدل الأشياء على الله ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره في ملكه، ثم كلامه الذي يستوفي كل شيء.

عن أبي الحسين الفارسي. قال: سمعت أبا محمد الجريري يقول: قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان في خلال ثلاث: الاكتفاء والاتقاء، والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتقى ما نهي عنه استقامت سيرته، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته. فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الاتقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة.

وقال أبو محمد الجريري: من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه، لأن النبي ﷺ قال: (لن ينجي أحداً منكم عمله). فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول.

٦١٨ - ابن الفرغاني

ومنهم الواسطي محمد بن موسى أبو بكر المعروف بابن الفرغاني.

صحب الجنيد والنوري، وانتقل إلى خراسان، سكن مرو. عالم بالأصول والفروع، ألفاظه بديعة، وإشاراته رفيعة كان يقول: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة.

عن محمد بن عبد الله الواعظ. قال: سمعت أبا بكر محمد بن موسى بن الفرغاني الواسطي بمرو يقول: شاهد بمشاهدة الحق إياك، ولا تشهده بمشاهدتك له.

قال: وسمعته يقول: الأسر على وجوه: أسير نفسه وشهوته،

وأسير شيطانه وهواه، وأسير ما لا معنى له لحظه أو لفظه هم الفساق. وما دام للشواهد على الأسرار أثر، وللأعراض على القلب خطر، فهو محجوب بعيد من عين الحقيقة. وما تورع المتورعون، ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض في سرائرهم، فمن أعرض عنها أدباً، أو تورع عنها ظرفاً فذلك الصادق في ورعه، والحكيم في آدابه.

وقال: أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه.

وقال: الحب يوجب شوقاً، والشوق يوجب أنساً، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير محب.

عن أبي العباس السياري. قال: سمعت أبا بكر الواسطي يقول: كائنات محتومة بأسباب معروفة، وأوقات معلومة، اعتراض السريرة لها رعونة.

قال: وسمعت الواسطي يقول: الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا في الأزل، يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم، كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم. فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأكمام المقصرة، والأقدام المنتفخة.

وقال: كيف يرى للفضل فضلاً من لا يأمن أن يكون ذلك مكراً.

وقال: الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه.

وقال: الناس على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: منَّ الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق. والطبقة الثانية منَّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون عن الكبائر

والصغائر. والطبقة الثالثة: منَّ الله عليهم بالكفاية، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الغفلة.

٦١٩ ـ أبو علي الجورجاني

ومنهم الحبر الرباني، الحسن بن علي أبو علي الجورجاني ـ له البيان الشافي، والكلام الوافي.

عن أبي بكر الرازي. قال: سمعت أبا علي الجورجاني يقول: ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة. فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد. وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة. فالخائف لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نار منور، والرجاء نور منور والمحبة نور الأنوار.

وقال في البخل: هو على ثلاثة أحرف الباء وهو البلاء. والخاء وهو الخسران. واللام وهو اللوم. فالبخيل بلاء على نفسه، وخاسر في سعيه وملوم في بخله.

٦٢٠ ـ أبو عبد الله السجزي

ومنهم أبو عبد الله السجزي، المعتبر الفكري.

عن عبد الله بن محمد المعلم. قال: سمعت أبا عبد الله السجزي يقول: العبرة أن تجعل كل حاضر غائباً، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضراً.

وقيل لأبي عبد الله: ما يدفعك عن لبس المرقعة؟ قال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ولا تدخل في حمل أثقال الفتوة. فقيل له: وما الفتوة؟ قال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وتمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق كلهم: برهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو أن لا يشغلك الخلق عن الله.

٦٢١ ـ محفوظ بن محمود

ومنهم المذعن للمعبود، الواثق بالودود. النيسابوري محفوظ بن محمود.

سمعت أبا عمرو محمد بن أحمد بن حمدان يقول: سمعت محفوظ بن محمود يقول: من أبصر محاسن نفسه ابتلي بمساوي الناس، ومن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوي الناس، ومن ظن بمسلم فتنة فهو المفتون.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال محفوظ: التائب الذي يتوب من غفلاته وطاعاته.

وقال: لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك.

وقال: أكثر الناس خيراً أسلمهم صدراً للمسلمين.

٦٢٢ ـ ابن طاهر الأبهري

ومنهم الأبهري أبو بكر بن طاهر، ظهر من حجابه الساتر، وغمر في جنابه العامر، رايات الكرام له مرفوعة، وطوارق الإياس عنه موضوعة، بسط لسانه في وجود الموجود وكرم المنعم المحمود.

عن عبد العزيز الأبهري. قال: قال أبو بكر بن طاهر: رفع الله عن العالمين به حجب الأستار، وأطلعهم على طويات مخزونات الأسرار، وأمدهم بمواد المعارف والأنوار، فهم بما ألبسهم من نوره إلى أسراره متطلعون، وبما كاشفهم من شواهد حقيقة معرفته على سائر الأمور مشرفون، لا يقدح في قلوبهم ريب، بل كل ما أطلعهم عليه أثبتُ عندهم من العيان، لأن بصائر الحقيقة لهم لامعة، وأعلام الحق لهم مرفوعة لائحة، ائتمنهم الحق على معرفته إلهاماً وتفضلاً

وإكراماً، أجزل لهم عطاياه وجعل قلوبهم مطاياه، فدنا منها بلا مسافة ونزل أسرارهم بلا ممازجة، فحماهم من الغفلة والفتور، ففنيت صفاتهم بوجود شهوده، فليس لهم عنه مغيب، وعليهم في كل أحوالهم منه رقيب.

سمعت أبا نصر يقول: قال عبد العزيز بن محمد الأبهري: كان عبد الله بن طاهر يقول: ذنب يظهر به كرمه، أحب إليّ من عمل يظهر به شرفي.

وقال: قوم سألوا الله بألسنة الأعمال، وقوم سألوه بألسنة الرحمة، فكم بين من سأل ربه بربه، وبين من رجا ربه بعمله. وليس من رجا ربه بجوده كمن رجا ربه بنفسه.

وكان يقول: ما قدر طاعة نقابل بها نعمه، وما قدر ذنوب نقابل بها كرمه، إني لأرجو أن تكون ذنوبنا في كرمه أقل من طاعتنا في نعمه، إذ لا يذنب العبد من الذنوب ما يغمر به عفو مولاه.

عن أبي بكر الرازي. قال: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: في المحن ثلاثة أشياء: تطهير وتكفير وتذكير. فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفا.

عن عبد الواحد بن أبي بكر. قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: حضرت مع أبي بكر بن طاهر جنازة فرأى بعض إخوان الميت يكثرون البكاء، فنظر إلى أصحابه وأنشد:

ويبكي على الموتى ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قلَّ عنهم عزاؤه
ولو كان ذا رأي وعقل وفطنة ... لكان عليه لا عليهم بكاؤه

وقال أبو بكر بن طاهر: من خاف على نفسه شق عليه ركوب الأهوال، ومن شق عليه ركوب الأهوال، لا يرتقي إلى سمو المعالي في الأحوال.

٦٢٣ ـ أبو بكر الأبهري

ومنهم المطوعي أبو بكر بن عيسى الأبهري. كان من المفوضين، وتعلو أحواله على السالكين والسائحين.

عن إبراهيم بن أبي حماد الأبهري: أن أبا بكر بن طاهر الأبهري حضر أبا بكر بن عيسى الأبهري وهو في النزع فقال له: أحسن بربك الظن، ففتح عينيه مقبلاً عليه فقال: لمثلي يقال هذا الكلام؟ إن تَرَكنَا عبدناه، وإن دعانا أجبناه.

٦٢٤ ـ أبو الحسن الصائغ

[ت٣٣٠هـ]

ومنهم أبو الحسن الصائغ الدينوري. سكن مصر. كان في المعاملة مخلصاً وعن النظر إلى سوى الحق معرضاً.

عن الرقي: أن أبا الحسن كان يقول: حكم المريد أن يتخلى من الدنيا مرتين: أولهما: ترك نعيمها ونضرتها ومطاعمها ومشاربها وما فيها من غرورها وفضولها. والثاني إذا أقبل الناس عليه مبجلين له مكرمين لتركه للدنيا، أن يزهد في الناس المقبلين عليه، فيخالط أهل الدنيا وأبناءها، فإن إقبال الناس عليه وتبجيلهم له لتركه فضول الدنيا إذا سكن إليهم ولاحظهم ذنب عظيم، وفتنة عاجلة.

وكان يقول: من فساد الطبع التمني والأمل.

وكان يقول: المعرفة رؤية المنَّة في كل الأحوال، والعجز عن أداء شكر المنعم من كل الوجوه، والتبرؤ من الحول في كل شيء.

٦٢٥ ـ ممشاد الدينوري

[ت٢٩٩هـ]

ومنهم الدينوري ممشاد، حارس همته العالية، وغارس خطراته الآتية.

سمعت أبي يقول: ـ وكان قد لقيه وشاهده ـ قال: سمعته يقول: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.

وكان يقول: أحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، وكان صافي الخلوات لسره راعياً، واعتمد في جميع أموره على من كان له كافياً، واثقاً بضمانه.

وكان يقول: لو جمعتَ حكمة الأولين والآخرين، وادعيت أحوال السادة من الأولياء والصادقين، لن تصل إلى درجات العارفين، حتى يسكن سرك إلى الله، وتثق به فيما ضمن لك.

وكان يقول: ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برِّك. وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

٦٢٦ ـ أبو إسحاق القصار

[ت٣٢٦هـ]

ومنهم الرقي إبراهيم بن داود أبو إسحاق القصار. ذو الهم المخزون والبيان الموزون.

عن الحسين بن أحمد. قال: سمعت إبراهيم القصار الرقي يقول: قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته للدنيا فلا قيمة له. وإن كانت همته رضاء الله فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

عن إبراهيم بن أحمد بن المولد. قال: سأل رجل إبراهيم القصار الرقي فقال: هل يبدي المحب حبه؟ أو هل ينطق به؟ أو هل يطيق كتمانه؟ فأنشأ متمثلاً يقول:

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم   بكتمان عينٍ دمعها الدهر يذرف
حملتم جبال الحب فوقي وإنني   لأعجز عن حمل القميص وأضعف

وكان يقول: علامة محبة الله إيثار طاعته، ومتابعة نبيه ﷺ.

وكان يقول: الأبصار قوية والبصائر ضعيفة، وأضعف الخلق من ضعف عن رد شهوته، وأقوى خلقه من قوي على ردها.

وكان يقول: حسبك من الدنيا شيئان خدمة ولي وصحبة فقير.

٦٢٧ ـ أبو عبد الله بن بكر

ومنهم الصبيحي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن بكر. له العقل الرصين، والكلام الواضح والمبين. له المصنفات في أحوال القوم بعبارات لطيفة، وإشارات بديعة. وبلغني أنه لزم سرياً في داره بالبصرة ثلاثين سنة متعبداً فيها.

وكان يقول: النظر في عواقب الأمور من أحوال العاجزين، والهجوم على الموارد من أحوال السائرين، والخمود بالرضا تحت موارد القضاء من أفعال العارفين.

وسئل عن أصول الدين فقال: إثبات صدق الافتقار إلى الله، ولزوم الاقتداء برسول الله ﷺ، وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعهود وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

وكان يقول: الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية.

وكان يقول: ابتلي الخلائق بأسرهم بالدعاوى العريضة في المغيب، فإذا أظلتهم هيبة المشهد خرسوا وانقمعوا وصاروا لا شيء، ولو صدقوا في دعاويهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز نبينا المصطفى ﷺ، وتقدم الخلائق بقدم الصدق حين طلب إليه الشفاعة فقال: (أنا لها). لم ترعه هيبة الموقف لما كان عليه من قدم الصدق، وما أشبه هذه الدعاوى الباطلة إلا بقول بعضهم حيث يقول:

يـنـوي الـعـتـاب لـه مـن قـبـل رؤيـتـه فـإن رآه فـدمـع الـعـيـن مـسـكـوب
لا يـسـتـطـيـع كـلامـاً حـيـن يـبـصـره كَـلَّ الـلـسـانُ وفـي الأحـشـاء تـلـهـيـب

وليس يخرس الألسنة في المشاهدة إلا بعدها من الصدق. فمن صدق في المحبة تكلم عنه الضمير، إذا سكت عن النطق باللسان.

٦٢٨ ـ المرتعش

ومنهم عبد الله بن محمد أبو محمد المعروف بالمرتعش، كانت المشاهدة باطنة، والمثابرة سابقة.

سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: كان أبو بمحمد المرتعش له اللسان الناطق والخاطر الفائق، وكان يقول: أفضل الأرزاق تصحيح العبودية على المشاهدة، ومعانقة الخدمة على موافقة السنَّة، ولا وصول إلى محبة الله إلا ببغض ما أبغضه الله، وهي فضول الدنيا وأماني النفس، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، ولا سبيل إلى تصحيح المعاملة إلا بالإخلاص فيها والصبر عليها.

عن محمد بن سليمان الفقيه. قال: قال رجل للمرتعش: أوصني. فقال: اذهب إلى من هو خير لك مني، ودعني إلى من هو خير لي منك.

وجاءه رجل فقال: أي الأعمال أفضل؟ فقال: رؤية فضل الله. وأنشأ يقول:

إن الـمـقـاديـر إذا سـاعـدت ألـحـقـت الـعـاجـز بـالـحـازم

وكان يقول: أصول التوحيد ثلاثة: معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة.

٦٢٩ ـ النهر جوري

ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهر جوري. كان ذا نور زاهر، وحضور شاهر.

سمعت أبا عمرو العثماني يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: الذي اجتمع عليه المحققون في حقائقهم: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا له غاية فيدرك، ومن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور، والموجود عندنا معرفة حال وكشف علم بلا حال.

وكان يقول: من عرف الله لم يغتر بالله.

وقال لرجل: يا دنيء الهمة، فقال الرجل: لم تقول هذا أيها الشيخ؟ فقال: لأن الله يقول: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾[1] ونصيبك من هذا القليل حقير، وما في يديك منه يسير، وأنت بها بخيل، تريد أن تكون بإمساكها نبيلاً؟ فإن بذلت بذلت قليلاً، وإن منعت منعت قليلاً، فلا أنت بالمنع ملوم ولا بالبذل محمود.

وكان يقول: مشاهدة الأرواح تحقيق، ومشاهدة القلوب تعريف، فإذا اقتضاني ربي بعض حقه قبلي فذاك أوان حزني، وإذا أذن في اقتضاء سره فذاك أوان سروري ونعمتي، إذ هو بالجود والوفاء معروف، والعبد بالضعف والعجز موصوف.

٦٣٠ ـ أبو علي الروذباري

ومنهم أبو علي الروذباري أحمد بن محمد بن مقسم، له اللسان الفصيح والبيان النجيح. بغدادي انتقل إلى مصر وتوفي بها.

عن أبي عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري. قال: سئل أبو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول: أبيح لي الوصول إلى المنزلة التي لا تؤثر في اختلاف الأحوال؟ فقال: نعم، قد وصل ولكن وصوله إلى سقر.

عن عبد الله بن محمد الدمشقي. قال: سمعت أبا علي

(١) سورة النساء، الآية (٧٧).

الروذباري وسئل عن الإشارة قال: الإشارة: الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفي الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق.

عن منصور بن عبد الله. قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول: والاهُمْ قبل أفعالهم. وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.

قال: وسمعت أبا علي يقول: من الاعتدال أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهماً أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك في بسط الحق لك.

وقال: تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسامي فركنت إليها مشغوفين بها عن الذات إلى أوان التجلي، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1] فوقفوا معها عن إدارك الحقائق، فأظهر الأسامي وأبداها للخلق لتسكين شوق المحبين له، وتأنيس قلوب العارفين به.

وقال: المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر.

عن أبي سعيد الكازروني. قال: قال أبو علي الروذباري: لا رضا لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر. بالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته.

عن همام بن الحارث. قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إن المشتاقين إلى الله يجدون حلاوة الوقت عند وروده لما كشف لهم من روح الوصول إلى قربه أحلى من الشهد.

وقال أبو علي: من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات: بطن

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

جائع معه قلب خاشع. وفقر دائم معه زهد حاضر. وصبر كامل معه قناعة دائمة.

وقال أبو علي: في اكتساب الدنيا مذلة النفوس، وفي اكتساب الآخرة عزها، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى على العز في طلب ما يبقى.

٦٣١ ـ أبو بكر الكتاني

ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني. بغدادي سكن مكة، يعرف بسراج الحرم. صحب الجنيد والخزاز والنوري.

سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني يقول: صحبته سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعاً وفي نفسه اتضاعاً.

وسمعته يقول: روعة عند انتباه من غفلة، وانقطاع عن حظ النفس، وارتعاد من خوف القطيعة، أعوَدُ على المريد من عبادة الثقلين.

وكان يقول: إذا سألت الله التوفيق فابتدئ بالعمل.

وكان يقول: وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق، لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلًا عليه.

عن أبي الحسن القزويني. قال: سمعت أبا بكر الكتاني يقول: إذا صح الافتقار إلى الله صحت العناية، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه.

عن أحمد بن علي بن جعفر. قال: سمعت الكتاني يقول: الشهوة زمام الشيطان، من أخذ بزمامه كان عبده.

وسئل عن المتقي فقال: من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات، ولزوم باب الموافقة، وأنس براحة

اليقين، واستند إلى ركن التوكل، أتته الفوائد في كل أحواله غير غافل عنها.

سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصائغ الأصبهاني بمكة يقول: سمعت الكتاني يقول: عيش الغافلين في حلم الله عنهم، وعيش الذاكرين في رحمته، وعيش العارفين في ألطافه، وعيش الصادقين في قربه.

وكان يقول: حقائق الحق إذا تجلت لسر أزالت الظنون والأماني، لأن الحق إذا استولى على سر قهره، ولا يبقى للغير معه أثر.

وكان يقول: العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له.

٦٣٢ - ابن فاتك

ومنهم أبو عبد الله بن فاتك. من المراقبين.

لزم الثغور ملتزماً للشهود والحضور.

سئل عن المراقبة فقال: إذا كنت فاعلاً فانظر نظر الله إليك، وإذا كنت قائلاً فانظر سمع الله إليك، وإذا كنت ساكتاً فانظر علم الله فيك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1] وقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾[2].

وكان يقول: الرجال ثلاثة: رجل شغل بمعاشه عن معاده فهذا هالك. ورجل شغل بمعاده عن معاشه فهذا فائز. ورجل اشتغل بهما فهذا مخاطر، مرة له ومرة عليه.

---

(١) سورة طَه، الآية (٤٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٣٥).

٦٣٣ ـ ابن علان

ومنهم أبو عبد الله بن علان. محفوظ عن التلوين والنقلان.

عن عبد الله بن عبد العزيز. قال: سمعت أبا عبد الله بن علان يقول: ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه قلبه، وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله الله أميناً في أرضه، وما من عبد جعله الله أميناً في أرضه إلا جعله إماماً يقتدى به، وما من عبد جعله الله إماماً يقتدى به إلا جعله حجة على خلقه.

٦٣٤ ـ سهل الأنباري

ومنهم سهل بن وهبان الأنباري، من أقران الجنيد.

عن المثنى الأنباري. قال: سمعت سهل بن وهبان يقول: لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين، وبعدَته غير واثقين.

٦٣٥ ـ عبد الله بن دينار[1]

ومنهم عبد الله بن دينار. واعي الخطرات وراعي اللحظات.

٦٣٦ ـ أبو علي الوراق

ومنهم أبو علي الوارق. عارف بالآفات. مسلم من الشبهات.

عن محمد بن إبراهيم. قال: سمعت أبا علي الوراق يقول: من جهل قدر نفسه عدل على نفسه وعدل على غيره. وآفة الناس من قلة معرفتهم بأنفسهم.

---

(١) عبد الله بن دينار، سبقت ترجمته برقم (٥٣٢).

٦٣٧ ـ ابن الكاتب

[ت بعد ٣٤٠هـ]

ومنهم الحسن بن أحمد بن أبي علي المعروف بابن الكاتب. من شيوخ المصريين.

عن أحمد بن علي بن جعفر. قال: سمعت أبا علي الكاتب يقول: إذا انقطع العبد إلى الله بالكلية، أول ما يفيده الله الاستغناء به عمن سواه.

وكان يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

عن أبي القاسم المصري. قال: قيل لأبي علي بن الكاتب: إلى أي الجانبين أنت أميل، إلى الفقر أو إلى الغنى؟ فقال: إلى أعلاهما رتبة وأسناهما قدراً. ثم أنشأ يقول:

ولست بنظَّار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وإني لصبَّار على ما ينوبني ... وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وكان يقول: الهمة مقدمة في الأشياء، فمن صحح همته بالصدق أتت توابعها على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول. ومن أهمل همته أتت عليه توابعها مهملة، والمهمل من الأفعال والأحوال لا يصلح لبساط الحق.

وقال: إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته به.

٦٣٨ ـ القرميسيني

ومنهم القرميسيني مظفر، له اللفظ المحبر أحد مشايخ الجبل، عرف العلل واحترز من الزلل.

سمعت أبا بكر الدينوري الطرسوسي ـ شيخ الحرمة ـ يقول: قال: قال مظفر القرميسيني وسئل ما خير ما أعطي العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه.

عن ابن دينار الدينوري. قال: سمعت مظفر القرميسيني يقول: أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم، وهو أن لا يقصروا في أمره ولا يتجاوزوا عن حده.

وقال: العارف من جعل قلبه لمولاه وجسده لخلقه وأفضل ما يلقى به العبد ربه نصيحة من قلبه، وتوبة من ذنوبه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر القرميسيني: من أفقره إليه أغناه، ليعرفه بالفقر عبوديته وبالغنى ربوبيته.

وقال: من قتله الحب أحياه القرب.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر: الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة ومصباح القلب.

وقال: يحاسب الله المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل.

سمعت محمد بن الحسين يقول: قال مظفر: ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة فإن لم تفنها فيما لك فلا تفنها فيما عليك.

٦٣٩ ـ إبراهيم بن شيبان

ومنهم القرميسيني إبراهيم بن شيبان، أيد باليقين والإيقان، وحفظ من التصنع والتزين بالعرفان. كان من المتمسكين بالقرآن والبيان.

سمعت أبا عبد الله بن دينار الدينوري بمكة يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: المتعطل من لزم الرخص معتنقاً للملاذ

والملاهي، وأخلى قلبه من الخوف والحذر، لأن الخوف يدفع عن الشهوات، ويقطع عن السلو والغفلات.

سمعت أبا بكر بن أحمد الطرسوسي بمكة يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن يكون معدوداً في الأحرار، مذكوراً عند الأبرار، فليخلص عبادة ربه، فإن المتحقق في العبودية مسلم من الأغيار.

وكان يقول: الفناء والبقاء مداره على إخلاص الوحدانية والتحقق بالعبودية، وكل علم يعدو هذا ويخالفه فمرجعه إلى الأغاليط والأباطيل. ومن تكلم في الإخلاص ولم يقتض من نفسه حقيقته، ابتلاه الله بهتك ستره، وافتضاحه عند أقرانه وإخوانه.

عن أبي علي القصير. قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن شيبان يقول: قال لي أبي: يا بني تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقلَّ من أعرض عنه فأقبل عليه.

٦٤٠ ـ أبو الحسين بن بنان

ومنهم الواله السكران، أبو الحسين بن بنان شيخ مصر، مات في التيه والهاً. صحب أبا سيعد الخزاز.

سمعت أبا عثمان سعيد بن سلام المغربي ـ بمكة ونيسابور ـ يقول: قال أبو الحسين بن بنان: الناس يعطشون في المفاوز السحيقة، والبوادي المتلفة، وأنا عطشان وأنا على شط النيل والفرات.

وقال: وسمعته يقول: آثار المحبة إذا بدت، ورياحها إذا هاجت، تميت قوماً وتحيي آخرين، وأفنت أسراراً وأبقت آثاراً، تؤثر آثاراً مختلفة، وتثير أسراراً مكنونة، وتكشف أحوالاً كامنة.

عن الزقاق. قال: سمعت أبا الحسين بن بنان يقول: كل صوفي يكون هم الرزق في قلبه فلزوم العمل أقرب له إلى الله، وعلامة سكون القلب والركون إلى الله أن يكون قوياً عند زوال الدنيا وإدبارها عنه، ويكون بما في يد الله أقوى وأوثق منه بما في يده.

وكان يقول: ذكر الله باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث البركات.

٦٤١ ـ علي الفارسي

ومنهم الحاضر الفارسي، أبو الحسين علي بن هند الفارسي. صحب عمراً المكي والجنيد وجعفر الحذاء.

سمعت أبا القاسم الهاشمي يقول: قال أبو الحسين بن هند الفارسي: القلوب أوعية وظروف. وكل وعاء وظرف لنوع من المحمولات، فقلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس. ولهذه الأحوال آداب من لم يستعملها في أوقاتها هلك من حيث يرجو به النجاة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: استرح مع الله ولا تسترح عن الله، فإن من استراح مع الله نجا، ومن استراح عن الله هلك. والاستراحة مع الله تروح القلوب بذكره، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة.

عن محمد بن إبراهيم. قال: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شيء من أمر دينه ودنياه، بل يجري في أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة، فيأخذ الأشياء من معدنها ويضعها في معدنها.

وكان يقول: اجتهد أن لا تفارق باب سيدك بحال فإنه ملجأ الكل، فإن من فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قراراً ولا مقاماً.

وقال:

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين المفر؟

٦٤٢ - الحسين بن علي بن يزدانيار

ومنهم المتمسك بالتنصل والاعتذار، أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار. له لسان في لزوم الظواهر، وتحقق بمناجاته ما يعرض من الخواطر في السواتر.

عن محمد بن شاذان الرازي. قال: سمعت أبا بكر بن يزدانيار يقول: إياك والطمع في المنزلة عند الله، وكنت تحب المنزلة عند الناس.

وقال: الروح مزرعة الخير لأنه معدن الرحمة، والجسد مزرعة الشر لأنه معدن الشهوة، والروح مطبوع بالخير، والنفس مطبوعة بإرادة الشر، والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح، والمعرفة خاطرة فيما بين العقل والهوى، والمعرفة في القلب، والعقل والهوى يتنازعان ويتحاربان، والهوى صاحب جيش النفس، والعقل صاحب جيش القلب، والتوفيق من الله مدد العقل، والخذلان مدد الهوى، والظفر لمن أراد الله سعادته أو شقاوته، ومن استغفر وهو ملازم للذنب محجوب عن التوبة والإنابة. والمعرفة صحة العلم بالله، واليقين النظر بعين القلب إلى ما وعد الله وادخره.

٦٤٣ - إبراهيم بن أحمد المولد

ومنهم المثبت المؤيد إبراهيم بن أحمد المولد. صحب أبا عبد الله الجلاء وإبراهيم بن داود القصار الرقي.

وكان يقول: حلاوة الطاعات للمخلص مذهبة لوحشة العجب.

سمعت عمرو بن واضح يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه، كيف يعيش مع غيره.

وكان يقول: نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك، فكن مع أقربهما وصولاً.

عن منصور بن عبد الله. قال: أنشدني إبراهيم بن المولد لبعضهم:

لولا مدامع عشاق ولوعتهم لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت وكل ماء فمن عين لهم جار

وكان يقول: ثمن التصوف الفناء فيه، فإذا فني فيه بقي بقاء الأبد، لأن الفاني عن محبوبه باق بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد.

٦٤٤ ـ علي بن عبد الحميد

ومنهم علي بن عبد الحميد العطائري، المجتهد الزائري، له الأحوال البديعة والأعمال الرفيعة.

سمعت محمد بن الحسين اليقطيني، ومحمد بن إبراهيم يقولان: سمعنا علي بن عبد الحميد العطائري يقول: دققت على أبي الحسن السري بن المغلس السقطي بابه فسمعته يقول: اللهم من شغلني عنك فأشغله بك عني. فكان من بركة دعائه أني حججت من حلب ماشياً على قدمي أربعين حجة.

٦٤٥ ـ سعيد بن عبد العزيز الحلبي

ومنهم سعيد بن عبد العزيز الحلبي، سكن دمشق، صحب سريا السقطي، أحد الأولياء الأوتاد، من علماء العباد. تخرج له عدة من الأعلام: إبراهيم بن المولد وطبقته، ملازم للشرع متبع له.

٦٤٦ ـ أبو بكر الشبلي

ومنهم المجتذب الولهان، الوارد العطشان. اجتذب عن الكدور والأغيار، واستلب إلى الحضور والأنوار، أبو بكر الشهير بالشبلي.

سمعت عمر البناء المزوق البغدادي بمكة يقول سمعت الشبلي يقول: ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق. وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

سمعت محمد بن علي بن حبيش يقول: أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً فأقبل على الوزير فقال: ما فعل ربك؟ فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي، فقال: سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده ـ يريد الخليفة المقتدر ـ فقال علي لبعض حاضريه: ناظره. فقال الرجل: يا أبا بكر سمعتك تقول في حال صحتك: كل صدِّيق بلا معجزة كذاب، وأنت صديق فما معجزتك؟ قال: معجزتي أن تعرض خاطري في حال صحوي على خاطري في حال سكري، فلا يخرجان عن موافقة الله تعالى.

سمعت محمد بن إبراهيم قال: سمعت أبا الحسن المالكي بطرسوس يقول: اعتل الشبلي علة شديدة، فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره، فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد، قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم، إيش القصة؟ قال: فقلت: ـ وكنت أجرأهم عليه ـ: مالنا، جئنا إلى جنازتك. فاستوى جالساً فقال: الجوار الجوار، أموات جاؤوا إلى جنازة حي!!.

سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت الشبلي يقول: وقفت بعرفة فطالبت الوقت فما رأيت أحداً له في التوحيد نفس، ثم رحمتهم فقلت: يا سيدي إن منعتهم إرادتك فيهم فلا تمنعهم مناهم منك.

عن أبي علي أحمد بن محمد. قال: سمعت الشبلي يقول: قوم أصحاء جئتم إلى مجنون، أي فائدة لكم في؟ أدخلت المارستان كذا وكذا مرة، وأسقيت من الدواء كذا وكذا دواء، فلم أزدد إلا جنونا.

سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب الوراق يقول: سمعت الشبلي وسئل عن المحبة فقال: المحبة الفراغ للحبيب وترك الاعتراض على الرقيب.

عن بكير تلميذ الشبلي. قال له: يا أستاذ أين أبغيه؟ فقال له: ثكلتك أمك، وهل يبغى من يأخذ السموات على أصبع والأرضين على أصبع فيهزهما ويقول: أنا الملك أين الملوك؟ إن الله لم يحتجب عن خلقه، إنما الخلق احتجبوا عنه بحب الدنيا.

سمعت أبا سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي - بنيسابور - يقول: سمعت الشبلي وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

وقال: من عرف الله خضع له كل شيء لأنه عاين أثر ملكه فيه.

قال: وسمعته يقول: وقال له رجل: ادع الله لي، فأنشأ يقول:

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى ليلي الغداة شفيع

وقال له رجل: يا أبا بكر نراك جسيماً بديناً والمحبة تضني؟ فأنشأ يقول:

أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن

سمعت أبا طاهر محمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: إن الله تعالى موجود عند الناظرين في صنعه، مفقود عند الناظرين في ذاته.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد المفيد يقول: سمعت الجنيد بن

محمد ـ وأقبل يوماً على الشبلي ـ يقول: حرام عليك يا أبا بكر إن كلمت أحداً، فإن الخلق غرقى عن الله، وأنت غرق في الله.

عن محمد بن إبراهيم. قال: حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه عرق جبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل، تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟.



الفصل السابع
ذكر جماعة ممن أدركهم المؤلف

قال الشيخ: ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم، انتشرت في العالم أحوالهم لاعتصامهم بالشرع المتين، فكانوا به عالمين وعاملين، وبمعالي الأحوال عارفين قائمين، وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين.

ذكرت على كل واحد منهم نبذاً مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة، وأحوالهم الشديدة.

٦٤٧ - ابن الأعرابي

[ت٣٤١هـ]

فمنهم الأغر الأبلج، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي. بصري نزيل مكة، توفي سنة إحدى وأربعين وثلثمائة. له التصانيف المشهورة.

سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد بن الأعرابي يقول: إن الله طيب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيب الجنة بالخلود فيها فلو قيل للعارف: إنك تبقى في الدنيا لمات كمداً. لو قيل لأهل الجنة: إنكم تخرجون منها لماتوا كمداً، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها وطابت الجنة بذكر الخلود فيها.

قال: وسئل أبو سعيد: ما الذي ترضى من الأوقات؟ قال:

الأوقات كلها لله، فأحسن الأوقات وقت يجري الحق فيه عليّ ما يرضيه عني.

وقال: إن الله أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه يستعطفهم بها على أوليائه.

٦٤٨ ـ أبو عمرو الزجاجي

[ت٣٤٨هـ]

ومنهم أبو عمرو الزجاجي محمد بن إبراهيم. نيسابوري الأصل، سكن مكة، حج قريباً من ستين حجة، توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

سمعت أبا بكر الرازي ـ ببغداد ـ يقول: قدم مع أبي إسحاق المزكى من مكة فسمعته يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول:

كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه العقول والطبائع، فردهم النبي ﷺ إلى اتباع الشرائع، فالعقل الصحيح ما يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما تستقبحه.

وسئل أبو عمرو عن الحمية فقال: الحمية في القلب تصحيح الإخلاص وملازمته. والحمية في النفوس ترك الدعوى ومجانبته.

وكان يقول: قسم الله الرحمة لمن اهتم لأمر دينه.

٦٤٩ ـ محمد بن عليان

ومنهم محمد بن علي النسوي يعرف بمحمد بن عليان. رفيع الهمة، له الكرامات الظاهرة.

عن محمد بن أحمد الفراء. قال: سمعت محمد بن عليان يقول: الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة.

وكان يقول: آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام من مجاري المقدور.

وكان يقول: المروءة حفظ الدين وصيانة النفس، وحفظ حرمات المؤمنين، والجود بالموجود، وقصور الرؤية عنك وعن جميع أفعالك.

وكان يقول: كيف لا تحب من لا تنفك عن برّه طرفة عين؟ وكيف تدعي محبة من لا توافقه طرفة عين؟.

٦٥٠ ـ أحمد بن أبي سعدان

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعدان. بغدادي الأصل، كان ذا لسان وبيان، كان في علوم الشرع أحد الأعلام، ينتحل للشافعي، وله في علم العمال والعباد اللسان الشافي، أقام بطرسوس مدة فبعث رسولاً إلى الروم لكمال حاله وبيانه.

عن أبي القاسم الرازي. قال: سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول: من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية، ومن عمل بعلم الرعاية هدي إلى سبيل الحق.

سمعت محمد بن إبراهيم بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول: الصابر على رجائه لا يقنط من فضله، ومن سمع بأذنه حكى، ومن سمع بقلبه وعظ، ومن عمل بما علم هدى واهتدى.

وقال: أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروح ليتروح به من مساكنة الاغترار، ثم العلم ليدله على رشده، ثم العقل ليكون مشيراً للعلم إلى درجات المعارف، ومشيراً للنفس إلى قبول العلم، وصاحباً للروح في الجولان في الملكوت.

٦٥١ ـ أبو الخير الأقطع

ومنهم أبو الخير الأقطع التيتاني له الآيات. توفي بعد الأربعين. كانت السباع والهوام يأنسون بمجالسته ويأوون إليه. كان ينسج الخوص بإحدى يديه.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أحمد بن الحسين الرازي يقول: سمعت أبا الخير يقول: من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مرائي، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب.

قال: وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: دخل على أبي الخير جماعة من البغداديين يتكلمون بشطحهم بحضرته، فضاق صدره من كلامهم فخرج، فجاء السبع فدخل البيت فانضم بعضهم إلى بعض ساكتين، وتغيرت ألوانهم، فدخل أبو الخير فقال: يا سادتي أين تلك الدعاوى؟.

وكان يقول: ما بلغ أحد حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفريضة، ومحبة الصالحين وخدمة الفقراء الصادقين.

وكان يقول: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيماناً وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقاً وعلامته الحقد والغل والغش والحسد.

عن منصور بن عبد الله. قال: سمعت أبا الخير الأقطع يقول: إن الذاكر لا يقوم له في ذكره عوض، فإذا قام له العوض خرج من ذكره.

٦٥٢ ـ أبو عبد الله البصري

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري.

صحب سهل بن عبد الله التستري، وحفظ كلامه، سلك مسلك أستاذه سهل وابنه أبي الحسن. أدركته وله أصحاب ينتسبون إليه. كان أبو عبد الله يقول: من عامل الله على رؤية السبق ظهرت عليه الكرامات.

وكان يقول: تزال عن القلب ظلم الرياء بالإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق، ومن صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه.

عن محمد بن عبد الله الرازي. قال: سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع: أنحن مستعبدون بالكسب أو بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله ﷺ، والكسب سنته. واستن الكسب للضعفاء عن حال التوكل. ونزل عن درجة الكمال التي هي حاله، فمن أطاق التوكل فغير مباح له كسب يعتمد عليه، ومن ضعف عن التوكل أبيح له طلب المعاش في كسبه لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله.

وكان يقول: رؤية المنة مفتاح التودد. وقال: يستر عورات المرء عقله وحلمه وسخاؤه. ويقومه في كل أحواله الصدق.

٦٥٣ ـ أبو الحسن البوسنجي

[ت٣٤٨هـ]

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن البوسنجي. سكن نيسابور، له البيان الشافي في المعارف والتوحيد، وله الفتوة والتجريد. توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

عن أبي العباس محمد بن الحسين الخشاب البغدادي. قال: سمعت أبا الحسن البوسنجي وسألته عن السنة فقال: البيعة تحت الشجرة وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال. وسألته عن التصوف فقال: اسم ولا حقيقة، وقد كان قبل حقيقة ولا اسماً.

قال: وسألته عن المروءة فقال: ترك استعمال ما هو محرم عليك مع إكرام الكاتبين.

عن أبي بكر الرازي. قال: سمعت أبا الحسن البوسنجي يقول: الناس على ثلاثة منازل: الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم ولا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

وسئل عن المحبة فقال: بذل مجهودك مع معرفة محبوبك، لأن محبوبك مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء.

وقال: التوحيد حقيقة معرفته كما عرف نفسه إلى عباده، ثم الاستغناء به عن كل ما سواه.

وقال: أول الإيمان منوط بآخره، ألا ترى أن عقد الإيمان لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(١)].

عن محمد بن عبد الله الحافظ. قال: سمعت أبا الحسن البوسنجي يقول: الخير منّا زلة، والشر لنا صفة. وسئل عن الفتوة فقال: حسن المراعاة ودوام المراقبة، وأن لا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك.

٦٥٤ ـ القاسم السياري

[ت٣٤٢هـ]

ومنهم أبو العباس القاسم السياري. شيخ المراوزة ومحدثهم وفقيههم، توفي سنة اثنين وأربعين.

---

(١) سورة البينة، الآية (٥).

عن عبد الواحد. قال: سمعت خالي القاسم بن القاسم يقول: كيف السبيل إلى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظاً، وإلى صرف قضاء كان به العبد مربوطاً.

وكان يقول: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف، وأن لا يخطر بقلبه ما دونه.

وكان يقول: المعرفة حياة القلب بالله، وحياة القلب مع الله، ومن عرف الله خضع له كل شيء لأنه عاين أثر ملكه فيه. ومن حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى الله على لسانه الحكمة.

وكان يقول: ظلم الأطماع تمنع أنوار المشاهدات.

وكان يقول: الربوبية نفاذ الأمر والمشيئة والتقدير والقضية، والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالعهود.

وكان يقول: قيل لبعض الحكماء من أين معاشك؟ فقال: من عند من ضيق المعاش على من شاء من غير علة.

٦٥٥ ـ جعفر الخلدي

[ت٣٤٨هـ]

ومنهم جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، أبو محمد الخواص السائح اللامح القوام. المزين بالأخلاق الحميدة، والآخذ بالوثائق الأكيدة. كتب الآثار، وصحب الأخيار: الجنيد والثوري ورويماً، حج سنين. توفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة.

أخبرني جعفر قال: لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق.

وقال جعفر: الفرق بين الرياء والإخلاص: أن المرائي يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل.

وقال جعفر: الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين.

وقال جعفر لبعض أصحابه: اجتنب الدعاوى والتزم الأوامر فكثيراً ما كنت أسمع سيدنا الجنيد يقول: من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه الله عن الدعاوى الكاذبة.

وسئل جعفر عن العقل فقال: ما يبعدك عن مراتع الهلاك.

٦٥٦ ـ أبو بكر الطمستاني

[ت٣٤٠هـ]

ومنهم أبو بكر الطمستاني العالم الرباني. صحب الأعلام والأكابر، ونبه به الأعلام والأصاغر. قدم أصبهان وخرج منها إلى نيسابور وتوفي بها سنة أربعين وثلثمائة.

سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن رسته الجمال الصوفي يقول: إنه قدم فكان نازلاً عليه فذكر من أحواله الرفيعة، واستصغاره الفانية الوضيعة.

وكان يقول: جالسوا الله كثيراً، وجالسوا الناس قليلاً.

وكان يقول: الطريق واضح والكتاب والسنة قائمة بين أظهرنا، فمن صحب الكتاب والسنة وعزف عن نفسه والخلق والدنيا، وهاجر إلى الله بقلبه فهو الصادق المصيب، المتبع لآثار الصحابة، لأنهم سموا السابقين لمفارقتهم الآباء والأبناء المخالفين، وتركوا الأوطان والإخوان، وهاجروا وآثروا الغربة والهجرة على الدنيا والرخاء والسعة، وكانوا غرباء، فمن سلك مسلكهم واختار اختيارهم كان منهم ولهم تبعاً.

وكان يقول: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنما يمكن الخروج من النفس بالله، وبصحة الإرادة لله.

وكان يقول: من استعمل الصدق بينه وبين ربه، حماه صدقه مع الله عن رؤية الخلق والأنس بهم.

وكان يقول: من لم يكن الصدق وطنه فهو في فضول الدنيا وإن كان ساكناً.

وكان يقول: العلم قطعك عن الجهل فاجتهد أن لا يقطعك عن الله.

وكان يقول: النفس كالنار إذا أطفيء من موضع تأجج من موضع، كذلك النفس إذا هدأت من جانب ثارت من جانب.

وكان يقول: كيف أصنع والكون كله لي عدو، وإياك والاغترار بلعل وعسى، وعليك بالهمة فإنها مقدمة الأشياء، وعليها مدارها، وإليها رجوعها.

٦٥٧ - أبو العباس أحمد الدينوري

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري. صحب يوسف بن الحسين، ولقي رويماً، وأبا العباس بن عطاء.

سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: قال أبو العباس الدينوري: مكاشفات الأعيان بالأبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال.

وكان يقول: إن أدنى الذكر أن ينفي ما دونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر، ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر. وهذا حال فناء الفناء.

وكان يقول: لله عباد لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم.

وكان يقول: لا بلاغ إلى مراتب الأخيار إلا بالصدق، وكل وقت وحال خلا عن الصدق فباطل.

وكان يقول: المحب اختار المكروه والأثقال لرضا محبوبه يبتغي لذلك رضاه وهو غاية المنى. وأنشدوا:

رأيتك يدنيني إليك تباعدي فباعدت نفسي لابتغاء التقرب

٦٥٨ ـ أحمد بن عطاء

[ت٣٥٩هـ]

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري، له من فنون العلم الحظ الجزيل، توفي بصور سنة تسع وخمسين وثلثمائة. ورد علينا نعيه وأنا مقيم بمكة.

عن أبي نصر الطوسي. قال: سمعت أبا عبد الله الروذباري يقول: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: أي شيء أصح في الصلاة؟ فقلت: صحة القصد، فسمعت هاتفاً يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم.

وكان يقول: مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح للعقول. وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط.

وكان يقول: الخشوع في الصلاة علامة الفلاح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١).

٦٥٩ ـ بندار بن الحسن

[ت٣٥٣هـ]

ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسن بن محمد بن المهلب. كان بعلم الأصول مهذباً، وفي الحقائق مقرباً. كان له القلب العقول واللسان السؤول. وكان للمخلصين عضداً، وللمريدين مسدداً. توفي سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، وحضر مجلسه أبو زرعة الطبري، شرازي المولد، سكن أرجان. أسند الحديث.

سمعت عبد الواحد بن محمد بن بندار يقول: سألت بندار بن الحسن عن الفرق بين المتصوفة والمتقرئة فقال: إن الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه وعن نفسه عافاه، ومن التكلف برأه، والصوفي على زنة عوفي، أي عافاه. وكوفي أي كافاه، وجوزي أي جازاه الله، ففعل الله ظاهر في اسمه وأما المتقري فهو المتكلف بنفسه، المظهر لزهده مع كمون رغبته، وترئية بشريته، واسمه مضمر في فعله لرؤيته نفسه ودعواه.

وسئل أيضاً عن الفرق بين التقري والتصوف فقال: القارئ هو الحافظ لربه من صفات أوامره. والصوفي الناظر إلى الحق فيما حفظ عليه من حاله.

وقال الصوفي: حروفه ثلاثة، كل حرف لثلاث معان: فالصاد دلالة صدقه وصبره وصفائه. والواو دلالة وده ووروده ووفائه. والفاء دلالة فقره وفقده وفنائه. والياء للإضافة والنسبة، وأهل الحروف والإشارات يقيمون حرف الياء في الابتداء والانتهاء، ففي الابتداء النداء وفي الانتهاء النسبة والإضافة، ففي الابتداء يا عبد، وفي الانتهاء يا عبدي. ففي الأول للنداء وفي الانتهاء للإضافة والنسبة.

وكان يقول: الجمع ما كان بالحق والتفرقة ما كان للحق.

وكان يقول: لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك، دعها لمالكها يفعل بها ما يشاء.

وكان يقول: دع ما تهوى لما تؤمل.

وقال: القلب مضغة وهو محل الأنوار، وموارد الزوائد من الجبار، وبها يصح الاعتبار. جعل الله القلب أميراً فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾(١) ثم جعله لديه أسيراً فقال: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾(٢).

٦٦٠ ـ ابن خفيف

[ت٣٧١هـ]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن خفيف. الحنيف الظريف. له الفصول في النصول، والتحقق والتثبت في الوصول، لقي الأكابر والأعلام، صحب رويماً وأبا العباس بن عطاء، وطاهراً المقدسي وأبا عمرو الدمشقي. وكان شيخ الوقت حالاً وعلماً. توفي سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

ومن أجوبته فيما سئل عن الخوف فقال: الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود.

وسئل عن الرياضة فقال: كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة.

وقال: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله.

وقال: التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه.

---

(١) سورة ق، الآية (٣٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

وقال: اليقين تحقيق الأسرار بأحكام المغيبات.

وقال: المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب.

وقال: المعرفة مطالعة القلوب لأفراده عن مطالعة تعريفه.

وقال: التوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد بكمال أسمائه وصفاته. ووجود التوحيد مطالعة الأحدية على أرضات السرمدية، والإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب ومواهب الإيمان بوادي أنواره والملبس لأسراره، وظاهر الإيمان النطق بألوهيته على تعظيم أحديته. وأفعال الإيمان التزام عبوديته والانقياد لقوله، والإنابة: التزام الخدمة وبذل المهجة.

والرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم الموحد. وحقيقة الرجاء الاستبشار لوجود فضله وصحة وعده.

والزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي عن الأملاك. وحقيقة الزهد التبرم بالدنيا، ووجود الراحة في الخروج منها.

والقناعة الاكتفاء بالبلغة. وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود.

وسئل عن الذكر فقال: اعلم أن المذكور واحد والذكر مختلف، ومحل قلوب الذاكرين متفاوتة.

ثم ينقسم الذكر قسمين: ظاهر وباطن، فأما الظاهر فالتهليل والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن. وأما الباطن فتنبيه القلوب على شرائط التيقظ على معرفة الله وأسمائه وصفاته، وعلى أفعاله ونشر إحسانه، وإمضاء تدبيره ونفاذ تقديره على جميع خلقه.

ثم يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذاكرين، فيكون ذكر الخائفين

على مقدار قوارع الوعيد، وذكر الراجين على ما استبان لهم من موعده، وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله إليهم، وذكر المتوكلين على قدر ما انكشف لهم من كفاية الكافي لهم، وذلك مما يطول ذكره ويكثر شرحه.

فذكر الله منفرد وهو ذكر المذكور بانفراد أحديته على كل مذكور سواه، لقوله تعالى: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي). والثاني إفراد النطق بألوهيته. لقوله عليه السلام: (أفضل الذكر لا إله إلا الله).



الفصل الثامن
ذكر جماعة من أهل أصبهان

قال الشيخ: سألتم عن إيداع ذكر جماعة من نساك بلدنا وعبادهم، ليكون الكتاب مختوماً بذكرهم ونشر أحوالهم. واعلموا أن طريقة المتقدمين من نساك بلدنا القدوة والاتباع لمتقدميهم من العمال والعلماء الذين لحقوا الأئمة والأعلام.

وقد ذكرت جماعة منهم في كتابنا بطبقات المحدثين من الرواة من أهل بلدنا، منهم: محمد بن يوسف المعداني المعروف بعروس الزهاد ومن ينحو نحوه في التنسك والتعبد.

والغالب من أحوالهم اغتنام الوقت، وعنايتهم بجمع الهم ومحافظة الأوراد والتشمر للارتياد، والتسارع إلى الاستباق.

فأما بسط الكلام في الأحوال والمقامات قولاً بلا فعل فيرونه دعاوى لا حقيقة لها، يحترزون منها غاية التحرز.

كانوا كما وصفهم به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، من أحوال المختارين من الصحابة والسالكين طريقتهم من التابعين، فيما رواه عنه نوف البكالي، وكميل بن زياد وغيرهما.

كانوا بالصحابة مقتدين، يصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزى، باتوا يتلون كتاب الله يميدون عند ذكر الله، كما تميد الشجرة في يوم ريح، كانوا مصابيح الهدى، لم يكونوا بالجفاة المرائين، خُلْق الثياب جدد القلوب. في الدنيا زاهدين وفي الآخرة

راغبين، وعن الله فهمين وفي قراءة كلامه متدبرين، وبمواعظه متعظين، وبصنائعه معتبرين. اتخذوا الأرض بساطاً، ورمالها فراشاً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً، عبدوه في بيوت بالقلوب الطاهرة والأبصار الخاشعة. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر. فقاموا لله بحجته وتبيانه، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى.

فهذه نعوت الأصفياء من الأولياء، والنجباء من الأتقياء. ومن سلك مسلكهم مقتدياً بأفعالهم، مراعياً لأحوالهم، المنتفع برؤيته والمغبوط بمحبته وصحبته.

٦٦١ ـ النعمان بن عبد السلام

فمن المتقدمين الذين ذكرناهم في كتاب طبقات المحدثين والرواة من أهل أصبهان.

النعمان بن عبد السلام أبو المنذر. كان عبد السلام والده يلي أمر السلطان ومات عن ضيعة نفيسة ومال جم، فترك ذلك كله ورغب عنها زهداً فيها. صحب سفيان الثوري ومالك بن أنس.

٦٦٢ ـ ابن معدان[1]

ويليه في الفضل والعلم والعبادة محمد بن يوسف بن معدان بن سليم عروس الزهاد. وقد تقدم ذكره. وكذلك أخواه عبد الرحمن وعبد العزيز، وتوفي محمد بن يوسف بالمصيصة ودفن إلى جنب مخلد بن الحسين. فارق ضياعه زاهداً فيها. وكان يقول: لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا. وكان يتمثل كثيراً بهذا البيت.

إذا كنت في دار الهوان فإنما ينجيك من دار الهوان اجتنابها

---

(١) ابن معدان سبقت ترجمته برقم (٤٠٣).

٦٦٣ ـ عامر بن حمدويه

ومنهم عامر بن حمدويه الزاهد. سكن مسيلة. صحب سفيان الثوري، وسمعتُه يروي عنه مسائل.

٦٦٤ ـ عصام بن يزيد

ومنهم عصام بن يزيد بن عجلان أبو سعيد الملقب بخير. صحب سفيان الثوري ثلاث عشرة سنة وكان رسوله إلى أمير المؤمنين المهدي، فعرض عليه المهدي برّاً ومالاً، فلم يقبل، ثم رجع من عنده إلى سفيان فقال لسفيان: لو أتيتهم؟ فقال سفيان: أتراني أخاف هوانهم؟ إنما أخاف كرامتهم. فلما مات سفيان رجع إلى أصبهان وسكنها.

٦٦٥ ـ موسى بن مساور

ومنهم موسى بن مساور أبو الهيثم الضبي، روى عن سفيان بن عيينة ووكيع. وكان جيداً فاضلاً، ترك ما ورثه عن أبيه لإخوته تورعاً، ولم يتناول منه شيئاً، لأن أباه كان يتولى للسلطان. له الآثار المشهورة في بناء الرباطات وإصلاح الطرق.

٦٦٦ ـ محمد بن الوليد

ومنهم محمد بن الوليد الأموي، من أهل المدينة، سمع سفيان بن عيينة له الدعوة المجابة.

٦٦٧ ـ محمد بن النعمان

ومنهم محمد بن النعمان بن عبد السلام. صحب وكيعاً وسفيان بن عيينة وأبا بكر بن عياش، له الورع الثخين والعقل الرصين. كان زيد بن أخرم يسميه عابد أهل أصبهان. كان دأبه المجاهدة والمكابدة الدائمة حتى ضعف وخيف على عقله. ثم رجع إلى الميسور وترك خشونة المطعم والملبس.

عن أحمد بن محمد بن صبيح. قال: سمعت محمد بن النعمان يقول: دانقاً تدفعه في مظلمة أحب إليّ من مائة ألف تتصدق بها.

عن محمد بن عاصم. قال: سمعت محمد بن النعمان يقول: المصرُّ لا يقبل له عمل.

٦٦٨ ـ صالح بن مهران

ومنهم أبو سفيان صالح بن مهران كان يقال له: الحكيم. يكتب كلامه، قال سليمان الشاذكوني: ما رأيت أورع من أبي سفيان.

عن محمد بن عاصم. قال: سمعت أبا سفيان يقول: ليستيقن الناس أنهم لا يرون في الإسلام فرحاً.

وكان يقول: كل صاحب صناعة لا يقدر أن يعمل في صناعة إلا بآلة، وآلة الإسلام العلم، وإذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه.

وكان يقول: وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح فوضعوا عليها مفاتح الآخرة فانفتحت.

وكان يقول: الورع ورعان: ورع صواب وورع أحمق، فالصواب أن تقول للرجل: من أين جئت؟ فيقول: من السوق. والورع الأحمق أن تقول للرجل: من أين جئت؟ فيقول: من المسجد إن شاء الله.

وكان يقول: كل عمل يعمل لغير الله فهو ذنب على عامله. والإخلاص: اليقين.

٦٦٩ ـ عبد الله بن خالد

ومنهم عبد الله بن خالد. كان من التعبد والورع بالمحل الرفيع،

فأكره على قضاء البلد. لقي سفيان بن عيينة وشعيب بن حرب وإبراهيم بن بكر الشيباني.

عن يحيى بن مطرف. قال: مرَّ عبد الله بن خالد يوماً يريد مجلس الحكم وجونته على عنق غلام له، فوقع لرجل حمله عن حمار له فقال: أعينوني على حمل هذا فقال عبد الله لغلامه: ضع الجونة، ووضع عبد الله كساءه على عاتقه فحمل مع غلامه على حمار الرجل،، ثم لبس كساءه وتوجه إلى المجلس.

٦٧٠ ـ رجاء بن صهيب

ومنهم أبو غسان رجاء بن صهيب الجرواني، أحد المعرضين عن الدنيا الراحلين عنها. وكان يقول: نعم الدار الدنيا طريقاً إلى الجنة، ومن اتخذ الدنيا طريقاً لم يعرج على ما فيها. فالدنيا طريق الأكياس، غنموا فيها النفوس ورحلوا بها عنها.

٦٧١ ـ عبد الله بن داود

ومنهم عبد الله بن داود، سنديله، كان من المتعبدين خيّراً فاضلاً مجاب الدعوة. أسند الكثير. يحدث عن الحسن بن حفص.

عن محمد بن يحيى بن منده: أنه سمع عبد الله بن داود يقول: من علامات الحق البغض لمن يدين بالهوى، ومن أحب الحق فقد وجب عليه البغض لأصحاب الهوى ـ يعني بأصحاب الهوى الذين عدلوا عن الآثار وتبعوا الآراء ـ.

٦٧٢ ـ إبراهيم بن عيسى

ومنهم إبراهيم بن عيسى الزاهد. صحب معروفاً الكرخي وسمع من أبي داود الطيالسي ومحمد بن المقرئ.

عن أبي جعفر الداني. قال: كنت في دار إبرهيم بن عيسى،

وكان إذا فرغ من صلاته وقت السحر يدعو لليهود والنصارى والمجوس ويقول: اللهم أهدهم. فإذا فرغ من دعائه يرفع يديه يقول: اللهم إن كنت مدخلي النار فعظم خلقتي حتى لا يكون لأمة محمد ﷺ فيها موضع.

ومن كلامه: المؤمن حسن بالله ظنه واثق بوعده، اتخذ التقوى رقيباً، والقرآن دليلاً والخوف محجة، والشوق مطية، والوجل شعاراً، والصلاة كنزاً، والصبر وزيراً، والحياء أميراً. لا يزداد لله براً وصلاحاً إلا ازداد الله عليه خوفاً. أحسن الظن بالله فأحسن العمل.

٦٧٣ ـ عبد الوهاب الضبي

ومنهم عبد الوهاب بن المنذر الضبي. فقيه عابد صوام قوام، كان له كل يوم ختمة. كان هذا دأبه إلى أن مات. روى عن معتمر بن سليمان.

٦٧٤ ـ حامد شاذة

ومنهم حامد بن المسبور بن الحسين المؤذن ـ مؤذن الجامع ـ يعرف بشاذة. كان يعرف بالدعاء المجاب، من الأمناء والنصحاء. حدث عن إسماعيل بن حرب وأزهر بن سعيد.

٦٧٥ ـ أسيد بن عاصم

ومنهم أبو الحسين أسيد بن عاصم بن محمد. كان هو وأخوه محمد بن علي ممن سلكوا مسلك أصحاب سفيان الثوري، في العلم والعبادة ومكارم الأخلاق، وفواضل الأعمال. يفزع إلى أدعيتهم عند نزول المحن والإعلال فترى الإجابة في الوقت. يقصدون من الديار والنواحي البعيدة، يسألون الدعاء في عوارضهم فيدعون فيرون الإجابة.

٦٧٦ ـ أبو جعفر الفرياني

ومنهم أحمد بن معاوية بن الهذيل أبو جعفر الفرياني، وأخوه الهذيل بن معاوية. كان سمتهما في التعبد والاتباع والاقتداء سمت الأولياء. سمعا الحديث من أصحاب الثوري والحسين بن حفص وغيره.

٦٧٧ ـ أحمد بن محمد بن إسحاق

ومنهم المقرون تعبده وتقشفه بالبذل والسخاء، أبو عثمان أحمد بن محمد بن إسحاق بن يزيد بن عجلان. ختن ابن رجاء بن صهيب. كانت العبادة عنه مشهورة، والكرم عنه مأثور ومذكور. كان كثير الحديث.

٦٧٨ ـ موسى الخزاز

ومنهم الناسك النبيه، ذو الفضل الكثير، أبو عبد الرحمن موسى بن عبد الرحمن الخزاز.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان له الفضل والعبادة والنسك الكثير، وكان تخلى في داره مستأنساً بذكره ومشاهدته. أسند الكثير.

٦٧٩ ـ أحمد بن مهدي

ومنهم ذو الدين المتين، والمحدث الأمين. أنفق على العلم المال الكثير، المنور المنير آثار الرسول البشير النذير، كان ذا سخاء وكرم، راقب المعبود وخدم، حليف العبادة والسهر، أليف السنة والأثر، أو جعفر أحمد بن مهدي.

عن أحمد بن محمد بن إبراهيم. قال: قال أحمد بن مهدي: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي فذكرت أنها من بنات الناس. وأنها

امتحنت بمحنة، وقالت لي: أسألك بالله أن تسترني. فقلت: وما محنتك؟ فقالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي وأن ما بي من الحمل فمنك، فلا تفضحني واسترني سترك الله. فسكت عنها ومضت.

فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام المحلة في جماعة الجيران يهنئوني بالولد الميمون النجيب، فأظهرت التهلل، ووزنت في اليوم التالي دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت: أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقها على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها.

فكنت أدفع في كل شهر دينارين أوصلهما إليها بيد الإمام وأقول: هذا نفقة المولود. إلى أن أتى على ذلك سنتان. ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني فكنت أظهر لهم التسليم والرضا.

فجاءتني المرأة بعد ذلك ليلة من الليالي ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث بها إليها بيد الإمام فردتها وقالت: سترك الله كما سترتني. فقلت لها: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود وهي لك لأنك ترثينه فاعملي فيها ما تريدين.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان أحمد بن مهدي ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم، نحو ثلثمائة ألف درهم، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة.

٦٨٠ ـ محمد بن معروف العطار

قال الشيخ: ومن المشهورين بالنسك والعبادة والورع محمد بن معروف العطار، المعروف بمؤملة، كان إمام الجامع، سمع من يحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون، وهو الذي ينسب إليه المسجد، مسجد مؤملة بن معروف.

٦٨١ ـ هارون الراعي

ومنهم أبو عبد الرحمن الراعي هارون بن سعيد، كان من الزاهدين والسائحين. لقي بالشام أبا سليمان الداراني، ومحمد بن المبارك الصوري، وأحمد بن عاصم الأنطاكي. حدث عنه أبو مسعود الرازي في مسنده، سمع من عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم، ومحمد بن أبي السري العسقلاني وطبقتهم.

٦٨٢ ـ العباس بن إسماعيل

ومنهم أبو الفضل العباس بن إسماعيل الطامدي، كان من العبادة والخلوة بالمحل المكين، مع ما كان يرجع إليه من العلم الواسع النافع.

عن محمد بن يوسف. قال: سمعت عباس الطامدي وقد اعتل أياماً فوجدته متأسفاً فسألته فقال: أعقبتني هذه العلة ضعفاً نقص من ختماتي في الشهر ثلاثين ختمة.

٦٨٣ ـ زكريا بن الصلت

ومنهم زكريا بن الصلت، له الورع الوثيق والقلب الرفيق، مشهور بالتعبد والاجتهاد، والتوحيد والانفراد.

وكان يقول: ما شافع أشفع للرجل المذنب من الخدمة لرب العالمين.

وكان يقول: من نظر إلى مبتدع بعينه فقد أعان النظر على العمى، ألا فجنبوا أشفار العيون بالإغماض عن نظر المبتدعين.

٦٨٤ ـ الأخوان عبد الله وهمام

ومنهم الأخوان أبو بكر عبد الله وأبو عمرو همام ابنا محمد بن

النعمان بن عبد السلام. ورثا العلم والعبادة عن أسلافهما المشهورين. الغالب على أبي بكر القدوة والرواية، وعلى أبي عمرو العبادة والرعاية. حالهما في العلم والنسك مشهور، وفضلهما في الناس منشور.

٦٨٥ ـ محمد بن الفرج الودنكاني

[ت٢٨٤هـ]

ومنهم من كانت دعوته مجابة، صحب أبا عثمان الرازي، سعيد بن العباس أبو بكر محمد بن الفرج الودنكاني.

كان الجهاد والرباط ميسراً له. كان من دعائه: اللهم اقبضني في أحب المواطن إليك. فخرج إلى طرسوس ثلاث مرات فمات بها سنة أربع وثمانين ومائتين.

٦٨٦ ـ ابن معدان البناء

ومنهم ذو القلب الرجيف، واللب الثاقب الحصيف، والنفس الذائب النحيف، عرف مالكه عظيماً فخنع وخضع، وراقبه عليماً فخشي وخشع، ولاحظه كريماً فرضي وقنع، فابتهل إليه مستغفراً ومفتقراً، ولامح صنائعه معتبراً. وتنصل إليه من زلله وهفواته معتذراً، موقناً أنه على قبوله مقتدراً. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن معدان المعروف بالبناء. كان للآثار حافظاً ومتبعاً، له التصانيف في نسك العارفين ومعاملة العاملين.

سمعت أبا محمد بن حيان يقول: كان محمد بن يوسف ممن يقال إنه مستجاب الدعوة، وكان رئيساً في علم التصوف، صنف في هذا المعنى كتباً حساناً، رأيته وسمعت من كلامه.

قال: اعلم أن قلوب العمال من أهل المعرفة بالله على أربع

منازل: قلب مع الله، وقلب في ملك الله، وقلب في التمييز، وقلب في المكابدة. فأما القلب الذي مع الله فعلامته المناجاة والاشتغال بالله، وأما القلب الذي في ملك الله فمرة يجول في الجنة ومرة يجول في النار، والصراط والحساب والميزان والعرض، وأما القلب الذي في المكابدة فهو الذي يردُّ على الشيطان خوف الفقر، وهو مشغول بتصحيح الكبيرة. فهذه الأربع المنازل منازل العقلاء. والخامس قلب النقمة الشيطان.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هانئ يقول: سمعت محمد بن يوسف يقول:

أسباب المعرفة أربعة: حصافة العقل، وكرم الفطنة، ومجالسة أهل الخبرة، وشدة العناية. وبسبب هذه الأمور الأربعة الرحمة.

ومن أقرب الأمور إلى الرحمة التبرؤ من الحول والقوة، والمعرفة بأن التبرؤ منه، والمعرفة أيضاً هبة.

ومن أفضل الأشياء العلم. والمبتغى من العلم نفعه، فإذا لم ينفعك فحمل تمرة خير لك من حمل ذلك، لأن رسول الله ﷺ استعاذ منه فقال: (أعوذ بك من علم لا ينفع)، والعلم يصاب من عند المخلوقين، والنفع لا يصاب إلا بالله ومن عنده، ومنفعة العلم طاعته، وطاعته منفعته، والعلم النافع هو الذي به أطعته، والذي لا ينفع هو الذي به عصيته.

وكان يقول: قلوب العارفين مساكن الذكر وأفضل الأعمال رعاية القلب، والذكر غذاء القلب.

وقال: همم العارفين تعالت عما فيه لذة نفوسهم، واتصلت همومهم بما فيه المحبة لسيدهم.

وكان يقول: من آمن بالقدوم على معطي الخزائن والهدايا قَبِلَ ملاقاته.

وقال: إذا كسى الله القلب نور المعرفة قلده قلائد الحكمة، ومن كان الصدق وسيلته كان الرضا من الله جائزته.

وقال: إن من التوفيق ترك التأسف على ما فات والاهتمام بما هو آت. ومن أراد تعجيل النعم فليكثر من مناجاة الخلوة.

٦٨٧ ـ أبو الحسن بن سهل

ومنهم المحبر بالوصل، المحفوظ في الفضل، أبو الحسن علي بن سهل. كان للحق مجيباً واصلاً، وعن النفس مغيباً راحلاً.

سمعت أبا حامد أحمد بن رستم يقول: كان علي بن سهل ممن أيد على مخالفة النفس، فارتاض نفسه رياضة هذبها، بعد أن كان منشؤه نشء المترفين أبناء النعمة والرفاهة. فكان ربما يحبسه عن الأكل عشرين يوماً يبيت فيها قائماً هائماً عن الخلق مشغولاً وفيما يعانيه محمولاً.

عن علي بن هارون ـ صاحب أبي القاسم الجنيد بن محمد ـ قال: قرأت ما كتب به علي بن سهل إلى الجنيد في خطابه وصدر كتابه: توجك الله تاج بهائه، وحلاك حلية أهل بلائه، وأودعك ودائع أحبائه، وجعلك من أخلص خلصائه، وأشرف بك على عظيم بنائه. وهداك وهدى بك إلى كل حال مع ما يرده عليك من دوام الإقبال، وحباك مع ذلك بالوصل والاتصال. لتكون يا أخي لديه رضي البال، ورفعك بعلوه على كل حال.

سمعت أبي وعنده أصحاب علي بن سهل أنه كان يقول: ليس موتي كموتكم بالإعلال والأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أدعى فأجيب. فكان كما قال: كان يوماً قاعداً في جماعتة فقال: لبيك ووقع ميتاً، رحمة الله عليه وعلى أموات المسلمين.

٦٨٨ ـ أحمد بن جعفر بن هاني

ومنهم المملوء من المعاني، المكلوء من التواني، أحمد بن جعفر بن هاني. كان له الأحوال الرفيعة، والاستدلال بالأعمدة المنيعة، المتفكر في البراهين والآيات، والمعتبر بالمنصوب من الأدلة وللعلامات. كان شأنه السباق والبدار، مرتقباً لموارد القلوب من التحف والأنوار.

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر يقول: لا يأتي العبد المعونة من مولاه وهو يعتمد على غيره ووالاه. وإذا ناصح العبد مولاه في معاملته ألبسه خلعة من خلعه تظهر عليه نوره ومشاهدته. ومن لم يحكم فيما بينه وبين مولاه التقوى والمراقبة حجب عن الكشف والمشاهدة، ومن آثر مولاه حماه من رجس الدنيا ولم يكله إلى غيره.

وكان يقول: من كانت الدنيا طريقه إلى الجنة نصب له منار الدلالة لئلا يضل عنها.

وقال: إذا سكنت الخشية في القلب رأى علم التوفيق في الجوارح.

٦٨٩ ـ محمد بن الحسين الخشوعي

ومنهم المزين بالخشوع، الممكن للخضوع، كانت العبادة حرفته، والتلذذ بالعبرة شهوته، له الكلام البليغ في تأديب النساك والعباد، تخرج به جماعة من السباق والرواد. منهم أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان الأسواري وطبقته، وسليم بن عبد الله بن المرزبان أبو بكر الواعظ وشيعته، وبعدهما من المذكورين والمشهورين عبد الله بن محمد بن صالح، وأبو عثمان بن أبي هريرة، ومن نحا نحوهم في النسك والعبادة، تمسكوا بالشرع المشروع، والمنهج

المتبوع. اقتدوا بالآثار وتخلقوا بأخلاق العباد والأبرار من الصيام الدائم، والقيام اللازم، والقلب الفارغ الهائم. أبو عبد الله بن الحسين الخشوعي.

فمما نقل عنه من كلامه أنه كان يقول: حياة الصديقين في المراعاة، وروح حياتهم القدوة والاقتداء بأوامر الأنبياء وأحوالهم، وحياة أرواحهم بالطاعة.

❁ ❁ ❁

ومن المشهورين بالنسك والعبادة من عباد الشام، واقتصرنا على تسميتهم، فمنهم:

عامر بن ناجية.

والحسن بن محمد بن مزيد، لقي ذا النون وأحمد بن أبي الحواري.

والحسن بن علي بن سعيد أبو علي السنبلاني، يعد من الأبدال.

وزيد بن بندار البجاي أبو جعفر، صام هو وابنه وامرأته أربعين سنة.

ويسار بن مسهر، من العباد.

ومحمد بن جزي العابد.

ومحمد بن العباس بن خالد.

وأبو عبد الله المحدث.

ومحمد بن عيسى بن يزيد السعدي.

وأبو بكر الطرسوسي.

ومسعود بن يزيد.

وأبو عمران موسى بن إبراهيم الصوفي.

وعمر بن عبد الرحيم بن شبيب المقري.

وعبيد الله بن أحمد بن عقبة المحدث.

ومحمد بن الحسين الجوربي، صحب سهل بن عبد الله، كان من التعبد والاقتداء والاتباع للسلف الماضين بالمحل الرفيع.

سمعوا الآثار واستعملوها في مدى الأيام والساعات فعمروها. كانت أدعيتهم مجابة، ولهم يد في قلوب الولاة مهابة.

❁ ❁ ❁

وبعدهم طائفة تخرجوا بمحمد بن يوسف البنا، وإن كانوا اختاروا التجرد والتخلي من فضول الدنيا ورفضها، وحذف العلائق والعوائق ونبذها، ومداومة التشمير والاستباق.

ومنهم: أبو عبد الله الصالحاني الفقيه.

وأحمد بن جعفر القطان.

وأحمد بن ميمون.

وأبو جعفر أحمد بن قادة.

وأبو بكر بن خارج.

وعبيد الله بن يحيى أبو عبد الرحمن المديني.

وأحمد بن محمد بن عمر بن أبان العبدي. كانوا يرجعون إلى أحوال حميدة وبيان وبصيرة.



وممن أدركناهم وأدركنا أيامهم وصحبوا محمد بن يوسف وسمعوا منه:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن سياه المذكور.

ومحمد بن جعفر بن حفص المعدل المغازلي.

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن ممشاذ المعروف بالقنديل القوال.

وأحمد بن بندار بن إسحاق الفقيه الشعار.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الكسائي المقري.

وعبد الرحمن بن محمد بن ششتاه القرطمي المؤذن. وسمعت أبا محمد بن حيان يقول وحكى لي عنه حكايات وذكر أنه كان يزوره مع والده محمد بن جعفر في الجمعات، وقال: سمعته يروي عن سليمان بن شبيب وعبيد الله بن يزيد أخي رستم. وأبي مسعود، ولم أكتب عنه. فلما رأى في تصانيفه روايته عن حسين المروزي وعبد الجبار بن العلاء كان يتحسر لما فاته من حديثه. هؤلاء قد صحبوه ورووا عنه الآثار.

وأما الذين تخرجوا بعلي بن سهل وأبي عبد الله الصالحاني فجماعة يكثر تعدادهم، غير أن المتقدمين الذين لهم الحال المكين:

أبو بكر عبد العزيز بن محمد بن الحسن الخفاف الواعظ.

وأبو بكر عبد الله بن إبراهيم بن واضح، وأخوه عمر.

وأبو جعفر محمد بن الحسين بن منصور وأخوه علي بن الحسين.

وختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه، لما أولاه الله من فنون العلم والسخاء والفتوة، وسلوكه مسلك الأوائل

في البذل والعطاء والإنفاق، والتبري والتعدي من التملك والإمساك. وكان عارفاً بالله عالماً، وفقيهاً عاملاً، عالماً بالأصول، وبارعاً في الفروع، له من الأدب الحظ الجزيل، والخلق الحسن الجميل.

رزقنا الله تعالى ما رزقهم من الإقبال عليه، والانقطاع إليه، وجمعنا وإياهم بطوله في سائر أرضه وبحبوحة جنته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال المؤلف: هذا آخر ما أمليته يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة.

والحمد لله وحده أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم الجزء الثالث من كتاب

تهذيب حلية الأولياء. وبه

تم الكتاب. والحمد لله الذي

بنعمته تتم الصالحات

فهرس الجزء الثالث من كتاب تهذيب حلية الأولياء

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة
٥٠٠ ـ	سليمان بن حيان الأحمر	٣٠٠
٥٠١ ـ	محمد بن معاوية	٣٠١
٥٠٢ ـ	مغيث الأسود	٣٠١
٥٠٣ ـ	محمد بن صالح التيمي	٣٠١
٥٠٤ ـ	علي بن الحسن	٣٠٢
٥٠٥ ـ	خطاب العابد	٣٠٢
٥٠٦ ـ	أبو جعفر المحولي	٣٠٢
٥٠٧ ـ	عمر الصوفي	٣٠٣
٥٠٨ ـ	العباس المجنون	٣٠٣
٥٠٩ ـ	شداد المجذوم	٣٠٤
٥١٠ ـ	أبو سعيد البراقعي	٣٠٤
٥١١ ـ	الكريم أبو هاشم	٣٠٤
٥١٢ ـ	مسعود الجهمي	٣٠٥
٥١٣ ـ	زهير البابي	٣٠٥
٥١٤ ـ	محمد بن إسحاق	٣٠٦
٥١٥ ـ	القاسم بن محمد	٣٠٧
٥١٦ ـ	يزيد بن يزيد	٣٠٧
٥١٧ ـ	الخادم	٣٠٨
٥١٨ ـ	الفرار	٣٠٨
٥١٩ ـ	الديلمي المصلوب	٣٠٨
٥٢٠ ـ	أمية بن الصامت	٣٠٩
٥٢١ ـ	هلال بن الوزير	٣٠٩
٥٢٢ ـ	محارب بن حسان	٣٠٩
٥٢٣ ـ	أبو عمرو المروزي	٣١٠
٥٢٤ ـ	إبراهيم بن سعد	٣١٠
٥٢٥ ـ	أبو محرز	٣١١
٥٢٦ ـ	داود بن هلال	٣١١
٥٢٧ ـ	مسكين الصوفي	٣١٢

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

مسلسل	المترجم له	الصفحة

فهرس الأعلام المترجم لهم في "الحلية" بحسب ترتيب الحروف

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف السين

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

فهرس عام لأبواب الكتاب وفصوله

الموضوع	الجزء والصفحة

للمؤلف

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٤ مجلدات).
٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٧ مجلدات).
٣ ـ من معين السيرة.
٤ ـ من معين الشمائل.
٥ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
٦ ـ أضواء على دراسة السيرة.
٧ ـ هكذا فهم السلف.
٨ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).
٩ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).
١٠ ـ الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
١١ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).
١٢ ـ دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء.
أ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.
ب ـ ميادين الجمال.
ج ـ التربية الجمالية في الإسلام.
١٣ ـ معالم في التربية والدعوة (المواعظ ١ ـ ١٠).
١٤ ـ تحقيق «الجمع بين الصحيحين» للموصلي (في مجلدين).
١٥ ـ تحقيق «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٤ مجلدات).
١٦ ـ تحقيق رسالة «شرح المعرفة» للمحاسبي.
١٧ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين).
١٨ ـ تقريب «طريق الهجرتين» لابن القيم.
١٩ ـ العناية بكتاب «الوابل الصيب» لابن القيم.